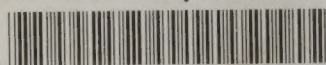
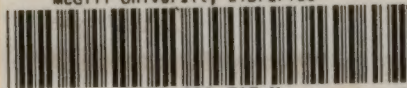


McGill University Libraries



3101389515K

McGill University Libraries



3 101 389 515 K

AP

.M266

INSTITUTE
OF
ISLAMIC
STUDIES

22362

*

v. 7

McGILL
UNIVERSITY

ch 68

م

م

م

م

م

م

م

المجلة

١٣١٥

مجلة علمية أدبية تهذيبية مليّة اخبارية

« تصدر في كل شهر عربي مرتين »

لنشرها

« السيد محمد رشيد رضا »

عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافى « المنار بمصر »

المجلد السابع

قيمة الاشتراك في مصر خمسون قرشاً أميرياً في السنة و٣٥ قرشاً عن نصف سنة
وفي الخارج ١٨ فرنكاً وفي الهند عشر رويات وفي روسيا ٧ روابل

(حقوق إعادة الطبع لكل أو البعض محفوظة لمنشئ المجلة)

طبع بمطبعة المنار بشارع درب الجميزة بمصر

﴿ فهرس المجلد السابع من مجلة المنار ﴾

صفحة	صفحة	صفحة
٣٥٥	ارشاد الامة الاسلامية في	(١)
١١٢	حقيقة الفتوى الترسفالية	٥٠٤
٢٣٨	الأعطار الافرنجية (كتاب)	١٤٣
٨٨٥	الافساد في الارض (ت)	٣٤
٦٧٨	الاقتصاد في الاعتقاد	٨٦٨
٦٢٠	اللقاب	٢٣٠
٧٢٠	لما ين - تصغيرها للمسلمين	٣١٥
	لما ين - تصغيرها على العرب	٢٧١
٢٧٣	الاياذة العربية	إثبات الله في ظلال من الفهم
٢٧٤	الاحتفال بمعربها	(ت) أي تفسير
٧٩٩	وهدمها المساجد	الاختهاد - تعريفه
٩٤٨	الامامة والسياسة	الاختهاد - اقبال بابه
٥٥٩	الامتيازات الاجنبية	الاحاطة - كتاب
٧٧٩ و ٥٨٠ و ٥٤٢	الامراء	الاحكام التعبدية ١٦٢ و ٢٤٣
٩١٩ و ٩٠٥ و ٨٩٢ و ٨٨٦		أحمد باشا المنشاوي - وفاته ٧٩٢
٩٢٧	الأمم - عقوبتها (ت)	المنشاوي - ترجمته ٨٣٣
	الأمم - هلاكها بترك	أحمد خان الهندي
٥٣٣	الايفاء بالعهد (ت)	أحمد دحلان
٣٥٨ و ١٦٠	الامة والاستقلال	أحياء النبي الموتي
٤٤٥ و ٠٨٣	مة محمد (ت)	الاخ القادر - قصة
٤٢٨	لامومة عند العرب	الاخلاص ٨٠٢ و ٨٩١
١٠٩	امير مصري واميرة	الادوية الافرنجية
٤٨٠	لامير والجرائد	ارادة الله والكسب
٧٥٩	لامير والاحتلال	الارث واختلاف الدين
٣٢١	الانداد لله	الارجوزة المصرية

(ب)

صفحة	(ت)	صفحة	(ب)	صفحة
	تاريخ المدن الاسلامي		باب - أدله على دينه	٦٧٩
٥١٤ و ١٤٩	كتاب	٣٤٨	باب - خطبه	٣٩٦ و ٥٧
٣١٣	تاريخ اللغة العربية كتاب	٣٤٤	الباب - والاسلام	٥٠٤ و ٤٣
٤٣٠	تاريخ البابية - كتاب	٣٣٨	البابية - رواج دعوتهم	٧٦٥
٤٧٢	تاريخ اليهود - كتاب	٣٤٠	البابية - فرقم	٦٢١ و ١١٩
٧٥٢	تاريخ علم الادب - كتاب	٣٥٣	الباطل (ت)	٧٤٣
٨٢١	تاريخ السودان - كتاب	١٢٦	البدعة الدينية والدينية	١٩٤
٩٢٠	التاريخ - الثقة به	٥٥٨	البدع والاهواء	٤٧٨
٨٤٢	التجارة في الحج (ت)	١١٧ و ٥٩ و ١١٧	و ١٢٦ و ١٨٣ و ٤٠٥ و ٤٣١	الانكليزي في ممبسا و لاموا
٥٥٠	التربية - سفر البحر	٤٥٧	رح الحفاء (قصه)	أهل الكتاب وقت البعثة
٦٦٨ و ٦٢٤	التربية الحديثة	٧٥٤	بشارة الانبياء بمحمد (ت)	٤٨٣
٦٢٠	التربية بالمعانية	٢٤٧ و ١٢٨ و ٤٦	البشر - أصلهم و وطنهم	أهل الكتاب - حل
٧١٢	الترك والعرب	١٤٧	لبعث والعلم	طعامهم ولباسهم
٥٧٠	تركة ووصيتان	٤١٢ و ٥٤	بلاد العرب - أخبار نجد	أهل الذمة - معامتهم
٣٠٢	تساهل المسلمين	١٩٤	و ٧٢٠ و ٧٥٩ و ٨٦٨	الآلهة و حكمها (ت)
٢٦ و ١١	و ٩٧ و ١١٧ و ١٣٦	٨٦٨ و ٧٥٩ و ٧٢٠	بلرم	أوربا - تعصبا
٢٢٨	و ٨٧٨	١٠٩ و ٣٤	البلاغار	أولو الأمر
٤٠٦	القنزع بغير إذن الله (ت)	٣٠٤	البورصة	الأوراد
٨٤٠	تصحيح غلط	٧١١ و ١٤٠	بيت المقدس - عهد عمر	٤٠٦ و ٥٠٤
٣٣٠	التصوف - تأثيره (ت)	١٤٠	بيع الذمة والسلم	٧٧٨
	تطبيق الاجراءات القانونية	٥٣٧	بيع النفس لله (ت)	الاولياء - فآجسامهم
٥٩٦	(كتاب)	٨٩١		١٨٣
٧١ و ١٧	التعصب على الاسلام			٤٣٢ و ٤١٥
٢٢٥ و ٩٦ و ١٣٦ و ٢٢٥				٩٠٣ و ٤٣٤ و ٤٠٤

(ج)

صفحة	صفحة	صفحة
(ح)	الهلكة. التعرض لها (ت) ٧٧٤	التعارض والترجيح ٨١٧
الحبس في الهمة - رسالة ٤٧١	٨٩٧ توبة اليأس	٢٣١ تعدد الزوجات
الحجاز والامن ١٠٥ و ٧٤	٨٢٤ تولستوي والحرب	تفسير قوله تعالى «لنعلم» ٠٨٨
٤٧٨ و	٨٨٠ تولستوي - كتابه للقيصر	تفسير ابن جرير - انتقاد
الحجاج والسلطان ٤٧٨	٦٣٦ تونس - جرائدها	شواهد ٨٦٠ و ٧٤٤
الحج والعمرة ٨٠١	(ث)	تفسير جزء عم ٧٥٠ و ٨١٥
حدود الله تعالى ٦٩٣	٥١٨ ثلاثون عاماً في الاسلام	التقليد - ضرره (ت) ١٢١
الحرب الروسية اليابانية ٢٠٠	٦١٩ الثياب الفاخرة	٢٣٣ و ٢٠٢ (ت) ٣٣٥
٧١٨ و ٨٨٠ و ٩٢٠	(ج)	التقليد - تحريم الانغماس له ٢٠٣
الحروب الصليبية أسبابها ١٣٥	٤٩٦ الجبر والقدر	٣٦٧ و
حروف الكتابة - ٢٩٧	١٨٧ و ١١٧ الجرائد بمصر	التقليد - بطلانه ٣٦٢ و ٤٢
الحرير - حكم لبسه ٤١٩	٨٦٨ و ٥٨٩ و ٣٩٩	٤٤١ و ٤٠٦ و ٤٠٤
الحرير والذهب ٤٢٤	٤٨٠ الجرائد « والامير »	« - مناظرة ١٢٩
حسن باشا عاصم - ٧٥٨	٧١١ الجرائد والبورصة	١٢٢ و ١٠٩ و ٤٤٩ و ٤٩١
الشيخ حسين الحمر ٧٩٩	٨٨٣ الجرائد - خلاياها (ت)	تقويم المؤيد ١١٤
حشر الاجساد ٤١٢ و ٥٤	٠٧١ جريدة الجوائب المصرية	تقويم العرب ١١٥
الحق - كتمانها (ت) ٤٨١ و ٢٤٧	٧٢٠ جزرة العراق - احياؤها	التسكيف - تفاوته ٤١٨
الحكمة - مجلة - ٣١٦	١٩٥ و ١٦٠ الجمعية الخيرية	التلامذة والاحتار ٣٥٩
حكمة الخلوقات (كتاب) ٦٧٨	٢١٥ و ٦٧٣ و ١٩٦ (م)	تفسيح الجديري ٥٧٤
الحكام وأكل الاموال	٩٣٨ و ٨٢٩ و ٤٦٢ الجمعة	التلغراف - الشهادة به ٥٧٥
بالباطل (ت) ٧٢٦	٦١٦ الجمعة - العادات المتبعة فيها	« والتلفون - خبرهما ٦٩٧
الحكام - حد سلطتهم ٣٧٦	٩٠٦ الجمهورية والاسلام	التماثيل والصور ٠٣٥
الحلال الطيب ٤٠١ و ٤٤٣	٠٦٠ الجنازة - تشييعها	التأثم - بيعها (ت) ٧٢٣
الخفية ٣٣٦ و ٤	٧٠٢ الجن والشياطين	توير الافهام ١٧٣ و ١٠١
الحيل الشرعية - ٤٠٥ و ٢٨	٧٦٩ الجهاد في الاسلام (ت)	توير الاذهان - كتاب ٨٢٣
٨٩٥ و ٥٣١ (ت)		التوسل ٣١٩ و ٥٠٤ و ٤٣
		٥٠٤ و ٤٠٤ و ٥٠٤

(ج)

صفحة	صفحة	صفحة
٦٦٩ النساء - شجاعتهم	٤٩٩ و ٤٩١	المسلمون - ضعفهم ١٤٥
٠٤٢ النسب في الآخرة (ت)	٥٥٨ المنتخبات العربية	١٦٠ و ١٦١ و ١٥٤ و ٣٠٩ و ٤٧٥
٨٧٩ نسيم بك خلاط	٢٧٨ المذم - جريدة	٢٣٠ و ٤٩٦ و ٥٤٠ و ٦٦٠
٩١٩ نشرة افساد	٣٩٣ و ١٤٥ المهدي المنتظر	مصادر الاسلام - كتاب ١٠١
٤٤ النصاري عند البعثة (ت)	٠٤٨ موعظة من القرآن	٧٣
٤٨٣ و ٢٢٥	١٩٩ المولد النبوي	مصر ٤٠ و ١١٩ و ٥٩٤
٩٤٧ و ٧١ و ١٧ - تعصيم	٣٣٣ المولد لمفاسدها (ت)	٦٢٠ و ٥٨٩ و ٧٢٨ و ٩١٧
٢٢٥ و ١٠١	٦٢٢ و ٨٤٠ و ٤٤٠ المؤيد	مصطفى كامل وجريدته ٠٧٤
٨٨٢ نفاق الاسان (ت)	٨٢٤ و	١٨٧ و ٣٦٠ و ٥٦٣
٣٨٠ النكاح وسب الشيخين	﴿ن﴾	المصالحة العامة ت ٨٩٢
٤٥٧ النكاح واشترط أولي	٦٢٠ نابتة العصر	المعاهدة بين مرا كش
٩١٦ النوادر المطربة - كتاب	٢٧٩ النادي - جريدة	وفرنا (سنة ١٢٦٧) ٧٨٣
(هـ)	٤٨٥ النار - أكلها (ت)	لنقلدون (ت) ٤١٤
٥٥٧ الهدية السعيدية - كتاب	٦٠٦ الناسخ والمنسوخ (ت)	المنقلد - ايمانه ٢٢٥
١٥٩ الهند والمدنيه	٦١١	الملل ٢٦٢ و ٤٤٤ و ٦٥٤
٥٧٧ - احكامها	٣٤ النبات - بساينه	النار - فائحة السنة السابعة
٥٧٦ والضرائب	الذي (العربي) مؤسس	الاشتراك فيه ٣٩ و ١٢٠
(و)	٩٠٣ شريعة أم مملكة ١٩٤	نقريظه ٦٦ و ١١١ و ٥٥٤
٢٨٠ الوحداية -	٦١٩ الذي - لباسه	طريقته ٢٣ و ١٨٢
٠٠٣ وحدة الدين (ت)	التي - عرض الاعمال عليه ٧٣٣	في سير اليون ١٥٩
الوحدة الاسلامية ١٦٠ (ت)	٢٥٩ احياء الموتى	تونس ٢٤٠ و ٦٣٦
٩٢٢	١٦٨ وصفه (ت)	و المناظر ٢٤٠
الوسامات - حكمها ٧٣	٤٧٤ الثبراس - جريدة	الاتقاد عليه ٣٢٠
الوصية لوالدين والاقرين	٨٦٨ و ٧٥٩ و ١٩٤ نجد	٣٨٨ و ٦٣٥
٦٠١ (ت)	٨٧٢ و ٨٧٣ و ٨٧٤ و ٨٧٥	النار - خاتمة ٩٥٤
٦٠٣ للكافر	٤٦٨ و ٤٢٥ ندوة العلماء	مناظرة بين مقلد وصاحب
	١٥٩ النساء المسلمات بالهند	حجة ١٢٩ و ٢٢٢ و ٤٠٩

صفحة	صفحة	صفحة
الوصية المتنامية النبوية ٦١٤	الوفاق والاسلام ٩٢٤	اليابان والحرب ٢٠٠ و ٤٧٥
الوضوء - تقضه ٦١٨	الولاية ٨٥٨ و ١٨٣	٦٢٩ و ٧١٨ و ٨٨٠ و ٩٢٠
الوطنية ١٤٧ و ١٦٠ و ٣١٩	الولي - ظهوره ١٨٠	يس (السورة) بيعها ٧٢٣
٤٨٠	ولي النكاح ٤٥٧ و ٤٢٤	الين - فتنها الحاضرة ٨٧٧
الوفاق الانكليزي الفرنسي ٤٧٨ و ٢٨٠ و ١١٦ و ٤٠	الوهمية ١٢٨	الهمود عند البعثة ٤٤٤ و ٤٤٤
	(ي)	٤٨٣ و ٤٨٢

فهرس ثان

للآيات العزيزة المفسرة والمستشهد بها في المجلد السابع

صفحة	صفحة	صفحة
الذين إذا أصابهم ٢٠١	الذين إذا فعلوا فاحشة ٥٢٤	الذين إذا ذكر الله ٥٢٤
الذين فرقوا دينهم ١٨٣	الذين يخرجوا من ٥٢٤	الذين يكتمون ما أنزلنا ٩٢٨ و ٩٢٥
٤٨١ و ٢٤١	ديارهم ٧٧١	٢٤١ و ٤٨١
الذين كفروا و أماتوا ٢٤١	أولئك عليهم صلوات ٢٠١	٢٤١ و ٤٨١
٢٤١	إلا الذين تابوا وأصلحو ٢٤١	٢٤١
٢٨١	الله الذي رفع السموات ٢٦١	٢٨١
ان الحسنات يذهبن ٣٢٧	الا لله الدين الخالص ٣٢٧	٣٢٧
٤٥٦	أم نقولون ان ابراهيم ٠٠١	٤٥٦
٦٣٨	أم خلقوا من غير شيء ١٣٩	٦٣٨
ان الله اشترى من ٨٩١	أم حسب الذين اجترحوا ٨٩١	٨٩١
٨٩١	السيئات ٨٩١	٨٩١
٤٨٩ و ٨٠	ان أنت الا نذير ٠٤٨	٤٨٩ و ٨٠
٣٣٢	ان هي الا حياتنا الدنيا ٠٨٤	٣٣٢
٣٩٨	ان هو الا وحي يوحى ٣٢٧	٣٩٨
٤٠١	ان الحكم الا الله ٣٢٧	٤٠١
	ان يكن منكم مئة صابرة ٩٠٠	٩٠٠

(ي)

صفحة	صفحة	صفحة
١٠٣	٦٠٨	٤٤٣
الغيب والشهادة	عفى الله عنك	انما حرم عليكم الميتة
٣٦٩	ف	انما المؤمنون الذين آمنوا
قل هذه سبيلي ادعو	فاذا قضيت منكم	انما التوبة على الله
٣٦٩	١٦١	انزل من السماء ماء
الى الله	فاذكروني اذ كركم	انك ميت
قل انما حرم ربي الفواحش	فاقم وجهك	اولم يروا انا جعلنا
٧٨٠ و ٣٦٩	٨٣٣	حرماً
قل لا يعصم من في	فانكحوا ما طاب لكم	اولم ير الذين كفروا ان
السموات	٥٥٩	السموات والارض كانتا
٣٦٩	٧٦٨	اباك نعبد
قل لا اجد فيها اوحى	فان تنازعتم في شئ	٩٣٧
الي	٩٢٥	ب - ع
٤٠٢	فان زلتم	٨٩٩
قل من حرم زينة الله	٩٢١	بل من كسب سيئة
٤٢٣	فانها لا تعمى الابصار	٩٤١
قل الروح من امر ربي	٩٠١	بل تقذف بالحق
٧٦٦	فذكر انما انت مذكر	٤٨٢
٩٠٩	٥٥٩	تجملونه قراطيس
﴿ ٤٠ ﴾	فلولا نفر من كل فرقة	٩١٠ و ٩١٠
كتب عليكم اذا حضر	١٣٠	تلك امة قد خلت
احدكم الموت	فمن اضطر غير باغ	٨٥٤
٦٠١	٦٥٠ و ٦٥٠	تلك الجنة التي نورث
٨٩٩	فمن بدله بعد ما سمعه	٥٢٦
كلا بل ران	٦٠١	تنزل الملائكة والروح
٨٩٩	فمن خاف من موص جفنا	٨٤١
كلا انهم عن ربي	٦٠١	ثم افيضوا من حيث
كل حزب بما لديهم	٨٠٣	الحيج اشهر
فرحون	٩١٠ و ٩١٠	خالدين فيها لا يخفف
٩١٥ و ٩١٥	﴿ ق ﴾	ربنا آتانا في الدنيا
كلما دخلت امة لعنت	٥٢٦	الرجال قوامون
٣٦٣	٨٩٣ و ٦٨٨	سيقول السفهاء
﴿ ل ﴾	قالوا هذا عارض ممطرنا	١٨٠
لا اكره في الدين	٩٣٠	سبهم الجمع الخ
٧٧٧	قد ترى قلب وجهك	٦٤١
لعن الذين كفروا	١٢١	شهر رمضان
١٠٨	٥٠١	الشهر الحرام
٢٥٠ و ٢٤٩	قل انما حوينا في الله	٧٦٨
٥٤٩	قل لمن الارض - عالم	٣٩٧ و ٥٧
لقد أرسلنا رسلنا		عالم لغيب

صفحة	صفحة	صفحة
٩٢٤	٤٥٨	٥٢٨
وتلك الايام ندواها	أجلهم	لقد كان لكم في رسول الله
٩٣٣	٦٨١	٧٦٤
وجاء ربك والملك	واذا سألك عبادي	لقد كان في قصصهم
٩٠٧	٧٢٣	٤٥٧
وسيعلم الذين ظلموا	وذا رأوا تجارة	لن ينال الله لحومها
٢٦١	٨٨١	٠٤٩
والشمس تجري	واذا تولى سعى في الارض	ليوفهم أجورهم
٢٦٢	٨٨١	ليعلم ان قد بلغوا رسالات
والشمس وضحاها	واذا قيل له اتق الله	٠٥٧
٩٠٤	واذا أخذ الله ميثاق	ربهم
وشاورهم في الامر	الذين أوتوا الكتاب	٥٢١
٦٣٨	٢٤٩	ليس البر أن تولوا
وعنده مفاتيح الغيب	وان طلقتموهن	٦٣٨
٨١٥	٤٥٨	ليس كنهه شيء
وفي أموالهم حق	وأن هذا صراطي	٨٤١
٣٦١	٤٨٩	ليس عليك هداهم
وقال الذين اتبعوا	وإن كان رجل يورث	
٣٦٣	٨٢٠	م - هـ -
وقالت اولاهم لا خرامهم	وإني لففار لمن تاب	٣٣٨
٤٨٥ و٧٦٨	٤٥٦	ما كان لبي أن يكون له
وقاتلوا في سبيل الله	وأن هذا صراطي	٦٠٨
٧٦٨	٣٦٩	ما ينظرون الا صيحة
وقاتلوهم حتى لا تكون	وان احكم بينهم	واحدة
٧٦٨	٥٥٩	٩٢٨
فتنة	وأن المساجد لله	من كان يريد العزة
٠٨٨	٦٨٦	٠٤٨
وكذلك جعلناكم أمة	واستفزز من استطعت	٥٢٦
٧٦٦	٧٠٧	نزل به الروح الامين
وكلنا تقص عليك	واقتلوهم حيث	٨٨٦
ولا تزر وزرة	واذكروا الله في أيام	نسأؤكم حرث نسكم
٧٨٢ و٤٨	معدودات	٩٢١
ولا تقولوا لمن يقتل	٨٤١	هل ينظرون الا ان
٢٠١	وأنفقوا في سبيل الله	(و)
ولا يجردنكم شأن قوم	٧٦٩	والحكم اله واحد
٢٣١	وأنتموا الحج والعمرة لله	٢٨١
ولا تمزموا عدة الشرك	٨٠١	والذين اتخذوا من دونه
٢٩٨	واما السائل فلا تنهر	أولياء
ولا يحيطون بشيء	٨١٥	٣٢٢
٦٣٧	وآخرون اعترفوا	والذين في أموالهم حق
ولا تأكلوا أموالكم	بذنوبهم	٨١٥
٧٢١	٨٩٩	واذا دعوا الى الله
يفسكهم	٩٠٦	٥٢٨ و٣٢٨
ولا تنازعوا فتفشلوا	وأمرهم شورى بينهم	٤٠١
٨٧٦	واعتصموا بحبل الله جميعاً	واذا قيل لهم اتبعوا
٠٥٨	٩٢٤	واذا طلقتم النساء فبلغن
ولو كنت أعلم الغيب	٨٨٥	
ولو أن ما في الارض من	والبلد الطيب يخرج	
٢٩٣ و٩٠	شجرة	وترى الارض هامة
	٢٩٠	

(ل)

صفحة	صفحة	صفحة
٥٤٨	١٦١	٨٨٤
يا ايها الناس كلوا ٤٨٢ و ٤٠١	ومن حيث خرجت	ولو نشاء لا ريناكم
يا ايها الذين آمنوا استعينوا ٢٠١	ومن الناس من يتخذ	ولو كان من عند غير الله
يا ايها الذين آمنوا كلوا	ومن الناس من يهيجك	ولئن اتيت الذين ارتوا
٤٤٣	٨٨١	ولكل وجهة هو موليها
من طيبات	ومن الناس من يشري	ولنبلونكم بشيء
يا ايها الذين آمنوا كتب	نفسه	والقد يسرنا القرآن
عليكم القصاص ٥٦١	ومنهم من يقول ربنا آتانا	ولتكن منكم أمة
يا ايها الذين آمنوا كتب	في الدنيا حسنة	ولقد ذرأنا لجهنم
عليكم الصيام ٦٤١	ومن يرد فيه بالحاد	ولكم في القصاص حياة
يا ايها الذين آمنوا ادخلوا	ومن يقتل مؤمناً متعمداً	ولله على الناس حج البيت
٩٢١	٢٥٨	ولولا دفع الله الناس
يا معشر الجن والإنس ٩٣١	ومن يضل الله فماله من	بعضهم ببعض لفسدت
يخربون بيوتهم بأيديهم ٢١٢	هاد	ولتجدنهم احرص الناس
يريد الله بكم اليسر ٦٤٩	ومن لم يحكم	على حياة
يسألونك عن الأهلة	ومن يعيش عن ذكر	وما يستوي البحران
٧٦١ و ٦٩٤	ومن يعص الله ورسوله	وما يستوي الأحياء
يفشي الليل النهار ٢٦٠	ومن يتبع خطوات	وما جعلنا الرؤيا
يكفر الليل على النهار	الشیطان	وما أرسلنا من نبي
٢٨٧ و ٢٦٠	وهو الذي مدّ الأرض	وما نقرقوا الا
يوم يكشف عن ساق ١٤٤	ويعبدون من دون الله	وما أمروا الا
يودأحدهم لو يعمرالف	ويؤثرون على انفسهم	وما انصروا الا من عند
٩٠٠	٩١١	الله
يوم يقوم الروح والملائكة ٩٣٣	ويوم تشق السماء	وما كان ربك مهلك
	٩٣١	وما جعل عليكم في الدين
	(ي)	من حرج
	يا ايها الناس ان وعد	ومن الناس والدواب



﴿ فهرس ثالث ﴾

﴿ للاحاديث الشريفة المشروحة والمستشهد بها في المجلد السابع ﴾

صفحة	صفحة	صفحة
٣٩٢	ان الله شفائي	٦٥٥ اقرأوا القرآن ولا تغفلوا
٩٤٥	ان الله فرض فرائض	٦١٩ اثثروا
	ان الله وضع عن المسافر	٩١١ اتقوا فراسة المؤمن
٦٥١	الصوم	٤٢٥ أحل الذهب والحريير
	ان الذي يشرب في آنية	٣١١ أدوا للامة حقوقهم
٤٢١	الفضة	اذا كان شيء من أمر دينكم
٢١١	ان العين تدمع	فإلني ٣٠٨ و ٥٠
	ان بلالا يؤذن بليل	١٤١ اذا ابتعت
٧٠٠ و ٦٩٦		١٤١ اذا اشتريت
٧٠٦	ان للشيطان لمة	٩٣٦ اذا تحيرتم بالامور
٢٤٠	ان هذين حرام	اذا جاءكم من رضون
١٨٥	انك عند قبر يوسف	دينه وخلقته فزوجوه ٢٨١
٤١٨	انكم في زمان	٣٨١ اذا خطب اليكم
٦٥١	انكم قد دنوتم	اذا سمعتم به (الطاعون) ٤١٥
٦٥١	انكم مصبحو عدوكم	اذا ضاقت الامور ٩٣٦
	انما أنا بشر وانكم	اذا فتح الله عليكم مصر ٥٣
٧٢٧	تختصمون الي	اذا منع الله الثمر ١٤٢
	انما نهى رسول الله عن	أرايتم لو وضعها في حرام ٨٩٢
٤٢٠	الثوب المصمت	أربعوا على أنفسكم ٦٨٢
٩٣٧	انه لا يستعان بغير الله	استوصوا بهم خيراً ٥٨٣
٤٦٠	انما امرأة نكحت	اطلع في القبور ٩٣٦
٦٨٢	ابن ربنا	افق (ص) بفسخهم
٨٠٤	ابن السائل عن العمرة	الحج الى العمرة ٨١١
٦٨٣	ايها الناس اربعوا	أفليح الاعرابي ٥٩

(ن)

صفحة	صفحة	صفحة
كل مصر مصره المسلمون ٠٩٩	٨٥٣	عرفة (ب-ث)
كل مولود يولد على الفطرة ٢٦٠	٩٣٥	بين الرجل والكافر ٧٠٩
كل جسد نبت من سحت ٣٠١	(س - ع)	ثلاث جدهن جد ٢٩٩
كل من يصلي ركعتين	سألت جبريل هل ترى ٣٨١	ثلاث لا تؤخر ٣٨١
٩٣٥ بسواك	٩٣٤ ربك	ثلاث لا يجوز فيهن اللعب ٢٩٩
٦٤٨ كم من صائم	٢٢٣ سموا أتموكلوا	ثلاث من السحر ٣٩٣
١٤٣ كنا نصيب المغام	١٤٣ سيد البشر آدم	الطيب احق بنفسها ٤٦٠
ل	٦١١ الشيخ والشيخة	ثم تعاد روحه ٨٥٨
لا ترجعوا بعدي كفاراً ٩٢٤	٨٠٧ صم ثلاثة أيام	(ح - ذ)
لا تزوج المرأة المرأة ٤٦١	٥٧٦ الظهر يركب بنفسه	الحج عرفة ٧٥٢
لا تسبوا أصحابي ٢٥٥	٣٨١ العرب اكفاء	الحسب المال ٣٨٢
لا تقطع الايدي في الفزو ٥٧٩	٣٨٢ العرب بعضهم	حياتي خير لكم ٧٣٥
لا تلبسوا الحرير ٤٢٢	(ف)	الحنان سنة ٢٥٥
لا رقية ٣٩٠	١٠٨ فان دماءكم وأموالكم	خذ من القرآن ١٤٤
لا ضرر ولا ضرار ١٤٢	٦٩٩ فان غم عليكم	خرج (ص) الى حنين ٦٥٠
لا طاعة لمخلوق في معصية ٩٠٥	٨٥٨ فتعاد روحه	خير الناس قرني ٢٥٥
لا تمنع ذوات الاحساب ٣٨٢	٨٠٨ فمن لم يجد فليصم	الدعاء مع العبادة ٦٨٧
لا تن بقيت الى قابل	(ك)	الدين النصيحة ٨٨٩
لا صوم من التاسع ٦٤٨	كان رسول الله إذا خرج	الدين يسر ٩٤٥
لا نكاح إلا بولي ٤٦٠	مسيرة ٤١٧ و ٦٤٩	ذاك لو كان وأنا حي ٧٣٥
لا يدخل الجنة من كان في	كان رسول الله إذا	(ر)
قلبه مثقال ذرة من كبر ٦٢٠	سافر فرس خاقصر ٦٤٩ و ٤١٧	رب متخوض في مال الله ٩٤٩
لا بقلق الرهن ٥٧٦	كان في الجاهلية بين حينين ٥٦٦	رخص (ص) لعبد
لا يمنعكم من سحوركم	كان الناس في رمضان ٦٩٠	الرحمن ٤٢١
اذان بلال ٦٩٦	كان (ص) يرمي الجمرة ٨٥٣	وضيت لكم ٢٥٥
٨٥٤ لييك اللهم	كان (ص) يكبر بمضى ٨٥٣	رفع (ص) يديه يوم

صفحة	صفحة	صفحة
٤٢١	٣٩١	٨١٦
٤٢١	٣٩٢	٦٨٩
٦١٩ و ٦١٨	١٤٢	٣٩٥
٣٩١	١٤٣	٨١١
٩٣٧	١٤١	٦١٢ و ٦١١
١٣١	٨١٣	٩٢٥
٩٤٥ و ٤٠٥		٨١٦
٤٨٥		(م)
	٩٠٨ و ١٠٨	٨٥٦
	٣٩٦	٧٣٤
٩٣٤	٥٥٨	٣٩١
٤٢٢	٦٤٥	٩٣٥
(ي)	٣٩٣	٤٢٣
٤١٧	٦١٥	٧٠٥
٤٤٨	٦٤٧	٧٠٥
٤٦٠	٨١١	٧٠٥
	٦١٨	٧٠٥
	(ن - ه - و)	٧٠٥
	١٤١	٤٩٥
	٤٢١	١٤١
	٤٣٠	٨١٩

(تنبيه) قد جعلنا لهذا المجلد من المنار ثلاثة فهارس أولها للمسائل والمباحث وهو المعتاد إلا أنه في هذه السنة أوسع منه فيما سبقها وإن كان غير مستوفٍ لجميع المباحث المهمة. ومن رأى مطلباً في الفهرس ولم يجد له عنواناً في الصفحة المعينة فلينظر في أمثاتها، والفهرس الثاني للآيات المفسرة للآيات لقر آية والثالث للأحاديث النبوية لاسيما المنشروحة والخرجة وهما مرتبان على الحروف بحسب ذكر الآية أو الأحاديث في الصفحات ولو بعضها ولم يراع في الترتيب الحرف الثالث والكلمة الثانية بالتدقيق ونرجو أن نزيد ذلك انقائاً في السنين الآتية

صفحة	صفحة	صفحة
رسائل أبي العلاء المعري ٢٧١	الدنيا والدين ٨٩٢، ٨٩٣	(خ)
رسالة التوحيد - ٦٦٤ و ٨٧٩	الدولة العلية ومالياتها ١١٣	الحثان وجوبه أو سنيته ٦١٧
الشاي والقهوة ٣١٣	والانكلز ٧١٩	الخرافات ١٨٣ و ٤١٤ و ٤١٨
الرسول - استثناسهم ٥٠٣	والبلغار ٣٠٤	و ٤٣٣
الرضاع - حكمه ٤٩٩	الدين بالدليل - ت ٢٩٢ و ٤٠٧	الخرافة الحسناء - قصة ٣١٥
رفع اللبس - كتاب ٥٥٥	الدين - التفرق فيه ١٨٢ و ٢٦٠	خراب العالم ٥٦ و (ت) ٩٢٨
الرقية بالقرآن ٨٥٥ و ٣٩٠	و ٣٣٦ و ٤٢٠ و ٤٧٠ و ٩٢١	الخط - علاماته ٢٦٤
رمضان - إنياته ٦٩٥	الدين - الزيادة فيه ٤٠٥	الخطباء والائمة في مصر ٥٠١
نزول القرآن فيه ٦٥٣	الدين - ضعفه ١١٥ و ٣٥٩	خطب الاعظمي ٩٥٠
روح الحياة - رسالة ٤٧١	والغرور (ت) ٤١ و ٣٦٥	خطر علينا وعلى الدين ١١٥
روسيا - تغاير العامة فيها ٥٣٩	غير كسبي (ت) ٣٢٧	الخلافة ٨٩٩ و ٧٠
الرؤساء ١٠ و ٥١ و ٣٦٢	كلياته ٣٧٨	الخلاف والتفرق ٦٧ و ١٨٢
و ٤٤٢ و ٤٨٢ و ٩٢٢	والسياسة ١٤٥ و ٣٠٧	و ٤٨٩ و ٩٢١
رياض باشا - ٢٨٠ و ٣١٧	و ٤٧٩ و ٥٤٠ و ٥٨١ و ٦٦٠	الخلود في النار (ت) ٢٥٢
(ز)	و ٨٩٩	خلود الكافر في النار ٢٥٨
الزكاة من البر (ت) ٣١ و ٥٢١	(ذ)	الخواطر العراب ٢٧٧ و ٩١٦
والضرائب ٥٧٦	الذبح لغير الله ٤٤٧	(د)
الزهرة السوداء (قصة) ٧٥٣	الذكر بالصياح ٤٠٥	دار الحرب - حكمها ٦٣٩
زهرة ونظام العالم ٩٥١	لذكر مع العدد ٤٦٣	الدخان بمجلس القرآن ٥٣٧
الزواج والكفاه ٣٨١	الذهب - التحلي به ٤١٩ و ٤٢٤	الدروز - عقيدتهم ٧٨٢
زواج الشيعي بسنية ٤٦٢	(ر)	الدعاء (ت) ١٢٢ و ٨٤٨
الزوجة - السفر بها ٨١٧	الرافة والرحمة ٩٢	الدعوة إلى الخير (ت) ٢٤٩
الزي والدين ٠٢٤	الرؤى والاحلام ١٨٣ و ٦١٦	الدعوة - بلوغها ٢٥٩ و ٤٩٥
زيارة المسلم لغير المسلم ٠٢٦	الربا - حكمه ٠٢٨	الدعوى والعمل (ت) ٨٨٢
(س)	لرتب والاوزمة ٤٠ و ٦٢٠	الدليل على وجود الله ١٣٨
سادات البشر ١٤٣	الرجل والمرأة بدمشق ٥١١	دليل مصر والسودان ٩٥١

صفحة	صفحة	صفحة
(ص)	الشرك (ت) ٣٢١ و ٥٠٥	السائل في القرآن ٨١٥
الصبر (ت) ٢٠١ و ٥٣٥	شركة جريشام ٣٨٤	السادات والمؤيد ٤٤٥
الصحابة - ماخفي عليهم ٤٥٠	شريف مكة ١٠٧ و ٧٦	سب الشيخين ٣٨٥
• فتواهم ١٣٠ و ٤١٠	الشعائر ٢٤٣	السعادة العظمى - مجلة ١٥٣
• صحة المرأة - كتاب ٥٩٧	الشعراني ٢٩٣ و ٣٣٤	السعدية - شعوتهم ٢٩٧
الصفا والمروة ٢٤٠ و ٢٦٨	الشعر المصري ٦٩ و ٤٢٥	السفر - رخصه ٤١٦ و ٦٤٩
الصلاة في الآخرة ١٤٤	٥٩٤ و ٧١٨ و ٧٥٤	السفينة - ما يتم فيها ٥٠٨
• - روحها (ت) ٢٠١ و ٥٣٠	٨٣٠ و	السكر ٩١٨ و ٥٩٨
• والمراجعة في فرضها ٦١٥	الشفاعة (ت) ٤٣ و ٢٩٥	سكة الحجاز ٥٧٥
• - ووقيتها ٦٩٨	٣٢٤ و ٤٩٨ و ٥٠٤	سلاسل زنجبار والاصلاح ٧٩٨
• عقوبة ركبها ٧٠٨	الشكر (ت) ١٧٣ و ٢٤٥	السلطة المطلقة ٩٠٣ و ٨٨٨
صندوق التوفير ٢٨	٤٤٤ و	السمك - أكله يوم السبت ٥٠١
الصور والتماثيل ٣٥	الشنقيطي - وفاته ٨٣٩ و ٨٧٩	سهل القريض - ديوان ٨٢٤
الصواب - جريدة ٢٧٨	شهادة إسرائيل لاسماعيل ٩٥٣	سوريا والاسلام ٥١٧
الصوفية ٣٣٠ و ٤٣٤ و ٦٨٤	الشهداء - رؤيتهم ٤١٣ و ٤١٥	• الفتح العربي ٥٩٤ و ٥٩٦
صوم يوم عرفة ٢٧	• - حياتهم ٢٠٧	السوء والفحشاء (ت) ٤٠٤
الصوم - حكمه واحكامه	الشهر الحرام (ت) ٧٦٩	السودك ٩٣٥
ورخصه (ت) ٦٤١ و ٦٨٨	الشورى ٩٠٦	السياسة والدين ٣٠٨ و ٥٤٠
٧٠٨ و ٦٩٤	شيخ الاسلام بالقوقاس ٢٩ و ٠	٥٨١ و ٦٦٠ و ٨٩٩
(ض)	شيخ الطريق ٣٣١ و ٤٣٩	سيراليون ١٥٣
ضعف المسلمين ٥٤٠ و ٦٦٠	الشیطان - عداوته (ت) ٤٠٣	سيف العدالة (جريدة) ٤٧٤
الضلال - معناه ٤٤٢	• - حقيقته ومشاركته للناس بالاموال والاولاد	(ش)
(ط)	٧٠٢ و ٧٠٧	شارل وعبد الرحمن ٧٤٣
طعام أهل الكتاب ٢٣	• - خطواته (ت) ٩٢٥	شرح قانون العقوبات ٣١٤
الطعام - محرمة (ت) ٤٤٦	الشيعة ٦٦ و ١٤٥ و ٣٤١	الشرع والقانون ٣٧٦ و ٥٧٧
الطلاق ٢٩٨ و ٣٨٠	٣٩٤ و ٤٦٢	

(و)

صفحة	صفحة	صفحة
	العلماء والعامة (ت) ٣٣٧	الطلاق عدته وعدة الوفاة ٥٣٩
	العلوم الكونية (ت) ٢٨٥	• اثلاث - الحيلة فيه ٨٩٥
قاسم بن ثاني ٨٧١	و ٢٩٣ و ٧٦٣	الطيأت - اباحتها (ت) ٤٤٣
القبلة (ت) ٨١ و ١٦١ و ٥٦٥	علي بن أبي طالب (رض) ٢٩٩	(ظ)
القبط ووصية عمرو ٩٢	علي يوسف - قضيته ٤٤٠	الظالم - خلعه وعصيانه ٩٠٧
قبور الصالحين ٤٠٥ و ٥٩	و ٣٨٤ و ٥٩٤	(ع)
و ٤٣٣ و ٤٧٥ و ٤٩٩ و ٩٣٦	عمر - عدله بأهل الذمة ٠١١	عاشوراء - صومها ٦٤٨
القتال والجهاد (ت) ٧٦٨	• عهد له لأهل القدس ٠٩٧	العامة ٥١ (ت) و ٣٣٧ و ٨٨٩
القرآن - الأدب بمجلسه ٥٣٧	• نسيان المسائل ٤٤٠	العامي - دينه (ت) ٤٦٥
• - دليل عليه ٦٥٨	عمرو بن العاص - خطبته ٥٢	• - اتباعه الرخص ٦١٣
• وكلام العرب ١٧٨	العمر - الاخبار به ٢٦٣	عبادة النصارى ٢٣٩
• - أجرة تعليمه ٧٢٥	• الطبيعى ٢٦٦	العبادة - نعميمها ٦٩٤
٨٥٥ و	• - إطالته ٢٦٧	العبر - أوانها ٣٠٤ و ٢٦٩
• والقوانين ٥٢١	عود على بدء - قصة ٤٧٣	عدن والمكلا ١٩٤
• قصصه ١٧٠ و ١٨١	(ف)	العرب ١٦٠ و ١٢٤ و ٩٧
و (ت) ٨٦٦	القتاة اليابانية والحرب - ٦٩	و ٣٠٩
• العمل بمجملته ٩٢١	الفتوى لشركة جريشام ٣٨٤	العزة بالانتم (ت) ٨٨٨
• بلاغته ٤٤٨ و ٥٧٠	الفتنة المراية ٧٩٤	علم الغيب ٥٧ و ٣٩٦ و ٦٣٧
و ٨٤٨ و ٨٩٤	• فى الدين ٢٠٢	علم قراءة اليد - كتاب ٤٧٢
• من اياته الميمه ٣٤٢	فتح الملك العلام - كتاب ٩٥٢	العلم - بالاسكندرية ٨٤٠
• بيانه ٦٥٤	الفداء والقداسة ٤٥٣	العلم - يوجب العمل (ت) ٩٢٣
• والعلم ٢٦٠ و ٢٨٥	الفرسان الثلاثة - قصة ٣١٤	علماء العصر ٤٠ و ٧٧ و ١٢٧
و ٧٦٣	فرنسا والازهر ٧٣٨	و ٢٩٥ و ٣٩٣ و ٥٢٠ و ٥٢٩
• نزوله رمضان - ت ٦٥٣	القطرة ١٠ و ٢٦٠	و ٦٩٩
• قضاء الحوائج به ١٤٤	الفلسفة اللغوية (كتاب) ٢٧٦	الطماء - مديهم ٤٣٢ و ٩١١
و ٣٩٠ و ٧٢٣	الفلاكة والمفلوكون ٥٦٠	العلماء والمحاكم ٢١٢ و ٣٢٠
• ناسخه ومنسوخه ٦٠٣		

صفحة	صفحة	صفحة
المحامون - نصيحة (ت) ٧٢٧	الكفر والضلال (ت) ٤٤٢	القرآن وعلم الكلام ٢٨٠
المحرم - الاضرار له ٤٤٧	الكتاب - نجاسته ٨١٨	قرب الله من العباد - ت ٦٨٤
المحكمة الشرعية ١٩٩	الكلام في الدنيا (ت) ٨٨٤	القصص (ت) ٥٦١
٧٢٠ و ٢١٢	كمال العناية - كتاب ٦٢٧	القصص الدينية ١٧٥ و ١٩٩
الشيخ محمد شاكر ٨٤٠	الكيمياء الكاذبة ٤١٧	قصر الصلاة ٤١٦ و ٦٤٩
الامام محمد عبده المفتي ٦٨ و ٢٤	(ل)	القضاء الشرعي بمصر ٧٠٢
٥٢٠ و ٧١٦ و ٨١٥ و ٩٥٥	لائحة المساجد ٢٢١ و ٢٧٩	القطبان - الصوم والصلاة في
الشيخ محمد مسلم ٨٠	لا يضيئ (خطبة) ٩١٧	جهنما (ت) ٦٥٧
محمود سامي البارودي - وفاته	اللباس ٢٤ و ١٩ و ٢٣٧	القمار ٩١٧
وترجمته ٨٢٥ و ٨٩٢ و ٨٣١	اللبس - يوم الاربعاء ٥٠١	القواعد الالمانية ٤٢٩
المدارس - امتحانها ٣٦٠	للحية - حلقها ٧٣٥	القوانين الانكليزية ٥٧٧
الاسلامية ٣٧٧	لسان الامم - مجلة ٣١٦	القوقاس - مسلموها ٠٣٩
مدرسة محمد علي الصناعية ٣١٧	لغة والدين ٤٦٠	(ك)
المدنية ٢٩ و ٦١ و ١٤٧ و ١٨٧	للقطاء - تربيتهم ٧٨٢	الكازوزة - حلها ٥٢٧
٥٥٩ و ٩١٠ و ٩١٧	(لو) حذف جوابها (ت) ٣٢٩	كتب الانبياء ٢٦٢ و ٦٥٤
مذهب السلف ٩٤٩	اللواء - جريدة ٧٣ و ١٨٧	الكتابة العربية ٢٦٤ و ٢٩٧
المذاهب والاصلاح ٦٧	٣١٩ و ٤٠٠ و ٥١٨ و ٥٦٣	الكتاب والايان (ت) ٥٢٦
١٨٢ و ٩٥٨	للاوط - حكمه وعقابه ٧٧٩	كتاب الاملاء ٥٥٦
مرآتي الامة القبطية ٢٧٨	للورد كرومر ٢١٥ و ٣١٧	حافظ للمفتي ٧٥٦
المرأة بدمشق ٥١١	٩١٧ و	الصناعتين ٧٥١
مراكش - ٤٠ و ١٩٧ و ٤٧٥	للمدينة ٧١٢	العلم والعلماء ٩١٣
٧٤٠ و ٧٨٣ و ٨٤٠	(م)	الكرامة ٨٥٩
المسألة المشتركة بالميراث ٨٢٠	المال - أكله بالباطل (ت) ٧٢١	كساوي الشريف ٧٢٧
المسائل الترسقية ٤٥٠	ت يذله الله (ت) ٥٢٨	الكسب والخير ٤٩٦
المسلم - منيته ٨٣ و ٣٦٤	المتسولون والمتسولون ٣١٩	الكشف ورؤية النبي ٤٩٩
المسلمون - تساهلهم ١١ و ٢٦	المتشابهات ٩٢٩	الكعبة (ت) ٠٨١
١٣٦ و		

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

المسحاة

بقرى الحكمة من يشاء ومن يوت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
نذكر إلا أوامير ألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر - الجمعة غرة محرم الحرام سنة ١٣٢٢ - ١٨ مارث (آذار) سنة ١٩٠٤)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أحياناً بعد ما أمانتنا إليه النشور، وهو الذي أحياناكم ثم يميتكم ثم يبعثكم إن الإنسان
لكفور. أحياناً شدت الروح التي شغفها في البلاد العربية، ثم أمانتنا بالأعراض عن تلك الهدايا السماوية. أحياناً
ضع قرون، وأمانتنا بضع قرون، فسأله أتمام وعده المشار إليه في الآية الكريمة، بأن يؤيدنا
روح منه وينزل علينا السكينة، ونصلي ونسلم على محمد عبده ورسوله، رسول الرحمة، ومعلم
الحكمة، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بتأييد دعوته ونصرة حزبه.

وبعد فقد دخل المنار في العام السابع من حياته وهو سن التمييز في الحياة الشخصية ولعل
حياته تكون في هذا الطور خيراً منها فيما قبله إن شاء الله تعالى، فإذا كان في طفولته قد نجحنا
من الماكرين، وانصرف على المعارضين، وقابل ما صادفه من الوثبات، بكل صبر وثبات، فالرجاء بفضل الله
وعنايته أن يحمده في طور التمييز أحسن هداية ورشد. وأقوى تأصيلاً وأكثر مدداً، وما بلغ المسلمون من
الضيق والتخاذل إن لا تعيش لهم صحيفة ميمية. وإن حجتهم التي لا شدة من حجتهم إلى الصحف السياسية،
كيف وهم رول الامم التي هي دونهم في الاعتصام بالدين، وفوقهم في الاشتغال بالدينا. وقد سببتهم في
الشه الصحف الدينية: في مصر وبيروت كثير من هذه الصحف باللغة العربية. فبإياك يسائر اللغات وهي
لغات القوم الأصلية.

بل إن جميع الامم والشعوب قد سبقوا المسلمين في جميع الاعمال الاجتماعية التي ملاكمها التعاون لاني

الصحف الملية فقط والتعاون فرض في ديننا ما موره في كتابنا ولكن أين نحن من الكتاب وفرائضه . ذاليت الذين لا يعاونون العاميين من الامة لا يخدمونهم ولا يعارضونهم في أعمالهم ومشروعاتهم . كلا نحن أعداء أنفسنا . وانا نحن مرض أمنا . وانا نحن آفة نجاحنا . ولو غفل الذين يشكون من الاجاب لشكوا من قوههم ؛ ولو شعر الذين يشكون من أخوتهم لشكوا من أنفسهم ؛

أرأيت هذا المنار الذي انشي لخدمة الامة ؛ والدفاع عن الملة ؛ إنه يطالب الذين يتكرون فئته ؛ أو يدعون مضرته ؛ بأن يبينوا وجه الضرر لتيهه ؛ ووجه النفع لنتيجته ؛ وإنه لا يطالب الذين يقولون انه نافع ولا الذين يقولون انه أضع ما يكتب للمساكين في هذا العصر ؛ أن تبرعوا له بمال لتوسيع دائرته ؛ أو لزايادته ؛ وإنما يرضى منهم اداء حقه ؛ وحقه على جميع قرائه اداء قيمة الاشتراك التي هي قوام العمل وأداته التي لا يوجد الا بها ؛ وحقه على الخواص منهم الدعوة اليه والترغيب فيه عند ما تسنح لهم الفرص ويخاطبون من يتوسمون فيه الاستعداد

لست أعني بالخواص الاغنياء ولا كبار الموظفين ؛ فإن منهم من يملك الآلاف وعشرات الآلاف من الفدادين أو الدنانير . وهو يماطل في دفع قيمة الاشتراك عدة سنين ؛ وأما اعني بهم كل من له غفل يتكبره في مصلحة الامة ؛ وقلب يشعر بمعنى الشرف والفضيلة . أولئك هم خواص الامم الذين لم تتجج امة الا بكثرتهم فيها لا يكثر في الامة السلاء المنكرون بالا بالتعليم العالي ، وإنى لنا به ولم ترق هذه البلاد الى ان يكون فيها مدرسة كلية ، ولا يكثر في الامة أهل الشعور بالشرف حتى ترقى التربية النفسية فيها ؛ وإنى لنا بذلك ولم ترق معارف الناس الى ان يفصلوا بين التعليم وبين التربية ؛ فترى كبراءنا وأذكاءنا يخلصون بلب التربية نفرا من الناس تلقوا شيئا من التعليم المعري الناقص وأعلامهم تربية في عرفهم من دخل في مدارس أوروبا وإن كان أكثرهم حكما يعرف المارفون في اخلاقهم وأعمالهم لاسباب الذين تعلوا في فرنسا منهم

ان ارتقاء الفكر والشعور لا يدرف الا بأثره في المدل الامة . فإذا قلنا ان خواص الامة هم الاماؤون لهذا المخلصون في خدمتها ، الذين لا يشتركون مصالحهم ؛ بصاحبها ، بمحكم . رجلا نعد من هؤلاء فينا ؟ هل نعد منهم من يرى منتهى الشرف ان يشتري رتبة يتزيا بجلتها ، وأوسمة يتزين بجلتها ، ؟ هل نعد منهم سماسره الرتب والاوسمة الذين يأخذون عليها الاجور من أهل الدثور ثم يطروهم بالاماديج قائلين انهم ما وصلوا الى هذه الحلي والحلل الا باخلاصهم لبلاد واسيد البلاد وممثل الامة ؛ هل نعد منهم الذين يقولون ويكتبون ما يرام غيرهم حسنا وان رأوه قبيحا . ويدعون الى ما يشعر غيرهم بفائده اولذته وإن كانوا يشعرون بفائلته ومرارته ، ؟ هؤلاء هم الذين ورد في امثالهم « لهم نلوب لا يعقلون بها » وإنما يعقلون بقلوبهم ينتفعون منهم « ولهم آذان لا يسمعون بها » وإنما يسمعون باذان من باعواهم حواسهم وشاعرهم كما باعواهم نلوسهم وانكارهم « أولئك كالأعمى لا يعلم بل هم اعمى » لانهم خرجوا عن قانون فطرتهم بما اوتوه من الدهاء والانا لم يخرج عن الفطرة . ولأن في الانعام مبالغ للناس وهم ضارون للناس « أولئك هم العاقلون » مما يشغل بآمتهم ويرل سبهم انصائب نفوسهم لفسادهم لفسادهم . ومحوهم نوبدين الفضيلة والشرف الحقيقي بها ؛ وباحسرة على امة تعد هؤلاء من خواصها ومن مرشديها ،

الخواص هم اصحاب الاخلاق والذرائع وهم الذين ينهضون بالامم في كل عمل نافع فاللهم أكثر عددهم فشا . ووقتنا الامم جميعا الاحسان في العمل ؛ والتعاون على البر والتعاون ، ولا لاصراك في السر ولنجرى ؛ عسى ان تكون من المنلحين ؛

منشي المنار وعمره

محمد رشيد رضا

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ، قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَهوَ
كَانَ مِنَ الْمُسْرِكِينَ * قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ
النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ، لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ آمَنُوا
بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا ، وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقِ نَسِيكَ فَكُنِيكُمُ اللَّهُ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ *
بين في الآيات السابقة حقيقة ملة ابراهيم في سياق دعوة العرب الى
الاسلام ثم اشرك معهم اهل الكتاب لانهم اقرب الى الايمان بابراهيم
وأجدر باجلاله واتباعه ، وانتقل الكلام بهذه المناسبة الى بيان وحدة الدين
الالهى واتفاق النبيين في جوهره وبيان جهل اهل الكتاب بهذه الوحدة
وقصر نظرهم على ما يمتاز به كل دين من الفروع والجزئيات أو التقاليد التي
أضافوها على التوراة والانجيل فبعد بها كل فريق من الآخر أشد البعد
وصار الدين الواحد كفرا وإيمانا كل فريق من أهله يحتكر الايمان لنفسه
ويرمي الآخر بالكفر والإحاد حتى لو كان نبيا واحدا وكتبهم واحدا
فقوله تعالى (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا) بيان لعقيدة
الفريقين في التفرق في الدين والضمير في (وقالوا) لاهل الكتاب و «أو»
للازدية أو التنويع أي ان اليهود يدعون الى اليهودية التي هم عليها ويحصر
الهداية فيها والنصارى يدعون الى النصرانية التي هم عليها ويحصر
الهداية فيها

فيها. وهذا الأسلوب معهود في اللغة. وأوصدق واحد منهما لما كان إبراهيم مهتديا لآبائه لم يكن يهوديا ولا نصرانيا وكيف وهم متفقون على كونه إمام الهدى والمهتدين؛ لذلك قال تعالى تسلينا نبيه البرهان الأقوى في محاجتهم (قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) أي بل تتبع أو اتبعوا ملة إبراهيم الذي لا نزاع في هداه ولا في هديه فهي الملة الحنيفية القائمة على إجابة بلا انحراف ولا زيغ، العريقة في التوحيد والاختلاص بلا وثنية ولا شرك، والحنيف في اللغة المائل وإنما أطلق على إبراهيم لأن الناس في عصره كانوا على طريقة واحدة وهي الكفر فخلعهم كلهم وتنكب طريقتهم ولا يسمى المائل حنيفا إلا إذا كان الميل عن الجادة المعبودة ويطلق الحنيف في اللغة أيضا على المستقيم وبه فسر الكلمة بعضهم وأورد له شاهدا من اللغة وهو أقرب. ومن التأويلات البعيدة ما روي من تفسير الحنيف بالحاج ووجه القول به أنه مما حفظ من دين إبراهيم

الاستاذ الامام: وقال بعض المشتغلين بالعربية من الأفرنج أن الحنيفية هي ما كان عليه العرب من الشرك واحتجوا على ذلك بقول بعض النصاري في زمن الجاهلية «ان فعلت هذا أكون حنيفيا» وأنها لفظة جاءت من الجهل باللغة وقد ناظرت بعض الأفرنج في هذا فلم يجد ما يحتج به الا عبارة ذلك النصراني وهو الآن يجمع كل ما نقل عن العرب من هذه المادة لينظر كيف كانوا يستعملونها ولا دليل في كلمة النصراني العربي على أن الكلمة تدل لغة على الشرك وإنما مراده بكلمته البراءة من دين العرب مطلقا. ذلك أن بعض العرب كانوا يسمون أنفسهم الحنفاء وينسبون إلى إبراهيم ويزعمون أنهم على دينه وكان الناس يسمونهم الحنفاء أيضا والسبب

في التسمية والدعوى ان سلفهم كانوا على ملة ابراهيم حقيقة ثم طرات عليهم الوثنية أخذتهم عن عقيدتهم وأنستهم أحكام ملتهم وأعمالها - نسوا بعضها بالمرّة وخرجوا ببعض آخر عن أصله ووصفه كاللحج ، وتقي الشرك عن ابراهيم في آخر الآية احتباس من وهم الواهمين ، وتكذيب لدعوى المذعن ، :

أقول لا بدع ان ينسى الاميون ما كانوا عليه فان أهل الكتاب خرجوا بدينهم عن وضعه الاول فنسوا بعضا وحرفوا بعضا وزادوا فيه ونقصوا منه . فاليهود أضافوا التلمود الى ما عندهم من التوراة وسموا مجموع ذلك مع تفاسيره وآراء أجازهم فيه باليهودية . واما النصارى فقد ظهر دينهم بشكل او رآه الحواريون الذين أخذوا الدين عن المسيح مباشرة لما عرفوا أي دين هو . وهؤلاء المسلمون على حفظ كتابهم في الصدور والسطور يعملون باسم الدين أعمالا يظنها الجاهلون بدينهم أعظم أركان الدين ، وما هي من الدين وانما هي بدع المضلين ، فالأفرنج يكتبون في رحلاتهم ان رقص المولوية ، من أعظم العبادات لاسلامية ، وان ما يكون في جامع القنعة في ليالي المولد والمعراج ونصف شعبان من الرقص والغزف بالطبول والدفوف وغيرها من أهم الشرائع الاسلامية وسماها بعضهم (الصلاة الكبرى) ولولا ان القرآن محفوظ وسنة الرسول وسيرة السلف الصالح مدونتان في الكتب لنسينا الاصل واكتفينا بهذه البدع فان الالوف التي تحج الى ضريح السيد البدوي كل عام لا يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويحج البيت منهم الا النفر القليل . ولكن الله أراد بقاء هذا الدين وحفظه وسيرجه الى كتابه را جمعون ، ويهتدي به المهتدون واو كره المقلدون ، وعند ذلك

تنشع ظلمات هذه البدع التي هم فيها يتخبطون ،

وقد توهم بعض العلماء ان هذا الجواب « بل ملة ابراهيم » الخ جاء على طريقة الافناع وليس فيه حجة حقيقية ووجهه قولهم ان اهل الكتاب يعاندون الحق ويكبرون في معجزة النبي عليه السلام فأمر الله نبيه بان يلزمهم بالدلائل الافناعية التي لا يتدرون على مكابرتها والمراء فيها . والحق ان هذا الجواب حجة حقيقية وقد أشرنا الى وجهها الوجه اول الكلام في تفسير الآية . وقد تجرأ كثير من العلماء على مثل هذا الكلام في كثير من الآيات التي احتج بها القرآن حتى في اثبات الوحدانية . والسبب في ذلك افتتانهم بالطريقة النظرية التي أخذوها عن كتب اليونان ، ولقد اهتدى بحجج القرآن الالوف والوف الالوف وقلما اهتدى بالدلة النظرية المحضة أحد من الناس . وانما تفيد في دفع شبهاتهم التي يوردونها على العقائد ولا فائدة فيها سوى المراء والجدل ، وقد تلاشت في عصرنا تلك الشبهات ، ورغب الناس عن هذه النظريات ، وقام بناء العلم على أسس الوقائع والحوادث والمجربات ،

وقال الجلال ان الآية نزلت في يهود المدينة ونصارى نجران فهم القائلون ماذا كر . والتحقيق ان الآية في بيان طبيعة أهل الملتين كما تقدم ، وقول يهود المدينة ونصارى نجران ماذا كر - ان صح - لا يقتضي التخصيص فانهم ما قالوا الا هو لسان حال ملتهم . وغيرهم يقول . مثل قولهم ، أو يصدق القائلين باعتقاده وسيرته

أمر الله النبي بان يدعو الى اتباع ملة ابراهيم ثم أمر المؤمنين بمثل ذلك فقال « قولا آمنا بالله وما أنزل إلينا » الخ أي لا تكن دعوتكم الى شيء

خاص بكم يفصل بينكم وبين سائر أهل الأديان السماوية بل انظروا الى جهة الجمع والاتفاق ، وادعوا الى أصل الدين وروحه الذي لا خلاف فيه ولا نزاع ، وهو التسليم بنبوة جميع الأنبياء والمرسلين ، مع الاسلام رب العالمين ، لا نعبد الا الله ، ولا نفرق بين أحد من رسل الله ،

والاسباط أولاد يعقوب والفرق أو الشعوب الاثني عشر المتشعبة منهم . قال تعالى « وقطعناهم اثني عشرة اسباطا أمما » وقد ورد أن أولاد يعقوب كانوا أنبياء ولم يرد أنهم كانوا مرسلين فذو صح هذا كما يفهم من اصلاق الاستاذ الامام في الدرس فالمراد بالاسباط الاصلاق الاول والا كان في الكلام تقدير مضاف أي أنبياء الاسباط كأنه قال وسائر أنبياء بني اسرائيل

وههنا نكتة دقيقة لاختلاف التعبير عن الوحي الذي منحه الله الانبياء اذ عبر بأنزل تارة وبأوتي تارة أخرى وهو ان التعبير بأنزل ذكره هنا في جانب الانبياء الذين ليس لهم كتب تؤثر ولا صحف تنقل ، وذلك ان أنزال الوحي على نبي لا يستتزم اعطائه كتابا يؤثر عنه وهذا ظاهر اذا كان النبي غير مرسل فان الوحي اليه يكون خاصا به ويكون ارشاده للناس أن يعملوا بشرع رسول آخر ان كان بعث فيهم رسول والا كان قدوة في الخير ومعدا للنفوس لبعثة نبي مرسل . وأما النبي المرسل فقد يؤمر بالتبليغ الشفاهي ولا يملأ كتابا باقيا وقد يكتب ما يوحى اليه في عصره فيضيع من بعده ، فهو لاء الرسل الكرام الذين عبر عنهم بقوله (وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط) لا يؤثر عن أحد منهم كتاب بسند صحيح ولا غير صحيح وانما نؤمن بانهم كانوا أنبياء وانما نزل

عليهم هو دين الله الحق وانه موافق في جوهره وأصوله لما أنزل على من بعدهم . وما ذكر الله من ملة ابراهيم بالنص هو روح ذلك الوحي كله . وقد جاء في سورة النجم وسورة الاعلى ذكر صحف لابراهيم وقال لجلال هنا انها عشر . فنؤمن بانه كان له صحف ولا نزيد على ماورد شيئا . وأما اسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط فلم يثبت أن لهم صحفا ولا كتباً . فنؤمن بما أنزل اليهم بالاجمال ونعتقد انه عين ملة ابراهيم . وجاء التعبير عن وحي الذين كان لهم كتب تؤثر بقوله (وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم) فهو يشير بلايتاء الى ان ما أوحى اليهم له وجود يمكن الرجوع اليه والنظر فيه فان أقوامهم يأثرون عنهم كتبنا وقال بعد ما ذكر الفريقين (لا نفرق بين أحد من رسله) أي سواء منهم من له كتاب يؤثر ومن ليس له ذلك . تؤمن بالجميع اجمالا وتأخذ التفصيل عن خاتمهم الذي بين لنا أصل ملتهم التي كانوا علمها وزدنا من الحكم والاحكام ، ما يناسب هذا الزمان وما بعده من الزمان ، والعمدة في الدين على إسلام القلب لله تعالى (ونحن له مسلمون)

(فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) قال صاحب الكشف ان الآية تعريض بأهل الكتاب وتمكت لهم ، وقال الجلال ان لفظ مثل زائد واستنكر الاستاذ الامام ذلك واستكبره كمدته فانه يخطئ كل من يقول ان في القرآن كلمة زائدة أو حرفاً زائداً . وقال ان لمثل هنا معنى لطيفا ونكتة دقيقة وذلك ان أهل الكتاب يؤمنون بالله وبما أنزل على الانبياء ولكن طرأت على ايمانهم بالله نزغات الوثنية وأضاعوا لباب ما أنزل على الانبياء وهو الاخلاص والتوحيد وتركبة النفس والتأليف

بين الناس وتمسكوا بالقشور وهي رسوم العبادات الظاهرة ونقصوا منها وزادوا عليها ما يبعد كلا منهم عن الآخر ويزيد في عداوته وبغضائه لفقستوا عن مقصد الدين من حيث يدعون العمل بالدين . فلما بين الله لنا حقيقة دين الانبياء وأنه واحد لا خلاف فيه ولا تفريق وأن هؤلاء الذين يدعون اتباع الانبياء قد ضلوا عنه فوقعوا في الخلاف والشقاق أمرنا سبحانه وتعالى ان ندعوهم الى الايمان الصحيح بالله وبما أنزل على النبيين والمرسلين بأن يؤمنوا بمثل ما تؤمن نحن به لا بما هم عليه من ادعاء حلول الله في بعض البشر وكون رسولهم الها أو ابن الاله ومن التفرق والشقاق لاجل الخلاف في بعض الرسوم والتقاليد . فالذي يؤمنون به في الله مثلا ليس مثل الذي يؤمن به منه ففحن نؤمن بالتنزيه ، وهم يؤمنون بالتشبيه ، وعلى ذلك لقياس . فلو قال : فان آمنوا بالله وبما أنزل على أولئك النبيين وما أوتوه فقد اهتمدوا : لكان لهم ان يجادلونا بقولهم اننا نحن المؤمنون بذلك دونكم ولفظ مثل هو الذي يقطع عرق الجدول

على ان المساواة في الايمان بالدين بين شخصين بحيث يكون ايمان احدهما كايان الآخر في كيفيته وقوته وانطباقه على المؤمن به وما يكون في نفس كل منهما من متعلق الايمان يكاد يكون محالا فكيف يتساوي ايمان أمم وشعوب كثيرة مع الخلاف العظيم في طرق التعليم والتربية والتهم والادراك . ولو كانت القراءة : فان آمنوا بما آمنتم به : كما روي عن ابن عباس في الشواذ لكان الاولى ان يقدر المثل فكيف نقول وقد ورد لفظ مثل متواترا انه زائد ؟

(وان تولوا) عما تدعوهم اليه من الرجوع الى أصل دين الانبياء

ولبابه بايمان كايما نكم (فانما هم في شقاق) أي ان أمرهم محصور في المعاندة والمشاقة أي الايذاء والايقاع في المشقة بتجري الخلاف والتعصب لما يفصلهم ويبينهم من غيرهم دون ما يقربهم منهم ويصلهم بهم (فسيكفيكمهم الله وهو السميع العليم) أي يكفيك ايذاءهم ومكرهم السيء ويؤيد دعوتك ، وينصر أمتك ، فهذا الوعد بالكفاية عام للمؤمنين وان كان الخطاب خاصا فان أهل الكتاب وغيرهم ماشاؤا النبي لذته وما كان لهم حظ في مقاومة شخصه ، فلا يذاء كان متوجها اليه من حيث هو نبي يدعو الى دين غير ما كانوا عليه . وقد انجز الله وعده للنبي والمؤمنين عند ما كانوا على ذلك الايمان وكان الناس يقاومونهم لاجله فلما انحرفوا عنه خرجوا عن الوعد ولو عادوا لعاد الله عليهم بالكفاية والنصر «ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز»

(صبغة الله) أي ان الايمان على الوجه السابق هو ماصبغ الله به أنبياء ورسله والمؤمنين من عباده على سنة الفطرة فلا دخل فيه للتقاليد الوضعية ولا لآراء الرؤساء وأهواء الزعماء وانما هو من الله تعالى بلا واسطة متوسط ولا صنع صانع (ومن أحسن من الله صبغة) أي لا أحسن من صبغته فهي جماع الخير الذي يؤلف بين الشعوب والقبائل ويزكي النفوس ويطهر العقول والقلوب ، وأما ما أضافه أهل الكتاب الى الدين من آراء أخبارهم ورهبانهم فهو من الصنعة الانسانية ، والصبغة البشرية ، قد جعل الدين الواحد مذاهب متفرقة مفرقة ، والامة لواحدة شيعة متنافرة متمزقة ، (ونحن له) وحده (عابدون) فلا نتخذ أخبارنا وعلماؤنا أربابا يزيدون في ديننا وينقصون ، ويحلون لنا بآرائهم ويحرمون ،

ويعجزون من نفوسنا صبغة الله الموجهة للتوحيد، ويثبتون مكانها صبغ
البشر القاضية بالخلاف والتفريق،

قال الاستاذ الامام : والآية تشير الى انه لا حاجة في الاسلام الى
تمييز المسلم من غيره بأعمال صناعية كالعمودية عند النصارى مثلاً وانما
المدار فيه على ما صيغ الله به الفطرة السليمة من الاخلاص وحب الخير
والاعتدال والقصد في الامور « فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق
الله، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »

﴿ باب الفقه في احكام الدين ﴾

﴿ كلمة ثانية في أهل الذمة ﴾

هذه المقالة منقولة عن الجزء الثالث من تاريخ (أشهر مشاهير الاسلام) لرفيق بك العظم
وهو تحت الطبع . وله كلمة أخرى في حسن معاملة الاسلام لأهل الذمة في الجزء الثاني
من الكتاب . وقد أورد هذه الكلمة بمناسبة كتاب من عمر بن الخطاب الى عمرو بن
العاص يوصيه فيه بأهل العهد والذمة ويذكره بوصية النبي بهم عامة وبالقبض خاصة ومن
ذلك حديث « من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامة »

هذا الكتاب يمثل لنا سيرة عمر بن الخطاب مع أهل الذمة ويبين
شدته على العمال في منعهم عن إيذاء أهل الكتاب اقتداءً برسول الله
صلى الله عليه وسلم وعملاً بأمره ومن تكون هذه سيرته مع أهل الذمة
أفيعقل ان يريد بهم اذى بقول أو فعل ؟ كلا ان العقل والبديهة يرفضان
نسبة أي قول أو فعل اليه يشتم منه ولو رائحة الجفاء فضلاً عن امتنان
الذمي أو ظلمه .

واذا علم هذا فالذي يدعو الى العجب هو غفلة نقلة الاخبار وروايتها عن

مقاصد عمر (رض) التي هي مقاصد الشرع الاسلامي الذي جاء للتأليف بين القلوب وعدم استحيائهم من جمع المتناقضات من الاخبار ونظام الموضوعات منها بلا تمحيص لصحتها من كاذبها وبدون ترو في النافع والضار منها

كتبنا في الجزء الثاني فصلا عن أهل الذمة نقلنا فيه رواية لابن الجوزي في ان عمر تقدم الى أحد عماله بجثم رقاب أهل الذمة بالرصاص (١) وأبناؤه وجه الضعف في هذا الخبر وعجبنا من مثل ابن الجوزي كيف ينقل مثل ذلك الخبر مع انه ليس في الدرجة التي تؤم النفس اذ لو صح حمل على قصد سياسي أو اداري على تعبير المتأخرين يراد به ضبط احصاء أهل الجزية من الذميين لامتثالهم اقتداء بالدول الفاتحة قبل الاسلام كالرومان والفرس الذين ثبت انهم كانوا يضربون على الرعية الجزية وربما كانت هذه العادة متبعة عندهم في احصاء أهل الجزية وقد زاد عجبنا اضعافا الآن اذ رأينا هذا الخبر في الخطط نقله صاحبها المقرئ عن ابن عبد الحكم بزيادة أحربها ان تكون محض افتراء على عمر بن الخطاب رضي الله عنه واذ قلنا بوهن الرواية الاولى في جانب العقل وهي لأحد حفاظ الحديث فما أحرانا بتكذيب الرواية الثانية . واليكها بنصها مع الزيادة التي أوردتها المقرئ قال :

كان عمرو بن العاص يبعث الى عمر بالجزية بعد حبس ما كان يحتاج اليه وكانت فريضة مصر لخبر خلجها واقامة جسورها وبناء قناطرها وقطع

(١) المراد بجثم رقاب أهل الذمة بالرصاص هو حمل طوق فيه علامة من الرصاص كما

جزائرها مائة ألف وعشرين ألفاً (أي من العمال) معهم الطور والمساحي
والأداة يمتقبون ذلك لا يدعون ذلك ضيفاً ولا شتاء. ثم كتب إليه عمر
أن تحتم في رقاب أهل الذمة بالرصاص ويظهروا مناطقهم ويحجزوا نواصيرهم
ويركبوا على الأكف (جمع أكاف وهو البردعة) عرضاً ولا يضربوا
الجزية لأعلى من جرت عليه المواسي ولا يضربوا على النساء ولا على الولدان
ولا يشبهوا بالمسلمين

فانظر أيها العاقل إلى هذا الكتاب وقابله بكتاب عمر الذي يوصي
فيه عمرو بن العاص بأهل الذمة هل تجد بينهما تشاماً بالوجهة؟ أم بينهما
من البون البعيد ما بين الحق والباطل. وقد أوضحنا في الجزء الثاني ضعف
أمثال هذه الأخبار بما فيه الكفاية وإنما عدنا إليها الآن لأمراضنا بعد
البحث والروية: وهو أن واضعي هذه الأخبار إنما الجأهم لوضعها أمران
الأمر الأول أن الشيوخ الإدارية وأهمها دواوين الخراج كانت
تناط في أكثر الاوقات بأهل الذمة بل استمرت تكتب باقتهم أيضاً
إلى عهد عبد الملك بن مروان فكانوا يستطيعون أحياناً على رجال الدولة
وأهل المسكنة وربما تخرج منهم أحياناً بعض الفقهاء فوضعوا لهم أمثال
تلك الأخبار تنقيصاً لهم وحطاً من مكانتهم عند الخلفاء والملوك وإبعاداً
لهم عن مناصب الدولة وإنما الجأهم إلى نسبة هذه الأخبار إلى عمر كونه كان
رضي الله عنه قدوة فيما لم يرد بخصوصه شيء في الشرع وهذا بلا ريب
يعد من أوائك الوضاعين تناهيا في ضعف الرأي لاسيما إذا علموا بأحوال
أهل التقى والعدل من الخلفاء ومعاملتهم الجميلة لأهل الذمة كعمر ابن
عبد العزيز ومن حذا في ذلك حذوه من الخلفاء وبالأخص الخلفاء من

بني العباس الذين كان أكثرهم متفقها في الدين وافقا على اخبار السلف
كالمنصور والمهدي والرشيد والمأمون وامثالهم ممن أتى بعدهم فكانوا
يوسدون كثيراً من شؤون الدولة الى أهل الذمة ويقربونهم منهم لاسيما
الاطباء والكتاب بلا أدنى تخرج في الدين وأي حرج في الدين يمنع من
محاسنة الذميين وعدم ايذائهم بمثل ذلك الامتهان المشين من كلام لوضايع
ومن وقف على اخبار ماسويه وحنين بن اسحق واضرابهما مع المأمون
والتوكل يعلم هذا . وكذلك كان حالهم مع خلفاء الفاطميين في مصر
فكان القبط أرباب الكلمة العليا عند الخلفاء وكانوا كما نقل المقرئ
يتولون دواوين الخراج ويركبون البغال الفارهة ويتصرفون باموال
الدولة بل بلغ بالخلفاء ان كانوا يعطون القاب التشريف الخاصة بالعلماء
والملوك وهي الالقاب المضافة الى الدين للاطباء والكتبة من النصارى
واليهود وما نذكره من هؤلاء (الشيخ موفق الدين ابن البورى
الكاظم النصراني) والحكيم (موفق الدين بن المطران) وغيرهما ممن
لم تحضرني أسماؤهم الآن :

هذا هو السبب الاول واما السبب الثاني لوضع تلك الاخبار فمنشأوه
نزوع بعض الامراء الى اجهاد الرعية من مسلمين وذميين بالضرائب ونكت
عهد هؤلاء القديمة ولما لم يرو في الشريعة مخرجاً لهم يتوصلون به الى
الاستبداد بالرعية وتحميل الذمي فوق ما حدده الشرع من الخراج والجزية
كأحملوا المسلم لاسيما والاخبار النبوية آمرة بالوفاء معهم بالمعهد والحفاظة على
مالهم من حقوق الذمة والجوار وانهم أهل ذمة الله وذمة رسوله -
مهدوا لاغراضهم السبيل بالايماز الى بعض مقرئهم بوضع مثل ذلك الخبر

مقدمة لاستباحة أمتهم ثم إجهادهم بالضرائب يدل ذلك عليه ما حدث في عهد الروانيين من الاجترار على استزادة الخراج والجزية في مصر وغيرها من غير حقها كما استراه مبسوطاً في محله ان شاء الله

على ان سيرة الصحابة ورجال الفتح في الصدر الاول مع أهل الذمة وحدها كافية لدحض أمثال تلك الأقوال الواهية حتي أنهم افتتحوها بحسن السيرة وجميل المجاورة والمعاملة ما لا يقوى عليه الحسام ، ويخرج عن طوق عددهم القليل بالنسبة لبقية الاقوام^(١) وحسبك من أدبهم مع أهل الذمة من الكتائين ان ما روى عنهم من اخبار الحروب مع الروم لم يستعملوا فيه لفظ الكافرين والمشركين البتة مع أنهم كانوا يعبرون عن مجوس الفرس ووثني العرب قبل الاسلام بالمشركين ويقولون عن أولئك: الروم: والقبط: مثلاً كأنهم زام الروم . وقاتل القبط ونحوه . يؤيد هذا كتب

(١) قد كان المسلمون كلهم كعمر من حيث العمل بمراعاة أهل الذمة ولزوم تجنب أذيائهم بالقول أو الفعل خصوصاً عماله بذلك عاينه ما ذكره في سراج الملوك في حكاية طويلة لا محل لذكرها هنا و خلاصتها ان عمير بن سعد عامل عمر على حمص وفد عليه مرة فسأله عن أشياء ثم قال له عد الى عمالك فقال عمير أنشدك الله ان لا تردني الى عملي فاني لم أسلم منه حتى قلت لذمي : أخزأك الله : ولقد خشيت ان يخصمني له محمد صلى الله عليه وسلم ولقد سمعته يقول (انا حبيج المظلوم فمن حاججته حججته) ولكن ائذن لي الى أهلي : فاذن له فأتى أهله الخ الحكاية

فاذا كان مثل عمير بن سعد يستعفي من عمله لكلمة قالها لذمي وخاف ان يخصمه رسول الله عليه لانه قال « من ظلم ذمياً فانا خصمه يوم القيمة » فهل يسوغ العقل ان يؤذي عمر وعماله الذميين بمثل جزالتواصي والركوب على الأكف ونحو ذلك من أنواع الايذاء الذي لاشي بالنسبة اليه قول عمير لذمي : أخزأك الله :

قالهم انا نبرأ اليك مما كتبته الوضاعون وأخذ به الفقهاء على غير روية ولا تحكيم للعقل

التاريخ التي نقلت إلينا أخبار افتتح بالرواية كالطبري وأشباهه، ولو فرض وجود شيء من تلك الالفاظ فيها فإنه نزر يسير وهو من حشو النسخ وأما كتب المتأخرين أو المقلدين فإن أصحابها لم يراعوا فيها مراعاة السلف من الأدب وحسن الأداء لما وقر في نفوسهم من التمصّب الذي حدث في القرون الوسطى ولم يكن له أثر في النفوس في صدر الإسلام لعلم أهل ذلك ان صدر ان الإسلام جاء للتأيف والوثام، لا للتفريق بين الأقوام، وان اختلاف الأديان لا يوجب الفرقة والخصام، لقوله تعالى « لكم دينكم ولي دين » ولان القرآن نطق بان أهل الكتاب أقرب مودة للمؤمنين وذلك في قوله تعالى « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى . ذلك بانّ منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون » ولهذا سرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بانتصارهم على مجوس الفرس كما ذكرنا ذلك في الجزء الثاني في حكاية هرقل مع الفرس وهي القصة التي جاءت في قوله تعالى « ألم غلبت الروم » الآية فلتراجع في محلها

هذا ما أردنا بسطه ليكون فيه ذكرى للذاكرين وانما أطلنا الكلام في هذا الباب اظهارا لبراءة عمر (رض) مما عزي اليه وتنبئها لاولى النهى من المسلمين الى ان دينهم يأمر بمحاسبة الذميين وينهى عن مخاشنة الكتائبين وان مرض التمصّب الذميم انما طرأت اعراضه على الامة تدريجا سيما على عقب الحروب الصليبية وان من آثار ذلك التعصب القبيح ما يلاقيه المسلمون لهذا العهد من ضروب الاهانة والعسف من الدول المسيحية التي حكمت بعض الممالك الاسلامية ولم تراعى في حكم المسلمين حقوق الانسانية ولا الدين بحجة الانتقام للمسيحية، والمسيحية والاسلام يبرآن الى الله من ظلم

البشر بعضهم لبعض ولكن ما الخيلة والانسان مهما ترقى مداركه وسمى عقله فانه لا يزال يتقاصر دون الوصول الى مرتبة العلم الكامل الذي يجعل البشر كلهم بالاضافة الى وجوب التعاون والاجتماع سواء، وان اختلفوا في المذاهب والاهواء، اذ كل امرئ مسؤول عن اعتقاده عند الله. وانه سبحانه يبين آياته للناس فمن اهتدى فلنفسه ومن ضلّ فعليها. ولكن: انها لا تعنى الابصار ولكن تعنى القلوب التي في الصدور: اه

❦ باب شبهات النصارى وحجج الاسلام ❦

❦ سوريا والاسلام ❦

سوريا في حاجة شديدة الى اتفاق عناصرها لاسيما المسلمون والنصارى فاذا لم يتفقوا فلا عمران في سوريا ولا حياة، المسلم في سوريا محتاج الى مسالمة النصارى وربما كان هذا أحوج منه الى هذه المسالمة، النصارى في سوريا أجدر من المسلمين بالسعي في الوفاق والمسالمة لانهم سبقوهم الى العلم فكان يجب ان يسبقوهم باحساس حاجة بعضهم الى بعض، ولأن الحاجة اذا لم تكن متساوية في الفريقين فالأضعف يكون هو الأحوج كما أشرنا اليه آنفاً. وهذا ما آتته من أكثر فضلاء النصارى الذين ذكروهم في المسائل الاجتماعية

نرى عقلاء المسلمين وطلاب الإصلاح فيهم يكتبون في صحفهم ومؤلفاتهم ما ينعى المسلمين بأن دينهم يرشدهم الى محاسبة أهل الكتاب ومسالمتهم ويفرض عليهم مساواتهم في الحقوق ويحرم عليهم اذيائهم ويخص النصارى بأنهم أقرب مودة الى المسلمين من غيرهم. وبأن مصالحة البلاد تقضي مع ذلك باتفاقهم في الاعمال الدنيوية وتعاونهم في التكسب. الى غير ذلك من الارشاد. وبيننا نحن نطبع تاريخ رقيق بك العظم وفيه ما رأيت (في النبعة السابقة) من الكلام الحسن في أهل الذمة اذا نحن بجريدة (المنائر) ترد علينا بمقالات غريبة عن موضوعها عنوانها (سوريا والاسلام) ينفث فيها صاحبها من سموم التعصب الاعمى والتعديح في الاسلام والمسلمين ما يحول دون

التأليف والتوفيق ويدفع في صدور طالبي الإصلاح فيردهم على أعقابهم
قلنا ان هذه المقالات غريبة عن موضوع المناظر فان هذه الجريدة قد سبقت
جميع الجرائد العربية في العناية بالدعوة الى الوطنية الصحيحة النافعة وترك التعصب
الذميم الذي ياتي اشقاق بين أهل البلاد حتى يحل بها الدمار ، وتكون طعنة للاغيار ،
وقد عجبتنا من قبوله لهذه المقالات التي تخالف خطته الحسنة
ماراعي الكاتب المصلحة ولا صدق التاريخ ، ولكنه اقتبس جذوة من جذى
دعاة الحروب الصليبية فألقاها في الامة التي صوّح التعصب نجمها وشجرها قصير هشيا
وناهيك بما تفعل النار بالهشيم

❦ (١) كلمة جديدة ❦

جاء الكاتب بملخص من سيرة الاسلام وسريته في (كلمة جديدة) له لا يعرفها الاسلام
ولا المسلمون . لا يعرفها القرآن ولا السنة الصحيحة ، لا يعرفها التاريخ ولا الفقه الاسلامي ،
ولكن يوشك ان يكون عرفها أو ادعاها أو مثلها بطرس الراهب أو اعضاء محكمة التفتيش
أوقسوس أسبانيا في القرن السادس عشر . وقد انصف الكاتب اذ اعترف بان كلمته في
الاسلام جديدة ! نعم انها جديدة لم يقل بها قبله أحد فيما نعرف ولو اردنا ان نبرئ
الاسلام مما رماه به الكاتب وهو برئ منه ونبرئ التاريخ مما أسنده اليه بغير
رضاء ولا معرفته لما بقي من تلك المقالات الطويلة الا رأي الكاتب . فاختص تلك
المقالات ان الكاتب يرى أو يجب ان يرى قومه أن الاسلام في طبيعته والمسلمين
خاصتهم وعامتهم منابع للتعصب كذلك كانوا في ماضيهم ، وكذلك هم في حاضرمهم ،
وكذلك يكونون في مستقبلهم ، فلا يطعمن المسيحيون في وفاقهم والاتحاد معهم على
ترقية سوريا أو غيرها ، ولكن ماذا يفعلون بالمسلمين ؟ للكاتب ان يرى ولنغيره ان
يقبل أو يرفض ونحن لايهمنا الا ان نبين الحق وندعو الى الخير والوفاق ما استطعنا .
ولا نسمح بكثير من صحائف المنار للرد عليه بل نكتفي بالإشارة فنقول :

❦ (٢) لماذا ظهر الدين الاسلامي ❦

مهد لجواب هذا السؤال تمهيدا من التاريخ خالف فيه مؤرخي الامم كلها .
صور بتمهيد الامم التي أظلمها الاسلام بمجناحه في أول ظهوره بصور بهيمة سنيعة انتهت

إليها الحضارة والمدنية في سوريا ومصر ولكن جميع المؤرخين يصورونها بصورة شذيفة فيجة، لاسنية ولا مليحة؛ ويقول المتعصبون منهم على الاسلام انه لولا ذلك الفساد في الاخلاق والعقائد والاعمال ، ولولا ذلك الاستبداد في الاحكام والاستعباد للاقوام ، ولولا تلاشي العلم والمدنية في مصر وفارس والشام ، لما نجحت في هذه الممالك دعوة الاسلام ، ولما تيسر لتلك الامة الامية ، ان تسود في بضع سنين على جميع أُمم القوة والمدنية ،

ونحن نقول لهؤلاء نعم ان الاسلام لم ينتصر الا لانه الحق قذف به على الباطيل ، ونور الهدى المشرق في ظلمات الاضاليل ،

ونقول لكاتبنا ومؤرخنا الجديد : اذا كان المسلمون على بداوتهم وبعدهم عن العلوم والمعارف والحق والعدالة (بزعمك) قد انتصروا « على التمدن الفينيقي ينشيء المستعمرات على الشطوط الافريقية ، والتمدن المصري يفقر فاه لينتلع سورية . » واصطادوا « النسر الروماني يظلل بجناحيه القارة الاوربية ، والقسم الاعظم من الاسيوية ، » فلا شك ان انتصارهم هذا اعجوبة سماوية ، قد حدثت بمحض العناية الالهية ، ويقول الكاتب ان انتشار النصرانية في بلاد العرب كان السبب الوحيد لتغير حالة البدو وطلبهم المحافظة على حريتهم واستقلالهم فالاسلام لم يظهر إلا بسبب المبادي النصرانية . ونقول له ان حوادث الزمان التي أعدت العرب لظهور دين المدنية والعلم فيها على أُميتها كثيرة فاذا كان منها خوفهم من النصارى المعتدين على استقلالهم كما قال فلا يصح ان تجمل النصرانية هي السبب الوحيد لظهور الاسلام ولا يقول ذلك الا الغالي في التعصب والتحمس الديني ، وان للحرية نشوة كمنشوة الحمى ، وطغيانا كطغيان الغنى ، وانها لاعظم ثروة وأكبر لذة فلا تمتنع بها أن يقول ويكتب ما يلذهه ويطيب

— (٣) النبي العربي —

ذكر الكاتب ههنا ملخصا لتاريخ النبي عليه الصلاة والسلام فقال انه « ولد بين سنة ٥٧٠ و ٥٧٨ للمسيح » والصواب انه ولد في نيسان (ابريل) سنة ٥٧١ ، وقال ان أباه مات بعد ولادته بشهر والصواب انه مات قبل ولادته ، وقال ان عمه أبا طالب سافر به وهو ابن اثني عشرة سنة والصواب انه كان ابن تسع سنين . وقال انه بعد

ذلك كان يسافر الى الشام من وقت الى آخر والصواب انه مسافر بعد ذلك الا
مرة واحدة مع ميسرة غلام خديجة ، وقال انه تزوج خديجة (سنة ٥٩٥) حين بلغ
العشرين ، والصواب انه تزوج بها وله خمس وعشرون سنة وشهران وأياما قيل عشرة
وقيل خمسة عشر . وكل هذه الاغلاط في سطور لا تكون صفحة واحدة من المنار .
ومن الاختصار الذي أشرنا اليه ان لا نستقصي أمثال هذه الاغلاط التاريخية وإنما
نعني بالآراء والتأنيج الجوهرية ومنها في هذه التبعة اشارة الكاتب الى ان ماجاء في
القرآن من الكلام في المسيح واثبات ان مريم ولدت بشراً لا الها قد أخذ من النبي
من المناطرة اذ عرج به عمه على ديرهم في سفره به الى الشام ، وقد علم القارى أنه
كان يومئذ في التاسعة من عمره فلا عجب عند كاتبنا ان يحفظ ابن تسع بعض كلام الرهبان
ويسره في نفسه زيادة عن ثلاثين سنة لا ينطق به في صباه ولا في شبابه ثم يبني عليه ديناً
عظيماً !!! ان هذا الاستدلال يشبه مقاله بعض الظرفاء ، من كتاب المحاكم في قصيدة
نظمها شاعر بليغ : انه سرق قصيدته مني لانه جاء فيها :

سليل بني الزهرا والله نسخة لقد قبلت بالاصل في اللفظ والفحوى

(قال) فأتانا لكتب على ما نبينه من الصحف انه قول بالاصل !!! : أو يشبه قول
بعض ملاحدة أوروبا ان مواعظ الانجيل الحسنة مأخوذة من حكم كوفنشيوس الصيني
وبعض فلاسفة اليونان واورد أمثلة في ذلك منها الامر بان يعامل المرء الناس بما
يجب ان يعاملوه به فانها مأثورة عن كوفنشيوس

ومن الخطأ العظيم قول الكتاب ان الاسلام ثبت في البداية بالسيف وان
الذي أجبر اليهود والنصارى على الاسلام . كيف والله تعالى يقول فيه : وما أنت عليهم
بجبار ، ويقول « لا اكراه في الدين » وأما الحرب فقد كانت بعد قوة الاسلام وانتشاره بالدعوة
لمدافعة المعتدين على أهله والمهتدين لدعوته وسنين هذا بمقال مسهب في فرصة أخرى

❦ (٤) أمؤسس شريعة أم مؤسس مملكة ❦

قال الكاتب في جملة الرابعة التي رأيت عنوائها : « لقد صور لنا التاريخ محمداً
نياً ومؤسس شريعة اما العقل فيصوره سلطاناً ومؤسس مملكة ، لانه لا يرى فيه غير
صورة مؤسس الدول والممالك وليس صورة بوذ وكوفنشيوس والمسيح . التاريخ ي

وضع الاسلامية لاجل هداية قبائل العرب ورددهم عن الوثنية ، أما العقل فيرى انه أبغها على ما كانت عليه في زمن الجاهلية ، « نموذ بالله من مكابرة الحس

ثم استدل على ان الاسلامية ليست بملة جديدة ولا شريعة وبأن العقل (أي عقله وحده) يحكم بان التاريخ كاذب وبأن محمدا أخذ التوحيد عن النساطرة وأضاف اليه كثيرا من التقاليد والعوائد النصرانية واليهودية ! وقال انه اذا تجرد عن كل غاية (أي الاغاية التعصب الذي يعمي ويصم) فانه يحكم بأن تصوير العقل (أي عقله) هو الحقيقي دون تصوير التاريخ . ولخص الاسلام كله بالتوحيد وقال انه عن النساطرة وكذلك انكار الوهية المسيح وتعيين أوقات الصلوات الخمس !! وبالحج والاعسل قبل الصلاة وقال انهما عن اليهود وتعدد الزوجات وقال انه عن العرب !! أي فلم يبق في الاسلام شي من الاسلام !! يا أرض اشبهدي ويا سماء شاهدي هذا الكاتب البري من كل غاية الذي يعيب التعصب على المسلمين فيسمى الضياء ظلاما والنهار ليلا لان الشمس طلعت عليهم ففهمهم ضياؤها

ثم قال: ولو ان غاية محمدية فقط - لو انها سامية كغايات جميع مؤسسي الاديان اوضع التعاليم التي قام بيثها ويشمرها بالسيف على أسس الاخاء والحب والحرية والمساواة ولما كان عول قبل وفاته على الزحف الى سوريا: ثم زعم أن الغاية سياسية وهي حب الرئاسة والسلطة وتفرق في ذلك بما ملأه عليه احساس التساهل والبراءة من كل غاية !!

أظن ان الذين يكتبون النيات بما جوب استقصاء شبهات النصارى المصوبة الى الاسلام من كل صوب لا يسمعون لي بأن أين خطأ كل كلمة من هذا الكلام لانه ليس من قبيل الشبهات وإنما هو على حد: الشمس مظلمة والسماء تحتنا والارض فوقنا: لكنني أستأذنهم بأن أسأل الكاتب النصف: لما اذا لم يذكر في مؤسسي الشرائع موسى مع ان شريعته هي شريعة المسيح الذي يعبد وفيها قال المسيح كما تروي أنا جيله « ما جئت لانقض التاموس، وهذا التاموس هو بعينه الذي يأمر بافناء جميع الذكور من المحاربين واغتنام النساء والاولاد من أهل المدن البعيدة ويأمر بافناء الشعوب القريبة كبارا وصغارا رجالا ونساء كما في سفر تثنية الاشتراع من توراتهم (٢٠ : ١٠ - ١٦) فهل ينكر التوراة وموسى لاجل الطعن بمحمد ؟ واذا هو فعل هذا فمن أين يأتي بشبهة على الوهية المسيح أو على نبوته والعقل الذي يحكمه لا يتصور ان يكون بشر لها خلقا

لمن كانوا قبل ولادته ولمن يكونون بعد موته !!! فحجته انما تقوم على صحة دين بوذه فقط ان مسألة الطعن في الاسلام لمشروعية الجهاد فيه مسألة سياسية . وقد بينا في المنار غير مرة ان الجهاد في الاسلام ماضع الا للدفاع عن الحق وأهله وتأمين الدعوة وحرية الاعتقاد . وقد نشرت جريدة المناظر الفراء في ذلك ما كتبه امامنا الحكيم في مقالات (الاسلام والتصرانية) ولكن شره الكاتب على الطعن في الاسلام ينسبه ما يقرأ أو يسمعه على رفضه والاكتفاء بما يصوره له تعصبه فقط . ولولا السياسة لما أكثروا من ذم الاسلام بالجهاد وكتابتهم التوراتية يحكم بما تقدم آثافا وتؤيد ذلك أناحيهم بروايتها عن المسيح انه قال « لا تضنوا اني جئت لألقي سلاما على الارض ما جئت لألقي سلاما بل سيفا » (متى ١٠ - ٣٤) وقال « أما أعدائي الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأنتوا بهم الى هنا واذبحوهم قدامي » (لوقا ١٩ - ٢٧) وهو صريح في ان المسيح طالب ملك وانه يبيع دم من لا يقبلون ملكه عليهم . ثم ان تاريخهم ملصخ بالدماء لاجل الاكرام على الدين . وآية الجهاد في القرآن هي « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا » الخ ولعلنا نفي بوعدنا بتفصيل القول في تخطيطه قول الذين يدعون ان الاسلام قام بالسيف وان الجهاد فيه مطلوب لذاته

ثم اتقل من الاستدلال بالوهم والتخيل الى الاستدلال بشيء له أصل في التاريخ ولكنه لا يدل على ما استدلل به عليه . استدلل على كون غاية محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) سياسية بتنازع الصحابة على الخلافة ويصح لنا ان نتج هذا على نقض زعمه وهو انه لو كان الغرض من الاسلام تأسيس الملك لوضع المؤسس قاعدة للحكومة وجعل الملك في أسباطه وأبنائهم ولكنه فوض ذلك الى الامة بعد بيان الاصول التي لا يضل متبعها ما تبعها كقاعدة (الشورى) ومنع الخروج على الامير ، ولو أوصى بالملك لذريته لما نازعهم أحد . وأمر الملك دنيوي مبني على القوة والعصية . ولما اتسعت فتوحات الاسلام ودخل الناس في الدين أفواجا أمكن مثل معاوية ان يتخذ لنفسه عصية في الشام ورأى انه أهل لهذه السلطة قصدى لها وكان من الواجب على أمير المؤمنين ان يقاومه ويحاربه عند عدم الخضوع لثلا تفرق الكلمة ، فهل يقول عاقل بان طمع معاوية في السلطة والملك يكون دليلا على ان محمداً (عليه الصلاة والسلام) كان طالب ملك وهو الذي كان يعيش عيشة المساكين ويفيض بجميع ما يملك على الناس ويقيد من نفسه (أي يمكن الناس من القصاص منه) ولا ينتقم لها الخ الخ ؟ (لارد بقية)

تأييد علماء الآفاق للفتوى بحل طعام الكتاني ولباسه

نشرنا في الجزء الرابع والعشرين من السنة الماضية مقالين في ذلك لعالمين من علماء المغرب الأدنى (تونس) والمغرب الأقصى (مراكش) وذكرنا في مقدمتهما أننا رأينا في الجرائد الهندية مقالات في الموضوع وعلمنا أن بعض القراء يودون لو يعرب شي منها للمنار ولكننا نعتذر لهم بأن الأكثرين قد اكتفوا بما كتبناه في المسألة وأهل المشرق (الهند وغيرها) كأهل المغرب مقتنعون بما قلناه ومؤيدون له ولكننا نذكر المقدمة الوجيزة التي افتتحت الكلام بها في الموضوع جريدة المسلمين في (عليكم) منبع الحياة العلمية وموطن النهضة الإسلامية في الهند فقد جاء في العدد الصادر من تلك الجريدة في ٨ فبراير سنة ١٩٠٤ ما تعريبه :

(هل ولد السيد أحمد خان ثانية في مصر وظهرت جريدته (هذيب الاخلاق) بشكل المنار)
ان الله قد وهب للمرحوم السيد أحمد خان طبعاً سليماً وذكاءً عجمياً، فينا العلماء الاعلام، والفقهاء الكرام يشغلون عامة بوسائل التقليد وطرقه وينهمكون في البحث بعبارات أمثالهم كان السيد يبحث في أصول الدين ومقاصده بحث المجتهد المحقق، وانبرى بهمة (أسدية) قوية لاظهار الاسلام بصورته الاصلية الاولى بنزع لباس التقليد عنه، وازاله شوائبه منه، اذ كان شيوخ الملة المقيدون بقيود التعصبات والاهوام قد جعلوا أحكام الخفيفة السمحة البريئة من الحرج في غاية الضيق والشدة وحكموا فيها الرسوم والعادات فجعلوها مذمومة شريرة. عني السيد بتحقيق العقائد والاحكام وبيان الحق ولم يخف في مخالفة الجمهور ولومة لائم ففصل بين العادة والعبادة. وبين الرسوم الموضوعية والاحكام المشروعة، ليخرج المسلمين من تلك الاهوام، ويعود بهم الى أصل الاسلام، ولما أنشأ يطبع تحقيقاته وينشرها على الجلب والوضاء، وصاح مع العامة العلماء والفقهاء، : قد كفر قد كفر : وطلبوا من الحرميين الشريفين الفتوى بتكفير السيد والغالب انه لم يكن في ذلك الوقت أحد من المسلمين في الهند الا وهو ينظر الى أفكار السيد وتصوراته بين الحيرة والتعجب

لعل أكثر الناس يتذكرون ذلك الزمان الذي أجاز السيد فيه لباس الانكليز وأباح الاكل معهم وقال ان اللباس ليس من الامور الدينية بل من الرسوم والعادات

ولم يحكم الشرع بالتزام زي يختص به المسلمون وأما الاكل فهو حل بنص الآية القرآنية . ويتذكرون كيف هب العلماء للرد عليه واستدلوا بحديث « من تشبه بقوم فهو منهم » وكفروا السيد . ولكن الاقوال التي قالها السيد منذ ثلاثين سنة يقولها الآن أشهر العلماء في الممالك الاسلامية ، والافكار التي أظهرها السيد في الماضي يظهرها في هذا الوقت مفتي الديار المصرية بالحرية التامة و « النظافة » ونحن الآن نترجم الفتوى بحل طعام أهل الكتاب ولباسهم ولكن لاندرى ماذا يقول الناس في هذا - اتفاق الحاضر مع الماضي - فان كان المسلمون قائلين بالتناسخ فيقولوا ضرورة بان السيد قد ولد (ثانية) في مصر وظهرت جريدته (تمذيب الاخلاق) في شكل (المنار) اه المقدمة

(المنار) لتعتبر الجريدة المحدثه بأقوال علماء المسلمين في مشارق الارض ومغاربها فان كانت كتبت ما كتبت من الطعن في الفتوى عن جهل وكانت تريد باستنجاد مسلمي الآفاق ببيان الحق فهام أولاء قد أيدوا الفتوى فعلموا ان تعترف بخطئها وتوب الى ربها . وياليت أصحاب الجلود ودعاة التأخير يعلمون ان الاستاذ الامام وحزبه هم الذين يخدمون الاسلام والمسلمين في هذه البلاد دون سواهم وأن عقلاء المسلمين في جميع الاقطار معهم ومؤيدون لدعوتهم ومربطون معهم بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها والله سميع عليم . فلا يفتح حزب التأخير ، بمال فلان الغني وجاءه فلان الامير ، فان الحق يعلى ولا يعلى وان حزب الله هم الغالبون .

﴿ باب السؤال والفتوى ﴾

(س ١) الزي والدين - ره غ : بالقاهره

ان بعض الكتائين من أهل انكلترا وأمريكا أسلموا ولم يغيروا زيمهم في اللباس (كالبرنيطة والبنطلون) فهل يصح اسلامهم أم لا ؟ فان قلتم لا يصح فهل من دليل تقلي على ذلك اذ ما تعلمه من التاريخ ان الشعوب التي أسلم منها من أسلم في العصور الاولى ما كان يشترط في اسلامهم تغيير الزي وما كانوا يلبسون لباسا مخصوصا بأهل الاسلام . وان قلتم يصح اسلامهم ويقرون على ائس البرنيطة والبنطلون فكيف

جاز لبعض الناس لهذا العهد القول بحرمة لبس البرنيطة على المسلم مع ان حرمتها على ما اعتقد يقتضي ان يكون الاسلام بالزي لا بالعمل أو بكلية معاً وإذا كان ذلك كذلك فالاسلام من أسلم من أهل أمريكا وانكفرتا غير صحيح ما لم يغيروا أزياءهم وهذا من الاشكال في الدرجة القصوى كما لا يخفى على بصير اذ ربما كان ذلك مدعاة لعدم انتشار الاسلام بين الاقوام الذين تقضي عوائدهم بعدم التخلي عن لبس البرنيطة وماشابهها وأمر آخر وهو اننا نرى عشرات الملايين من المسلمين يلبسون لباس الافرنج (البنطلون) فإذا صح قولهم بعدم جواز هذا اللبس وان الاسلام بالازياء أو بالازياء والاعمال فما حكم هؤلاء؟ هل يعتبرهم القائلون بهذا مرتدين مع ان المسلمين لم يكونوا يذكرون ذلك في دعوتهم الى الاسلام بل كانوا يكتفون بالشهادتين فيه وورد في الحديث «من قال لا اله الا الله فقد عصم مني ماله ودمه الاجتهاد وحسابه على الله» وهؤلاء المسلمون الذين يلبسون البنطلون يقولون لا اله الا الله ويطيعون الصلاة ويؤتون الزكاة .

فأرايكم في هذا كله؟ ترجو الجواب، ولكم الثواب،

(ج) لا يوجد دليل في الكتاب ولا في السنة ولا في أقوال الائمة على اشتراط زي مخصوص للمسلم بل هناك أدلة على عدم الاشتراط كما رأيتم في المقالات التي نشرناها في الموضوع والذين قالوا ما قالوا في منافاة لبس قلانس النصارى (البراطل أو البرانيط) للاسلام لا يعرفون من الاسلام الاتقاليات العامة التي يعرفها الحوزي . قلتم ان الذين أسلموا في الصدر الاول لم يشترط عليهم تغيير أزيائهم وتزبدكم على هذا ان الصحابة كانوا يلبسون اثياب التي يفتنونها من المشركين والمجوس وأهل الكتاب بل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبس من لبوسهم أيضاً كما ذكرنا من قبل . ولو أراد الله ان يمتدنا بزي مخصوص لاختر ازياءه والزمن به فان لم يكن الزي الاسلامي مختراعاً جديداً من الشارع فوافقه لزي أهل الكتاب أولى من موافقته لأزياء المشركين لان الاسلام بفضل الكتابي الرومي أو الرومي على المشرك الهاشمي القرشي . هذا وان المسلمين لم يلتزموا زياً واحداً في عصر من الاعصار فأزياءهم كان زي الدين ، وأياً كان زي الكافرين والمرتدين .

وما ذكرتم من مفاسد جعل الزي داخلاً في مفهوم الاسلام صحيح وأهمه امتناع

من يصيب عليهم تغيير أزيائهم من قبوله ، وأقول ان كل أمة من الأمم التي تهمل تهزأ بدين يجعل الزي ركنا من أركانه أو عملا من أعماله فلو قيل لأهل أوربا أو أميركا ان الإسلام يشترط ان يلبس الداخل فيه (فرجية) واسمة الاكام وجبة طويلة الاذيال وحذاء أصفر يظهر منه معظم الرجل : لقالوا ان هذا دين لا يليق الا بالكسالى والبطالين من أهل البلاد الحارة وما قاربها ولا ينبغي لأهل العمل والنشاط ولا يرضى به ذو عقل ولا ذوق

اما حديث « من تشبه بقوم فهو منهم » فهو غير صحيح ولو صح لما أفاد المشاغبين في مسألة الزي فان معناه أن من تكلف ان يكون شيئا يقوم فانه يلتحق بطبقتهم فان تشبه بالكرام في أخلاقهم وأعمالهم عدمهم وان كان متكلفا والعكس بالعكس . ومثل هذا التشبه لا يحصل الا بتكلف السجايا الخاصة بالقوم فان من يلبس لباس الشجعان أو الاسخياء لا يعد منهم ، فالحديث إذن في معنى قول انشاعر الذي اقتبسه :

قتبھوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالكرام فلاح

❦ زيارة المسلم لغير المسلمين ❦

(س ٢) ح ٥ في الجبل الاسود : معلوم عند جنابكم اننا تحت تصرف حكومة نصرانية وان النصاري يزوروننا يوم عيدنا للتهنئة بالعيد ويطلبون منا مثل هذه الزيارة في أعيادهم فهل نحن معذورون اذا زورناهم أم لا ؟

(ج) ثبت في الحديث الصحيح عند أحمد والبخاري وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم عاد غلاما يهوديا كان يخدمه قبل مرضه . وقد استكبر الغلام وأبوه الفقير هذه العناية ودعا النبي الغلام الى الاسلام فقال له أبوه : أطع أبا القاسم : فأسلم والحديث يدل على مشروعية الابتداء بالزيارة . قال المساوردي : عيادة الذمي جائزة والقربة موقوفة على نوع حرمة تقترب بها من جوار أو قرابة : أي ان العيادة في المرض ومثلها الزيارة جائزة ولكنها لا تكون عبادة يتقرب بها الى الله الا اذا اقترن بها شيء مما هو مطلوب في الشرع كحرمة الجوار والقرابة . وحسبك ان تكون الزيارة في العيد وغيره مباحة على ان القواعد الاسلامية ترشدنا الى ان حسن النية في الاعمال المباحة تلحقها بالعبادات

هذا وأنت تعرف الفرق بين الذمي الداخل في حكمنا وبين من نحن داخلون في

حكمهم فإذا صح لنا أن نجامل من نحكمهم عملاً بتكريم الاخلاق التي هي أساس ديننا
أفلا يصح لنا أن نجامل من نحكموننا من غيرنا ونحن أحوج الى مجاملتهم لأجل مصالحنا
كما أننا نرى أنفسنا أحق منهم بتكريم الاخلاق ؟

وكأنني عصب يقول : قال ابن بطال « إنما تشرع عيادة المشرك إذا رجي أن يجيب
الى الاسلام » وأقول أولاً أن كلامه في العيادة المشروعة أي المطلوبة شرعاً ونحن
نتكلم في العادات المباحة وثانياً أن الحديث السابق لا يدل على الاشتراط وقد أورد
الحافظ ابن حجر كلامه في شرح البخاري ثم قال « والذي يظهر أن ذلك يختلف
 باختلاف المقاصد فقد يقع إيداعه مصادحة أخرى » وظاهر أن مصالح أهل الوطن
الواحد مرتبطة بمحاربة أهله بعضهم بعضاً وإن الذي يسيء معاملة الناس بمقتضى الناس
فتنوته جميع المصالح لاسيما إذا كان ضعيفاً وهم أقوياء ، وإذا أسند سوء المعاملة الى
الدين يكون ذلك أكبر مطن في الدين . فلك أيها السائل ولغيرك من المسلمين أن
تزوروا النصارى في أعيادهم وتعاملوهم بتكريم الاخلاق أحسن مما تعاملونكم ولا
تعدوا هذا من باب الضرورة فإنه مطلوب لذاته مع حسن النية وأتقاء مشاركتهم في
الحرمات كشرب الخمر مثلاً والله أعلم وأحكم

﴿ صوم يوم عرفة ﴾

(س ٣) ومنه : هل وردت أحاديث صحيحة في صوم يوم عرفة ولا يصومه المؤمنون ؟
(ج) ورد في حديث أبي قتادة عند البخاري وغيره ما يدل على استحباب صوم
يوم عرفة ووردت أحاديث أخرى في النهي عن صومه أصحها حديث عقبة بن عامر
عند أحمد وأبي داود والترمذي وصححه وغيرهما قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم « يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الاسلام وهي أيام أكل
وشرب » وورد النهي عنه للحاج بخصوصه وعلوه بأنه يضعفه عن الاذكار المشروعة
في ذلك اليوم للواقف بعرفات وحمل أكثر العلماء حديث أبي قتادة على هذا
التخصيص وقالوا انه يستحب صومه لغير الحاج وقال بعضهم يستحب افطاره . فاما
علة الافطار فليكونه ملحقاً بأيام العيد وأما علة الصوم عند القائل به فاعلمها مشاركة
الحاج بالعناية بالعبادة الممكنة في ذلك اليوم فيصوم غير الحاج ويكثر من التكبير
فيكون ذلك مذكراً له بعبادة الحج ومشوقاً اليها حتى تيسر له ان شاء الله تعالى

﴿ صندوق التوفير في ادارة البريد ﴾

(و بيان حكمة تحريم الربا)

(س ٤) مصطفى افندي رشدي المورلي بناية الزقازيق : ماهو رأي سيادتكم في صندوق التوفير بعد تعديله الاخير وهل يجوز الادخار فيه وأخذ ارباحه شرعا ؟ - ولا يخفى على حضرتكم فوائده سيما أنه يربي ملكة الاقتصاد في الانسان وهو ما يؤيده الشرع في ذاته ، افيدونا آجركم الله :

(ج) ان التعديل الذي تعنونه قد كان برأي لجنة من علماء الازهر جمعها امين البلاد لاجل تطبيق ايداع النقود في الصندوق على قواعد الفقه المعروفة وقد كتبوا في ذلك ما ظهر لهم وارسلته (المعية) الى الحكومة فعرضته على المفتي وبعد تصديقه عليه امرت بالعمل به . هذا ما اشتهر ونحن لم نقف على ما كتبوه فنبدي رأينا فيه واكتننا مع ذلك لانرى بأسا من العمل به لاثنا انما ننتقد من الحيل على علماء الظاهر او علماء الرسوم (كما يقول الغزالي) ما ينافي مقاصد الشرع الثابتة بالكتاب والسنة كالحيلة في منع الزكاة والحيلة في الربا الحقيقي الذي علل القرآن تحريمه بقوله تعالى « لا تظلمون ولا تظلمون » والذي فصل بينه وبين التجارة بقوله عز وجل « واحل الله البيع وحرم الربو » فالتماقد في عمل يفيد الآخذ والمعطي بيع او تجارة ، والذي يفهم سبب تحريمه من قوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة » وذلك انه كان في المدينة وغيرها من اليهود والمشركين من يقرض المحتاج بالربا الفاحش كما نهى عن اليهود والحواجات في هذه البلاد وفي ذلك من خراب البيوت عافيه

فالحكمة في تحريم الربا ازالة نحو هذا الظلم والمحافظة على فضيلة التراحم والتعاون او قل : ان لا يستغل الغني حاجة أخيه الفقير اليه (كما قال الاستاذ الامام) وهذا هو المراد بقوله تعالى « فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » ولا يخفى ان المعاملة التي ينتفع ويرحم فيها الآخذ والمعطي والتي لولاها لفاتهما المنفعة معا لا تدخل في هذا التعليل « لا تظلمون ولا تظلمون » لانها ضده على ان المعاملة التي يقصدها البيع والتجارة لا القرض للحاجة هي من قسم البيع لا من قسم استغلال حاجة المحتاج . ولا يخفى ان ادارة البريد هي مصالحة غنية من مصالح الحكومة وانها تستغل المال الذي يودع في صندوق التوفير فينتفع

المودع والعمال المستخدمون في المصلحة والحكومة فلا يظلم احدهم الآخر فالارجح ان ما قالوه ليس من الحيل الشرعية وانما هو من قبيل الشركة المسيحية، من قوم المال؛ ومن آخرين الاستغلال، فلا مانع إذن في رأينا من العمل بتعدياتهم على ان العبرة في نظر الفقه بالاعتد ولذلك يجتال بعض علماء الرسوم في الربا الحقيقي فيأكلونه بلا عقد ويقولون ان ذلك من قبيل البيوع الفاسدة وهي صغيرة او مكروهة وهذا شيء لا يحل ولا نقول به. والحاصل ان المسألة قد اخلوها من طريق الفقه الظاهر والباحث في الفقه الحقيقي وهو حكمة الشرع وسره لا يرى ما ينافي حالها بناء على ما تقدم والتضيق في التعامل يفتقر الامة ويضعفها ويجعلها مسودة للامم والله اعلم واحكم

القسم العمومي

نظام الحب والبغض

تابع حب القوة

(رابطة المدنية)

(تمهيد) ما اجتمع اثنان فأكثر اجتماعاً تراد به المصلحة الاحتاجوا في انتظام شملهم وتحصيل مصالحهم الى ناموس إما فطري مشوب بشي من التعاليم واما تعليمي مشوب بمقتضيات الفطرة . .

لتحفظ هذه الكلمة فالتا نحسبها أصل الاصول في الاخلاق والشرائع . ولكن لا يحيط بها سرياً إلا ذهن الذين سبروا تلك الاصول . وسيجدونها عيناً صغيرة تنبجر منها مياه كثيرة . أو عيناً صغيرة تنطبع فيها محسوسات كبيرة . أو امرأة صغيرة تقابلها أشكال متعددة فترى فيها صورها . وأما غيرهم فيناسبهم شرح هذه الكلمة .

فافرضوا ان المجتمعين أربعة: امرآن وامرأتان وافرضوا ان مصالحهم الاولى ن هذا الاجتماع ان يحفروا لهم غاراً ليسكنوا فيه ويأمنوا العوادي من حر وبرد ووحش ويجمعوا اقواتهم فيه

هذا القدر افرضوا فقط فإنكم سترونا نشرح لكم في هذا الاجتماع اجمال كثير مما يدعوا علماء الاخلاق والشرائع ان يبحثوا فيه . وايكم هذا النموذج من بيان ذلك : (الاول) مما يلزم لاولئك قبل مباشرة حفر الغار محبة كل منهم ذاته اذ لو كانوا

بحيث لا يجب كل منهم ذاته لما كانوا ليتقدموا على هذا العمل الذي تحصل به جميعهم مصالحة لكل منهم حصة من فوائدها. ولو كان واحد منهم لا يجب ذاته لتكف وحده عن العمل (امتنع او عدل) فيكون الثلاثة قد خسروه وما خسروا الا معينا. ولو تكف اثنان لخسر الآخران معينين ولو تكف ثلاثة لعمت المصائب الأربعة.

فأنتم ترون ان حب الانسان ذاته هو أول ما يلزم للمجتمعين. وهو أول ما يبحث فيه فلاسفة الاخلاق اذ هو الاصل الاعظم في صلاح الاخلاق ان صلح ، وفي فساده ان فسد ، وهو موجود في النظرة ولكن لطاوه المرض يحتاج اطب التعليم .

(الثاني) مما يلزم لهؤلاء محبة كل منهم غيره . اذ محبة الغير هي الاصل الاعظم في تحصيل مصالح الذات وهي الاصل الاعظم في اجتماع المتعديين ولولاها لكان هؤلاء الاربعة متنافرين متناحرين ، لا متضافرين متناصرين ،

(الثالث) مما يلزم لهؤلاء العدل ، ومعناه : اعطاء المرء لغيره عدل ما أعطاه أي شيئاً يماذله . فإذا عمل كل واحد من هؤلاء مثل ما يعمل محبه كان ذلك من دواعي محبة بعضهم بعضاً ومما يطرد اجتماعهم . وأما اذا أراد أحد منهم ان يفضل نفسه عليهم فلا يعمل معهم كما يعملون ويريد أن ينتفع بما عملوا ، أو ان ينتفع بنصيب هو أكبر من انصباهم فربما أوجب ان ينقموا منه ذلك لان « بدل الأصل ، سبب الوصل ، وبدل الفضل ، سبب الفصل ، »

(الرابع) مما يلزم لهؤلاء الاحسان . ومعناه : رضا النفس بايجاد الحسن ولو من غير بدل أو ببدل أقل مما هو عدله . فإذا كان أحد هؤلاء أضعف من الباقين فيحسن بهم ان يحسنوا فيعملوا عمل الاقوياء ، ويقبلوا من الضيف عمل الضعفاء ، على انهم في التصيب سواء ، وفي الاحسان مباحثات ومحاورات ليس هذا محالها وربما أئينا بها في محل آخر . والذي لاخلاف فيه بين المعتدين هو ان الاحسان لا يجب وجوباً كالعدل بل يحسن بالانسان التحلي به وقد يشتد لزومه في المجتمعين القليلين .

(الخامس) مما يلزم لهؤلاء المعرفة ، اذ كل عمل لا يكون الا بعلم . فان صالح العلم صالح العمل ، وان فسد العلم فسد العمل . ومعنى العلم وجدان الذهن : ما هو الشيء ؟ أو كيف هو ؟ أو أين هو ؟ أو لم هو ؟ أو متى هو ؟ أو كم هو ؟ أو بم هو ؟ فليزِم هؤلاء

ان يعرفوا أن يحفرون، وكيف يحفرون، وبم يحفرون، وكيف يحفرون.

(السادس) مما يلزم هؤلاء التعريف، ومعناه: احضار ما وجدته العارف بقوة ذهنه بغير واسطة الا الالهام الى ذهن من لم يجد ذلك بواسطة الدلالات على اختلافها. ومن البديهي ان الازهان مختلفة في قبول الفائضات . ولا يتم العمل اللازم للكثيرين الا بتعليم من علم لمن لم يعلم . ومن ثمة عند ما تكثر الوازم ويقبل العالمون بها بعد تعليمها أو تعليم الوسائل المؤدية اليها عملاً يعادل أكبر عمل من أعمال الموجدين للوازم .

هذا وبينما كان هم هؤلاء واحداً، ومصلحتهم واحدة أي تعاونهم في حفر الغار ليأوا اليه اذ حدث لهم بعد حفر الغار مصالح أخرى منها: حراسة المنزل خشية ان يطرقه طارق من وحش اذا خرجوا جميعاً . ومنها الاشتراك في تحصيل القوت ورجاء ان يكونوا باجتماعهم أقوى منهم اذا انفردوا . ومنها التراضي في أمر الوقاع لان في فطرة كل من المرء والمرأة اقتضاء الوقاع وان ترك هذا الامر بلا قاعدة بينهم يتراضون بها يؤدي الى تفرقهم أو تجادلهم أو تذابحهم وهم أشد من في الارض احتياجاً للاجتماع والتآلف والتناصر . فهم في هذه المصالح المتعددة (وهي من أولى المصالح) محتاجون الى تديرها . وفي تديرها محتاجون على الاقل الى ثلاثة أشياء (١) اقتسام الاعمال . و (٢) نظام العائلة و (٣) نظام التساكن .

فاقتسام الاعمال هو اللازم (السابع) وهو عبارة عن ان يعمل كل واحد عملاً يحتاجه الكل على ان يكون له نصيب في عمل الآخر . فمن قام في المنزل حارساً فله حق بما يأتي به من سائر القوت محصلاً . ونظام العائلة هو اللازم الثامن . وهو عبارة عن العهد الذي يقيمه المرء مع المرأة على ان يكون كل منهما للآخر زوجاً بشرط كذا وكذا . . على ما يظهر لهما من المعاهدة . ونظام التساكن هو اللازم التاسع . وهو عبارة عن السبيل الحسن الذي يسير عليه جماعة اقامتهم الحاجة في منزل واحد . ثم بينما هم في حاجة لافراد آخرين لقيم بهم تعاونهم على مشاق الاعباء التي لا يستطيعون وحدهم تحملها لما يصادفهم من الطوارئ الخارجية كغلبة الوحوش والداخلية كالضعف بنحو مرض أو تغير قلوب متحدة أو اختلال نظام عائلة أو نظام تساكن اذ جبر نقصهم ، وسدت حاجتهم بالانسال التي أخذت تزايد في كل عام .

ولكن هل يوجد خير غير مشوب بما يقابله من ضد ؟ كلا : ان هؤلاء المصابهم هذا الخير الذي هو توفر العدد لاتمام المدد أصابهم في مقابلته شر هو توسع الفرق والتفاوت فيما بين افراد المجتمعين ، فأصبحوا كثيرين بينهم الضمفاء من صغار ومرضى مثلاً وأصبح الاقوياء فيهم منهم عارف بقيمة الحي (وان كان صغيراً فانه يكبر وان كان مريضاً فانه يصبح) ومنهم غير عارف . ومنهم من يحب غيره ومنهم غير يحب لغيره . ومنهم عادل ومنهم غير عادل . ومنهم محسن ومنهم غير محسن . ومنهم واف بالعهود ومنهم غير واف ، وبالجملة أصبحت تلك الوحدة ممزقة ، وهاتيك الاوضاع متغيرة ، أو ضاق بهم ذلك الوطن الواحد فاضطروا الى تعديد الوطن . وتعديده اقلب شكل تلك الوحدة . فبينما كانوا أربعة يتفكرون بتدبير مصالح لهم مشتركة باتحاد القلوب وتعادل الاعمال اذ صاروا أربعين مثلاً . وبينما كان غار واحد اذ صارت غيران عشرة مثلاً . وبينما كان العمال متعادلين صار العمال متفاوتين . وبينما كانوا يضربون في جهة واحدة لتحصيل الثروت صاروا يضربون في جهات متعددة . وبينما كانوا يخافون من الوحوش فقط صاروا يخاف بعضهم من بعض لانه وجد بينهم غير العادل وغير الوافي بالعهود ولولا ان وجد هؤلاء لكان مليار من البشر المتناسلين من أولئك المفروضين أولاً على وتيرة واحدة في كل شيء . فلا أريد ملياراً على هذا النحو . ولا مايوناً ولا مائة الف ولا عشرة آلاف ولا ألفاً ولا مائة . أريد اثني عشر انساناً ليس فيهم مخادع .

التفاوت بين البشر أمر طبيعي . أي من جملة سمته الله في خلقه . ومن اقتضاء التفاوت ان يكون التضاد . ومن اقتضاء التضاد ان تكون المنازعات . ومن اقتضاء المنازعات ان يتعاون المتقاربون - في أكثر الاشياء المحسوسة والمتصورة - على المتباعين عنهم - المتقاربين أيضاً في أكثر الاشياء - ومن اقتضاء الاجتماع تقارب المنازل . ومن اقتضاء تقارب المنازل اقتسام الاعمال ، ومن اقتضاء العدل التراضي بتعيين الحدود والمقادير . ومن اقتضاء التراضي تكون نظام ومن اقتضاء النظام وجوب حفظه ، ومن اقتضاء حفظه ايجاد قوة حافظة له . ولا بد للقوة من مركز ومحور لحركتها . ولا بد من ان يكون هذا المركز حياً سمياً بصيراً عالماً عريداً قادراً متكاملاً أي انساناً باناً سن

الرشد والقوة ، سالماً من نواقص الجسد والعقل .

انظروا كم ترون في هذه الحالات من حاجات . كل هذه الحاجات مرت على الانسان . وكل حلقة من هذه الخلق بقيت محفوظة في هذه السلسلة حتى هذا اليوم . وفي هذه الحاجات والمقتضيات كانت تحدث لهؤلاء المجتمعين القليبين صناعات يتبادلونها فيما بينهم . ويقلب في الظن ان صنع آلات الدفاع والهجوم له حظ من التقدم . ويظهر ان أول ماصنع الانسان من هذا القليل — بعد حفر الغيران التي هي معادل — هو رقيق شبا الصلد من الحجارة بواسطة حجارة أخرى حتى يقطع بها ماشاء .

ربما صنعت هذه المدى الصوتية الامر ثم تبين ان لها نفعاً في أمور أخرى كثيرة . ويظهر انه بها نجر الشظايا من الاشجار على هيئات مختلفة لمقاصد متعددة . فكان لهم من تلك الشظايا مغزل يقتلون به أوبار الحيوانات التي يصطادونها وكان لهم منها منسج يجمعون عليه الحيوط المقتولة حتى تكون كسفاً . وكان لهم منها مخطط يضمون به بعض الكسف الى بعض ليكون لهم من مجموع ذلك أكسية (يستبدلونها بما كانوا يكتسونه من جلود المصيدات من الحيوانات ، أو المنسوج من الاعواد ولحاء الاشجار أو بعض الاوراق) وأخية (يستبدلونها بما كانوا يحتشون فيه من الغيران الطبيعية أو الصناعية) ولا يخفى ان الحاجة كانت هي الدافعة بهم الى استبدال الأكسية والاخية المنسوجة من الابر بالجلود والغيران اذ الجلود ثقيلة مثقلة للحركة ولا تقي بستر البدن على الوجه الكافي . وهذه الأكسية الجديدة — التي شرح وصفها — يتكون منها لباس كاف واف بالحاجة . منه الرقيق والصفيق ، ومنه الطويل والقصير ، ومنه الصغير والكبير . واذا تراكت عليه الاوضار كانت تحيتها متيسرة . وهذه الاخية الجديدة يتكون منها ماو كافية وافية بالحاجة للظعن والاقامة . فاذا استولوا أرضاً تركوها وزلوا فيها استطابوا لايحتاجون الى حفر ماو جديدة .

ومما يقلب في الظن أيضاً انهم شعروا باحتياجهم لادخار زوائد من المكسوبات اللازمة للقوت والكساء والخباء والزينة نعم ان الادخار للمجتمعين لا بد منه ليكون بالزوائد المحفوظة غناء يوم لا يفتي سعيهم في الكسب شيئاً .

وقد سمي الزائد المدخر — في لغتنا — مالا كان أهل هذا اللسان سموه بهذا الاسم المشتق لأن النفوس تميل اليه بالفطرة أو بحسب التجربة والاحتياج . وهم يقولون لمن حوى مكسوبات زائدة تمول .

(ع . ز)

﴿ بلرم - صقلية ﴾

- ٣ -

﴿ دور الآثار وبساتين النبات ﴾

لاتجنس أهل سيسليا (صقلية) حقهم فانهم فهموا مسألة لابس بفهمها وأظنهم عرفوا ذلك من أخوانهم أهل شمالي ايطاليا وبقية الاوربيين وهي المحافظة على الآثار القديمة والجديدة اما القديمة فتحفظ بذواتها واما الجديدة فتحفظ ولو بنموذج منها . بنوا ملعبا في بلرم فصنعوا له مثالا من الخشب ووضعوه في دار الآثار . مدينة بلرم لها مثال مجسم رسمت فيه البساتين والحيال والكنائس مجسمة مصغرة بألوانها الطبيعية وألوان الارض نفسها وذلك المثال في دار الآثار . حفظوا لباس امرأة مسلمة من مسلمي صقلية وهو زي يشبه الازياء الاوربية مع ساتر للوجه يدل على ان ستر الوجه كان عاما حتى في صقلية أيضا وان كان ذلك قد يفضب قاسم يك أمين فانه يجحد له اضدادا في مسلمي أوروبا فضلا عن مسلمي آسيا وأفريقيا

يحفظ القوم في متاحفهم هذه كل ما يوجد من آثار المتقدمين من مصنوعات وأشجار وأحجار ولا يدخرون جهدا في حفظ ذلك حتى اذا وجدت اسم شيء في كتاب تاريخ مثلا أو عرض لك اسم في علم من العلوم كان يدل على معنى في الزمن السابق أمكنك ان تعرف المدلول بالعيان والمشاهدة وتحقق صحة الوصف والتعريف فما استعمله الاقدمون من آلات وأدوات وأنواع ثياب وضروب مراكب ونحو ذلك تجد شيئا منه في متحف من المتاحف او في قصر من القصور او في كنيسة من الكنائس او في داهية من الدواهي التي هناك . وهذا مما يفيد في تحقيق المعاني التاريخية واللغوية فائدة لا يعرف مقدارها الا من يسمع اسم اللآمة والدلاس والدرع والخوذة والعمامة (عمامة الحرب) ونحو ذلك من الالفاظ العربية الكثيرة الاستعمال ثم يراجعها في القاموس او غيره من كتب المعجمات وبعد ذلك لا تستقر في خياله صورة لمدلول من مدلولات هذه الالفاظ وقد يتخيل صورة لا مناسبة بينها وبين الحقيقة وهو جهل باللغة فاضح، وكثير من اياها تكون اللوز والجوز وينطقون باسمه في البيت وعند البائع اذا طلبوا شراء شيء منه وهم اذا رأوا شجرة الجوز أو اللوز لا يميزون بينها وبين شجرة الجوز أو الفلفل اما الجماعة

فندهم في بساين النبات جميع هذه الانواع من الاشجار، ومالاتناسبه درجة الحرارة في الهواء يحدثون له جواء تناسبه بالتسخين أو التبريد حتى يعيش في جو مثل جوه . ولكل من يريد معرفة شيء ان يذهب ويعرفه بعينه ، ذلك وقد رسموا صور هذا كله فيما كتبوا من كتب اللغة ومعجمات العلوم ويتيسر للحاذق ان يعرف هذه الاشياء بصورها المرسومة في تلك الكتب ، اما اذا قال لك صاحب القاموس: الجوز شجر من شجر أي معروف فماذا تستفيد من هذا وأنت في مصر وليس في قرب الازهر شيء من شجر الجوز بل ولا في الازبكية نفسها فكيف يصير هذا عندك معروفا وكيف يمكنك ان تحدث عن هذا الشجر اذا كنت كاتباً أو شاعراً أو طبيباً أو عالماً أو أديباً

الصور والتماثيل وفوائدها وحكمها

لهؤلاء القوم حرص غريب على حفظ الصور المرسومة على الورق والنسيج ويوجد في دار الآثار عند الامم الكبرى مالا يوجد عند الامم الصغرى كالصقليين مثلاً ، يحققون تاريخ رسمها واليد التي رسمتها ولهم تنافس في اقتناء ذلك غريب حتى ان القطعة الواحدة من رسم روائيل مثلاً ربما تساوي مئتين من الآلاف في بعض المتاحف ولا يهتمك معرفة القيمة بالتحقيق وانما المهم هو التنافس في اقتناء الامم لهذه النقوش وعد ما اتقن منها من أفضل ما ترك المتقدم للمتأخر وكذلك الحال في التماثيل وكلما قدم المتروك من ذلك كان أغلى قيمة وكان القوم عليه أشد حرصاً ، هل تدري لماذا ؟

اذا كنت تدري السبب في حفظ سلفك للشعر وضبطه في دواوينه والمبالغة في تحريره خصوصاً شعر الجاهلية وما عني الاوائل رحمهم الله بجمعه وترتيبه أمكنك ان تعرف السبب في محافظة القوم على هذه المصنوعات من الرسوم والتماثيل فان الرسم ضرب من الشعر الذي يرى ولا يسمع والشعر ضرب من الرسم الذي يسمع ولا يرى . ان هذه الرسوم والتماثيل قد حفظت من أحوال الاشخاص في الشؤون المختلفة ومن أحوال الجماعات في المواقع المتنوعة ما تستحق به ان تسمى ديوان الهيئات والاحوال البشرية . يصورون الانسان أو الحيوان في حال الفرح والرضى والطمانينة والتسليم ، وهذه المعاني المدرجة في هذه الافاظ متقاربة لا يسهل عليك تمييز بعضها من بعض

ولكنك تنظر في رسوم مختلفة فتجد الفرق ظاهراً باهراً ، يصورونه مثلاً في حالة الجزع والفرح والخوف والخشية ، والجزع والفرح مختلفان في المعنى ولم أجمعهما هنا طمعاً في جمع عيين في سطر واحد بل لانهما مختلفان حقيقة ولكنك ربما تمصر ذهنك لتحديد الفرق بينهما وبين الخوف والخشية ولا يسهل عليك ان تعرف متى يكون الفرع ومتى يكون الجزع وما الهياة التي يكون عليها الشخص في هذه الحال أو تلك . أما اذا نظرت الى الرسم وهو ذلك الشعر الساكت فانك تجد الحقيقة بارزة لك تتمتع بها نفسك ، كما تلهذ بالنظر فيها حاك . اذا زعت نفسك الى تحقيق الاستمارة المصراحة في قولك : رأيت أسداً : تريد رجلاً شجاعاً فانظر الى صورة أبي الهول بجانب الهرم الكبير تجد الاسد رجلاً أو الرجل أسداً ، حفظ هذه الآثار حفظاً لا علم في الحقيقة وشكر لصاحب الصنعة على الابداع فيها . ان كنت فهمت من هذا شيئاً فذلك بقوتي أما اذا لم تفهم فليس عندي وقت لتفهيمك بأطول من هذا وعليك بأحد اللغويين أو الرسامين أو الشعراء المفاقيين ليوضح لك ما غمض عليك اذا كان ذلك من ذرعه

ربما تعرض لك مسألة عند قراءة هذا الكلام وهي ما حكم هذه الصور في الشريعة الإسلامية اذا كان القصد منها ما ذكر من تصوير هيئات البشر في انفعالاتهم النفسية ، أو أوضاعهم الجثمانية ، هل هذا حرام أو جائز أو مكروه أو مندوب أو واجب ؟ فأقول لك ان الراسم قد رسم والفائدة محققة لا نزاع فيها ومعنى العبادة وتعظيم التمثال أو الصورة قد محي من الازهان فاما ان تفهم الحكم من نفسك بعد ظهور الواقعة وإما ان ترفع سؤالاً الى المفتي وهو يحبك مشافهة فاذا أوردت عليه حديث : ان أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون : أو ما في معناه مما ورد في الصحيح فالذي يغلب على ظني انه سيقول لك ان الحديث جاء في أيام الوثنية وكانت الصور تتخذ في ذلك العهد لسبيين : الاول اللهو والثاني التبرك بتمثال من ترسم صورته من الصالحين والاول مما يفضه الدين والثاني مما جاء الاسلام لمحوه والمصور في الحالين شاغل عن الله أو ممدد للإشارة به فاذا زال هذان العارضان وقصدت الفائدة كان تصوير الأشخاص بمنزلة تصوير الثبات والشجر في المصنوعات وقد صنع ذلك في

حوادث المصاحف وأوائل السور ولم يمنعه أحد من العلماء مع أن الفائدة في نقش المصاحف موضع النزاع أما فائدة الصور فلما لا نزاع فيه على الوجه الذي ذكر (١) . وأما إذا أردت أن ترتكب بعض السيئات في محل فيه صور طمعا في أن المملكين الكاتين أو كتب السيئات على الأقل لا يدخل محلا فيه صور كما ورد فإياك أن تظن أن ذلك ينجيك من احصاء ما تفعل فإن الله رقيب عليك ، وناظر اليك ، حتى في البيت الذي فيه صور ولا أظن أن الملك يتأخر عن مرافقتك إذا تعمدت دخول البيت لأن فيه صوراً . ولا يمكنك أن تجيب المفتي بأن الصورة على كل حال مظنة العبادة فإني أظن أنه يقول لك أن لسانك أيضا مظنة الكذب فهل يجب ربطه مع أنه يجوز أن يصدق كما يجوز أن يكذب

وبالجملة أنه يغلب على ظني أن الشريعة الإسلامية أبعد من أن تحرم وسيلة من أفضل وسائل العلم بعد تحقيق أنه لا خطر فيها على الدين لأن جهة العقيدة ولا من وجهة العمل . على أن المسامحين لا يتساءلون إلا فيما تظهر فائدته ليحرموا أنفسهم منها والأفبا لهم لا يتساءلون عن زيارة قبور الأولياء أو مسامحهم بعضهم بالاولياء وهم ممن لا تعرف لهم سيرة ، ولم يطلع لهم أحد على سريرة ، ولا يستفتون فيما يفعلون عندها من ضروب التوسل والضراعة وما يعرضون عليها من الاموال والمتاع وهم يخشونها كخشية الله أو أشد . ويطلبون منها ما يخشون أن لا يجيبهم الله فيه ويظنون أنها أسرع إلى اجابتهم من غنايته سبحانه وتعالى . لاشك أنه لا يمكنهم الجمع بين هذه العقائد

(١) المنار: ان الذين رسموا الصالحين والانبياء إنما أرادوا التبرك بصورهم وتعظيمها اكراما لهم وهذا التعظيم يسمى في كل اللغات عبادة وجميع الصور والتماثيل التي كانت عند العرب كانت معظمها للدين ولذلك سمي في القرآن تعظيمها عبادة وكذلك النصارى كانوا يصرحون بأن تعظيم الايقونات ونحوها من الصور عبادة فلما عارض المصاحون في ذلك صار بعض المصيرين عليه يسمى تعظيمها اكراما وأصر بعضهم على تسميته عبادة وهذا وإن النهي عن التصوير في الاسلام لم يزد على النهي عن تعظيم القبور وتشريفها وبناء المساجد عليها وإيقاد السراج عليها وقد فعل المسلمون هذا مع بقاء علة وهم يتركون التصوير وفوائده مع اتقاء علة النهي عنه أفنوا من بظاهر بعض الدين ونكفروا بحقيقة بعضه

وعقيدة التوحيد ولكن يمكنهم الجمع بين التوحيد ورسوم صور الانسان والحيوان لتحقيق المعاني العلمية ، وتمثيل الصور الذهنية ،

هل سمعت اننا نحفظنا شيئا حتى غير الصور والرسوم مع شدة حاجتنا الى حفظ كثير مما كان عند اسلافنا ؟ لو حفظنا الدراهم والدنانير التي كان يقدر بها نصاب الزكاة ولا يزال يقدر بها الى اليوم أفما كان يسهل علينا تقدير النصاب بالجنيهات والفرنكات ونحو ذلك مادام انما الاول موجودا بين أيدينا ؟ ولو حفظ الصاع والمد وغيرها من المكيال أفما كان ذلك مما ييسر لنا معرفة ما يصرف في زكاة الفطر وما تجب فيه الزكاة من غلات الزرع بعد تغيير المكيال وما كان علينا الا ان نقيس مكيالنا بتلك المكيال المحفوظة فنصل الى حقيقة الامر بدون خلاف. أظنك توافقني على أنه لو حفظ درهم كل زمان وديناره ومده وصاعه لما وجد ذلك الخلاف الذي استمر بين الفقهاء يتوارثونه سلفا عن خالف كل منهم يقدر المكيال والميزان بمالا يقدره به الآخر حتى جاء في آخر الزمان احمد بك الحسيني يخطي بعضهم ويوفق بين أقوال البعض الآخر بدون ان يكون بين يديه صاع ولا مد من تلك الأصص والامداد ، وما أصعب التخطئة والتوفيق ، اذا لم يكن العيان هو المميزين فريق وفريق ، لو نظرت الى ما كان يوجب الدين علينا ان نحافظ عليه لوجدته كثيرا لا يحصى عدده ولم نحفظ منه شيئا فلنتركه كما تركه من كان قبلنا ، ولكن ما نقول في الكتب وودائع العلم هل حفظناها كما كان ينبغي ان نحفظها أو أضاعناها كما لا ينبغي ان نضيعها ؟ ضاعت كتب العلم وفارقت ديارنا ففائسه فاذا أردت أن تبحث عن كتاب نادر أو مؤلف فاخر أو مصنف جليل ، أو اثر مفيد فاذهب الى خزائن بلاد أوربا تجد ذلك فيها . اما بلادنا ففما تجد فيها الا ما ترك الاوربيون ولم يحفلوا به من نقائس الكتب التاريخية والادبية والعلمية . وقد تجد بعض النسخة من الكتاب في دار الكتب المصرية مثلا وبعضها الآخر في دار الكتب بمدينة كبرج من البلاد الانكليزية . ولو أردت ان اسرد لك ما حفظوا وضعنا من دفاتر العلم لكتب لك في ذلك كتابا يضيع كما ضاع غيره وتجده بعد مدة في يد اوروبي في فرنسا أو غيرها من بلاد اوربا

نحن لانحنى بحفظ شيء نستبقي نفعه لمن يأتي بعدنا ولو خطر ببال احد منا ان يترك

لمن بعده شيئاً جاء ذلك الذي بعده أشد الناس كفراً بتلك النعمة واخذ في اضاءة ما عني السابق بحفظه له فليست ملكة الحفظ مما يتوارث عندنا وإنما الذي يتوارث هو ملكات الصفات والأحقاد ، تنقل من الآباء إلى الأولاد ، حتى تفسد العباد وتخرب البلاد ، ويأتي بها أربابها على شفير جهنم يوم المعاد ؛
(للرحلة بقية)

بَابُ الْإِسْطُولِ الْعُثْمَانِيِّ

(الأشتراك في المنار) كل من قبل هذا الجزء من المنار يعد مشتركاً إلى سنة كاملة ويجب عليه دفع قيمة الأشتراك كاملة وإن رد المجلة في أثناء السنة فن لم يرض بهذا الشرط فليرجع إلينا الجزء . ونرجو أن لا يطلب أحد منا الأشتراك بدون القيمة المقررة

الأسطول العثماني

بشرتنا أبناء الاستانة بأن سيجز أسطول عثماني مؤلف من السفن الجديدة التي ابتاعها الدولة العلية من عهد قريب ومن السفن القديمة التي أصلحتها في أوروبا بحق الله الآمال

منشور شيخ الإسلام في تقليس

كتب شيخ الإسلام في تقليس عاصمة بلاد القوقاس الروسية منشوراً ينصح فيه للمسلمين بالطاعة والاختلاص لدولتهم وبذل النفس والنفيس في مساعدتها على حرب دولة اليابان الوثنية . وقد أحسن فيما فعل ونوافقه عليه في جملة وكان في عزمنا أن ننشر في المنار الماضي نصيحة لمسلمي روسيا بأن يفتروا الحرب لاقناع دولتهم بإخلاصهم لها لأن هذا هو الذي يفهم ولا يفتروا ببعض اليهود والأرمن الشامتين بدولتهم فالقدر والحياة يحرمهما الإسلام في كل حال . هذا وإن النصرانية أقرب إلى الإسلام من الوثنية ومآقنائه من ميل المسلمين إلى اليابان فسيب سياسي لاديني

تغاير العلماء في روسيا

كتب النا فيض الرحمن أفندي أحمد القراني المجاور رسالة ملخصها أن أحصد علماء (خان كومان) تلقى العلم في الاستانة ولما رجع إلى وطنه سعى بإنشاء مدرسة

خيرية وكان يعلم فيها حتى وشى عليه بعض المعممين الى الحكومة بانه يستميل التلامذة الى تركيا بتعليمه على الطريقة التركية فافقت الحكومة المدرسة ثم سعى فاستصدر أمراً بفتحها فعاد أصحاب العمائم الى الوشاية حتى أقفلوها . ولا شك ان أولئك السعاة الوشاة هم أكبر بلاء على امتهم وملتهم وقد خجنا من ذكر صنيعهم مع كثرة ثناءنا على أخلاق مسلمي تلك البلاد فعسى ان يتوبوا الى ربهم ، ويتوبوا الى رشدهم .

﴿ استعمار مصر ومراکش ﴾

انكلترا وفرنسا تتباحثان في وسائل الوفاق في المسائل الاستعمارية بينهما ومنها مسألة مصر التي تستعمرها انكلترا بدون نطق بكلمة حماية أو امتلاك الامالوت برسم مصر في خريطة افريقية وهو لون بلاد السودان وبلاد الترنسفال وبلاد الكاب أو رأس الرجا الصالح ، ومسألة مراکش التي تريد فرنسا ان تستعمرها هذا النوع من الاستعمار . ويوشك ان تتفق الدولتان على ان احدهما لاتتازع الاخرى في مسائلها . ولكن ماذا يفعل سلطان مراکش وأمير مصر في هذه الايام ؟ أما أمير هذه البلاد فلا يبحث في أعماله وأما سلطان مراکش فلم يكتف بما عنده من آلات اللهو الاوربية وما اجتلبه من حور الاستانة وولداتها حتى ارسل يطلب من مصر جوقة من المطربين والمطربات . وشاع هناك محمد بن شعرون سافر بالجوقة وهي تسعة رهط وفيها بعض الراقصات المشهورات ، وتعهدها بدفع ١٥٠٠ جنيه في الشهر وقيل اقل . ومعلوم ان السلطان يقرض المال من فرنسا وان الدين هو أوسع الابواب لدخول أوروبا في البلاد . واتنا ندعو الله تعالى ان يوفقه وسائر أمراء المسلمين الى ما فيه الخير الحقيقي للامة والبلاد كيفما جاء ومن أي طريق جاء .

﴿ مسألة الرتب والوسمة ﴾

قد وصل الاتجار بالرتب في الاستانة الى حد التزوير فصار السماسرة مزورين وقد حوكم من عهد قريب طاهر بك صاحب جريدة «معلومات» وغيرها متهماً بتزويرها وقد اقتدت مصر بالاستانة فصار المقربون من الامير ومنهم بعض اصحاب الصحف يتوسلون اليه بهذه الرتب والوسمة حتى علم الخاص والعام ان اكثر من نالها من غير الحكومة قد اشترها بالمال وقد انتهى الامر بدخول الورد كروم في الامر وقرر الاما .

مض الرتب والوسمة التي انعم بها على المرتكبين والمزورين ، وفي ذلك عبرة للمعتبرين ،

بقوت الحكمة من بناء ومن يوت
الحكمة فقد أوتي خير كثير وما
يذكر إلا أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

ففسر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر - السبت ١٦ المحرم سنة ١٣٢٢ - ٢ أبريل (نيسان) سنة ١٩٠٤)

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

« قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَأَنتُمْ أَعْمَالُكُمْ »
وَنَحْنُ لَهُ مُخَابِرُونَ * أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى ؟ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ ؟ وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ ؟ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ
خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ * »

هذا ضرب آخر من محاجة أهل الكتاب جار على نسق سابقه مؤتلف
معه متصل به غير منقطع ولا نازل في واقعة خاصة للرد على كلمات قالها
اليهود كما ذهب اليه (الجلال) وغيره اذ قالوا ان اليهود قالوا يجب ان يكون
جميع الناس تابعين لنا في الدين لأن الانبياء منا والشرعية نزلت علينا ولم

يهود في العرب أنبياء ولا شرائع : نعم لا ننكر صدور هذا القول من اليهود فانهم كانوا يقولون مثله دائما وانما نقول ان الآيات متناسقة مع ما قبلها متممة له مزية لشبهات كانت فاشية في القوم في كل مكان لا خاصة برد قول لاحد يهود الحجاز

الآيات السابقة بينت ان الملة الصحيحة هي ملة ابراهيم وهي لا تكن يهودية ولا نصرانية وانما هي صبغة الله التي لا صنع لاحد فيها بل هي بريئة من اصطلاحات الناس وتقاليدهم الرؤساء فهي الجديرة بالاتباع ولكن التقاليد والاصناف قد طمسها بعد ما جرى الانبياء عليها وحلت تلك التقاليد محلها حتى ذابت هي فيها وخفيت فلم تعد تعرف ولذلك جاء محمد عليه الصلاة والسلام ببيانها ودعوة الناس إلى الرجوع اليها ، فبين تعالى بتلك الحاجة الحق الذي يجب التعويل عليه ثم أخذ في هذه الآيات يزيل الموانع ويبطل الشبهات المعارضة في طريق ذلك الحق فأمر نبيه بما ترى من الحجة في قوله : « قل أتخاجوننا في الله » بدعواكم الاختصاص بالقرب منه وزعمكم انكم أبناء الله وأحباؤه وانه لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى ، ومن أين جاءكم هذا القرب والاختصاص بالله دوننا (وهوربنا وربكم) ورب العالمين فنسبة الجميع اليه واحدة هو الخالق وهم المخلوقون ، وهو الرب وهم المربوبون ، وانما يتفاضلون بالاعمال البدنية والنفسية (وانما أعمالنا) التي تختص آثارها بنا ان خيرا فخير وان شرا فشر (ولكم أعمالكم) كذلك وروح الاعمال كلها الاخلاص فهو وحده الذي يجعلها مقربة لصاحبها من الله تعالى ووسيلة لمرضاته (ونحن له مخلصون) من دونكم فانكم انكمتم على أنسابكم وأحسابكم ، واغتررتم بما كان من صلاح آبائكم وأجدادكم ،

والتحذيم لكم وسطاء وشفعاء منهم تتممدون على جاههم ، مع انحرافكم عن صراطهم ، وما هو الا التقرب الى الله تعالى باحسان الاعمال ، مع الاخلاص المبني على صدق الايمان ، وهو ما ندعوكم اليه الآن ، فكيف تزعمون ان الادلاء الى ذلك السلف الصالح بالنسب والتوسل اليهم بالقول هو الذي ينفع عند الله تعالى وأن الاستقامة على صراطهم المستقيم والتوسل الى الله تعالى بما كانوا يتوسلون اليه به من صالح الاعمال والاخلاص في القلب لا ينفع ولا يفيد ، وما كان سلفكم مرضيا عند الله تعالى الاب به ؟ هل كانت ابراهيم مقربا من الله تعالى بأبيه أزر المشرك أم كان قر به وفضله باخلاصه وإسلام قلبه الى ربه ؟ فكما جعل الله النبوة في إبراهيم وجعله اماما للناس في الاسلام والاخلاص جعلها كذلك في محمد فاذا صح لكم إنكار نبوة محمد لانه لم يكن في سلفه العرب أنبياء فأنكروا نبوة ابراهيم فان العلة واحدة فكيف لا يتحد المعلول ؟

وحاصل معنى الآية إبطال معنى شبهة أهل الكتاب أنهم أبناء الله وأحباءه ، وأنه لا ينجو من كان على غير طريقتهم وإن أحسن في عمله وأخلص في قصده ، وأنهم هم الناجون الفائزون وإن أساؤا عملا ونية ، لأن أنبياءهم هم الذين ينجونهم ويخلصونهم بجاههم ، فالقوز عندهم بعمل سلفهم لا بصلاح أنفسهم ولا أعمالهم . وهذا الاعتقاد هدم لدين الله الذي بعث به جميع أنبيائه ودرج عليه من اتبع سبيلهم فإن روح الدين الالهي وملاكه هو التوحيد والاخلاص المعبر عنه بالاسلام وكل عمل أمر به الدين فانما الغرض منه إصلاح القلب والعقل بسلامة الاعتقاد وحسن القصد فاذا زال هذا المعنى وحفظت جميع الأعمال الصورية فانها لا تفيد شيئا بل انها تضر بدونها لانها تشغل الانسان

بما لا يفيد وتصدده عن المفيد . ولا شك أن أهل الكتاب كانوا قد أزهقوا هذا الروح الالهي من دينهم فسواء كان ما حفظوه من التقاليد والأعمال مأثورا عن أنبيائهم أم غير مأثور إنهم ليسوا على دين الله، ومن كان على بصيرة منهم عرف أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو إحياء لروح الدين الذي كان عليه جميع الأنبياء والمرسلين . ثم إن من تأمل هذا وتأمل حال المسلمين يظهر له أنهم قد أتبعوا سنن من قبلهم شبرا بشبر وذراعا بذراع، وسيرجع من يريد الله بهم الخير إلى روح دين الله تعالى بالرجوع إلى كتابه الذي حرم عليهم تقليد آراء الناس فجازوه بأن حرموا العمل به، كما رجع الألوف وألوف الألوف من أهل الكتاب إلى ذلك في القرون الأولى من ظهور الإسلام « وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ » قال تعالى :

(أم تقولون أن إبراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أم نصارى ؟) قال الاستاذ الامام : ان (أم) هنا معادلة لما قبلها - خلافا للجلال ومن على رأيه القائلين إنها بمعنى بل - كأنه قال : أتقولون أن هذا الامتياز لكم علينا والاختصاص بالقرب من الله دوننا هو من الله مع انه ربنا وربكم الخ أم تقولون ان امتياز اليهودية أو النصرانية التي أنتم عليها بأن إبراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط كانوا عليها ؟ ان كنتم تقولون هذا فان الله يكذبكم فيه وأنتم تعلمون أيضا ان اسمي اليهودية والنصرانية حدثا بمد هؤلاء بل حدث اسم اليهودية بمد موسى واسم النصرانية بمد عيسى كما حدث لليهود تقاليد كثيرة صار مجموعها ميزالهم واما النصارى فجميع تقاليدهم الخاصة بهم الميزة للنصرانية حادثة فان عيسى عليه السلام كان عدو التقاليد ولهذا كان النصارى على كثرة ما أحدثوا

أقرب الى الاسلام لانهم لم ينسوا جميعا كيف نزل روح الله تعالى اليهم
الظاهرة ما كان منها في التوراة وما لم يكن ولكن الذين ادعوا اتباعه زادوا
عليهم من بعده في ابتداع التقاليد والرسوم

وزعم بعض المفسرين ان هذه الآية نزلت في الرد على اليهود اذ
كانوا يقولون ان ابراهيم كان يهوديا وعلى النصارى اذ كانوا يقولون انه
كان نصرانيا. قال الاستاذ الامام وهذا غير صحيح

كلا ان الآية نزلت في إقامة الحجة عليهم بأنهم يعتقدون أن ابراهيم كان
على الحق وأن ملته هي الملة الالهية المرضية عند الله تعالى واذا كان الامر كذلك
وكانت هذه التقاليد التي تقلدونها غير معروفة على عهد ابراهيم فما بالهم صاروا
ينيطون النجاة بها ويزعمون ان ماعداها كفر وضلال ؟ فهو لا يثبت لهم
القول بأن ابراهيم كان يهوديا أو نصرانيا وانما يقول انهم لا يقدرّون على
القول بذلك لان البدهة قاضية بكذبهم فيه ولذلك قال لنبيه (قل انتم اعلم
أم الله) أي اذا كان الله قد ارتضى للناس ملة ابراهيم باعترافكم وتصديق
كتبكم وذلك قبل وجود اليهودية والنصرانية فلماذا لا ترضون انتم تلك
الملة لا تفسكم ؟ انتم اعلم بالمرضي عند الله أم الله اعلم بما يرضيه وما لا يرضيه ؟
لا شك ان الله يعلم وانتم لا تعلمون ، وقد صرح ابن جرير الطبري بأن قراءة
« أم يقولون » بالتحية شاذة وعلى القول بأنها سبعية يكون في الكلام
الثلاث. ثم قال :

(ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) في هذا الاستفهام وجهان
أحدهما أنه متم لما قبله من اقامه الحجة بملة ابراهيم ، يقول ان عندكم شهادة
من الله بأن ابراهيم كان علي الحق وكان مرضيا عند الله تعالى فاذا كتمتم

ذلك لاجل الطمن بالاسلام فقد كنتم شهادة الله وكنتم اظلم الظالمين واذا اعترفتم به فاما ان تقولوا انكم انتم اعلم من الله بما يرضيه واما ان تقوم عليكم الحجة وتحق عليكم الكلمة ان لم تؤمنوا بما تدعون اليه من ملة ابراهيم، وأحد الامرين ثابت ، لا يقبل مراوغة مباغت ،

والوجه الثاني - وهو اظهر - ان الشهادة المكتومة هي شهادة الكتاب المبشرة بأن الله يبعث فيهم نبيا من بني اخوتهم وهم العرب أبناء اسمعيل وكانوا ولا يزالون يكتُمونها بالانكار على غير المطمع على التوراة وبالتحريف على المطمع . فهو يبين هناك بمد إقامة الحجة بابراهيم على أن زعمهم حصر الوحي ببني اسرائيل باطل - أن هناك شهادة صريحة بأن سيبعث فيهم نبي من العرب فكان هذا دليلا ثالثا وراء الدليل العقلي المشار اليه بقوله «وهو ربنا وربكم» والدليل الالزامي المشار اليه بقوله «أم تقولون ان ابراهيم واسماعيل الخ فكانه يقول : إن هؤلاء الالمجادلون في الحق بعد ماتين ، مباهتون للنبي مع العلم بأنه نبي ، اذ ما كان لهم ان يشتبهوا في أمره بمد شهادة كتابهم له ، فاذا كان ظلمهم أنفسهم قد انتهى بهم الى آخر حدود الظلم وهو كتمان شهادة الله تعالى تعصبا لجنسيتهم الدينية التي ارتبط بها الرؤساء بالروشين بروابط المنافع الدنيوية من مال وجاه فكيف ينتظر منهم ان يصفوا الى بيان ، أو يخضعوا لبرهان ، ؟ والاستفهام هنا متضمن للتوبيخ والتقريع المؤكدين بقوله (وما الله بغافل عما تعملون) وانما الجزاء على الاعمال . ثم ختم المحاجة بتأكيد أمر العمل وعدم فائدة النسب فقال :

(تلك أمة قد خلت لهما ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) وانما تسئلون عن أعمالكم وتجاوزون عليها فلا ينفعكم ولا

يضرهم سواها. وهذه قاعدة يثبتها كل دين قويم، وكل عقل سليم، ولكن قاعدة لوثنية القاضية باعتماد الناس في طلب سعادة الآخرة وبإمض مصالح الدنيا على العظماء المعتقدين تغلب مع الجهل كل دين وكل عقل، ومنبع الجهل التقليد المانع من النظر في الأدلة العقلية والدينية جميعاً اللهم الامكارة الحس والعقل وتأويل نصوص الشرع تطبيقاً لهما على ما يقول المقلدون المتبعون (بفتح اللام والباء) وقد أول المأولون نصوص أديانهم تقريراً لاتباع رؤسائهم والاعتماد على جاههم في الآخرة لذلك جاء القرآن يبالغ في تقرير قاعدة ارتباط السعادة بالعمل والكسب وتبيينها ونفي الانتفاع بالانبياء ولصالحين لمن لم يتأسس بهم في العمل الصالح ولذلك أعاد هذه الآية بنصها في مقام حاجة أهل الكتاب المفتخرين بسلفهم من الانبياء العظام، المعتمدين على شفاعتهم وجاههم وان قصروا عن غيرهم في الاعمال. وفائدة الاعادة تأكيد تقرير قاعدة بناء السعادة على العمل دون الآباء والشفعاء بحيث لا يطمع في تأويل القول طامع والاشعار بمعنى يعطيه السياق هنا وهو ان أعمال هؤلاء مجادلين المشاغبين من أهل الكتاب مخالفة لأعمال سلفهم من الانبياء فهم في الحقيقة على غير دينهم،

وقد سبق القول بأن الآية أفادت في وضعها الاول أن ابراهيم وبنيه وحفدة قدموا الى ربهم بسلامة قلوبهم واخلاصهم في أعمالهم وانقطعت النسبة بينهم وبين من جاء بعدهم فتكسب طريقهم وانحرف عن صراطهم وان أقل اليهم بالنسب فكل واحد من السلف والخلف مجزي بعمله لا يتفجع احدا منهم عمل غيره من حيث هو عمل ذلك الغير وذلك انما جاءت عقيب بيان ملة ابراهيم واوصائه بنيه بها واوصاء بعضهم بعضها بها وبيان درجهم عليها. ثم جاء

بعد ذلك الاحتجاج على القوم بمن يعتقدون فيهم الخير والكمال وكونهم لم يكونوا على هذه اليهودية ولا هذه النصرانية اللتين حدثتا بعدهم فجاءت قاعدة الاعمال في هذا الموضع تبين ان المتخالفين في الاعمال والمقاصد لا يكونون متحدين في الدين ولا متساوين في الجزاء ، فأفادت هنا ما لم تقدمه هناك. وللمسلمين ان يحاسبوا انفسهم ويحكموا قاعدة العمل والجزاء بينهم وبين سلفهم ولا يفتروا بالتسمية ان كانوا يعقلون

﴿ موعظة للمسلمين ، بآيات الكتاب المبين ﴾

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ * مَنْ كَانَ يَرْيدُ الْغِزَّةَ فَلِلَّهِ الْغِزَّةُ جَمِيعًا ، إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ، وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ * وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلٍ لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ، إِنْ تَأْتُوا الْقُرْآنَ بِظَاهَرٍ مُعْتَدٍ وَخِشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّا تَزَكِّى نَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ، وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ، وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ، إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ * إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ، إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ، وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَايِبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ وَالْأَنْعَامِ

مُخْتَلَفٌ أَوَّاهُ كَذَلِكَ، إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ * إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ * لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ *

للك الحمد اللهم أن أنزلت هذه الآيات البيّنات بلسان عربي مبين، على عبدك ورسولك محمد خاتم النبيين وإمام المصلحين، فأثرت بها وبأمثالها تلك الظلمات، وأحييت بها أولئك الاموات، فأقاموا ما أنزلت من الكتاب والميزان، (١) وأدبوا بالحديد من أباهما من أهل الطغيان، حتى ترزلت في الممالك تلك التقاليد، والقت اليهم الامم بالمقاليد، فكانوا - وهم الاميون - أئمة أهل الكتاب والحكمة، وسادة أهل السلطان والقوة، فصل وسلم اللهم على ذلك النبي المرشد الحكيم، «ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايّمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم».

ثم خلف من بعد هذا السلف الصالح خلف كفروا بنعمة آياتك فاستبدلوا بها مذاهب وتقاليدهم بها عاملون، «وتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون»، وغرتهم الحياة الدنيا فطفقوا بالميزان، وغرهم بالله الفرور فأنحرفوا عن صراط القرآن، وطلبوا العزة بالكلم الخبيث، دون العمل الصالح والسعي الخيّر، فكانت عزتهم ذلا، وكثرتم فلا، ومكروا السيئات فقادوا العلماء والفقهاء، بسلاسل سياسة السلاطين

(١) قال تعالى «لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط»، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس» والمراد بالميزان البرهان العقلي في المقائد والعدل في الأحكام

والامراء ، وأوهموا الوازرين والخطائين ، بأن سيجمل أثقالهم عنهم تفر من صلحاء الميتين ، ففسدت الاعمال والنيات ، واتكل الاحياء على شفاعة الاموات ، وتبع ذلك تفرق الكلمة بالباطل . وعدم الاجتماع على نصرة الحق ، فخلا الجو للامراء الظالمين ، والرؤساء الفارزين ، وفسد بذلك على الامة أمر الدنيا والدين ،

طفنوا في الكتاب ففضلوا الاعمى على البصير ، وطفنوا في الميزان فاختاروا الظلمات على النور ، وأخرجوا الامة من الظل الى الحرور ، وفقدوا حياة العمل والتعاون فاستمدوا المعونة من أصحاب القبور ،

جهلوا آيات الله في الاكوان ، وحكمه في اختلاف الاوضاع والالوان ، ورغبوا عن معرفته تعالى بآياته في الآفاق وفي أنفسهم كما أرشدهم القرآن ، وحاولوا معرفته بنظريات فلسفة اليونان ، قماروا بالبيان ، وقلدوا في الدليل والبرهان ، فكانوا بلا علم ولا عرفان ، ولا خشية ولا إذعان ، وانما هي دعاوي يلوكها اللسان ، واماني يسولها الشيطان ،

وجملة القول انهم أضاعوا مقاصد القرآن كلها ، وان شئت قلت أضاعوا دين الاسلام كله فان الاسلام هو القرآن ، وما جاء في بيانه من سنة النبي عليه الصلاة والسلام ، قال تعالى « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « اذا كان شيء من أمر دينكم فاليّ واذا كان شيء من أمر دنياكم فاتمّ أعلم به » رواه أحمد ومسلم وابن ماجه عن أنس والاخير عن عائشة . وقال أيضا « أتمّ أعلم بأمر دنياكم » رواه مسلم عن أنس وعائشة

وقد حرم علينا الخلف الطالح الاهتداء بالقرآن والسنة في أمر ديننا

ولم يعطونا حربة للعمل في أمر ديانا، وزعموا ان الدين هو الذي حكم
بذلك التحريم وبسلب هذه الحرية، فاذا احتججت عليهم بالكتاب والسنة
على ان طريقهم هي المخالفة للدين، قالوا انما نحن واياك من المقلدين،
واذا استدلت عليهم بالعقل قالوا انما انت من الملحددين، ولا يرضيهم الا
اتباع آرائهم وآراء بعض المؤلفين الميتين، على هذا جرى علماء الرسوم مع
الحكام والسلاطين، فهدموا ذلك البناء المتين، ومازوا الهادمين، وكذلك
أهلك الله من أهلك من الامم باستبداد الرؤساء المترفين،

ليت هذه الامة التي نكبت بهؤلاء الرؤساء في دينها ودنياها تعلم
ما هي قوتهم التي يستعينون بها عليها؛ ليتها تعلم انها هي قوتهم التي
بها يعززون، وانها هي معاولهم التي بها يهدمون، وانها هي حجتهم التي
بها يحتجون، ذلك بأنهم اذا قالوا ان وضع كتب الشريعة بصفة سهلة كوضع
كتب القوانين بدعة منكرة قالت العامة: بدعة منكرة: وان أدى هذا
القول الى استبدال القانون الفرنسي بالشريعة. واذا قالوا ان العلوم الطبيعية
والرياضية كفر أو طريق الى الكفر قالت العامة: هي كفر وأي كفر:
وان حرمت الامة بذلك من مجازاة الامم الحية وصارت تحت أقدام الامم
التي يسمونها كافرة فاجرة، - فيا ليت هذه الامة تعلم من أضاع شريعتها
ودينها، ومن أفسد عليها أمر دنياها، وباليتهاتعلم انهم ما قدروا عليها ولاها.
طال زمن الهدم في هذه الامة لاتفاق رؤساء الدين مع رؤساء
الدنيا عليه، ولكن قد تباينت الرغائب في هذا العصر لاسيما في البلاد
الهندية والعثمانية والمصرية فقد دخلت في الامم بعض العلوم العصرية،
والاعمال المدنية، فانقسمت الامم الى قسمين عظيمين قسم يريد المحافظة

على التقاليد والعادات القديمة باسم الدين، وسلاحه موافقة العامة، وقسم يريد الانسلاخ منها وأكثر أهله من الخاصة، وأهم ما استفاد هذا القسم من التعليم الجديد حرية الفكر. لذلك تولد من بين هذين الزوجين قسم ثالث يريد التوفيق بينهما واقناع الجميع بأن الاسلام دين الفطرة والمدنية ودين العلم والعقل، والمنار انما أنشئ لهذه الدعوة وتأيد هذا الحزب وتنميته، والرجاء بالله ان يكون هذا الحزب هو الفائز والعاقبة له « فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض، كذلك يضرب الله الامثال »

باب آثار السلف

(خطبة من خطب عمرو بن العاص)

منقولة من الجزء الثالث من كتاب أشهر مشاهير الاسلام

رأينا في تاريخ ابن عساكر خطبة نفيسة لعمر بن العاص من أحسن أقواله يوصي بها الناس بالقصد وعدم السرف وحسن معاملة القبط وصرف العناية الى خيل الجند بالقيام على تربيتها وسمنها وغير ذلك من الوصايا الجميلة النافعة رواها ابن عساكر عن بَحِير بن داخر المَعَاوِي قال :

ركبت أنا ووالدي الى صلاة الجمعة وذلك آخر الشتاء بعد حم (كذا) النصارى بايام يسيرة فأطلقنا الركوع اذ أقبل رجال بأيديهم السياط يؤخرون الناس فذعرت فقلت يا أبت من هؤلاء ؟ قال يا بني هؤلاء الشرط . واقام المؤذن الصلاة فقام عمرو ابن العاص على المنبر فرأيت رجلا قصيرا قائما أدعج أبلغ (١) عليه ثياب موشية (أو موشاة) كأن بها العقيان (٢) تتألق عليه . وعليه عمامة ووجهه فحمد الله وأثنى عليه حمداً موحزاً وصلّى على نبيه صلى الله عليه وسلم ووعظ الناس فأمرهم ونهاهم فسمعتهم يحض على الزكوة وصلة الرحم وينهى عن الفضول وكثرة العيال وقال في ذلك

(١) الادعج اسود العين والابلع المضي المشرق (٢) العقيان الذهب الخالص

يا معشر الناس أي وخلا لا ر بما فاتها تدعو الى نصب بعد الراحة، والى الضيق بعد السعة، والى الذلة بعد العز، أي وكثرة العيال، وانخفاض الحال، وتضييع المال، والقييل بعد القال، في غير ذلك ولا نوال، ثم انه لا بد من فراغ يأول المرء اليه في توديع جسمه، والتدبير لشأنه، وتخليته بين نفسه وبين شهواتها، فمن صار الى ذلك فليأخذ بالقصد (١) والنصيب الأقل، ولا يضيع المرء في فراغه نصيب نفسه من العلم فيكون من الخير عاطلا، وعن حلال الله وحرامه عادلا يا معشر الناس قد تدلت الجوزاء، وركبت الشعرى، واقامت (٢) السماء، وارتفع الوفاء، وطاب المرعى، ووضعت الحوامل، ودرجت السماثم (٣) وعلى الراعي حسن النظر. فحي بكم على بركة الله على ريفكم فتناولوا من خيره ولبنه، ومرافقه وصيده، وأربعو انجيلكم وأسمنوها وصونوها وأكرموها فانها جنتكم (٤) من عدوكم وبها تتالون مغائكم (نعملون) أفعالكم. واستوصوا بمن جاورتم من القبط خيراً. وإأي والمومسات (٥) المفسدات فانهم يفسدون الدين ويقصرون الهمم. حدثني عمر امير المؤمنين انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله سيقطع عليكم بمدي مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فان لكم منهم صهراً وذمة، فكفوا أيديكم وفروجكم وعضوا ابصاركم. فلا علمن ما أتاني رجل قد أسمن جسمه وأهزل فرسه (٦) واعلموا اني معترض الخيل كاعتراض الرجال فمن أهزل فرسه من غير علة حططته من فريضته قدر ذلك. واعلموا انكم في رباط الى يوم القيامة لكثرة الاعداء حولكم، ولا شراف قلوبهم اليكم والى داركم، معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة التامة. حدثني عمر امير المؤمنين انه سمع رسول الله (ص) يقول (اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جنداً كشيءا فذلك الجنس خير أجناد الارض) فقال له أبو بكر: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: (لانهم في رباط الى يوم القيامة) فاحمدوا ربكم معشر الناس على ما اولاكم واقيموا في ريفكم ما بدم السكم.

(١) أي بالاعتدال (٢) واقامت السماء اي كفت وهو كناية عن انقطاع المطر (٣) كذا في الاصل ولعلها السواثم وهي الماشية (٤) الجنة هي الوقاية (٥) الدواهر (٦) جواب قسم محذوف أكد بالثبوت الثقيلة وما مصدرية اي فوالله لا علمن اتيان رجل موصوف بما ذكر في طيه من الترهيب البليغ ما لا يخفى وقديين بعد جزء من فعل ذلك بقوله فمن أهزل فرسه الخ

فاذا يبس العود، وسحق العمود، وكثر الذباب، وحمض اللبن، وصوّح (١) البقل، وانقطع الورد، فغني على فسطاطكم على بركة الله، ولا يقدم احد منكم على عياله الا ومعه تحفة لعياله على ما اطاق من سعة او عسرة اهـ

(المنار) هكذا كانوا يخطبون الناس - يعلمونهم ما به صلاح دينهم ودنياهم ويرشدونهم الى حسن العمل في المعاش، وحسن المعاملة مع الموافق والمخالف . فليعتبر بهذا خطباء التقليد في هذا العصر ان كانوا يفقهون . و (السماثم) نوع من الطير والسماثم النمل . والشعري الكوكب الذي يطالع في الجوزاء وذلك عند اقبال الحر . فهو يقول ذهب الشتاء وجاء وقت العمل والحراث . والوصية من النبي وعمر و بالمرابطة في مصر تدل على ان هذه البلاد لا تحفظ من اعتداء الاجانب الا بالقوة الجندية الدائمة فانها مقصودة من الفاتحين لخيرها وضئف اهلها ، ولكن المسامين المتأخرين والمتوسطين ، لم يفهموا ما يؤثر عن الاولين ،

﴿ باب السؤال والفتوى ﴾

(البعث الجنائي)

(س ٥) عبد الرحيم أفندي محمد القناوي الحسيني بمدرسة الحقوق بمصر تحدث مرة مع صديق عن كيفية البعث والنشور وهل الحشر والحساب يكونان بالاجسام التي نحن بها في عالم الدنيا كما جاء في أصول الشريعة أم بغير ذلك . فانكر على ان الحشر يكون بالاجساد وعد ذلك من المستحيلات مستنداً في رأيه على ما درسه من علوم الطبيعة حيث تقرر بها ان العلم التجريبي أثبت ان المادة لا تزيد ولا تنقص ولا تعجم مطلقا وان جميع الكائنات من نبات وجماد وحيوان تتداخل وتتناسخ فاذا مات الانسان وصار رقاً فاحلل جسمه الى العناصر البسيطة الاولى التي يتركب منها كالكربون والازوت وقد ذهب بعض علماء الكيمياء الى ان الجسم يتركب من سبعين عنصراً مختلفة فهذه العناصر التي كان يتركب منها الجسم حال وجوده لا تعدم بعد فقده وانما تحلل تحليل كيمياوي وينفرد كل عنصر على حدة ثم يمتزج بما يلائمه من المواد

الأخرى ومن ذلك تكون الاسمدة والاسبغة التي تتغذى منها النباتات والاشجار ومنها يأكل الانسان فيتغذى جسمه وينمو وبهذه الوسطة تتكون الاجسام الحية من ثمرات البالية المدثرة وهكذا تقدم تلك الاجسام الحية وتتكون منها اجسام أخرى حتى يأذن الله . اذا تقرر ذلك نتج بلاشك ان جثمان أحد معاصرينا مثلاً مركب من عدة اجسام تحللت وقد دخلت في تكوينه بواسطة الطريقة المتقدمة فاذ اسلمنا بان الحشر سيكون بالاجساد التي نحن بها في الدنيا فكيف يمكن حشر هذه العناصر اذا جاء يوم الحساب ؟ بل كيف يمكن حشر العالم باجمعه منذ خلق الدنيا لان المادة الموجودة لا تكفي لذلك ؟ فدعني الحالة الى تحرير ذلك اليكم اتركوا بفضل علمكم كل شبهة تتعلق بهذا الموضوع والسلام عليكم

(ج) ان علم الكيمياء قد قرب بارتقائه مسألة حشر الاجساد من العقل وأدناها من التصور حتى صرنا نبحث في كيفيةها بحثاً علمياً على ان أمور الآخرة من عالم الغيب التي يكنفي فيها بالتسليم الاجمالي من غير بحث في الكيفية وانما يشترط فيها ان تكون من غير المحال عقلاً فليس لنا ان نبحث عن كيفية البعث ولا عن كيفية الحساب ولا عن كيفية الجزاء في دار النعيم ودار العذاب متى علمنا انها ممكنة. اما شبهة محاذنك التي صورت له البعث بالروح والجسم معاً محالاً فهسي واردة على أقوال بعض العلماء أو أكثرهم اذ زعموا ان البعث إنما يكون بالجسم الذي عمل به الانسان أعماله التي يجازى عليها . ولم يرد هذا القول في النصوص الإلهية وانما هو شبيهاً باستبطوه بأفيسهم وفلسفتهم النظرية اذ قالوا لا يجوز ان يقع الجزاء الاعلى الجسم الذي تلبس بالعمل مثلاً يكون الجزاء على غير العامل . وبالنسبة شعري ماذا يقول هؤلاء اذا اطلعوا على ما أثبتته العلم حديثاً من تبدل مادة جسم الانسان في كل بضعة سنين مرة بمعنى أن الاجسام التي نعيش بها اليوم ليست عين الاجسام التي كانت لنا قبل هذه المدة ؟ أيقولون فيمن ارتكب ما يوجب الحد وغاب مدة ثبت العلم انه قد تحلل فيها كل جسمه الذي زاول به ذلك العمل السيئ انه لا حد عليه ولا جزاء لأن الجسم الذي عمل قد ذهب وحل محله جسم آخر ؟ ؟

ان الدين قد اثبت ان للناس حياة أخرى بعد هذه الحياة وانما الناس خلق مركب من جسد وروح وسيكونون في الحياة الثانية ناساً كما كانوا في الحياة الاولى الا ان

تلك الحياة أرقى من هذه الحياة للراقيين وأسفل منها للمتسفلين فمن عرف ما هو
الإنسان بحسب العلم الحديث سهل عليه ان يقبل هذا الاعتقاد لانه يعلم ان الحياة صفة
لازمة للروح وان ظهور الارواح في الصور المادية هو الذي يعطي المادة الحياة وبهذه
الحياة تأخذ من عناصر الطبيعة ما يكون ممددا للجسم الذي تظهر فيه وعوضا عما
يتحلل منه وينتثر كل آن ، وبها يكون الجديد كالقديم في وضعه وصفاته الصورية والمنوية
بحيث لا يكون الإنسان المعين يتحلل جسمه الاول وحدوث جسم جديد له إنسانا آخر
واذا فهمنا هذا نفهم انه لا يشترط في تحقق الحياة الثانية ان تكون مادة الجسم
هناك عين مادته هنا لانه ليس له هنا مادة ثابتة مستقرة بذاتها وعينها وإنما هي مواد
معينة بالتعيين النوعي دون الشخصي فالعناصر البسيطة لا تشخص في اجزائها يميز جزءا
عن جزء وإنما هي كالنياب تتجدد على كل حي ويبقى هو هو « وننشككم فيها لا تعلمون »

والقول بأن كل جزء من اجزاء العناصر دخل في بدن لإنسان لا بد ان يعود بعينه
في الآخرة اليه فلسفة باطلة وهو محال كما قال محدث السائل لان هذه الاجزاء كما دخلت
في بدن زيد دخلت في ابدان الألو ف وألو ف من الناس والحيوان والنبات
ولان هذا القول يقتضي ان يكون كل شخص في الآخرة كبير الجرم جداً الى درجة لم
تخطر على بال احد حتى الذين قالوا ان طول الانسان في الجنة يكون ستين ذراعا

ولا يقال ان مادة الارض لا تتكفي لاجسام جميع من عاشوا عليها اذا عادوا كاهم احياء
في ذلك اليوم الآخر لان الحياة الاخرى ليست على هذه الارض وانما تكون يوم
تبدل الارض غير الارض والسموات ، وانما يكون خراب العالم باصطدام الارض
باحد الاجرام السماوية ثم بانتثار الكواكب ورجوعها هباء (أو سديما) كما كانت قبل هذا
التكوين « اذا رجَّت الارض رجاً وبُسَّت الجبال بَساً (أي تقطت) فكانت هباء منبثا »
« اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت » وفي معنى هذه الآيات آيات كثيرة
فالنشأة الآخرة تكون في كوكب أو عالم أكبر من هذا العالم والارواح الخالدة تأخذ
منه مادتها ويكون الناس هم هم كما يتبدل جسم الانسان في الدنيا عدة مرات ويبقى هو هو
في عقائده وأخلاقه وعاداته والله أعلم وأحكم



﴿ علم الغيب للانبياء ومسألة كتابة عمر للنيل ﴾

(ن ٧٦٠) الدكتور نصر افندي فريد بالمنصورة : جمعنا مجلس علمي تناقشنا فيه مع احد افاضل الازهريين اذ تنبأ ان المحكمة ستبري متهمين في قضية قتلنا له : لا يعلم الغيب الا الله : فقال ان لي حجة في قوله تعالى « الا من ارتضى من رسول قلنا لست برسول فقال : يقصد بالرسول هنا في اللغة ما يعي لا النبي المرسل المصطاح عليه فقط : فحاجبناه فلم يقتنع

ثم دار بنا الحديث على مسألة كتابة عمر رضي الله عنه ورقة للنيل في مسألة الفيضان المعلومة قتلنا له انها خرافة وثنية مخالفة للدين وقد كنا قرأنا ذلك في مناركم الاغر لكننا لم نعرض عليه الا ان نرجو نشر ذلك مع الفتوى في مناركم الاغر إحقاقا للحق وازهاقا للباطل حتى لاتعم هذه الخرافات التي أضرت بالدين الخفيف

(ج) قوله تعالى « علم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول » يراد بالرسول فيه النبي المرسل المبالغ عن الله تعالى دينه بدليل قوله تعالى في الآية التي بعد هذه « ليعلم أن قد أبغوا رسالات ربهم » فقول الازهري ان لفظ الرسول هنا عام يشمل النبي المرسل وغيره باطل لاوجه له وبالله عليكم سألتهم عن هذا العموم اللغوي أيدخل فيه كل رسول أرسله إنسان في حاجة له أم يشمل بعض رسل الناس دون بعض وماعنى العموم حينئذ . واتنا لنعلم ان كثيرا من الذين أخذوا بعض قشور العلم يحرفون كل كلام حتى كلام الله تعالى أيؤيدوا دعاويهم أمام الناس وان هذا من أكبر أبواب الفساد الذي طرأ على العلم والدين ولكنهم كانوا يحرفون ويأولون ما يحتمل ذلك بحسب اللفظ في الجملة وما رأينا أحدا تجرأ مثل أزهريكم على تحريف القطعي تفسيرا للقرآن برأيه وهواه نفوذ بالله : ولو صح ان يكون مثل هذا رسولا لما كان ممن ارتضى الله .

ثم ان المراد بالغيب الذي يظهر الله من ارتضى من رسله عليه هو عالم الآخرة فقد أظهرهم على أمر الحساب والجزاء وأعلمهم بأن هناك دارا للنعيم ودارا للعذاب، وأطلعهم على عالم الملائكة الخ ما أبغوه من رسالات ربهم كاهو منصوص في الكتاب العزيز . وليس معناه ان الله تعالى يطلع الرسل على ما غاب من أمر العباد وما يجري لهم في الدنيا من رزق ونعيم وبلاء وغير ذلك . والدليل على ان هذا غير مراد ما أمر الله

تعالى خاتم النبيين ان يبلمه للناس عن نفسه بقوله « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء » ، إن أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » وما حكاه ايضا عن غيره من رسله كقوله عن لسان نوح عليه السلام « ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك » الخ وأمر نبينا بمثل هذا في سورة الانعام
وأما مسألة النيل فقد كان من وثنية قدماء المصريين الاعتقاد بأن النيل مقدس اواله وان عمر بن الخطاب عليه الرضوان ابطال خرافة إنقاء البذت العذراء فيه كإنقل والقصة مبسوطه مع تأويلها في مجلد المنار الثاني فلتراجع في مبحث الكرامات المأثورة (ص ٥٥٠)

﴿ البدعة الدينية والبدعة الدنيوية ﴾

(س ٨) ١٠ ش. التتاري بروسيا: ايش معنى البدعة والمحدث في قول النبي صلى الله عليه وسلم « وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » ومعنى السنة الحسنة في حديث الرسول (ص) « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها » ؟ وقد قسم بعض العلماء البدعة الى حسنة وسيئة وبعضهم يقول ان كل بدعة سيئة وضلالة كما في الحديث والمراد من السنة الحسنة الشيء الآخر فكيف العمل دام فضلكم؟
(ج) كل ما أحدثه الناس في أمر الدين ولم يأخذوه من كتاب الله أو سنة رسوله المينة لكتابه فهو بدعة سيئة وضلالة يستحق متبعها العقوبة في النار وان لم يصح في الحديث زيادة « وكل ضلالة في النار » فقد أتم الله الدين وأكمله فمن زاد فيه كن نقص منه كلاهما جان عليه وغير راض بما شرعه الله. وأعني بالدين هنا مسائل العقائد والعبادات والحلال والحرام دون الاحكام الدنيوية التي فوض الشرع أمرها الى أولي الأمر ليقسوها على الاصول العامة التي وضعها لها. ذلك أن الجزئيات لا تنحصر فيحدددها الشرع بل تختلف باختلاف العرف والزمان والمكان فمن ابتدع طريقة لتسهيل التعامل أو التقاضي غير ما كان عليه السلف وكانت نافعة غير منافية للاصول الشرعية العامة كبعض نظام المحاكم الجديد - كان له اجر ذلك، وامامنا يعتقد في الله واليوم الآخر وما يتقرب الى الله تعالى به من العبادة فهو لا يختلف ولذلك لا يقبل رأي أحد فيه بل يؤخذ كما ورد عن الشارع من غير زيادة ولا نقصان. وانا لنعجب من الذين زادوا في العبادات أحكاما وأذكارا وأورادا كيف غفلوا عن تقصير الناس في القيام بما ورد فقاموا بظالبونهم

بأكثر منه وقد قال النبي (ص) في الاعرابي الذي حاف انه لا يزيد على ما فرض الله عليه شيئا ولا ينقص منه شيئا «أفالج الاعرابي ان صدق» وهذه أذكار القرآن وأدعيته لانكاد نرى مسلما من أهل الاوراد يدعو بها كلها فهل كانت أدعية شيوخهم المخترعة خيرا منها؟ على ان الدعاء بغير ماورد لا يعد بدعة الا اذا كان مخالفا لما ورد أو كان معه بدعة أخرى كاتخاذ شعارا دينيا والتزامه في مواقيت معينة

وأما السنة الحسنة والسنة السيئة في الحديث الآخر فهي تشمل كل ما يخترعه الناس من طرق المنافع والمرافق الدينية أو طرق المضار والشرور فمن اخترع طريقة نافعة كان مأجورا عند الله تعالى ما عمل الناس بسنته وله مثل أجر كل عامل به لانه السبب فيه، وكذلك حكم مخترعي طرائق الشرور والمضار كالضرائب والغرامات والفواحش عليهم وزرها ما عمل الناس بها كالتقدم، ونظن ان قد سبق لنا الامام بهذا المعنى وقد أوضحناه انهم الايضاح في كتابنا (الحكمة الشرعية) فمضى ان نوفق لطبعه

وقالوا بدعة حسنة وبدعة سيئة وهو يصح في البدعة المغوية والدينية. ومن قال من العلماء ان البدعة لا تكون الا سيئة أراد البدعة الشرعية أي الابتداع في الدين وقد ذكر نحو هذا ابن حجر في الفتاوى الحديثة

﴿ كيفية زيارة قبور الصالحين ﴾

(٩) محمد افندي صدقي بزفتي : طالعنا ما نشرتموه في شأن البدع التي تحصل عند زيارة مقامات الأولياء مما تكافئون عليه من الله بأحسن الجزاء ونسأل الله ان يوفقكم الى تربيتنا وهدينا الى سواء السبيل . ونرجو ان ترشدونا الى ما يحسن اتباعه عند زيارة هذه المقامات خصوصا مقامات آل البيت ولكم الشكر

(ج) لم يرد في الكتاب ولا في السنة التي يحتاج بها شيء في زيارة قبور الصالحين خاصة بل كان النبي عن زيارة القبور في أول الاسلام مقصودا به إبعاد المسلمين عن مظنة تعظيم قبور الصالحين ولما أذن النبي بعد ذلك بالزيارة لرجال وعلم ذلك بانها تذكر بالملوث او بالآخرة ظل ينهى عن تشريف القبور وبناء المساجد عليها وعن الصلاة بالقرب منها وعن إيقاد السرج عليها وكان يلعب فاعلى ذلك وقال في بعض هذه الاحاديث وأولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فسات بنوا على قبره مسجدا الخ

كما في مسند أحمد وصححي البخاري ومسلم وغيرها من الكتب . فلم من هذه الأحاديث إن زيارة قبور الصالحين هي مظنة الفتنه وتعظيم ما لم يأذن الله بتعظيمه لاسيما اذا كانت هذه القبور محاطة بالبدع كبناء المساجد عليها وإيقاد الشموع عندها والصلاة بالقرب منها والتمسح بأحجارها ونحاسها والتماس الحبر ودفع النثر منها بالاستقلال أو بواسطة فهدم البدع والمنكرات تجعل زيارة قبور الصالحين دون زيارة سائر القبور التي تقل عندها المنكرات الا اذا كان من يحضر عند تلك القباب والمساجد يأمر بالمعروف وينهى عن كل منكر يراه . فان كان لا يفعل هذا فأي فائدة له من حل حرمة السكوت على المنكرات الكثيرة لاجل فائدة الزيارة التي لم تفرض عليه ولم تسن له ولم تعهد من الصحابة عليهم الرضوان وغاية ما فيها ان النبي (ص) اذن بها لاجل الاعتبار بعد النهي والمنع، والأمر الوارد على منهي عنه يفيد الاباحة وأكثر ما فيه ان يقال هو مستحب اذا خلا من كل منكر

على اتنا مع العلم بهذا كله قد اعتدنا لحكمة ومنفعة خاصة لزيارة قبور المعروفين بالعلم والصلاح وبينها في المنار من قبل وهي تذكر تاريخهم وسيرتهم الحسنة وما يبعث في النفس حب التأسي بهم في طاعة الله وخدمة الحق وخذلان الباطل وهذا المعنى هو المراد من قول بعض العلماء ان في زيارة قبور العلماء العاملين والصالحين بركة فان البركة هي الزيادة والزيادة لا بد ان تكون في شئ مزبد فيه ولا شئ في مقام الزيارة موضع للمزيد الا الاعتبار المقصود من الزيارة شرعا . ويستحب للزائر ان يسلم ويدعو للمزور كما ورد فيقف متأملا معتبرا داعيا مستعبرا . فهذه هي الزيارة المحمودة والأحاديث صريحة في أن الرخصة في زيارة القبور خاصة بالرجال فلا تجوز للنساء .

﴿ تشيع الجنائز ﴾

(س ١٠) ومنه: نرجو الافادة عما يجب اتباعه في تشيع جنازة الميت . وهل يجوز ما هو شائع الآن من قراءة القرآن والاذكار والصلوات وغير ذلك في الشوارع والاسواق أم لا ؟ والله المسؤول ان يقيكم ويجعلكم خير مرب لامة آمين

(ج) الذي يستفاد من الأحاديث الصحيحة انه يستحب الاسراع بالجنازة ومحرم تباع المصحوبة بناثجة وقد ذكرنا من قبل ان هذه الاذكار والاشعار والترانيم التي

يصبح بها المسلمون امام الجنازة متبعدة وانها سرت اليهم من الملل الاخرى واطمن ان
أكثر الناس لا يزالون يعرفون هذا فاننا نسمعهم يقولون في الجنازة التي لا اصوات معها :
انها على السنة : وان لكل حالة عبادة تناسبها ولا أفضل لمشييع الجنازة من التفكير في
الموت وما بعد الموت

القسم العمومي

نظام الحب والبغض

تابع حب القوة

(رابطة المدنية)

ويظهر ان أول مال تموله الانسان هو ما أسره من الحيوانات الكثيرة التي سهل
عليه أسرها وتأنيسها . أي جعلها أنيسة غير نافرة ولا عادية . وهذه الحيوانات التي
طفقت تتناسل وتزايد في ظل حمايته ورعايته وعنايته قد استغنى أولئك الاوائل
بعض الاستغناء عن الكد في الصيد . فان الفاطر أوحى اليهم ان يجربوا ألبان الحيوانات
المأسورة فأروا ان ألبان البعض منها غذاء طيب ساد عن كل شيء . ووجدوا بعد
هذا ان اللحوم أمر زايد يجنحون اليها اذا ما وجدوا في أنفسهم سامة من الالبان . ولا
يعد انهم قبل ان يتمولوا هذا المال كانوا يجترأون بالعشب والحبوب يوم لا يجسدون
مصيداً . ولذلك بقوا يجنحون الى بعض الاعشاب التي استطابوها بعد ان وجدوا هذا
الغذاء الكافي . وربما كان تخصيص بعض الحبوب والنباتات بالاكل تطلباً بوحى وإلهام
ثم اعتادوها دائماً حتى صاروا يدخرونها ولذلك يجوز لنا ان نظن ان المال الثاني
الذي تموله النوع هو ما اعتاد أكله الانسان مما تخرج الارض من نباتها وحبها فكان
طلق فريق منهم يحجمونها ويدخرونها ثم وجدوا جرجاً في جمعها حبة حبة مثلاً من
كل بقعة فأروا ان يبذروها في بقاع خاصة فحدث لهم صناعة الحرث والزرع ولا تنسوا
تلك المدي الصوانية فهي التي نجرت لهم المحراث الذي يحثون به في الارض ليدفئوا
به الحبوب وهي التي نجرت المدق لاستخراج الحبوب .

ولما كان المزرع يستدعي الحفظ من الحيوانات طواعم الاعشاب وادخار الحبوب
ليوم البذر ليستدعي أما كن يؤمن فيها من البلل الضار بها احتاج الذين غنوا بهذا

المال الثاني الى الاقامة بجوار الارضين التي يذرون فيها واحتاجوا الى اتخاذ بدل عن تلك الاخيرة التي لا تقي الحبوب الكثيرة من البلل فأرأوا ان يقلدوا الفيران ويتخذوا لهم ولحبوبهم أماكن مخينة يؤلفونها من الحجر والتراب ، أو من الاعواد والتراب . وليس ببعيد ان يكونوا تعلموا صناعة البناء من الحيوانات الصغيرة التي تدخر الحبوب كالنمل مثلاً كما تعلموا صناعة النسيج من الحيوانات التي تنسج كالفضكوت مثلاً ولكن الاقرب ان يكونوا تعلموا كل أوائل الاشياء بالهام من الفاطر كما ان الحيوانات كلها تعلمت ما تحتاج اليه بحسب خلقتها بالهام منه (جل وعلا) .

ثم عجز هؤلاء الزراع عن ان يتولوا الكثير من الحيوانات المأسورة لان العناية بها تقتضي الرحيل الدائم لاجل تتبع الارضين التي فيها الكثير من العشب الطبيعي وعجز أوائلك الرعاة عن ان يتولوا الكثير من تلك الحبوب التي تقتضي الاقامة والاشغال بالحرث وتوابعه فانقسم الذين كانوا مجتمعين الى فريقين فربق المتمولين من الحيوانات وفريق المتمولين من الحبوب . واختار كل من الفريقين ماملات اليه نفسه من المال ودأب يسمى في تربيته والاثراء منه وبحسب هذا الانقسام انقسم الوطن الى قسمين وطن الرحل ووطن المقيمين . وأصبح كل من الرحل والمقيمين محتاجين في الحقوق والمعاملات التي بينهم أنفسهم الى ناموس . ومحتاجين الى ناموس آخر في الحقوق والمعاملات التي بينهم وبين الآخرين . ويمكننا ان نسمي الاول بالسياسة الداخلية ، والثاني بالسياسة الخارجية .

وهنا حان لنا ان نأتي القراء بالاشارة الى أقسام النظم التي تندرج تحت تينكم السياستين لتعلموا ان الشرائع كثرية الاخلاق قديمة جداً ينتهي قدمها الى أوائل المجتمعين من البشر وذلك لايعلمه الا الذي خلق . وبذلك تعلمون قدم عهد المدينيات التي بسطنا هذا الكلام لتشرح شيء من بنيتها التي عظمت جداً . والخالق اعلم بما سيكون فن تلكم الاقسام نظام المبادلات والمعادلات وبدون هذا النظام لا يتم اجتماع صالح للنمو والامن والتميز على الحيوانات وفيه أقسام (١) شريعة اليوع . وهو اللازم العاشر و (٢) شريعة الاجارات وهو اللازم الحادي عشر . و (٣) شريعة القسمة : وهو اللازم الثاني عشر و (٤) شريعة القروض والودائع والعواري وهو اللازم الثالث

عشر و (٥) شريعة القصب والاتلاف . وهو اللازم الرابع عشر
ومنها نظام المواريث وهو اللازم الخامس عشر . وهذا أيضا من الضروري لانه
اذا مات الواحد لا بد من ان يأخذ ماله الاحياء فمن هو الاحق بأخذه .
ومنها نظام الجزاء وهو اللازم السادس عشر فبدون الجزاء يتبادى المعتدي ويتفي الامن
ومنها نظام حماية الضعفاء وهو اللازم السابع عشر . فبدون تي الحماية يؤل
الامر الى عدم تكاثر القليلين وهم الى ذلك محتاجون
ومنها نظام المعاهدات الخارجية . وهو اللازم الثامن عشر فبدونه لا يتسنى لسكان
الارض من البشر ان يستريحوا طرفة عين . ولولاه لما تما البشر وما أخذ النوع
حظه من التميزات والارتقاء البديع .

ومنها نظام احداث القوة . وهو اللازم التاسع عشر .
وفي هذا أقسام (١) ركر القوة في مركز أي اقامة الرئيس ونصيبه (٢) طاعة
الرؤوسين للرئيس (٣) تسليم القوة للرئيس (٤) شروط الرئيس والراثة والطاعة
واستلام القوة والتصرف بالقوة وحدود كل من المذكورات ومقاديرها .
ومنها نظام وضع النظمات . وهو اللازم العشرون وما أخرناه في الذكر الا لانه يتأخر
حدونه في المجتمعين لانهم يضمون النظمات أولاً من غير نظام فيظهر فيها خلل ما قليل
أو كثير فيحتاجون لنظام النظمات ، قانون القوانين ، ناموس التواميس ، شريعة الشرائع ،
هذه الشرائع والنظمات ، أو هذه اللوازم والمقتضيات ، هي جل أو كل الاصول
التي نخوض في جداول فروعها علماء الاخلاق وعلماء الشرائع . وان كنت قد نسيت
شيئا فليس بعسير على من قرأ هذا النموذج ان يحصي ما نسيت مع ما ذكرت .

وكل ما أحصيناه يحتاج اليه الفريق الرتحل كالفریق المقيمين غير ان الرتحل الرعاة
بما جدوا على ذلك المسال الواحد وبما رضوا من الحياة البسيطة التي لازينة فيها بقوا في
أمر هذه الشرائع على سذاجة الفطرة أو ما هو قريب منها . واما المقيمون فانهم مازالوا
يتقلبون في الحاجات التي يسوقهم اليها حب الزينة (الذي يألف المقيمون ويندخ لديهم)
حتى توسموا في الحياة فاحتاجوا ان يتوسعوا في امر الشرع . ويظهر ان هؤلاء المقيمين
بعد ان اختاروا الاقامة لأجل زرع الحبوب وحفظها وما هو من بابها بدأوا يطلعون

بواسطة البحث في الارض للبذر فيها على ما في خزائن الارض مما نسميه «المعدن» وهو المال الثالث . ثم أخذوا يصطنعون من المعدن وبواسطة المعدن مصنوعات كثيرة زائدة وهي المال الرابع .

ولاجال للظن في معرفة أول معدن اطلع عليه البشر وعرفوا خاصته . ولكن يمكننا ان نظن ان الانسان بقي في ابسط الحالات حتى اكتشف سر النار وانهم لم ينفعه شيء من المعادن مثل مانعه الحديد . لان الحديد ابو الآلات كلها في اليوم الذي عرف الانسان خاصة الحديد ، دخل في دور جديد . وذلك لان اجتماع مئة انسان مثلاً في أرض واحدة وتجاورهم في المساكن يقضي عليهم ان لا يكونوا متحدثين في الصنعة لوجود كثيرة منها ان قواهم البدنية تختلف فمنهم من يستطيع الحرث ومنهم من لا يستطيع . افترك من لا يستطيع الحرث سدى ام يعمل شيئاً آخر وماذا يعمل؟ ومنها ان قواهم العقلية تختلف فمنهم من يجد ذهناً عمالاً غير الحرث فهل يجبر على الحرث ام يعمل كما وجد ذهنه . وما هو؟

ومنها ان قواهم القلبية تختلف فمنهم من يقنع بحالة واحدة ولا يفرح بالزينة ومنهم من لا يقنع ويكلف بها . افيموت قهراً لانه لم يجد ما يقنعه ام يتفكر بما يجاد ما يقنعه وما هو؟ ومنها ان المال الواحد اذا عمل الكل على تنميته نماء جاداً حتى يتسرع حفظه أو يصير العمل بتنميته على الدوام مع كثرته الهائلة عبثاً فهل يشتغلون بالعبث ام يتفكرون بمال آخرهم وما هو؟

هذه الوجوه الميئات هي الحاكمة على مئة مجتمعين معاً ان يتفكروا فيجدوا باذهانهم ماهي تلك الاشياء المسؤول عنها من الاعمال والصنائع اللازمة . وبعد ان يجدوا باذهانهم يعمل كل واحد منهم في العمل الذي استعد له بحسب بدنه ، بحسب عقله ، بحسب قلبه . واذا كان عشرة من المئة يكفونهم جميعهم الهمة في تحصيل الجيوب اللازمة مع الزيادة فماذا يصنع التسعون ثم اذا وسعنا هذا المقياس نرى ان الف الف من البشر يكفيهم في الحرث مئة الف مثلاً فماذا يصنع (٩٠٠٠٠٠) ؟

ليس شيء اسهل من ان يقول السامع : يشتغل هذا العدد بصناعات متعددة . نعم ولكن بم يصنعون ؟ ابايديهم للخدمة ام بالآلة الاولى الخشبية . ام بمداهم الاولى الصوانية؟

لايسهل الجواب عن هذا الا من بعدمعرفة خاصة الحديد والاستفادة منه . فانه في ذلك اليوم الذي عرف فيه الحديد تعددت المصانع ، فالتست المزارع ، فتوفرت المتاجر ، فعمظت الشرائع ،

وانا لنعلم انه ليس لأحد غير الخالق علم بكل ماقلب فيه الانسان من الاطوار لاسيما التي في بدء امره . ولكن جرأنا على هذه الظنون اعتقادنا ان هذا النوع لم يخاق له كل العلوم والصنائع التي تراها اليوم مثلا يوم خلق . وحلنا عليها اعتقادنا ان الاحتمالات العظيمة في النوع انما كانت على التدرج . واعتقادنا ان لكل اجتماع خواص تفغني ظهور أمور جديدة فتبعتها تلك المقتضيات وتظهر بسرعة او ببطء على قدر الاقتضاء على اننا اذا لم نجعل الحاضر فيما جرى للاولين ، لا يكمل تفهنا في أحوال الحاضرين ، ولا نكون قد أخذنا لانفسنا حظا من لذة النظر في مرآتي الكون الانساني التي تجلي فيها الصور على انحاء شتى بعضها في نظرنا أجمل من بعض ؛ ولاحظنا من فائدة التفكير لوجدان اسباب معقولة لمسببات محسوسة ؛ ووجدان خلق مجهولة ، تتصل بها الحلق المعلومه

نحن اليوم في قرى ومدن وبين أيدينا مالا يحصى من مزارع ومصانع ومعادن وحيوانات ؛ ونحن اليوم جماعات كثيرة بعضها لبعض عدو ، وبعضها لبعض ظهير ، انخلقنا هكذا ؟ أم أوصلنا الى هذا الحاضر ماض طويل ؟ اجيد لنا هذا الحاضر ؛ ايو جدا جود منه ؟ هل الاجود في الماضي ؟ هل الاجود في الحاضر ؟ ان كان في الماضي فامحاه ؟ ان كان في الآتي فكيف يأتي ومق ؟

يا اخوان القراءة لا تخطر في بالكم هذه الاسئلة ؟ الاتمهي ، شؤون هذه الحياة الاجتماعية الملققة من لبنات متعددة الالوان

وكيف يمكننا الجواب عنها اذا لم نجعل الحاضر بمنه وشمالا في الثقلبات الماضية ؟ من أجل ذلك تكلمنا في « رابطة القومية » على نبذة من ماضي الانسان في تناسله وتجاربه وتباعده حتى بينا ان تلك الرابطة نافعة غير ان نفعها ابر . وانه قد ينقلب نفعها ضررا اذا قاومت بأحكامها ما هو أنفع منها . ثم تكلمنا في « رابطة الدين » على نبذة من ماضي الانسان في احتياجه للمصطفين الأخيار الذين يوحى اليهم ان يعلموا البشر

اعظم اركان الحكمة وأصل الاصول في مصلحة النفس في انفرادها واجتماعها وبيننا فوائدها في شؤون نظام الاجتماع من حيث هو . وبالجملة قد بينا في الاثنيتين الاسباب التي تدعو اليهما والنتائج التي تنتج منهما . وبديهي لمن قرأ انهما كلتيهما لم تنتج عنهما وحدهما هذه البزة الحاضرة للبنية الاجتماعية أفلا يقال ما أحدثها ؛

ان أقل انما أحدثها «حب الزينة» و«حب التميز» فما كان الصواب ليعدوني في هذه القولة - وقد قلنا من قبل في مناسبة اخرى - ولكن هل يكفي حب الشيء في تحصيله من غير آلات ؟ ان ذلك لم يكن قط . فالآلات التي تحصل للنوع (افراداً ومجموعاً) مابه الزينة - على حسب اعتبار كل - ومابه التميز (على حسب تصور كل) هي اعضاء هذه البنية . وحب الزينة وحب التميز روح حركتها . والنظام الثاموس ، القانون ، الشريعة ، المنهاج ؛ روح تعظمها وتكملها وانبساطها .

ونسمي المجموع «رابطة المدنية» او «رابطة الوطنية» و«رابطة الاجتماع» او «رابطة الحكومات» وقد اخترنا الأول واقصرنا عليه . لانه اظهر دلالة بحسب اللغة والاصطلاح والحقيقة . ولل كلام في هذه الرابطة التي تحدث قوة كبرى للأمم المجتمعة . نحرر هذه النبرة وقد منا بين يديها هذا التمهيد عسى ان يكون موقفاً للتفكير فانما يسطع العلم في الافكار المتبينة .

(الها بقية) ع.ز

اِنَّ عَلَى الْمَرْءِ نَفْسَهُ

(تقريظ المنار ورسالة التوحيد * لاحد علماء الشيعة الاماميين)

بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على خير خلقه وسيد أنبيائه ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين *

لم أكن منذ تصديت لاكمساب المعارف والنظر في علوم الدين ، أرغب في الاطلاع على جريدة ، أو صرف مدة في امان النظر في مجلة ، لما انفرس في فكري من قلة الفائدة بذلك وتضييع الوقت ، حتى ملأت مسمعي ضوضاء المجلات وتعرضها للدين ، كل على حسب اغراضه ودواعيه ، فتأقت نفسي لمطالعة بعضها وتفرغ وقت

للتسريح النظر فيها ، وأولها وقع في يدي كراريس وصحف منفردة من مجلة الاسلام في عصر العلم فاعجبني من منشئها الفاضل الحمية للاسلام ، وعلو همته وتعلقه بأمور عالية يعم نفعها ، وتكثر حاجة الوقت الى بسطها ونشرها ، ونسئله تعالى ان يمدّه بسمعة الباع ، وكثرة الاعوان وعوز الاطلاع ، وقد رأيت يدور حول مركز لا يمدوه ويقرع بآبار بما يفتح له ان آدمي ، والاخسبه نواب حسن النية ، ولكل امرئ ما نوى وقد انقطع صوته عني منذ برهة ، وعسى ان تفتح له أبواب مقاصده ويتسع عليه مجاله وتزول العوائق عن سير مجلته وينفع الخاصة والعامة بما يهتدي اليه ويهديه للامة من دواء دأبها المضال

ومنذ أيام انحفت بالمجلد الخامس من مجلتكم الغراء ، حسنة هذه الايام ، ونتيجة سعد هذا الدور (منار الاسلام) ، بل النور الساطع في كافة الانام ، والملاحى بلألانه خادس الظلام ، ولا بدع اذ انبثق من فرع زيتونة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار ، وغصن شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، ومن طابت ارومته ، وزكت جرنومته ، فهو الجدير بان يحلوجناه ، وتعرب عن طيب أصله أقواله وسجاياه ،

مما استعذبه وكلها عذب سائغ ، تأليفكم بين فرق الاسلام ، ورفع الوحشة التي نشأت عليها احداث الامة في العصر الاواخر ، وفشت بين العامة والخاصة حتى فتت في عضد الاجتماع ، وحلت عرى الارتباط ، وخيل للسوادان لاجامع ولا رابط ، وان البون بعيد المسافة ، والقرن مبتول ومنفصم ، وجعلوا لكل فرقة تميزاً تمتاز به ، ونسبة تحاز اليها ، وماهي الا فتنة القمحها من الماضين حب تشقت الرأي في ذوي الآراء ، وإلجأهم للمناظرة ، واستحكام شبهة للبعض ، حتى أصر كل على رأيه ، ولم يكن في شيء من دعائم الدين ، ولا في الضروريات من اصوله ، ولا في امهات فروعها ، ترى فيهم حاشاهم من يشك في التوحيد ، او ينازع في النبوة ، او يخالف في المعاد ، او يتأمل في وجوب الصلاة ، أو ينتظر في افتراض الزكاة ، او يناقش في الحج ، او يثبط عن حفظ بيضة الاسلام وحوزته ؟ كلا وانما ذاك في اموز ربما يمدح الخطي بها بل يؤجر ، بعد الاجتهاد وبذل الوسع والطاقة ، في النظر بالمقدمات التي يتوقف عليها البرهان ، واتقانها وأحكامها حسب الجهد والامكان ، لا يكلف الله نفساً الا وسعها ، وما هو الا كاختلاف

الائمة رضوان الله عليهم (الذي هو رحمة للامة) في فروع لم تعلم من نص الكتاب، ولا من السنة المتواترة ولا من اجماع الامة والاصحاب، على ان ذلك في الكثير يسير، وفي الباقي لفظي يؤل الى الوفاق في المقصد والاتحاد في المراد وان اختلف التعبير

وحسبك في ذلك ما يقتبس من رسالة التوحيد لاساذ الكل، ووحيد هذا العصر او من نظيره قل، عليم العلوم الذي عمده، الشيخ محمد عبده، كثر الله في الامة امثاله، وزاد بين الوري اعظامه واجلاله، فكم له فيها من حَزْ أصاب المفصل، ورمية لم يخط بها الغرض وان خفي على المتأمل، وتحقيق كشف به الحجاب، لاولي البصائر والالباب، ولم يدع بعده عذرا المنكر ولا مرتاب، وحاشا ان تخلو الارض من عامل يعمل فيها بخير وهدى، وداع يدعو فيها الى طريق نجاه ورشاد للورى، فكم دافع عن الايمان، بلسان امضى من السنان، وعن الاسلام، باقلام امض وقعا في الكفر من مريشات السهام، وعن الخيفية البيضاء بمسود مداد، اقطع من البيض الحداد، اوضح مع الایجاز ادلة التوحيد، بعد اثبات الواجب بما لا يطلب المتأمل بعده من مزيد، وجال جولة في بيان ما يمكن الوصول اليه من الصفات، اغنى بها المنصف عن اللجاج والتعرض لللهلكات، وأوجز في صفتي الكلام والبصر، ما فيه البلاغ والعبر، وتكلم في أفعاله تعالى بما يسبق إلى القلوب اعتقاده، وألف بين الفريقين بما هو حري ان يتبع وقرّب ما توهم استبعاده، وسلك في الجبر والاختيار جادة الاعتدال، ومال في مبحث حسن الافعال الى أحسن الاقوال، وبسط القول في النبوة والرسالة، حتى أوضح الحق وقع الجهالة، وألف في مبحث الرؤية بين الفريقين، ورفع الوحشة وأزال النزاع من الين، وذلك الفضل من الله يؤتيه من عباده من يشاء، ويمنحه من سبقت له العناية فيه منذ فطر الاشياء، فحدير بمصر، ان تقتخر بمن فيها من أفاضل العصر، وتحقيق بحملة العلم في كل قطر، ان ترفع ايدي الاتهال، لعزة ذي الجلال، بالدعا لكم بدوام التأيد والمجد، والتوفيق لنصرة الدين وإيضاح الحق، ودحض الباطل وأرشاد الضال، وجمع الحكمة واحكام الالفة بين المسلمين، انه على ذلك قدير، وبالاجابة جدير، آمين آمين

﴿ الفتاة اليابانية والحرب ﴾

لا تلم كفي اذا السيف نبا
رب ساع مبصر في سعيه
مرجاً بالخطب يبلوني اذا
عقني الدهر ولولا أنني
إيه يادنيا عبي أو قابسمي
أنا لولا أن لي من أمتي
أمة قد فت في ساعدها
وهي والاحداث تستهدفها
لاتبالي لعب القوم بها
ليتها تسمع مني قصة

*

* *

كنت أهوى في زماني غادة
ذات وجه مزج الحسن به
حملت لي ذات يوم نبأ
وأنت تخطر والليل فتي
نم قالت لي بشعر باسم
نبؤني برجيل عاجل
ودعاني موطني أن اغتدي
نذبح الدب ونفري جلوده
قلت والآلام تفري مهجتي
ماعهدناها لظبي مسرعا
ليست الحرب نفوساً تشتري
أحسبت القصد من عدتها
فسليني انني مارستها

وهب الله لها ما وهبا
صفرة تنسي اليهود الذهبا
لارعاك الله يا ذاك النبا
وهلال الافق في الافق جبا
نظم الدر به والحيا
لا أرى لي بعده منقلبها
علي أقضي له ما وجبا
أبطن الدب أن لا يغلبا
ريك ما تصنع في الحرب الظبا
يبتغي ملهى به أو ماعبا
بالتمني أو عقولا تستقي
أم ظننت اللحظ فيها كالشبا
وركبت الهول فيها مركبا

وتفحمت الردى فى غارة
قطبت ما بين عيذها لنا
جال عزرائيل فى انحاءها
فدعيتها للذي يعرفها
فاجابتنى بصوت راعى
ان قومي استعذبوا ورد الردى
انا يابانية لا انتنى
انا ان لم احسن الرمي ولم
أخدم الجرحى واقضي حقهم
هكذا (الميكاد) قد علمنا
ملك يكفيك منه انه
واذا مارسسته ألفتته
كان والتاج صغيرين معاً
فقد هذا سماء للعلا
بعث الامة من مرقدها
فسمت للمجد تبغي شأوه

أسدل النقع عليها هيدبا
فرأيت الموت فيها قطبا
تحت ذاك النقع يمشى الهيدبي
والزمي ياظيية البان الحبا
وأرتنى الظبي لينا غلبا
كيف تدعوني أن لا أشربا
عن مرادي أو أذوق العطا
تستطع كفاي قلب الظبي
وأواسي فى الوغى من نكبا
أن نرى الاوطان أما واما
أنهض الشرق فهز المغرب
حوّلا فى كل أمر قلبا
وجلال الملك فى مهد الصبا
وغدا ذلك فيها كوكبا
ودعاها للعلا أن تدأبا
وقضت من كل شيء مأربا

(محمد حافظ ابراهيم)

بَابُ الْخِصْبَةِ وَالْإِنْسَانِ

﴿ خلافة - أو الترك والعرب ﴾

ما رأينا جريدة بينها وبين مشرب صاحبها من البون مثل ما نراه فى جريدة
الجوائب المصرية فان صاحبها خليل أقدي المطران لا يرى منه جليسه الا الادب
والذكاء وبسبب التعصب والتحمس الديني ولكنه يرى من جريدته احيانا ما يخالف
هذه المزاي . ذلك ان هذه الجريدة كانت أيام قبة بيروت نارا تلتظى من التعصب على

المسلمين ولو كانت منتشرة في سوريا لما خمد لبيب الفتنة الى اليوم والى ماشاء الله تعالى والشاهد المقصود اننا بالذات ما كتبته في مسألة (دعوى الخلافة) التي ناقشنا فيها جريدة ترك الغراء اذ ادعت ان العرب في جميع البلاد وسائر الشعوب الاسلامية تحسد الترك على لقب الخلافة ويدعي كل منها انه أحق بالخلافة من الترك ؛ واذ قامت تفاخر هذه الشعوب بتفضيل الترك عليهم ، ولما كنا على علم يقيني بأن النداء باسم الجنسية والتفاخر بها والتعصب لها مما لا يبيحه دين الاسلام ومما يفرق كلمة المسلمين ويجعل بأسهم بينهم شديدا أنكرنا على رصيفتنا هذه الخطأ وأكدنا لها القول بأنه لا يوجد شعب اسلامي يفكر في منازعة الترك السلطة لاجل لقب الخلافة وان العرب في الحجاز ونجد والشام ومصر وغيرها من الاقطار يمتنون لو تدوم سلطة الدولة العثمانية مؤيدة بالقوة والعدل مادامت الارض والسماء ، وانه لا يضر هذه السلطة شيء مثل المفاخرة بالجنس التركي واحتقار سائر الشعوب الاسلامية لاثبات فضله عليها. وقد قلنا ان جميع من لقيناهم من كبار رجال الترك الفضلاء قد وافقونا على اعتقادنا هذا

قطفت جريدة الجوائب المصرية على الجريدتين الاسلاميتين وافتات علينا بالحكم فكتبت في العدد ٢٥٤ الصادر في ١٢ المحرم نبذة افترضتها بقولها تشغل الخلافة أفكار المسامحين في جميع الاقطار لكثرة ادعاء الملل الاسلامية بها فالعرب والترك يتزاحمون عليها الخ ماقاله مناقضا لقولنا في الرد على جريدة (ترك)

وقد جعل ملة الاسلام الواحدة مللا متعددة فكنا نداوي علة اختلاف الجنس برهم الاتحاد الممي فحكمت علينا جريدة الجوائب المصرية الغراء بأنه ملل متعددة لاملة واحدة فهاذا الاقتتات وما هو الغرض منه يأتري ؟

ومن العجب ان هذه الجريدة الجديدة على تحكمها قد تبرأت من التحكم وزعمت ان كلامنا ومناقشتنا نتيج التفريق الضار بجميع الامم الشرقية فانتحلت لنفسها القصد الذي دفعنا الى السلام وكلامها ينتج تقيضه إذ أثبتت ان التنازع بين الترك والعرب واقع بالفعل فاذا صدقها الشعبان فان كلامهما يعتقد ان الآخر خصمه وانما نحاول نحن اقناع الفريقين بان هذا التنازع وهمي أو خيالي لا وجود له الا على السنة أفر ادمن المنافقين ثم استدلت الجريدة على ان الترك أحق من العرب بالخلافة بدليل يثبت تقيض

المدعى وهي أبلغ المطاعن في السلطان عبد الحميد قالت : « لا بأس أن نذكر كلمة تنسب لجلالة السلطان الأعظم عبد الحميد فقد أوصل إليه بمض المقرين لجلالته صوت تشكي الحجاج عموما من عون الرفيق باشا شريف مكة وظامه واستبداده الفائق التصور والحد طمعا بأن يصدر جلالاته إرادته السنية بعزله وتعيين خلف له فدرى جلالاته بالغرض من التشكي وقال اننى لا أعزل عون الرفيق باشا وإن أعزله كل حياته بل أتركه عبء ومثالا للذين يستقلون ظلم خليفة الترك لاريمهم كيف يكون ظلم خليفة العرب » اه كلام الجوائب المصرية بحروفه

فهذه الجريدة تريدان تقنع قراءها من العرب بأن ظلم الشريف الذي يشكون منه مع غيرهم انما هو جزء من ظلم السلطان التركي لانه على قولها قد أقامه هناك ليظلم ولن يردعه عن ظلمه في الحرم لغرضه السياسي في ذلك • وكل الناس يعلمون ان امراء مكة يربون في الاستانة على ماتجب الدولة العثمانية وترضى وانهم عمال للحكومة العثمانية فان أساءوا وظلموا فالاساءة والظلم ينسبان الى من ولاهم وأقرهم على ظلمهم ومن يربط الكلب العقور ببابه فكل بلاء الناس من رابط الكلب

هذا ما تنشره هذه الجريدة وأصحاب جريدة ترك الفضلاء يطبعون جريدتهم في مطبعتها فيعلمون ما هنالك ولا يردون عليها ولا يدافعون عن جنسهم وسلطانهم الا الاوهام التي يسندها الجواسيس ودعاة الفتنة الى العرب فحسبنا الله ونعم الوكيل

كتبنا هذه الكلمات بمداد التأثر مما كتبت جريدة الجوائب الغراء ويغلب على ظننا ان هذه النبذة المردودة ليست من قلم صاحب الجريدة ولا اطلع عليها قبل نشرها لما لنا من حسن الظن بقصده وأدبه فعسى ان نرى فيها بعد ما يحقق حسن ظننا

عرف قراء المنار ان من منهجه الدعوة الى الوحدة والنهي عن الفرقة والتسليم لنزوي السلطة وقد كتبنا في السنة الاولى مقالات في الخلافة والحنفاء مثلنا فيها تاريخ الاسلام ومناشئ الله وأمراضه من هذه الجهة كما مثلناها في مقالات أخرى في العلماء والمرشدين وقد قلنا في فاتحة المقالة الاولى مانصه : (كافي العدد ٣٣٣ ص ٢٥٧)

ليس من غرضنا في الكلام على الخلافة بيان شرطها وانطباقها على القائم في مقام الخلافة الآن او عدم انطباقها فان هذه المباحث انما يأتيها ارباب الاغراض الدنيوية

بل الامراض الروحية ، الذين يثيرون رواكد الاوهام ، ويسرون في دياجير الظلام ، ونقول قبل الدخول في المبحث ان كل من يحاول إشرب الافهام وجوب نزع الامامة من بني عثمان فهو عامل على الاجهاز على السلطنة الاسلامية ومحوها من لوح الوجود وما لهؤلاء النوكى تكأة يتكئون عليها الا قولهم « الخلافة في قريش » وغفلوا أو أغفلوا الشروط المهمة التي لا تنكاد توجد اليوم في قرشي كالمدالة على شروطها الجامعة ، والعلم المؤدي الى الاجتهاد في التوازل والاحكام ، والرأي الصحيح المفضي الى سياسة الرعية وتدير المصالح وجمع الكلمة

« وكل الذين توسوس لهم أمانيتهم بالخلافة وتطريهم جرائدهم باستحقاقهم لها عراقة من هذه الصفات التي هي اركان بناء الخلافة . وما جعل النبي صلى الله عليه وسلم الخلافة في قريش الا لما كان لهم من المكانة في النفوس التي من أثرها اجتماع القلوب عليهم والاذعان لسلطانهم عن رضى واختيار ، وقد نال هذا المعنى آل عثمان فحصل المقصود الشرعي به »

هذا ما كتبناه من بضع سنين ولم يكن قد مضى علينا في هذه البلاد الحول فكنا توهم صدق بعض أقوال المرجفين ونحاول اقفال هذا الباب وإيثاس الناس منه لما فيه من الضرر

وكتبنا في تقریظ جريدة اللواء (ص ٧٠٢) من السنة الثانية مانصه:

« وقد اتقننا عليها (اي جريدة اللواء) امرا ذابال وهو الارجاف بأن بعض الناس في مصر يسمعون في اقامة خلافة عربية كأن الخلافة من الهنات الهينات ، تنال بسعي جماعة أو جماعات ، ولا يمكن احتقار مقام الخلافة الاعلى بأكثر من هذا الارجاف . مقام الخلافة اسمى من ان يتناول اليه أحد ، وقد سلم السواد الاعظم من المسلمين زمامه لبني عثمان تسليما . والرابطة بين الترك والعرب هي (كما قال المرحوم كال بك الكاتب الشهير) موثقة بالاخوة الاسلامية والخلافة العثمانية فان كان أحد يقدر على حلها فهو الله وحده وان كان أحد يفكر في ذلك فهو الشيطان . ويعلم كل خير بحال هذا الزمن انه لا يرجف بالخلافة الارجلان — رجل أخذ الارجاف حرفة للتعيش وأكل السحت أو التحلي بالوسامات والالقاب الضخمة ، ورجل أخذ الا جانب آلة الخداع بسطاه

المسلمين بايهاهم ان منصب الخلافة ضعيف متزعزع يمكن لأي أمير ان يناله ولا أية جمعة ان ترحزه عن مكانه ليزيلوا هيئته من القلوب ويقنعوا نفوس العامة الاغرابا كان تحويله في وقت من الاوقات ، وبأن المسلمين ليسوا راضين من الخلافة العثمانية جميعا .
 « كان مصطفى كامل أقندي يوم ألف كتاب المسألة الشرقية ينسب هذا الطمع الاشعبي للانكليز ، واليوم نرى مصطفى كامل بك ياتي القول فيه على عواهنه في خطبته وجريدته (١) ويدع نفوس البسطاء تذهب فيه كل مذهب ، واذاسئل الافصح ويان المجل يمجج ويغمغم ، فان كان على رأيه الاول فيصرح به ليرجع العامة عن أوهامهم والخاصة عن سوء الظن به وانه أحد الرجلين اللذين ذكرناهما آنفا ولا نظنه الا على مذهبه الاول ، وعلى اللواء في البيان المعول ، اهـ »

فيري القارئ اتنا في عبارة السنة الاولى كنا مغترين بكلام بعض المرجفين واتنا في السنة الثانية علمنا حق العلم ان مسألة الخلافة لا يلفظ بها الا نفر من أصحاب الاغراض كما قلنا في مقالة (دعوى الخلافة) ويرى ان هجتنا قوية في الانكار على كل من تكلم في هذه المسألة لاعتقادنا بضرر الخوض فيها ، فقد عادانا صاحب جريدة اللواء لتشديدنا في الانكار على ما كتبه بذلك في أول ظهورها ومقاله في خطبة له تلاها في ذلك العهد . وقد كنا في غنى عن إحراج مثله بعدما كان راضيا عنا وعن المنار حتى انه كان يهتأ على بعض المقالات ويقول ان هذه الخطبة أنفع ما يكتب للمسلمين . فاي مذرنا أصحاب جريدة ترك وصاحب جريدة الجوائب فاننا لا يمكننا السكوت عن الانكار على كل من يذكر الناس بما يوجب التفرق والخلاف لاجل لقب الخلافة المشنوم أو اختلاف الجنسية القوية ، فحسبنا ما مئنا به من المصائب والنوائب ، واستبداد الحكام وسلطة الاجانب ،

❦ أخبار الحجاز والحجاج في هذا الموسم ❦

كتب الينا كاتب مرافق للمحمل المصري بمثل ما كتب الينا آخر من سوريان عن فقد الامن وعموم المخاوف في بلاد الحجاز وما حل بالحجاج في هذا الموسم من القتل والسلب والنهب . وكتب كاتب مصري مع المحمل من ينبع الى صديق له في مصر كتابا في تسع خلون من المحرم قال فيه مانصه :

« الحج في هذا العام لم يطرأ عليه أي طارئ وبأني فضلا عن كثرة الحجاج وازدحامهم وقذارة الطرق واهمال موظفي الصحة العثمانية

الأمن مفقود في كل بلدة مر بها الحجاج والعربان مسلحون بسلاح جيد وأغلبه مكتوب عليه بالحروف الأفرنجية (س . ايمنس) والاهلي مجردون من السلاح والحكومة تمنع حمل السلاح بكل تدقيق الا الاعراب كما انها لا تحرك ساكنا اذا وقع أمامها أي مقتلة وقد حدث ليلة نزولنا عن عرفة قتال بالبندق أمام مركز الحكومة الحميدية بمكة بقرب الحرم المكي الذي يقول الله فيه « ومن دخله كان آمنا » و قتل في تلك الليلة بجهة خيام الحمل (ديده بان) من العسكر المصري أثناء تأدية وظيفة ولا بد ان تكونوا عرقتم تفصيل الحادثة لان أمير الحج بادر باخبار الحكومة المصرية بذلك بالبرق وبالبريد والى الآن لم نر من الحكومة الألمانية نتيجة

قتل وجرح وسلب عدد ايسر بالقاليل من الحجاج الذين لم يكونوا مرافقين للمحمل على الطريق بين جدة ومكة ومن وصل حيا من الجرحي لم تسعفهم الحكومة ولا بشربة ماء ، الى ان وصل المحمل وأسعفهم بالقوت والعلاج . لجأ واحد منهم الى بيت الشريف فلم يسمع له قول وحتم عليه أن يفصل واقعه على ورق تمغه وهو أمامهم مجروح مجرد ولو كان معه ثمن ورقة تمغه لسد به رمقه ، وستر به بدنه ،

تعدد خروج الحجاج المسافرين من مكة وكانت الجمالة تقتل بعض الركاب معهم وتسلب اتمعة الجميع وتهرب بالاجرة وبما سلبت . ولما طالب أمير الحج الوالي ولورد الأجرة (اي اثابته عند حكومة الحجاز رسميا) وعد بالنظر ولم يكن لوعده أقل فائدة !

أخذ المطوفون من الحجاج اعانة لسكة الحديد الحجازية ومن تأخر عن الدفع كانوا يشيرون بحبسه والذي يأمر بالحبس يكفي ان يكون واحدا من عبيد الشريف بحيث تعددت السلطة ومصادرها فلا يدري الانسان من يخافه ومن يتقيه !

الباعة في الاسواق ، والمطوفون في الحرم ، واعوان الشريف في كل مكان ، وكل من في مكة الا انقليل عبارة عن منصر حرامية (زعماء لصوص) يسلبون الناس أموالهم بحيث يهلك الفقير جوعا لان الاسعار غالية جدا والشيء الذي كانت قيمته في مكة خمسة قروش وصل الى ريالين . ذلك لان كل ما يرد من الماء كولات وما يذبح يلتزمه أحد (نخاسب) الشريف ويبيعه بالثمن الذي يرضيه للباعة وأوائك قوم من جهة يشترون

بأعلى الأيمان ومن جهة أخرى يستوفون من الناس أضعاف القيمة والفقر حار
كيف يقتات ، وهو مجبور على الإقامة أياماً معدودات ،

بماذا أحدثك أيها الاخ (الشفوق) أين المنصفون من أصحاب النظر يشاهدون
ماشاهدناه ويعودون اليكم شارحين الحال ، واصفين بلسان المقال ،

تعددت الشكاوي الى أمير الحج المصري فكتب وتوجه بنفسه الى الوالي
والشريف فاعترف الاول بالكتابة بأن المطوفين يجلسون الحجاج والثاني كذب. ولما
أراد سمادة أمير الحج إثبات الامر رسمياً خاطبه الشريف بقوله : يا حضرة الباشا
مالك حق في التداخل : وكررها مراراً

خاطبت واحداً من التجار الاجانب : هل يعاملونكم كما يعاملون باقي التجار المسلمين؟
فقال : لا وانما نتيجة السلب واحدة فانا ندفع أجرة نقل بضائنا بين جدة ومكة
أضماًفا : قلت : أما تشكون لقناصلكم ؟ فقال لي كأنهم متحدون مع السالب تمام الاتحاد
فالسالب عام من الجميع والكيفية مختلفة

سمعت ان بائعي السبج قد منعوا من بيعها أولاً وكانوا قد استعدوا على كميات وافرة
منها فساءهم هذا الامر ولكنهم أدر كوا المقصود فجمعوا مبلغاً من المال وقدموه فألقوا
تنبههم الاول وأباحوا لهم بيع السبج ، وانظر بعد ذلك أمان السبج
آه ! لو سمعت «الفرمان العلي الشان» وهو يتلى في صيوان الشريف ثاني العيد
ذلك الفرمان الطويل العريض مملوء بعبارات الثناء العاطر وتعدد صفات ما سمعت
تركيّاً وصف بها نبيا من الانبياء - ولورأيت النياشين المرصعة في صدر الشريف
والخلع التي ألبسها في هذه الحفلة بعضها فوق بعض ، والوزراء والامراء والوجهاء واقفون
وقوفهم للصلاة وكذلك العسكر - ولورأيت ما حوله من الحياض المطهمة عليها السرج
المثقلة بالذهب الخالص الوهاج - ولو نظرت جميع الحاضرين يقبلون يد الشريف او
نيابه (الا انا فاني والله الحمد لم أسلم عليه ولا بالإشارة) وهو لا يتحرك لا تكبرهم -
لاستكبرت الامر واستكبرته وعلمت ان المسلمين في غفلة اينما كانوا في كل قطر وفي
ظل كل دولة لكن بؤسهم يتفاوت بحسب حال دولهم .

لاشك أننا وصلنا الى حال يتبرأ منها الدين ويحل بنا غضب الله بسببها . كيف

نصدق فرمان خليفة المسلمين وشاهد الحال يناقضه في نفس الحفلة ؟ كيف نسمع ان الشريف مؤمن الطرق وقاطع الأشرار ، والسالك نهج آباءه الأظهر ، وانه مقيم الدين ، وناشر لواء شريعة سيد المرسلين ، (اي هذه بعض الألقاب التي يوصف بها في فرمان وهي عشر معشار ألقاب رئيسه السلطان) اين أثر الدين فيما شاهدنا ، والاسلام يتبرأ من هذا الذي رأينا ، اين الهداة الداعون الى الاسلام ؟ هل ألقي حكم آية «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون»

خاطبت واحداً — قيل لي إنه من علماء مكة — في شأن ما اشاهده وما حل بالحجّاج فقال : لايمثل لك الامر فقد ورد في القرآن في حق الحرم «ويخطف الناس من حوله» (كذا) وقال لي آخر : «لم تكونوا بالغيه إلا بشق الانفس» . أعاظ لايعون لها معاني ولن ترى امامك الاعمام لا تفضل أمثالها في باب المزيّنين فما دونه !!! وحدث عن الوثنيات هنا بما لا تختمله الروايات ، واسمع من المطوفين ما يتقل على الآذان خرافات وموضوعات ، تخرج الضعيف من الاسلام ، الى عقائد أولئك الجهة الطغام ، والجهل سائد عام ، والضال المضل سيد وإمام ،

يأسف الانسان على بلاد كانت مشرق شمس الاسلام ، وفيها بيت الله الحرام ، ويكون هذا مصيرها . أريد الكلام ويمتني أنك سريع التأثر ولكن القلب والقلم يجنان علي الكتابة ، لعلك تنييني عنك في صدقة مقبولة هي في مقدمة الصدقات ، ألا أصرف على حسابك ما تجوده نفسك علي عسكر الدولة الانفار الصابرين الذين هم يبيعون الاشياء الثافئة على الحجّاج وحالهم اسوأ حال . كنا نسمع عن دراويش التعاشي لهم بلبسون المرقعات ولكن الفرق بين مرقعاتهم و«كساوي عسكر الدولة ان مرقعات الدراويش تحاط من اول امرها ، وثياب العسكر هنا من ارث ما يكون ، مرقعة في اغابها رقما متراكمة فوق بعضها مختلفة الالوان ، وهي بجملتها في اشد حالات البلى والرتانة وهم مع ذلك من اصبر الناس على هذه الحال ، وامرهم في ذلك مروف . وبأسهم الحرب موصوف ، والذي سمعته ان ذلك لم يكن . من تقتير الدولة بل من سلب رؤسائهم حقوقهم . وملبسهم سواء يوم الاستعراض والايام المعتادة وكثير منهم يلبس الثعال القديمة او «المراكيب» الحمر بدل «الجزم» حتى وقت (التشريف الكبري) .

قد رافق المحمل الشامي من المدينة الى مكة « البيجم » وهي ملكة بهوبال التابعة للحكومة الانكليزية وكاد العرب يقتلونها وهي في ركب المحمل طمعا في المال لولان هربوها من تحتها في شقذف كواحدة من الناس ولولا ان أمير الحج الشامي أرضاهم لفتكوا بها ان لم تعطهم كل ما طلبوا وقد قتل أحد اليوزباشية الاترك وجرح ييكاشي في هذه الواقعة . وقد قابلني ابنها الثاني (أي ابن الملكة) الذي يدقبونه بانتواب وكنت أنا وسعادة أمير الحج على سطح الحرم المكي ودعانا الى بيته ثم دعا بعض رجال المحمل معنا وتوجهنا الى مقره البيجم ، فأكرمونا ثم ألفت علينا خطابا من خلف ستارتر جهلناه فبس قنصل ، الانكليز بجدة وقد أجاب عاياه سعادة أمير الحج ومضى عدت الى مصر أعدت اليكم أكثر مشاهدته وقد سافرت (أي الملكة) الى بلادها ساخطة على فقد الأمن وبلغني انها شافت الشريف بعبارات شديدة وقد انتقدت عليها شهاة العرب قائلا : كيف يتعدون على امرأة ؟ رافقنا من مكة الى ينبع الصدر الأعظم السابق لدولة إيران انزور المدينة معا فلما وصلنا الى ينبع نعت الاعراب معنا ومنعونا المرور للاسباب التي سأذكرها لكم بعد ولما كان يومه دخول المدينة باكرا ليحضر بها يوم عاشوراء (والقوم أمثال القوم) اتفق مع العرب على دفع خمس جنهات عن كل نفر معه جعلاً للعرب نظير المرور فقط لافي نظير خدمة ، وترك مرافقة المحمل وسافر . ورافقنا من مصر وزير المغرب الأقصى الى ينبع ورافقنا من مكة أمير حبيج ابن دينار وجماعة فقال عنهم الاعراب : ان معكم سلطان مراکش وسلطان دارفور ولا تمرون الا بما يناسب مقام الدولة ومقام ذينك السلطانين وصلنا الى ينبع يوم السبت الماضي ولا تزال بها الى اليوم ننتظر عودة سعادة أمير الحج من جدة الذي ذهب ليخبر الحكومة المصرية بالتلغراف بما يرغبه الاعراب لحلول ميناء ينبع من التلغراف . ومحصل مسائلهم انهم في العام الماضي طلبوا من أمير الحج ان يصرف لهم مرتبات لم تصرف اليهم منذ ثلاثين سنة وهي آلاف من الريالات فقال لهم : إني لأعلم بأثر من مرتباتكم هذه ولكن لكم ان تكتبوا طلبا الى الحكومة بها وان تتنازلوا عن الماضي الى الآن ومتى وجد لمرتباتكم اثر تصرف اليكم من جديد ، عاد بطلبهم واستكشف عنها فلم يجد لها أثراً فأعادوا الطلب منه الآن وامتنعوا عن التنازل عن ماضى واغظوا القول وبعثوا اليه الكتاب بالتهديد والإنذار والممانعة من المرور ،

وليتنا رأينا فيهم رشيدا بل هم أراذل ادنياء قليلو الأدب يكذب بعضهم بعضا ويحتقر أحدهم الآخرن كثيرو اللفظ بلا فائدة ومع محاسنتنا لهم وتعب أمير الحج والحفاظ مهمهم سرا وعلانية لم يفد كل ذلك فيهم فاضطر الى السفر الى جدة للمخاطبة ولا بد انكم تعلمون النتيجة قبل ان نعلمها هنا .

التلغراف: في هذه البلاد يؤخذ فيه عن كل كلمة ثلاثة فرنكات تقريبا، ووالعطف كلمة ، ولو كانوا قوما يفقهون لخصوا الأجرة فيقبل الحجاج عليهم ويتخاطبون مع أهلهم بتلغرافات عديدة ولربحوا الأموال الطائلة . البوستة غريبة في كل أحوالها التي لا تتفق مع المعقول ولا أمان فيها على المراسلات . حتى انني لا أدري ايصل اليكم هذا أو يصل الى الشريف ؟ وقد كتبت له وكلا الأمرين مفيد عندي . رأيت وأنا على جبل عرفات عربية على رأسها برنيطة فقلت لها : يعينني مظلتك هذه : فقالت : الشمس تؤذيني : قلت : هذه شمسيتي الثمينة خذها فهي انفع وتعبت معها حتى اتعتها وساحضرها معي . اه المراد منه

(المنار) قد كتب بمعنى هذا الكتاب كثيرون من الحجاج الى أهليهم وأصدقائهم وأعجب شيء فيه عندي تحريف ذلك الجاهل المعمم في مكة لقوله تعالى « أولم يروا أنا جعلنا حرما آمناً ويتخطف الناس من حولهم » فان الله يمتن بهذه الآية على من في الحرم بأنه وهبهم الأمن في بلاد المخاوف فهم آمنون والبلاد التي وراء الحرم من كل ناحية أي التي حوله لأمن فيها . وقد جعل ذلك الجهول الآية مثبتة لنفي الامن من الحرم نفسه . ومثله في الجهل من حرف امتنان الله تعالى على أهل مكة الناس عامة بالأنعام اذ جعل من منافعها انها تحمل أثقالهم الى البلاد التي لا تبلغ لولاها الا بشق الأنفس فجعلها مثبتة لوجوب اهانة الحجاج والتعدي عليهم . ويقصد الكاتب بأمثالهم في باب المزينين أهل الازهر وقد رأى القراء في باب السؤال والعنوى نموذجاً من تحريف بعضهم لكتاب الله تعالى . اللهم ان بني اسرائيل لم يحرفوا كتابك التوراة بأكثر مما تحرف هذه العمام كتابك الفرقان فافرق بينهم وبين عبادك المعذورين بغرورهم بهم وافصل بينهم بالحق وأنت خير الفاصلين ، (انتظر الكلام على الحج في الجزء الآتي)



﴿ رزء الشام بالشيخ محمد علي أفندي مسلم ﴾

واقانا نبأ وفاة هذا النابغة قيل طبع الصحيفة الأخيرة من هذا الجزء عاجلة
المنية بالامس عن أربعين سنة أي عندما بلغ أشده واستوى وصار يرجى منه في
تحمل اعباء الدعوة الى الاصلاح أكثر مما سبق له فكان ألم المصاب به عاما وأشد وقعه
على انصار العلم والاصلاح الذي فقدوا بفقده ركنا وركنا واخا كريما . وقد قال
صديقه رفيق بك العظم هذه الايات المؤثرة في رثائه رحمه الله واحسن عزاء نافية:

أيها الموت كم هززت نفوساً	طلما هزت الخطوب الجساما
نحن كنا كالصلد ان مسه الخط	ب ورت ناره وأذكت ضراما
فاصطلمت الجبالدة اليوم منا	فقد القلب يشكي الآلاما
وتجاوزت غاية الصبر حتى	قد فقدنا السكون والاحتشاما
مذ صدعت القلوب بالنبا الفا	جمع صدعاً لن يقبل الالتئاما
ورميت الصديق منك بسهم	دابه ان يصيب منا الكراما
قد كفانا بالامس فقد همام	فلم اليوم قد فقدنا هماما
عمرك الله ما نطيق حياة	بعد ذا الخطب أونريد سلاما
كأما أنعم الزمان بفرد	ورجونا ان ينفع الاسلاما
فجعتنا به المتون كأن الـ	موت يفدي بالا كرمين الطعاما
أو كأن المتون حا كم قوم	مستبذ يصادر الاحلاما
يا عليا بت العلي وانا	لم نزل بالدنا نعاني السقاما
ما رعينا فيك الذمام والا	لتبغضاك لو رعينا الذماما
مذ رأيت الحياة في الشرق أضحت	نكدا يؤلم النفوس العظاما
كبرت نفسك العظيمة حتى	ما نطيق الدنيا ولا الاجساما
ففضت للسماء تطلب فيها	عالم الروح منزلا ومقاما
حبذا منزلا ولكن في عيـ	شك للناس حاجبة ومراما
كنت للحق والفضيلة ركنا	فتداعى ولثبات قواما
ولقيت الخطوب ممن يمادى الـ	مقل والعلم أو يجب الخماما
فلك اليوم في النفوس مقام	نلت فيه محبة واحتراما
فعليك العيون تبكي دماء	وعليك السلام يتلو السلاما

بوتني الحكمة من بناء ومن يوتي
الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا وما
يذكر إلا أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للسلام صوى ودماراً كمنار الطريق)

(مصر - السبت غرة صفر سنة ١٣٢٢ - ١٧ أبريل (نيسان) سنة ١٩٠٤)

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

« سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ؟
قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَكَذَلِكَ
جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ
شَهِيدًا ، وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ
يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ، وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ، وَمَا
كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ * »

كان أنبياء بني اسرائيل يصلون الى بيت المقدس وكانت صخرة
المسجد الأقصى هي قبلتهم وقد صلى النبي والمسلمون اليها زمنا وكان النبي
صلى الله عليه وسلم يتشوف لاستقبال الكعبة ويتمنى لو حول الله القبلة

اليها فأمره الله بذلك كما يأتي تفصيله في الآيات الآتية . وقد ابتدأ الكلام في هذه المسألة ببيان ما يقع من اعتراض اليهود وغيرهم على التحويل وإخبار الله نبيه والمؤمنين به قبل وقوعه وتلقينهم الحجة البالغة عليه والحكمة السديدة فيه ، ويتضمن هذا بيان سر من أسرار الدين وقاعدة كبرى من قواعد الإيمان كان أهل الكتاب في غفلة عنها وجهل بها ، فهذه الآيات متصلة بما قبلها في كونها محاجة لأهل الكتاب في أمر الدين لا مالتهم عن التقليد الأعمى فيه والجمود على ظواهره من غير تفقه فيه ولا نفوذ إلى أسرارهم وحكمهم التي لم تشرع إلا أحكام الألبانجلها

ليست صخرة بيت المقدس بأفضل من سائر الصخور في مادتها وجوهرها ، وليس لها منافع وخواص لا توجد في غيرها ، أولا هيكل سليمان في نفسه من حيث هو حجر وطن أفضل من سائر الأبنية ، وكذلك يقال في الكعبة والبيت الحرام كما تقدم في تفسير « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت » وإنما يجعل الله للناس قبلة لتكون جامعة لهم في عبادتهم إلى آخر ما تقدم شرحه في تفسير « ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله » وفي الكلام على الكعبة والحج . ولكن سفهاء الاحلام من أهل الجمود يظنون أن القبلة أصل في الدين من حيث هي الصخرة المعينة أو البناء المعين ولذلك كانت الحجة التي لقنها الله لنبيه في الرد على السفهاء الجاهلين بهذه الحكمة (قل لله المشرق والمغرب) أي إن الجهات كلها لله تعالى لأفضل جهة منها بذاتها على جهة وان لله أن يخص منها ما شاء فيجعله قبلة لمن يشاء وهو الذي (يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) وهو صراط الاعتدال في الأفكار والاخلاق كما يبين في الآية الآتية .

فلم أن نسبة الجهات كلها الى الله تعالى واحدة وان المبرة في التوجه اليه سبحانه بالقلوب لا بالوجوه

ومن مباحث اللفظ أن السفه والسفاهة الاضطراب في الرأي والفكر أو الاخلاق يقال : سفه حلمه ورأيه ونفسه : ومنه : زمام سفه أي مضطرب لمرح الناقة ومنازعتها . واضطراب الحلم (العقل) والرأي جهل وطيش ، واضطراب الاخلاق فساد فيها لعدم رسوخ ملكة الفضيلة . قال البيضاوي وأحسن في تفسير السنهاء هم « الذين خفت أحلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر . يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين . وفائدة تقديم الاخبار توطيئ النفس وإعداد الجواب » وولاه عن الشيء صرفه عنه

قال تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) وهو تصريح بما فهم من قوله « والله يهدي من يشاء » الخ أي على هذا النحو من الهداية جعلناكم أمة وسطا . قالوا ان الوسط هو الخيار وذلك أن الزيادة على المطلوب في الامر إفراط والنقص عنه تفريط وتقصير وكل من الافراط والتفريط ميل عن الجادة القويمة فهو شر ومذموم فالخيار هو الوسط بين طرفي الامر أي المتوسط بينهما . قال الاستاذ الامام بعد ايراد هذا : ولكن يقال لم اختيار لفظ الوسط على لفظ الخيار مع ان هذا هو المقصود والاول إنما يدل عليه بالالتزام ؟ والجواب من وجهين - أحدهما أن وجه الاختيار هو التمهيد للتعليل الآتي فان الشاهد على الشيء لا بد أن يكون عارفا به ومن كان متوسطا بين شيئين فانه يرى أحدهما من جانب وثانيهما من الجانب الآخر وأما من كان في أحد الطرفين فلا يعرف

حقيقة حال الطرف الآخر ولا حال الوسط أيضا . وثانيهما ان في لفظ الوسط إشعارا بالسببية فكانه دلائل على نفسه أي أن المسلمين خيار وعدول لانهم وسط أي انهم ليسوا من أرباب الفلوف في الدين المفرطين، ولا من أرباب التعميل المفرطين ، فهم كذلك في العقائد والاخلاق والاعمال ذلك أن الناس كانوا قبل ظهور الاسلام على قسمين - قسم تقضي عليه تقاليد المادية المحضة فلا تم له الا الحظوظ الجسدية كاليهود والمشركون وقسم تحكم عليه تقاليد الروحانية الخالصة وترك الدنيا وما فيها من اللذات الجسمانية كالنصارى والصابئين وطوائف من وثني الهند أصحاب الرياضات وأما الامة الاسلامية فقد جمع الله لها في دينها بين الحقيين حق الروح وحق الجسد فهي روحانية جثمانية وان شئت قلت انه أعطاها جميع حقوق الانسانية فان الانسان جسم وروح حيوان ومملك . فكانه قال جعلناكم أمة وسطا تعرفون الحقيين ، وتبلغون الكمالين ، (لتكونوا شهداء) بالحق (على الناس) الجسامين بما فرطوا في جنب الدين ، وعلى الروحانيين اذ فرطوا وكانوا من الغالين ، فتشهدون على المفرطين بالتعميل القائلين : « إن هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر » بأنهم أخذوا الى البهيمية ، وقضوا على استعدادهم بالحرمان من المزايا الروحانية ، وتشهدون على المفرطين بالغلو في الدين القائلين : ان هذا الوجود حبس للارواح وعقوبة لها فعلينا أن نتخلص منه بالتخلي عن جميع اللذات الجسمانية وتمذيب الجسد وهضم حقوق النفس وحرمانها من جميع ما أعده الله لها في هذه الحياة : بأنهم خرجوا عن جادة الاعتدال وجنوا على أرواحهم بجنايتهم على أجسادهم وقواها الحيوية ، تشهدون على هؤلاء

وهؤلاء وتسبقون الامم كلها باعتدالكم وتوسطكم في الامور كلها، ذلك بأن ما هديتم اليه هو الكمال الانساني الذي ليس بعده كمال لان صاحبه يعطي كل ذي حق حقه - يؤدي حقوق ربه وحقوق نفسه وحقوق جسمه وحقوق ذوي القربى وحقوق سائر الناس . قال تعالى (ويكون الرسول عليكم شهيدا) أي ان الرسول عليه الصلاة والسلام هو المثال الاكمل لمرتبة الوسط وانما تكون هذه الامة وسطا باتباعها له في سيرته وشريعته وهو القاضي بين الناس فيمن اتبع سنته ومن ابتدع لنفسه تقاليد أخرى أو حذا حذو المبتدعين ، فكما تشهد هذه الامة على الناس بسيرتها وارتقاها الجسدي والروحي بأنهم قد ضلوا عن القصد يشهداها الرسول بما وافقت سنته وما كان لها من الاسوة الحسنة فيه بأنها استقامت على صراط الهداية المستقيم فكانه قال: انما يتحقق لكم وصف الوسط اذا حافظتم على العمل بهدي الرسول واستقمتم على سنته ، وأما اذا انحرفتم عن هذه الجادة فالرسول بنفسه ودينه وسيرته حجة عليكم بأنكم لستم من ائمة التي وصفها الله في كتابه بهذه الآية وبقوله « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » الخ بل تخرجون بالابتداع من الوسط. وتكونون في أحد الطرفين كما قال الشاعر وقد استشهد به الزمخشري في تفسير الآية :

كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى أصبحت طرفا
 ﴿ الاستاذ الامام ﴾ يقال ان هذا خير عظيم بمنحة جليلة، ومنحة بنعمة كبيرة، فكيف جيء به معترضا في أطواء الكلام عن القبلية ولم يجيئ ابتداءً أو في سياق ترداد الآلاء والنعم ؟ والجواب ان الله تعالى علم ان الفتنة

بمسألة القبلة ستكون عظيمة ، وأن سيقول أهل الكتاب أن محمدا ليس على
 بيعة من ربه لانه غير قبلته ولو كان الله هو الذي أمره بالصلاة الى بيت المقدس
 لما نهاه عنه ثانيا وصرفه عن قبلة الانبياء ، ويقول المنافقون انه صلى أولا
 الى بيت المقدس استمالة لاهل الكتاب ودهانا لهم ثم غلب عليه حب وطنه
 وتمظيمه فماد الى الكعبة فهو مضطرب في دينه ، وأمثال هذه الشبهات على
 كونها تدل على عدم الاعتدال في أفكار قائلها تؤثر في نفوس المسامحين فالمطمن
 الراسخ في الايمان يحزن لشكوك الناس وتشكيكهم في الدين والضعيف
 غير المتمكن ربما يضطرب ويتزلزل ، لذلك بدأ الله باخبار المسلمين بما سيكون
 بعد تحويل القبلة من إثارة رياح الشبه والتشكيك ولقنهم الحجة ، وبين لهم
 ما فيها من الحكمة ، وبين لهم منزلتهم من سائر الامم وهي أنهم أمة وسط
 لا تغلو في شيء ولا تقف عند الظواهر وانهم شهداء على الناس وحجة عليهم
 باعتدالهم في الامور كلها ، وفهمهم لحقائق الدين وأسراره ومن أهمها أن القبلة
 التي يتوجه اليها لاشأن لها في ذاتها وانما العبرة فيها باجتماع أهل الملة على كيفية
 واحدة عند التوجه الى الله تعالى ولما كانت نسبة الجهات اليه سبحانه وتعالى
 واحدة اذ لا تحصره ولا تحدده جهة كان التزام الجهة المعينة منها لغير مجرد
 الاتباع لامر الرسول عن الله تعالى ميلا مع الهوى أو تخصيصا بغير مخصص ،
 وكلاهما مما لا يرضاه لنفسه العاقل المعتدل في أمره ، نعم ان له ان يسأل
 عن حكمة التحول والانتقال لاسيما بما دما ثبت بالواقع ان الرسول الذي أمره
 لم يأمر الا بما ظهرت فائده ومنفعته للممثلين له من إصلاح النفوس وحملها
 على الخير وتوجهها الى البر مما دلت على انه مؤيد من الله تعالى .

وجملة القول ان إعلام الله رسوله والمؤمنين بما سيكون من الكافرين

والمناقض وتلقينه إياهم الحجة وانزالهم منزلة الشهداء والمحكمين ثم تبينه لهم حكمة التحويل كان مؤيدا ومسددا لهم ونورا يسعي بين أيديهم في ظلمة تلك الهتة المدلّمة ولعمري ان هذه هي البلاغة التي لا غاية وراءها. اعلام بما سيكون من اضطراب السفهاء في أقوالهم أشير اليه بالاستفهام مجعلا ولم يذكر معه وجه الشبهة حتى لا تسبق الى النفوس والغرض إقامة الموانع من تأثيرها عند ورودها من أربابها، واختصار البرهان ببيان ان المشرق والمغرب كسائر الجهات لله تعالى أي يخصص منها ما يشاء فيجعله قبلة لمن يشاء، ويان لكافة الامة الحمديّة التي أعطيت كل أصل ديني بدليله وحكمته وكلفت بالعدل والاعتدال في الامر كله أي فلا يليق بها ان تبالي بانتقاد السفهاء المذنبين بين الافراط والتفريط بعد هذا. قال عز شأنه:

(وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) قال مفسرنا الجلال: وما صيرنا القبلة لك الآن الجمة التي كنت عليها اولا وهي الكعبة الخ: وهو مبني على قول الاقايين إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي اولا الى الكعبة ثم أمر بالصلاة الى بيت المقدس فيكون النسخ قد حصل مرتين والا كثرون على ان المراد بالقبلة التي كان عليها بيت المقدس أي وما جعلنا القبلة فيما مضى هي الجهة التي كنت عليها الى اليوم ثم امرناك بالتحويل عنها الى الكعبة الا ليتبين الثابت على إيمانهم من لا ثبات له فهو عرضه لرياح الشبهات تطير به حيث تغدو وتروح أي ان الله تعالى يختبر المؤمنين بما يظهر به صدق الصادقين وريب المرتابين وانما ثبت من فقه في الشيء فعرّف سره وحكمته واما المقلد الاخذ بالظواهر من غير فقه ولا عرفان فلا يثبت في مهاب عواصف الشكوك والشبهات.

وقال بعض المحققين ان هذه الجملة من قبيل « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس » فالرؤيا لم تكن بنفسها فتنة وانما افتن الناس اذا خبروا بها ولم يفقهوا المراد منها . كذلك لقبة ليس في جعل جهة كذا قبة فتنة واختبار للناس وانما الفتنة فيما ترتب على ذلك من حيث كونه صرفا عن قبة الى غيرها فالسفهاء والجهال الذين لا يفقهون ينكرون هذا التحويل ويرونه أمرا عظيما ، والذين هداهم الله الى فقه ذلك يرونه أمرا حكيما ، ولذلك قال تعالى (وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله) فنهجهم الاعتدال في الفكر والادراك وفي الميل والرغبة

وقوله تعالى « لنعلم » معهود في القرآن كثيرا ومثله « ليعلم ان قد ابغوا رسالات ربهم » وقوله « ليعلم الله من يخافه » والعقل والنقل متفقان على ان علمه تعالى قديم لا يتجدد وللمفسرين في هذه الالفاظ أقوال ذكر الاستاذ الامام أظهرها فقال مامثاله : جرت عادة العرب في لغتها ان ينسبوا للرئيس والكبير ما يحدث بأمره وتديره . يقولون : فتح الامير البلد وقاتل الجيش : وكثيرا ما يقولون هذا والامير ليس واحدا من العاملين فهو أسلوب معهود اذا أريد اسناد الفعل الى الجمهور اسندوه الى المقدم فيهم . ولما كان الله تعالى ولي الذين آمنوا وخاطبهم خطاب السيد صبح بحسب هذا الاسلوب العربي ان يذكر الفعل بصيغة الجمع التي تشمل المتكلم وغيره وان كان غيره هو المقصود بالفعل ، فعنى « الا لنعلم » الا ليعلم عبادي المؤمنون باعلامي إياهم ، وقد علم المؤمنون في هذه الفتنة من هو الثابت على اتباع الرسول (ص) ومن هو المنافق الذي قلبته ريح الشبهة على عقبيه ، وكان المنافقون مع المؤمنين بحيث لا يميز أحدهم الآخر لقيامهم جميعا بأداء الاعمال الظاهرة

المطلوبة ، وهكذا كان سبحانه وتعالى يحصص ما في القلوب بما يتلي به الناس من الدين «أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلم الكاذبين» وعلى هذا الأسلوب جاء ماروي في الحديث القدسي «يا عبدي مرضت فلم تعدني ، وجعت فلم تطعمني ، وعطشت فلم تسقني» خرجوه على أن المراد مرض عبادي الفقراء الذين هم عيال الله فلم تعدهم الخ نعم أن الرواية غير صحيحة ولكن لم يفهم أحد منها أنها على ظاهرها لقطع العقل بأن هذا محال ولقوله تعالى «ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون» وقالت العرب : اني جائع في بطن غيري وعريان في ظهر غيري : ويدخل في هذا الأسلوب أيضا مثل قوله تعالى «من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا» أي يعطي عباده المحتاجين ، والله يكافئه عنهم إذ كانوا عاجزين ،

وتم وجه آخر في تفسير «نعلم» هو أدق من هذا جرى عليه مفسرنا (الجلال) وغيره وهو أن المراد بالعلم في مثل هذا علم الظهور والوقوع ذلك أن الله تعالى يعلم الأشياء قبل وقوعها أنها ستقع لأنها واقعة ويعلمها بعد وقوعها أنها وقعت والجزاء يترتب على ما وقع بالفعل فقوله هنا «نعلم» يراد به الثاني أي لنعلم علم وقوع ووجود يترتب عليه الثواب والعقاب وليس معناه أنه تجدد له علم لم يكن وإنما التجدد في المعلوم لا في نفس العلم أي أن المعلوم لم يكن موجودا ثم وجد وظهر كأنه قال : ما جعلنا القبلية جهة بيت المقدس إلا لنحوها ونمتحن المؤمنين بالتحويل ليظهر ما ثبت في العلم القديم من اتباع بعض الناس للرسول واستقامتهم على هدايته وانقلاب بعضهم على عقبيه وإظهاره ما أكنه في نفسه من الريب وبذلك يمتاز

المهتدون من الضالين، وتقدم الحجة للمؤمنين على الكافرين، ومبنى الانقلاب على العقبين هو الانصراف عن الشيء وتركه بالمرّة فالمنقلبون قد خرجوا من عداد المؤمنين. ويقال رجع على عقبيه ونكص على عقبيه وأبلغها انقلب على عقبيه لما فيها من الاشعار بأنه رجع عن خير الى شر أو من سوء الى اسوأ

قال الاستاذ الامام: ومن قبيل استعمال العلم في متعلقه وما يصدق عليه قوله تعالى « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفذ كلمات ربي » الآية وقوله « ولو ان مافي الارض من شجرة اقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » فالمراد من الكلمات هنا الموجودات كلها عبر عنها بذلك لان كل موجود منها وجد بكلمة الله (كن) ثم قال جل شأنه (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أكثر المفسرين ومنهم الجلال على ان المراد بالايان هنا الصلاة إذ ورد ان بعض المؤمنين أحبوا ان يعرفوا حال صلاتهم قبل التحويل أو صلاة من مات ولم يصل الى الكعبة فاراد الله أن يبين لهم انه يتقبل من الصلاة ما كان أثر الايمان الخالص أي متى كنتم تصلون إيماناً واحتساباً لاريا ولا سمعة فصلاتكم مقبولة لانها أثر الايمان الراسخ في القلب المصلح للنفس، قسمية الصلاة على هذا إيماناً ليس لانها أعظم أركان الدين بل للإشارة الى ما قلناه وبيان ان مرتبتها في منشئها الباعث عليها من الايمان والاخلاص ولذلك يقرن الايمان دائماً بذكر الصلاة والزكاة. فالصلاة هي آية الايمان القلبية الخفية لأنها لا تكون آية الا باخلاص القلب، والزكاة هي الدليل الحسي الظاهر. وقد يُفَسَّح الجاهل بالصلاة فيتهم انه أقامها كما أمر الله اذا ادى هذه الاعمال الظاهرة التي هي صورتها وان كانت هذه الصورة

خالية من روح الاخلاص والتوجه القلبي الى الله تعالى. ولكن الزكاة آية على الايمان، لا يقدر ان يغش نفسه بها انسان، فليحاسب مؤمن بالله وكتابه نفسه الاستاذ الامام: ان سياق الآية بل الآيات يدل على أن الايمان هنا مستعمل في معناه فانه لما بين أمر الفتنة في تحويل القبلة وبين ان من الناس من ينقلب الى الكفر وينرك الايمان ومنهم من ثبت على ايمانه عالمان الاعتماد في مثل مسألة القبلة على اتباع الرسول لان الجهات في نفسها متساوية لافضل لجهة منها على جهة بشر هؤلاء المؤمنين المتبعين بأنهم يحجزون على ايمانهم الجزاء الاول في فلا يضيع الله أجرهم ولا يلتهم من ثباتهم على اتباع الرسول شيئاً

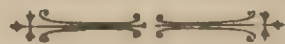
وهذا الذي قاله الامام ظاهر لكل من يفهم هذا السياق العجيب ومن عجيب شأن رواية أسباب النزول انهم يمزقون الطائفة المنتمة من الكلام الالهي ويجعلون القرآن عضيعين بما يفككون الآيات ويفصلون بعضها من بعض بل ربما يفصلون من الجمل الموثقة في الآية الواحدة فيجعلون لكل جملة سبباً مستقلاً كما يجعلون لكل آية من الآيات الواردة في مسألة واحدة سبباً مستقلاً. انظر هذه الآيات تجد اعجازها في بلاغة الاسلوب ان مهدت الامر بتحويل القبلة ما يشمر به في ضمن حكاية شبهة المعارضين التي ستقع منهم، وتوهين هذه الشبهة بإسنادها الى السفهاء من الناس وإيرادها مجملة، وبوصلها بالدليل على فسادها، وبذكر هداية الصراط المستقيم الذي لا تقرط فيه ولا إفراط، وبذكر مكانة هذه الأمة بدينها واعتدالها في جميع أمرها، وببيان الحكمة في جعل القبلة الاولى قبلة، وبالتلطف في الاخبار عما سيكون من ارتداد بعض من يدعون الايمان عن دينهم افتناناً

بالتحويل وجهلا بالامر اذ اورد الخبر في سياق بيان الحكمة حتى لا يعظم وقعه على النبي والمؤمنين ، وبيان ان المسألة كبيرة على غير المنعم عليهم بالهداية الالهية التي سبق ذكرها وهي الايمان الكامل بمعرفة دلائل المسائل وحكم الاحكام ، ثم تبشير المؤمنين المهتدين الثابتين على اتباع الرسول (ص) بإثابة الله إياهم برأفته ورحمته وفضله وإحسانه . وبعد هذا كله أمره بالتحويل أمرا صريحا كما سيأتي في تفسير بقية الآيات . أفصح في مثل هذا السياق الموثق بمض جملة وآياته ببعض ان تفك وتفه ويجعل تنفا تنفا ويقال ان كل جملة منه نزلت لحادثة حدثت أو كلمة قيات وان أدى ذلك الى قلب الوضع وجعل الاول آخر والآخر أولا ، وجعل آيات التمهيد متأخرة في النزول عن آيات المقصد ؟؟؟ اتسمح لنا اللغة والدين ، بأن نجعل القرآن عظيم ، لاجل روايات رويت وان قيل ان اسناد بعضها قوي بحسب ما عرف من تاريخ الراوين ؟؟؟

وقد ختمت الآية بقوله تعالى (ان الله بالناس لرؤف رحيم) لبيان ان توفية المؤمن المخلص أجره هي من آثار رأفته ورحمته سبحانه فلا يخشى ان تتخلف وأن يضيع أجر المؤمنين الصادقين . قال الجلال : والرأفة شدة الرحمة وقدم الابلغ للفاصلة : وأنكر الاستاذ الامام هذا القول أشد الانكار وينكر مثله في كل موضع فيقول ان كل كلمة في القرآن موضوعة في موضعها اللائق بها فليس فيها كلمة تقدمت ولا كلمة تأخرت لاجل الفاصلة . لان القول برعاية الفواصل اثبات للضرورة كما قالوا في كثير من السجع والشعر انه قدم كذا وأخر كذا لاجل السجع أو لاجل القافية والقرآن ليس بشعر ولا التزام فيه للسجع وهو من الله الذي لا تعرض له الضرورة بل

هو على كل شيء قدير وهو العالم الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه .
وما قال بعض المفسرين مثل هذا القول الا لتأثيرهم بقوانين فنون
البلاغة وغلبتها عليهم في توجيه الكلام مع الغفلة في هذه النقطة عن مكانة
القرآن في ذاته وعدم الالتفات الى ما لكل كلمة في مكانها من التأثير الخاص
عند أهل الذوق العربي . (قال) وعندى ان الرأفة أثر من آثار الرحمة والرحمة
أعم فاف الرأفة لا تستعمل الا في حق من وقع في بلاء والرحمة تشمل دفع
الآلم والضر وتشمّل الاحسان وزيادة الاحسان، فذكر الرحمة هنا فيه .
التعليل والسببية وهو من قبيل الدليل بعد الدعوى فهو واقع في موقعه كما
تجب البلاغة وترضى كأنه قال ان الله رؤوف بالناس لانه ذو الرحمة الواسعة
فلا يضيع عمل عامل منهم أولا يبتليهم بما يظهر صدق ايمانهم واخلاصهم
في اتباع رسوله ليضيع عليهم هذا الايمان والاخلاص بل ليجزيهم عليه
أحسن الجزاء . واذا كان أثر الرأفة دفع البلاء كما قال الاستاذ الامام فيجوز
ان يكون ذكر الرحمة بعدها إيماء الى انه لا يكتفي تعالى بدفع البلاء عن
المؤمنين برأفته بل يعاملهم بعد ذلك بالرحمة الواسعة والاحسان الشامل
ويزيدهم من فضله

ثم ان المفسرين قد بينوا ان كلا من الرأفة والرحمة في الانسان انفعال
في النفس أثره ما ذكر آتقا والاقفعال محال على الله تعالى فتفسر هذه الالفاظ
اذا وصف بها سبحانه وتعالى بآثارها وتقدم شرح هذا المقام في تفسير البسملة



سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ

سوريا والاسلام (٢)

(٥) سوريا قبل الفتح العربي

أراد صاحب مقالات (سوريا والاسلام) ان يثبت ان التعصب لم يكن في سوريا قبل الفتح الاسلامي فذكر ان تلك الشعوب العظيمة التي عاشت هناك منذ أول عهد التاريخ حتى انقراض الدولة الفينيقية ، كانت الحروب بينها وبين الفراعنة مستمرة وكانت سجالا والغلبة تأخذ الجزية من المغلوبة ولكن لم يكن ذلك لاجل الدين بل لاجل السلطة والعظمة . ثم ذكر ان الاسرائيليين الذين هجموا على فلسطين هجوما العرب على سوريا (حاولوا) ان يلبسوا حروبهم صبغة دينية لكن قبائل الكنعانيين والحثيين والاموريين واليبوسيين وغيرها حاربهم دفاعا عن الوطن وعن الحرية والاستقلال ، ثم ذكر ان هذا التعصب والثوب الديني الذي (حاول) الاسرائيليون ان يلبسوه لحروبهم وان يضموا به جامعتهم وينضوا مملكتهم ، ما لبث ان تمزق بعد سليمان ثم بلي ما أعجب شأن هذا الكاتب وما أشد تعصبه لما يعلم أو لما لا يعلم !! كان بالامس يمثل بديانة بوذه للدين الصحيح الذي لا حرب فيه ويستدل على انه شارع بحق ولا يذكر موسى ولا شريعته عند التمثيل للديانات الصحيحة بل يعرض بأنها باطلة وهو اليوم يفضل تلك القبائل الهمجية الوثنية التي كانت تقيم في سوريا قبل الفينيقيين على شعب إسرائيل شعب الله كما يفضل عليهم فراعنة مصر وأهلها الوثنيين ، ويفضل عليهم أيضا تلك القبائل الوثنية التي كانت في بلاد فلسطين وان كان الله قد فضل شعب إسرائيل على هؤلاء أجمعين ، ونجحوا من سلطة بعضهم وجعل له السيادة على الآخرين . كل هذا يخالف دينه واعتقاده وهكذا يفعل الغلو في التعصب حتى يحني الغالي على ما يتعصب له !!! اي مزينة لقبائل نيفليم وأميم ورفايم وزوزيم وعناقيم وزمزوميم تلك الحيوانات الوثنية على بني إسرائيل سلالة النبيين وحمله الكتاب والدين . انه قد أثبت لليهود عين ما ينسبه الى الاسلام ولم يتلطف معهم الا بكلمة (حاولوا) وهي لغو حيث وضعها فان كان ينكر الديانة الموسوية لاجل الانكار على الديانة المحمدية لشره واسرافه في بغض هذه أفلا يتذكر انه يهدم بذلك الديانة المسيحية أيضا ؟؟

وان كان لا يبالي بهدم الاديان السماوية بغضا بالمسلمين فليجعل المفاضلة بين الديانة الوثنية ، وديانة التوحيد الالهية ، وان كان يرى تحريم الحرب لاجل حرية الدين ونشره وهو ما يفعله الآن أحد المسيحيون - وان سبقهم به اليهود والمسلمون - هو الذي يفضل به دين دينا فلا شك ان الوثنية أفضل من المسيحية وغيرها من الديانات السماوية فبالله يخص المسلمين بالنم والقدرح ؟

هذا الكاتب نصراني في الظاهر ولكنه في الواقع اما وثني واما معطل يحكم العقل فقط فان كان وثنيا فلا كلام انما معه الابد المناظرة في أصل الوثنية فان أثبتها فله الفاج فيما يفرع عنها والا فكلامه ساقط ، وان كان يحكم العقل فكيف ساغ له ان يعد الحرب السياسية لأجل « توسيع الحدود وبسط السلطة والعظمة » جائزة وخيرا ونافعة ، والحرب لاجل حرية الدين ونشر دعوة الحق التي يعتقد صاحبها ان فيها سعادة الدارين ممنوعة وشرا وضارة ؟ وكيف ذكر بعارة الرضى والاستحسان اغارة البابليين على الاسرائيليين وسبهم وتخريب هيكلهم وزحف الرومانيين الى سوريا واحراق الهيكل بعد ماني ثانية وتدمير المدينة بفعل طيطس ؟ اليس هذا اضطهادا للدين لم يفعل مثله المسلمون ؟ ثم ذكر ان الرومانيين قد قضوا على بقية تعصب اليهود في سوريا بما فعله طيطس الوثني الظالم وانه لم يظهر التعصب في سوريا بعد ذلك الا بعد الفتح العربي . وطوى في هذه الدعوى تاريخ النصرانية وما كان منها من التعصب الذي تقشعر منه الجلود والذي جعل اليهود من أنصار الجوس على النصارى تشفيا وانتقاما ثم من انصار المسلمين عليهم أيضا ليستشقوا في ظل هذا الدين نسيم الحرية الدينية الرطب اللطيف بعد التجارة من رمضاء التعصب النصراني وسمومه التي تلافح القلوب دون الجلود . وهذا الذي نوميء اليه مدون البسط في كتب أحرار الافرنج المنصفين وغيرهم الذين لهم الفضل على محبي الحقائق في كل زمان ومكان

قال الكاتب المؤرخ ان التعصب الاسرائيلي زال من سوريا بعد تدمير طيطس مدينة أورشليم سنة ٧٠ بعد المسيح . ولكن التاريخ يقول بغير ما قال هذا المؤرخ - يقول التاريخ ان اليهود قد حققوا زمنا وكتبوا تعصبهم عجرا ثم دفعهم الحق الى ثورة عظيمة ادعى زعيمها برة قوشير انه هو المسيح فاجتمع عليه اليهود واشتعلت نار

الحرب بينهم وبين الرومانيين على عهد الامبراطور هارديان ثلاث سنين حتى قتل الزعيم ويقال انه قتل في هذه الحرب من الاسرائيليين خمس مئة ألف ونيف وأمر هارديان بمحو خرائب اورشليم وطمس أطلالها ورسومها وانبنى هناك مدينة جديدة تسمى عاصمة ايليا فكان ذلك في سنة ١٣٢ للمسيح وأباح للمسيحيين والوثنيين الاقامة في هذه المدينة وأخرج اليهود منها ثم لم يبح لهم الرومان الدخول فيها الا في القرن الرابع وانما أذن لهم أن يدخلوها مرة واحدة في السنة زائرين من شاء منهم فكانوا يدخلونها باكين ناديين. وقد اضطهد النصارى هؤلاء اليهود في وطنهم أشد الاضطهاد ومنعواهم من كثير من بلادهم لا من مدينتهم المقدسة فقط

ولما زحف الفرس في عهد خسرو على سوريا وفلسطين كان اليهود انصارا لهم حتى اذا ما فتحوا اورشليم ذبحوا سكانها النصارى واصطلموهم اصطلاما . ولما انتصر هرقل على الفرس وأجلاهم عن سوريا ومصر انتقم من اليهود شر انتقام وعاملهم بقانون هارديان ومنه انه يجب ان يكونوا على بعد ثلاثة أميال من اورشليم على الأقل وكان الاسلام قد ظهر والمسلمون قد زحفوا على سوريا وفلسطين .. اذن ان التعصب الديني بين اليهود والنصارى كان على أشده في سوريا عند ظهور الاسلام ولم يكن قد زال قبل النصرانية كما زعم الكاتب الذي حتى تعصبه على التاريخ والدين ، لاجل تمكين العداوة في سوريا بين النصارى والمسلمين ، ولولا أن اشتطنا الاختصار لاطلنا في بيان هذا التعصب بين اليهود والنصارى في سوريا وبيننا ان الاسلام أضعفه بل أضعف التعصب المطلق بل أماته حتى أحيتة الحروب الصليبية التي أضرمها تعصب النصارى

﴿٦﴾ سوريا والفتح العربي

يقول الكاتب ان التعصب ظهر بعد فتح المسلمين اورشليم وعقد المعاهدة بينهم وبين النصارى في بيت المقدس وذكر نص المعاهدة نقلا عن المؤرخ الايطالي قيصر كنو وهي مزورة على نسق المعاهدات الاوربية مؤلفة من ١٥ مسألة (بند) ولا شك ان هذه المعاهدة مختلفة من الايطالي أو غيره من غلاة التعصب وكل من قرأها من العارفين باللغة العربية وأساليها والعارفين بحال الناس في ذلك العصر يعرف انها مكذوبة بالبداهة وابتنا نذكر نص المعاهدة التي أوردها امام المؤرخين والمحدثين ابن جرير الطبري في

تاريخه ثم نذكر ما أورده هذا الكاتب المتعصب عن اساتذته متعصبى أوروبا ليقارن صاحب جريدة المناظر الغراء وأمثاله من فضلاء التصارى المتصفين بين الروايتين ويعلموا من أين جاءنا النزاع والخصام، امانص مافى الطبري فهو :

✽ عهد سيدنا عمر لاهل بيت المقدس ✽

«بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم ولكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتها أن لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من حيزها ولا من حليهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود . وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم . ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان (كذا ولعله تحريف) فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم . وعلى مافى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية . شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية ابن أبي سفيان . وكتب وحضر سنة ١٥ هـ وفيه دليل على ما قلناه من التاريخ من منعهم اليهود من سكنى بيت المقدس وأما المعاهدة المذكوبة التي أوردها الكاتب المتعصب في جريدة المناظر فهي :

١ - يسمح للمسيحيين الذين سلموا للمسلمين أن يبقوا في مدينتهم المقدسة وأن يقيموا فروض ديارتهم وطقوسهم كما يشاؤون ولكن لا يسمح لهم أن ينشئوا معابد ولا كنائس جديدة لافى المدينة ولا فى نواحيها

٢ - يجب على المسيحيين أن يتركوا أبواب كنائسهم مفتوحة أو أن الصلاة واستعمال الطقوس وبيع للمسلمين الدخول إليها عندئذ لمراقبة ما يصنعون خوفاً من أن يتآمروا سرّاً على المسلمين

٣ - يجب أن تكون أبواب المسيحيين مفتوحة لجميع ضيوف المسلمين

٤ - يجب على المسيحيين أن يقدموا للمسلمين الذين يأتون لزيارة المدينة المقدسة (أعني أورشليم) طعاماً ليوم واحد فقط بدون أن يأخذوا منه وإذا مرض أحد أولئك

الضيوف التزموا بخدمته حتى يبرأ

٥ - لا يجوز للنصارى ان يمنعوا اولادهم من تعلم القرآن ولا يجوز لهم ان يهوههم عن اعتناق المذهب الاسلامي اذا ارادوا

٦ - يجب ان يعتبر المسيحيون المسلمين اسياداً لهم وان يكون لهم فيهم المقام الاول في كل شيء

٧ - لا يجوز للمسيحيين ان يلبسوا لباس الاسلام ولا ان يتسموا بأسمائهم ولا ان يتصفوا بصفاتهم بل يجب ان يكونوا على خلاف منهم في كل شيء

٨ - يجب على المسيحيين اذا ارادوا ان يركبوا ان لا يركبوا خيلاً ولا نوقاً بل حيراً وبغالاً ولا يجوز لهم ان يقلوا سلاحاً ولا ان يستعملوه في بيوتهم وكذلك لا يجوز ان تكون منازلهم مزينة بمثل الزينة والتحف والاشياء التي يزين بها المسلمون منازلهم حتى ولا برافع حيرهم يجوز ان تكون كبرافع حير المسلمين

٩ - لا يجوز للمسيحيين ان يبيعوا خيراً ولا كحولاً البتة ولا اشربة روحية ما إلا باذن الخليفة أو ممثليه فقط ولا يجوز لهم ان يتركوا خنازيرهم ومواشيهم تسرح في الاسواق

١٠ - يجب على المسيحيين ان يلبسوا ثياب الحداد دائماً وان يشدوا وسطهم بسيور من جلد سواء كانوا في المدينة أم في الخارج

١١ - لا يجوز للمسيحيين ان يرفعوا صلباناً فوق الكنائس ولا ان يدقوا جرساً والاجراس والصلبان الموجودة حالاً متى وقعت لا يجوز ان يوضع غيرها في مكانها

١٢ - لا يجوز للمسيحيين ان يطلوا على المسلمين في معابدهم

١٣ - يجب ان يقدموا الجزية في اوانها ولا يتأخروا عن جمع الضرائب التي يفرضها عليهم المسلمون

١٤ - يجب ان يحترموا الخلافة الاسلامية والمسلمين كسادة للبلاد وأصحابها ولا يتآمروا عليهم البتة

١٥ - يلتزم الخليفة بتأمين النصارى الطائعين والحاضرين لجميع شروط ونصوص هذه المعاهدة . اهـ

وما ينتقد من هذه المعاهدة ان المسلمين لم يكونوا يقولون «مدينتهم المقدسة»

ولا كفاً (الطقوس) ولم يكونوا يرحلون لزيارة تلك البلدة ولم يكن لهم لباس مخصوص بل كانوا يلبسون ملابس الروم التي يغمونها ولم يكونوا يزينون بيوتهم ولم يكن في زمانهم شيء يسمى (الكحول) ولا الاشربة الروحية وانما كانوا يسمون كل مسكر خمرًا إلا التبيذ اذا صار يسكر ويمتتع شرعاً ان يقيد بيع الخمر باذن الخليفة، ولم يكن لهم معابد ينعون المسلمين من الاشراف عليها ولم يضرربوا على أهل تلك البلدة ضرائب ولم يكونوا يعبرون عن السلطة بالخلافة الاسلامية ولا عن عمر بالخليفة - هذا ولم يكونوا يخافون من المؤامرة عليهم فانهم غلبوا القوم وهم مستعدون للقتال ومعهم الروم فكيف يخافونهم بعد ذلك ولو خافوا أو احتاطوا لم يكن ذلك معيباً ولا منتقداً ولا باعثاً لتعصب فاته أمر طبيعي معهود من جميع الفاتحين والسيادة بطبيعتها للفتح فلامعنى لاشتراطها ، ولم يكن من فلتهم المنع من التشبه بهم ورؤية عباداتهم وتعلم كتابهم والتسمي بأسمائهم . فالظاهر ان المعاهدة وضعت في هذا العصر لان أسلوبها واصطلاحاتها كلها عصرية . فأين المنصفون يميزون بين تساهل المسلمين وتعصب غيرهم . انهم ليختلفون على سلفنا حتى في هذا العصر - عصر الحرية والعلم ليعيونا وينفروا قومهم وسائر الناس منا فهل فعلنا نحن شيئاً من مثل هذا ؟؟

أكتفي بهذه الاشارات في تفنيد مسائل هذه المعاهدة المختلفة ولكني أقول انني لأنكر ان منها ماله نظير في بعض كتب المسلمين ولكن لاثقة بروايته ومن المأثور في ذلك مارواه البيهقي من طريق حزام ابن معاوية قال : كتب الينا عمر : أدبوا الخيل ولا يرفع بين ظهرانيكم الصليب ولا تجاوركم الخنازير : ولكن إسناده ضعيف ولو صح لا يمكن حمله على جماعة المسلمين ، على ان أقوال الصحابة ليست حجة في الدين عند جمهور علماء الاصول الا ان يجمعوا عليها أو ترفع الى النبي (ص) أو يكون لها حكم المرفوع بأن يكون هناك دليل على انها ليست من اجتهادهم بل سمعوها عن الشارع (ص) . ومنها مارواه البيهقي عن ابن عباس : كل مصر مصره المسلمون لا تبني فيه يعة ولا كنيسة ولا يضرب فيه ناقوس ولا يباع فيه لحم خنزير : وفي إسناده حش وهو ضعيف على ان المسلمين أحرار في مصر مصره لانفسهم ان ينعوا غيرهم من الإقامة معهم فيه مطلقاً وبشرط وكذلك أهل الذمة اذا كانت لهم أرض وجعلوها بلداً

ولم يقبلوا ان يبيعوا منها شيئا لمسلم فان الاسلام لا يكرههم على بيعها ولولا جل المسجد . ومفهوم كلام ابن عباس انه لا يمتنع بناء الكنائس في غير المصر الذي مصره المسلمون كالامصار القديمة وما مصره غيرهم ولو بشر كته معهم .

ولو صحت هذه المعاهدة التي نقاهما لما كانت أبعد مما يعامل به أهل أورب المسلمين وغيرهم في مستعمراتهم لاسيما في اثناء الفتح اذ تكون السياسة عسكرية بل هي أخف منه . وقد أعجبني قول الياس افندي الحداد من وجهاء نصارى طرابلس الشام جوابا عن قول آخر: ان بعض الاحكام التي عامل بها المسلمون أهل الذمة قاسية . قال الياس افندي: ان هذه سياسة عسكرية وهي ضرورية في اثناء الفتح لابد منها لكل فاتح مهما كان عادلا ومتساهلا : واقول انها مع كونها عسكرية كانت أعدل وأرحم سياسة كمال قال بعض فلاسفة أوربا (راجع علوم العرب واكتشافاتهم في المجلد الخامس من المنار اوص ١٠٥ من كتاب الاسلام والنصرانية) ثم انني لم أر في كتب الحديث والغازي الماثورة شيئا في معاملة أهل الذمة قال روايه ان الصحابة اتفقوا أو أجمعوا عليه رأيا الا مارواه ابن عساكر عن الوليد عن عمر وغيره وهو:

« ان عمر واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمع رأيهم على إقرار ما كان بأيديهم من أرضهم يعمرونها ويؤدّون منها خراجها الى المسلمين فن أسلم منهم رفع عن رأسه الخراج وصار ما كان في يده من الارض وداره بين أصحابه من أهل قريته يؤدّون عنها ما كان يؤدي من خراجها ويسلمون له ماله ورقيقه وحيوانه، وفرضوا له في ديوان المسلمين وصار من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ، ولا يرون انه وان أسلم أولى بما كان في يده من أرضه من أصحاب من أهل يته وقرابته ولا يجعلونها صافية للمسلمين . وسموا من ثبت منهم على دينه وقرينته ذمة للمسلمين، ويرون انه لا يصلح لاحد من المسلمين شراء ما في أيديهم من الارضين كرها لما احتجوا به على المسلمين من امساكهم كان عن قتالهم وتركهم مظاهرة عدوهم من الروم عليهم . فهاب لذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاية الامر قسمهم وأخذ ما في أيديهم من تلك الارضين وكره أيضا المسلمون شراءها طوعا لما كان من ظهور المسلمين على البلاد وعلى من كان يقاتلهم عنها ولتركهم كان البعثة الى المسلمين وولاية

الامر في طلب الأمان، قبل ظهورهم عليهم . قال وكرهوا شراءها منهم طوعا لما كان من إيقاف عمر وأصحاب الارضين محبوسة على آخر الامة من المسلمين المجاهدين لاتباع ولا توارث قوة على جهاد من لم يظهروا عليه بعد من المشر ~~كين~~ ولما أزموا أنفسهم من اقامة الجهاد ، اهجروها كافي (كنزل العمال) . وأغرب ما في هذه الرواية ان يسلم الذمي فتزعم منه أرضه وتعطى لاصحابه الذميين من ذوي قرباه ويفرض له بدل ذلك من بيت مال المسلمين . فليقارن النصف بين هذا وبين انتزاع أعظم دول أوروبا وطينة وحرية ومدنية أرض المسلمين من أيديهم حتى أوقفهم الدينية وذلك بوسائل لا مروج لها الا القوة القاهرة والبلاد التي يجري فيها ذلك قريبة منا ويعرف ما فيها العارفون (للرد بقية)

﴿ تنوير الأفهام ، في مصادر الاسلام ﴾

تقديم الكتاب بكلمة

نشرت الجمعية الانكليزية المكلفة بالدعوة الى النصرانية كتابا سمي بهذا الاسم خاضت في أمره الجرائد الاخبارية وباليتم لم تخض قاتها تهويلها تشوق الناس الى الاطلاع على هذا الجزء ، والتمويه الباطل من حيث لا تزيل تمويهه ولا تبين هزؤه حتى انه ربما علفت ببعض الاذهان الضعيفة بعض شبهه وان كانت سخيفة وقد رمينا بالبصر الى جعل منه في مواضع متفرقة فرأيناه قد سلك في الرد على الاسلام المسلك الذي جرى عليه بعض علماء أوروبا في هدم الديانتين اليهودية والنصرانية إذ ألفوا كتباً يزعمون فيها مصادر كتب العهد العتيق المسمى بالتوراة وكتب العهد الجديد المسمى بالانجيل أو الاناجيل ورسائل الرسل

يعرف الناظرون في كتب العهد الجديد ان مؤلفيها لم يستدلوا على الدين المدون فيها بأدلة عقلية نظرية أو كونية وانما يقيمون أساسه على كلمات انتزعوها من العهد العتيق على انها بشارات أنبياء بني إسرائيل . فهذا الدين - الذي بسمونه مسيحياً ونسبته نحن وبعض فلاسفتهم وعلمائهم (كتولستوي الروسي) بولسيا - مبني على كتب العهد العتيق ونهزم بدمها وتبطل الثقة به بظهور بطلان الثقة بها . وقد قال الحكميم الافغاني ما مثله : ان الناظر في كتب العهدين يترأى له ان مؤلفي كتب العهد الجديد قد فصلوا ثوباً من كتب العهد العتيق وألبسوه للمسيح بما زعموا من انطباقه عليه :

أراد مؤلف الكتاب ان يقلد علماء اوربا في هذه المسألة فأساء التقليد فان اولئك قد بينوا ان كلمة الاله والآله في التوراة مأخوذة من لغة اخرى وان العبرانيين استعملوها كما كانت مستعملة في الملة التي اخذوها منها؛ ولعلنا نفصل ذلك في فرصة اخرى بترجمة ما قالوه ولكن صاحبنا اساء التقليد، وشبهته ان الاسلام وافق الجاهلية في تسمية خالق الكون، وهل ينطق النبي الابلسان قومه ام جاءني بلغة جديدة لا يعرفها احد فأفاد الناس بها؟ « وما رسلنا من نبي الابلسان قومه ليعين لهم »

مثل هذا المؤلف في صنيعه هذا كمثل الذي قلد جوابا فأساء التقليد، سمع جماعة رجلا ينادي يا عبد الله فقال له احدهم : كلنا عبيد الله فمن تعني ؟ وكان فيهم رجل بليد سمع مرة اخرى رجلا ينادي : يا حمزة : فأجابه : كلنا حمامين الله فمن تعني ؟ ورأى أمير على غلام مخايل الذكاء والنجابة فامتحنه بأسئلة منها : ما أطيب الدجاج ؟ قال جلدها : فأجازه جائزة حسنة وكان له اخ بليد فحسده وتعرض للامير قائلا : ساني كما سألت أخي : فقال له الامير : ما أطيب شيء في الجاموسة ؟ قال جلدها : فأمر بجلده أما الكلمة التي أهدم بها هذا الكتاب فهي ان محمدا النبي الامي بعث ليهدي الناس الى صراط الفطرة السليمة باصلاح ما فسدوا من دين الانبياء وإقامة الدين على أساس الاستدلال والعلم دون التقليد للرؤساء . وهذا الكتاب يثبت للنبي الامي الاطلاع على جميع اديان الامم وتقاليدها وعاداتها ولغاتها وانتخاب قواعد الاسلام واحكامه منها كانه كان ناشئا في مكتبة كمكاتب باريس وبرلين ولندره حيث الكتب في جميع اللغات والعلوم والفنون تأتي طالها بالآلات كهربائية كلمح البصر مع انه لم يقرأ ولم يكتب ولا نشأ بين قوم قارئین كاتبين وانما كان أميا ناشئا في امة جاهلية لا كتب عندها ولا علوم . ثم ان هذا الكتاب لا يعتبر الدين صحيحا الا اذا كانت أحكامها كلها مخالفة لما عليه البشر وان كان حقا وخيرا وفضيلة كأنه يشترط في الدين ان يكون مصادما للفطرة في كل شيء حتى اذا ما أقر شيئا من الخير الذي لا يخلو من الناس كان فاسداً ومقتبسا كله من الناس . فجميع طعن هذا الكتاب في الاسلام لا يعدو موافقة بعض أحكامها لما كان عند الناس وان كان عندهم فاسدا فاصححه او ناقصا فأنمّه، وقد رأيت مثالا من طعنه وسنريك غيره فيما يأتي ان شاء الله تعالى

❦ رأي في سلب الامن من الحجاز ❦

تواترت الاخبار تواترا حقيقيا اصوليا باختلال الأمن في بلاد الحجاز وبان حكومة الحجاز التي التي زمامها بيد أمير مكة ووالي الحجاز قد كانت من عوامل هذا الخلل. ظهر للناس كلهم من سبب ذلك الطمع في مال الحجاج الذي كانت الحكومة تسلبه منهم وتنهبه باسم إعانة سكة الحديد الحجازية واسم زيادة اجرة الجمال وبأسماء أخر سميتها مأثرل الله بها من سلطان. والسبب الخفي الذي يعتقد به بعض الخواص دون بعض هو أن كل ما قد جرى فانما جرى بتمهيد وإيعاز من الاستانة ولا نبحث في ادلتهم على ذلك الآن وإنما نقول انه لا يبرىء الدولة العثمانية من هذه الخيانة الكبرى الا عزل أمير مكة وواليها ومحاکمتهم ومجازاتهم وعزل وكيلهما أيضاً فان فعل السلطان ذلك فقد استبرأ لدينه ومنصبه والاثبت لجميع مسلمي الارض ما يتهامس به بعضهم الآن من أن كل ما جرى موعز به من الاستانة وان الغرض منه منع الحج بالمرّة أو منع خواص المسلمين وعلمائهم من زيارة تلك البلاد لئلا يتآمروا هناك وينصبوا لهم خليفة بالانتخاب الشرعي وذلك ان الخواص وأهل العلم هم الذين يعلمون ان الفريضة تسقط عنهم عند عدم الامن على الارواح أو الاموال وهم الذين يحافظون على حياتهم كما يجب وهم الذين تخشى جانبهم سياسة التفريق التي يصعب عليها ان يجتمع اثنان أو ثلاثة من أهل العلم والرأي ولو في بلد غمره الاستبداد ، وتغلغل في العيون والجواسيس ، فكيف يسهل عليها ان يجتمع العلماء والفضلاء من جميع الاقطار في موقف مقدس ويتمتعون مع ذنب الاجتماع بالامن على ارواحهم وأموالهم ؟؟ وأكبر أمانتنا ان يكذب سلطانتا (وقفه الله) هذه الظنون بما ذكرنا ويعين للحجاز أميرا وواليا آخرين يجعل عايمهما تبعة كل التقصير في حفظ الاموال والارواح في تلك البلاد التي حرم الله ان يصاد صيدها وان يخلى خلاها ، فان لم يفعل كان إهماله أمر هذه البلاد المقدسة لاجل لقب الخلافة هو الذي يزرع منه هذا اللقب العظيم ، وينفر من الدولة قلوب جميع المسلمين ،

ليس امر العيب بالامن في الحجاز كامر العيب بالامن في بلاد مكدونية وأرمينية ولا الإلحاد في الحرم كالإلحاد في بلاد الروم وان كانت (باية أستانبول العلمية) أعلى في قانون الدولة من (باية الحرمين) فان ملاك هذا الامر الذي يسمونه الخلافة هو في اعتقاد

أكثر المسلمين القائلين به حفظ الحرمين وتسهيل إقامة هذا الركن الديني فإذا صار مهددا بالهدم برضاء الساطان أو بعجزه فأبي عمل من أعمال الخلافة يبقى له؟ وظيفة الخليفة إقامة الدين وحفظه فإذا كان المرتد لا يقتل - وإذا كان الأتوف من المسلمين يكلفون بترك صلاة الجمعة للوقوف امام الجامع الحميدي عند صلاتها - وإذا كان ركن الزكاة قد هدم والسلطان العثماني لا يبالي بهدمه كما بالي الخليفة الاول اذ حارب مانعي الزكاة باقرار الصحابة - وإذا كان الصوم سرايين العبدوربه - فهل بقي من ركن من الخمسة تطلب فيه عناية سلطان المسلمين غير الحج؟ وهل يطلب منه في ذلك شيء أقل من حفظ الامن ومنع تمدي العمال وأعوانهم من الاعراب على أنفس الحجاج وأموالهم؟ ألم ير السلطان كيف أقبل المسلمون على إعانة سكة الحديد الحجازية بالآلوف والآلوف مع املهم فضيلة التعاون على الاعمال العمومية في هذا الزمان؟ ألم يعلم ان السبب في هذا هو اعتقادهم بان هذه السكة تسهل لهم طريق الحجاز؟ فإذا رأوها آلة لسلب الامن على المال والانفس في الحال، فكيف يصدقون ان الغرض منها حفظ الامن في المستقبل؟

الاي علم السلطان ان كل مسلم يسأل نفسه اليوم: هل السلطان قادر على تأمين الحرمين الشريفين أم لا؟ وأنهم لا يجدون في انفسهم الا أحد جوابين إما انه قادر ولكنه يريد سلب الامن وإما انه غير قادر. فأبي الجوابين يرضيه اذا لم يبادر الى معاقبة أمير مكة ووالها وعزلها مع وكيلها ووضع آخرين مسئولين عن الامن في موضعها واعلام جميع الاقطار بذلك

أيظن ان المسلمين في مشارق الارض ومقاربها يخدعون بقول جرائد الاستانة وجرائد بيروت ان أمير الحجاز وواله قد حفظا الأمن أتم حفظا وان الحجاج كانوا في غاية الرفاهة والراحة لاشغل لهما الا تكرار الدعاء للخليفة الأعظم والسلطان الافخم كاجاء في المنشور الرسمي الذي ارسله الى الاستانة حسب العادة المتبعة في كل عام؟ كيف يخدع من يرى هذه الجرائد - وقليل ما هم - بقولها وقد انبت في الاقطار متبا ألف حاج وكلهم يخبرون بكذبها؟ اذا حدث كل حاج عشرة من الناس بما رأى وسمع وقاسى وعانى يكون مجموع العارفين مليونين وكل من يخبر كل واحد من هذين المليونين؟ ان هذا امر ليس كسائر الأمور فينفع فيه تضليل الجرائد التي

يتخذ بها الجاهلون بسلطة السياسة عليها . على ان الجرائد الحرة في مصر وغيرها أكثر من تلك الجرائد انتشاراً ، وصدق أخباراً ، وقد اجتمعت على تمثيل فقدالاً من في الحجاز لاسياً بعد ماورد تقرير أمير الحج المصري على الحكومة ونشرته في الجريدة الرسمية وفيه من تمثيل المخاوف والاعتداء على الاموال والانس مائوكدر سائل الحجاج الكثيرة يسند بعض المتناقضين من اصحاب الجرائد وغيرهم كل إلحاد في الحرم الى شريف مكة وجريدة (ترك) تملأ ماضفها بزم العرب والاشراف مستدلة بسوء سيرة الشريف ولكن العاقل والجاهل يعلم ان الشريف أحد عمال السلطان ويذهب كثير من الناس الى صحة ما قالته جريدة الجوائب المصرية (كما في الجزء الماضي) ان السلطان قد أقامه هناك وأقره على الظلم ليكون حجة على العرب والشرفاء امام المسلمين ، ولكن هذا غير معقول فان الناس يعرفون ان السلطان قادر على عزله وعلى تأديبه في كل آن ويعرف الكثيرون ان الشريف لم يكن له امر ولا نهي على عهد عثمان باشا والي الحجاز السابق بل كان ذلك الوالي قد ألجأه الى ترك المقام في مكة فأقام في المدينة المنورة حتى عزلت الدولة عثمان باشا عن الحجاز . وكان أول عمل كسره شرته ان أمر فرقتين من العسكر بحمل مدفعين والاحاطة ببیت الشريف وطلب جان التجأ اليه منه وقال لهم ان أبي تسليمه فضعوا الحديد في يد الشريف نفسه وأحضروه الى هنا بالقوة . وقد بادر البكباشي الى إخبار الشريف بذلك فأرسل الجاني حالا وكان يهزأ قبل ذلك بالحكومة اذ تطلبه منه

لعل بعض القراء يتمتع من شدة انكارنا لميله مع ربح السياسة أكثر من ميله الى خدمة الدين ، وربما يسبق الى وهمه أن للنفس هووى في هذه الكتابة لما تعود عليه من كتابة أهل السياسة . ولي ان اقول لهذا الواهم : انني وربي الكعبة أتمنى لو احج وانني وربي الكعبة لا آمن على نفسي بل اعتقد ان الحج حرام على مادام هؤلاء الحكام على سيرتهم هذه في الحجاز ، وانتي والله أتمنى لو تصالح حكومة الدولة العثمانية فتكون خير حكومة في الارض . ولكنني احب صلاح الدولة لاجل الاسلام لا اني احب الاسلام لاجل الدولة ان الله تعالى امتن علينا بجعل البلد الحرام والبيت الحرام أمناً للناس كما نطق بذلك القرآن الكريم وما نحن من تفسير بعض آياته في ذلك ببعيد ومنها قوله تعالى « فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً » وقوله عز وجل « ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم »

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خطبته بمعرفة يوم النحر من حجة الوداع : فان دماءكم
واموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا الى يوم تلقون
ربكم ، اهل بلغت؟ - قالوا نعم قال - اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغائب قرب مبلغ
اوعى من سامع فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ، رواد احمد
والبخاري فجعل حرمة الدماء والاموال مشبها وحرمة البلد الحرام والشهر الحرام
مشبها به كانه ابلغ في التحريم فكيف صارت الاموال والدماء تباح في البلد الحرام
في الشهر الحرام ولا يوجد من يسأل عنها؟ وكيف يحرم الله في ذلك المكان والزمان
قتل القمل والحشرات وقلع النبات وتحلل الحكومة العثمانية قتل النفوس المنيعة الى ربها
اللاجئة الى بيته الداخلة في ضيافته وسلب الاموال المحرمة كذلك ثم ندهن لها
ونكون من المؤمنين؟

ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده
فان لم يستطع فليسهه فان لم يستطع فقلبه وذلك اضعف الايمان ، : رواد احمد ومسلم
وأصحاب السنن وغيرهم ونحس قادرون على الانكار بألسنتنا فكيف نسكت؟ والواجب
على المسلمين ان يخرجوا عن طاعة هذه الحكومة اذا ثبت انها تتهاون بأمر الامن
في الحجاز ولا تمنع الظلم منه فان سكتوا ورضوا كانوا ملعونين في القرآن ويوشك
ان يسلط الله عليهم من ينزع منهم ما بقي بأيديهم يعيشون فيه فسادا حتى الحجاز
« لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا
وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون »

هذا وانما نشدد في الانكار رجاء التأثير ونسأل الله تعالى ان يوفق هذه
الدولة الى المبادرة الى تلافي هذا الامر بطريقة تقنع القريب والبعيد ، والذكي والبليد ،
بان الامن قد عاد الى تلك البلاد المقدسة والافان العاقبة تنذر بخاطر عظيم يشعر به
المتفكرون ، وان عمي عنه الطامعون ، وتغافل عنه المنافقون ، وجهل مثاره الغافلون ،
« وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون »



القسم العمومي

﴿ بلرم - صقلية ﴾

(٥)

(أمير وأميرة من الاسرة الحديوية)

البحر هادي والهواء عليل . وقد قرب الغروب واليوم آخر أيام السفر ، وأنا محبوس في هذا المكان الضيق لتحرير هذه الأحرف لإجابة لطلب بعض الناس ، وبودي لو استنشقت الهواء لكن بقيت على قصة أقصاها ولو تركتها اليوم ، لم يعد اليها القلم في يوم ،

صعدت الى المركب من مسينا وجلست انتظر مسيره وبينما انا كذلك واذا بأمير من اعضاء العائلة الحديوية يصعد من السلم الى السطح فنهضت للسلام عليه وتساءلتنا عن مراحل أسفارنا وفهمت منه ان معه حرمة وهي من اعضاء العائلة الحديوية كذلك . فقلت أمير جليل ربي على الطريقة الاوربية وتعود السفر الى بلاد أوربا مع حرمة وهي كذلك قدريت على العظمة والحرية فلاريب ان ترى الأميرة مع الأثير ولا يقدح ذلك في كرامة واحد منهما فان الأميرات المصونات قد يرين الناس من حيث لا يراهن الناس للاثمن من عالم غير عالمهم ولكن لأن الناس يفضون الطرف احتراماً لهم ولا يحظر عليهم في رؤية من لا يراهن . لكني مكثت مع الأثير الى وقت العصر ثم تركته وذهبت الى محل الأكل لتناول شيئاً مما يتناول في هذا الوقت فكان جلوسي مع بعض أرباب البيوت من الفرنسيين المقيمين في الاسكندرية . فبدأوني بالكلام فتكلمت وامتد بي وبهم الحديث الى حالة المركب وازدحامه بالركاب وضيقه عنهم فقال قائل أو قالت قائلة : ما أسوأ ما صنعت الشركة مع البرنيس فاتها وضعتها في فترة ضيقة لاشباك لها وهي ملازمة لها ليها ونهارها ولو كانت ممن يخرجون ويستنشقون الهواء لسهل الامر ولكن الاميرة لا تخرج أبداً لانها لم تخرج قط من يوم ركب المركب ومن القمرات ماهو أفضل من قمرتها وأوسع : فسألت هل بها شيء تألم له لو خرجت ؟ فقل لي : لا ، الظاهر أنها في غاية الصحة وكال العافية غير أنها لا تحب ان تخرج والقمرة مقفلة في جميع الاوقات :

امكنتي بعد ذلك ان أسأل حتى يتم سروري بما فرحت لأوله فعلمت ان الاميرة

كانت في أوربا تسدل على وجهها نقاباً أزرق على نحو ما يسدل لساء الاستانة أو سوريا بحيث لا يميز الناظر شيئاً من وجهها، ومتى ركب المركب لزمت قمرتها واغلقتها عليها الى أن تصل الى غاية سفرها، وكل ذلك تفعله حرصاً منها على كرامتها ومحافضة على المعروف من عوائدها من حيث هي أميرة مسلمة. فقلت مثل صالح لا بد من ذكره والثناء عليه حتى يتعلم أولئك المقلدون أن من أمراءهم وأميراتهم من هم أولى بتقليده وان خيراً لهم ان يقلدوا أميراً مصرياً من العائلة الخديوية الكريمة من ان يقلدوا اجاعة من الاوربيين غير معروفين لهم ولا يحسون بتقليدهم ولا يستفيدون من حذوهم حذوهم الاتجروهم مما يميزهم من حيث هم مصريون أو مسلمون، واختفاءهم في غمرة أولئك الاوربيين لا يميزون عن عامتهم في شيء، وسريان ما يشكونه القوم من الفساد الى أنفسهم وأنفس نسايتهم، فبارك الله في الأمير وفي الاميرة وأرشد الله شبائنا الى التأمي بهما ان كان لابد لنسايتهم ان يذهبن الى أوربا لمداواة علة، أو يناس في غربة، لعلك تسأل من هذا الأمير ومن هذه الاميرة؟ فاني أقول لك الأمير هو الأمير عباس باشا حلبي والاميرة هي الاميرة خديجة أخت أفندينا الخديوي عباس باشا حلبي ومما يسرك ان كنت مثلي تحب العفة ووضع الشيء موضعه ان الأمير لا ينفق في سفره ن كان وحده أكثر من ثلاث مئة وخمسين جنبها واذا كان مع الاميرة فلا ينفق أكثر من ستمائة جنبه في مدة شهرين ونصف وهو يعيش عيشة الامراء

تقول: لعله يقتصد ليكثر، ويوفر ليستكثر، فأقول لك اني علمت أنه ينفق من ماله في تربية تلامذة في مصر وفي الاستانة وفي انكلترا يتعلمون العلوم العالية في المدارس الحرية أو مدارس الطب أو الزراعة. فما قولك في نفقة مثل هذه بدل النفقة في الشهوات وفوائت اللذات؟ ألت توافقني على أنه من أفضل الامراء عملاً، ومن أنبلهم قصداً، فانه يربي أناساً يقومون بشئون بيوتهم أعرف بعضهم وأجهل بعضاً، ألا يكسب بهذا حسن الاحدوثة وتخليد الذكر خصوصاً اذا استزاد من هذا الخير فانه بذلك يقوي عناصر العلم في البلاد وهو الاصل الذي نحتاج اليه لاسيما اذا انضم اليه حسن التربية كما هو مقصد الأمير. ولو اقتدى به الامراء لاصبحنا في ثروة من العلم ولم تصب حضراتهم بالافلاس من المال. بعد الافلاس من الكمال، وفقه الله وأرشدهم والسلام اه

(المنار) تمت ملاحظات السائح البصير في تعريجه على صقلية وقد كتبت التبذة الرابعة في الجزء ٢٤ من السنة الماضية ثالثة (٣) ولعله يتكرم علينا بشيء من ملاحظاته النافعة في البلاد الأخرى التي سائح فيها ليعلم السائحون الكثيرين من أمته كيف ينتفع البصير بالسياحة وكيف يأمن مضرتها؛ ومن أجدر من سائحنا بهذا الارشاد .

أشاد على البصير

تقريظ المنار لعالم غير مقلد

قال بعد رسوم الخطاب :

منارك مرغوب المؤمن المحب لربه ولما أبدع ربه من الوجود البديع الواقف عند حدود سنه وجدير بمن أكرمه الله بالمرغوب ان يأخذ بحظ وافر من ذكره سبحانه الذكر المتعاقب الذي لا يلبث معه النسيان الا خلا قليلة . ذلك ذكر الله الذي تطمئن به القلوب ، ويتوحد به المحبوب ، ولا يفوت معه مرغوب ، اللهم اغنا على ذكرك .

نشكرك وأنت العليم بذات الصدور - يا من أكرمتنا بكتاب « المنار » المنير نشكرك ان أتممت على ظهوره السنة السادسة سائراً سيرته التي نعتقد انها رضىك . نشكرك لك الفضل ، ولك الحمد ، ولك المنة ، ومنك العون ، ومنك التوفيق .

ويا صاحب المنار لقد قت فينا مقام المصلحين فعليك منا الثناء نعمته لك ليكون من آيات انمار غرسكم النافع . ومن آيات حبنا اياك في الصراط المستقيم الذي ترجوان فصل فيه الى المجد الحقيقي والسعادة التي لا ينكرها أحد - ولا السوفسطائية .

انتهت السنة السادسة اما أشواق الملائ الى بدائع ما تحيون من السن فلما تنته ولما ينهها خاطر من الخواطر بل هنالك حداة بها يزيدون في سيرها . تلك أشواق الذين ذاقوا كنه الامور فاصبجوا يميزون بين الحقائق والالوهام ، كالتميز بين وقائع اليقظة والاحلام .

وهذه السابعة أقبلت فعسى ان يكون مباركا اقبالها وعسى ان يزيد المنار فيها اشراقا يستنير به المخلصون المتصفون ، وبشرق به الحسدة والمعادون .

واليك أرسلنا هذا الكتاب نصف فيه مسرتنا بأتنا من محبي المنار الثمين دوام سطوع أضوائه . وفي كل حرف حررناه نطق للفؤاد بأدعية خالصة بها تضرعنا للقوي سبحانه ، أن لا يخيب أملنا ، وان يخلص اليه عملنا ، وأنت اللهم ولي المؤمنين .

الجزء الثالث من كتاب أشهر مشاهير الاسلام ❦

قد صدر الجزء الثالث من هذا التاريخ الاسلامي الوحيد في بابيه وهو في سيرة أشهر قواد الخليفة الثاني وعمله - أبي عبيدة عامر بن الجراح فاتح الشام وسعد بن أبي وقاص فاتح بلاد الفرس وعمرو بن العاص فاتح مصر وقد جرى مؤلفه (رفيق بك العظم الشهير) في تراجمهم على الطريق التي جرى على تراجم من سبقهم أعني طريق التخصيص والتحقيق وبيان أسباب الحوادث وتناجها والارشاد الى وجوه العبر فيها وبسط الكلام في موضوعات استطرادية نافعة يعبر عنها بالكلمات فمنها كلمة في العمال وكلمة في القبور وقد سبق لنا نشرها في المنار وكلمة ثانية في أهل الذمة وقد نشرناها أيضا . ومعظم الكتاب في ترجمة عمرو بن العاص فانه أعظم عمال عمر دهاء وسياسة وأعمالا وان كان أبو عبيدة أعظمهم أمانة واستقامة وورعا وديانة وبلية في ذلك سعد بن أبي وقاص (رض) . وقد اعتذر المؤلف عن عمرو أن زج نفسه في غمرة الفتنة بين أمير المؤمنين علي ومعاوية بأنه لم يسعه على حبه للرياسة والتقدم في الامور ما وسع الثمر المعتزين من حب السلامة بل رأى ان ارتفاع فريق من أولئك المخلفين برأيه ربما كان فيه تعجيل باطفاء شواظ الفتنة وحسم لمادة الاختلاف الذي أهرق فيه دم الامة ، وانه في ذلك كثيره من الصحابة الذين دخلوا مدخله ، وانه اراد ان يجعل معاوية وسيلة يعمل به ثم يعمل لنفسه اذ كان يطمع في الخلافة ، وانه في ذلك كظماء الدين في هذا الزمان وفي كل زمان فان كثيرا من الملوك قتلوا اخوتهم - أو اولادهم لاجل الملك ولم يطعن الناس في اصل دين احد منهم واكثر ما يقال فيهم انهم عصوا الله اذ رجحوا دنياهم على دينهم . وبين المؤلف ان عمرا كان يعتقد ان معاوية على الخطأ وقال بعد ذلك : وهذا يدل على ان عليا رضي الله عنه لو تألف عمرا واستدناه اليه لاتفع به واصلدقه الخدمة اكثر منها لمعاوية ولكن إغراق علي في حب الفضيلة دعاه الى ترك الحيلة بمثل عمرو كما دعاه الى عدم قبول اشارة من اشار عليه بتأليف معاوية وتبتيته على ولاية الشام كما سترى بعد ، اه وهذا يؤكد ان تلك الاعذار عين الذنوب ،

اما الكتاب فهو في غنى عن التشويق اليه والترغيب فيه فنه قد راجروا جاعظيا حتى انه ليوشك أن يعاد طبع الاجزاء السابقة. وطبع هذا الجزء في مطبعة المنار وهو احسن من سابقه طبعا وتصحيحا ونمن النسخة منه خمسة قروش صحيحة واجرة البريد قرش ونصف ويطلب من مؤلفه ومن مكتبة المنار بشارع درب الجماميز وغيرها من المكاتب المشهورة

❦ الدولة العلية ومالياتها ❦

رسالة نافعة مفيدة لكاتب عماني غيور رمز الى اسمه بحرفي (م.ق) بين فيها التفقات الرسمية القانونية التي تنفذها الدولة في الوزارات والمصالح وغير الرسمية وقد كان الكاتب أرسلها اليها لنشرها تباعا في المنار فنشرنا منها نبذة ثم رأينا بعد إشارة غير واحد من القراء عدم نشر الباقي ولكن الكاتب لم يرد أن يحرم الأئمة من الانتفاع بها فطبعها على حداثها. ومن هذه الرسالة يعلم ان كبار رجال الدولة يأخذون رواتبهم الشهرية مضاعفة ويزادون من المكافآت السلطانية ما لا يحصر له وما صغار العمال والجند فانهم لا يصلون الى رواتبهم القليلة الا في كل أشهر مرة. وقد اقترح الكاتب في آخر رسالته عشرين أمراً رأى ان إصلاح الدولة بدونها محال وهي:

١ - تنقيح دوائر الحكومة وتقليل المرتبات التي لا لزوم لاربائها وارجاعها لاصل القانون العثماني والتخفيض من ذلك الجيش الجرار الموجود في تلك المجالس المشكلة في الاستانة كما تقدم ذكره الى عدد لا يتجاوز مانص عليه في القانون.

٢ - إحالة أغلب القواد الحائزين على رتبة المشيرية والفريق الذين لا ينتظر منهم خدمة حقيقية على المعاش والاقبال من الانعام بهذه الرتب السامية ذات المرتب وجعل عدد كل من الرتبين لا يتجاوز حداً معلوما أسوة بباقي الدول

٣ - إحالة قسم من الباوران على الجيش وخضم راتب الكوردون والاكتفاء براتب الرتبة كما هي الحالة المتبعة عند الدول الاجنبية

٤ - قطع المرتبات عن الجرائد

٥ - حل جيوش الجواسيس واقتصاد رواتبهم

٦ - إلغاء الوظائف التي لا عمل لها وإبطال اسدائها لقبير مستحقة لانتهاه

لبعض الكبار المعبر عنه بالحسوية

- ٧ - زيادة رواتب صغار المستخدمين ورواتب ضباط الجيش من رتبة الصاغ وما تحتها
- ٨ - قطع دابر الرشوة من دواوين الحكومة
- ٩ - ترتيب الترقى في الخدمات الاميرية على الخطة الجارية في أوروبا
- ١٠ - عدم عزل الموظف الا بعد محاكمته وعدم استخدام من يعزل لثبوت جريمة عليه
- ١٢ - عدم اعطاء امتيازات ذات ضمان للاجانب بل حصرتها في أهل البلاد
- ١٣ - تنشيط التجارة والزراعة وتأليف شركات تجارية وصناعية
- ١٤ - وضع رسم قليل على كل تلميذ يتعلم بالمدارس الاميرية للاستعانة بذلك على توسيع دائرة التعليم
- ١٥ - اعطاء الحرية للجراند والمطبوعات
- ١٦ - اصلاح المكاتب العمومية (الكتبخانات) بالاستانة أو جمعها بمكتبة واحدة وفتحها دائماً للمطالعة ويوضع رسم طفيف على كل داخل اليها
- ١٧ - قطع المرتبات التي تعطى من البلديات الى المنفيين أو بعض «الحاسيب»
- ١٨ - اعطاء الوزارة الحرية بالعمل
- ١٩ - عمل ميزانية سنوية ونشرها في الجرائد
- ٢٠ - تنفيذ أحكام القانون بالمساواة واستقلال القضاء عن الادارة والسياسة وهو الا هم وفي الرسالة فوائد كثيرة وكلام في مستقبل الدولة وثمان النسخة منها قرش واحد وتطلب من مكتبة المنار

﴿ تقويم المؤيد لسنة ١٣٢٢ ﴾

أصبح هذا التقويم أشهر من نار على علم وهو يزداد فائدة عاماً بعد عام حتى يقول الناظر فيه : ليت شعري أي شيء جديد يكون فيه بعد هذا ، وهو الآن مؤلف من خمسة عشر باباً يدخل في كل باب من الفوائد ما هو سمي السامر ، وأتيسر المسافر ، وفي باب التاريخ من هذه السنة تراجع سلاطين آل عثمان وتاريخ أشهر الممالك الاوربية وكلام في مستعمراتها وجدول لتاريخ السلوك والرؤساء من كل أمة . وفي بابي أحوال مصر والسودان ما لا يستغنى عن معرفته ، وفي باب القضاء معجم يشرح فيه الاصطلاحات

القضائية . وفي باب المعاهدات والسياسة كلام طويل في المسألة المكدونية والمسألة المراكشية والمسألة اليابانية الروسية وغير ذلك . وفي باب تدبير المنزل ما يفيد كل منزل وفي سائر الابواب من الفوائد الماحل هنا للاشارة اليه ولكننا نقول كلمة واحدة في تقرير هذا التقويم وهي « انه مكتبة في الحيب » وهو مجلد تجليدا جميلا وثمان النسخة منه خمسة قروش صحيحة فقط ويطلب من مؤلفه محمد أفندي مسمودا لحرر بحريدة المؤيد

﴿ تقويم العرب ﴾

يطبع في مصر كثير من التقاويم المختصرة التي يسمونها (النتائج) وهي لمعرفة تاريخ الشهور الهجري مع الافرنجي والقبلي ويزيد بعضها العبري . وقد جرت عادتهم بأن يكتبوا بازاء الايام ما يكون فيها أويحسن من احتفال ملي أو عمل زراعي وغير ذلك . ويسمون ذلك بالتوقيعات والكثير من هذه التوقيعات يدخل في باب العادات المنتقدة والاهام الضارة وقد وضع محمد أفندي حسين مساعد سكرتير شركة طبع الكتب العربية تقويميا جديدا لهذه السنة بمساعدة خضر أفندي ابراهيم . رغب فيه عن توقيعات العادات العمومية المعتادة الى ذكر اشهر الوقائع والحوادث التاريخية ولم يهمل ذكر الاعمال النافعة في أوقاتها كابتداء زراعة القطن وغيره . فهذا التقويم على صفه تاريخ اسلامي وجيز فيه ذكر مواليده أعظم رجال الاسلام ووفياتهم وأشهر الوقائع . وقد طبعته شركة طبع الكتب على نفقتها ونرجو أن يفوق سائر النتائج في الرواج والاشهار ولو بعد حين . وثمان النسخة منه قرش واحد .

بَابُ الْخَبَرِ وَالْأَعْيَانِ

﴿ خطر علينا وعلى الدين ﴾

نشر المقتطف مقالة بهذا العنوان لعبد القادر أفندي حزة المحامي بالاسكندرية أعجني منها نظم الكلام وأسلوبه وترتيبه وتنسجت منه الغيرة وحسن القصد فخطرت لي عند القراءة ان أكتب الى صاحب المقالة مينا له رأي فيها ثم رأيت ان أكتب ذلك

في النار بالاسهاب اللاتق بالوضع فلم تسمح لي الموضوعات العارضة مع ما لا بد منه في كل جزء كالتفسير من كتابة ما أردت في الجزئين السابقين وقد كاد يتم هذا الجزء أيضا ولم يبق منه ما يسع كل ما أريد فأكتفي ببعضه

قال ان الامة اذا كانت متأخرة جاهلة فانها لا تخطو الى الامام الا بعهد الثقلب في ادوار طبيعية اولها ان يكثر فيها الناصحون والمرشدون وحكم بأن الامة المصرية في هذا الدور، والقاعدة صحيحة كما قال ولكن المرشدين لم يكثروا الا أن تقول ان المراد بالمرشدين من يتصدى للنصح على ان كثرتهم مرجوة فجنح في هذا الدور. ثم قال الكاتب ان هذه الامة على كثرة الصائحين فيها من المرشدين لا تفقه كلمة من عشر كلمات مما يلحقون عليها ولا تدري الى أين تساق ، وهذه جملة مسلمة أيضا فانك كنت تجد المتعالمين يصدقون الاحداث الى الامس فيما يخبرون عن مستقبل مصر واخراج فرنسا الانكليز منها ويصدقون صاحب الحمار في ان العالم الفلاني اخطأ في بحث القضاء والقدر !!!

ثم انتقل الكاتب الى مسألة الدين فزعم ان جميع المرشدين المختلفين في كل شيء متفقون على دعوة الامة الى الدين وان الامة متفقة معهم في ذلك فاذا اختبرت الناس في كل بلد ، واذا راقبت معلمي المدارس ومربي الاطفال ، واذا نظرت الى المؤلفات الجديدة ، واذا همت في أودية الشعر مع أهله ، واذا تلوت الجرائد والمجلات - فانك لا تجد في هذا كله الادعوة الى الدين واقناع النفوس بان النجاح والترقي لا يكون الا به. وهذه دعوى غير مسلمة قد غلا الكاتب فيها غلوا كبيرا ، فلو درت في البلاد واختبرت حال الناس لقلت انهم لا دين لهم ولا هم لهم في الدين ولكنك تجد عند الفلاحين شيئا من التقاليد المنسوبة الى الدين وأكثرها ليس منه في شيء وهؤلاء لا ينظر اليهم في هذه المسألة لانهم لا رأي لهم وهم لم يأخذوا ذلك عن المرشدين في هذا الدور

ولو عرفت حال معلمي المدارس لما رأيت فيهم عشرة في المئة أو في المجموع يؤدي الواجب عليه في قانون الحكومة من تعليم الدين بل ان منهم من يشغل وقت درس الدين بتعليم العربية ويقول لتلاميذه هذا أنفع لكم لان درس الدين لا شأن له في (نمر الشهادة) . وقد اقترح واحد من الذين عهدت اليهم نظارة المعارف بالنظر في قانونها (البروغرام) أن يضاف اليه درس ديني في القسم التجهيزي فرفض طلبه بأكثر

الآراء الأولى علم الناس ما علل به الرافضون رفضهم لقضوا عجا ١١١
ولو التفت الى الشعراء وطلاب الخيال لوجدتهم لا ينظمون شيئاً في ترقى الامة ولا
يذكرون ذلك الا أن يحثوا الامة على الفناء في حب الامير وتفويض الامر كله اليه .
والتعويل في السعادة عليه ، اما المنصفات فالديني منها قليل جدا

وأما الجرائد والمجلات فليس فيها ما هو ديني اصلاحي الا (المنار) ولا أدري هل
قلب صحائفه من قلب الدعوة الدينية على جميع وجوهها حولين كاملين أم لا ؟ ولا
أنكر انه يوجد أحيانا في الجرائد كلام أو كلم في الدين ولكنه يوجد عرضاً ، يرمون به
غرضاً ، لا أعرف جريدة لها دعوة دينية أو رأي في الإصلاح الديني تحاول اقناع
الناس به فان كان الكاتب يعرف فأرجو ان يداني على هذه الجريدة لاستيعين بها
في عملي . من هذه الجرائد المعروفة ماهي للامير خاصة تدور معه حيث دار ،
فاذا حضر الامير احتفالات الموالد والمواسم المتبدعة في الاسلام قامت تنادي باحياء
هذه الامور خدمة للاسلام ، واذا احتفل بمرقصه السنوي وفيه ما فيه من شرب الخمر ،
وهصر الخصور ؛ - قامت تنوه بفضل هذا الاحتفال وتعدده من أصول المدنية والعمران
ومرقيات الامة ، ومنها ما لاهم لصاحبه الا المال والفخفخة فهو يسلك لاجله كل
مسلك ، ويسير في كل فيج ، ناصبا للمال والجاه كل فيج ، ومن ذلك إظهار الفيرة على
الدين عند سnoch الفرس وحدث الحوادث ، ويقل فيها ما يكتب لمجرد الفيرة على
الدين ، وان خالف اهواء العامة والحاكمين ، ثم ان وجد هذا أحيانا فانه لا يلتزم
دائماً ، وهذا الذي قلناه قد اعترف به الكاتب وقال انهم يتاجرون بكلمة الدين ،
وتخذونها مطية للتغريب والتضليل ، وليكتنا نذكره بأنه لا يوجد واحد منهم رسم لنفسه
خطة ، وفرض على نفسه الدعوة ، اذا لا يوجد فيهم من يشغل الامة بالدين عن أي عمل
من أعمال الترقى فلا خطر علينا ولا على الدين منهم

ثم انتقل الى مسألة (ميراثنا الديني) فأحسن وأصاب في قوله ان أهم أسباب
مانع فيه من الحلل الديني التقليد ولكنه غلا في تمثيل ارثنا بعض الشيء ولا حاجة
للبحث فيه وإنما نتقل معه الى البحث في النتيجة

قال : ان في السداء بالدين اليوم وهو كاهو من الانحراف عن صورته الاصلية

خطراً عليه لا يبعد اذ لم تداركه ان ينتهي بانحلاله وضباع أصله في قليل من السنين ، ثم استدلل على ذلك بسوء حال طالاب المدارس وعلماء الشرع وسائر طبقات المسلمين وبين بعد الجميع عن الدين . وهذا صحيح ولكنه لا ينتج ما قال أولاً لان هذا ليس أثراً لنداء المرشدين أو المتصدين للارشاد بالدين وإنما هو أثر التقاليد المتبعة بالعمل قبل ان تدخل الامسة في هذا الطور أو الدور الذي قال أولاً انه أول أدوار ترقى الأمم فليس الخطر علينا وعلى الدين اذاً من هذا النداء الجديد - ان كان - وإنما الخطر كل الخطر في بقائنا على التقاليد الموروثة بالترية والعمل أو بالبدع والخرافات ، والتقاليد والعادات ، التي لها باب مخصوص في المنار ، فانتا لا تقوى بها على معارضة المدنية الجديدة ولا على محاربتها ، ولا نقدر ان نكون بها أمة عزيزة قوية

ثم ضرب لنا مثلاً ما كان من الانقلاب الديني في أوروبا وفي سياقه مجال للبحث ولكنه غير جوهرى فهو لا يشغلنا عن الحقيقة البيضاء النقية في قوله : « الأفلندر جيداً ولو ساءت هذه المعرفة اتنا بجهلنا الاعمى وتشيعنا الكاذب أوصلنا الدين اليوم الى حال إن استمرت ولم نقف في طريقها أدت ولا محالة الى زواله » : ثم بين الكاتب طريق تلافي الخطر المتوقع بالاجال فقال :

« لا يقولن مندفع الى أريد بهذا ان يترك الدين جانبا !! فعاذ الله ثم معاذ الله ان أريد ذلك اوان يخطر على فكري شيء منه . إنما أريد ان يلبس الدين يئتنا ثوبه الحقيقي ، ذلك الثوب الابيض الطاهر الذي تنظره الابصار فيعجبها جماله ، وتمرها حقيقة ، أريد ان ترمى تلك التقاليد والعادات الموروثة التي تابست بالدين بعيدا ليعود خالياً من الشوائب ، يتسع المجال فيه للفهم السليم ، والنظر الصحيح ، أريد ان تحفظ للدين كرامته فلا يجهل هدفاً لكل متشدد مغرور يخبر بالمناداة به على جهل ولغير داع ، اريد ان تمحى من يئتنا آثار التغالي والتشيع فنعلم ان القرآن لم ينزل الا بقواعد عامة للناس جميعاً ، فلنا ولكل أمة ان تتصرف في مدلولاتها بما يناسب الزمان والمكان دون تقييد او حرج على الأفهام ، الا مخرج عن الدين . أريد ان لا يؤتى بكلمة الدين امام العلم ليقال ان آية أو حديثاً يعارض معناها شيئاً من العلم فان الدين لم ينزل ليعلم الناس العلم ، أولينا في العقل في شيء حتى يعارضها ما ولو في بعض الاحايين : أريد أخيراً ان

لأنك من الصباح باسم الدين حتى لا تلتفت العقول الناشئة اليه قبل ان يظهر في ثوبه الحقيقي لئلا تنفر منه وتكون قد جئنا من حيث طلبنا الفائدة » اهـ

نقول هذا هو صفوه المقالة وجوهرها ونحن نسلم له بكل ما يريد مع بحث في الامر الاخير المبني على المقدمات التي منعناها وقلنا ونقول الآن : ان الذين ينادون باسم الدين على قتلهم فيما نعلم وكثرتهم فيما قال لا يضررون الدين ولا أهله وإن كان الدين على غير وضعه اذ لا نعرف بدعة جديدة حدث بهذا النداء بل منه ما عزع كثير آمن البدع والتقاليد التي يريد الكاتب محوها . ثم نقول له كيف السبيل الى الرغائب التي يريد بها ، ويريد ان لا يذكر الدين معلم ولا مرب ولا كاتب ولا مؤلف قبل وجودها ، هل يريد ذلك ارادة حقيقة أم هي خواطر سنحت عند الكتابة أو عند تصور موضوعها ؟ ان « النار » يدعو منذ بضع سنين الى مثل مادعا اليه الآن وكل ما ذكره فهو اشارة الى موضوعات مجملة ، نشرت في النار مدينة مفصلة ، منها ما هو لصاحب النار ومنها ما هو لا كبر المسلمين المعروفين عقلا وعلماء كالاستاذ الامام وصاحب سجل جمعية أم القرى . فهل نظر في ذلك أم لا ؟ ان كان لم ينظر فيه فكيف يصح قوله انه لم يكتب في الموضوع الا بعد ان قلبه وعرف ظاهره وباطنه ، وان كان نظريه فما هو رأيه في هذه الدعوة ؟ ان كان يقول بها فكيف اقترح اسكات كل متكلم بالدين ؟ وان كان يراها كغيرها مع تضمها لمراداته فما هي السبيل الى هذه المرادات ؟ أم هي أماني ميثوس منها ؟ عن هذه الاسئلة نطالبه بالجواب ، ولم نخاطبه ونطالبه الا لاننا رأينا بحث في أصول دعوتنا بعقل نمتز به بالاجمال ولذلك غطينا بكلامه على انا قلمنا تم قراءة شيء مما يكتبه أكثر الكاتبيين في هذه المسألة لاننا نراه من اللغو . ولعلنا لانعدم من هذا الكاتب الباحث رأيا جديدا ، وارشادا مفيدا ، فانه بذلك جدير ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل »

﴿ الوفاق الفرنسي الانكليزي ﴾

أصبحت الممالك الاسلامية بفضل ملوكها وأمرائها طعمه للام لا يصرفها عن ابتلاعها صارف الا التنازع وكالارض الموات من سبق الى شيء منها ملكه . وقد سبق الانكليز الى احتلال مصر بطلب من أميرها ليحمونه من أمته ، وبرضى من السلطان ليكفوه شر الحكومة الخديوية التي طالما نازعت في سلطته ، وقد كان لمصر

من الامل الوهمي ان حقوق الدول المالية في مصر تحول دون استئثار انكلترا بالسلطة فيها
فزال هذا الامل يذوب ويضمحل بفضل السلوك الذي سلكه الامير مع المحتلين
وهو مصادمة الضيف للقوي أولا واستلامه ثانيا حتى في المرة بالمعاهدة الاخيرة

حقوق الدول في مصر مالية وبها يراقبون على مالية مصر فلا تستطيع ان تقوم
بم شروع مالي دون إذن من صندوق الدين الرقيب من قبل أوربا على المالية ، والمال هو
المقصود من الاستعمار ، وقد حمل مستشار المالية السابق ذكره من الامير وسافر
الى أوربا لا يدري أحد ماذا يريد الا الامير والورد كرومر والنظار ، وعلى هذا
الذكر يتو بنى الاتفاق الجديد على مسألة مصر بين فرنسا وانكلترا ، وبمقتضى هذا الوفاق
صارت انكلترا حرة في جميع تصرفاتها في مصر فهي تتفق باسم الحكومة الخديوية جميع
الملايين المتوفرة والتي تتوفر من مالية مصر في المشروعات التي تراها ، وبمقتضى هذه
المعاهدة صار الاحتلال الانكليزي غير موقت ولا يطلب توقيته ، عاهدت فرنسا انكلترا على
هذا وعلى مساعدتها في ارضاء الدول واعطتها انكلترا امرا اكش بدلا عن حقوقها في مصر !!
وفرنسا أكثر الدول حقوقا فروسيا حليفها راضية تبعا لرضاها وإيطاليا وديدة الانكليز
راضية وكذلك النمسا راضية وألمانيا لا تشذ عن أوربا كلها فقد قضى أمر المسألة المصرية ، من
جهة الدول والأريكة الخديوية ، ولم يبق للامة رجاء الا بصاية الله تعالى واستعدادها للارتقاء
فاذا صارت أمة فالمستقبل لها واذا بقيت لاهية بالشهوات ، فهي مستعبدة الى ما شاء الله تعالى

يطلب منا كثير من الناس ان نحطّ عنهم بعض قيمة الاشتراك ولو علمنا من هؤلاء
الطالين العجز عن دفع عشرة قروش أو عشرين في السنة مع شدة الرغبة في المطالعة
كما يقولون لحططنا عنهم القيمة كلها كما حططناها عن قوم آخرين ولكن ما ينقل بذله
كل سنة في مثل هذه السبيل يخف بذله وبذل أضعافه كل يوم في السبيل الاخرى .
وان الذي يريد ان ينقصنا بعض الثمن أو كله لا يفكر في كثرة أمثاله وفي أن الكثير
ينهض بالواحد والواحد لا يقدر على النهوض بالكثير

ان المنار أرخص المجلات العربية المنتشرة ثمنا وكم من مجلة وقد زادت في قيمة
اشراكها عما قررت في أول إنشائها ومنها ما قارن الزيادة في ثمنها نقص في مادتها ، وقد
زدنا في مادة المنار وتحسينه مع بقاء قيمة الاشتراك على أصلها . وانا نعلم ان طلب النقص
لا بد منه سواء علينا أزدنا في القيمة أم نقصنا فلو جعلناها ثلاثين لقال باذها الآن : إنني
لا أقدر على أكثر من عشرين : ولو جعلناها ثمانين لجادت يده بالاربعين ،

بقرآن الحكمة من بقاء ومن يوت
الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما
يذكر إلا أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر — الاثنين ١٦ صفر سنة ١٣٢٢ — ٢ مايو (أيار) سنة ١٩٠٤)

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

« قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ، وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ * وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ، وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ، وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ، وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ، وَإِنْ فَرِيقًا لَمْ يَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * »

قالوا كان النبي صلى الله عليه وسلم يتشوف لتحويل القبلة عن بيت

المقدس ويرجوه بل قل (الجلال) انه كان ينتظره لان الكعبة قبله ابيه ابراهيم والتوجه اليها ادعى لايمان العرب أي وعلى العرب المعمول في ظهور هذا الدين العام، لانهم كانوا أكمل استعدادا من جميع الانام، قال الاستاذ الامام ولا يمد في تشوفه الى قبله ابراهيم وقد جاء باحياء ملته، وتجديد دعوته، ولا يمد هذا من الرغبة عن أمر الله تعالى الى هوى نفسه، كلا ان هوى الانبياء لا يمدو أمر الله تعالى وموافقة رضوانه. ولو كان لاحد منهم هوى ورغبة في أمر مباح مثلا وأمر الله تعالى بخلافه لا تقلبت رغبتهم فيه الى الرغبة عنه الى ما أمر الله تعالى به ورضيه، بل المقام أدق، والسر أخفى، ان روح النبي منطوية على الدين في جملة، قبل ان ينزل عليه الوحي بتفصيل مسائله، فهي تشعر بصفاتها وإشرافها بحاجة الأمة التي بعث فيها شعورا اجماليا كليا لا يكاد يتجلى في جزئيات المسائل وآحاد الاحكام الا عند شدة الحاجة اليها، والاستعداد لتشريعها، عند ذلك يتوجه قلب النبي الى ربه طالبا بلسان استعداده بيان ما يشعر به مجعلا، وإيضاح ما يلوح له مبهما، فينزل الروح الامين على قلبه، ويخاطبه بلسان قومه عن ربه، وهكذا الوحي إمداد، في موطن استعداد، لا كسب فيه للعباد، واذا كان حكم شرع لسبب مؤقت، وزمن في علم الله معين، تشعر روح النبي بذلك في الجملة فاذا تم الميقات وازف وقت الرقي الى ما هو افضل وجدت من الشعور بالحاجة الى النسخ ما يوجهها الى الشارع العليم، والديان الحكيم، كما كان يتقلب وجه نبينا في السماء تشوفا الى تحويل القبلة

وفسر بعضهم تقلب الوجه بالدعاء وحقيقة الدعاء هي شعور القلب بالحاجة الى عناية الله تعالى فيما يطلب، وصدق التوجه اليه فيما يرغب، ولا

يتوقف على تحريك اللسان بالالفاظ فان الله ينظر الى القلوب وما أسرت
فان وافقتها الالسنه فهي تبع لها والا كان الدعاء لغوا يفضيه الله تعالى
فالدعاء الذي لا يتحقق الا باحساس الداعي بالحاجة الى عناية الله تعالى وعن
هذا الاحساس يعبر اللسان بالضرارة والابتهال، فهذا التفسير ليس بأجنبي
من سابقه . فتقلب الوجه في السماء عبارة عن التوجه الى الله تعالى انتظاراً
لما كانت تشعر به روح النبي صلى الله عليه وسلم وترجوه من نزول الوحي
بتحويل القبلة . ولا تدل الآية على انه كان يدعو بلسانه طالباً لهذا التحويل
ولا تنفي ذلك . وهذا التوجه هو الذي يحبه الله تعالى ويهدي قلب صاحبه
الى ما يرجوه ويطلبه لذلك قال عز وجل ﴿ فلنولينك قبلة ترضاها ﴾ وقرن
الوعد بالامر فقال ﴿ فوالوجهك شطر المسجد الحرام ﴾ والشطر يطلق
على معان الظاهر منها هنا النحو والجهة فالواجب استقبال جهة الكعبة في
حال البعد عنها وعدم رؤيتها . واذا صح إطلاق الشطر على عين الشي في
اللغة فلا يصح ان يراد هنا لما فيه من الحرج الشديد لاسيما على الامة
الامية . ثم أمر بذلك المؤمنين عامة فقال ﴿ وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره ﴾ وقد عهد من أسلوب القرآن ان يكون الامر يؤمر به النبي ولا
يذكر انه خاص به أمراله وللمؤمنين به فاذا أريد التخصيص جي بما
يدل عليه كقوله تعالى « ومن الليل فتهجد به نافلة لك » وقوله « خالصة
لك من دون المؤمنين » وإنما أمر الله المؤمنين في هذه الآية بما أمر به
النبي فيها نصاً صريحاً للتأكيد الذي اقتضته الحال في حادثة القبلة فانها
كانت حادثة كبيرة استتبعت فتنة عظيمة فأراد الله ان يعلم المؤمنين بعنايته
بها ويقررها في أنفسهم فأكد الامر بها وشرفهم بالخطاب مع خطاب

الرسول عليه الصلاة والسلام لتشدد قلوبهم وتطمئن نفوسهم ويتلقوا تلك
الفتنة التي أثارها المنافقون والكافرون بالحزم والثبات على الاتباع
بعد هذا عاد الى بيان حال السفهاء مبثري الفتنة في مسألة تحويل
القبلة فقال (وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم) أي أن
تولي المسجد الحرام هو الحق المنزل من الله على نبيه . وجمهور المفسرين
على ان أكثر أولئك الفاتنين كانوا من أهل الكتاب المقيمين في الحجاز
ولولا ذلك لم تكن الفتنة عظيمة لأن كلام المشركين في مسائل الوحي
والتشريع قلما يلتفت اليه واما أهل الكتاب فقد كانوا معروفين بين الناس
بالعلم ومن كان كذلك فان عامة الناس تتقبل كلامه ولو نطق بالحال
لان الثقة بمظهره، تصدعن تمحيص خبره، فهو في حاله الظاهرة شبهة اذا أنكر
وحجة اذا اعترف لان الجاهير من الناس قد اعتادوا على تقليد مثله من غير بحث
ولا دليل . وقد جرى أصحاب المظاهر العلمية والدينية على الانتفاع بغير
الناس بهم فصار الغرض لهم من أقوالهم التأثير في نفوس الناس فهم يقولون
مالا يصدقون لاجل ذلك ويسندون ما يقولون الى كتبهم كذا صريحاً وتأويلات
بمبدأ كما كان أخبار اليهود يطمنون في النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به
ويذكرون للناس أقوالاً على انها من كتبهم وما هي من كتبهم ان يريدون
الاخداعاً ، وقد كذب الله هؤلاء الخادعين وبين انهم يقولون غير
ما يعتقدون كأنه يقول ان هؤلاء قد قام عندهم الدليل على ما سقت به
بشارة أنبيائهم من صحة نبوة الرسول ويعلمون ان أمر القبلة كغيرها من
أمور الدين قد جاء به الوحي عن الله تعالى وانه الحق لا يحصى عنه (وما الله
بغافل عما يعملون) فهو المطلع على الظواهر والضمائر ، الحسيب على ما في

السرائر، الرقيب على الاعمال، فيخبر نبيه بما شاء ان يخبره واليه المرجع والمصير، وعليه الحساب والجزاء،

سبق القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان حريصا على هداية أهل الكتاب راجيا بايمانهم مالا يرجوه من ايمان المشركين فبمقدار حرصه ورجائه كان يحزنه عروض الشبهة لهم في الدين ويتمنى لو أعطي من الآيات ما يحجو كل شبهة لهم، فلما كانت فتنة تحويل القبلة بمخادعتهم الناس اخبره الله تعالى بأنهم غير مشتهين في الحق تنزال شبهتهم وانما هم قوم معاندون مجاحدون على علم ثم أعلمه بأن الآيات لا تؤثر في المعاند ولا ترجع الجاحد عن غيه فقال (وائن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تابعوا قبلك) فلا يحزنك قولهم ولا إعراضهم ولا تحسبن الآيات والدلائل مؤثرة فيهم وصارفة لهم عن عنادهم فهم قوم مقلدون لا نظر لهم ولا استدلال وكما أيأسه من اتباعهم قبلته أيأسهم من اتباعه قبلتهم فقال (وما أنت بتابع قبلتهم) فانك الآن على قبلة ابراهيم الذي يجعلونه جميعا ولا يختلف في حقبة ملته أحد منهم فهي الاجدر بالاجتماع عليها وترك الخلاف فيها فاذا كان اتباع ابراهيم لا يزحزحهم عن تعصبهم لما ألفوا، وعنادهم فيما اختلفوا، واذا كان التقليد يحول بينهم وبين النظر في حقيقة معنى القبلة وكون الجهات كلها لله تعالى وان الفائدة فيها الاجتماع دون الافتراق فأي دليل أم آية آية ترجعهم عن قبلتهم وأي فائدة ترجى من موافقتك إياهم عليها؟ ألم تر كيف اختلفوا هم في القبلة فجعل النصارى لهم قبلة غير قبلة اليهود التي كان عليها عيسى بعد موسى (ومابعضهم بتابع قبلة بعض) لان كلا منهم قد جمد بالتقليد على ما هو عليه والمقلد لا ينظر في آية ولا دليل ولا

في فائدة ما هو فيه والمقارنة بينه وبين غيره فهو أعمى لا يبصر، أصم لا يسمع، أغلف القلب لا يعقل،

(ولئن اتبعت أهواءهم بدم ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين) أي إننا قد أثبتنا لك مسألة القبلة على قاعدة العلم الذي عرفت به أن نسبة الجهات إلى الله تعالى واحدة وإن جود أهل الكتاب على ما هم فيه إنما جاءهم من التقليد وحرمان أنفسهم من النظر. وإن طعنهم فيك وفيما جئت به من أمر القبلة وغيره ليس إلا مجاحدة ومعاودة لك مع العلم بأنك النبي الموعود به في كتبهم يأتي من ولد اسمعيل - فبعد هذا العلم كله لا ينبغي لأحد من أتباعك المؤمنين أن يفكر في اتباع أهواء القوم استمالة لهم إذ لا محل لهذه الاستمالة والحق قوي بذاته وغني بمن ثبت عليه ومن عدل عنه مجارة لأهل الأهواء لما يرجي من فائدتهم أو اتقاء مضرتهم فهو ظالم لنفسه وظالم لمن يسلك بهم هذه السبيل المعوجة

الاستاذ الامام: هذا الخطاب بهذا الوعيد لأعلى الناس مقاماً عند الله تعالى هو أشد وعيد لغيره ممن يتبع الهوى ويحاول استرضاء الناس بمجاراتهم على ما هم عليه من الباطل فإنه أفرد به بالخطاب مع أن المراد أمته خاصة إذ يستحيل أن يتبع هو أهواءهم أو أن يجاريهم على شيء نهى الله تعالى عنه لينبه الغافل ويدل المؤمنين أن اتباع أهواء الناس ولو اغرض صحيح هو من الظلم العظيم الذي يقطع طريق الحق، ويردي الناس في مهاوي الباطل، كأنه يقول إن هذا ذنب عظيم لا يتسامح فيه مع أحد حتى لو فرض وقوعه من أكرم الناس على الله تعالى لسجل عليه الظلم وجعله من أهله الذين صار وصفا لازماً لهم «واللظالمين من أنصار» فكيف حال من ليس له ما يقارب مكانته عند ربه عز

وجل ، نقرأ هذا التشديد والوعيد ونسمعه من القارئين ولا نزدجر عن اتباع أهواء الناس ومجاراتهم على بدعهم وضلالاتهم حتى أنك ترى الذين يشكون من هذه البدع والاهواء ويعترفون ببعدها عن الدين يجارون أهواءها عليها ويمازجونهم فيها وإذا قيل لهم في ذلك قالوا : ماذا نعمل : ما في اليد حيلة : العامة عمى : آخر زمان : وأمثال هذه الكلمات هي جيوش الباطل تؤيده وتمكنه في الارض حتى يحل بأهله البلاء ويكونوا من الهالكين وأعجب من هذا الذي ذكره الامام أنك ترى هؤلاء المسترفين بهذه البدع والاهواء ينكرون على منكرها ويسفهون رأيه ويمدون عابثا أو مجنوناً اذ يحاول مالا فائدة فيه عندهم ، فهم يعرفون المنكر وينكرون المعروف ويدعون مع ذلك أنهم على شيء من العلم والدين .

وأعجب من هذا الاعجب أن منهم من يرى إزالة هذه المنكرات والبدع ، ومقاومة هذه الاهواء والفتن ، جناية على الدين . ويحتج على هذا بأن العامة تحسبها من الدين فإذا أنكرها العلماء عليهم نزول ثقتهم بالدين كله لا بها خاصة !! وبأنها لا تخلو من خير يقارنها كالذكر الذي يكون في المواسم والاحتفالات التي تسمى بالموالد وكلها بدع ومنكرات حتى ان الذكر الذي يكون فيها ليس من المعروف في الشرع !! والسبب الصحيح في هذا كله هو محاولة إرضاء الناس بمجاراتهم على أهوائهم وتأويلها لهم ولولا ذلك لما سكت العالمون بكونها بدعا ومنكرات عليها ، إنهم سكتوا بالثمن - « استروا بآيات الله ثمنا قليلا » وهم مع ذلك يظهرون التعجب من مجاهدة أهل الكتاب للنبي والقرآن وما كانوا أشد منهم جحودا ، ولا أكثر جودا ، هذا إيحاء الى اتباع العلماء اهواء العامة بعد ما جاءهم من العلم وما

نزل عليهم من الوعيد عليه . ولو شرح شارح اتباعهم لاهواء السلاطين
والامراء ، والوجهاء والاغنياء ، وكيف كانوا يؤلفون الكتب لهم ،
ويخترعون الاحكام (والحيل الشرعية) لاجلهم ، وكيف حرموا على الامة
العمل بالكتاب والسنة والزموها بكتبهم ، - اظهر لقارئ الشرح كيف أضاع
هؤلاء الناس دينهم ، فسلط الله عليهم من لم يكن له عليهم سبيل ولباز له وجه
التشديد في الآية بتوجيه الوعيد فيها الى النبي المصوم المشهود له بالخلق العظيم ،
(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) ذكر في الآية
السابقة ان الذين أوتوا الكتاب يعلمون ان ما جاء به النبي في أمر القبلة هو
الحق من ربهم ولكنهم ينكرون ويمكرون وذكر في هذه ما هو الاصل والملة
في ذلك العلم وذلك الانكار وهوانهم يعرفون النبي (ص) بما في كتبهم من
البشارة به ومن نعوته وصفاته التي لا تنطبق على غيره وبما ظهر من آياته
وآثار هدايته كما يعرفون أبناءهم الذين يتولون تربيتهم وحياطتهم حتى لا يفوتهم
من امرهم شيء . قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه - وكان من علماء اليهود
واحبارهم - : انا أعلم به مني يا نبي : فقال له عمر رضي الله عنه : لم ؟ قال : لاني
لست أشك في محمد انه نبي فأما ولدي فلعل والدته خانت : فقد اعترف من
هداه الله من احبارهم كهذا العالم الجليل وتيمم الداري أنهم عرفوه صلى الله
عليه وسلم . معرفة لا يتطرق اليها الشك (وان فريقا منهم ليكتبون الحق وهم
يعلمون) انه الحق الذي لا مريبة فيه فما ذا يرجي منهم بعد هذا ؟ وذهب
بعض المفسرين الى ان الضمير في «يعرفونه» لما ذكر من أمر القبلة . واستبعدوا
عوده الى الرسول مع تقدم ذكره في الايات ومع ما يعهد من الاكتفاء
بالقرآن في مثل هذا التعبير

وقد اسند هذا الكتمان الى فريق منهم اذ لم يكونوا كلهم كذلك فان منهم من اعترف بالحق وآمن واهتدى به ومنهم من كان يجحده عن جهل ولو علم به لجاز أن يقبله . ثم قال عز شأنه

(الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) أي ان العمدة في معرفة الحق هو الوحي يأتيك من عند ربك فلا تلتفت الى أوهام هؤلاء المجاهدين فانها لا تصلح شبهة على الحق الصريح الذي علمك الله فتمتري بها. والنهي في الآية هو كالوعيد في الآية السابقة وجه الخطاب به الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد أئمة من كان منهم غير راسخ في الايمان، وخشي عليه الاغترار بمظاهر أولئك المخادعين الذين يغتر بأمثالهم الاغترار في كل زمان ومكان،

مناظرة بين مقلد وصاحب حجة - تابع ويقتبع

(الوجه الخامس والخمسون) قولكم قد قال أبي : ما شبه عليك فكله الى عالمه : فهذا حق وهو الواجب على من سوى الرسول فان كل أحد بعد الرسول لا بد ان يشبه عليه بعض ما جاء به وكل من اشبه عليه شيء وجب عليه ان يكله الى من هو اعلم منه فان تبين له صار عالماً مثله والا وكله اليه ولم يتكلف ما لا علم له به . فهذا هو الواجب علينا في كتاب ربنا وسنة نبينا وأقوال أصحابه وقد جعل الله سبحانه فوق كل ذي علم علماً ، فن خفي له بعض الحق فوكله الى من هو اعلم منه فقد أصاب فأبي شيء في هذا من الاعراض عن القرآن والسنة وآثار الصحابة والتخاذل رجل بعينه معياراً على ذلك وترك النصوص لقوله وعرضها عليه وقبول كل ما افق به ورد كل ما خالفه ، وهذا الاثر نفسه من أكبر الحجج على بطلان التقليد وان أوله : ما استبان لك فاعمل به وما شبه عليك فكله الى عالمه . ونحن ننشدكم الله اذا استبان لكم السنة هل تتركون قول من قلدهموها ، وتعملون بها ، وتفتنون أو تقتضون بموجبها ، أم تتركونها وتعدلون عنها الى قوله وتقولون : هو اعلم بها منا : فأبي رضي الله عنه مع سائر الصحابة

على هذه الوصية وهي مبطللة للتقليد قطعاً وبالله التوفيق . ثم نقول : هلا وكلتم ما شئتم عليكم من المسائل الى عالمها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ هم اعلم الامة وأفضلها ثم تركتم أقوالهم وعدلتم عنها ، فان كان من قلدتموه ممن يوكل ذلك اليه ، فالصحابة أحق ان يوكل ذلك اليهم ،

(الوجه السادس والخمسون) قولكم : كان الصحابة يفتنون ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حي بين أظهرهم وهذا تقايد للمستفتين لهم . فجوابه : ان فتواهم انما كانت تباعاً عن الله ورسول وكانوا بمنزلة المخبرين فقط لم يكن فتواهم تقليداً لرأي فلان وفلان وان خالفت النصوص فهم لم يكونوا يقلدون في فتواهم ولا يفتنون بغير النصوص ولم تكن المستفتين (١) لهم تعتمد إلا على ما يبلغونهم إياه عن نبيهم فيقولون أمر بكذا أو فعل كذا ونهى عن كذا .

هكذا كانت فتواهم فهي حجة على المستفتين لهم في ذلك الا في الواسطة بينهم وبين الرسول وعدمها . والله ورسوله وسائر أهل العلم يعلمون انهم وان مستفتيهم لم يعلموا الا بما علموه عن نبيهم وشاهدوه وسمعوه منه هؤلاء بواسطة وهؤلاء بغير واسطة ، ولم يكن فيهم من يأخذ قول واحد من الامة يحلل ما حلله ويحرم ما حرمه ويستبيح ما أباحه . وقد أنكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على من افق بغير السنة منهم كما أنكر على أبي السنا بل وكذبه ، وأنكر على من افق بجمع الزاني البكر ، وأنكر على من افق باغتسال الجريح حتى مات ، وأنكر على من افق بغير علم كمن يفتي بما لا يعلم صحته ، واخبر ان اثم المستفتي عليه . فافتاء الصحابة في حياته نوعان : أحدهما . كان يبلغه ويقرهم عليه فهو حجة باقراره لا بمجرد اقتناعهم . الثاني ما كانوا يفتنون به مبلغين له عن نبيهم فهم فيه رواة لا مقلدون ولا مقلدون .

(الوجه السابع والخمسون) قولكم : وقد تعالى « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم » فأوجب قبول نذارتهم وذلك تقليد لهم : جوابه من وجوه (أحدها) ان الله سبحانه انما أوجب عليهم قبول ما أنذروهم به من الوحي الذي ينزل في غيبهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) كذا في الاصل ولعل كلمة سقطت كقوله (جماعة) او (فئة) قبل المستفتين

في الجهاد فأين في هذا حجة لفرقة التقليد على تقديم آراء الرجال على الوحي. (الثاني) ان الآية حجة عليهم ظاهرة فانه سبحانه نوع عبوديتهم وقيامهم بأمره الى نوعين أحدهما نفير الجهاد، والثاني التفقه في الدين وجماع قيام الدين هذين الفريقين وهم الامراء والعلماء أهل الجهاد وأهل العلم فالنافرون يجاهدون عن القاعدة، والقاعدون يحفظون العلم للنافرين، فاذا رجموا من نفيرهم استدركوا ما فاتهم من العلم باخبار من سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهنا للناس في الآية قولان أحدهما ان المعنى: فهلا نفر من كل فرقة طائفة تتفقه وتنذر القاعدة: فيكون المعنى في طلب العلم وهذا قول الشافعي وجماعة من المفسرين واحتجوا به على قبول خبر الواحد لان الطائفة لا يجب ان يكون عدد التواتر. والثاني ان المعنى: فلو لا نفر من كل فرقة طائفة تجاهد لتفقه القاعدة؛ وتنذر النافرة للجهاد اذ ارجعوا اليهم ويخبرونهم بما نزل بعدهم من الوحي، وهذا قول الاكثرين وهو الصحيح لان النفير انما هو الخروج للجهاد كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «واذا استنفرتم فأنفروا» وأيضاً فان المؤمنين عام في المقيمين مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم والغائبين عنه والمقيمون مرادون ولا بد فانهم سادات المؤمنين فكيف لا يتناولهم اللفظ. وعلى قول أولئك يكون المؤمنون خاصا بالغائبين عنه فقط. والمعنى وما كان المؤمنون لينفروا اليه كلهم فلو لا نفر اليه من كل فرقة منهم طائفة وهذا خلاف ظاهر لفظ المؤمنين واخراج للفظ النفير عن مفهومه في القرآن والسنة وعلى كلا القولين فليس في الآية ما يقتضي صحة القول بالتقليد المذموم بل هي حجة على فسادهِ وبطلانه فان الانذار انما يقوم بالحجة فمن لم تقم عليه الحجة لم يكن قد انذره. كما ان النذير من أقام الحجة فمن لم يأت بحجة فليس بنذير فان سميتم ذلك تقليداً فليس الشأن في الاسماء. ونحن لا نشكر التقليد بهذا المعنى فسموه ماشتم وانما تشكر نصب رجل معين يجعل قوله عياراً على القرآن والسنة فما وافق قوله منها قبل، وما خالفه لم يقبل، ويقبل قوله بغير حجة، ويرد قول نظيره أو اعلم منه والحجة معه، فهذا الذي أنكرناه وكل عالم على وجه الارض يعلن بانكاره وذمه وذم أهله (الوجه الثامن والخمسون) قولكم: ان ابن الزبير سئل عن الجبد والأخوة فقال: اما الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «لو كنت متخذاً من أهل الارض

خبيلا لا تحذته خبيلا، يريد أبا بكر رضي الله عنه فانه انزله أبا: فأي شيء في هذا مما يدل على التقليد بوجه من الوجوه وقد تقدم من الأدلة الشافية التي لا مطمع في رفعها ما يدل على أن قول الصديق في الجدل أصح الأقوال على الإطلاق، وابن الزبير لم يخبر بذلك تقليدا بل أضاف المذهب إلى الصديق لينبه على جلالة قائله وانه ممن لا يقاس غيره به لا يقبل قوله بغير حجة ويترك الحجة من القرآن والسنة لقوله. فإن الزبير وغيره من الصحابة كانوا أتقى لله، وحجج الله وبيئاته أحب إليهم من أن يتركوها لآراء الرجال ولقول أحد كائن من كان، وقول ابن الزبير: إن الصديق انزله أبا: متضمن للحكم والدليل معاً.

(الوجه التاسع والخمسون) قولكم: وقد أمر الله بقبول شهادة الشاهد وذلك تقليد له: فلو لم يكن في آفات التقايد غير هذا الاستدلال لكفى به بطلانا، وهل قبلنا قول الشاهد إلا بنص كتاب ربنا وسنة نبينا واجماع الأمة على قبول قوله، فإن الله سبحانه نصبه حجة يحكم الحاكم بها كما يحكم بالافرار، وكذلك قول المقر أيضا حجة شرعية وقبوله تقليد له كما سميت قبول شهادة الشاهد تقليداً فسموه ماشتم، فإن الله سبحانه أمرنا بالحكم بذلك وجعله دليلاً على الحكم، فالحاكم بالشهادة والافرار منفذ لأمر الله ورسوله، ولو تركنا تقليد الشاهد لم يلزم به حكماً، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقضي بالشاهد وبالافرار، وذلك حكم بنفس ما أنزل الله بالتقليد فالاستدلال بذلك على التقليد المتضمن للاعراض عن الكتاب والسنة وأقوال الصحابة وتقديم آراء الرجال عليها، وتقديم قول الرجل على من هو أعلم منه، وإطراح قول من عداه جملة - من باب قلب الحقائق، وانكاس العقول والأفهام، وبالجملة فنحن إذا قبلنا قول الشاهد لم تقبله لمجرد كونه شهادته بل لأن الله سبحانه أمرنا بقبول قوله فأنتم معاصر المقلدين إذا قبلتم قول من قلدهتموه قبلتموه لمجرد كونه قاله ولأن الله أمركم بقبول قوله وطرح قول من سواه

(الوجه الستون) قولكم: وقد جاءت الشريعة بقبول قول القائف والخاص والقاسم والمقوم والحاكمين بالمثل في جزاء الصيد وذلك تقليد محض: اتعنون به أنه تقليد لبعض العلماء في قبول أقوالهم أو التقليد لهم فيما يخبرون به؟ فإن غنيم الأول

فهو باطل ! وان عنيتم الثاني فليس فيه ما استروحون اليه من التقليد الذي قام الدليل على بطلانه ! وقبول قول هؤلاء من باب قبول خبر الخبر والشاهد لا من باب قبول الفتيا في الدين من غير قيام دليل على صحتها بل لمجرد احسان الظن بقائما مع مجوز الخطأ عليه. فآين قبول الاخبار والشهادات والأقارير من التقليد في الفتوى ؟ والخبر بهذه الأمور يخبر عن أمر حسي طريق العلم ادراكه بالحواس والمشاعر الظاهرة والباطنة وقد ساء الله سبحانه بقبول خبر الخبر به اذا كان ظاهر الصدق والعدالة وطرد هذا ونظيره قبول خبر الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنه قال او فعل وقبول خبر الخبر عن اخبر عنه بذلك وهلم جرا فهذا حق لا ينزع فيه احد واما تقليد الرجل فيما يخبر به عن ظنه فليس فيه أكثر من العلم بأن ذلك ظنه واجتهاده فتقليدنا له في ذلك بمنزلة تقليدنا له فيما يخبر به عن رؤيته وسماعه وادراكه فآين في هذا ما يوجب علينا اوبسوغ لما ان نفق بذلك او نحكم به وندين الله به ونقول هذا هو الحق وما خلفه باطل ونترك له نصوص القرآن والسنة وآثار الصحابة واقتوال من عداه من جميع اهل العلم. ومن هذا الباب تقليد الأعمى في القبلة ودخول الوقت لغيره . وقد كان ابن أم مكتوم لا يؤذن حتى يقلد غيره في طلوع الفجر ويقال له: أصبحت أصبحت؛ وكذلك تقليد الناس لأمؤذن في دخول الوقت وتقليد من في المطمورة لمن يعلمه باوقات الصلاة والفطر والصوم وامثال ذلك . ومن ذلك التقليد في قبول الترجمة والرسالة والتعريف والتعديل والجرح كل هذا من باب الاخبار التي أمر الله بقبول الخبر بها اذا كان عدلا صادقا .

وقد اجمع الناس على قبول خبر الواحد في الهدية وادخال الزوجة على زوجها وقبول خبر المرأة ذمية كانت او مسامة في انقطاع دم حيضها لوقته وجواز وطئها وانكاحها بذلك وليس هذا تقليد في الفتيا والحكم واذا كان تقليدا لها فالله سبحانه شرع لنا ان نقبل قولها ونقلدها فيه ولم يشرع لنا ان نتلقى احكامه عن غير رسوله فضلا عن ان نترك سنة رسوله لقول واحد من اهل العلم ونقدم قوله على قول من عداه من الامة !!!

(لها بقية)



هَيْبَةُ النَّصْرَةِ وَحُجُجُ الْإِسْلَامِ

سوريا والاسلام

(٧) نهوض الدولة العربية وسقوطها

مانا قشنا احدا وكنا عند الرد على كل جملة من كلامه نلوم النفس على التصدي له
الا كاتب مقالات (سوريا والاسلام) فان من كان يخلق ما يقول ويفتح له علمه وتأنجه
افتحارا لا ينبغي اضاءة الوقت في الرد عليه وان ساء تأثير قوله وقد خطر لنا الآن ان
نترك الرد عليه لولا أننا لانبج ان نشرع في شيء ونذع أعمامه مختارين

قال ان سبب تأسيس تلك المملكة العربية العظيمة هي (١) كون جنات عدن لا يدخلها
الا المجاهدون وهذا الحصر غير صحيح في الاسلام

و (٢) الغنائم والتحف التي كانت ترسل من سوريا الى بلاد العرب: وهذا هذان
ظاهر فان كل فاتح يغنم وما كل من غنم اسس مثل ذلك الملك العظيم. ثم ان ارسال
الغنائم من الفاتحين بالفعل الى المقيمين في بلاد العرب لا ينبغي ان يزيد في همهم انما يزيد
فيها استئثارهم بما يفتنمون. و (٣) تولية كل قائد على البلاد التي يدوخلها وهذا غير
صحيح واذا صح فهو لا يصلح سببا لان القائد في العرب لم يكن حاكما مستبدا مستعيدا الحيشه
يسيرهم لمصلحته ولان أكثر أولئك القواد الكرام لم تكن لهم عناية بالولاية

والسبب الصحيح لتأسيس الدولة العربية هو أن الامم التي فتحت العرب بلادها
كانت كلها فاسدة الدين والاخلاق مخلة النظام معتلة الاحكام فجاء الاسلام وجميع كلمة
العرب المتفرقة على الاعتقاد الصحيح والتهذيب الكامل والعدل الشامل فكانوا بذلك
سادة لتلك الامم التي سبقتهم بالمدنية وبكل مقومات الامم قبل انحطاطها وتقدمهم
وقد جاءت في كلامه كلمة فيهاروح الحق لو فهم ما ترمي اليه لما كتبها وهي ان العرب
قموا أولا بامتلاك سوريا ولولا ان رأوا انفسهم مهددين بالروم الذين يحيطون بهم من
كل جانب لما تصدوا لافتح غيرها. وروح الحق في هذه الجملة هو ان السبب الصحيح
في زحف المسلمين الى سوريا هو اعتداء أهلها من العرب المتحصرة وغيرهم على من يدخل

في الاسلام وقطع الطرق عليهم ومنعهم من التجارة وأمسأ شرع الجهاد في الاسلام لاجل تأمين الدعوة ليكون الانسان على الدين الذي يختاره بلا إكراه ولا اجبار. ثم انهم بعد ذلك صاروا محاربين للروم الحاكمين على سوريا ومصر وغيرهما من الاقطار ومثل هذه الحرب لا تنتهي الا بتدويع احدى الطائفتين الاخرى. ومثل هذا المقام يشبهه على الاكثرين وسنينه في المقال الموعود به في تاريخ الحرب واصلاح الاسلام فيه

ثم أراد الكاتب ان يبين اسباب سقوط الدولة العربية فذكر اموراً (احدها) ان ما بني على الظلم مهذوم فان الامم التي خضعت للعرب كرها كانت كالماء المحصور بسد عظيم يطلب ثغرة ينفجر منها: ولو كان سقوط الدولة العربية بخروج السوريين والمصريين والفرس عليها واشغالهم نيران الثورات والفتن الاهلية في بلادهم لاسقاطها أو إزالة ظلمها لكان لقوله وجه ولكن شيئاً من ذلك لم يكن اذ لم ير أهل هذه الممالك أرحم ولا عدل من دولة العرب فهذا السبب مخترع من مخيلة الكاتب المتعصب كاتري

(ثانيها) ان اتساع المملكة وعدم وجود رابطة بين اممها غير الدين كان يجزئها: واهذا وجه يشرح بغير ما قرره. (ثالثها) عدم مهادنة دولة الروم: وهو كاتري لاقيمته.

(رابعها) ان اطلاق الخلفاء لحكام المقاطعات والولايات الحرية التامة في تدبير شؤون ولاياتهم حمل هؤلاء على الاستبداد والاستقلال عند ضعف الدولة. وهذا سبب صحيح مسطور في الكتب لا ينازع فيه ولكنه لا يبرد غليل تعصب الكاتب

(خامسها) وهو المهم عنده ان التعصب الديني واضطهاد المسلمين لتلك العناصر المختلفة والتضييق عليهم في كل شيء بسبب الاختلاف الديني حمل هذه العناصر على كره الاسلام وخلفائهم وولاتهم وحمل مسيحي سوريا على الاخص على مد يد الاستغاثة الى اخوانهم في أوربا حتى جروا على المسلمين الحروب الصليبية المشهورة وهذا كاتري مكرر مع الاول لا يزيد عليه الا في ذكر نتيجة كراهة نصارى سوريا للمسلمين. وقد أنسى الكاتب تعصبه أن الحروب الصليبية ما حدثت الا بعد انحطاط الدولة العربية فكيف يكون الشيء سبباً لما وجد قبله؟؟

التاريخ الصحيح يشهد للعرب بأنهم كانوا أعدل الحاكمين والحروب الصليبية لم تحدث بسوء معاملتهم ولكن بتعصب نصارى أوربا. وذكر كتاب النصارى العارفون بالتاريخ ان الذين

أساءوا معاملة زوار القدس هم السليجوقيون وان تعصب أوروبا انما نار لذلك . جاء في دائرة المعارف ان زوار النصارى كانوا يقدون الى بيت المقدس على عهد الدول العربية ويذهبون . بأمان وطمانينة ولا سيما في زمن العباسيين حتى قيل ان هارون الرشيد الذي استحكمت الصداقة بينه وبين معاصره شرلمان بعث اليه بمفاتيح بيت المقدس تأمينا لقلوب الزوار وتطييبا لخواطرهم . فكان القبر المقدس وكنيسة القيامة في أيديهم يتمتعون بزيارتها بلا معارض ولا يدفعون الا اليسير من المال . ولما انتقلت الخلافة الى الفاطميين واستولوا على القدس سنة ٩٧٢ م ساروا على أثر العباسيين وظلوا يحسنون الى المسيحيين وزوارهم الى ان قام الخليفة الحاكم بأمر الله فضيق على النصارى وشوه الامكنة المقدسة عندهم وأذى الزوار فقلقت أوروبا لذلك ولكنها ما لبثت ان عادت الى السكون لان خلفاء الحاكم رجعوا فأحسنوا السياسة . ولما استولى السلاجقة على بلاد فلسطين ظلموا النصارى وضايقوا زوارهم فهاجت الخواطر في أوروبا « الخ فقد رأيت ما اعترف به مؤلف الدائرة وهو نصراني عالم بالتاريخ يقل نظيره في كتاب العربية . اعترف بأنه لم يظلم النصارى أحد من ملوك العرب الا الحاكم العبيدي وقد كان مجنونا يظلم النصارى يوما والمسلمين يوما ويحرم أكل الملوخية يوما ويحلها يوما

ولا يسع هذا الموضع ذكر الشواهد التاريخية على حسن معاملة العرب للنصارى وسائر الملل بالعدل والمساواة وكيف كان هؤلاء يفضلون سلطتهم على سلطة ابناء دينهم لاسيما في أول الاسلام إذ كان العمل بالدين دون السياسة . ولا يسع أيضا ذكر الاكاذيب التي افترها قسوس أوروبا على الاسلام والمسلمين ليهيجوا شعوبهم على غزو البلاد السورية وابادة المسلمين منها فقد خلقوا لنا من العقائد الوثنية والتقاليد الكفرية والعيوب الدينية والحلقية ما تقشعر منه الجلود ولا يخطر على بال أحد من البشر ان يخترعه الا أمثال هؤلاء المتعصبين الذي خلفوا لنا من بعدهم (رفول سماده) فورث تعصبهم وقرائحهم القادرة على الاختراع . ومن شاء ان يرى العجب العجيب من ذلك فليقرأ كتاب (الاسلام - خواطر وسوانح) لكونت كستري الفرنسي الذي عربه احمد فتحي بك زغلول رئيس محكمة مصر

ولد التعصب الديني الدميم في أوروبا وترى فيها وساح الى الشرق فأفسده على أهله

ولم يكن قبل حرب الصليب غلو في التعصب على المخالف في الدين يذكر بعد ما علم العرب الناس التساهل بالعدل والمساواة بينهم وبين غيرهم فسكن بذلك ما كان بين اليهود والنصارى من قبل . وكل ما كان يقع من النزاع والخلاف بين المختلفين في الدين فقد صان يقع مثله بين أهل الدين الواحد والجنس الواحد ومن شاء زيادة البيان في هذا فليراجع مقالات (التعصب) التي نشرناها في السنة الأولى للمنتار فقد كانت موضع إعجاب النصارى والمسلمين

أفادت رفول سماده على العرب وجردهم من مزينة العدل والانصاف التي شهد لهم بها العالم أجمع ولم يكتف تعصبه بهذا بل جردهم أيضا من سائر المزايا العلمية فقال «وهكذا سقطت الدولة العربية ولاأسف عليها لانهم ترك أثر اصالحا لانشرها اللغة العربية في اطراف المعمور» : ولوسأل مؤرخي الفرنجة وفلاسفتها وعلمائها عن آثارهم لقالوا له ان العرب أحيا العلم بعد موته والفاصفة بعد دفنها والفنون بعد تلاشيها وأنهم اساندت في كل العلوم والمعارف فياسفي على دواتهم ويأسفي على أيامهم وباليها دامت أوطالت، وبلغت من السعي في الفضل ما أرادت، ليأخذ العالم عنها كل شيء كاملا : ليقرا تاريخ سيدو المؤرخ وكتاب الفياسوف حيون وغيرهما من الكتب الافرنجية بدلا من رسائل بطرس الراهب وخطبه التحمسية التعصبية فذلك خير له ان كان يريد ان يكتب كلاما مقبولا عند العقلاء ويخدم سوريا العربية التي يملك معظمها المسلمون

ان الكاتب يفتخر بالسوريين الاصليين الذين اقرضوا وبادوا وصارت سوريا بعدهم عربية خالصة. فليخبرنا أي إثارة من علم تركها السوريون الاصليون وهم قبائل نيفليم وأميم ورافايم وزوزيم وعناقيم . وان ذكر الفينقيين أقل له انهم جاؤا سوريا من جبال كردستان وليسوا بسوريين أصليين فهم فاتحون كالعرب ولم يكن لهم من الآثار العلمية مثل مالالعرب وإنما كانوا أصحاب ملاحه وتجارة

أعود في آخر هذه التبذة الى معاتبة نفسي على تفنيد كلام مخترع ككلام هذا المتعصب الغالي الذي غرني بأوائله نشر جريدة المناظر حجة الانصاف له ولعلمها تنشر الرد عليه ليكون هذا كفارة لذلك والله يتولى هدانا أجمعين . (للرد بقية)

❦ باب السؤال والفتوى ❦

(الدليل على وجود الله تعالى)

(س ١١) احمد أفندي الالفي في ميت سمنود : ماهو الدليل العقلي على وجود الله

سبحانه وتعالى الذي لا يمكن لمشكك ان يشكبه فيه ؟

(ج) ان الناس قد اشتبهوا في المشاهدات وغيرها من المحسوسات وأنكر السوفسطائية منهم حقائق الاشياء وطفقوا يشككون الناس في ذلك قائلين كيف تثق بما نراه وقد ظهر لنا الغلط في بعضه ويجوز على بعض المتساوين مجاز على الآخر . مثلاً اننا نرى العود مستقيماً خارج الماء ونراه معوجاً في الماء ونرى النجم صغيراً ولكننا نعلم انه كبير ويندوق من يسمونه الصفراوي المسل مرا ويندوقه غيره حلوا ويرى المحموم أو النائم أمامه أشياء كثيرة يقول من في حضرته انها لا وجود لها . فأمثال هؤلاء اذا كانوا يشكون أو يشككون في وجود الله تعالى لا ينفع معهم دليل ولا برهان . واما طالب الحقيقة فهو الذي لا يشكبه في الحق الا لعارض يصرفه عن الدليل فاذا نبه اليه تذبذب ورجع . ومن الناس من يسهل تنبيههم وهم أصحاب الافكار المستقلة ومنهم من يتعذر أو يتعسر تنبيهه على حسب بعده من التقليد وقربه من استقلال الفكر . وفي المشتغلين بالعلم والفلسفة من المقلدين نحو ما في المشتغلين بعلم الدين فان أحدهم يسمع أو يقرأ ان فلاناً الفيلسوف الذي يعجب به قال انه لم يثبت عندي دليل على وجود الله تعالى فيقول هذا المقلد له لو كان هناك دليل قطعي لما خفي على ذلك الفيلسوف ويكلف نفسه بان تشك وترتاب أو تنكر وتفقد كل دليل من هذا القليل

ذهب بعض العلماء والحكماء الى أن معرفة الله تعالى فطرية في البشر لا حاجة بهم الى اقامة الدليل عليها لولا ما أحدثته الاصطلاحات العلمية من البحث في الضروريات والبداهيات كعلم الانسان وشعوره ووجدانه . واستدلوا على ذلك بأن جميع أصناف البشر من أرقاهم كالانبياء والحكماء الى أدناهم كالقبائل الضاريين في معامي الارض واغفالها كلهم يعتقدون بقوة غيبية وراء الطبيعة سواء منهم من تعلم شيئاً من صفات ذي القوة وما يجب له من العبادة ومن لم يتعلم ، وبأن المعطلين نقر قليل يعدون من الشواذ ويحال شذوذهم على مرض عرض على هذا الشعور الفطري كما يعرض للاحساس بالحلاوة مرض

يمنع من ادراكها وكما يعرض لبعض مراكز المخشبي يحول دون ادراك بعض المعلومات مع سلامة سائر المدارك ، فقد ثبت ان بعض الناس نسي بعض أرقام الحساب فكان لا يحسن عملية حسابية هي فيها ويحسن غيرها ومثل هذا كثير فلا يقال ان من المعطيين من لا يشك أحد بسلامة عقولهم فان من الناس من يضعف ادراكه لشيء واحد وان كان قويا في غيره ولم يعرف أحد قويت مداركه في كل فرع من انواع الادراك

وذهب بعضهم الى ان المسألة نظرية وانه لا بد من اقامة البراهين على اثبات وجود الباري تعالى لان الانبياء والحكماء قد استدلوا وأقاموا الحجج على ذلك . ونقول جمعا بين القولين ان المسألة فطرية في الحقيقة وان اقامة الانبياء والحكماء الحجج عليها هي لاصلاح فطرة من عرضت لهم الشبه فيها كما تعرض في غيرها من الامور الفطرية والضرورية ولازالة غلط المعتقدين بتلك القوة الغيبية أو بالله تعالى في بعض صفاته وفي نسبة المخلوقات اليه اذ أشركوا به وجعلوا له وسطاء وشفعاء كالملوك الظالمين لذلك قال الله تعالى « اني الله شك فاطر السموات والارض » الخ فأشار أولا الى ان الايمان به أمر ثابت في الفطرة لاموضع للشك فيه ثم ذكر بعض صنعه الدال على قدرته وانفراده بالتأثير والتدبير وهو كونه فطر السموات والارض أي شق وفصل بعضها من بعض بعد ان كان الجميع مادة واحدة الخ ما جاء في الآية

وانني وجدت أقرب الدلائل تنبئها واقناعا لعقول المشتغلين بالعلوم العصرية كما ثبت لي بالتجربة والمناظرات معهم هو أن جميع مانعرفه من الموجودات حادث عندهم حتى أنهم يقدرون للارض والشمس والكواكب أعماراً لقطعهم بحدوثها ، ثم انهم قاطعون بان الموجود لا يصدر عن نفسه ولا عن معدوم كما قال تعالى « أم خُلِقُوا من غير شيء أم هم الخالقون » فتبين ان يكون لهذه الموجودات كلها مصدر وجودي ثم انهم قاطعون بأن مصدر الكائنات والاصل الذي وجدت منه غير معروف في ذاته وانما يجب ان يكون موجودا ذا قوة . فلما دعي منهم يقول المادة مع القوة هي أصل الموجودات كلها فاذا سألته ماهي المادة التي تعنيها يقول ان حقيقتها غير معروفة فكأنه اختلف مع غيره في التسمية واتفق الجميع على ان هذه الكائنات كلها قد صدرت عن موجود ذي قوة حقيقية غير معروفة الكنه وهو ما عليه المسلمون ولذلك قلنا في المنار ان الفلاسفة الاوربيين

الذين أنكروا ألهمهم ما أنكروا إلا الله الكنيسته أي الآله الذي تصفه الكنيسته بصفات غير معقولة ككونه مركباً من ثلاثة أقانيم وكون أحدها حل في أحشاء امرأة فأولدها إلهاً كاملاً وانساناً كاملاً الى غير ذلك من الصفات التي لا يقبلها عقل هذا الاعتقاد هو الذي صرح به سسل رود الذي قالوا انه كان غير مؤمن بالله وهو الذي كان يعتقد هكيلي وسنيسر وغيرهم من الفلاسفة الذين نقل عنهم التعطيل، والله يقول الحق ويهدي السبيل

البيع في الذمة والسلم - أو المضاربة المصرية

(س ١٢) محمد أقندى حسن وبعض تجار البورصة بالاسكندرية:

ماقولكم دام فضلكم في رجل من المسلمين اشترى من القطن ألف قطار مثلاً موصوفة في ذمة البائع بثمن معلوم في شهر المحرم مثلاً على ان يستلمها منه في أجل معلوم شهر ربيع الاول كذلك ودفع بعض الثمن عند التعاقد وأجل باقيه الى الاستلام. فهل للمشتري قبل قبض المبيع وقبل حلول الميعاد أن يبيع ذلك القطن الموصوف في الذمة ويكون تمكن البائع للمشتري من البيع في أي وقت من أوقات الميعاد قبضاً وتحلية حتى يكون ذلك البيع صحيحاً لانه معرض للربح والخسران الذي هو قانون البيع ويكون ماعليه المسلمون اليوم في تجارتهم من المضاربة وبيع الكنتراطات جائزاً في دين الله تعالى أم يكون ذلك يماً فاسداً وعملاً باطلاً مشابهاً للميسر كما يزعمه بعض الناس؟ وإذا كان باطلاً فاي فرق بين قبضه بنفسه وبين إذن البائع له بالبيع في أي وقت وما السر في ذلك وأين السر في قوله تعالى «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» بل هو عين الخرج في البيع والشراء وقد قال تعالى «ما جعل عليكم في الدين من حرج» أم كيف يحرم المسلمون من منفعة هذه التجارة العظيمة التي تعود على الكثير منهم؟ نطلب من حضر تكم الجواب الموافق لكتاب الله وسنة رسوله ودينه الصحيح من غير تعبد بمذهب من المذاهب مفصلاً مبيناً فيه سند الجواز أو المنع على لسان مجتكم القراء التي أخذت على عاتقها خدمة الاسلام والمسلمين لان الاجابة على هذا السؤال بما يوافق الشرع أعظم شيء يستفيد به التجار المسلمون من أمر دينهم وكلامهم باسان واحد يطلبون من حضر تكم الاجابة في أقرب وقت على صفحات المنار سواء كانوا بالاسكندرية أو غيرها

وفهم مشتركون في مجلة المنار الغراء والكل مشتاق اليها اشتياق الظمان للماء ليطمئن الجميع
 نسأل الله تعالى ان يعلي شأنكم ويعضد عمركم ويحملكُم ملجأ للقاصدين .
 (ج) نهى الكتاب العزيز عن أكل أموال الناس بالباطل أي بغير حق يتبادل
 ما يأخذه أحد المتعاضدين وأحل التجارة واشترط فيها التراضي فقط ، ومن أكل أموال
 الناس بالباطل ما ورد في الأحاديث من النهي عن بيع الغرر وعن النسي وعن بيع مالا يملك
 له لا يقدر عليه . وقد ورد في حديث ابن عمر في الصبيحين وغيرهما أنهم كانوا
 يتبايعون الطعام جزافا بأعلى السوق فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعوه
 حتى يحولوه وفي رواية ينقلوه وقال « من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يقبضه » وفي رواية
 لأحمد « من اشترى طعاما بكيل او وزن فلا يبعه حتى يقبضه » وروى أحمد ومسلم
 من حديث جابر « اذا ابتعت طعاما فلا تبعه حتى تستوفيه » وهذه الأحاديث خاصة
 بالطعام وبالتجارة الحاضرة تدار بين التجار كما يدل عليه كونهم كانوا يفعلون ذلك في
 السوق وامروا بالتحويل . وفي حديث حكيم بن حزام عند أحمد والطبراني قال
 قلت يا رسول الله اني اشترى بيوعا فما يحل لي منها وما يحرم ؟ قال « اذا اشتريت شيئا
 فلا تبعه حتى تقبضه » وهو عام ولكن في سنده الملا بن خالد الواسطي ضعفه . ومضى بن
 اسماعيل . وهناك حديث آخر عام في الطعام وغيره خاص بالساع الحاضرة وهو
 وهو حديث زيد بن ثابت عند أبي داود وابن حبان والدارقطني والحاكم قال ان النبي
 صلى الله عليه وسلم نهى ان تباع السلع حيث تباع حتى يحوزها التجار الى رحالهم :
 وقد خص بعض العلماء النبي بالطعام واستدلوا على ذلك بأحاديث أخرى تدل على
 صحة التصرف بالمبيع قبل القبض ومن هذه التصرفات ما هو مجمع عليه كالوقوف والعتق
 قبل القبض . وقد علل ابن عباس النهي بان الشيء الحاضر اذا تكرر بيعه ولم يقبض
 كان ذلك بمنزلة بيع المال بالمال . اي فان المال ينتقل من يد الى يد والشيء حاضر
 لا يمس كأنه غير محتاج اليه ولا مراد رواه الشيخان قال مسلم انه قال لما سأله طاووس عن
 ذلك : الا تراهم يتبايعون بالذهب والطعام مرجأ : وحاصل هذا التعليل ان النبي لم ينه
 الاخيال على الربا ولا بد في التجارة ان تكون السلع هي المقصودة فيها لاسيافاذا كانت
 حاضرة فاما معنى شراء فلان السلعة الحاضرة بعشر جنبات وبيعها من آخر بخمسة عشرة وهي

حاضرة وهم حاضرون الالحيلة على الربا؟ واي فائدة للناس في حل مثل هذا اللعب بالتجارة
واتناعلم ان يوع البورصة ليس من هذا القليل ولكن احببنا ان نورد اصل ما أخذ العلماء في
تحريم يوع النبي قبل قبضه ليميز المسلم بين البيوع التي تنطبق عليها الاحاديث وغيرها
ثم ان علماء المسلمين كافة يجيزون إرجاء الثمن أو إرجاء القبض ولكن اكثرهم يمنع يوع
النبي قبل قبضه مطلقا فان احتجوا بالاحاديث المذكورة آنفا فقد علمت انها لا تدل على
هذا الاطلاق. وان قالوا ان يوع ما في الذمة لا يخلو من غرر وربما يتعذر تسليمه نقول
ان هذا رجوع الى القواعد العامة التي وضعها الدين للمعاملات وكلها ترجع الى حديث
«لا ضرر ولا ضرار» فكل ما ثبتت مضرته ولم يكن في ارتكابه منع ضرراً كبير منه فهو
محرم والا كان حلالاً وهذا ينطبق على قاعدة بناء الشريعة على اليسر ودفع الحرج
ولاشك ان في مبيعات البورصة ما هو ضار وما هو نافع وتحريم ذلك بعد العلم بأصول
الاحكام التي ذكرناها متيسر للتاجر المتدين

وقد جاء في الصحيح النهي عن يوع المخاضرة وهو بيع الثمار والحبوب قبل بدو
صلاحها وذلك لما كثر تشاكهم ودعوى البائعين ان الآفات والجوائح أصابت الثمر
قبل بدو صلاحه وانما هذا في ثمر شجر معين لقوله صلى الله عليه وسلم «اذا منع الله
الثمرة بم يأخذ أحدكم مال أخيه» والحديث في البخاري . ولا يدخل في هذا يوع كذا
قطارا من القطن قبل بدو صلاحه اذا لم يعين شجر القطن . ويدل على ذلك جواز
السلم الذي يدخل في تجارة البورصة فان الكثير منها في معنى السلم الا انه لا ينطبق على
جميع شروطه وأحكامه المشروحة في كتب الفقه فذكر حقيقة ما جاء فيه في الاحاديث
الصحيحة فيه انارة للموضوع فأتينا غير واقفين على تفصيل ما يجري في البورصة من
اليوع فنكتفي بالكلام فيها

روى أحمد والشيخان وأصحاب السنن من حديث ابن عباس قال : قدم النبي
صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في الثمار السنة والستين فقال « من أسلف
فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم الى أجل معلوم » فالكيل المعلوم أو الوزن المعلوم
شرط لانهم كانوا يسلفون في ثمار نخيل بأعيانها وفيه غرر وخطر كما علم مما تقدم .
واما الاجل فقال الشافعية انه ليس بشرط وان الجواز حالا أولى وهو الراجح وان

خالفهم الجمهور . وأقل التأجيل عند المالكية ثلاثة أيام . وروى أحمد والبخاري من حديث عبد الرحمن بن ابري وعبد الله بن أبي أوفى قالا : كنا نصيب المغنم مع رسول الله (ص) وكان يأتينا انباط من انباط الشام فنسلفهم في الخنطة والشعير والزيت الى أجل مسمى ، قيل أكان لهم زرع أو لم يكن ؟ قالوا كنا نسألهم عن ذلك : وفي رواية لاحد وابي داود والنسائي وابن ماجه «وما نراه عندهم» أي المسلم فيه وهو دليل على انه لا يشترط في المسلم فيه ان يكون عند المسلم اليه . قال ابن رسلان : واما المردوم عند المسلم اليه وهو موجود عند غيره فلا خلاف في جوازه : واجاز الجماهير السلم فيما ليس بموجود عند العقد خلافا للحنفية ويدل عليه حديث ابن عباس السابق فان الساف في التمار الى سنتين نص فيه اذا التمار لا تمكث سنتين

وروي أبو داود وابن ماجه من حديث أبي سعيد قال قال رسول الله (ص) «من أسلم في شيء فلا يصرفه الى غيره» وفي اسناده عطية بن سعد العوفي قال المنذري لا يحتج بحديثه واذ كان هذا الحديث غير صحيح ولا حسن فلا يوجد حديث غيره يدل على امتناع جعل المسلم فيه ثمنًا لشيء قبل قبضه أو امتناع بيعه قبل القبض . ثم ان بيعه قبل القبض ليس فيه شيء مما لم يكن في العقد الاول في حال عليه الفساد فهو جائز

فعلم من هذا كله ان بيع ما في الذمة جائز كالحالة فيه الا اذا كانت التجارة غير مقصودة بل حيلة للربا أو المقامرة او كان في ذلك غش أو تغرير ومنه ان يبيع الانسان ويشترى وليس له مال ولا سلع تجارية وانما يخادع الناس فان ربح طاب لهم وان خسروا يأخذون منه شيئاً . فليحاسب مؤمن بالله نفسه بعد العلم بأحكام دين الله والله الموفق والمعين

❦ سادة اصناف البشر . وآية الكرسي ❦

(س ١٣) . محمد أفندي حلمي كاتب سجون حلغا :

جاء في كتاب الخلاة مانصه ، قال صلى الله عليه وسلم «سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الحيلال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن سورة البقرة وسيد البقرة آية الكرسي» ثم أورد في هذا الموضوع فضائل آية الكرسي بكثرة فهل ذلك حقيقي أرجو منكم ارشادي الى الحقيقة ولكم مزيد الشكر والاجر

(ج) هذا الحديث تشهد عبارته وأسلوبه والغلو فيه بأنه موضوع ولكن الحديثين قالوا أنه ضعيف . وفي اسناده مجالد بن سعيد قال فيه الامام أحمد انه ليس بشيء وهو في الديلمي وابن عساكر . وقد ورد في سورة البقرة أحاديث أمثلها حديث أبي هريرة عند الترمذي . لكل شيء سنم وان سنم القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن — آية الكرسي .

﴿ قضاء الفوائت في النار ﴾

(س ١٤) ومنه : رجل بلغ من العمر نحو ثلاثين سنة وفي خلاها لم يؤد الصلوات المفروضة عليه وأبدأ في تأدية الفريضة بعد هذه المدة هل هو ملزم شرعاً بأن يعوض ماضى في الدنيا وان كان لم يعوضها في الدنيا فهل يؤديها يوم القيامة افيدوناً بالصرح ولجنا بكم الثواب

(ج) قضاء الصلوات الفائتة واجب وما يتناقله العوام والصبيان من ان من عليه فائتة يقضيها على بلاط جهنم غير صحيح لقوله تعالى « يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون » — الى قوله « وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون »

﴿ القرآن لقضاء الحوائج ﴾

(س ١٥) ومنه : ما قولكم ادام الله النفع بكم للاسلام فيما هو متبع وشائع ومعلوم لكل انسان من تلاوة بعض الآيات طلباً للنجاة أو السلامة فنها ما يقرأ قبل النوم ومنها ما هو عند ركوب البحر وللدخول امام الحكام وكذا استعمالها لمدواة بعض الامراض مثل وجع الرأس والجنون والحفظ من الشيطان الخ وكل هذا عمل بالحديث المتداول بين الناس وهو « خذ من القرآن ماشئت لما شئت » فهل هو صحيح ؟ أرجو التكرم بالافادة ولكم الفضل

(ج) لا اذكر انني رأيت هذا الحديث في الكتب التي يمول عليها وقد راجعت عنه الآن في مظانه فلم أجده وما أظنه الامن اختراع أصحاب الغرائب والنشرات التي ورد في حديث جابر وغيره انها من عمل الشيطان . فقد حول هؤلاء فائدة القرآن الى غير ما أنزل لاجله من الهداية وجعلوه آلة لا كل أموال الناس بالباطل فانك لتجد الذي يكتب لك ما تقرب به الى الحكم عاجزاً عن التقرب اليهم والقبول عندهم ونجد الذي

يكتب لك ما تنقذ به من أفقر الناس الا حيث يروج الدجل ويبدل المال الكثير في الوسائل الوهمية فان البارع في الايهام والدجل قد يستغني في أمثال هذه البلاد ولكن بركة جهل الناس لا بتأثير عزائمه ونشراته . وكذلك الذين يكتبون لشفاء الامراض نجدهم أو عيالهم غير متممين بالصحة . ولو صح الحديث لكان معناه خذ من القرآن ما شئت من آيات الهداية والعبر لما شئت من أمراض النفس وعلل القلب فانه كما قال الله شفاء لما في الصدور ، لشفاء لما يقول الدجالون من امراض العظام والجلود

المهدي المنتظر

(س ١٦) ومنه : مشهور بين الكافة من أهل الاسلام علي عمر الأعصار ان لابد في آخر الزمان من ظهور رجل يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي علي الممالك الاسلامية ويسمى بالمهدي ويكون خروج الدجال وما بعده من اشراط الساعة الثابتة بعده وان سيدنا عيسى عليه السلام ينزل من بعده فيقتل الدجال أو ينزل معه الخ (واني نظرت ذلك في متن صحيح البخاري) فرأيت ان أكتب لجنابكم في هذه المسألة لكي تذكروا علينا بالافادة والحضرتكم الاجر

(ج) ليس في متن البخاري ذكر صريح للمهدي ولكن وردت فيه أحاديث عند غيره منها ما حكموا بقوة اسناده ولكن ابن خلدون عني باعلاها وتضعيفها كلها . ومن استقصى جميع ما ورد في المهدي المنتظر من الاخبار والآثار وعرف موارد ما ومصادر ها يرى انها كلها منقولة عن الشيعة وذلك انه لما استبد بنو أمية بأمر المسلمين وظلموا وجاروا وخرجوا بالحكومة الاسلامية عن وضعها الذي يهدي اليه القرآن وعليه استقام الخلفاء الراشدون وهو المشاورة في الامر وفصل الامور برأي أهل الحل والمقد من الامة حتى قال علي المنبر من بعد من خيارهم وهو عبد الملك بن مروان : من قال لي اتق الله ضربت عنقه : - لما كان هذا كان أشد الناس تألما له وغيرة على المسلمين آليت النبي عليه وعليهم السلام وكانوا يرون أنهم أولى بالامر وأحق باقامة العدل فكان من تشيع لهم يؤلفون لهم عصبية دينية يقنعونها بأن سيقوم منهم قائم مبشر به يقيم العدل ويؤيد الدين ويزيل ما أحدث بنو مروان من الاستبداد والظلم وعن هذا الاعتقاد صدرت تلك الروايات والناظر في مجموعها يظهر له أنهم كانوا ينتظرون

ذلك في القرن الثاني ثم في الثالث وكانوا يعينون أشخاصا من خيار آل البيت يرجحون ان يكون كل منهم القائم المنتظر فلم يكن . وكان بعضهم يسأل من يفتقدانه صاحب هذا الامر فيجيبه ذلك بأجوبة مبهمه ومنهم من كان يتصل ويقول ان الموعد مابجا ولكنه اقرب ومنهم من كان يضرب له أجلا محدودا ولكن مرث السنون والقرون، ولم يكن ماتوقعوا ان سيكون،

وقد جرت هذه العقيدة على المسلمين شقاء طويلا اذ قام فيهم كثيرون بهذه الدعوى وخرجوا على الحكام فسفكت بذلك دماء غزيرة وكان شرقتها فتنة البابية الذين أفسدوا عقائد كثير من المسلمين وأخرجوهم من الاسلام ووضعوا لهم ديناجديدا وفي الشيعة ظهرت هذه الفتنة وبهم قامت ثم تعدى شرها الى غيرهم . ولا يزال الباقيون منهم ومن سائر المسلمين ينتظرون ظهور المهدي ونصر الاسلام به فهم مستعدون بهذا الاعتقاد لفتنة أخرى نسأل الله ان يقيهم شرها .

ومن الخذلان الذي ابتلي به المسلمون ان هذه العقيدة مبنية عندهم على القوة الغيبية والتأييد السماوي لذلك كانت سببا في ضعف استعدادهم العسكري فصاروا أضعف الامم بعد ان كانوا اقواها . وأشدهم ضعفا أشدهم بهذه العقيدة تسكاوهم مسلمو الشيعة في إيران فان المسألة عندهم اعتقادية اما سائر المسلمين فالامر عندهم أهون فان منكر المهدي عندهم لا يعد منكر الاصل من الدين . ولو كانوا يعتقدون أنه يقوم بالسنن الالهية والاسباب الكونية لاستعدوا لظهوره بما استطاعوا من قوة ولكن هذا الاعتقاد نافعا لهم

وجملة القول اتنا لانعتقد بهذا المهدي المنتظر ونقول بضرر الاعتقاد به ولو ظهر ونحن له منكرون لما ضره ذلك اذا كان مؤيدا بالحوارق كما يقولون . وقد ينادلك في كتابنا (الحكمة الشرعية) وفي هذه الايام ألف أحد علماء الفرس (زعيم الدولة الدكتور ميرزا محمد مهدي خان رئيس الحكماء) المقيم بالقاهرة كتابا في تاريخ البابية يطبع عندنا الآن واسمه (مفتاح باب الابواب) وقد ذكر فيه أصل هذا الاعتقاد وما ورد فيه وتاريخ من ادعى المهديوية محملا وماذا كان من أثر ذلك فليتنظر صدوره محبو التفصيل فان العاقل يستنبط منه ما سكت المصنف عن استنباطه عمدا

القسم العمومي

نظام الحب والبغض — تابع وينبع

حب القوة

(رابطة المدنية)

(تمهيد ثان) البر وطن البشر يسبحون فيه كما تسبح الحيتان في البحر .
يوجد في الارض بران عظيمان : احدهما عرف قديماً والآخر عرف أخيراً (سنة
١٨٩٨ — ١٤٩٢ م)

البر القديم قطع ثلاث كبرى : أوروبا في الغرب الشمالي ، وأفريقية في الغرب
الجنوبي ، وآسيا في الشرق من الشمال الى الجنوب : والبر الجديد قطعة لشرقية ولاغربية ،
وفي البحار قطع متجاورات من الجزائر صغيرة وكبيرة تتبع في اصطلاح المقسمين
لواحد من هذه البرور الا الجزائر التي تقع في الاوقيانوس الجنوبي فانها تحسب قطعة
وحدها . على انه حيث كان البر مهما عظمت مساحته فهو جزيرة في البحر . واذا
كانت البرور كلها جزائر فأول بشر في آية جزيرة وجد ؟ وكيف انتقل البشر من
جزيرة الى أخرى ؟ وفي أي الجزائر حدثت له مراقبي المدنية ؟ فليان هذه المسائل
حررت هذا التمهيد الثاني :

يالهج كثيرون بقولهم ان آسيا مهد البشر ولكن لادليل على ذلك بل لادليل على
ان هذا النوع وجد نأدي بدء في البر القديم مطلقا كما لادليل على انه وجد بادي
بدء في البر الجديد . وانما لهج الناس بهذه القولة لان ما حفظه التاريخ بدل على قدم
سكان آسيا . ويدل على ان سكان أوروبا أتوا مهاجرين من جهات آسيا .

وفريق من الحكماء تقدست أفكارهم عن الجمود فراموا بناء عن البشر قبل
المهد الذي حدثت فيه صناعة الكتابة ولم يمتأوا بكثير من أساطير الاولين . ومنهم من
أوحى اليهم لروح الطاهر ان يستهدوا بطبقات الارض فاهتدوا بها الى معرفة أنواع
من الحيوانات كانت فبادت . وهدوا الى معرفة المهد الذي وجد فيه الانسان . فمن هؤلاء
يرجى ان تقبس المعرفة في هذه المسئلة فساتلوهم ان حرصم على هذه المعرفة ولكن
أوصيكم لاتقنعوا منهم بجواب مجرد عن الدليل واعلموا انه لا يتم لهم دليل حتى يثبتوا انهم

تقبوا في كل جزيرة في كل طبقاتها . اما الآن فلتبقى هذه المسئلة بمجولة لدينا والله بكل شيء عليم .

ومن الناس من يزعمون ان البشر يذهبون الى اصول متعددة وجدت في جزائر متعددة وهو وهم ناجم من عدم التدقيق ومن جمود الفكر على بعض المحسوسات . وما اقبل جموداً ينتهي بصاحبه الى جهل يظنه علماً . ويصرفه عن علم بحاله جهلاً .
واتنا قدمنا اشارات نافعة الى كيفية تحكم الحاجات على الانسان مع مشاركة فطرته لها بالتحكم . ومنها علمت كيف تحدث له الصنائع والاعمال ، على قدرا الحاجات والآمال ، والآن نبني على ما قدمنا فقول : ان من فطرة الانسان وجلة خواصه الحرص على ادخار الزوائد عن حاجته وان الحرص يحمله ان لا يقف موقفاً واحداً في اجلاب المكسوبات والمدخرات . ففريق الرحيل يحتاجون في توفير الحيوانات المأسورة والاستكثار منها الى التنقل الدائم في المراعي ومتى كثروا وكثرت أموالهم تلك يحتاج كل طائفة منهم الى ديار واسعة يتنقلون فيها في الصيف والشتاء والاعتدالين ولا يزالون يستولون على الديار ويتقاتلون من أجلها حتى تضيق بهم ويحتاج الأضعفون منهم ان يرحلوا الى ديار لاديار فيها من الاقويين .

وفريق المقيمين يحتاجون في توفير الحبوب والمعادن والمصنوع من المعادن الى المبادلات الدائمة فلا تزال طوائف منهم يضربون في الارض يتبعون ان يبدل بعضهم من بعض ما صنعوا وملكوا ومتى كثروا وكثرت أموالهم كثرت - على هذه النسبة - مقراتهم ثم اضطروا ان يتقالبوا على احسن الديار وأوسعها ليتخذوا فيها أوطانهم . ولا يزالون يتقالبون حتى يضطر الأضعفون للرحيل الى ديار أخرى يتخذونها وطناً . وعلى هذا الوجه حدث ما نسميه القرى أو البلاد وتباعدت بينها المسافات وصار السفر للمقيمين ضرباً من الوازم يقوم به طوائف منهم على نسبة اقتسام الاعمال ، وكثرة الأموال والآمال فافترضوا على هذا الوجه أن طائفة من الأضعفين القريين من البحار ضايقتهم الأقويون من جيرانهم حتى اضطروهم الى الرحيل ولم يبق امامهم الاموات أو تجربة الحياة على متن ما كانوا قد جربوه فراؤهم يطفو في البحر (وهم جيئته) من الواح الأخشاب فأبى الامر من يختارون ؟ أفلا يختارون ان يركبوا ما جربوه من الطواقي

ويجربوا على ظهره كيف يحيون، ويأملوا ان يتاح لهم من الغيب ما به يحيون؟
افرضوا انهم سلموا أنفسهم للبحر على متن الألواح آملين ما هم آملون وبينهم
كذلك اذ أشرفوا على ر في بحر ودنت بهم الألواح حتى نزلوا الى ذلك البر ووجدوا
فيه ما كان يجده أوائل البشر من رزق أفلا يصيرون أمة كما صار من الزوج الاول ام لا تحصى
هكذا افرضوا ان أيتهم ان تقولوا ان نقرأ من جبر ان البحر أولئككم جربوا السير
في البحر على الألواح من غير ضرورة الحائهم كالتى مثلها بل أوحى اليهم ان يجربوا
تلك التجربة وفي سيرهم وجدوا برأ في بحر ثم احبوا ان يتخذوا لهم وطناً لمسا وجدوا
فيه من رغد زائد على ما في وطنهم الاول. على أي الوجهين بنى الباني يمكنه ان يقول:
هكذا كان أول سير في البحر. وهكذا كان أول انتقال من جزيرة الى أخرى.
وهكذا عرف البشر ان في البحر بروراً فصاروا ينتقلون حسب الحاجات أو حسب
الآمال من جزيرة الى أخرى حتى ملئت الجزائر بشرا وملئوا بها.
أما الجزيرة الاولى التي حدثت فيها للتنوع مراقبي المدينة بادي بدء فلا يبعد ان تكون
هي البر المعروف قديماً ثم لا يبعد ان تكون قطعة آسيا منه هي مهد المدينة. وفرق
بين قولنا مهد البشر وبين قولنا مهد المدينة. (نقطة بقية) ع. د.

أنا على البشرية

(التقریظ)

تاريخ التمدن الإسلامي

صدر الجزء الثاني من هذا التاريخ المفيد الذي يجب على الناطقين بالاضاد الاعتراف
لمؤلفه جرجي أقدى زيدان بفضل السبق الى خدمتهم به ويا ليتهم يتحدونه ويتلون تلو
فيه. صدر هذا الجزء من نحو تسعة أشهر وقد ارجأنا الكلام عليه لنطالع كله وننتقده
إجابة لطالب المؤلف ولم نجد سعة في كل هذه المدت لمطالعة على شدة الشوق وصدق الرغبة
فأرأنا ان لا بد من التنويه به شكراً للمؤلف وتوجيهها للنفوس اليه وان لم نقرأ منه الا قليلا
الجزء في ثروة الدولة الاسلامية وأسباب تكونها وانحطاطها وثروة المملكة مدنها

وقراها . وقد أحسن المؤلف أن أشار في أخريات صفحات الكتاب الى عزو النقل الى الكتب التي أخذ عنها عملا باقتراح بعض الفضلاء ولكن الطريقة التي جرى عليها وسبقه بها غيره لا تخلو من ايهام وإيهام فانه يذكر أمرا ويضع في آخره رقما يضع مثله في أسفل الصفحة تحت خط أفقي وبذكر عند الرقم اسم الكتاب أو المؤلف الذي أخذ عنه فيتوهم القارئ ان ذلك الامر كله من ذلك الكتاب وربما كان المراد بمضاهيه كما يظهر لك من أول عزو في الكتاب وستراه قريبا

قسم المؤلف ثروة الدولة الاسلامية الى خمسة ادوار أو اعصار - عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر الخلفاء الراشدين وعصر الأمويين وعصر العباسيين الاول وعصرهم الثاني فقال في عصر النبي (ص) مائنه:

« إذا كان المراد بثروة الدولة ما يزيد من دخلها على خرجها أو ما تحتجزه بعد نفقاتها من الآثام ونحوها فالدولة الاسلامية في عصر النبي لم يكن عندها ثروة حقيقية لانهم لم يكونوا يحتجزون مالا ولا كان عندهم بيت مال بل كانوا اذا أصابوا غنيمة فرقوها فيما بينهم وكذلك الصدقات فانها كانت تفرق في أهلها واذا ظل منها شيء استبقوه لحين الحاجة اليه . وكان النبي يتولى ذلك بنفسه وأكثرت الصدقات من الماشية والابل والخيول فكان يسميها بيمين خاص بها تمتاز به عن سواها

« فكانت ثروة الدولة في عصر النبي عبارة عن بقايا الزكاة من ابل أو خيل أو ماشية وتمتاز عن أموال سائر الناس بمراع خاصة كانت تحبس فيها بالبيع قرب المدينة يعبرون عنها بالحمي (١) ويمسم كان النبي نفسه يسميها به (٢) وبلغت الاموال في أيام النبي نحو ٤٠٦٠٠٠ بين ابل وخيول وغيرها (٣) ومن هذه الاموال وما يلحق بها من مال الصدقة التقد كانوا ينفقون على غزواتهم وعلى تحصيل الزكاة وإعالة الفقراء ونحوهم » اهـ

فترى انه أشار عند الرقم (١) الى النقل عن الماوردي فتوهم ان الجملة من قوله « فكانت ثروة الدولة الى الرقم معزوة الى الماوردي والصواب ان المأخوذ عن الماوردي هو تسمية المراعي بالحمي وانها كانت بالبيع وقد وقع في هذا السهو أيضا كما تعرفه من عبارة الماوردي نفسها قال : « وحى الموات (أي الارض التي لا ممالك

(١) الماوردي ١٧٦ (٢) البخاري ١٩٠ ج ١ - (٣) شرح الموطأ (خط)

لها) هو المنع من إحيائه أملاً كما ليكون مستبقي الاباحة ثبت الكلاً ورعي المواشي قد
 حمي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وصعد جبلاً بالبيع قال أبو عبيد هو النقيع
 بالنون وقال هذا حمي وأشار بيده الى القاع وهو قدر ميل في ستة أميال حماء لحيل
 المسلمين من الانصار والمهاجرين : اه بنصه (ص ١٧٦)

وعبارة صاحب التاريخ تفيد ان الحيل من مال الزكاة والصواب انه لازكاة فيها
 والمراد بالحيل في عبارة المساوردي خيل المسلمين المملوكة لهم . ومثل هذا الغلط
 لا يسلم منه من يأخذ العلم الديني عن الكتب التاريخية من غير تلقي أحكامه عن أهله .
 فالمنصف جعل الحيل من مال الزكاة وجعل الحمى خاصاً بإبل الزكاة وخيلها وماشيتها
 وكلا الأمرين غلط كما رأيت . ثم قال في عصر الخلفاء مانصه :

« هذا هو عصر الاسلام الذهبي . عصر العدل والتقوى . كانت الحكومة جارية
 فيه على سنن العدل والاستقامة والغيرة الحقيقية على الدين ونبد الدنيا ، وهو العصر
 الذي اتخذ المسلمون منوالاً ينسجون عليه وكلما حادت دولة من دولهم عن جادة الحق
 طلبوا اليها الرجوع اليه والسير على خطوات الخلفاء الراشدين . لان الحكومة انتقلت
 بعدهم الى طور جديد وانقلبت من الخلافة الدينية الى الملك السياسي ونشأت في الخلفاء
 والعمال المطامع وأخذوا في حشد الاموال بأية وسيلة كانت ، اه فليتأمل قول هذا
 المؤرخ المنصف صاحب مقالات (سوريا والاسلام) وكفى في أبناء ملته من حجة مثله عليه ثم قال
 « فلما كثرت الاموال في أيام عمر ووضع الديوان فرض الرواتب للعمال
 ومنع ادخار المال وحرم على المسلمين اقتناء الضياع والزراعة أو المزارعة لان أرزاقهم
 وأرزاق عيالهم تدفع لهم من بيت المال حتى الى عبيدهم ومواليهم - أراد بذلك ان
 يبقوا جنداً على أهبة الرحيل لا ينعمهم انتظار الزرع ولا يقعدهم الترف والقصف . فاذا
 أسلم أحد من أهل الذمة سكان البلاد الاصليين صار ما كان في يده من الارض وداره
 الى أصحابه من أهل قريته تفرق بينهم وهم يؤدون عنها ما كان يؤدي من خراجها
 ويسلمون اليه ماله ورقيقه وحيوانه ويفرضون له راتباً في الديوان مثل سائر المسلمين .
 الخ ما ذكره في هذا المقام نقلاً عن ابن عساكر وهو موافق لما نقلناه في الجزء الماضي
 ردّاً على صاحب مقالات سوريا والاسلام . ثم ذكر ان الخلفاء الراشدين لم يتأثروا

مالا ولا عقارا لما كانا عليه من الزهد وشدة التمسك بالدين وذكر ان أكثر عمالهم كانوا كذلك فليعتبر بهذا ذلك المتعصب الذي ينسب الى المسلمين في الصدر الاول ما هم براء منه بشهادة جميع العلماء من جميع الملل

ثم ذكر ان رأي عمر بعدم اختزان المال ينافي المبدأ الاساسي الذي تقام عليه الدول وتتأيد به السلطات وان سببه النزعة الدينية وان المسلمين عادوا بعد ذلك الى الاصل الطيعي في الدول فجمعوا الاموال في عهد بني أمية حتى انهم بدءوا في زمن عثمان لتساهله مع عماله منهم وان معاوية اقتنى الارضين واقتدى به الناس في الاقتناء والبيع وبعد ان ختم الكلام بمثل ما بدأه من الثناء على الراشدين انتقل الى عصر بني أمية وذكر ما كان فيه من اقتدائهم بالروم والفرس في الترف وبسطة العيش وما جرهم ذلك اليه من الظلم والجور ولكن معظم ثروتهم كانت تنفق في الحروب وانهم ابتدعوا ضرائب جديدة وظلموا الرعية حتى جاء عمر بن عبدالعزيز العادل فيهم فرد المظالم وأنصف الناس مؤمنهم وكافرهم من أهله وولده وسائر الناس وعزل الولاة الظالمين ثم قال «فترى مما تقدم ان القواعد الاساسية التي قام عليها الاسلام تدعو الى الانصاف والرفق ولكنها تختلف مظاهرها باختلاف الدين يتولون شؤونها . ولو أتبع لعمر بن عبد العزيز أن يعيدها الى ما كانت عليه في عهد ابن الخطاب لاحت مظالم بني أمية ولكن جاء في غير أوانه فذهب سعيه هدرا ولما مات عادت الأمور الى مجاريها ورافقها رد الفعل الخ

وتقول ان السبب الصحيح في تمكن بني أمية من الظلم هو هدم قاعدة الشورى وسيطرة الامة على الحكم التي صرح به أبو بكر في خطبته يوم ولي الخلافة ثم صرح بها عمر كذلك يوم ولي (راجع المنار ص ٤٢٣٤ م ٤) وقالها عثمان يوم قام الناس عاياه قال على المنبر (أمري لامركم تبع) وقد تمكن بنو أمية من هدم هذا الركن الركين بعصبتهم المؤلفة من الموالي وغيرهم ممن لم يتمكن الاسلام من نفوسهم واستعانوا على ذلك بالمال الذي أخذوه من غير حقه كما هو مفصل في الكتاب الذي نقرضه. ثم انتقل الى الكلام على بني العباس فأذهب وأفاد وعلنا نعود الى مطالعة ما كتبه واقتباس بعض فوائده وصفحات هذا الجزء ٢٩٠ وثم ١٥ قرشا ويطلب من مكتبة الهلال

السعادة العظمى

صدرت في تونس مجلة عربية جديدة بهذا الاسم وهي «مجلة علمية أدبية إسلامية» تصدر في غرة كل شهر عربي وفي سادس عشره لمنشأها عبده محمد الحضرمي بن الحسين المحصل على رتبة التطويبع العلمية بجامع الزيتونة الاعظم ، وقيمة الاشتراك فيها بالمملكة التونسية ٨ فرنكات في السنة وبالجزائر وطرابلس الغرب عشرة فرنكات وبالممالك الشرقية ومراكش ١٢ فرنكا والعهد منها يتألف من كراستين وهو مطبوع على ورق جيد بالحرف الاستانبولي. وقد سرنا من هذه المجلة انها دلت على تساهل من دولة فرنسا مع المسلمين في نشر العلم كما توقعنا وعلى توجه المشايخ المشتغلين بالعلوم الاسلامية الى الصحافة فنسأل الله تعالى ان يوفقنا ويوفق صاحب هذه المجلة الى خدمة الاسلام الخدمه النافعة وان نجح عملنا وعمله آمين

باب التربية والتعليم

التعليم الاسلامي في سيراليون

جاء في مجلة سيراليون الاسبوعية الانكليزية (عدد ٢٩ م ٢٠) تحت هذا العنوان ما يأتي
يخضع سكان هذه المستعمرة منذ بدء استعمارها أتم الخضوع للحكومة الانكليزية وقد كان السير تشارلس ماك كارثي حاكم سيراليون بين ثمانين وتسعين سنة مضت أول من وجه انظار الحكومة الانكليزية الى فائدة تسهيل المواصلات مع المسلمين القاطنين في البلاد الواقعة شرق سيراليون وسنغال وكان يومئذ حاكم المقاطعتين اذ كانت سنغال من الاملاك الانكليزية . وهو أول من حول تجارة مقاطعات البر الى الشاطئ الغربي وذلك بما كان يديه من الكرم والمجاهلة لزعماء القبائل المحمدية الذين كانوا يأتون الى الشاطئ متباعاً تلبية لدعوته .

ولكن أعمال السير تشارلس ماك كارثي كانت تجارية بحتة. فانه لم يحلم بان يسمح أولئك الاقوام جزءاً من الامبراطورية الانكليزية في وقت من الاوقات وانهم يحتاجون حينئذ الى الدربة العلمية والسياسية ليكونوا عضواً عاملاً في جسم المملكة

ولم يكن الا في الثلاثين سنة الاخيرة أي منذ تولى السير ارثور كنيدي ادارة تلك البلاد ان اعطني بتوسيع دائرة التعليم في المستعمرة لكي تضم المسلمين اليها . وقد كان السير ارثور كنيدي وخلفه السير جون بوب هنيسي ميالين أشد الميل الى تعليم المسلمين العلوم الغربية لانهما رأيا فيهم نشاطاً يمكن الحكومة من الاعتماد عليهم في أعمالها الداخلية وقد لحظا ان المسلمين هم الشعب الوحيد المستنير بنور المدنية والذي يؤلف هيئة اجتماعية في تلك الاقطار المظلمة وانه يمكن بواسطة خضاع جميع القبائل العظيمة في داخلية البلاد . وفي عهد هذين الرجلين تمهدت الطرق للانكليز في جميع المقاطعات الواقعة بين سيراليون وسوكوتو وكان في امكانهم انشاء مراكز سياسية ودوراً علمية متصلة بعضها ببعض بين سيراليون وهو سالاندر ولكن ذلك أصبح مستحيلاً الآن لدخول القوات الاجنبية ومدها نفوذها في تلك الجهات . ومع ذلك فان الساسة الانكليز يرون ان انتشار التعليم بين المسلمين في سيراليون لا يخلو من التأثير فيما بقي من الاراضي الواقعة وراء المستعمرة في قبضة الانكليز . ولا شك في أن اقامة مدرسة للمسلمين ينطبق تعليمها على معتقداتهم تجذب الى المستعمرة جميع أهل وطنهم والمتدينين بدينهم في قلب القارة ولكن أهم ما حمل الحكومة على انشاء مدارس اسلامية أساسية في سيراليون هو ان هذه المستعمرة التي هي المستعمرة الانكليزية الوحيدة على الشاطئ والتي يتكلم باللغة الانكليزية في جميع انحاءها يجب ان تكون قاعدة لمدرسة جامعة يعلم فيها الشبان المسلمون العلوم العالية من علوم الانكليز والغرب . وقد أشار الحاكم ناان الى شيء من هذا القليل في خطابه الذي القاه في ٧ اغسطس ١٨٩٩ اذ افتتح المدرسة الاسلامية في مدينة فوله قال :

اني اعتقد ان فتح هذه المدرسة سيكون فجر يوم باسم في التعليم الاسلامي وانه لا يمضي بضع سنين حتى يكون في سيراليون مدرسة جامعة تنبعث منها الحكمة والمعرفة وتبسطان فوق جميع ارجاء غرب أفريقيا .

وهذا القول الذي فاه به الحاكم المذكور في ذلك الحين قد رددت صدها السياسة الانكليزية في الوقت الحاضر وذلك بالنظر الى ماتراه من التبعة الملقاة عليها ازاء العدد العديد من الشعب الاسلامي الذي يقطن غربي أفريقيا وقلبها .

وقد انتبه الرأي العام الانكليزي الى أهمية تعليم مسامي أفريقيا العلوم الغربية على أثر قيام اللورد كتشتر ومناداته بطلب المسال لتأسيس مدرسة جامعة في الخرطوم لتعليم النشء الاسلامي .

وقد قال اللورد كتشتر في مخاطبته الشعب الانكليزي ان علينا تبعة كبيرة ملقاة على عواتقنا فان على الفاعح ان يهذب ويمدّن . والعمل الذي قامت العقبات في سبيله بعد موت غوردون يجب ان يجدد الآن ولذلك اقترح ان تؤسس في الخرطوم مدرسة جامعة بمال الانكليز تنسب الى اسم غوردون لحياء ذكره ولتدل على اتنا لانزال نذكر هذا الرجل العظيم ولنحقق امانيه التي كان يسعى الى الحصول عليها ولا يلزمنا ان أضيف الى قولي هذا انه لا يجب ان تتداخل بهملنا هذا في دين القوم . والمدرسة التي اقترحت انشاءها ستوضع لها خطة تعليمية بحثة ولا يجب ان يدخل عليها شيء من الدروس الدينية . وسنجدل اليها التلامذة من مسامي السودان واني واثق بان اتخاذ المدرسة للتعليم الدينية يذهب بالفائدة المطلوبة منها

وقد اقترح اللورد كتشتر هذا الاقتراح بعد ستة أشهر من لقاء المساجوراثان لحطابه عند افتتاح مدرسة فوله .

ففرني افريقيافي حاجة الآن الى مدرسة جامعة كالمدرسة التي أسسها اللورد كتشتر للحكومة الانكليزية انشأت خمس كليات في الهند على طراز كلية لندره . وهذه الكليات انشئت في كلكتوتا ومدراس وبومباي والله اباد وبمجا . ومن الاسف ان يقال انه رغم التسهيلات الكبيرة التي أوجدت للتعليم في تلك الجهات مدة جيلين على الأقل لم يكن للتلامذة حتى الذين حازوا قصب السبق منهم أدنى المام بالحياة العملية والحالة هناك سائرة من سيئة الى سوئى .

والوطنيون الاذكياء قد شعروا بهذه الحالة السيئة منذ سنين عديدة . وجميع حكام المستعمرة اتقدوا الخطة التي تدير عليها المدارس والسيراثور كنيدى شعر بهذا الاحتلال بين عامي ١٨٦٨ و ١٨٧٢ وفي عام ١٨٧٢ تقدم بعض زعماء الوطنيين بقيادة المرحوم المستر ويليام غرانت من السيرجون بوب هنيسي الذي كان حاكماً على المستعمرة يومئذ ورفقوا اليه عريضة يطلبون فيها من الحكومة انشاء كلية لغربي افريقية في سيراليون

فأعجب الحاكم بشعورهم هذا ووافق على مشروعهم وابدى آراء عديدة بهذا الشأن
 أدرجت في ذلك الحين في جريدة «النيجرو» . ولم يفكر في انشاء كلية للاشراف وذوي
 الثروة بل كان من رأيه تأسيس كلية جامعة في غربي أفريقيا غير مختصة باولاد الرؤساء
 وذوي اليسار بل يدخلها أيضا أبناء الفقراء الذين فيهم قابلية للمعلم ليتغذوا بلبان العلوم
 أسوة بأبناء الكبار كما كانت الحالة في كليات ايرلندا وفي كليات أوروبا . وقد كتب
 الحاكم بهذا الشأن الى اللورد كبرلي الذي كان وزير المستعمرات في ذلك الحين . ولم
 يعارض . الوزير في هذا الامر ولكن الحاكم كنيدي الذي كان مصمماً على انفاذ هذا
 المشروع غادر المستعمرة في اثنا المناقشات التي كانت جارية بهذا الصدد فاهمل المشروع
 يومئذ . ولكن تأثير هذه المناقشات ظل سائراً وقد لوحظ ان إلحاق مدرسة خليج
 فوره العليا بكلية درهام كانت نتيجة ذلك المشروع .

ولا يوجد بلاد في العالم أحوج الى التعليم من هذه البلاد لان عليه وحده يتوقف
 الاصلاح . فالآراء التي تحكم العالم في هذه الايام تشعب جذورها ببطء ولكن تشعب
 لجذور في هذه البلاد ابطأ منه في غيرها . فالرجل الذي يرجي منه ان يكون معلماً أو
 مصلحاً في هذه البلاد يجب ان يعامل بمنتهى الصبر والاثابة . ولكن النتيجة لابدان
 تكون مرضية ولو بعد حين ولذلك لا يجب ان يهمل أي مشروع يكون من ورائه
 النجاح عاجلاً أو آجلاً . ففي الختام نرف التهناتي الى السير تشارلس كنيج هارمان حاكم
 المستعمرة الذي قام بهذا المشروع العظيم ولاشك ان مسلمي تلك البلاد يقدرون
 أعماله حق قدرها . اهـ وكتبت المجلة في هذا العديداً أيضاً ما يأتي

✽ افتتاح مدرسة اسلامية جديدة أميرية ✽

✽ في سيراليون ✽

بعد ظهر الاثنين في ١٤ مارس احتفل حاكم مستعمرة سيراليون السير تشارلس
 كنيج هارمان بافتتاح مدرسة اسلامية أميرية بحضور جم غفيرة . وقبل الموعد بالحدود
 اجتمع عدد كبير من المسلمين وغيرهم في الشوارع منتظرين قدوم الحاكم واتباعه
 وعند قدومه احاط به القوم بتقديمهم « البالانجاي » وهي موسيقى وطنية فاخذ بمض
 مشاهير العازفين يمزفون عليها واتحب اثنتان من نساء « البلبي » لتشداد مديح الحاكم

واللادى كنيج هارمان اتباعاً لعادة بعض قبائل البلاد الداخلية وهي انه عند اقبال أحد الرجال العظام عليهم يأتون ببعض النساء المغنيات ليعدوا مأثره بالنشيد . وقد أحدثت هاتان المغنيتان تهييجاً بعبارات الاطراء التي فاهتا بها . ولما دخل الحاكم غرفة المدرسة التي كانت الطريق المؤدية اليها مزدانة بالاعلام وبأغصان النخل نهض الاولاد وانشدوا نشيد الملك . ثم مشى الحاكم وجاءته وصعدوا الى فسحة مرتفعة حيث كانت الكراسي معه للزائرين . وقد كانت غرفة المدرسة قبلا قدرة وغير منتظمة ولكنها أصبحت الآن وأصبحت آية في النظام والرواق

وقد انشئت هذه المدرسة بناء على مشروع جديد أريد به ضم مدرستي ماندينغو وفوله وجعلها مدرسة واحدة وانتخب لها ناظر مدرب ومعلمون ذوو كفاءة . وقد كان تحامد القبيلتين حائلا دون هذا الضم والوحدة في العمل ولكن ما ألقى على زعمائهما من الوعظ والارشاد جعلهم يقدرون الاتحاد والتماضد حتى قدره فبنوا التباغض والتحاسد وزاء ظهورهم وتوافقوا على المنفعة العامة لاولادهم .

وبعد استقبال الحاكم بدأ الامام عبد العزيز بالدعاء ثم رتل التلامذة ترنيمة اسلامية باللغة العربية ثم تلا الالف اسكندر تقرير مدرسة الماندينغو وعقبه الالف الحسين بتقرير المدرسة الاسلامية وقدم التقرير ان الى الحاكم . ثم قام الحاكم لبدء ملاحظاته فقبل باصوات الابتهاج . وبدأ أولابشكر الجمع الحاضر من مسلمين ومسيحيين على حسن استقبالهم له وللادى كنيج هارمان وأبدى لهم عظيم ارتياحهما الى المهمة التي اتيا من أجلها وهي ضم المدرستين وجعلهما مدرسة واحدة . وقال ان مدرسة الماندينغو أسسها الحاكم نانان في عهد توليته ادارة المستعمرة وأراد بتأسيسها تعليم اولاد القبائل الداخلية اللغتين العربية والانكليزية : وقال انه لما زار المدرسة في ابريل العام الماضي وجد فيها مالايسر الخاطر فبدلا من ان تكون مدرسة اسلامية وجعلها مدرسة مسيحية خلافاً لما كانت تنويه الحكومة من انشائها . فرأى اذذاك ان يسحب من متوالي ادارة المدرسة رخصة الحكومة لانهم لم يسيروا بموجبها وسرّبوا عمله هذا ادى الى نتيجة حسنة . وقد عاش بينهم مدة طويلة وعرف الطرق التي تعود عليهم بالمنفعة من وراء التعليم فبينما كانت الحكومة راغبة في تعليمهم ما ينطبق على دينهم كانت ايضا

راغبة في تعليمهم اللغة الانكليزية التي تساعد على العمل والارتزاق . وانه ليدعش حين يرى قسماً منهم يمارض في تعليم اللغة الانكليزية فلا يبرحن اذهانهم انهم مع كونهم مسلمين فهم أيضاً رعايا الحكومة الانكليزية وتعلم اللغة الانكليزية يوصاهم الى معرفة ماهو جار من لاعمال العظيمة في العالم . وليس في نية الحكومة ان تبدل جنسيتهم فتجعلهم انكليزا بل تريد ان يبقوا أفريقيين ولكن تعلم اللغة الانكليزية يساعد على حياتهم القومية وعلى أعمالهم

ثم ابدى اسفه لوفاة ناظر المدرسة الاول سانا جاوارا فقد كان رجلا طيب القلب وصديقاً له ولكنه سر بعد وفاته أن رأى الوسائل متخذة لاصلاح حالة التعليم في المدرستين وانهم عولوا على ازالة التفور من بينهم وعلى العمل يداً واحدة لمنفعة أولادهم . فلا يتمكن شعب من الشعوب من السعي في خير وطنه الا بتكاتف اعضائه . والمباراة تعود بالرجح في بعض الاحيان ولكنها اذا أفضت الى سفك الدماء فلا تكون عاقبتها الا الحراب والدمار . وانه ليسر بان يراهم الآن متعاضدين ويشغلون يداً واحدة للنفع العام .

وفي الختام حرضهم الحاكم على التمسك بالطرق المعدة لهم الآن واتخاذها وسيلة لاصلاح حالهم وقال انه واثق بان كل فرد منهم يسمى في جعل المدرسة مركزاً للنور تنبعث منه الاشعة الى القبائل التي يتألف منها الشعب . ثم أعلن الحاكم فتح المدرسة وبعد ذلك اديرت المرطبات ثم أخذ التلامذة ينشدون الاناشيد وانصرف الجميع في الساعة الخامسة ونصف وصحبت الموسيقى والمغنيين الحاكم وقرينته الى دار الحكومة .

وقد كان في جلة الذين جالسوا مع الحاكم الامام جامبوريا والافا دارامي وعبد العزيز والمستر باكارد والمس باكارد والمستر جونسون وقرينته والمستر توماس ورئيس الشمامسة ما كولي والمستر كومبر مدير عموم سكة حديد سيراليون والمستر ماي . وقام باعداد معدات هذه الحفلة الدكتور . بليدين مدير المدارس الاسلامية . اه

(المنار) اتنا نوهنا في مجلد المنار الرابع (ص ٧٠٧) بافتتاح مدرسة فوله في سيراليون وقتنا في فاتحة الكلام انه لا توجد بلاد اسلامية أعطي أهلها من حرية التعليم ما أعطي البلاد التي استعمرها الانكليز . فعلى مسلمي تلك البلاد ان يهتموا بالتعليم بالعربية والانكليزية وان يتروكوا التنازع المبدع ولنا عودة لنصحهم ان شاء الله تعالى

﴿ المنار ﴾

وجاء في العدد ٣٠ من مجلة سيراليون أيضاً تحت هذا العنوان ما تعريبه هذا اسم مجلة عربية تطبع في القاهرة . وقد ورد علينا عدد فبراير منها وفيه مقالة ضافية الذبول عن مسلمي سيراليون يتضمن الماعا الى بدء نشر التعليم الانكليزي بينهم . وفي هذه المقالة ايضاً اشارة الى كتاب الدكتور بليدن عن النصرانية والاسلام والجنس الاسود مع ابداء الاسف والنصر يحبان هذا العمل لم يعد معروفاً عند مسلمي الشرق وقد علمنا ان كاتب هذه المقالة هو مسلم شرقي متوطن في فريتون . وعلمنا ايضاً انه كان حاضراً لافتتاح المدرسة الاسلامية الجديدة في يوم الاثنين ١٤ مارس ولابدان ينشر بعض مقالات أخرى في المجلة المذكورة .

وقد ذكرت المنار وصول هارون الرشيد الى القاهرة منذ بضعة أشهر وهو شاب مسلم من مدينة فوله في هذه البلاد . وقد تمكن الشاب المذكور من دخول الازهر بمساعدة صاحب المجلة وهذا الجامع لا يزال يجذب اليه الطلبة من جميع أقطار العالم الاسلامي وحيداً لو أمكننا الحصول على معلمين من ذاك الجامع الشهير ليقوموا بتعليم تلامذتنا التعاليم الاسلامية . اهـ

﴿ النساء المسلمات في الهند ﴾

قد سبقت الهند مصر وغيرها من بلاد المسلمين في المسدنية الحديثة حتى صار النساء فيها يخطبن في الاندية العامة على الملا من الرجال والنساء . وقد تلي في مؤتمر الترية الاسلامية المنعقد في هذا العام خطاب كتبه عقيلة من فضليات نساء المسلمين وتلته عقيلة أخرى بالنيابة عنها الغيتما . اما الكاتبة فهي صبيحة زوج المير سلطان محي الدين صاحب النائب السياسي في مدراس واما التي خطبت به فهي فاضلة تسمى كبراجي . والخطاب متضمن لتذكير الرجال بمناخ الاسلام للنساء من الحقوق وماحت عليه من تعليمهن وتربيتن ، وشكر أعضاء المؤتمر على تجديد السنة الاسلامية ، بقبول دخول النساء فيه واشترآ كهن مع الرجال في البحث والاثمار بوسائل ترقى المسلمين . وقالت عن هذه المزية انها كادت تجدد عندنا الاسلام لأول ظهوره وما أعطيت المرأة فيه من الحرية التامة فلا يعزب عن اذهانكم هدى هذا الدين ووصاياه بل مثلوا اعظمته وارتفاع شأنه وسعة ممالكه في اذهانكم وأحيوا أحكامه وانصروا برهانه فقد أمسى لهذا العهد على

عظمته وقوته كالأسد المحتضر . ثم اقترحت ان ينشئ المؤتمر معرضاً في وسط البلاد تعرض فيه مصنوعات أيدي النساء ترغيباً لهن في الصناعة وتبرعت لذلك بخمسين روبية على ان تكون فاتحة الكتاب للعمل اذا أمكن والافهي للمؤتمر

﴿ رأي فاضلة هندية ، في العرب والعربية ﴾

وخطبت في احتفال المؤتمر فاضلة تسمى (نفديدا) خطبة ضافية عن حال الاسلام والمسلمين . ومن الافكار العالية التي تكلمت فيها توسيع الاسلام دائرة الوفاق والتأليف بين البشر بالغا الحنسية النسيمة والوطنية وجعل المؤمنين اخوانا حيث كانوا وأبن حلوأ . وأطنبت في الكلام عن العرب وما قاموا به من خدمة العلم والمدنية واحيائهما بعد موتها وقالت ما معناه ان الهند التي عاشت بالعلم بعد الدخول في الاسلام انما حيت بارشاد العرب بل بامتزاج دم العرب بدم الهنود حتى قالت ان الدم العربي لا يزال يجري حاراً في عروقنا وهو الذي يحركنا الى الترقى الآن . ووصفت الاسلام بأنه دين الفطرة والاستقلال والعلم وانه يمتشي معه الترقى حيث مشى . وقالت ان العلة في قلة انتشاره في الهند هو جهل الهنود باللغة العربية فانها أقل في الهند انتشاراً منها في سائر البلاد الاسلامية . قالت : ومن البعيد ان نرجو تقدماً في ديننا مع عدم التمكن من لغته ولنا الرجاء في الوصول الى مقصدنا قريباً بمساعدة المسلمين من أهل البلاد العربية بالرأي والعمل خدمة للاسلام

فلهذا هذه الفاضلة التي يقل نظيرها في علمائنا المدرسين في مصر والهند . وقد سبق لنا من بيان فوائد ما دار عليه خطابها المفيد ما يمنع من العود اليه الآن . أكثر الله من أمثالها في رجالنا ونسائنا فائقاً لأمنحنا الابامثال الذين على هذا المثال

﴿ الجمعية الخيرية الإسلامية ﴾

دعا رئيس هذه الجمعية جميع المشتركين فيها للاجتماع في ٢٩ المحرم الماضي لعرض أعمال مجلس الادارة عليهم واطلاعتهم على مشروع أعمال سنة ١٣٢٢ وميزانيتها واختاب خمسة اعضاء لمجلس الادارة فلبى الطلب بعض واعتذر بعض وتخلف الاكثرون . وقد بين الرئيس فائدة الحضور ومضرة التخلف ومنه ان لاشراف الجمهور على أعمال البعض يحمل على الاتقان والنشاط و يعود الناس على الاعمال المشتركة والتعاون وبه توائم الامم . ومن مشروعات الجمعية الجديدة انشاء مدرسة في المحلة الكبرى وستتكمّل عليها في الجزء القادم

بوقى الحكمة من بقاء ومن بقاء
الحكمة فقد أوتي خير أكبرا وما
بذكر الأولو الاباب

المسحاة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فبتعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الاباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى ودمناراء كمنار الطريق)

(مصر — غرة ربيع الاول سنة ١٣٢٢ — ١٦ مايو (أيار) سنة ١٩٠٤)

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوْأْتِيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ
بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ
وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا
تَعْمَلُونَ * وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا
كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ، إِلَّا
الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي، وَلِأَتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ * كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ
وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ *

احتج تعالى على أهل الكتاب بقوله « وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق » وقوله « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » أي وإذا كان الأمر كذلك فكل ما يأتي به عن الله فهو حق فما بهم يشاغبون في مسألة القبلة من الأحكام الفرعية خاصة ؟ فالكلام من قبيل إقامة الدليل بعد إيراد الدعوى وليس اعتراضاً كما توهم بعضهم . ثم جاء بحجة أخرى على أهل الكتاب وغيرهم ترغم أنوف المعارضين وحم بعدها الأمر بتولية الوجوه نحو المسجد الحرام وتأكيد فقل (ولكل وجهة هو موليها) أي لكل أمة من الأمم جهة توليها في صلاتها فلم تكن جهة من الجهات قبل في كل ملة بحيث تعد ركناً ثابتاً في الدين المطلق كتوحيد الله تعالى والإيمان بالبعث والجزاء . فإبراهيم وإسماعيل كانا يوليان الكعبة وكان بنو إسرائيل يستقبلون صخرة بيت المقدس وترك النصارى ذلك إلى استقبال الشرق . وكان الأنبياء المتقدمون يستقبلون جهات أخرى . فإذا كان الأمر كذلك ولم تكن جهة معينة ركناً ثابتاً في الأديان فأي شبهة من العقل أو من تقاليد الملل على فتنة المشاغبين في أمر القبلة ، وأي وجه لما أظهروه من الشبهة والحيرة ، وزجوا أنفسهم فيه من الغمة ، حتى جعلوه مسوغاً للطعن في النبوة والتشريع ؛ وسيأتي إيضاح لهذه الحجة في قوله تعالى « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب » الخ

وإذا لم تكن مسألة القبلة المعينة من أصول الدين ولا من مخه وجوهه بل كانت ولا تزال من الفروع التي تختلف باختلاف حال الأمم فالواجب فيها الاتباع المحض والتسليم لأمر الوحي وإن لم تظهر حكمة التخصيص للناس كما هو الشأن في أمثالها من الفروع المأخوذة بالتسليم كعدد الركعات

في كل صلاة وكون الركوع مرة والسجود مرتين في كل ركعة
(فاستبقوا الخيرات) باتباع الامام المرشد واياكم والجدل والمشاغبة في
أمثال هذه الامور. وهذا الامر عام موجه الى أمة الدعوة لا خاص بالمؤمنين
المستجيبين لله والرسول. ثم قال (أيما تكونوا يأت بكم الله جميعا) فذكر
بالجزء يوم البعث بعد الامر بالاستباق الى الخيرات ليفيد ان الجزاء انما
يكون على فعل الخيرات أو تركها لا على الكون في بلد كذا أو جهة كذا ففي
أي جهة وأي مكان يقيم المرء فالله تعالى يأتي به إذ البلاد والجهات لا شأن
لها في أمر الدين لذاتها وانما الشأن لعمل البر واستباق الخير (ان الله على كل
شيء قدير) فلا يعجزه الا تيان بالناس مهما بعدت بينهم المسافات، وتناءت
بهم الديار والجهات، فالتصريح بالقدرة تذكير بالدليل على الدعوى. والامر
بالخيرات هنا بعد بيان اختلاف الملل في القبلة إجمال يفصله ذكر انواع البر في
آية « ليس البر ان تولوا وجوهكم » المشار اليها آتفا وستأتي. وكأنه يقول
للفاتنين والمفتونين في مسألة القبلة ان مخ الدين وجوهه هو في المسارعة الى
فعل الخيرات فهل رأيتم محمدا وأتباعه قصروا عن غيرهم في ذلك أم هم السابقون
الى كل مكرمة، المسارعون الى كل مبرة، المتصفون بكل فضيلة، ففي
الكلام مع بيان روح الدين ومقصده تمريض بأهل الكتاب الذين تركوا
فضائل الدين وقصروا في عمل الخير والبر واكتفوا من الدين بالجدل والمراء
واستنباط الشبه للظمن في العالمين الكاملين، اذ لم يكونوا من المجادلين المشاغبين
(ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام) قال لا استاذ
الامام اعاد الامر في صورة أخرى ليعين انه شريعة عامة في كل زمان
ومكان لا يختص ببلاد دون أخرى ولا بحضور دون سفر. وقد كان الامر

بالتحويل نزل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو في الصلاة فأعلمه بصيغة الامر انه ليس خاصا بتلك الصلاة ولا بذلك المكان بل عليه ان يفعل ذلك من حيث خرج وأين توجه . وقد وثق الامر وأكده بقوله (وانه للحق من ربك) ثم قال في حال الناس (وما الله بغافل عما تعملون) أي انكم أيها المخاطبون باتباع النبي في كل ما يحجى به من أمر الدين تحت نظر الحق دائما فهو لا يغفل عن أعمالكم «فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم» وفي الكلام التفات عن خطاب النبي «ص» الى خطاب جميع المكلفين . وقرئ «يعملون» بالياء وهو يعود الى اولئك المجادين في القبلة. يقول لنبيه: لا يحزنك أمرهم فإن الله تعالى هو الذي يتولى جزاءهم وما هو بغافل عن فسادهم وفتنتهم. ثم قال

(ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) ابتداء هذه الآية بصيغة الامر الواردة في الآية قبلها وقرن بها صيغة الامر السابقة وجمع فيها بين خطاب النبي وخطاب الأمة ليرتب على ذلك التعميل وبيان الحكمة وهو (لئلا يكون للناس عليكم حجة) الخ وليس هذا الجمع والاعادة لمجرد التأكيد كما قال مفسرنا (الجلال) وإنما هو تمهيد للعة وتوطئة لبيان الحكم الموصولة به . وهو أسلوب معهود عند البلغاء (والم تأخرون الذين لا يذوقون طعم الاساليب البليغة يكتبون في مثل هذا المقام بقولهم: كل ذلك لئلا يكون للناس عليكم حجة: وهو نظم غير معهود في الكلام البليغ لاسيما في مقام الاطناب والتأكيد والاحتجاج وإزالة الشبهة) . والمراد بالناس المحاجون في القبلة المرودون وهم فريقان اهل الكتاب والمشركون . ووجه انتفاء حجتهم

على الطعن في النبوة بتحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة هو أن
أهل الكتاب كانوا يعرفون من كتبهم أن النبي الذي يبعث من ولد
إسماعيل يكون على قبلته وهي الكعبة، فجعل بيت المقدس قبلة دائمة له
حجة على أنه ليس هو النبي المبشر به فلما كان التحويل عرفوا أنه الحق
من ربهم، وأن المشركين كان يرون أن نبيا من ولد إبراهيم جاء لإحياء
ملته لا ينبغي له أن يستقبل غير بيت ربه الذي بناه جده إبراهيم وقد جاء
التحويل موافقا لما يرونه فاتفت حجة الفريقين (الا الذين ظلموا منهم)
فهم لا يهتدون بكتاب ولا يعتبرون ببرهان ولا ينظرون الى حكم الامور
وأسرارها بل يجادلون في الله وشرعه بلا هدى ولا كتاب منير، وهم
الذين أثاروا الفتن وحركوا رياح الشبه في مسألة القبلة. ولا قيمة لما يقول
هؤلاء فانهم هم السفهاء كما وصفوا في الآية الاولى (فلا تخشوم) اذ
لا مرجع لكلامهم من الحق، ولا تمكن له في النفس، لانه لا يستند الى
برهان عقلي، ولا الى هدى سماوي، (واخشوني) أنا فاني القدير وقد
وعدتكم بأن أمكن لكم دينكم الذي ارتضيت لكم وابدلكم من بعد
خوفكم أمنا وانني لأخلف الميعاد. والآية ترشدنا الى ان صاحب الحق
هو الذي يخشى جانبه وان المبطل لا ينبغي ان يخشى، فان الحق يعلم ولا يعلم،
وما آفة الحق الا ترك أهله له، وخوفهم من أهل الباطل فيه، وذكر
الاستاذ الامام هنا من له شبهة حق كصاحب النية السليمة يشبهه عليه
الامر فيترك الحق لانه عتي عليه ولو ظهر له لاخذ به، وهو أيضا لا يخشى
جانبه خلافا لما فهم بعض الطلاب من كلام الاستاذ وانما استثناءه من
مشاركة الظالمين في عدم المبالاة به فأولئك لا يخشون ولا يبالي بهم وهذا

لا يخشى على الحق ولكنه يبالي به ويعتني بأمره بتوضيح السبيل وتفصيل
الدليل لما يرجي من قرب رجوعه وقال ان الذين ظلموا يعم اليهود ومشركي
العرب خلافا للمفسرين الذين قالوا انهم المشركون خاصة مع انهم
فسروا السفهاء بما يعم الفريقين وما هؤلاء الذين ظلموا الا اولئك السفهاء
الذين قالوا بما ولا هم عن قلوبهم الخ

ثم ذكر العلة أو الحكمة الثانية فقال (ولا تم نعمتي عليكم) وبيانه ان
التي عربي من ولد ابراهيم ولسان العرب نزل عليه الكتاب وهم وقومه
الذين بعث فيهم أولا وظهرت دعوته فيهم وامتدت منهم وبهم الى سائر الامم
وكانوا اذا آمنوا يحبون ان تكون وجهتهم في عبادتهم بيدهم الحرام، وان يحبوا
سنة ابراهيم بتطهيره من عبادة الاصنام، لانه معبدتهم وأشرف أثر عندهم
ينسب الى أبيهم ابراهيم الذي بناه ورفع قواعده لعبادة الله تعالى وهو
شرفهم ومجدهم وموطن عزهم وفخرهم فاتم الله عليهم النعمة بإعطائهم
ما يحبون نعم ان كل أمر يصدر من الله تعالى فامتثاله نعمة ولكنه اذا كان فيه
حكمة ظاهرة وشرف للامة يتعلق بتاريخها وكان أثره حميدا نافعا فيها تكون
النعمة اتم والمنة اكمل ولذلك عبر بالانعام

وذكر الاستاذ الامام من الحكمة في جعل القبلة في أول الامر بيت
المقدس ان الكعبة كانت في أول الاسلام مشغولة بالاصنام والوثان
وكان سلطان أهل الشرك متمكنا فيه والامل في انكشافه عنه بعيد فصرفه
الله أولا عن استقبال بيت مبدس بعبادة الشرك وان كان الله أمر ابراهيم
بتطهيره للطائفتين والعاكفين والركع السجود الى بيت المقدس قبله اليهود
الذين هم أقرب الى ما جاء به من التوحيد والتنزيه ولما قرب زمن تطهير

البيت الحرام من الاصنام والاولئان وعبادتها وإزالة ساطة الوثنيين عنه
 جعله الله تعالى قبلة للموحدين ليوجهه النفوس اليه فيكون ذلك مقدمة
 لتطهيره وتمام النعمة بالاستيلاء عليه والسير فيه على سنة إبراهيم من
 التوحيد والعبادة الصحيحة لله تعالى وحده . أقول يؤيد ماقرره الاستاذ
 الامام في تفسير الاتمام وكون تحويل القبلة مقدمة له قوله تعالى بعد ذكر فتح
 مكة في سورة الفتح «وايتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما» فكان في
 الآية بشارة بفتح مكة ونصر الله التوحيد على الشرك ومايسلو ذلك من
 نشر الاسلام ، وانتشار نوره في الانام ، ولذلك قال في سورة الفتح بعد
 ما ذكر «وينصرك الله نصر عزيزا»

ثم ذكر سبحانه وتعالى حكمة ثالثة لتحويل القبلة فقال (واملأكم
 تهتدون) أي وليعدكم بذلك الى الاهتداء بالثبات على الحق والرسوخ
 فيه فان المعارضات والمخاجات تظهر ضعف الباطل وزهوقه ، وتبين قوة
 الحق وثبوته ، فالحجة تبختر تضاحا ، والشبهة تتضال اقتضاحا ، وقد
 خلت سنة الكون بأن الفتن تنير الطريق لاهل الحق وتظلمه على أهل
 الباطل . كل انسان يرى نفسه على الحق في الجملة ولكن يتمكن في
 المعرفة والثبات على الحق لا يعرف في الغالب الا اذا وجد للمحق خصم
 ينازعه ويمارضه في الحق هنالك تتوجه قواه الى تأييد حقه وتمكينه ومحس
 بحاجته الى المناضلة دونه والثبات عليه وكثيرا ما يظهر الحق الباطل . المعارضة
 في الحق تحمل صاحبه على تنقيحه وتحريره وتنقيته مما عساه يلتصق به أو
 يجاوره من غواشي الباطل وتجعل علمه به مفصلا بعد أن كان مجملا ،
 ومبرهنا عليه بعد أن كان مسلما ، فهي مدرجة الكمال لاهل اليقين ،

ومزلة الريب للمقلدين ، قل بمض الصوفية جزى الله أعداءنا عناخيرا
اذلولا هم ما وصلنا الى شي من مقامات القرب : وقال الشاعر :

عداتي لهم فضل علي ومنة فلا اذهب الرحمن عني الاعاديا

هم بحثوا عن ذاتي فاجتنبتها وهم نافسوني فاكسبت المعاليا

: ذلك ان العدو ينقب عن الزلات ، ويبحث في الهفوات ، وطالب الحق
يتوجه دائما الى الاستفادة من كل شي والنظر من كل امر الى موضع
العبرة ، وطريق الحقيقة ، فاذا وجد في كلام العدو مغزاً صحيحاً توقاه ، أو عثارا
في طريقه نحاه ، وان ظهر له انه باطل ثبت على حقه ، وعرف منافذ الطعن
فيه فسدها ، فكان بذلك من الكملة الراسخين . - لهذا كله كانت الفتنة
التي اثارها السفهاء على المؤمنين في مسألة القبلة معدة للاهتداء ، ووسيلة
للثبات على الحق ، ثم قال تعالى

(كما أرسلنا فيكم رسولا منكم) أي يتم نعمته عليكم باستيلائكم على
بيته الذي جعله قبلة لكم وتطهيركم إياه من عبادة الاصنام والاونان وهو
البيت الذي في قلب بلادكم وموضع شرفكم وفخركم كما اتمها عليكم
بارساله رسولا منكم فالقبلة في بلادكم والرسول من أمتكم . والخطاب
للعرب كما هو ظاهر . ثم وصف هذا الرسول بالاولصاف التي كان بها نعمة
تامة ، ورحمة شاملة ، فقال (يتلو عليكم آياتنا) الدالة على ان ما جاء به من
التوحيد والهداية هو الحق من عند الله . وهذه الآيات أعم من أن تكون
آيات القرآن أو غيرها من الدلائل والبراهين على أصول الدين وقد تقدم
في تفسير الآيات في دعوة ابراهيم بأن الآيات يصح ان يراد بها الآيات
الكونية والعقلية وان يراد بها آيات الوحي والتعظيم أولى وانما خصها بمض

المفسرين بآيات القرآن بقرينة «يتلو» على ان التلاوة اعم فكل برهان يقيمه فقد تلا عليهم عبارته وذكر لهم فيه آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم . ووجه المنة انه يقودهم الى الحق بالدلائل والبرهان دون التقليد والتسليم بغير فهم ولا إذعان ، والطريقة الاولى يكون بها العقل مستقلا والدين مؤيدا له وهاديا ، لامرغا ولا معطلا ،

والآيات تتماق باثبات العقائد وأصول الدين وهي المقصد الاول ويلها تهذيب الاخلاق ولذلك قال (وزيركم) أي يطهر نفوسكم من الاخلاق السافلة ، والارذائل الممقوتة ، ويخلقها بالاخلاق الحميدة بحسن الاسوة ، لا بالقهر والسطوة ، وخص المفسر (الجلال) التزكية بالتطهير من الشرك قل الاستاذ الامام : وهذا لا يصح فان الاسلام كما جاء بالتوحيد الماحي للشرك جاء بالتهذيب المطهر من سفاسف الاخلاق وقبائح العادات والمعاصي التي كانت فاشية في العرب فقد كانوا يثدنون بناتهم (يدفنونهن أحياء) ويقتلون اولادهم للتخلص من النفقة عليهم وذلك نهاية القسوة والشح ، وكانوا يسفكون الدماء فيما بينهم لاثهون سبب يثير حميتهم الجاهلية لما اعتادوا عليه من شن الغارات ونهب بعضهم بعضا ، وكان عندهم من التسفل ان أحدهم يتزوج زوجة أبيه أو يعضلها حتى تغتدي منه ، الى غير ذلك . وقد زكاهم النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك كله باقتدائهم باخلاقه الكاملة ، وهديه الشريف ، وجمعهم بعد تلك الفرقة ، وألف الله بينهم على يديه حتى صاروا كرجل واحد ، وجعلت شريعته ذمتهم واحدة يسعى بها أدناهم . فاذا أعطى مولى اورقيق منهم أمانا لاي إنسان محارب كان ذلك كتأمين أمير المؤمنين له ، فأى تزكية أعلى من هذه التزكية ،

وبعد ذكر التربية العملية بالاسوة الحسنة ذكر أمر التعليم فقال
 (ويعلمكم الكتاب والحكمة) وتقدم تفسيره في الكلام على دعوة ابراهيم
 وما هو ببعيد . وقد جاء الاستاذ الامام هنا بتفصيل في معنى الحكمة لم يذكر
 هناك فقال مأمثاله : دعا القرآن الى التوحيد وأمها الفضايل وبين أصول
 الاحكام ولكنه لم يفصل سيرة الملوك والرؤساء مع المحكومين المرعوسين
 ولم يفصل سيرة الرجل مع أهل بيته في الجزئيات وهو ما يسمونه نظام
 البيوت (المائلات) ، ولم يفصل طرق الاحكام القضائية والمدنية والحربية
 وذلك ان هذه الامور ينبغي أن تؤخذ بالاسوة والعمل بعد معرفة القواعد
 العامة التي جاءت في الكتاب ولذلك كانت السنة هي المينة ذلك بالتفصيل
 بسيرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في بيوته ومع أصحابه في السلم والحرب
 والسفر والاقامة وفي حال الضعف والقوة والقلة والكثرة فالسنة العملية
 المتواترة هي المينة للقرآن بتفصيل مجمله وبيان مبهمه وإظهار ما في أحكامه من
 الاسرار والمنافع ولهذا اطلق عليها لفظ الحكمة فانها كانت كالحكمة
 لتأديب الفرس ولولا هذه التربية بالعمل لما كان الاإرشاد القولي كافيا في
 انتقال الامة العربية من طور الشتات والفرقة والعداء والجهل والامية الى
 الائتلاف والاتحاد والتآخي والعلم وسياسة الامم . فالسنة هي التي علمتهم
 كيف يهتدون بالقرآن ، ومرتهم على العدل والاعتدال في جميع الاحوال ،
 كلنا يعرف الحلال والحرام وكلما ترى احدا عاملا بعلمه وانما السبب
 في ذلك أن الاكثرين يعرفون الحكم دون حكمته فهم لا يفقهون لم كان
 هذا حراما ولا تنفذ أفهامهم في الحكم فتصل الي فقهاء وسره فتعلم علما
 تفصيليا ما وراء المحرم من الضرر لمرتكبه وللناس وما وراء الواجبات

والمندوبات من المنافع العامة والخاصة . ولو علموا ذلك وفقهوه بالتربية عليه وملاحظة آثاره كما أخذ الصحابة عن الرسول عليه الصلاة والسلام خرجوا من ظلمة الاجمال والابهام في المعرفة الى نور التجلي والتفصيل حتى تكون الجزئيات مشرقة واضحة ولكان هذا العلم معيناً لهم على إحلال الحلال بالمعمل وتحريم الحرام بالترك فقد أوقف النبي «ص» أصحابه «رض» على فقه الدين ونفذ بهم الى سره فكانوا حكماء علماء ، عدولا نجباء ، حتى إن كان أحدهم ليحكم المملكة العظيمة فيقيم فيها العدل ويحسن السياسة وهو لم يحفظ من القرآن الا بمضه ولكنه فقهه حق فقهه . وهذا المعنى - فقه الدين ومعرفة اسرار الاحكام - غير التزكية ولكنه يتصل بها ويعين عليها حتى يطابق العلم العمل

فهذه الآية نباء عن استجابة دعوة ابراهيم عليه السلام «ربنا وابعث فيهم رسولا منهم» الآية . وقد تقدم هناك ذكر تعليم الكتاب والحكمة على التزكية ، وقد هنا ذكر التزكية على تعليم الكتاب والحكمة والنكتة في ذلك ان ابراهيم عليه السلام لاحظ في دعوته الطريق الطيبي وهي ان التعليم يكون اولاً ثم تكون التزكية ثمرة له ونتيجة ، وهما ذكر الترتيب بحسب الوجود والوقوع وذلك ان أول شيء فعله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هو أن دعا الناس الى الايمان بما تلا عليهم من آيات الله تعالى ودلائل توحيده والى الاعتقاد بإعادة الناس ليوم لا ريب فيه يحاسب فيه كل نفس بما تسعى فاجاب الناس دعوته بالتدريج وكل من انضم اليه كان يقتدي به في أخلاقه وأعماله ولم تكن هنالك أحكام ولا شرائع ثم شرعت الاحكام بالتدريج فالتزكية والتربية بالتأسي به عليه الصلاة والسلام كانت متأخرة عن إقامة الآيات

والدلائل على أصول الايمان ومتقدمة على تلقي الشرائع والتفقه في الاحكام،
ثم قال تعالى (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) اي ما لا طريق لكم
الى معرفته بالنظر والفكر وهو ما لا يعلم الا من الوحي كاخبار عالم الغيب
وسيرة الانبياء واحوال الامم التي كانت مجهولة عندهم وكثير منها كان مجهولا
عند اهل الكتاب فانه صحح اغلاطهم ، وبين سقطاتهم ، وخص هذا بالذكر
وان كان مما اشتمل عليه الكتاب اعتمادا به ، وتنويعا بشأنه ، فيكأنه قال
ويعلمكم في الكتاب ما لم تكونوا تعلمونه . الاستاذ الامام : هذا ما قالوه
ويصح ان يراد ما لم تكونوا تعلمون من شؤون انفسكم والسنن الالهية الحاكمة
فيكم وقد بلغوا بتعليمه وإرشاده مبلغا فاقوا فيه سائر الامم اي فالتعليم ليس
محصورا في الكتاب بل هناك زيادة أعد الله تعالى نبيه لتبيينها والمقابلة بين
هذا التعليم وتعليم الكتاب مبنية على ان المراد بالكتاب القرآن وبالايات
الدلائل وقد تقدم في تفسير دعوة ابراهيم وجه آخر في الكتاب وهو انه مصدر
كتب اي ويعلمكم الكتابة بعد ان كنتم أميين ولا مقابلة على هذا والامر ظاهر
(فاذا كروني) بما شرعت لكم من أمر القبلة للفوائد الثلاث التي تقدم
شرحها وبما اتممت عليكم من النعمة بارسال رسول منكم يعلمكم ويذكركم
ولا تنسوا اني انا المتفضل بافاضة هذه النعم عليكم (اذكركم) بادامتها
عليكم تجنون ثمارها وتتمتعون بأثرها وهو العزة والقوة والشرف
والسلطان وغير ذلك من أركان السعادة . قال الاستاذ الامام : وهذه
الحكمة من الله تعالى كبيرة جدا كأنه يقول اني أعلمكم بما تعلموني به
وهو الرب ونحن العبيد وهو الغني عنا ونحن الفقراء اليه : أي وهذه
أفضل تربية من الله تعالى لعباده اذا ذكروه ذكرهم بادامة النعمة والفضل ،

واذا نسوه نسيهم منه بمقتضى العدل ، ثم بعد ان علمهم ما يحفظ النعم ، ارشدهم الى ما يوجب المزيد بمقتضى الجود والكرم ، فقال (واشكروا لي) هذه النعم بالعمل بها وتوجيهها الى ما وجدت لاجله (ولا تكفروا) أي لا تكفروا نعمي باهمالها أو صرفها الى غير ما وجدت لاجله بحسب السنن الالهية . وهذا تحذير لهذه الامة مما وقعت فيه الامم السالفة اذ كفرت بنعم الله تعالى فحوت الدين عن قطبه الذي يدور عليه وهو الاخلاص وإسلام الوجه لله وحده . وعظمت ما أعطاه الله من مواهب المشاعر والعقل فلم تستعملها فيما خلقته وهكذا انحرفوا بكل شيء عن أصله فسلبهم الله ما كن وهبهم تأديبا لهم ولنيرهم ثم رحمهم بان أرسل اليهم رسولا بهداية عامة تعرفهم وجه تلك التريبة الالهية وتحذرهم العود الى أسبابها . وقد امتثل المسلمون هذه الاوامر زمانا قصيرا فسعدوا ثم تركوها بالتدريج فخل بهم مانرى فاذا عادوا عاد الله عليهم بما كان أعطى سلفهم والا كانوا من الهالكين

هَيْبَةُ النَّبِيِّ وَحُجَّةُ الْإِسْلَامِ

كتاب تنوير الافهام

(كلمة نازية في هدم الكتاب)

ذكرنا في الجزء الثالث كلمة هادمة لذلك الكتاب الذي زعم انه بين مصادر الاسلام - وليس للاسلام الا مصدر واحد وهو الوحي - وذكرنا هناك اننا لم نقرأ من الكتاب الا جملة قليلة . ثم اتانا عدنا اليه فالفيناه يبتدىء الكلام في الاسلام ابتداء من يتوهم انه عرفه وانه يتكلم في قواعده وأصوله ولكن لم نلبث أن رأينا فيه من الجهل والافتات على الاسلام ما أثبت لنا ان واضعه كغيره من الطاعنين لم يكتب ما يرى ويعتقد ولم

يعتقد ما عرفه وعلمه بل خبط خبط عشواء فظلم نفسه ، وأتعب عقله وحسه ، وكان بعد ذلك من الخاسرين

انظر تعلم اننا نصفه لانشتمه - ذكر ان أساس الدين القرآن والسنة أو الحديث كما قال وذكر ان الحديث مبين للقرآن فان خالفه لا يقبل لان القرآن هو الاصل وذكر ان كتب الحديث المعتمدة عند أهل السنة سنة وعد منها الموطأ وأهمل سنن النسائي ولا بأس بذلك وذكر الكتب المعتمدة عند الشيعة كذلك . ثم بنى طعنه في القرآن على ما فسر به من الحديث بزعمه وههنا الخلط والاختراع وسوء القصد كما ترى فيما نورد عنه من الشواهد

أول مثال أورده لبيان القرآن بالسنة آية «سبحان الذي أسرى» نزع ان حديث المراج مين لها فاهم القارئ ان ماورد من عروج النبي الى السماء (بروحه فقط كما عليه قوم من المسلمين أو بروحه وجسده كما عليه آخرون) مفسر ومبين لآية من القرآن مع ان المسلمين يجمعون على ان المراج مأخوذ من الحديث لامن القرآن ولذلك لا يقولون بكفر منكره بل نقلوا ان من الصحابة من أنكروه بالمرّة حتى السيدة عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وأردف هذا المثال بآخر فقال : « وكذلك لو لا الحديث لما فهم أحد معنى : ق وهو اسم احدى سور القرآن فلا حديث هي التي أوضحت أن المراد بالحرف ق اسم جبل قاف . ولهذا نزعنا بحوله تعالى طلبا للاختصار أن لا نورد في هذا الكتاب شيئاً مختصاً بمصادر الاسلام من عقيدة إسلامية أو تعليم الا ما كان له أصل وأساس في القرآن ذاته ويكون ورد له تفسير وشرح في الاحاديث المشهورة المتواترة بين كل المسلمين سواء كانوا من اهل السنة أو الشيعة » :

انظر الى ما اشترطه على نفسه في الاعتماد على الاحاديث الميمنة والمفسرة للقرآن اشترط ان تكون الاحاديث مشهورة متواترة بين كل المسلمين مع أن تفسير حرف (ق) بأنه اسم جبل لم يرد في حديث مرفوع لا متواتر ولا مشهور ولا آحادي صحيح ولا ضعيف ولم يذكر في كتاب من الكتب الستة التي ذكر أن أهل السنة وهم القسم الاكبر من المسلمين يعتمدون عليها . فكيف يوثق بكلام مؤلف ويصدق بأنه التزم

ما اشترطه على نفسه في هذا الكتاب . نعم ان في كتب التفسير التي لا يكاد يخلو واحد منها من سرد الاقوال الاسرائيلية أثر في ذكر جبل قاف وقد قال القرافي من محققي الامة انه لا يعول عليه ولا يصح وان هذا الجبل لا يوجد ولا يهمننا أن بعض عشاق الروايات الكثيرة سلم به وانما نقول انه شيء لم يصح في الكتاب ولا في السنة ولم يوجد في الكتب المعتمدة الذي ذكرها ولا في غيرها مرفوعا الى النبي (ص)

ثم ان للاسرائيات منبعا آخر في غير كتب التفسير هو أغزر مادة وأكثر رواية وهو كتب القصص الخرافية التي أسندت الى مؤلفين لاشأن لهم ككتاب عرائس المجالس وغيره في قصص الانبياء وخريدة المعجائب وأمثالها وهي كتب طائفة بالموضوعات والا كاذب كما نبه على ذلك حفاظ الحديث حتى كان الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يقول: لا يصح في التفسير شيء . وعلى أمثال هذه الكتب يعتمد صاحب كتاب تنوير الافهام في تفسير القرآن وبيانه مع ما علمت من شرطه الخادع . ومن ذلك ما أورده في الصفحة (٤٢) وما بعدها من قصة ابراهيم عليه السلام أخذها من عرائس المجالس ينبوع الكذب واستدل منها على ان القرآن يستمد أحكامه وأخباره من كتب اليهود ثم اعترف بأن ما في القرآن وعرائس المجالس غير مطابق لما في كتبهم وسببه بزعمه ان محمدا أخذها عن اليهود مشافهة ولم يرها في كتبهم !!! على ان موافقة القرآن نفسه أو الحديث الصحيح لبعض ما في كتب اليهود دون بعض لا يدل على انه أخذ عنهم وإنما يدل على ان الله تعالى بين له حق كلامهم من باطله وصدقه من كذبه فان كتبهم كأقوالهم لا يعتمد عليها كلها لظهور الكذب والتناقض فيها الى اليوم ولظهور تلفيقها واقتباسها من الامم الأخرى كما بينا ذلك مرارا فهي ككتب القصص عندنا فيها شيء من القرآن والسنة ولكنه مزوج بالا كاذب والآراء المقتبسة من الأمم . ولا شيء يعول عليه في صحة بعض أقوال كتب اليهود دون بعض بعدما طرأ عليها من الضياع والتحريف والخلط الا الوحي وقد ثبتت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالدلائل الساطعة ، والآثار النافعة ، وهم يقولون ان المسيح فرق بين الانبياء الصادقين والانبياء الكذبة بآثارهم ونسارهم فوجب الاعتماد على ما جاء به هذا النبي الكريم دون غيره . والبحث بأنه سمع أو اطلع من الهذيان . وأني يعول النبي الذي لا ينكر الكافرون رجحان عقله على قول أولئك

اليهود الذين شرح للناس مكرهم وكذبهم وتلطف في شأن ما يعزونه الى الوحي فأمر
 أصحابه بأن لا يصدقوهم فيه ولا يكذبوهم ١١١
 كذلك تراء قد اعتمد على عرائس المجالس في قصة سليمان مع ملكة سبا (كافي ص ٦١)
 وفي قصة هاروت وماروت (كافي ص ٦٤) وقدم تفسير القصة في المجلد السادس من
 المنار بما يكذب القصاصين كصاحب عرائس المجالس وغيره ومن على رأيهم من المفسرين
 (راجع ص ٤٤٣ من المجلد المذكور) وفي «سبع دركات الارض» (كافي ص ٨٥) واعتمد
 على كتاب قصص الانبياء في وصف اللوح المحفوظ بناء على انه تفسير لقوله تعالى «بل هو
 قرآن مجيد في لوح محفوظ» ذكر ذلك في (ص ٩٣) وعبر عنه بمعلومات المسلمين التي
 استفادوها من أحاديثهم . ثم رجح في الصفحة ٩٩ ان النبي (ص) اقتبس هذه الكلمة
 من اليهود حين سمعهم يقولون ان الوصايا التي اعطاها الله لموسى كتبت في لوحين . كانه
 يرى ان محمدا عليه أفضل الصلاة والسلام ما كان يعرف هذا اللفظ (لوح محفوظ) لولا
 انه سمعه من اليهود وان كان اللفظ عربيا والسورة التي ورد فيها مكية ازلت قبل ان
 يعرف النبي أحدا من اليهود اذ كانوا في المدينة لافي مكة . ثم رجح بناء على تحكمه هذا ان
 المسلمين لم يفهموا معنى قوله (لوح محفوظ) فكذبوا له تلك الكذبة المذكورة في قصص
 الانبياء ١١١ وليت شعري كيف لم يفهموا هذه الكلمة وهي من لسانهم والكتابة في
 الألواح معهودة عندهم . وكيف اختص النبي بالسمع من اليهود دونهم مع انه كان يراهم
 ويحاجهم اذ يدعوه الى الاسلام والمسلمون حاضرون ولم يعرف انه كان يخلو بهم ١١١ نعم
 إن ما ذكره صاحب قصص الانبياء يجوز ان يكون بسوء فهم وان يكون بسوء قصد ثم
 عاد الى تفصيل القول في تفسير (ق) بجبل قاف ناقلا عن عرائس المجالس وقصص
 الانبياء وذكر موافقة ما فيهما لما قاله أحد اليهود في كتاب لهم اسمه حكيكاه
 وبأيت مؤلف الكتاب كان سأل أحد علماء المسلمين عن كتاب عرائس المجالس
 وكتاب قصص الانبياء قبل ان يطالعهما ويستخرج منهما تفسير القرآن : هل هذان
 الكتابان معتمدان عندكم في التفسير وغيره وهل تعد روايتهما صادقة ؟ إذن لأجابه
 بما كان يكفيه مؤنة التعب والعناء بمطالعة تلك الحرافات والاكاذيب وتلخيص الاخبار
 منها . انا نشفق عليه من مطالعة كتب يحرم المسلمون قراءتها لما فيها من الكذب

والكفر اذا كان قد طالعها ظاناً انها معتمدة يحتاج بها ولكن الراجح انه يعلم انها كتب خرافية بدليل انه ذكر كتب الحديث المعتبرة عند المسلمين وان كانوا لا يحتاجون بجميع ما فيها ولكنه مع وعده بأن سينقل منها المشهور والمتواتر لم ينقل منها حتى ما لم يشتهر ولم يتواتر . لماذا؟ لانه يريد ان يشكك عوام المسلمين في دينهم بآلهامهم انه يعرف كتبهم المعتمدة وينقل عنها وينتقدها . وعند ذلك يتسنى له أو لغيره من شيعته ان ينصر بعض هؤلاء العوام الجاهل بعد تشكيكهم مرغبا لهم بمنفعة دنيوية كاعهد من المبشرين في دعوة المسلمين . ولم يعلم المسكين أن من عرف من الاسلام شيئاً يصعب ان يهين نفسه بالنصرانية ويعبد البشر (المسيح) من دون الله ويقول ان الله مولود من انثى ان كتاب عرائس المجالس وقصص الانبياء على شحنها بما يخالف عقائد الاسلام وأخباره وأحكامه مما مثل من كتب النصرانية ولا يرضى لنفسه من لم يعرف من الدين والعلم شيئاً غير خرافاتهم ان يستبدل بها عقيدة انصارى الوحيدة التي هي مناط الخلاص عندهم وهي ان الآله عجز عن التوفيق بين صفتيه المتناقضتين من الأزل وهما العدل والرحمة فلم يهتد وسيلة لذلك الا منذ ١٩٠٤ اذ رأى ان يحل في بطن امرأة ويولد منها فيكون انساناً ثم يصلب كارها راضياً ويجعل نفسه ملعوناً لاجل ان يخلص الناس بحملهم على تصديق هذه القصة التي لاتعقل ويجعل من يصدق بها من أهل الاباحة له الملكوت وان كان أفسق الفاسقين وأظلم الظالمين !!! هل يمكن لمن له ذرة من العقل ان يفضل هذا الاعتقاد الخرافي على خرافات عرائس المجالس وقصص الانبياء؟ لا لالا

هذا نموذج من الشواهد التي زعم مؤلف الكتاب ان القرآن أخذها من كتب اليهود بناء على تفسير الاحاديث المتواترة المشهورة في كتب المسلمين على زعمه وما هي الا في كتب الخرافات كما علمت .

وقد ذكرنا لك في الجزء الثالث شاهداً محاطين فيه بالقرآن من حيث اقتباسه من العرب ونذكر لك الآن شاهداً آخر على سبيل الفكاهة لتعرف مبلغ علم هذا المؤلف بالعربية وأساليبها كما عرفت مبلغ علمه بالاحاديث المتواترة وهي عند المسلمين ما رواه جمع عظيم في كل زمن من عهد النبي (ص) الى الآن - وما أورده لم يروه جمع ولا واحد - جاء في الصفحة الرابعة والعشرين وما بعدها عقيب الكلام في التوحيد الذي مر

الشاهد فيه وفي الحثان الذي لم يذكر في القرآن مانصه :

قال المعترضون وبصرف النظر عن كل هذا فان بعض آيات القرآن مقتبسة من القصائد التي كانت منتشرة ومتداولة بين قريش قبل بعثة محمد وأوردوا بعض قصائد منسوبة الى امرئ القيس مطبوعة في الكتب باسمه لتأييد قولهم هذا . ولا شك انه ورد في هذه القصائد بعض آيات تشبه بل هي عين آيات القرآن على حد سواء أو تختلف عنها في لفظة أو لفظتين ولكنها لا تختلف عنها في المعنى مطلقا . وهاك الايات التي يوردها المعترضون وقد أشرنا على العبارات التي اقتبسها القرآن بوضع علامة تحتها كهذه -

دنت الساعة وانشق القمر	عن غزال صداد قلبي ونقر
احور قد حرت في أوصافه	ناعس الطرف بعينه خور
مر يوم العيد في زينته	فرماني فتعاطى فققر
بسهم من لحاظ قتك	فتركتني ككشمي المحتظر
واذا ما غاب عني ساعة	كانت الساعة أدهى وأمر
كتب الحسن على وجته	بسحق المسك سطرأ مختصر
عادة الاقمار تسري في الدجى	فرايت الليل يسري بالقمر
بالضحى والليل من طرته	فرقه ذا النور كم شي زهر
قلت اذا شق العذار خده	دنت الساعة وانشق القمر

(وله أيضا)

أقبل والشاق من خلفه كأنهم من حذب ينسلون
وجاء يوم العيد في زينته مثل ذا فليعمل الماملون

لولا ان في القراء بعض العوام لما كنت في حاجة الى التنبيه على أن هذه القصيدة يستحيل ان تكون لعربي بل يجب ان تكون لتلميذ أو مبتدئ ضعيف في اللغة من أهل الحضرة الخنثين عشاق الغلمان فهي في ركاكة أسلوبها وعبارتها وضعف عريتها وموضوعها بريئة من شعر العرب لاسيما الجاهليين منهم فكيف يصح ان تكون لحامل لو انهم ، وأبأن بلغائهم ، هب ان امرأ القيس زير النساء كان يتنزل بالغلمان وافرضه جدلا ولكن هل يسهل عليك ان تقول ان أشعر شعراء العرب صاحب « قفا بك

من ذكرى حبيب ومنزل ، يقول

أحور قد حرت في أوصافه ناعس الطرف بعينه حور
وتضيق عليه اللغة فيكرر المعنى الواحد في البيت مرتين فيقول أحور بعينه
حور . أتصدق ان عربيا يقول : انشق القمر عن غزال : وهو لغو من القول ؟ وما
معنى : دنت الساعة : في البيت ؟ وأي عيد كان عند الجاهلية يمر فيه الغلمان مترنين ؟
وهل يسمح لك ذوقك بأن تصدق ان امرأ القيس يقول : فرماني فتعاطى فقمر :
وأي شيء تعاطى بعد الرمي ، والتعاطى التناول وممناه في الآية وفنادوا صاحبهم فتعاطى
فمقره أنه تناول رجلا وخجرا فعقر الناقة به والابل تعقر في نحرها ، والعشاق انما
يرمون باللاحظ في قلوبهم فهل يقول العربي بعد ما قال ان محبوبه رماه انه تعاطى
بعد ذلك فقمر ؟ وهل يقول امرؤ القيس : لحاظ فالك : ؟ فيصف الجمع بالمفرد .
وهل يشبه العربي طلوع الشعر في الحنك بالسرى في الليل مع انه سير في ضياء كالنهار ؟
وكيف تفهم وتعرب قوله

بالضحى والليل من ظرته فرقه ذا النور كم شئ زهر

وهل يقول عربي أو مستعرب فصيح في حبيبه ان العذار شق خده شقا ؟
اما البيتان الآخران فهما أبعد عن ذوق العرب وعباراتهم واذا كراني رأيت من
عزاهما الى بعض المولدين لأدري هل هو ابن حجة أو غيره على انهما اقتباس من
القرآن على ان في الاشارة الى موضع الاقتباس هنا خطأ نحو الخطأ في القصيدة في الآية « وهم
من كل حذب ينسلون » وانت ترى ان المعنى في البيب لا يستوي فان الحذب هو النسل اي
المرتفع من الارض والعشاق لم يكونوا يسرعون مقبلين من ذلك المحل الذي يشبهه مثل هذا
الشاعر بالحذب وانما يصح ان يكونوا مقبلين اليه !! اما مخالفة لفظ القرآن في البيت الثاني ففي
استبدال ذاب هذا وانظر وزنه المرجوح

بعد هذه الاشارات الكافية في بيان ان الشعر ليس للعرب الجاهلين ولا للمخضرمين
وانما هو من خثوة وضف المتأخرين أسمح لك بان تفرض أنه لامرئ القيس
إكراما واحتراما للمؤلف . ولكن هل يمكن احدا ان يكرمه ويحترمه فيقول ان الكلمات
التي وضعها العلامات هي عين آيات القرآن . أما البيتان فقد رأيت ما فيهما . واما ما في

البيت الاول من القصيدة فهو دون جملة ولا يستقيم له معنى . وليس في القرآن (فرماني
 فتعاطى فمقر) وقد ذكرنا لك الآية آنفا . وقوله (تركني كهميم المحتظر) مثله وانما
 الآية الكريمة : « انا ارسنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهميم المحتظر » فالمعنى مختلف
 والنظم مختلف وليس في البيت الا ذكر المشبه به وهو فيه في غير محله لان تشبيه الشخص
 الواحد بالهميم يجمعه صاحب الخطيرة لغنمه لامتني له وانما يحسن هذا التشبيه لامة
 فئت وبادت كما في الآية ، ولعل في الاصل تركني بدل (تركني) وبها يستقيم اللفظ والمعنى
 في الشطر . وليس في القرآن ايضا : كانت الساعة ادهى وأمر : وانما فيه « سيهزم الجمع
 ويولون الدبر » بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وأمر ، فهنا وعيدان شرهما الساعة
 المنتظرة فصيح ان يقال : انها ادهى وأمر . وليس في البيت شيء يأتي فيه التفضيل على بابه .
 واعلم ان هذا الشعر من كلام المولدين المتأخرين هو أدنى ما نظموا في الاقتباس ، ولم ينسبه الى
 امرئ القيس الا جهل الناس ،

ثم ان المعنى مختلف والنظم مختلف فكيف يصح قول المؤلف : ان هذه الكلمات
 من آيات القرآن وانها لا تختلف عنها في المعنى . ولو فرضنا ان هذه الكلمات العربية استعملت
 في معنى سخيف في الشعر ليس فيه شائبة البلاغة ثم جاءت في القرآن العربي بعمان
 أخرى وأسلوب آخر وكانت آيات في البلاغة كما انها في الشعر عبرة في السخافة . فهل
 يصح لما قل ان يقول : ان صاحب هذا الكلام البليغ في موضوع الزجر والوعظ
 مأخوذ من ذلك الشعر الخث في عشق الغلمان وان المعنى واحد لا يختلف ؟ فن
 كان معتبرا باستنباط هؤلاء الناس ونهاتهم في الطعن والاعتراض على القرآن فليعتبر بهذا
 ومن أراد ان يضحك من النقد الفاضل لصاحبه الرافع لشأن خصمه ، فليضحك . ومن
 أراد أن يزن تمصب هؤلاء النصارى بهذا الميزان فايزنه وانه ليرجح بتمصب العالمين .
 ومن أراد ان يقيس سائر ما قاله هذا المؤلف في الاستشهاد على كون القرآن مقتبساً من
 كلام العرب وعقائدهم بعد ما أعياهم أمره ، وقلب طباعهم هديه ؛ ومن كتب سائر
 الملل في مشارق الارض ومغاربها وان لم يسمع بها بهذا الشاهد وبالشاهد الذي سبق
 فله ان يقيس فان كل مزاعمه من هذا القليل . وان لنا كلمة أوضح في الرد عليه تؤخرها
 لجزء آخر وهي فصل الخطاب ان شاء الله تعالى

﴿ باب السؤال والفتوى ﴾

(قصص القرآن)

(من ١٧) الشيخ محمد نجيب المدرس بالمدرسة الشمسية بتوتار (روسيا) :

هل القصص الواردة في القرآن أنزلت لأجل الاعتبار والاتعاظ أم هي وقائع تاريخية أم على التبويض أرجو بيان هذه المسألة المهمة في أحد أعداد المنار ولكم الاجر والمنة

(ج) تقدم الامناع في التفسير غير مرة الى ان قصص القرآن لا يراد بها سرد تاريخ الامم أو الاشخاص وانما هي عبرة للناس كما قال تعالى في سورة هود بعد ما ذكر موجزا من سيرة الانبياء عليهم مع اقوامهم : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الاباب » ولذلك لا تذكر الوقائع والحوادث بالترتيب ولا تستقصى فيذكر منها الطم والرم ، ويؤتى فيها بالذرة واذن الجرة كما في بعض الكتب التي تسميها الملل الاخرى مقدسة . وللعبرة وجوه كثيرة وفي تلك القصص فوائد عظيمة اذكر اني كتبت منها نحو ثلاثين اذ وجهت نفسي للبحث عن فوائد التكرار فيها وهذه الوجوه تذكر مفصلة في مواضعها من التفسير الذي تنشره في المنار . وافضل الفوائد وأهم العبر فيها التنبه على سنن الله تعالى في الاجتماع البشري وتأثير اعمال الخير والشر في الحياة الانسانية وقد نبه الله تعالى على ذلك في مواضع من كتابه كقوله « وقد خلت سنة الاولين » وقوله « سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون » - يذكر امثال هذا بعد بيان احوال الامم في غمط الحق والاعراض عنه والغرور بما اوتوا ونحو ذلك فالآية الاولى جاءت في سياق الكلام عن المعرضين عن الحق لا يلوون عليه ولا ينظرون في آله لانهم اكرمهم في ترفهم وسرفهم وجودهم على عاداتهم وتقاليدهم . والآية الثانية جاءت في سياق محاجة الكافرين والتذكير بما كان من شأنهم من الانبياء وبعد الامر بالسبيل في الارض والنظر في عاقبة الامم القوية ذات القوة والآثار في الارض وكيف هلكوا بعد ما دعوا الى الحق والتهذيب فلم يستجيبوا لما صرّفهم من الغرور بما كانوا فيه ولم ينفعهم إيمانهم عند ما نزل بهم بأس الله وحل بهم عذاب التفريط والاسترسال في الكفر وآثاره السوء . وليس المراد بنفي كون قصص القرآن تاريخا أن التاريخ شيء باطل ضار ينزه القرآن عنه .

كلان قصصه شذور من التاريخ تعلم الناس كيف يتفهمون بالتاريخ. فمثل ما في القرآن من التاريخ البشري كمثل ما فيه من التاريخ الطبيعي من أحوال الحيوان والنبات والجماد ومثل ما فيه من الكلام في الفلك - يراد بذلك كله التوجيه الى العبرة والاستدلال على قدرة الصانع وحكمته لاتفصيل مسائل العلوم الطبيعية والفلكية التي يمكن الله البشر من الوقوف عليها بالبحث والنظر والتجربة وهداهم الى ذلك بالفطرة وبالوحي معا ولذلك نقول لو فرضنا ان المسائل التاريخية والطبيعية المذكورة في الكتاب ليست مطابقة لما يرى أو يعتقد الناس كلهم أو بعضهم في زمن التنزيل لما كان ذلك طعنا فيه لان هذه المسائل لم تقصد بذاتها بل المراد منها توجيه النفوس لطريق الاستفادة بما أشرنا اليه فنبه

❦ المذاهب الإسلامية في الاصول وطريقة المنار ❦

(س ١٨) أحد أقندي صبحي بأشمون: انا نود و غيرنا من اخوانكم المسلمين يودون من حضر تكلم ان تدرجوا في المجلة طريقة كل مذهب من المذاهب الاخرى مثل الشيعة والزيدية والوهابية والخيرية وغيرهم لنطلع على ذلك ونعرف ما عليه هذه المذاهب فلان البعض من اخوانكم المسلمين يعتقدون انهم مسلمون وعلى الكتاب الشريف والبعض يقول غير ذلك

(ج) كل هؤلاء الذين ذكرتم مسلمون واصل الدين عندهم كتاب الله تعالى ويقرؤن بوحداية الله وبرسالة خاتم النبيين وكون ما جاء به حقا و يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجون البيت الحرام ويصبرون على ظلم الحكومة العثمانية فيه . ولكنهم يختلفون في تأويل بعض الآيات وبيان المراد منها وفي رواية الحديث وسيرة السلف اختلافا قريبا أو بعيدا من الحق فلهيعة ومنهم الزيدية روايات غير معروفة أو غير معتمدة عند أهل السنة وبذلك اختلفوا في مسائل كثيرة أغلبها في فروع الاحكام ولهم أيضا طرق في الاستنباط يخالفون في بعضها طرق فقهاء المذاهب الاخرى واما الوهابية فليس لهم كتب تعتمد في الحديث غير كتب أهل السنة وهم أقرب الى العمل بالسنة من جميع المسلمين على غلوف في بعضهم و ليس من موضوع المنار تفصيل مسائل الخلاف وانما هو مجلة المسلمين عامة يخاطبهم ويمظهم بالاصل المتفق عليه عند الجميع وهو كتاب الله تعالى والسنة العملية التي كان عليها السلف الصالح بلا

خلاف ويدع لهم كل ما اختلفوا فيه حتى يفيئوا الى أصل الوفاق ان شاء الله تعالى . فالدين واحد والكتاب واحد والله يقول فيه « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء » ، ويقول في قوم غير مرضيين عنده « وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم » ولم يسل المسلمون مما جرى لمن قبلهم من الامم باختلاف التأويل والروايات الاحادية وأهواء الرؤساء واتعصب للمرشدين وترجوا ان يعودوا بتربية الزمان القاسية الى الوفاق بالعود الى الاصل المجمع عليه وهو الكتاب والسنة العملية المتفق عليها ويعذر بعضهم بعضا في الروايات القولية الاحادية مع البحث والمجادلة بالتي هي أحسن حتى يفي المخطئ الى أمر الله الذي لا خلاف فيه .

هذه هي الطريقة المثلى في إرشاد المسلمين في رأينا وقد أخطأها الوهاية فاولوا بفرارة البداوة وقسوتها ان يرجعوا المسلمين عن البدع بالقوة القاهرة فكانوا من الخائئين ، وأساء الظن فيهم سائر المسلمين ؛ ومن العجائب ان عند المسلمين إحساسا عاما بأنه لا يصح حالهم ويعود بمجديدينهم الاباطال المذاهب كلها والرجوع الى الاصل الاول والامام المبين وهو القرآن اذ اتفق سنينهم وشيعتهم على ان المصالح المسمى بالمهدي سيبطال للمذاهب كلها أي ان الاصلاح لا يكون الا بذلك ولكنهم جعلوا طريق ذلك غير معقول وهو شخص مخصوص يظهر بالحوار ق دون السنن كما تقدم في الجزء الماضي

(إثبات الولاية بالرؤى والاحلام)

(س ١٩) أمين أفندي عبدالكريم بالزقازيق : ما هو رأي المنار فيما رواه مكاتب إحدى جرائد العاصمة (اللواء) بمركز ميت غمر تحت عنوان (ميت يتكلم) وخلاصة روايته تنحصر في انه رأى في منامه كأن شخصا يخبره بأنه مدفون في جزيرة بقريةهم ويسأله تكليف العمدة بنقله لقبر آخر فقض الرجل على العمدة رؤياه وهذا قال له من أين لنا معرفة محله وفي الليلة التالية رأى من أتاه أولا في نومه يقول له أخبر عمدة تكلم ان اسمي (عمر بن وهب) وسأجعل لكم علامة على قبري فانقلوني فكان بعد ذلك أنه وجدوا علامتين عرفوا بهما محل القبر ففتحوه ووجدوا فيه ميتا نظيف انشاب أسود اللحية فقلوه الى قبر في غير الجزيرة الى آخر ما في رسالة المكاتب هذا ملخص تلك الرواية المدهشة التي نطلب من المنار الزاهر انه يفيض القول

عليها من جهة مطابقتها للعلم سواء كان شرعيا أو وضعيا مع مراعاة الجواب على تصور وضع العلامتين وعدم طرؤ التحليل على هيكل ذلك الجسم ووجه الاتصال بين الروح والجسد وسماع صوت من جانب الميت على ما ورد في رسالة أخرى بتلك الجريدة جاءت تصديقا للرواية الأولى وذلك أن ناقلي الميت عند مارأوا جثته ذعروا وولوا مدبرين فسمعوا (اقبلوا اقبلوا فإن الجنة هي المأوى) ومن هو عمرو بن وهب في سير السابقين أن صح في رأي حضرتم ان المسألة خوارق العادات وتطبق على الدين الخفيف من جهة إمكان وقوعها ولكم الفضل:

(ج) أصابت الشمس جرة ماء فسخن جانبها الذي أصابته فجاء الفيلسوف فحول الجرة وجعل الجانب السخن الى جهة الارض والجانب البارد الى الشمس ثم نادى تلامذته وسألهم يتحننهم عن العلة في كون الجانب المقابل للشمس باردا والجانب الملاقي للارض الباردة سخنا؟ فطفقوا ينتحلون العلل وهو يرددها ويين فسادها حتى اعترفوا بالعجز وسألوه بيان العلة الصحيحة فقال لهم ان الواجب ان تثبت في معرفة الشيء أولا ثم يبحث عن سببه وعلة وما سألتكم عنه غير حقيقي وانما قلبت الجرة لاختبر فطنكم وهكذا نقول: أثبت لنا ان الامر وقع حقيقة بلا حيلة وسل بعد ذلك هل يصح ان نعتقد بأن الميت الذي رأوه أولا في المنام ثم كلمهم في اليقظة هو من الأولياء وما هو تاريخه. امثال هذه الحكايات تكثر في الامم الجاهلة المستعبدة للخرافات ولقد روي أمثالها عن أهل أوربا في القرون المظلمة حتى كان في بعض بلاد فرنسا موضع يسمونه (الشهداء) كانت الأموات تظهر فيه جهارا لاسما في الليل ولما عقل الناس لم تعد تظهر !! . فن الناس من يكذب في هذه الحكايات المنقولة ومنهم من يظهر غريبة من هذه الفرائب بالمواطاة مع أشخاص آخرين لمنفعة ما، ومنهم من تعرض لهشبات في ذلك نعرف كثيرا منها وليس هذا موضع شرحها ولكننا سنذكر بعض الشواهد

أما حكم الرؤى والاحلام في الشرع فهو أنه لا يبنى عليها حكم ولا يثبت به شيء من الاشياء حتى صرح العلماء بأن من يرى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الرؤيا ويتلقى منه أمرا أو نهيا لا يجوز له في اليقظة ان يعتمد على ذلك لعدم الثقة بضبطه لما يرى وإتفاء اختلاط الأمر عليه فيه ولأن الله تعالى لم يتوف نبيه اليه الا بعد أن أم الدين

على يديه ولم يتبق حاجة الى بيان آخر فيه «الا أن يؤتي الله عبدا فهما في القرآن» كما ورد ولكن عوام المسلمين وجهالهم كجهال سائر الملل يرون ان الروى والاحلام، من أركان العلم والعرفان، لاسيما اذا كان موضوعها الخرافات والأوهام،

وأما القول ببقاء أجساد الاولياء بعد الموت فهو من القول بغير دليل مع تكذيب الحس لذلك ومخالفة لسنة الله تعالى في تحايل الاجساد «وان تجد لسنة الله تبديلا» وورد في الانبياء حديث عند أحمد وغيره ولا يفيد القطع فيعارض الحس والنص لانه من الآحاد وورد ما يخالفه في يوسف عليه السلام فقد اخرج الطبراني والحاكم من حديث أبي موسى والخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث علي ان موسى عليه السلام استخرج عظام يوسف من قبره بأمر من الله قبل خروجه من مصر وصيغة الأمر هكذا «انك عند قبر يوسف فاحمل عظامه معك» وفيه أنهم : اخرجوا عظام يوسف : والناس يزورون قبر يوسف في جامع الخليل بفلسطين مع العلم بأنه دفن في مصر اعتمادا على هذا الحديث وان موسى احضر عظامه ودفنها هناك . فاذا بحثوا في سند الحديث أو قالوا لا يعتمد عليه لانه من الآحاد نقول نعم ولكنه موافق لسنة الله والحديث الآخر على كونه من الآحاد معارض لسنة الله في الخلق التي قال في كتابه واثبت النظر في خليفته انها لا تتبدل ولا تحول فان لم نأخذ به فلتترك كل ما يقال في ذلك ونهدم ذلك القبر حتى لانكون مزورين . وكذلك كلام الموتي مخالف لسنة الكون الثابتة بالعقل والنقل قطعاً فلا نقول به الا بدليل قطعي كأن نشاهد بأعيننا ميتا قد ثبت موته قطعاً ثم تكلم ونحن نسمع منه من غير مظنة شعوزة ولا تليس . اما طرق التليس في هذا المقام فكثيرة نذكر حادتين منها على سبيل النموذج

في طرابلس الشام قبر ولي يسمى (سيدي عبد الواحد) في حجرة عند باب مسجد منسوب اليه وقد كانت الحكومة أسكنت في هذا المسجد طائفة من مهاجري الشركس بعد الحرب الروسية العثمانية الاخيرة وقد حدث ذات ليلة ان فرأ أولئك المهاجرون من الجامع بنسائهم وأولادهم ومتاعهم زاعمين انهم رأوا السيد عبسدهم الواحد الولي خرج من قبره بهيئة نورانية وصعد المنبر ووجهه يتلألأ نورا وطردهم من هناك . اعترف بهذه الكرامة كبيرهم وصغيرهم وذكرهم وأتاهم وكانت شهادة

حالم أقوى دلالة على صدقهم من لسان مقالهم اذ لولا ذلك لما خرجوا من ذلك المأوى
الكثير المرافق المتدفق الأمواه بتلك الهيئة المنكرة
حقاً أنهم قد رأوا رجلاً خرج من القبر يتألق وجهه نوراً محسوساً وصعد المنبر
وأشار بطردهم من المسجد . ولكن من هو ذلك الرجل؟ هل هو السيد عبد الواحد
المدفون هناك من عدة قرون كما يقولون؟ كلا انه الشيخ أحمد المغربي امام المسجد
وخطيبه وابن ناظره ضاق بوساختهم ذرعاً ولم يجد حيلة لطردهم من المسجد الا هذه
الطريقة لان العوام عبيد الخرافات والالوهام وقد استحضروا مادة فسفورية واحتبأ
بحيلة لم يدركوها تحت تابوت الحشب الموضوع على القبر من أول الليل وكان أخبر بعض
أصحابه بما دبره من الكيد. فلما جن الليل وأخذ القوم مضاجعهم مسح وجهه بالمادة
التيرة ثم احدث في مرقده اضطراباً وصوتاً نبههم فهبوا وأسرعوا الى جهة الحجرة فرأوا
التابوت قد ارتفع وخرج من الارض رجل يزهر وجهه بالنور فولوا مذعورين
وفتح هو الباب الذي كان يظنونه مقفلاً ولكن مفتاحه كان معه وابتدر المنبر وأشار
اليهم بوجوب الخروج من المسجد فلبوا خاضعين خاشعين . وقد سمعت هذا الحديث
منه كما سمعه كثيرون

وحدثني الياس أفندي الحداد الطرابلسي المقيم في القطر المصري انه مر في عهد
الحدائثة بمقبرة ليلاً فرأى رجلاً خرج من أحد القبور ومشى أمامه على بعد ورأى
معه نوراً فلم يشك في أنه أحد القديسين أو الشهداء لان اعتقاد عوام النصارى في
ذلك كاعتقاد عوام المسلمين أخذ هؤلاء عن أولئك ما أخذوه عن قباهم بالتقليد لما
يسمعون من العجائز والبله . فلكه الرعب ولم يكن له مندوحة عن السير حتى اذا قرب
من العمران الذي يقصده نبح كلب على هذا الرجل النوارى الذي كان يمشي بالنور
امام الياس أفندي فأجابه هذا بالتباح فاذا هو كلب واذا بالموضع الذي خرج منه قبر
منبوش وانما مثله الخيال رجلاً لان الرائي لم يكن يعرف ان الكلاب ونحوها تبرق أعينها
في الليل وكانت الخرافات متمكنة من خياله فلما رأى شيئاً غير معهود اذ خرج من
بطن الارض بنور معه لم يشك في انه مثال لتلك الحكايات التي كان سمعها من
بعض الجاهلين، وغلب خياله على حسه فكان من الواهمين.

أمثال هذين الشاهدين يحارفيهما العقل الصغير قبل ان يسمع تأويلهما وبيان الحقيقة فيهما ولكن ذلك لا يمنعه ان يصدق ما يشابههما من الحكايات مما لا يظهر له تأويله الا اذا نصب ينبوع الخرافات من خياله وزال سلطان الوهم من قلبه. وهكذا يقيس الجاهل ما لا يعرف سببه على ما لم يعرف سببه كما يرد العاقل ما لا يعرف الى ما يعرف . وقد حدث مثل هذا الحلم لرجل من أغنياء مديرية الحيزة رأى في نومه وليا أخبره انه مدفون في مكان كذا وأخبره بنسبه فاشتري قطعة من الارض بثمان غال وبني له فيها قبرا مشرفا وقبة عظيمة فحضر بذلك من دينه وعقله اضعاف ما خسر من ماله ومن المصائب أن الجرائد التي من وظيفتها محاربة الاوهام هي في مصر تزيد الناس غشا فقد سمعنا ان جريدة (اللواء) لما نشرت خرافة السؤال أقرتها . فذل هذه الجرائد كتل رؤساء الاديان المضلين الذين يوافقون العامة على أهواءها لاجل الارتفاع بما عندها من الحطام ، ولتمكين الجاه في نفوسها فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم



القسم العمومي

نظام الحب والبغض — تابع ويتبع

المدنية ، وماهية ؟

للمدنية تعريفان أحدهما يبين حقيقتها ، والآخر يصف من مزاياها وخواصها .
وآثارها وغمراتها ، وللقارئ هنا حظه من التعريفين :

كلمة المدنية من الكلمات المحدثه عند المتمدنين والمقصود منها التعاون في العلوم والاعمال لاكتساب المطالب التي تقتضيها حياة الانسان النوعية ، هذا هو القول الشارح لحقيقتها .

المطالب الآم في آمال ، وهي طبيعية للحياة النوعية من جملة سنة الله في الانسان . والمدنية طب هذه الآلام وقودهم من يزعمون ان المدنية هي مجلبة تلك الآلام ، بل الآلام طبيعية من اقتضاء الآمال التي لا تقف عند حد . وهي من اقتضاء الفطرة . وما المدنية الا علاج تلك الآلام وتسكين ما هنالك من الانزعاجات التي يثيرها الطلب الخبيث لما فوق الحاجات . فلا تقلدوا الواهمين ولا يلفتكم شعر أولئك الذين يهجون

الحياة النوعية (التي يمتاز بها الانسان) ويمدحون الحياة الجنسية (التي للبهائم وغيرها) فان الله ورسله والحكماء برآء من الذين يحبون ان لا تظهر فطرة الانسان بأبهى مظاهرها . المدنية هي التعاون في العلوم والأعمال . والإنسان مدني بالطبع ولكن مدنية كل انسان على مبلغه من العلم والعزم . ومدنية كل أمة على مبلغ افرادها التواضع من النصب في سبيل أمتهم . وكم من امرئ يعيش بين المتمدنين لاحظ له من الشعوب بالمدنية وأسبابها التقليد القوم بما آتاهم وما خذهم وشعاراتهم في كل شيء . بل هذا حظ الجمهور الآن في كل المشرق . وكم من امرئ يعيش بين المتوحشين فلا يلبث الا قليلا حتى ينهض بهم في المدنية الى الدرجات العلى .

علم أسباب المدنية يقال له « طب الاجتماع » والعالم العامل بهذا العلم يقال له « سياسي » وللسياسيين تأثير في العالم كل بقدر . وهم الذين يغيرون بأذن الله أطوار الامم من هبوط الى رفعة ، ومن رفعة الى هبوط . ولذلك كان مدار التاريخ في الغالب على أخبار السياسيين ، فالذين أخذوا لله في مصنوعاته وأحسنوا عملا رفعا أمهم وأتمام مع أمهم الى منازل السعادة ، وأوردوهم مناهل السيادة ، أولئك تزدان بهم سور الحمد في كل سفر من أسفار الامم ، وكل عصر من أعصارهم ، وكل مصر من أمصارهم ، يمجدهم الجمهور : الأعداء كالأولياء ، والوضعا كالأعداء ، والذين حادوا الله وحادوا في مصنوعاته عن حدود الاخلاص والاصلاح هووا بأنهم وامم مع أمهم الى مهاوي البوار ، وثروا معهم في مشاوي النار ، لا تحفف عنهم الأحمال ، ولا توزن لهم الاعمال ، ولا يبلغون في شيء الآمال ، ومن أخسر عملا ممن كفر بالنعم فاضاعها وأحاطت به خطيئته ؟

المدنية جمال معقول مع جمال محسوس : عدل واحسان ، ادب وعرفان ، صنائع وبدائع ، اموال وبضائع ، افهام واوهام ، آمال واعمال ، جمال وتجميل ، مجد وتمجد ، هبة وتميز ،

المدنية مواهب الأتسان ، تتجلى للعيان ، يشكرها اولو الألباب السليمة . وينكرها اولو الأذهان السقيمة ،

المدنية رابطة يحشر السياسيون تحت لواها اقواما كثيرين مختلفين بالانساب ، مختلفين بالاديان ، فهي الرابطة التي يتجلى نفوذها وتأثيرها في حفظ نظام الاجتماع .

والرابطتين المارتين - رابطة القومية ورابطة الدين - فضل في تعظيم شأنها، وتكبير سلطانها، وفضل آخر في تهديدها إذا طغت في الميزان، واسرفت بالاثم والعدوان، وهي الرابطة التي بواسطتها قامت هذه البنية الحاضرة للاجتماع البشري العظيم. فاذكروا أيها البشر اذ كنتم في الأوجار، تأكلون الاعشاب وتخصفون من ورق الاشجار، واذ فرق بينكم شيطان الشهوات، وأوقعكم في البغضاء والعداوات، واذ أنتم اليوم في المدن الزاهرة، والمظاهر الباهرة، ترجون ما فوق الزرقاء، ويرهبكم ما تحت القبراء، قدألت بينكم قرابة الآمال والمعاملات، أكثر مما ألفت قرابة الابدان واللغات، برحم الكبير الصغير، والصحيح المريض، وابن البلد ابن السبيل، والآسر للأسير، واذكروا ما أنتم فيه من الوابور، والبالون، والشمندفر، والتليفون، والتلغراف، والفونوغراف، والفوطغراف، والليطوغراف، والتلسكوب، والمكروسكوب، وما هنالك مما لم نحصى لتعلموا ما فعلت اليكم المدنية من خير ومارفعت لكم من قدر على الأنعام. في أقصى المشرق تأخذون نبأ عن أقصى المغرب في لحظة من الزمن لا تتجاوز ان يعطى الواحد غداءه.

من المسافات البعيدة يسمع أحدكم صوت صاحبه كأنه في حضرته.
الي حين من الدهر يُحفظ صوت أحدكم ثم يؤديه المستحفظ كما استودعه.
في الدقيقة الواحدة ينسخ لكم ألوف من الصحف السيارة التي تنقل اليكم أنباء المسكونة وسكانها.

في البر تقطعون مسافة الايام الكثيرة بساعات قليلة على متن ذلول من الحديد لا يكل، يطوي بكم اليد طياً.

في البحر على متن الوابور أنى شئتم تسيرون.

في الجو في بطن البالون حيث رتم تطيرون

الارض ألفت اليكم من افلاذها ما لم تكونوا تعلمون، السماء عرقت من أسرار كونها كثيراً مما كنتم تجهلون.

العمي في عهدكم يقرأون، والصم اليكم يكتبون.

ومن العجاوات عوارف لما تقولون، فواعل لما تأمرون، توارك لما تنهون وتزجرون،

هذه آثار المدنية وهذه ثمراتها . ولكن هل بلغ الانسان فيها الكمال ؟ كلا فان كثيرين من البشر لم تدخل المدنية في عهدنا هذا ديارهم . وفي ديار المدنية يوجد كثيرون غير متمدين حق التمدن . والمتمدنون أنفسهم لا يزالون سائرين في طرق التكامل . فلا المدنية عمت كل الارض ؛ ولا المتمدنون بلغوا الكمال .

وقد عمر الارض من قبلنا كثير من الأمم كان لهم نصيب من المدنية ثم ابادهم ومدنياتهم افساد السياسيين واقام غيرهم مقامهم اصلاح السياسيين . ولم توجد امة خلقتها الخالق متمدنة وانما هو التدرج تراه في كل شيء . سنة الخالق في خلقه . فاذا رأيتم اليوم في احدى الجزائر قوما متوحشين (التوحش يقابل التمدن) وقد غيبي عليكم تاريخهم فلکم ان تظنوا ان التمدن لم يدخل جزيرتهم قط لأن التوحش سابق دائما . ولكم ان تظنوا انهم كانوا قديما يوما من الايام . ثم ابادهم وتمدنتهم فسقهم عن التاموس والنظام . كذلك عاقبة الظالمين .

يوجد الآن في الارض اقوام كثيرة متوحشة لا يزالون على ما هو قريب من الاطوار الاولى للبشرية اذا شئتم ان تجدوا فرقا بينهم وبين الحيوانات العليا يصعب عليكم ان تجدوا ذلك الفرق وذلك اعظم سيئات التوحش .

يوجد اولئك المتوحشون هذا التوحش في كثير من مجاهل أفريقيا التي لم تدخلها جيوش الفاتحة الاسلامية . ويوجدون في كثير من فدافد أمريكا التي لم تختلط بعد بالمكتشفة الاوربية ، ويوجدون في مجاهل أستراليا (الجزائر الأوقيانوسية) وفي جوار القطبين توجد هذه الضالة التي ينشدها محبو السذاجة .

اما الامم الآسيوية الحاضرة - وفي حكمهم أمم أفريقيا الشمالية - فأكثرهم وارتون لاسلاف متمدين . ولكنهم أضاعوا ذلك التراث ولم يرعوه حق رعايته فلولا التمدن المستعار الذي وجد بواسطة الاوربيين لصح لنا ان نقول : ان آسيا لا تفضل أفريقياني التمدن الا ببقية من تراث الاولين معرضة للزوال

فنأخذته الحماية الآسيوية وكان حريصاً على ان يدعي للآسيويين مقاماً بين المتمدينين يجب عليه ان يرد العواري ثم لينظر هل يجدهم الاالعوار ؟

ان يكن في آسيا تمدن غير مستعار فانه ناقص جداً : الاديان من التمدن وقد ضعفنا

بها علماً وعملاً، الحكومات من التمدن وقد خسرنا بها حساً ومعنى، الزراعات من التمدن ونحن لا نتقنها، الصناعات من التمدن ولا خبرة لنا بأنواعها الكثيرة، التجارات من التمدن وأتانا فيها متأخرون، الزينة من التمدن وأتانا فيها مرضى الأذواق، العلوم من التمدن وهي عندنا كاسدة، الآداب من التمدن وهي لدينا فاسدة، القوانين من التمدن ونحن فيها جامدون، الأعمال العظيمة من التمدن ونحن فيها خامدون، الاختراعات من التمدن ولكننا فيها موتى، الاكتشافات من التمدن ولكن لا نسمعون لنا فيها صوتاً،

فاعلموني يارفاقي الآسيويين ما هو تمدننا المحلي الذي تقصه ليس بفاحش وأنتم بعد ذلك غير محاسنين على النقص القليل.

ثم هلموا تنظروا نظرة في مدينة أوربا وما أوربا ؟ - أوربا الزاهرة، دات المدن الباهرة، والصناع الفاخرة الماهرة، مقر العلوم العالية، والأعمال الفائقة، مهبط السياسة السامية، وملتقى الساسة النامية،

هنالك الاختراعات النافعة، والاكتشافات الهادية، على أيديهم ظهرت الأرواح الباطنة، فأصبحت أسرارها سارية، في الأجسام الجامدة والجارية، منهم ظهرت الآلات المنبثة، وبهم تأتاكم أبناء الأمم النائية، في اللحظة الواحدة، صحفهم ناشرة، للأنباء الجائبة، والأفكار الدائبة، أولئك هم السابقون في المدينة الرافعة.

هذه أوربا وهذا مجدها وأنا أريكموها من تلك الجهة الثانية جهة التواضع التي فيها : الاستبداد الذي حاربوه وأهرقوا في سبيل محوه كثيراً من دماهم لا يزال له أثر كامن في صدور العلية منهم ومقلديهم من الدهماء. ومن آثاره أنواع التعصبات الباقية. الجهل الذي حاربوه بأنفسهم وأموالهم لا يزال بين كثير من طبقاتهم ومن آثاره شيوع الفحشاء والردائل المتنوعة.

الفقر الذي يدأبون وراء إبعاده عن ديارهم لا يزال آخذاً بتلايب أكثر الأفراد وليس أولو التروات العظيمة الانقراض قليلين في بعض المدن الكبيرة.

ثم إذا صرفنا النظر عن مراقبي الحياة النوعية فبم يمتاز الأوروبيون ؟ هل طالت أعصارهم ؟ هل صرفت عنهم الأسواء من أسقام وآلام ؟ هل خفت عنهم أعباء الحياة

التي تقتضي الكد والكبح ؟ هل تقدسوا عن البغضاء فيما بينهم ؟ هل ترفعوا عن
مفساف الأمور ؟ هل استغنوا عن المشرق البسة ؟ هل بلغوا بعلمهم ان يخرجوا
نواميس الوجود ؟ هل بلغوا بها ان يكون عيش أحدهم كله كما يتمنى ؟ هل بلغوا بها
ان يرتقوا لعيشة روحية محضة لانصب فيها ولا لغوب ؟ هل بلغوا بها ان يستغنوا عن
الحروب التي هي البقي بالمعجماوات منها بني الانسان ؟ هل بلغوا بها ان يستخدموا
بين الارواح المدركة كهربائية للإنشاء والاستنباء ؟

إذا شئت ان أعد كل ماهو من النواقص يطول بي العدد والسرد . وفي الذي
ذكرت اشارات كافية للمتبصر تنبيهه الى أمثلة نقصان المدينة الاوربية التي لا يوجد اليوم
للشعر مثلها عند غيرهم من المشاركة والمقاربة الآخرين .

نعم هم لم يبلغوا الكمال ولكنهم ساعون لا يألون جهداً بالاكتشاف والاختراع
والبحث والتفكير . ونحن مع نقصنا الفاحش غير ساعين فهل يليق ذلك بنا ونحن أبناء
الذين ابتدأوا التمدن ؟ أليست هذه آسيا كم التي ربت في حضنها أشهر مشاهير الرجال ؟
كلا ان ذلك لا يجدر ولا يحسن بأبناء تلك الام التي أحسنت تربية كل المؤسسين
الاولين . بل علينا اليوم ان نتفقه في «رابطة المدينة» كما تفقه اسلافنا من قبل وكما
يتفقه جبرائنا ومعاملونا الاوربيون الذين نعدهم أجنب ومبغضين ولا نثقنا الجمود
ومعاداة كل أشياء الاجني باسم الوطن فان الوطن للبشر واحد هو دار الأعمال
والتكاليف التي تطلب من الكل ، وتوزع على الكل ، ويتبادلها الكل ، وليس حب
الوطن هو الكثر على عادات الاسلاف أو الحرص على الالبث في مساقط الروس كما
يفسره جمهور العوام ، ولا الاقدام على مجاهدة الذين يريدون ان تكون لهم سلطة
فيه وان كانت أنفع من السلطة الاولى كما يفسره جمهور السياسيين ومقلديهم ، فان كلا
المعنيين بعيدان عن الحقيقة التي يحجبها الحكما أولوا الفضيلة واخوانهم المخلصون من
السياسيين . وكل ينشئ السياسيون أشعار حماسة تفعل في عقول الجمهور وفعل الامراض
العصبية وقد تحقق للعلماء استعداد العامة الذين لم يأخذوا حظاً وافراً من العلم لتلك
الامراض وما هو على شاكلتها من الانفعالات للتوهيمات الشعرية والخطائية .

وسوف يرون - حين نفيض في حب الوطن - ان الوطن هو سبيل الله ، وسبيل

الله هو الوطن، وتعالى الله عن أن يكون محدوداً يؤدي إليه سبيل، أو محسوساً يدنونه قيل دون قيل، فسيده الذي يؤدي إلى القرب من منحه القدسية التي يتسامى ويتكامل بها الإنسان هو استعمال الفكر مبالغ الاستطاعة في تفهم أسرار الفاضلات والمصنوعات الربانية، وإفراغ خواصها وفوائدها في قوالب المصنوعات الانسانية، ليكون كل فرد عابد للصانع الحكيم بمعرفة شيء من أسرار حكمته، وشاكرها على مواهب نعمته، باستعمال القوى التي في فطرته فيما خلقت لأجله، من عمل الصالحات لنفسه واخوته بني نوعه، والله غني حميد.

وهناكم سنين كيف اشتبه على الاقوام شكل الحقيقة في الوطن وكيف وهو - تقليد السياسيين - في حب شيء ليس بجدير أن يحب كمساعدة حكومات جائرة مفسدة على حكومات عادلة مصلحة باسم الوطن الموهوم.

هذا ولا نفعلنا أيضاً تقليد كل أشياء الاجانب باسم التمدن فانه لاعصمة لامة من الخطأ ولا يستحق أحد أن يقلد تقليداً محضاً بل علينا أن نستعمل التفكير، ونستهدي بالتجارب، ونساعد في تأييد أنفع الروابط، واسقاط أضر الروابط لا تكمل البشري يومئذ تنقسم الارض الطبيعية غير هذا الانقسام الصناعي ويصافح المشرق المغربي، والشمالي الجنوبي، على انهم اخوان متعاونون في العلوم، متفاسمون للأعمال، في دار واحدة فسيحة، يحكم بينهم منتخبون منهم متعددون بنسبة التقسيم، ومتحدون بنسبة التنظيم، لا يحارب بعضهم بعضاً باسم القوميات ولا باسم الاديان، ولا باسم الديار والاقاليم، وانما تحارب قوتهم العامة من فسق منهم عن أمر العهد العام، والنظام الشامل.

هذه نسخة من صورة الكمال للتمدن فانظروا ما جعلها وتفكروافيهما ان كنتم تحبون الجمال والكمال. واما الصور الحاضرة فلا والله لا ألقى في واحدة منهن جمالا، ولا أنصوفهن كلهن كمالا، ولا نطمئن من قلوب صحيحة، ولا تميل اليهن أفكار سليمة،

واذا كان ميزان هذا الامر يرد السياسيين، فلا يحسن بالناس تركهم ان يفعلوا ما يشتهون بل ليكن شرع وقانون، ليكن رقباء عارفون، ليكن نواب محاسبون، ليكن إخوان عام وتعاون عام، وعهد عام، ونظام عام، ووطن عام، وسلم عام، في ظل قوة عامة. واثقوا ثقة لاتقصين الذين ظلموا منكم خاصة، واعلموا ان الانسان بتلك النعمة جدير، والله على كل شيء قدير.

باب أخبار بلاد العرب

أخبار بلاد العرب

عقد النصر لواءه في نجد آل سعود امرائها الاولين وغلب ابن الرشيد اميرها لحالي على أمره حتى خرج معظم البلاد والقبائل من يده وأكثر الأهالي في جند وفرح لما قاسوا من ظلم ابن الرشيد وما يهدون من عدل آل سعود واستقامتهم . وإذا تمت هؤلاء النعمة ، ودالت لهم الدولة ، فانهم يكونون للدولة العلية خيرا مما كان ابن الرشيد في الولاء اذا هي شئت ذلك ولم تساعد عليهم عدوهم الآن ، ولم ترهقهم من أمرهم عسرا فيما بعد ، فان هؤلاء لا يرضون بالظلم ولا يجارون عليه . وقد شاع ان الدولة العلية أمدت ابن الرشيد بالمال والرجال وما نخل الخبر صحيحا وإن صح ليكون شراً على الدولة اذ يخشى ان يستجد آل سعود اذا غلبهم جند الدولة بانكثرا التي تخطب ودهم قتمذهم بالجنود الهندية ويكون الخطب كبيرا . وقد قيل ان الامير عبد الرحمن فيصل أنذر بذلك والي البصرة ليعرضه على السلطان ففعل ووعد السلطان بأنه لا يحارب آل سعود بالجنود العثمانية والله أعلم بالمصير

سبق لنا نشر رسالة من عدن في (ص ٧٥٨) من المجلد السادس وردت في رده مضان الماضي فيها ان انكثرا تحاول الاستيلاء على جهات جبل يافع المشهور وانها أرسلت شردمة من جندها بالضالع الى جبل شيب ولم تلبث ان عادت ادراجها لشعورها بالخطر من العرب . وان المناوشات بين الانكليز والعرب على الحدود مستمرة الخ . وقد كتب الينا أخيراً من عدن كتاب مؤرخ في ١٢ صفر الماضي يقول فيه مرسله : قد رجع أمير المكلا عن محاربة حجر بدون نتيجة ووصل كثير من عساكره الى عدن قافلين الى جبل يافع ومن أجل ما خسر في تجهيز هذه الحملة والتي قبلها قد ابتدع ضرائب وضاعف المكوس وستؤثر هذه السياسة الحرقاء بزيادة الهلاك وربما عجبت تداخل الانكليز في تلك النواحي . وقد أرجع الانكليز كثيرا من عسكرهم الى الضالع لاتمامهم التوحيد مع الترك حسب زعمهم أو لترقب فرصة أحسن لهم حسب

عادتهم ولهم غناية باستماله صاحب نصاب والعوالق ، يتحدثون بمدسكة حديد من عدن
تخزق جزيرة العرب الى الكويت : ثم قال : وقد وصل الى عدن بعض الجند
الانكليزي من السومال اذ انجلي الانكليز عنها لتعسر هضمها الآن وسيخلون بين
الملا القاتم وأرضه لعله يبظر ويظلم سكرنا بنشوة السلاطة والسيادة كما فعل خليفة متمهدي
السودان ثم يكررون عليه اذا أبغضه قومه واختلفت القلوب . والله المسؤول ان يوفق
المسامين لانتهاز الفرص والعمل السديد : ثم قال ان في عدن كثير من دعاة النصرانية
اضجروا الأهالي وملاؤا آذانهم بالسب والشتم والحكومة معضدة لهم : ونقول ان
هذان سوء السياسة والجهل بالامم فان العرب لا ينتصرون ، ودعاتهم للنصرانية لا ينتصرون ؛

الجمعية الخيرية الإسلامية

صدر تقرير هذه الجمعية عن أعمالها وحسابها في سنة ١٣٢١ . ومشروع أعمالها
وميزانياتها ومحضر جلساتها العمومية في سنة ١٣٢٢ وقد جاء فيه ان ايراد الجمعية من
الاشتراكات والمساعدات السنوية قد بلغ ١١٦٢ جنيا وأربعين قرشا ومن ربيع
الاطيان (وهي ٢٨٠ فدانا وكسور) ١٢٢٣ جنيا وتسعة وخمسون قرشا ونصف
ومن الاحتفال السنوي ١٦٣٤ جنيا وثلاثة وسبعون قرشا وهناك ايرادات متفرقة
هي نحو ماتقدم . والعبرة فيما ذكرنا أن الاصل في الجمعيات الخيرية هي الاشتراكات
والمساعدات السنوية . ومن العار العظيم على أغنياء مصر ووجهائها من المسامين وهم
الاكثر عددا ومددا ان يكون اشتراك الجمعية الخيرية الوحيدة لهم بهذه الدرجة
من القلة . وأن تكون ليلة من ليالي اللهو خيرا فقرائهم ولجمعيتهم من كرم جميع كرمائهم
فيما يتفضلون به مدقة سنة عن روية واخلاص لالعب فيه ولا هو . وان كان معظم ايراد ليلة
الاحتفال منهم أيضا . وللقارئ ان يجعل الجمعية الخيرية ميزانا لترقي مسلمي مصر في الحياة
الاجتماعية ، ومن البلية أنه يرى كثيرين من المشتركين وهم خيار القوم لا يخرج الحق
منهم الانكسار ويرى مجلس ادارة الجمعية يمجو في كل سنة أسماء كثير من المشتركين
الاغنياء لمطلهم وليهم وتعذيب المحصل بالتردد عليهم المرة بعد المرة عدة سنين (فيا
للخجل وبالعار) . على اننا لا نتكران في مصر نسمة خفيفة من الحياة ولكن ما تعب
الذين يحاولون نفخها في سائر الاجسام المنفوخة من قبل بحب الفخفة الباطلة ، واللذة

القائلة ، ولعل التعب يفيد ، ولو بعد أجل بعيد ،

وجاء في قسم النفقات ان ما أنفق في السنة الماضية على التعليم بلغ ٢٠٥٩ جنيها وكسور وعلى إعانة الفقراء نحو ٣٧٣ جنيها . ولو بذل كل مصري قرشا واحدا لهذه الجمعية كل سنة وتحمل الأغنياء ما يفرض من ذلك على الفقراء - على انه لا يصعب على أحد بذل قرش في السنة - لسهل على الجمعية ان تعمم مدارسها حتى لا يخلو منها مركز من المراكز ولكن أين الشهور الذي يدفع الناس لجمع المال والتعاون على البر والتقوى اما المخصص للتعليم في الميزانية الجديدة فهو ٣٦٠٠ جنيه مصري واما المخصص لإعانة الفقراء فيها فهو نحو ٦٥٥ جنيها

❦ مدرسة الجمعية في المحلة الكبرى ❦

أشرنا الى هذه المدرسة في الجزء الماضي وقد جاء في آخر التقرير عنها ما نصه :
بعد تحرير هذه الميزانية ورد مبلغ ١٣٣٣ جنيها و ٨١٠ ليليات من أعيان مدينة ومركز المحلة الكبرى جمعوه بالاكتاب الذي عمل فيما بينهم على ذمة (كذا) انشاء مدرسة بالمحلة الكبرى بمعرفة الجمعية مثل مدارسها وقدمت الجمعية طلبهم وستبشر فتح المدرسة من أول السنة المكتتبية المقبلة وعليه يجب اضافة المبالغ المذكور على إيرادات التعليم على ذمة مدرسة المحلة الكبرى :

وتزيد على ذلك ان وجوه المحلة قد دعوا رئيس الجمعية للاحتفال بتأسيس المدرسة فأجاب الدعوة هو وحسن باشا عاصم وكيل الجمعية ومدير مدارسها وحسن باشا عبد الرازق أحد أعضائها فقبولوا بالحفاوة اللائقة وحضر الاحتفال الالوف من الناس وكان ذلك الخميس من المحرم سنة ١٣٢٢ وتليت الخطب وانشدت القصائد في مدح العلم والاستاذ الامام ناصره وناصره . وقد أعجب الفضلاء من خطبة الشيخ محمد بسطويسى بركات التاجر بالمحلة قوله : أيها الاستاذ الامام قد جادلنا فأحسننا جدا لنا حتى أجبتنا دعوتك للعلم والدين ، وجاهدتنا في الله حتى محوت آية الجهل بالدليل وجملت فينا آية العلم مبصرة باليقين ، وهانحن (أولاء) الواقفون بباب علومك نرى ان قيامك بأمر الدين في وقت امتزجت العادات فيه بالعبادات كبر الال على العارفين - كبر على من أشربوا حب التقليد وتعظيم من في القبور - كبر على من ورثوا حب

الشرك الظاهر عن آباءهم ، وان حجوا أو طولبوا بالدليل قالوا : انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ، الخ
واتا تني أطيب الشاء علي وجهاء المحلة الكبرى ونخص بالذكر محمداً قندي البهلوان من أعيان الدواخلة اذ تبرع بيت من بيوته مدة خمس سنين لتشأ فيه المدرسة - الى ما أنفق على اصلاحه زيادة على ما تبرع به مع المتبرعين ، و نرجو ان يسري روح حب العلم في سائر المراكز فتتباري ساحة الاغنياء وأهل الغيرة في انشاء المدارس وان يعتمدوا في ذلك على الجمعية الخيرية الاسلامية التي تسلك بهم الطريقة المثلثية بمعارف رئيسها الامام ، وأعضائها الاعلام ،

مراكش

ذكرنا في آخر صحيفة من الجزء الثالث نبذة عن الوفاق الفرنسي الانكليزي وانه قضي فيه على مصر بسوء سياسة لامراء والحاكمين الذين استبدوا في الامة وأذلوها حتى فقدت الاستقلال الشخصي والقومي وهو قوة الامم والدول وعدتها ثم سلطوا عليها أوروبا وأعطوها من الامتيازات ما شاركهم فيه بالحكم حتى صار لكل مصري في بلاده ألوف من المستعبدين

واما مراكش فالذي قضى عليها هو الجهل الفاضح في حكمها ومحكومها فقد اختاروا ان يبقوا على البداوة والهمجية امام أوروبا التي تسير في المدنية والقوة مع البرق - ولا أقول مع البرق على سبيل التشبيه كما كان يقول الاولون ، بل أقوله على سبيل الحقيقة كما يعرف المتأخرون ، فان الافرنج قد استخدموا أم البرق هي وولدها وما أمه الا الكهرباء التي تنار بها الاسواق والبيوت والمساجد والحوانيت السكينة حتى في بعض بلاد الشرق كمصر

قول ان الجهل قد قضى على مراكش ولا نعي بها ان حالها بعد دخول فرنسا في شؤونها ستكون شرا من حالها قبله ، كلا اتما صرحنا في مقالة نشرت في آخر الجزء الخامس عشر من السنة الماضية بأن كل حال تنتقل اليها البلاد فهي خير من حالها الحاضرة ولكننا نعي بذلك فقد الاستقلال الذي هو موت الدول والامم على ان مراكش لم تكن حية فموت وانما كانت مستعدة لحياة طيبة لو وجد لها حكم

عارفون بطرق ترقى الامم

لقد أئذنا حكومة مراكش بسوء المصير كما أئذرها غيرنا وأول نبذة كتبناها في ذلك مضى عليها ست سنين اذ نشرت في العدد الخامس عشر من السنة الاولى للمغار الصادر في ٩ خلون من صفر سنة ١٣١٦ وقلنا هناك ردا على جريدة قالت ان مراكش يصعب على الاوربيين الاستيلاء عليها : ان الاوربيين لا تقف امامهم المصاعب والامم الهمجية لا تقدر على مقاوة الامم المتمدة . واذا دام أهل مراكش على جهلهم بالفنون العصرية التي عليها مدار العمران اليوم تقليدا لا بآبائهم وإبقاء لما كان على ما كان فلا بد ان يغمروهم طوفان أوربا كما غمر جيرانهم ثم نهنا السلطان عبد العزيز الى ترك التقليد والاعتبار بما بين يديه وما خلفه والاتعاظ بما عن يمينه وشماله والان دفاع بهمة كلها الى الترية والتعليم وان يستعين بالسلطان العثماني على التعليم العسكري والمدني والاقتصادي وقلنا انه اذا فعل ذلك « يرجى ان يندفع ذلك الطوفان الذي يهدد بلاده وما هو الا النفوذ الاجنبي الذي غمر جيرانه »

ومن البلاء انه ترك التقليد لمن قبله بخير ما كانوا عليه وقلد الاوربيين بشرا ما يوجد عليه سفهاؤهم وسفهاء غيرهم وهو التفتن في الشهوات واللهو الباطل والزينة . وقد اجتمعنا بعد كتابتنا تلك بوجيه مراكشي يلقب بالكتور (أي انه عالم) فكلمناه في الموضوع فقال انكم لا تعرفون حال مراكش ولذلك تكتبون ماتكتبون . ان تلك البلاد امنع من جهة الأسد وعندها من القوة والمنعة ما تصادم به أوربا كلها اذ ارحفت عاينا ! فقلنا له وأين السلاح الجديد والفنون العسكرية فقال انها متوفرة وتقدر الدولة على زيادة ما تشاء فان عندها من كنوز الاموال مددا لا ينفد وهي أغنى دولة على وجه الارض ثم ان لها قوة أعلى من كل القوى وهي ما فيها من قبور الاولياء الحامين لها !!!

هذا نموذج من غرور القوم بدنياهم ودينهم وجهلهم بالامرين فهم لم يمدوا لاعداثم ما استطاعوا من قوة المدافع والبنادق والعلم والنظام كما أمر الله ولم يعتمدوا فيما وراء الاسباب على الله القوي القدير وانما يعتمدون على أصحاب القبور الذين لا يملكون لهم ولا لا نفسوم نفعا ولا ضرا . فهل يمكن ان تنزلهم فرنسا عن هذه الدركة ، وتدفعهم في حفرة أعمق من هذه الحفرة ، كلا انها ستعلمهم رغم أنوفهم ما يرقهم لا بالمدارس

تنشئها لهم ولكن بالاعمال والسيرة التي تسلكها فيهم سواء كانت قاسية أولينة . ولا ينبغي لعاقل ان يكره الزبنة والنظام ويعادي وسائل العمران وانما الانسان يحب ان يحى الخير لامته على أيدي رؤسائها فاذا كان الرؤساء هم المفسدين الذين يخربون بيوتهم بأيديهم فماذا يفعل المرؤوسون ولا جامعة لهم ولا علم ؟

ظهرت غاية قوة مراكش الحرية والمالية بمجزها عن اخاد ثورة داخلية واضطرارها بها وبثوران شهوة السلطان الى اقتراض المال من فرنسا وهذا المال سيكون ثمن تلك السلطة الجائرة الجاهلة . وقد عرج على مصر وزير حربها السابق (المنهي) قاصداً الحج فسأله أرباب الجرائد عن حال الثورة والقائم فحدثهم عن ضعف القائم وقوة الثائم (السلطان عبد العزيز) بمثل ما حدثني الدكتور اوبما يقرب منه وكذب جميع ما نقله البرق وبريداً وأوربام من خبر الخارج وقوته على الحكومة !! وقد عاد من الحج ونود أن يسأل عن الوفاق الفرنسي الانكليزي لنسمع ماذا يقول

المولد النبوي

يحتفل المسلمون في هذا الشهر بتذكار المولد النبوي الشريف ويقرأون قصة المولد في احتفالهم وماهي بقصة واحدة وانما هي قصص لم نرمها ما يخلو من الكذب والوضع الا قصة جديدة ألفها الشيخ جمال الدين القاسمي من علماء دمشق الشام سماها (شذرة من السيرة المحمدية) اقتبسها من كتب الحديث المعتمدة فتحت جميع الذين يقرأون تلك القصص على قراتها لما فيها من الفائدة ؛ وعلى ترك القصص الكاذبة ؛ ومن النسخة منها اثني عشر ملياً مع أجرة البريد وتباع بمكتبة المنار

المحكمة الشرعية بمصر

كلما علت شكوى الناس من هذه المحكمة ومن سائر المحاكم الشرعية بناتها وكلما ألحوا في طلب إصلاحها يلجّ رجالها الذين يشكى منهم في غيهم ويسرفون في أعمالهم التي هي منار الشكوى وأصل البلوى . وقد أكثر الخواص في هذه الايام من الخوض في سيرة المحكمة العليا لاسيما بعد ما علموا بما نشره المؤيد في يوم الخميس الماضي من اذن القاضي لابن رجل منع من دعوى في وقف لعدم جواز سماعها بمضي المدة الشرعية بان يخاصم في الدعوى التي منع منها أبوه في المحكمة نفسها مع انه لو صحت

دعوى أيه لكان مستحقا في الوقف وأما الوليد فليس بمستحق وليس موضوع الدعوى مصلحة عامة بل المراد اخراج الوقف عن كونه خيرا وجعله اهاليا . ويتحدثون بأن الابن قد طاب من بلد آخر وكلف برفع القضية بناء على الاذن الذي ناله بعد طلب كلف به ويقولون ان العلة في هذه السنة السيئة ونحوها من الحلال بعض أعضاء المحكمة العليا وان هذا هو الذي بعينه المؤيد بقوله انه « علة العلل » لامراض المحكمة العليا ولعلنا نذهب القول في وجوب اصلاح هذه المحاكم في جزء آخر

الحرب المضطربة في الشرق

ابتدأت الحرب في البحر فكان الفاج فيها لليابانيين وتبين ان أسطولهم أتم استعدادا وبحارتهم أوسع معرفة ودراية وقد ألزم أسطول هؤلاء أسطولي روسيا بان يستعصم كل منهما في مينائه الى أن حصرها في المدة الاخيرة بسدمدخل ميناء بور آرثر واكتفا شرخروجه في غيبة الاسطول الياباني ووقوفه لاسطول فلاديفستك بالمرصاد . ولما ظهر فوز اليابان في البحر قالوا هي دولة بحرية ولكن لا يستطيع أو تلك الاقزام الصفر ان يثبتوا امام الجنود الروسية من فرسان القوزاق ، ومشاة الافاق ، ولم يكن من بوادر الوقائع البرية الا الفوز الباهر . اقروا بالشجاعة الكاملة وحسن التدبير وطول الباع في الفنون العسكرية . وقد كانت الجرائد الانكليزية تعسف اليابانيين بذلك والجرائد الفرنسية تشكك فيه حتى اذا اثبتت العمل اتفق عليه المختلفون واعترفت أوربا وأمريكا بأن الجيش الياباني في مقدمة جيوش العالم بل صرح بعضها حتى في ألمانيا بأنه أحسن جيوش العالم . ولم يبق من منازع في ذلك الا جريدة عربية في مصر برعت في التأويل حتى ان ماتكته لا يخطر على بال أحد في روسيا نفسها . نعم ان ظفر اليابان في البر والبحر لم يصل بالروسيين الى هاوية اليأس بل يجوز ان ينتصروا بعد بالكثرة . وقد خفي عن جريدتنا المصرية أن جريدة روسيا قامت تنذر أوربا بالخطر الاصفر وتحاول اقناعها بان اليابان يوشك ان تنظم عسكرية الصين ، وتستولي بها على أوربا بل على العالمين ، وفي ذلك من تعظيم شأنها من عدوتها مالا تعظيم وراءه والفضل ماشهدت به الاعداء اما السبب في هذا الرقي التام الذي أدهشت اليابان العالم به فهو عزة نفوس اليابانيين وعلو أخلاقهم بسبب سلامة استقلالهم ألوفا من السنين لم يتسلط عليهم فيها من يذلهم ويفسد بأسهم فليعتبر بذلك حكامنا وقومنا ان كانوا معتبرين

بوت الحكمة من بناء ومن يوت
الحكمة فقد آتني خير كثيرا وما
بذكر الأول الألب

المسحاة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتعلمون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر - ١٦ ربيع الأول سنة ١٣٢٢ - ١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٤)

القسم الديني

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ *
وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ *
وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ
وَالْعَمَلَاتِ ، وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا
إِلَيْهِ رَاغِبُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ، وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُتَّقُونَ *

ذهب الذين ينظرون من القرآن في جملة وآياته مفككة منفصلا بعضها عن
بعض التماسا لسبب النزول في كل آية أو جملة أو كلمة ولا ينظرون اليه في سياق
جملة وكمال نظمه - الى أن الأمر بالاستعانة في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا

استعينوا بالصبر والصلاة) هو للاستعانة على أمر الآخرة والاستعداد لها وان المراد بالصبر فيه الصبر على الطاعات وبهذا صرح الجلال وقد اورد الاستاذ الامام قوله وسأل الله تعالى الصبر على احتمال مثل هذا الكلام ثم بين وجه الاتصال بما مثاله

ذكر الله تعالى اقتتان الناس بتحويل القبلة وتقديم شرح مادلت عليه الآيات من عظم أمر تلك الفتنة، وإزالة شبهة النأتين والمفتونين، وإقامة الحجج على المشاعيين، وحكم التحويل وفوائده للمؤمنين، ومنها إتمام النعمة، والبشارة بالاستيلاء على مكة، وكون ذلك طريقاً للهداية، لما في الفتن من التمحيص الذي يتميز به المؤمن الصادق، من المسلم المنافق، ولا غرو فان مادة الفتنة من لفظ (الفنائة) وهو الحجر الذي يحك به الناقد الذهب فيعرف به زيفه ونضاره. وكذلك الفتن تظهر الثابت على الحق المطمئن به وتفضح المنافق المرائي بما تظهر من زلزاله واضطرابه فيما لديه، أو انقلابه ناكصاً على عقبه، ثم شبه هذه النعمة لنامة بالنعمة الكبرى وهي إرسال الرسول فيهم، يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، وفي ذلك من التثبيت في مقاومة الفتنة، وتأكيدهم القبلية، ما يليق بتلك الحالة. ووفي ذلك بالأمر بذكره وشكره على هذه النعم للإيذان بأن تحويل القبلة الذي صورته السفهاء من الناس بصورة لنقمة، هو في نفسه أجل وأكبر نعمة،

لا جرم ان تلك النعم التي يجب ذكرها وشكرها للمنعم جل شأنه كانت تقرر بضروب من البلاء، وأنواع من المصائب، اكبرها ما يلاقيه أهل الحق من مقاومة الباطل وأحزابه، وأصغرها ما لا يسلم منه أحد في ماله وأهله وأحبابه، أليس من النسب القريب بين الكلام، ومن كمال

الارشاد في هذا المقام ، ان يرد بعد الأمر بالشكر ، أمر آخر بالصبر ، وأن يعد الله المؤمنين بالجزاء على هذا كما وعدهم بالجزاء على ذلك ؛ بلى ان هذه الآيات متصلة بما قبلها ، متممة للارشاد فيها ، وقد هدى سبحانه بلطفه الى علاج الداء قبل بيانه فأمر بالاستعانة على ما يلاقيه المؤمنون بالصبر والصلاة ووعد على ذلك بموئته الالهية ثم أشعرهم بما يلافونه في سبيل الحق والدعوة الى الدين والمدافعة عنه وعن أنفسهم . فهو سبحانه وتعالى يأمرهم بالصبر على ذلك كله لان الآية في الانقطاع الى العباداة والصبر على الطاعة مطلقا بحيث يكون القاعد عن الجهاد بنفسه وماله اعتكافا في مسجد أو انزواء في خلوة عاملا بها

كان المؤمنون في قلة من العدد والعدد وكانت الائم كلها مناوئة لهم فالشركون اخرجوهم من ديارهم وأموالهم وما فتشوا يغيرون عليهم ، ويصدون الناس عنهم ، ثم كانوا يلافون في مهاجرهم ما يلافون من عداوة أهل الكتاب ومكرهم ، ومن مراوغة المنافقين وكيدهم ، فأمرهم الله تعالى ان يستعينوا في مقاومة ذلك كله وفي سائر ما يمرض لهم من المصائب بالصبر والصلاة . اما الصبر فقد ذكر في القرآن سبعين مرة ولم تذكر فضيلة أخرى فيه بهذا المقدار وهذا يدل على عظم أمره ، وقد جعل التواصي به في سورة العصر مقرونا بالتواصي بالحق اذ لا بد للداعي الى الحق منه . والمراد بالصبر في هذه الآيات كلها ملكة الثبات والاحتمال التي تهون على صاحبها كل ما يلاقيه في سبيل تأييد الحق ونصر الفضيلة . فضيلة هي ام الفضائل التي تربي ملكات الخير في النفس فما من فضيلة الا وهي محتاجة اليها . وانما يظهر الصبر في ثبات الانسان على عمل اختياري يقصد به إثبات حق أو إزالة

باطل او الدعوى الى عقيدة او تأييد فضيلة وإيجاد وسيلة الى عمل عظيم لأن أمثال
هذه السكيات التي تتعلق بالمصالح العامة هي التي تقابل من الناس بالمقاومة
والمحادة التي يعوز فيها الصبر، ويمزج معها الثبات على احتمال المكروه، ومصارعة
الشدائد، فالثبات على العمل في مثل هذه الحال هو الصابر والصابر وان
كان في أول الأمر متكلفا ومتى رسخت الملكة يسمى صاحبها صبورا.
وليس كل متحمل للمكروه من الصابرين الذين اخبر الله في هذه الآية أنه
معههم وبشرهم في الآية الآتية وأثنى عليهم في آيات كثيرة بل لابد من العمل
للحق والثبات فيه كما قدمنا لأن الفضائل لا تتحقق الا بما يصدر عنها من
الأعمال الاختيارية التي هي مناط الجزاء، بل الصبر نفسه ملكة اكتسابية
ولذلك أمر الله تعالى به وإنما يكون الامتثال بتعويد النفس على احتمال
المكروه والشدائد في سبيل الحق. وعلى ذلك جرى النبي عليه الصلاة والسلام
واصحابه عليهم الرضوان حتى فازوا بعاقبة الصبر المحموده، ونصرهم الله تعالى
مع قلتهم وضعفهم على جميع الأمم مع قوتها وكثرتها، وإنما كان ذلك
بالصبر، لأن الله تعالى جعله سببا للنجاة من الخسر كما جاء في سورة العصر،
المتحمل للمكروه مع السأمة والضجر لا يعد صابرا وهذا هو شأن
منتحلي العلم ومدعي الصلاح في هذا الزمان، تراهم أضعف الناس قلوبا وأشدهم
اضطرابا اذا عرض لهم شيء على غير ما يهونون، على أن عنوان صلاحهم
واستمسكهم بعروة الدين هو جرس الذكر وحركات الاعضاء في الصلاة،
وما كان للمصلي ولا للذاكر ان يكون ضعيف القلب عادم الثقة بالله تعالى وهو
جل ثناؤه يرى المصلين من الجزع الذي هو ضد الصبر بقوله « ان الانسان
خُلِقَ هَلُوعًا » اذا مسه الشر جزوعا * واذا مسه الخير منوعا * الا المصلين، وقد

جعل ذكره مع الثبات في البأساء في قرن اذ قال «يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون» وقد قرن في الآية التي نفسرها الصلاة بالصبر وجعل الامر من معاذريمة الاستعانة على ما يلاقي المؤمنون في طريق الحق من الشدائد. ولو كان هؤلاء الأدياء مصليين لكانوا من الصابرين، وانما تلك حركات تعودوها يقصدون بها فلوب الناس ينتفون عندها المكانة الرفيعة بالدين لما يترتب على ذلك من المنافع والفوائد الدنيوية التي لا يعتلون سواها. فيجب على كل مؤمن ان يعود نفسه على احتمال المكاره ويحاول تحصيل ملكة الصبر عندما تعرض له أسبابه فمن لم يستعن على عمله بالصبر لا يتم له أمر، ولا يثبت على عمل، لاسيما الاعمال العظيمة كترية الامم والانتقال بها من حال الى حال. لذلك ترى كثيرين يشرعون في الأعمال العظيمة فيعوزهم الصبر فيقفون عند الخطوة الثانية. ومن يزعم انه عاجز عن تحصيل هذه الملكة فهو خائن لنفسه جاهل بما أودع الله فيه من الاستعداد فهو باحتقاره لنفسه محقر نعمه الله تعالى عليه، وهو بهذا الاحساس بالعجز قد سجل على نفسه الحرمان من جميع الفضائل

وجه الحاجة الى الاستعانة بالصبر على تأييد الحق والقيام بأعبائه ظاهر جلي. واما الحاجة الى الاستعانة بالصلاة فوجهها محجوب لا يكاد يشكشف الا للمصلين الذين هم في صلاتهم خاشعون. تلك الصلاة التي أكثر من ذكرها الكتاب العزيز ووصف ذويها بفضلي الصفات وهي التوجه الى الله تعالى وحضور القلب معه سبحانه واستغراقه في الشعور بهيبته وجلاله وكال سلطانه. تلك الصلاة التي قال فيها جل ذكره «وإنها لكبيرة الا على الخاشعين» وقال فيها «ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» وليست

الى الصورة الممهودة من القيام والركوع والسجود والتلاوة باللسان خاصة
اتى يسهل على كل صبي مميز ان يعود عليها والتي نشاهد من المعتادين عليها
لا إصرار على الفواحش والمنكرات ، واجتراح الآثام والسيئات ، واي قيمة
اتلك الحركات الخفيفة في نفسها حتى يصفها رب العزة والجلال بالكبر
الا على الخاشعين . انما جمعت تلك الحركات والأقوال صورة للصلاة
لتكون وسيلة لتذكير الغافل ، وتنبيه الذاهل ، وداعية يدفعه الى ذلك التوجه
المقصود الذي يملأ القلب بعظمة الله وسلطانه حتى يستسهل في سبيله كل
كل صعب ، ويستخف بكل كرب ، ويسهل عليه عند ذلك احتمال كل بلاء ،
ومقاومة كل غناء ، فإنه لا يتصور شيئا يعترض في سبيله الا ويرى سيده
ومولاه أكبر منه . فهو لا يزال يقول : الله أكبر : حتى لا يبقى في نفسه
شيء كبير ، الا ما كان مرضيا لله العلي الكبير ، الذي يلجأ اليه في الحوادث ،
ويقزع اليه عند الكوارث ،

ثم قال (ان الله مع الصابرين) ولم يقل معكم ليفيد أن معونته انما تقدمهم
اذ صار الصبر وصفا لازما لهم ، وقالوا ان المعية هنا معية المعونة فالصابرون
معودون من الله تعالى بالمعونة والظفر ومن كان الله معينه وناصره لا يغلبه
شيء . وقال الاستاذ الامام : ان من سنة الله تعالى ان الأعمال العظيمة لا تتم
ولا ينجح صاحبها الا بالثبات والاستمرار وهذا انما يكون بالصبر فمن صبر
فهو على سنة الله والله معه بما جعل هذا الصبر سبيلا للظفر لانه يولد الثبات
والاستمرار الذي هو شرط النجاح ومن لم يصبر فليس الله معه لانه تنكب
سنته ، ولن يثبت فيبلغ غايته ،

علم الله تعالى ما سيلاقه المؤمنون في الدعوة الى دينه وتقريبه من المقاومات

وتبسط الهم وما يقوله لهم الناس في ذلك وما يقول الضعفاء في أنفسهم: كيف تبدل هذه النفوس وتستهدف القتل بمخالفة الامم كلها، وما هي الغاية من إعدام الانسان نفسه لاجل تميز رجل في دعوته؟ وغير ذلك مما كانوا يسمونه من المنافقين والكافرين، وربما أثر في نفوس بعض الضعفاء فاستبطأوا النصر، فعلمهم الله سبحانه وتعالى ما يستعينون به على مجاهدة الخواطر والهواجس، ومقاومة الشبهات والوساوس، فأمر أولاً بالاستعانة بالصبر والصلاة ثم ذكر أعظم شيء يستعان عليه بذلك وهو الثقل في سبيل دعوة الحق وحمايته. ذكره، ودرجاني سياق تقرير حقيقة ودفع شبهة فقال (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات) أي لا تقولوا في شأنهم هم أموات. وقالوا ان اللام في لهم للتأويل لا للتبليغ، المعنى ظاهر والتركيب مأروف (بل) هم (أحياء) في عالم غير عالمكم (ولكن لا تشعرون) بحياتهم اذ ليست في عالم الحس الذي يدرك بالمشاعر. ثم لا بد ان تكون هذه الحياة حياة خاصة غير التي يمتقدها جميع الميتين في جميع الموتي من بقاء ارواحهم بعد مفارقة اشباحهم ولذلك ذهب بعض الناس الى ان حياة الشهداء تتعلق بهذه الاجساد وان فنيت أو احترقت أو أكلتها السباع أو الحيتان وقالوا إنها حياة لا نعرفها ونحن نقول مثلهم إننا لا نعرفها وزيدنا لا نثبت ما لا نعرف. وقال بعضهم إنها حياة يجعل الله بها الروح في جسم آخر يتمتع به ويرزق ورووا في هذا روايات منها الحديث الذي أشار اليه المنسرح (الجلال) وهو ان ارواح الشهداء عند الله في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة. (*) وقيل إنها حياة الذكر الحسن والثناء بعد الموت

(*) المنسرح: في الحديث شيء من الاضطراب ففي رواية مسلم والترمذي من حديث ابن مسعود أنها في حواصل طيور خضر تسرح من أنهار الجنة حيث شاءت

وقيل إن المراد بالموت والحياة الضلال والهدى روي هذا عن الاصم أي لا تقولوا إن باذل روحه في سبيل الله ضال بل هو مهتد . وقيل أنها حياة روحانية محضة . وقيل إن المراد أنهم سينجبون في الآخرة وإن الموت ليس عدما محضا كما يزعم بعض المشركين ، فلا ية عند هؤلاء على حد « إن البرار إني نعيم وإن الفجار إني جحيم » أي أن مصيرهم ذلك . قال الاستاذ الامام بعد ذكر الخلاف : وقال بعض العلماء الباحثين في الروح إن الروح إنما تقوم بجسم أثيري في صورة هذا الجسم المركب الذي يكون عليه الانسان في الدنيا وبواسطة ذلك الجسم الاثيري تجول الروح في هذا الجسم المادي فاذا مات المرأ وخرجت روحه فانما تخرج بالجسم الاثيري وتبقى معه وهو جسم لا يتغير ولا يتبدل ولا يتحلل واما هذا الجسم المحسوس فانه يتحلل ويتبدل في كل عدة سنين . قال ويقرب هذا القول من مذهب المالكية فقد روي عن مالك رحمه الله تعالى انه قال إن الروح صورة كالجسد أي لها صورة وما الصورة الا عرض وجوهر هذا العرض هو الذي سماه العلماء بالاثير :

واذا كان من خواص الاثير النفوذ في الاجسام اللطيفة والكثيفة كما يقولون حتى انه هو الذي ينقل النور من الشمس الى طبقة الهواء فلا مانع ثم تأوي الى قناديل تحت العرش ، الخ وفي رواية عبد الرزاق من حديث عبد الله بن كعب بن مالك « ان ارواح الشهداء في صور طيور خضر معلقة في قناديل الجنة حتى يرحمها الله يوم القيامة » فهذا يدل على انها محبوسة في مكان خاص والاول يفيد أنها مطلقة تسرح حيث تشاء ثم ان لها مأوى تأوي اليه حين تشاء . وفي رواية مالك وأحمد وأصحاب السنن ما عدا أبا داود انها « في أجواف طيور خضر تعلف من ثمر الجنة أو شجر الجنة » كذا في بعض التفاسير وهناك روايات أخرى

أن تتعلق به الروح المطلقة في الآخرة ثم هو يحل بها جسماً آخر تنعم به وترزق سواء كان جسم طير أو غيره . وقد قال تعالى في آية أخرى « أحياء عند ربهم يرزقون » وهذا القول يقرب معنى الآية من العلم . والمعتمد عند الاستاذ الامام في هذه الحياة هو أنها حياة غيبية تمتاز بها أرواح الشهداء على سائر أرواح الناس ، بها يرزقون وينعمون ولكننا لا نعرف حقيقتها ولا حقيقة الرزق الذي يكون بها ولا نبحت عن ذلك لانه من عالم الغيب الذي يؤمن به ونفوض الامر فيه الى الله تعالى

ذكر الله تعالى فضل الشهادة التي استهدف لها المؤمنون في سبيل الدعوة الى الحق والدفاع عنه ثم ذكر مجموع المصائب التي يلاقونها فقال (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات) فعلمهم ان مجرد الانتساب للايمان ، لا يقتضي سعة الرزق وقوة السلطان ، وانتفاء المخاوف والاحزان ، بل يجري ذلك بسنن الله تعالى في الخلق ، وانما المؤمن الموفق من يستفيد من مجاري الأقدار ، اذ يتربى ويتأدب بمقاومة الشدائد والاضطرابات ، ومن لم تعلمه الحوادث ، وتمسكه الكوارث ، فهو جاهل بهدي الدين ، متبع غير سبيل المؤمنين ، غير معتبر بقوله تعالى بعد ذكر هذا البلاء المبين ، (وبشر الصابرين) فانه تعالى أراد أن ينهنا بهذا إلى أن هذه الامور هي التي تكتسب بها ملكة الصبر التي يقرن بها الظفر ويكون صاحبها أهلاً لأن يبشر بحسن العاقبة في الامور كلها . فالبشارة في الآية عامة ولم يذكر المبشر به ايذاناً بذلك وهو إنجاز لا يعهد مثله في غير القرآن الحكيم فانت ترى انه لو أريد ذكر ما يبشرون به لخرج الكلام الى تطويل لا حاجة اليه كبيان عاقبة من يقع في أنواع المخاوف

فيصبرها وينجح في أعقابها وهي كثيرة، وهكذا

الخوف المشار إليه في الآية - وأعداء الاسلام على ما كانوا عليه من
الكثرة والقوة - ظاهر لا يخفى على ان بعضهم فسره بالخوف من الله تعالى وهو
كثرتي . واما الجوع فقد قالوا انه ما يكون من الجذب والتمحط قبل الاستاذ
الامام وليس هذا هو المراد في الآية المسوطة لبيان ما يلاقي المؤمنون في
سبيل الايمان ولا وقع للصحابة في ذلك العهد وانما هو أحد همومهم فيفصل
من أهله وعشيرته ويخرج في الغلب صفر الدين ولذلك كان النقر عاما في
المسلمين من أول عهدهم الى ما بعد فتح مكة . ومن هذا التفسير يفهم المراد
من نقص الأموال وهي الانعام التي كانت معظم ما يتعوله العرب واما
الثمرات فهي على أصلها وكان معظمها ثمرات النخيل وقيل هي الولد ثم
القلب كما يقولون في المجاز المشهور . وقد بلغ من جوع المسلمين ان كانوا يتبلغون
بثمرات يسيرة لاسيما في واقعة الأحزاب . واما نقص الانفس فهو ما كان
من القتل والموتان من اجتواء المدينة فقد كانت عند هجرتهم اليها بلد وباء وحمى
ثم ذكر من وصف الصابرين قوله (الذين اذا أصابهم مصيبة قلوا اننا
لله وإننا اليه راجعون) وليس المراد بالقول مجرد النطق بهذه الكلمة على ان
يحفظوها حفظا وان كانوا لا يعقلون لها معنى وانما المراد ان تبلس بمعناها والتحقيق
في الايمان بانهم من الله والى الله يرجعون فهو الذي بيده ملكوت كل
شيء ولا يفعل الا ما سبق به الحكمة ، وانتضاه النظام الإلهي المبرر عنه
بالسنة ، بحيث ينطق اللسان بالكلمة بدافع الشعور بهذا المعنى وتمكنه من
النفس . فأصحاب هذا الاعتقاد والشعور هم الجديرون بالصبر إيمانا وتسليما
بحيث لا يملك الجزع نفوسهم ، ولا تنقص المصائب هممهم ، بل تزيدهم ثباتا

ومثابة فيكونون هم الفائزين

ولا ينافي الصبر والتثبت ما يكون من حزن الانسان عند نزول المصيبة بل ذلك من الرحمة وورقة القلب ولو فقد الانسان هذه الرحمة لكان قاسيا لا يرجى خيره ولا يؤمن شره وانما الجزع المذموم هو الذي يحمل صاحبه على ترك الأعمال المشروعة لأجل المصيبة والأخذ بمعاداة وأعمال مذمومة ضارة ينهى عنها الشرع ، ويستقبحها العقل ، كما شاهد من جماهير الناس في المصائب والنوائب . وقد ورد في الصحيحين ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كى عند ما حضر ولده ابراهيم عليه السلام الموت وقيل له اليس قد همتنا عن ذلك فأخبر أنها الرحمة وقال « ان العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول الا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا ابراهيم لحزون » (رواه الشيخان من حديث أنس) . وفائدة الاخبار بالبلاء قبل وقوعه توطين النفس عليه واستعدادها لتحمله والاستفادة منه « ما من دهي بالامر كالمعتد » هذا ان لم يقترب بالخبر ارشاد وتعليم ، فكيف اذا اقترنت به هداية العزيز العليم ،

ذكر البلاء وبشر الصابرين عليه وذكر الوصف الذي يستحقون به البشارة وختم القول ببيان الجزاء بالاجمال فقال (اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) فاما الصلوات فالمراد بها انواع التكريم والنجاح واعلاء المنزلة عند الله والناس . واما الرحمة فهي ما يكون لهم في نفس المصيبة من حسن العزاء ، وبرد الرضى والتسليم للقضاء ، فهي رحمة خاصة يحسد الملحدون عليها المؤمنون فان الكافر المحروم من هذه الرحمة في المصيبة تضيق عليه الدنيا بما رحبت حتى انه ليجزع نفسه اذا لم يعد له رجاء في الاسباب التي يعرفها وينتحر بيده ويكون من الهالكين . ثم قال تعالى في الصابرين

(واولئك هم المهتدون) أي الى ما ينبغي عمله في اوقات المصائب والشدائد اذا
لا يستحوذ الجزع على نفوسهم ، ولا يذهب البلاء بالامل من قلوبهم ،
فيكونون هم الفائزين بخير الدنيا والراحة فيها المستعدين لسعادة الآخرة بملو
النفوس وكرم الاخلاق

علماء الأزهر والمحاكم الشرعية

« يُخَرَّبُونَ بَيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ »
قعد أهل الأزهر عن إجابة طلب اسماعيل باشا الخديو تأليف كتاب في الحقوق
والعقوبات موافق لحال العصر سهل العبارة مرتب المسائل على نحو ترتيب كتب
القوانين الأوروبية. وكان رفضهم هذا الطلـب هو السبب في إنشاء المحاكم الأهلية
واعتماد الحكومة فيها على قوانين فرانسا وإلزام المحاكم بترك شريعتهم وحرمانهم من
فوائدها ، وفي توجيه عزائم الكثيرين من نابتة الأمة الى درس تلك القوانين في
مصر وأوربا وبذل النفقات العظيمة من الحكومة ومنهم لاجل تحصيلها. ولولا وجود
أهل النفوذ من علماء الأزهر لمكانت كل هذه المحاكم شرعية أهلة بالعمائم التي يجاسد
حملتها على الشئ القفا ويتنافسون فيها برغب عنه غيرهم لقلّة ذات يدهم . ولمكانت تلك العمائم
موضع الاحترام والجلال كما يابق بها لا كما هي اليوم في نظر أكثر الناس. ثم انك تجد
بعض أصحاب هذه العمائم يتشدقون بتلاوة « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم
الظالمون » ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » يعرضون بأهل المحاكم
الأهلية ثم انهم يتحاكون اليهم عند الحاجة ويمتلئون لهم في الجامع

ليس إبطال هؤلاء العلماء للشرعية بعدم إجابة طلب اسماعيل باشا السابق بأعجب
من اعتذارهم عنه وتعللهم فيه ، انهم تعلموا بل احتجوا بأنهم يحافظون بذلك على
الشرع وطريقة سلفهم الأزهر في كيفية التأليف وهو ان يكون الكتاب مؤلفاً من
متن وشرح وحاشية وعند زيادة البيان والتحقيق تضاف اليه التقارير - فهذه هي سنة
المشايع المألوفة. وتأليف كتاب أو كتب يقتصر فيها على القول الصحيح ويجعل عبارة

سهلة مقسما الى مسائل تسرد بالعدد على كيفية كتب القوانين من البدع الهدامة
للك سنة التي جرى عليها الميتون من عدة قرون !!!

حدثني علي باشا رفاة قال ان اسماعيل باشا لما ضاق بالمشايخ ذرعا استحضروا الله
رفاعة بك وعهد اليه بأن يجتهد في إقناع شيخ الأزهر وغيره من كبار الشيوخ بإجابة
هذا الطالب وقال له انك منهم ونشأت معهم فأنت أقدر على إقناعهم فأخبرهم ان اوربا
تصغرني اذا هم لم يجيبوا الى الحكم بشريعة نابليون . فأجابه رفاة اني يامولاي قد
سخت ولم يطمئن أحد في ديني فلا تعرضني لتكفير مشايخ الأزهر ابي في آخر حياتي
وأقاني من هذا الامر فأقاله وكان إنشاء هذه المحاكم التي يرى المشايخ انها مؤسسة على
الكفر والظلم والفسق أثر المحافظة على الدين ، وصونه من عبث الحاكمين ، وما هذا
الدين لذي حافظوا عليه الابدعة سيئة وهي كيفية التأليف التي ألفوها كما تقدم ولم
ينزل بها كتاب ولاوردت بها سنة ولا جاءت في أثر عن الصحابة والتابعين . والكيفية
التي دُعوا اليها فحسبوا خرقا في الاسلام هي أفضل وأنفع مما حانظوا عليه . فالتدججة
أنهم أضاعوا الشريعة لاجل الجلود على هذه السكتب الحديثة الضارة المضیعة للعالم
فكانوا من الخاطئين . وأعتني بما أقول جمهورهم لا كلهم كما لا يخفى

حدثت المحاكم الاهلية فكانت قسيمة للمحاكم الشرعية ولكن ظهر للناس
بالاختبار ان المحاكم التي يحكم فيها بقانون فرنسا أضمن للحقوق وأقرب للانصاف
من المحاكم التي تسند شريعتها الى الوحي السماوي حتى كان شيوخ الأزهر يتحاكمون
اليها فالشيخ العباسي رفع اليها بعض القضايا وكان شيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية .
وكذلك شيخ الأزهر السابق الشيخ سليم البشري تحاكم اليها في قضية تنافق بأوقاف
الأزهر وكان له مندوحة عن ذلك . فكانت جنائهم على الشريعة أنهم كانوا السبب
في إضاعة القسم الاكبر منها وأنهم سلكوا في القسم الثاني الذي بقي للمحاكم الشرعية
طريقة سوءى ذهبت بثقتهم وثقة سائر الناس منها . وكل ذلك بحجة حماية الدين وحفظ
الشريعة الذي هو فخرهم ولو بالباطل ينالون به الزلفى في نفوس عامة المسلمين المقلدين
لهم الذين لا يمانعون بماذا يقلدون

تكاد حماية الدين والمحافظة على الشريعة عند هؤلاء تذهب برسومها كما ذهبت

بروحهما فان السما والارض تستغيثان من خلال المحاكم الشرعية وتاجآن الى الحكومة طالبا لاصلاحها ولكن الشيخ نقبة في طريق كل اصلاح وحجهم الوهمية المحافظة على الدين الذي لا يعرفه سواهم وقوتهم غرور العامة بهم وتصديق دعاويهم والحكومات تحترم دائما عقائد العامة وعاداتها وتقائدها حقا كانت او باطلا لثلاثيئسج عليها الرأي العام ولذلك كان صلاح حال العامة بالترية الصحيحة والتعالم النافع مفضيا الى صلاح حال الحكومة بالطبيع لأن رأي الامة يكون حينئذ صحيحا وقوة الامة لا تقاوم لأن يد الله مع الجماعة

هذا بعض آثار التقليد الاعمى للميتين والجمود على العادات الموروثة وليس كل علماء الازهر على هذا الجمود بل السواد والدهماء منهم وانما العامة مع الاكثرين حتى يظهر خطاهم الزمان ، الذي لا يملو حكمه حكم إنسان ، هذا احدهم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية اليوم قد رأي منذ زمن طويل فساد هذه المحاكم وشعر بتألم العدل من سيرة القضاة الشرعيين وسمى في صلاحها وصلاحهم بمحاولات إقناع أمير البلاد به وما زال يلح عليه حتى مهد اليه الامير بان يضع بمساعدة بعض الفضلاء تقريرا في ذلك سنة ١٨٩٦ ولكن كان نصيب التقرير الاهمال حتى قام المستر سكوت الانكليزي مستشار الحقانية بمحاول وضع لائحة لاصلاح سير هذه المحاكم التي كثر تألم الناس منها وشكواهم للحكومة فأرسله الشيخ لذلك التقرير فطلبه من أحد حاشية الامير واستفاد منه واضعوا اللائحة الحديثة كثيرا من الفوائد ولكنها لم تكن كافية

وفي سنة ١٨٩٩م حاولت الحكومة المصرية عمل شيء في المحاكم الشرعية على انه من الاصلاح فقامت قيامة العلماء والجرائد وتهيجت العامة لاعتقاد الجميع ان ما كان يحاول غير جائز شرعا (وفي الحقيقة انه لم يكن هو الاصلاح المطلوب للمحاكم) واسكنهم لم يطلبوا شيئا غيره بحوز عندهم شرعا. وكنا قبل هذه الفتنة قد كتبنا في المنار الصادر آخر سنة ١٣١٦هـ مقالة في (التعالم القضائي) بينا فيها ان اصلاح المحاكم الشرعية لا يكون الا بقضاة صالحين للقيام بأعباء القضاء وان هذا لا يتم الا بتعليم خاص بينا طريقه واقترحنا على شيخ الازهر ومجلس ادارته تنفيذه ولكن أتى بنفذ وحماة الدين من مشايخ الازهر اصحاب النفوذ لاي رضون بشيء جديد غير ما اتبعوا عليه آباءهم الا الشيخ

محمد عبده وهو صاحب هذا الرأي ولكن لا موافق له منهم عليه في مجلس الإدارة الا
 الشيخ عبدالكريم سلمان وأكثر الآراء كانت على ضد ما يطلبان
 انتهت فتنة المحاكم بسكوت الحكومة عن المشروع الذي أعدته ولكن المتقاضين
 لم يسكتوا على حقوقهم تضيع في أثرها عهد من نصب إفتاء الديار المصرية لرجل الذي
 كان أول ساع في الإصلاح والمشهود له بأنه أعرف الناس بطرقه فكلفت الحكومة
 نقاش هذه المحاكم ووصف خلالها وبيان ما يحتاجه من أملاح ففعل ووضع في ذلك
 تقريره المشهور الذي أجمع الناس على استحسانه حتى أن الدين يعادون الإصلاح
 باسم الدين لم يجهروا بنقده ولا بالاعتراض عليه . ثم ألقت الحكومة لجنة للنظر فيما
 يمكن العمل به من التقرير رئيسها ناطر الحفانية وكان في أعضاء اللجنة مع المفتي قاضي
 مصر السابق وشيخ الأزهر واحترمت اللجنة القاضي في تلك الأثناء فوقف سير اللجنة
 واستمر على وقوفه وعذر الحكومة في ذلك العامة وبلاء العامة العلماء وهالك ما قاله
 الورد كرومر عن هذه المحاكم في تقريره عن سنة ١٩٠٢ وهو :

﴿ المحاكم الشرعية ﴾

ويقول المفتشون من العلماء التابعين لنظارة الحفانية أن أحكام قضاة المحاكم
 الشرعية في الأحوال الشخصية وأنجازهم للقضايا قد تحسنت بعض التحسن ولارب
 از زيادة اتفاق المال تفضي الى إصلاح مهم في هذه المحاكم ولكن لا ينتظر أن يجري
 حتى يباح الأهالي في طلب الإصلاح من أنفسهم وذلك يكون بتقديم العلم والمعرفة . والشكاوي
 الآن كثيرة ولكن المعارضة شديدة في كل تغيير . مما كان لازما وخالي من الضرر . والغالب
 أن تلك المعارضة تنجح بدعوى أن الإصلاحات مخالفة للشرعية أو لعادة القوم .

فالنظر نجد أن هذا السياسي واقف على حالة البلاد أنهم الوقوف يصرح بأن الإصلاح لا يمكن
 الأبعد أن تحول العامة عن اعتقاد ما يقوله المشايخ في مقاومة الإصلاح وأوضح منه ما قاله
 في تقريره عن سنة ١٩٠٣ الماضية . وأنك لتجد شيئا خطا يعللون عليه ويعرفون ما يقول الناس
 في جودهم ولا يرجعون عن رحمة بالشرعية أي استحلوا حملها بأنفسهم ، وهذا هو نصه :

﴿ المحاكم الشرعية ﴾

هذه ترجمة محضر مأخوذ عن الجريدة الرسمية وهو يتعاق بأعمال مجلس شورى

القوانين في جلسة حديثة العهد . والحديث فيها بين احمد بك يحيى من أعيان المصريين وحضرة الشيخ حسونة النواوي وهو عالم جليل من علمائهم تولى منصب الافتاء فيما مضى .
 « حضرة احمد بك يحيى : ان الطريقة المتبعة حتى الآن في المحاكم الشرعية في أمر المرافعات وتأجيل القضايا أوجبت شكوى كثيرة فلذا أقترح على مجلس شورى القوانين تأليف لجنة تدرس هذه الأمور وتضع فيها تقريرا
 « فضيلة الشيخ حسونة النواوي : اني لأعلم ان المحاكم الشرعية تحتاج الى اصلاح في أمر من أمورها

« تقرر بالاغلبية التصديق على رأي الشيخ حسونة النواوي ، انتهى
 فهذه الاعمال مشددة لزام لانها تدل على ان في مجلس شورى القوانين نفسه بعضا من الاعضاء الاذكياء الذين يشعرون بوجوب اصلاح للمحاكم الشرعية
 اما كون الاصلاح ضروريا فتشوق اليه النفوس فذلك أمر ثابت لا شك فيه إذ ليس للناس أقل ثقة بهذه المحاكم الشرعية وقد علا الضجيج من أعمالها وكثرت شكواي المتقاضين بين يديها وحجتهم عليها ترجح يوما عن يوم . والاصلاح يطلب من وجه معروف لا يختلف فيه وهو بسيط سهل المأل وذلك ان الشرع نفسه لا يمكن ان يطرأ عليه تغيير مطلقا فإما يطلب إذن هو أن يقضى به بين الناس بطريقة مقبولة على يد قضاة جمعوا من العلم والاستقلال ما يتمتع معه تأثير كل مؤثر خارجي أيا كان مصدره

وكانت الحكومة قد شرعت منذ خمس سنوات تقريبا في معالجة هذا الداء ولكنها عدلت عنه لأن الغرض الذي كانت تقصده من الاصلاح انما هو صيانة المصريين أنفسهم فلم تجد منهم التأييد الكافي فأغفلته . اما الحكومة البريطانية فلا تبدأ بالسير في هذا السبيل ولكنها تنظر بعين الرضى الى كل اصلاح يبدأ به ذوو الشأن أنفسهم الذين يعينهم أمر المحاكم الشرعية أكثر من سواهم وتؤيدهم وتشدد عزائمهم . رأيي الخصوصي هو ان مجلس شورى القوانين يحسن صنعا بالعودة الى هذا الموضوع وإيفائه حقه من البحث لاسيما ان التعميل في اصلاح هذه المحاكم خير من التأجيل ففي مصر جيل جديد يختلف عن أجداده في أمور كثيرة فيمكن ان تحدثه نفسه يوما بأن يمد الى تلك الاركان القديمة بدا لانعرف حرمة القديم فتكون أشد عليها من يد حكومة

نمدها اليوم طبقا لارشاد قوم لاشأن لهم في الامر لانهم لا يدينون بالدين الاسلامي .
 فاذا كان لهذا الحساب نصيب من الصواب فالاجدر بأبناء اليوم أن يشرعوا في الإصلاح
 ويتلافوا الامر قبل حلوله . وعسى ان المصالحين من أبناء الفطر لا تضعف عزيمتهم
 لأول فشل حل بهم فان الرأي العام لا بناء دينهم هو في جانبهم وهو ينمو ويزداد
 وان كانوا لا يجاهرون به فعليهم الثبات إذ لا سيما اذ لم يكن أحد ينتظر ان الناس تتغلب
 على أيمانها وتوافقهم على مرادهم بعد أول حملة

ويجدر بي ان أذكر في هذا المقام ان مجلس شورى القوانين اقترح على الحكومة
 في المخطوطات التي أبداه على ميزانية السنة الحاضرة أن تزيد مصروف المحاكم
 الشرعية فرفضت الحكومة هذا الاقتراح . وعندى أنها أحسنت في رفضها لأن كل
 زيادة في هذا الباب تعد تبذيرا لاموال الأمة حتى يجي الوقت الذي تباشرفيه مسألة
 الإصلاح بالجهد والاهتمام ، اه كلام اللورد

قبل ان يظهر تقرير اللورد هذا اجتمعت الجمعية العمومية المؤلفة من نظار الحكومة
 واعضاء شورى القوانين ومندوبي البلاد المصرية واقترح غير واحد من أعضائها مطالبة
 الحكومة باصلاح المحاكم الشرعية . فاحيل الطلب على مجلس شورى القوانين فأجمع
 الشيوخ أمرهم وأرادوا ان يدافعوا عن الحاضر حسب عادتهم ، فأتمر من يعينهم الامر
 مع انصارهم في مجلس الشورى وكبيرهم هم قاضي مصر الذى خلق في بلاد الروم
 مصريا ، وتعلم في الاستانة ولكنه كانه تخرج أزهريا ، وكثر السعي قبل الجلسة واتفقوا
 على شيء يدافع به القاضي الاكبر

ولما طرحت المسألة في المجلس قال القاضي الاكبر كلمته المروزة وهي :
 « قد سمعنا المقترحات المتعلقة بالمحاكم الشرعية ونقول ان أعمال تلك المحاكم
 ترجع اولا الى الشرع الشريف وهذا لا يمكن مسلم ان يقول انه يحتاج الى اصلاح -
 وثانيا الى قضاء يحكمون بذلك الشرع وهؤلاء تنتخبهم لجنة من كبار العلماء الخبيرين
 تشكل بنظارة الحفانية بحضور ناظرها وطبعا انما تنتخبهم من العلماء الاكفاء . وثالثا
 الى لوائح سنتها الحكومة بعد أخذ رأي مجلس شورى القوانين . فان كان هناك
 اعتراضات توجهت أو تتوجه في المستقبل فطبعا انما هي متوجهة على تلك اللوائح

ولو رجعت الحكومة في جميع أعمال المحاكم الشرعية الى قواعد الشرع ونفذت بالطرق الشرعية جميع ماصدر من تلك المحاكم من الاحكام لم يوجد أدنى اعتراض فلذلك أطاب استلفات الحكومة الى ما ذكر :

هذان ما كتب، وتناقل الناس عن قاضي مصر يومئذ زيادة منها أنه قال في الجلسة ان القضاة يدرسون علومهم في الازهر ويتمتحنون فيه بحضور جماعة من كبار العلماء وانه لم يعرف عن أحد من قضاة المحاكم ما يشكى منه وجاء في آخر كلامه : اما إذا ارادت الحكومة تكميل المرشحين للقضاء بإضافة بعض دروس مثل أدب القاضي وشي من التمرين فلا بأس. وذكرت جريدة المؤيد يومئذ أنه قال ما ينبغي لمثله في مقامه ان يقوله. وكان له حزب مستعد لتأييد رأيه ولكن مفتي الديار المصرية تعقبه بعد ما أمر الكاتب بكتابة جميع مقاله وقرر المفتي ما ملخصه -

أما كون الشرع نفسه لا يحتاج الى اصلاح فسلم لكنه في كتبه التي في أيدي الناس بعيد عن أفهام الخصوم فهو في أشد الحاجة الى التقريب من الأفهام فيجب النظر في ذلك ولا نطلب فيه الاعمال سبقتنا الى مثله الدولة العثمانية في كتاب المجلة التي عليها العمل في محاكمها المسماة (بالعدلية) وفي المحاكم الشرعية في ابواب المرافعات جميعها ولم يقل أحد ان الدولة في عملها ذلك قد خرجت عن الدين . (عند هذا قال الشيخ حسونة النواوي : كتاب الاحوال الشخصية الذي وضعه قدري باشا موجود وهو من أحسن ما يكون :)

وأما مسألة امتحان القضاة في لجنة من علماء الازهر وانتخابهم بلجنة فيها كبار العلماء فيجب بيان ما فيها لهيئة المجالس لانني من اللجنتين - لجنة الامتحان ولجنة الانتخاب . أما الامتحان فيجري في موضوعات خاصة من عدة فنون يتدأ فيها بالاصول فالعلماني فالبيان وهكذا ولا يأتي الفقه الا في آخر الدروس عند ما يكون الممتحن قد مل السؤال والطالب قد مل الجواب فيكتفي الاساتذة من الطالب ببعض كلمات ثم يقولونه الى فن آخر . على أن الامتحان في الفقه كان ولا يزال في أبواب العبادات مثل التيمم ونحوه. وقد ألح في المدة الاخيرة على لجنة الامتحان لتعين مواضع الامتحان في المعاملات فحصل ذلك لكن كثيرا ما يرجع عنه فهل مثل هذا الامتحان له علاقة بالقضاء الشرعي

وهل تعرف به درجة القاضي ان كان أهلا للقضاء أو غير أهل
(قال) أنا عضو في اللجنتين كما قلت لكم وربما كنت أعرف الناس من ينتخبون
للقضاء والسكني أقول لكم إنما نعمل في الانتخاب على قاعدة ارتكاب أخف الشرين
فنجتار أخف اقاصرين قصورا وكثير ما نكون الاغاية على انتخاب المتقدم في الزمان
وان كان متأخرا في العلم والاستعداد

(قال) واما لوائح المحاكم التي يتوهم من لم يعرف تاريخها ان الحكومة وضعها
من عندها فهي بعيدة عن الشرع ومذاهبه فانا أذكر لكم حقيقة أمرها. كانت الحكومة
في عهد أمراء مصر السابقين تاركة للمحاكم الشرعية تمام الاستقلال وكان الناس
يستغيثون من خلالها وظاهرها وشبوع الرشوة فيها فلما أقلقوا الحكومة أمر سعيد باشا
بوضع لائحة لسير هذه المحاكم وقد كان ذلك باقرار لجنة من علماء الازهر ومؤلفة
من علماء المذاهب الاربعة فاللائحة الاولى كان متفقا عليها من علماء الشرع - طال
الزمان وظهر ان اللائحة لم تأت بالمطلوب واستمرت الشكوى من أعمال المحاكم
فوضعت اللائحة الثانية بمعرفة الشيخ العباسي شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية لذلك
المعهد . واما اللائحة الاخيرة فقد عرضت كذلك على شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية
وأقرها كما أقرها قاضي مصر السابق . فاللوائح لانعاب اذن بمخالفة الشرع ولكنني أقول
مع هذا انها قاصرة وفي حاجة الى الاصلاح فتمين ان المحاكم الشرعية في حاجة الى
الاصلاح من كل جهة وهذا الاصلاح ينحصر عندي في خمسة أمور وهي:

(أولها) تقويم طريقة التعليم لعمال المحاكم الشرعية من قضاة وكتبة وإضافة
ما يحتاج اليه وظائف القضاء الشرعي وما يتعلق بها من المعلومات الى ما يتعلمون الآن
وذلك يكون بانشاء فرقة خاصة بهذا الغرض من طلبة الجامع الازهر بالجامع الازهر
ثم تكميل قاعدة اتحاجهم بما يكفل التحقق من كفاءتهم . (ثانيها) تعديل لوائح المحاكم
الشرعية على وجه يكفل انتظام سيرها وسرعة انفصل في قضاياها وازالة كل ما يشك
منه بشرط المحافظة على الشرع (ثالثها) الاتفاق مع جماعة من شيوخ الحنفية على
ايجاد طريقة لتقريب فهم الاحكام الشرعية التي يتقاضى الناس على حسبها حتى يمكن
للخصوم ان يعرفوا الى أية قاعدة شرعية يرجع الحكم فيما يتخاصمون فيه ويسهل على

القضاة أنفسهم خصوصاً في بدء أمرهم الرجوع الى ما يحكمون بمقتضاه ويكون ذلك شاملاً لجميع أبواب المعاملات من الفقه (رابعاً) وضع قاعدة تنفيذ الاحكام الشرعية تكفل انتفاع المحكوم له بالحكم ضد أي شخص كان بما لا يخالف الشرع (خامساً) ترقية مرتبات عمال المحاكم الشرعية والحقاقهم بباقي موظفي الحكومة :

اقترح المفتي هذا وأمر بكتابته فكتب وظهرت على المجلس امارة الإعجاب والرضى به فقال بعض المؤتمرين ان هذا لا ينافي قول القاضي والرأي مارآه القاضي . قال المفتي لك ان تقول ان رأيك موافق لرأي القاضي وليس لك ان تقول هذا عن غيرك وان كان القاضي يقر هذا الرأي فهو مانعني ولا فرق بين ان ينسب اليّ أواليه . فقال ذلك العضو لأبأس موافقة القاضي على هذا ولكن تحذف المقدمات . قال المفتي وتحذف مقدمات القاضي أيضاً . قال بعض الاعضاء الاولى ابتداءً للمقدمات والموافقة على الرأي الاخير (رأي المفتي) مع اتفاق القاضي . وبعد ذلك استقر الرأي على ان يمحى ما كتب عن القاضي والمفتي ويستبدل به : ان المجلس يقترح على الحكومة الاصلاح بالأوجه الخمسة المذكورة وكذلك كان

هذا ملخص ما كان في الجلسة ولهج به الناس يومئذ كتبناه كما سمعناه من كثير من الاعضاء ومن يجتمع بهم . ولكن الجرائد خلطت في المسألة ومنها مانسب الاقتراح للقاضي وانما كان ردّاً عليه ثم انه لم يربدا من موافقة المجلس . والذي يهمنا اننا وصلنا بعد جهاد المجاهدين في سبيل الاصلاح الى أن مجلس الشورى طلب باتفاق الاراء ان تبادر الحكومة الى اصلاح هذه المحاكم فليس لها بعد هذا عذر بالأرجاء وهو أقصى أو فوق ما كان يتنى اللورد كرومر

أرايتك هؤلاء القضاة الشرعيين هل اعتبروا باجماع أهل الرأي والحل والعقد وغيرهم على فساد أمرهم وبسوء سيرتهم ؟ كلا انهم لم يزدادوا الا غياً ونمادياً حتى ان المحكمة العليا التي تشرف على جميع مجاري العبر هي أوغل من محاكم الواحات في الغرور والحلل والزال . ومن أعجب ما صدر عن قاضي مصر في هذه الأيام بركة مستشاره أو مشيره التصدي لمنع ديوان الاوقاف من تنفيذ لائحة المساجد التي وضعها مفتي الديار المصرية وأقرها مجلس الاوقاف الأعلى بعد مباحثات طويلة

❖ لائحة المساجد ❖

ماهي لائحة المساجد وماوجه الحاجة اليها ؟ هي لائحة تدور على جعل أئمة المساجد وخطبائها من أهل العلم بالدين ليؤدوا الفرائض على وجهها وجعل مؤذنيها وخدمتها من أهل الكفاءة للقيام بمهامهم على وجهه. ولايجمل أحد ان أكثر الأئمة في هذا العهد من الجبال حتى باحكام الظهارة والصلاة وأكثر الخطباء يغاطون على التبر حتى آيات القرآن ويأتون في وعظهم بما يتبرأ الدين منه في الغش والكذب على الله ورسوله ودينه بسرد الأحاديث الموضوعة والخرافات المصنوعة . أليس من العجائب ان يوجد في المسلمين من يحافظ على هذه المنكرات ويطلب بقاءها وعدم إزالتها باسم الدين وهو يعد مع هذا من علماء المسلمين ؟ بلى وانهم ليجتجون بأنهم يحافظون على شروط الواقفين ، وهل وجدوا وقف اشترط ان يكون الأئمة والخطباء من الجاهلين ؟ رب أعوذ بك من همزات الشياطين

أوقاف المسلمين تزداد ريعاً ونمواً ومساجد المسلمين في خراب حسي ومعنوي الامام عرت جدره وزخرفت سقفه لجنة الآثار العربية ليتمتع بالنظر اليها السائحون من الافرنج الذين يحبون الاطلاع على مباني الاولين ، وراتب الخطيب والامام اليوم كما كان منذ قرن أو قرون اذ كان مالاك الالف بعد غنيا كبيرا ، والالف لا تنبسط في سنتنا الحمار شعيراً ، لهذا يضطر ديوان الاوقاف ان يجعل الجاهلين الكسالى المعدمين أئمة وخطباء اذ لا يرضى العالم الفاضل أن ينقطع لعمل لا يزيد راتبه في الشهر على مئة قرش وقد يكون خمسين قرشاً . هذا وان مساعدة أهل العلم والدين على معاشهم من أفضل المبرات التي تنشأ لها الاوقاف الخيرية - لهذا كان من موضوع لائحة المساجد أن يجعل للامام والخطيب راتب يتراوح بين خمس مئة قرش وثمان مئة قرش وللمؤذن والخدم راتب يرتقي الى ثلاث مئة قرش وذلك بمدايقهم بحسب الشروط التي تؤهلهم للقيام بمهامهم على أكمل وجه . وقد رفقت اللائحة بحال الحاضرين على ما بهم فلم تقض بزل أحد منهم وانما جعلت مبدأ الاصلاح فيمن تجدد

بهذه اللائحة تصرف أموال الاوقاف المكنوزة في أفضل مصارفها ، بهذه اللائحة تقام صلاة الجماعة على وجهها ، بهذه اللائحة تكون الخطابة مؤدية للحكمة

التي شرعت لاجلها ، بهذه اللائحة تكون يوت الله نظيفة طاهرة كما يليق بها ،
بهذه اللائحة ينمو علم الدين بما وجد لاهله من المعاش الطبيعي الذي يليق بكرامتهم
بعد ان أقفلت في وجوه المنقطعين له أبواب الرزق ، واحتقرهم الناس ولو بغير
حق ، ومع هذا كله تجد في أصحاب العمام من يسمي في إلغاء اللائحة بحجة أنها
مخالفة للدين ، وأنها وضعت للفساد وهم من المصلحين ، يحاولون إلغائها بسلطة
المحكمة الشرعية التي ضجت السماء والارض من فساد حالها ، وشدة اختلالها ،
فماذا لا يصلحونها وقيمون حكم الله فيها ان كانوا صادقين ؟

كتب قاضي مصر الى مدير الاوقاف يطلب اللائحة لينظر فيها ويأمر بتنفيذ
ما يرى تنفيذه منها وإلغاء ما يرى إلغاءه وذكرت الجرائد انه هدد المدير بعزله اذا لم
يفعل فعرض المدير كتابته على مجلس الاوقاف الاعلى فقرر المجلس اجابة القاضي بأن
هذا امر لا يعميه وأنه ليس في اللائحة امر مخالف للشرع كما قرر مفتي الديار المصرية
وأن الامر العالي الصادر في سنة ١٢٩١ يحيز للمجلس سن أمثال هذه اللائحة ولهذا
يرفض المجلس طلب القاضي ويأمر بتنفيذها كما قررها - هكذا ورد في جريدة الاهرام
وقد أذرت القاضي بأن لا يلعب بالنار ونعم مدفعت ، فان الامر خطير كما ذكرت ،
هذا نموذج من سيرة هذه المحكمة بعد ماعمت البلوى ، وعظمت الشكوى ،
يلعب أهلها بالنار ، ويستخطون الديار ، ويفقدون الانصار ، ولا تسمع من علماء الازهر
كلمة انكار ، بل يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الابصار ،



مناظرة بين مقلد وصاحب حجة

(الوجه الحادي والستون) قولكم : وأجمعوا على جواز شراء اللحم والاطعمة
والثياب وغيرها من غير سؤال حلها اكتفاء بتقليد أربابها : جوابه ان هذا ليس
تقليدا في حكم من احكام الله ورسوله من غير دليل بل هو اكتفاء بقبول قول الذابح
والبائع وهو اقتداء واتباع لأمر الله ورسوله حتى لو كان الذابح والبائع يهوديا او نصرانيا
أو فاجرا اكتفينا بقوله في ذلك ولم نسأله عن أسباب الحل كما قالت عائشة رضي الله
عنها : يا رسول الله ان ناسا يأتوننا باللحم ان لدري اذكروا اسم الله عليها ام لا ؟

فقال : « سموا اتم وكلوا » فهل يسوغ لكم تقليد الكفار والفساق في الدين كما تقلدوهم في الذبايح والأطعمة ؟؟

فدعوا هذه الاحتجاجات الباردة وادخلوا معنا في الأدلة الفارقة بين الحق والباطل لنعقد معكم عقد الصالح للام على تحكيم كتاب الله وسنة رسوله والتحاكم اليهما وترك اقوال الرجال لهما ، وان ندور مع الحق حيث كان ولا تتخير إلى شخص معين غير الرسول ، فبسل قوله كله ، ونرد قول من خالفه كله ، وإلا فاشهدوا بأننا اول منكر لهذه الطريقة وراغب عنها ، وداع الى خلافها . والله المستعان

(الوجه الثاني والستون) قولكم : لو كلف الناس كلهم الاجتهاد وان يكونوا علماء ضاعت مصالح العباد وتعطلت الصنائع والمتاجر وهذا مما لا يبذل اليه شرعا وقدرا !!
فجوابه من وجوه : (احدها) ان من رحمة الله سبحانه بنا ورأفته انه لم يكلفنا بالتقليد فلو كلفنا لضاعت أمورنا وفسدت مصالحنا لاننا لم نكن ندري من تقلد من المقتدين والفقهاء وهم عدد فوق المئين ولا يدري عددهم في الحقيقة إلا الله ، فان المسلمين قد ملأوا الأرض شرقا وغربا وجنوبا وشمالا وانتشر الاسلام بحمد الله وفضله وبلغ مبلغ الليل فلو كلفنا بالتقليد لوقعنا في اعظم العنت والفساد ولكلفنا بتحليل النبي وتحريمه ، وإيجاب الشيء وإسقاطه معا ، ان كلفنا بتقليد كل عالم . وان كلفنا بتقليد الاعلم فالاعلم فمعرفة ما دل عليه القرآن والسنن من الاحكام اسهل بكثير كثير من معرفة الاعلم الذي اجتمعت فيه شروط التقليد ومعرفة ذلك مشقة على العالم الراسخ فضلا عن المقلد الذي هو كالأعمى . وان كلفنا بتقليد البعض وكان جملة ذلك الى تشهينا واختيارنا صار دين الله تبعا لارادتنا واختيارنا وشهواتنا وهو عين المحال فلا بد ان يكون ذلك راجعا إلى امر الله ورسوله باتباع قوله وتاقي الدين من بين يديه وذلك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله وامينه على وجهه ، وحجته على خلقه ، ولم يجعل الله هذا المنصب لسواه بعده ابدا (الثاني) ان بالنظر والاستدلال صلاح الامور لاضياعها وباهالها وتقاييد من يخطئ ويصيب اضاعتها وفسادها كالأواقع شاهد به . (الثالث) ان كل واحد منا مأمور بأن يصدق الرسول فيما اخبر به ويطيعه فيما امر وذلك لا يكون الا بعد معرفة امره وخبره ولم يوجب الله سبحانه من ذلك على الأمة الا ما فيه حفظ دينها

ودنياها وصلاحها في معاشها ومعادها، وباهمال ذلك تضيع مصالحها، وتفسد أمورها،
فما خراب العالم إلا بالجهل، ولا عمارته إلا بالعلم، وإذا ظهر العلم في بلد أو محلة قل
الشر في أهلها، وإذا خفي العلم هناك ظهر الشر والفساد، ومن لم يعرف هذا فهو
من لم يجعل الله له نورا،

قال الامام احمد: لولا العلم كان الناس كالبهائم. وقال: الناس احوج الى العلم
منهم الى الطعام والشراب لان الطعام والشراب يحتاج اليه في اليوم مرتين او ثلاثا والعلم
يحتاج اليه في كل وقت.

(الرابع) ان الواجب على كل عبد ان يعرف ما يخصه من الاحكام ولا يجب عليه
ان يعرف ما لا تدعوه الحاجة الى معرفته وليس في ذلك اضرار - مصالح الخلق ولا
تعطيل لمعاشهم فقد كان الصحابة رضي الله عنهم قائلين بمصالحهم ومعاشهم وعمارة
حروثهم والقيام على مواشيهم والضرب في الارض لمتاجرهم والصفق بالاسواق وهم
اهدى العلماء الذين لا يشق في العلم غبارهم. (الخامس) ان العلم انافع هو الذي جاء
به الرسول دون مقدرات الازهار ومساءل الحرس والالغاز وذلك بحمد الله تعالى
أيسر شي على النفوس تحصيله وحفظه وفهمه، فانه كتاب الله الذي يسره للذكر كما
قال تعالى « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر * » قال البخاري في صحيحه:
قال مطر الوراق: هل من طالب علم فيعان عليه؟ ولم يقل فتضيع عليه مصالحه،
وتعطل عايشه، وسنة رسول الله وهي - بحمد الله - مضبوطة محفوظة،
اصول الاحكام التي تدور عليها نحو خمس مئة حديث. وفرشها وتفصيلها نحو أربعة
آلاف. وانما الذي هو في غاية الصعوبة والمشقة مقدرات الازهار، وأغلوطة المسائل،
والفروع والاصول التي ما أنزل الله بها من سلطان، التي كل مالها في غو وزيادة وتوليد
والدين كل ماله في غربة وتقصان، والله المستعان.

(الوجه الثالث والستون) قولكم: قد أجمع الناس على تقليد الزوج لمن يهدي
اليه زوجته ليلة الدخول، وعلى تقليد الاعمى في القبلة والوقت، وعلى تقليد المؤذنين
وتقليد الائمة في الطهارة وقراءة الفاتحة، وتقليد الزوجة في انقطاع دمها ووطئها
وتزويجها: فجوابه ما تقدم ان استدلالكم بهذا من باب المغالط وليس هذا من التقليد

المدوم على لسان الساف والخلق في شيء ونحن لم نرجع الى أقوال هؤلاء لكونهم
 اخبروا بها بل لأن الله ورسوله امر بقبول قولهم وجعله دليلا على ترتب الأحكام
 فاجازهم بمنزلة الشهادة والاقرار . فأين في هذا ما يسوغ التقليد في احكام الدين .
 والاعراض عن القرآن والسنة ، ونصبر رجل بعينه ميزانا على كتاب الله وسنة رسوله ؟؟
 (الوجه الرابع والستون) قولكم : أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عقبة
 ابن الحرثان يقلد المرأة التي أخبرته بأنها أرضعت وزوجته . فيالله العجب فأنتم لا تقلدونها
 في ذلك ولو كانت إحدى أمهات المؤمنين ولا تأخذون بهذا الحديث وتتركونه تقليدا
 لمن قلدهم دينكم وأي شيء في هذا مما يدل على التقليد في دين الله ؟ وهل هذا الا
 بمنزلة قبول خبر الخبر عن امر حسي يخبر به وبمنزلة قبول الشاهد ؟ وهل كان مفارقة
 عقبة لها تقليدا لتلك الامة أو اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث امره بفراقها ؟
 فمن ركة التقليد انكم لا تأمرونه بفراقها وتقولون هي زوجته حلال وطئها !!!
 واما نحن فمن حقوق الدليل علينا أن تأمر من وقعت له هذه الواقعة بمثل ما أمر رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم لعقبة بن عامر سواء ولا نترك الحديث تقليدا لاحد . (لها بقية)

هَيْبَةُ النَّبِيِّ وَحُجَّةُ الْإِسْلَامِ

سوريا والاسلام

(٨ مسيحو سوريا في أيام الدولة العربية)

زعم الكاتب المتحس ان المسلمين لما استولوا على سوريا ابتدأوا يسومون
 السوريين الذل والهوان قال : ولو ان المسلمين حكماء كباقي الفاتحين الذين اكتسحوا
 سوريا أو بالحري كالسوقيين والرومانيين الذين لم يكونوا يتعرضون للسوريين بما يمس
 عوائدهم وعواطفهم دينيا وأديبا بل كانوا يكتبون بحفظ سيطرته السياسية عليهم
 - لو كانوا حكماء ولم يصنعوا بهم ما صنعوا لما كانوا الاقوام السوريين الا الملاطفة والطاعة
 ثم طفق يسرد الالفاظ التي يعرفها من اللغة تدل على الظلم والاستبعاد والتي لا تدل
 أيضا لعظم الامر . ويهيج تعصب نصارى سوريا على مسلميها وان كان هذا التعصب

يضر قومه أكثر مما يضر المسلمين وهو لا يدري اسكره بخمرة حرية أمريكا التي سمحت
له بأن يشتم الاسلام والمسلمين بما شاء قال:

«ولا يظن القارىء أن تعصب المسلمين ضد المسيحيين في أيام الدولة العربية كان
بسيطاً كما نفهمه اليوم . كلا . بل كان استبداداً مطلقاً واستعباداً . تصور أيها القارئ
حالة أمة يهجم عليها في منازلها وكنائسها ويقتل بعضها ويسبي البعض الآخر . تصور
حالة أمة يحكم عليها تارة بهدم معابدها وأخذ عشر بيوتها وطورها بأخذ أحسن دورها
ومنازلها لتجمل جوامع أو بيوتاً للقضاء ، تصور حال أمة يحكم عليها بأن تعلق على
أبواب منازلها صور الشياطين تميزها لها عن بيوت المسلمين . تصور حالة أمة يحكم عليها
بأن تقفل مكاتبها ويمنع أولادها وصغارها من تعلم القراءة . تصور حال أمة لم يكن يقبل أحد
من أفرادها في دواوين الحكومة المتسلطة عليها . تصور حالة أمة لم يكن يسمح لها
بأن تظهر صلبانها في الأسواق ولا بأن تدق جرسا . تلك هي حالة المسيحيين في سوريا
في أيام الدولة العربية . ولقد حدثت هذه وجرى هذا الضغط في أيام جميع الخلفاء
الأمويين والعباسيين وكان بالأكثري أيام جعفر المتوكل على الله في سنة ٨٤٩ أو
بالحرى عند ما ابتدأت العربية أن تشعر بضعفها وانحطاطها » :

وجوابنا عن هذا كله كلمة فذة تضطر أن نصرح بها مع الأسف وهي : أن هذا
اختراع محض فلا هجوم على البيوت والكنائس ولا صور شياطين ، ولا منع من تعليم ، فإن
العرب كانوا أرحم الدول الفاتحة وأعد لها وكانت سيرتهم تقيض ما قال هذا المتعصب بشهادة
عدول المؤرخين حتى من الأفرنج الذين أوجدوا الغلو في التعصب الديني في الأرض ثم طفق
بعضهم يذمه في هذا الزمان . ومن شاهد ما تعامل به دولهم المسلمين وغيرهم في مثل بلاد
جاوه لشاهد ما تشعرونه الأبدان ، وهو فوق ما اخترعته مخيلة رفول سعادة وأصقته بالعرب

وقد تقدم في رد النبذة السابقة السابقة ما يؤيد قولنا هذا في العرب وسنريده يانا
أما السلوقيون فقد كانت أيامهم كلها حروباً داخلية وخارجية من أول عهدها
إلى آخره وكان فيها من الفظائع ما فيها ومن أقبحها ضغط الملك انطوخيموس الثاني على
اليهود ونهب هيكلهم واسرأفهم في قتلهم ونهب أموالهم في القرن الثاني قبل المسيح وقد سلم
هذا الملك الفاجر الذي لقب نفسه باسم (الله) زمام حكومته لنسائه ونذمائهم فأسرع

الخراب والدمار بسوء سيرتهم وسيرتهم الى سوريا ولم تنطف من بعده نيران الثورات والفتن من سوريا. ولما ولي انطيوخوس الثالث الملك انبرى لاختاد ثورة مولو القائد السوري الذي استقل في جهة نهر الفرات فاتهم الفرصة اخيوس وخرج عليه وادعى الملك لنفسه وهو من بيت سلقوس مؤسس المملكة فشغله ذلك عن محاربة مصر زمنا ثم عاد اليها بعد ماتولاها بطليموس الخامس وهو صغير السن وكان استولى على فلسطين وفينيقيه وسوريا السفلى. ثم زوج بطليموس ابنته ووعد بان يعطيه فلسطين وسوريا السفلى مهورا لها ولكنه لم يصدق. وبعد محاربة الرومانيين اياه وثورة ارمينيا عليه نهب هياكل آسيا ومعابدها فاحتوى جميع كنوزها وخزائنها. ثم طالبه ملك مصر بما وعد به ابوه من مهر ابنته وهو فلسطين وسوريا السفلى فأغار على مصر حتى اذا كاد يظفر صده الرومانيون فعاد ينتقم من اليهود بما جنى غيرهم فهجم على بيت المقدس ونهب الهيكل وعاث فيه فسادا ولطخه بالنجاسة. ولم تكن حال من بعده بأمثل من حاله فهذا نموذج من سيرة السلوقيين الذين فضلهم هذا المتعصب الغالي على العرب الذين كانوا أفضل الفاتحين في الارض وارفقهم وأعد لهم. ان سوريا لم يستقر لها في أيامهم قرار، ولم تكنها مع الامان دار، حتى ان السوريين سئموا الحياة في آخر عهدهم ودعوا طفرانيس ملك أرمينية فولوه عليهم فأمنت البلاد، وأطمأن العباد، فأين مثل هذه الثورات والفتن في أيام العرب؟ لقد استولى على سوريا كثير من الفاتحين الغرباء فلم يخرج السوريون بأحد امتزاجهم بالعرب وحسبك انهم استعربوا فلم تعد تعرف لهم جنسية غير العربية. فاعتبر بتعصب هذا الكاتب الذي أراه بقض المسلمين النور ظلمة والسعادة شقاء والخير شرا والحق باطلا، وانظر هل يتيسر لنا جمع كلمة السوريين وفيهم مثل هذا يكتب وينشر، ويفرق ويمزق، ويقنع المسلمين بان سيرة سلفهم توجب عليهم عداوة النصارى، ولا يجده من أبناء ملته مقفدا ولا رادعا حتى كان الجميع معه في ارائه، مع عامهم بخطاه واختلاقه.

اما الرومانيون فتاريخهم معروف، وعتوهم وجورهم غير مجهول، ومؤرخو النصارى يعترفون بما قاسى السوريون منهم عامة وما قاسى اليهود منهم خاصة لاسيما بعد ما دخل الرومانيون في النصرانية. ولقد تنصر معظم أهل سوريا وليسكن لم يتجنسوا

بالجنسية الرومانية ولم يكن حكمهم يعاملونهم على اتفاقهم معهم في الدين معاملة المساواة لذلك أدهشهم عدل الاسلام ومساواته فكانوا عوناً للمسلمين على الروم في حروبهم ولولا ذلك لم يتم للعرب فتح سوريا في تلك المدة القصيرة. قال البلاذري في فتوح البلدان حدثني ابو جعفر الدمشقي قال حدثنا سعيد بن العزيز قال بلغني انه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع وبلغ المسلمين اقبالهم اليهم لوقعة اليرموك ردوا على أهل حص ما كانوا اخذوا منهم من الخراج وقالوا قد شغلنا عن نصرتمك والدفع عنكم فأنتم على أمركم ، فقال أهل حص لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغنى ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم : ونهض اليهود فقالوا: والتوراة لا يدخل حامل هرقل مدينة حص الا ان تغلب ونجهد : فأغلقوا الابواب وحرسوها. وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود وقالوا : ان ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا على ما كنا عليه والافانا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدد : وقال في كتابه فتوح الشام يذكر اقبال الروم على المسلمين ومسير أبي عبيدة من حص : « فلما أراد ان يشخص دعا حبيب بن مسلمة فقال اردد على القوم الذين كنا صالحناهم من أهل البلد ما كنا أخذنا منهم فانه لا ينبغي لنا ان لا نمنعهم (أي نحميهم) ان نأخذ منهم شيئاً وقل لهم نحن على ما كنا عليه فيما بيننا وبينكم من الصلح ولا نرجع عنه الا ان ترجعوا عنه وانما ارددنا عليكم أموالكم لانا كرهنا ان نأخذ أموالكم ولا نمنع بلادكم : (اي نحميها) فلما أصبح أمر الناس بالمسير الى دمشق ودعا حبيب بن مسلمة القوم الذين كانوا أخذوا منهم المال فأخذ يردده عليهم وأخبرهم بما قال ابو عبيدة وأخذ أهل البلد يقولون : ردكم الله إلينا ولعن الله الذين كانوا يملكوننا من الروم ولكن والله لو كانوا هذا ما ردوا إلينا بل غصبونا وأخذوا من هذا ما قدروا عليه من أموالنا : اه وقد اورد هذين الشاهدين الشيخ شبلي النعماني في رسالة الجزية والاسلام واستدل بهما وبغيرهما على ان الجزية جزاء الحماية والدفاع (راجع ص ٣٥٦ من منار السنة الاولى)

التعدي على الكنائس وجعلها مساجد لم يكن مما يستحله المسلمون كما يعلم من له أدنى اطلاع من مسألة عمرو بن العاص مع العجوز القبطية في مصر. وهؤلاء بنو

أمية أظلم العرب قد اقترفوا هذا الاثم مرة والقصة تدل على كونها من الظلم على عدل العرب وبعدهم عن مثل هذا الاعتداء قال البلاذري في فتوح البلدان مانصه :
 قالوا ولما ولي معاوية بن ابي سفيان أراد ان يزيد كنيسة يوحنا في المسجد بدمشق فأبى النصارى ذلك فأمسكه . ثم طلبها عبد الملك بن مروان في أيامه لازياد في المسجد وبذل لهم مالا فأبوا ان يسلموها اليه . ثم ان الوليد بن عبد الملك جمعهم في أيامه وبذل لهم مالا عظيما على ان يعطوه إياها فأبوا فقال : لئن لم تفعلوا لا هدمتها : فقال بعضهم يا امير المؤمنين ان من هدم كنيسة جن أو أصابته عاهة : فأحفظه قوله ودعا بمول وجهل يهدم بعض حيطانها يده وعليه قباء خزر أصفر ثم جمع الفعلة والنقاضين فهدهما في المسجد . فلما استخلف عمر بن عبد العزيز شك النصارى اليه ما فعل الوليد بهم في كنيسةهم فكتب الى عامله يأمره برد ما زاده في المسجد عليهم فذكره أهل دمشق ذلك وقالوا نهدم مسجدا بعد أن أذنا فيه وصاينا ويرد بيعة ؟ وفيهم يومئذ سايان بن حبيب المحاربي وغيره من الفقهاء وأقبلوا على النصارى فسألوهم ان يعطوا جميع كنائس الفوطة التي أخذت عنوة وصارت في أيدي المسلمين على ان يصفحوا عن كنيسة يوحنا ويمسكوا عن المطالبة بها فرضوا بذلك وأعجبهم فكتب به الى عمر فسره وأمضاه : اهـ

فهذه الحادثة على ما فيها من خروج الوليد عن نهج الشرع لفسقه المشهور تدل على شدة محافظة العرب على الكنائس وحقوق الذمة فان ملكهم اضطر الى كنيسة ليوسع بها مسجدا رأى ان يكون اثرا من آثاره ، وموضعا لفخاره ، بعد ما عجز عنه سلفه حرمة للذمة فجاء بنفسه يسترضي النصارى ويبدل لهم المال الكثير وهم يأبون عليه ويهدونه بالوقوع في العاهات ويخاطبونه بكلمة (الجنون) فهل يصح ان يكون هذا شأن رعية مظلومة مضطهدة مع الفاتحين القاهرين ، أم هو إدلال من عوملوا بالعدل والمساواة ، والحلم والناة ، ولم يتعبدوا ان يعضوا حقا ، ولا ان يسلبوا رزقا ،

قال البلاذري : حدثني هشام بن عمار انه سمع المشايخ يذكرون أن عمر بن الخطاب عند مقدمه الحجابة من أرض دمشق مر بقوم مجذومين من النصارى فأمر ان يعطوا من الصدقات وأن يجري عليهم القوت . وقال هاشم سمعت الوليد ابن مسلم

يذكر ان خالد بن الوليد شرط لاهل الدير الذي يعرف بدير خالد شرطاني خراجهم بالتخفيف عنهم حين أعطوه ساما صعد عليه فانقذه لهم أبو عبيدة . ولما فرغ أبو عبيدة من أمر مدينة دمشق سار الى حصص فر بعليك فطلب أهلها الامان والصلح فصالحهم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وكتب لهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب أمان لفلان بن فلان وأهل بعلبك رومها وفرسها وعربها على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ودورهم داخل المدينة وخارجها وعلى أرحانهم ولاروم ان يرعوا سرحهم ما بينهم وبين خمسة عشر ميلا ولا ينزلوا قرية عامرة فاذا مضى شهر ربيع وجمادى الاولى ساروا الى حيث شاءوا ومن أسلم منهم فله مالنا وعليه ما علينا . ولتجارهم ان يسافروا الى حيث ارادوا ومن البلاد التي صالحنا عليها وعلى من أقام منهم الحزبة والخراج ، شهد الله وكفى بالله شهيدا : »

أرايت الفاتح الذي يصالح خصمه مثل هذا الصالح الاين يقال فيه انه قاس يهدم الكنائس ويأخذ المنازل . كيف وقد أسلفنا في التبذة الماضية انهم كانوا يدعون لهم أملا كههم حتى ما يأذنون للمسلمين ان يشاركوهم فيها ولو بحق !!!

أما الدواوين التي زعم المتعصب ان نصارى سوريا كانوا محرومين منها فقد كانت في الحقيقة في أيديهم خاصة فان عمر لمادون الدواوين كانت دواوين بلاد الشام بالرومية لكثرة الكتاب في الروم وقتهم في العرب مع عدم عناية المسلمين باحتكار اعمال الدولة ومن المشهور أنها ظلت على ذلك الى عهد عبد الملك ابن مروان وانظر ما قاله المؤرخون في سبب نقلها الى العربية . ونختار عبارة البلاذري لقدمه وتحريمه في الرواية قال

« قالوا ولم يزل ديوان الشام بالرومية حتى ولي عبد الملك بن مروان فلما كانت سنة ١٨ أمر بنقله وذلك ان رجلا من كتاب الروم احتاج ان يكتب شيئا فلم يجد ماء فبال في الدواة فبلغ ذلك عبد الملك فأدبه وأمر سايمان بن سعد بنقل الديوان فسأله ان يعينه بخراج الاردن سنة ففعل ذلك فلم تنقضى السنة حتى فرغ من نقله . واتي به عبد الملك فدعا بسر جون كاتبه فعرض ذلك عليه فغمه وخرج من عنده كئيبا فلقبه قوم من كتاب الروم فقال اطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم :

فانظر هذا تجد انه لم يكن التعصب الديني مانعا للعرب من جعل جميع رجال

الدين من الروم يكتبون بلغتهم ماشاؤا حتى أساؤا ووجد عبد الملك أنه ينبغي للدولة العربية أن تكون دواوينها عربية ففعل. ولم يمنع ذلك غير المسلمين أن يكونوا عمالا لهم بعد تعلم العربية ولا سيما في دولة بني العباس بل كان مثل إبراهيم الصابي يرتقي إلى أن يكون وزير القلم ولسان الخليفة العباسي وكم ارتقى مثله من سائر الطوائف (راجع مقالات الاسلام والنصرانية في المجلد الخامس)

وانك لتجد الكاتب مع تعصبه قد نقلت منه القلم فأومأ إلى الفرق بين أول عهد العرب وآخره ولا شك أن أول عهدهم خير لأنهم كانوا اشد تمسكا بالاسلام وعمالا به وهذا ثبت أن الاسلام نفسه علة للعدل لأنه يأمر به قال تعالى «ولا يجر منكم شئنا أن قوم على أن لا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى» أي لا تحماتكم عداوة بعض الناس لكم على عدم العدل فيهم بل اعدلوا مع العدو وغيره .
(للردقية)

﴿ باب السؤال والفتوى ﴾

(تعدد الزوجات)

(س ٢٠) نجيب أفندي قناوي أحد طلبة الطب في أمريكا : يسألني كثير من أطباء الامريكانين وغيرهم عن الآية الشريفة « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة » ويقولون كيف يجمع المسلم بين أربع نسوة ؟ فاجبتهم على مقدار ما فهمت من الآية مدافعة عن ديني وقلت ان العدل بين اثنتين مستحيل لانه عند ما يتزوج الجديدة لابد أن يكره القديمة فكيف يعدل بينهما والله أمر بالعدل فالاحسن واحدة، هذا ما قلته وربما أقنعهم ولكن أريد منكم التفسير وتوضيح هذه الآية وما قولكم في الذين يتزوجون ثنتين وثلاثا ؟

(ج) ان الجماهير من الافرنج يرون مسألة تعدد الزوجات اكبر قاذح في الاسلام متأثرين بعاداتهم وتقليدهم الديني وغلوهم في تعظيم النساء وبما يسمعون ويعلمون عن حال كثير من المسلمين الذين يتزوجون بعدة زوجات لمجرد التمتع الحيواني من غير تقيد بما قيد القرآن به جواز ذلك وبما يعطيه النظر من فساد البيوت التي تكون من زوج واحد وزوجات هن أولاد يتحاسدون ويتنازعون ويتباغضون. ولا يكفي مثل

هذا النظر للحكم في مسألة اجتماعية كبرى كهذه المسألة بل لا بد قبل الحكم من النظر في طبيعة الرجل وطبيعة المرأة والنسبة بينهما من حيث معنى الزوجية وانعراض منها، وفي عدد الرجال والنساء في الأمم أيهما أكثر، وفي مسألة المعيشة المنزلية وكفالة الرجال للنساء أو العكس أو استقلال كل من الزوجين بنفسه، وفي تاريخ النشوء البشري ليعلم هل كان الناس في طور البداوة يكتبون بأن يختص كل رجل بامرأة واحدة. وبعد هذا كله ينظر هل جعل القرآن مسألة تعدد الزوجات أمرا دينيا مطلقا أم رخصة تباح للضرورة بشرط ومضيق فيها؟ أنتم معشر المشتغلين بالعلوم الطبية أعرف الناس بالفرق بين طبيعة الرجل والمرأة وأهم التباين بينهما. ومما نعلم نحن بالاحمال أن الرجل بطبيعته أكثر طلبا للانثى منها له وأنه قلما يوجد رجل عذيق لا يطلب النساء بطبيعته ولكن يوجد كثير من النساء اللاتي لا يطلبن الرجال بطبيعتهن ولولا أن المرأة مغرمة بأن تكون محبوبة من الرجل وكثيرة التفكير في الخطوة عنده لوجدت في النساء من الزاهدات في الزوج أضغاف ما يوجد الآن. وهذا الغرام في المرأة هو غير الميل المتولد من داعية التناسل في الطبيعة فيها وفي الرجل وهو الذي يحمل العجوز والتي لا ترجو زواجا على التزوي بمثل ما تترين به العذراء المعرضة والسبب عندي في هذا معظمه اجتماعي وهو مائدة في طبيعة النساء واعتقادهن القرون الطويلة من الحاجة الى حماية الرجال وكفالتهم وكون عناية الرجل بالمرأة على قدر حظوتها عنده وميله اليها. احسن النساء بهذا في الاحياء الفطرية فعملن له حتى صار ملكة موروثة فيهن حتى ان المرأة لتبغض الرجل ويؤلمها مع ذلك ان يعرض عنها ويمتنعها وانهن لياأمن ان يرين رجلا - ولو شيخا كبيرا أو راها مبتلا - ولا يميل الى النساء ولا يخضع لسحرهن ويستجيب لرقيتهن. ونتيجة هذا ان داعية النسل في الرجل أقوى منها في المرأة فهذه مقدمة أولى

ثم ان الحكمة الالهية في ميل كل من الزوجين الذكر والانثى الى الآخر الميل الذي يدعو الى الزواج هو التناسل الذي يحفظ به النوع كما ان الحكمة في شهوة التغذي هي حفظ الشخص. والمرأة تكون مستعدة للنسل نصف العمر الطبيعي للانسان وهو مئة سنة. وسبب ذلك ان قوة المرأة تضعف عن الحمل بعد الخمسين في الغالب فينقطع دم حيضها ويؤوض التناسل من رحمها والحكمة ظاهرة في ذلك والاطباء أعلم

بتفصيلها . فإذا لم يسمح للرجل التزوج بأكثر من امرأة واحدة كان نصف عمر الرجال الطبيعي في الأمة معطلا من النسل الذي مقصود الزواج اذا فرض ان الرجل يقترب من تساويه في السن وقد يضيع على بعض الرجال أكثر من خمسين سنة اذا تزوج بمن هي أكبر منه وعاشا العمر الطبيعي كما يضيع على بعضهم أقل من ذلك اذا تزوج بمن هي أصغر منه وعلى كل حال يضيع عليه شيء من عمره حتى لو تزوج وهو في سن الخمسين بمن هي في الخامسة عشرة يضيع عليه خمس عشرة سنة . وما عساه يطرأ على الرجال من مرض أو هرم عاجل أو موت قبل بلوغ السن الطبيعي يطرأ مثله على النساء قبل سن اليأس . وقد لاحظ هذا الفرق بعض حكماء الأفرنج فقال لو تركنا رجلا واحدا مع مئة امرأة سنة واحدة لجاز ان يكون لنا من نسله في السنة مئة إنسان واما اذا تركنا مئة رجل مع امرأة واحدة سنة كاملة فأكثر مما يمكن ان يكون لنا من نسلهم إنسان واحد والارجح ان هذه المرأة لا تنتج أحدا لان كل واحد من الرجال يفسد حرث الآخر . ومن لاحظ عظم شأن كثرة النسل في سنة الطبيعة وفي حال الامم يظهر له عظم شأن هذا الفرق - فهذه مقدمة ثانية

ثم ان المواليد من الاناث أكثر من الذكور في أكثر بقاع الأرض . وتري الرجال على كونهم أقل من النساء يعرض لهم من الموت والاشتغال عن التزوج أكثر مما يعرض للنساء ومعظم ذلك في الجندية والحروب وفي العجز عن القيام بأعباء الزواج ونفقته لان ذلك يطالب منهم في أصل نظام الفطرة وفيما جرت عليه سنة الشعوب والامم الاماخذ . فاذا لم يسمح للرجل المستعد لزوج ان يتزوج بأكثر من واحدة اضطرت الحال الى تعطيل عدد كثير من النساء ومنعهن من النسل الذي تطلبه الطبيعة والامة منهن ، والى إلزامهن بمجاهدة داعية النسل في طبيعتهم وذلك يحدث أمراضا بدنية وعقلية كثيرة يسمي بها أولئك المسكينات عالة على الأمة وبلاء فيها بعد ان كن نعمة لها . أو الى اباحة أعراضهن والرضى بالسفاح وفي ذلك من المصائب عليهن لاسيما اذا كن فقيرات مالا يرضى به ذو احساس بشري . وانك لتجد هذه المصائب قد انتشرت في البلاد الأفريقية حتى أعيا الناس امرها وطفق أهل البحث ينظرون في طريق علاجها فظهر لبعضهم ان العلاج الوحيد هو اباحة تعدد الزوجات . ومن العجائب أن ارتأى هذا

الرأي غير واحدة من كاتبات الانكليز وقد نقلنا ذلك عنهن في مقالة نشرت في المجلد الرابع من المنار (تراجع في ص ٧٤١) وانما كان هذا عجيبا لان النساء ينفرن من هذا الامر طبعاً وهن يحكمن بمقتضى الشعور والوجدان ، أكثر مما يحكمن بمقتضى المصلحة والبرهان ، بل ان مسألة تعدد الزوجات صارت مسألة وجدانية عند رجال الافرنج تبعاً لنسائهم حتى لتجد الفيلسوف منهم لا يقدر ان يبحث في فوائدها وفي وجه الحاجة اليها بحث بري من الغرض طالب كشف الحقيقة - فهذه مقدمة ثالثة

واتقل بك من هذا الى اكتناه حال المعيشة الزوجية وأشرف بك على حكم العقل والفطرة فيها وهو ان الرجل يجب ان يكون هو الكافل للمرأة وسيد المنزل لقوة بدنه وعقله وكونه أقدر على الكسب والدفاع وهذا هو معنى قوله تعالى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) وان المرأة يجب ان تكون مدبرة المنزل ومربية الاولاد لرقتها وصبرها وكونها كما قلنا من قبل واسطة في الاحساس والتحمل بين الرجل والطفل فيحسن أن تكون واسطة لنقل الطفل الذكر بالتدرج الى الاستعداد للرجولية ولجعل البنت كما يجب ان تكون من اللطف والدعة والاستعداد لعملها الطبيعي . وان شئت فقل في بيان هذه المسألة ان البيت مملكة صغرى كما ان مجموع البيوت هو المملكة الكبرى فللمرأة في هذه المملكة ادارة نظارة الداخلية والمعارف وللرجل مع الرياسة العامة ادارة نظارات المالية والاشغال العمومية والحرية والخارجية ، واذا كان من نظام الفطرة ان تكون المرأة في البيت وعملها محصورا فيه لضعفها عن العمل الآخر بطبيعتها وبما يوقعها من الحبل والولادة ومدارة الاطفال وكانت بذلك عالة على الرجل - كان من الشطط تكليفها بالمعيشة الاستقلالية بله السيادة والقيام على الرجل . واذا صح ان المرأة يجب ان تكون في كفالة الرجل وان الرجال قوامون على النساء كما هو ظاهر فاذنا نعمل والنساء أكثر من الرجال عدداً ؟ ألا ينبغي أن يكون في نظام الاجتماع البشري أن يباح للرجل الواحد كفالة عدة نساء عند الحاجة الى ذلك لاسيما في أعقاب الحروب التي تحتاج الرجال وتدع النساء لا كافل للكثير منهن ولا نصير ؟ ويزيد بعضهم على هذا ان الرجل في خارج المنزل يتيسر له ان يستعين على أعماله بكثير من الناس ولكن المنزل لا يشتمل على غير أهله وقد تمس الحاجة الى مساعد للمرأة على أعماله الكثيرة كما

تقضي قواعد علم الاقتصاد في توزيع الاعمال ولا يمكن ان يكون من يساعدها في البيت من الرجال لها في ذلك من المفسد فمن المصاحبة على هذا ان يكون في البيت عدة نساء مصاحبتن عمارته - كذا قال بعضهم - فهذه مقدمة رابعة

واذا رجعت معي الى البحث في تاريخ النشوء البشري في الزواج والبيوت (العائلات) أو في الازدواج والانتاج تجد أن الرجل لم يكن في أمة من الامم يكتبني بامرأة واحدة كما هو شأن أكثر الحيوانات وليس هذا بمحل لبيان السبب الطبيعي في ذلك بل ثبت بالبحث أن القبائل المتوحشة كان فيها النساء حقا مشاعا للرجال بحسب التراضي وكانت الام هي رئيسة البيت اذ الاب غير متعين في الغالب وكان كلما ارتقى الانسان يشعر بضرر هذا الشيوع والاختلاط ويميل الى الاختصاص فكان أول اختصاص في القبيلة أن يكون نساؤها لرجالها دون رجال قبيلة أخرى وما زالوا يرتقون حتى وصلوا إلى اختصاص الرجل الواحد بعدة نساء من غير تقيد بعدد معين بل حسب ما يتيسر له فانتقل بهذا تاريخ البيوت (العائلات) الى دور جديد صار فيه الاب عمود النسب وأساس البيت كما بين ذلك بعض علماء الالمان والانكليز المتأخرين في كتب لهم في تاريخ البيوت (العائلات) ومن هنا يزعم الافرنج ان نهاية الارتقاء هو ان يختص الرجل الواحد بامرأة واحدة وهو مسلم وينبغي ان يكون هذا هو الأصل في البيوت ولكن ماذا يقولون في العوارض الطبيعية والاجتماعية التي تلجئ الى ان يكفل الرجل عدة من النساء لمصالحتهن ومصلحة الامة ولاستعداده الطبيعي لذلك . وليخبرونا هل رضي الرجال بهذا الاختصاص وقنعوا بالزواج الفردي في أمة من الامم الى اليوم؟ أيوجد في أوروبا في كل مئة ألف رجل لايزني؟ كلا ان الرجل بمقتضى طبيعته وملكاته الوراثية لا يكتبني بامرأة واحدة اذ المرأة لا تكون في كل وقت مستعدة لغشيان الرجل إياها كما انها لا تكون في كل وقت مستعدة لثمرة هذا الغشيان وفائدته وهو النسل فداعية الغشيان في الرجل لا تنحصر في وقت دون وقت ولكن قبوله من المرأة محصور في أوقات وممنوع في غيرها . فالداعية الطبيعية في المرأة لقبول الرجل انما تكون مع اعتدال الفطرة عقيب الطهر من الحيض ، وأما في حال الحيض وحال الحمل والاثقال فتأبى طبيعتها ذلك وأظن أنه لولا توطئ المرأة نفسها على إرضاء الرجل والحظوة عنده ولولا ما يحده

التذكر والتخيل للذة وقعت في ابائها من العمل لاستعادتها لاسيما مع تأثير التريسة والعادات العمومية لكان النساء يأين الرجال في أكثر أيام الطهر التي يكن فيها مستعدات للعلوق الذي هو مبدأ الانتاج . ومن هذا التقرير يعلم ان اكتفاء الرجل بأمرأة واحدة تستلزم ان يكون في أيام طويلة مندفعاً بطبيعته الى الافشاء اليها وهي غير مستعدة لقبوله أظهرها أيام الحيض والانتقال بالحمل والنفاس وأقلها طهر - ورايام الرضاع لاسيما الاولى والايام الاخيرة من ايام طهرها وقد ينازع في هذه لغلبة لعادة فيها على الطبيعة . واما اكتفاء المرأة برجل واحد فلا مانع منه في طبيعتها والمصلحة للنسل بل هو الموافق لذلك اذ لا تكون المرأة في حال مستعدة فيها للملاسة الرجل وهو غير مستعد مادام في اعتدال مزاجهما . ولا نذكر المرض لان الزوجين يستويان فيه ومن حقوق الزوجية وآدابها ان يكون لاحدهما شغل تمرىض الآخر في وقت مصابه عن السعي وراء لذته . وقد ذكر عن بعض محققي الاوربيين ان تعدد الأزواج الذي وجد في بعض القبائل المتوحشة كان سببه قلة البنات لوأد الرجال إياهن في ذلك العصر - فهذه مقدمة خامسة

بعد هذا كله اجل طرفك مى في تاريخ الامة العربية قبل الاسلام تجدانها كانت قد ارتقت الى ان صار فيها الزواج الشرعي هو الاصل في تكون البيوت وان الرجل هو عمود البيت وأصل النسب وان تعدد الزوجات لم يكن محدودا بعدد ولا مقيدا بشرط وان اختلاف عدة رجال إلى امرأة واحدة يعد من الزنا المذموم، وأن الزنا على كثرته يكاد يكون خاصا بالاماء وقلما يأتية الحرائر الا أن ياذن الرجل امرأته بأن تستبضع من رجل يعجبها ابتغاء نجاة الولد، وأن الزنا لم يكن معيبا ولا عارا صدوروه من الرجل وانما يعاب من حرائر النساء . وقد حظر الاسلام الزنا على الرجال والنساء جميعا حتى الاماء فكان من يصعب جدا على الرجال قبول الاسلام والعمل به مع هذا الحجر بدون إباحة تعدد الزوجات ولولا ذلك لاستبيح الزنا في بلاد الاسلام كما هو مباح في بلاد الافرنج - فهذه مقدمة سادسة ولا تنس مع العلم بهذه المسائل ان غاية الترقى في نظام الاجتماع وسعادة البيوت (العائلات) ان يكون تكون البيت من زوجين فقط يعطي كل منهما الآخر ميثاقا غليظا على الحب والاخلاص، والثقة والاختصاص، حتى اذا مارزقا ولادا كانت عنايتهم متفقة على حسن تربيتهم ليكونوا قرة عين لهما ويكونا قدوة صالحة لهم في الوفاق والوئام والحب والاخلاص - فهذه مقدمة سابعة

فاذا انعمت النظر في هذه المقدمات كلها ، وعرفت فرعها وأصلها ، تجلى لك هذه النتيجة أو النتائج : هي ان الاصل في السعادة الزوجية والحياة البيتية هو ان يكون للرجل زوجة واحدة وان هذا غاية الارتقاء البشري في باب الكمال الذي ينبغي ان يربى الناس عليه ويقتنعوا به ، وأنه قد يعرض له ما يحول دون اخذ الناس كلهم به وتمس الحاجة الى كفالة الرجل الواحد اكثر من امرأة واحدة ، وان ذلك قد يكون لمصلحة الافراد من الرجل كان يتزوج الرجل بامرأة عاقر فيضطر الى غيرها لاجل التسل ويكون من مصلحتها أو مصاحبتها معان لا يطاقها وترضى بان يتزوج بغيرها لاسيما اذا كان ملكا وأميرا ، او تدخل المرأة في سن اليأس ويرى الرجل انه مستعد للاعقاب من غيرها وهو قادر على القيام بأود غير واحدة وكفاية أولاد كثيرين وتربيتهم ، او يرى ان المرأة الواحدة لا تكفي لاحصائه لان مزاجه يدفعه الى كثرة الافضاء ومزاجها بالعكس أو تكون فاركا من مشاها (أي تكره الزوج) أو يكون زمن حيضها طويلا ينتهي الى خمسة عشر يوما في الشهر ويرى نفسه مضطرا لأحد الأمرين التزوج بثانية أو الزنا الذي يضيع الدين والمال والصحة ويكون شرا على الزوجة من ضم واحدة اليها مع العدل بينهما كما هو شرط الاباحة في الاسلام ولذلك استبيح الزنا في البلاد التي منع فيها التعدد بالمرءة

وقد يكون التعدد لمصلحة الامة كأن تكثر فيها النساء كثرة فاحشة كما هو الواقع في مثل البلاد الانكليزية أو تقع حرب محتاجة تذهب بالألوف الكثيرة من الرجال فيزيد عدد النساء زيادة فاحشة تضطرهن الى السكسب والسبي في حاج الطبيعة ولا بضاعة لاكثرهن في السكسب الأبخساءهن . واذا هن بذاتها فلا تخفى على الناظر ماوراءها من الشقاء على المرأة لاكافل لها اذا اضطرت الى القيام بأود نفسها وأود ولديس له والد لاسيما عتیب الولادة ومدة الرضاعة بل الطفولية كلها . وما قال من قال من كائنات الانكليز بوجود تعدد الزوجات الا بعد النظر في حال البنات اللواتي يشتغلن في المعامل وغيرها من الاماكن العمومية وما يعرض لهن من هناك الاعراض والوقوع في الشقاء والبلاء . ولكن لما كانت الاسباب التي تبيح تعدد الزوجات هي ضرورات تتقدر بقدرها وكان الرجال انما يدفعون الى هذا الامر في الغالب لإرضاء للشهوة لاعمالا بالمصلحة وكان السكسب الذي هو الاصل المطلوب بعدم التعدد جعل التعدد في الاسلام رخصه لا واجبا ولا مندوبا لذاته وقيد بالشرط الذي نطقت به الآية الكريمة وأكدها مكررا فتأملها

قال تعالى : « وان خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى أن لا تعولوا » الخ فانت ترى أن الكلام كان في حقوق الايتام ولما كان في الناس من يتزوج باليتيمة الغنية ليتمتع بما لها ويهضم حقوقها لضعفها حذر الله من ذلك وقال ان النساء امامكم كثيرات فاذا لم تتقوا من أنفسكم بالقسط في اليتامى اذا تزوجتم بهن فعليكم بهن فذكر مسألة التعدد بشرطها ضمنا لاستقلالها والافرنج يظنون أنها مسألة من مهمات الدين في الاسلام . ثم قال « فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة » ولم يكتف بذلك حتى قال « ذلك أدنى أن لا تعولوا » أي إن الاكتفاء بواحدة أدنى وأقرب لعدم العول وهو الجور والميل الى أحد الجانبين دون الآخر من عال الميزان اذا مال وهو الارجح في تفسير الكلمة فكأن أمر العدل وجعل مجرد توقع الانسان عدم العدل من نفسه كاف في المنع من التعدد . ولا يكاد يوجد أحد يتزوج بثانية لغير حاجة وغرض صحيح يأمن الجور لذلك كان لنا ان نحكم بأن الذواقين الذين يتزوجون كثيرا المجردين للتقل في التمتع يوظنون أنفسهم على ظلم الاولى ومنهم من يتزوج لأجل ان يغيظها ويهينها ولا شك ان هذا محرم في الاسلام لما فيه من الظلم الذي هو خراب البيوت بل وخراب الأمم ، والناس عنه غافلون باتباع أهوائهم هذا ما ظهر لنا الآن في الجواب كتبناه بقلم العجلة على أننا كنا قد أرجأنا الجواب لنعم في المسألة ونراجع كتابا أورسالة في موضوعها لأحد علماء ألمانيا قيل لنا انها ترجمت وطبعت فلم يتيسر لنا ذلك فان بقي في نفس السائل شيء فليراجعنا فيه والله الموفق والمعين

﴿ الأعطار الافرنجية والكحول - طهارتها ﴾

(ص ٢١) أحمد أقدي عزمي بمصر :

الاستاذ يعلم ان أنواع الاعطار المستحضرة بمعامل أوروبا شغلت حيزاً كبيراً جداً في ميدان التجارة . وعلى تلك النسبة شاع استعمالها بين العموم خصوصاً العائلات ولازید الاستاذ علما بانى ربما جاورت في بعض صفوف الصلاة رجالا قد عم المسجد روائح ما باجسامهم وملابسهم من تلك الاعطار . على أننا نعلم من الفن ومن المشاهدة أن تلك المستحضرات جميعها يدخلها الكحول « اسبرتو » ويقولون إن الكحول نجس باجماع المذاهب الاربعة لتخميره وهو ينتج نجاسة كافة أنواع هذه الاعطار فاذا احت هذه النتيجة تبعاً لصحة المقدمة تكون مصيبة الامة الاسلامية من ذلك عظيمة جدا ولا غرابة في ذلك اذا علمنا ان الطهارة شرط في كثير من العبادات على ان السك

بني كل المسلمين واقعون في هذه المصيبة وهم يظنون انهم يحسنون صنعا .
 فهل للاستاذ حفظه الله للاسلام ان يخوض هذا الموضوع ويهدينا فيه الى سواء
 السبيل فان كنا مصيبين نبتنا على ما نحن عليه والا أعلنتم ذلك الخطأ العام والله يهدي
 من يشاء الى صراط مستقيم . والله يحفظكم لنا

(ج) ان هذه الاعطار طاهرة ومعاذ الله ان يجعل دين الفطرة الطيب قذارة
 وقد بينا ذلك بالتفصيل ، وإقامه الدليل تلو الدليل ، في المجلد الرابع من المنار وقد
 انتقد ذلك جاهل فرددنا عليه في نبتين عنوانهما (طهارة الكحول . والرد على ذي
 فضول) فليراجع ذلك كاه (في ص ٥٠٠ و ٨٢١ و ٨٦٦)

﴿ حضور عبادة النصارى ﴾

(س ٢٢) ١٠ ف . في أسيوط : يقيم المبعوثون الامريكانيون في مدارسهم حفلة
 سنوية يلقي فيها التلامذة خطبا علمية ومناظرات أدبية ويدعون لحضور هذه الحفلة
 من شاؤا من المسلمين وغيرهم . ومن المعلوم أنهم يقيمون في اول كل عمل لهم صلاة
 دينية كالتى يقيمونها عند افتتاح الحفلة . وهذه الصلاة عبارة عن دعا يطلبون به من المسيح
 بصفته ابنا لله وقاديا للناس (نعوذ بالله) أن يبارك الحفلة والمحتفلين . فهل يجوز للمسلمين
 اجابة هذه الدعوة ، وحضور هذه الحفلة ، وعند الصلاة يقفون جميعا بهذه الصلاة
 فهل يجوز قيام المسلمين معهم مجارة لهم ؟ ثم اذا لم يقفوا هل عليهم في سماع هذه الألفاظ
 وهذا الدماء من حرج ؟ أقفونا ولكم الفضل :

(ج) مجارة المسلم لغير المسلم وتشبهه به في عمل من أعمال دينه الخاصة به لا يجوز
 بحال والنصوص في كتب الفقه انه يعتبر ردة وخروجاً من الاسلام اذا كان بحيث
 يشبه بهم ويظن انه منهم . وأما مجرد رؤية صلاتهم وسماع دعائهم من غير مشاركتهم
 فيه فلا يحرم الاعلى من يخشى عليه ان يميل الى دينهم من الاطفال ونحوهم ودعا غير
 الله تعالى شرك في الاسلام وان كان ما يدعى به خير وقال الفقهاء ان الرضى بالشرك
 شرك ولا سكن مائل متفرج على شئ يرضى به . وما زال المسلمون في السلف والخلف
 يطلعون على عبادات أهل الملل كلهم ولم نعلم ان أحداً من الأئمة حرم ذلك أو أنه
 ورد في الكتاب والسنة حظر له . وقد بلغنا ان بعض جهال المسلمين الذين يحضرون
 احتفالاتهم في المدارس وغيرها يتشبهون بهم في صلاتهم ومجارتهم فيها ولكنك لا
 تجد من الذين دفعتهم الاهواء الى تحريم ما أحل الله من طعام ولباس لأنه تشبه

بالتصاري على زعمهم - وما التشبه في المباح بردة ولا محرم ان فرض - لا ينكرون على
الجهال عملهم هذا ولا يقولون كلمة في نصيحتهم « وأهواء النفوس ضروب »

المنار في تونس

كتب في إحدى الجرائد الفرنسية التونسية مقالة لكتاب تونسي جاء فيها ان
بعض المشايخ يخافون على نفوذهم أن يسقط اذا رسخت تعاليم المنار في نفوس طلاب
العلم وانهم رأوا لذلك ان يقاوموه بالجل والسعاية . وقد اكدت الجرائد العربية أن
هذا الخبر غير صحيح وهو المعقول اذ لو أنكر أحد المشايخ شيئاً في المنار لكتبوا
الينا فان النهي عن المنكر فرض ولا عذر لهم في السكوت عنه مع تصر بخنا مرا بأن من
أنكر علينا شيئاً فانا ننشر انكاره وقد فعلنا ذلك تكرر . ولا يكفي في الانكار على محلة
سيارة في الآفاق الاتقاد عليها أمام بعض الناس أو تفجيرهم عن قراءتها مع بقاء المنكر
ثابتاً منتشر بل لابد من إطلاع جميع القراء على الاتقاد ودليله . فكل من ينتقد المنار
في شيء خصوصاً أمر الدين وهو لم يكتب الينا بذلك فهو فاسق بسكوته عن نهينا وإرشادنا
والفاسق لا يقبل قوله المؤمنون .

المناظر والمنار

نحن نحجل المناظر ونعتقد إخلاصه في خدمة بلاده وبراءته من التعصب الذميم
ونحمد منه إطلاق حرية البحث للكتاب وان خالفوا رأيه وانما نناه على نشر مقالات
(سوريا والاسلام) لانها ضارة وهادمة لما يبني المناظر وغيره من بناء التأليف بين أهل
الوطن من حيث لا نثبت حقيقة . ولم نلمه لانها طعن في الاسلام كالم نلمه على نشر الرد
على مقالات الاسلام والتصراية مع علمنا بما فيها من الخطأ فليتأمل الرصيف العادل
في الفرق ، ولا نهده الاعجاب للحق ،

(تصحيح) جاء في الصفحة الأولى من الجزء الرابع في الآيات « فريقا ليكتمون »
والصواب « فريقامهم » فيجب ان تزد كلمة منهم قبل « ليكتمون » وجاء في الصفحة
١٦٨ منه ما يشعر بأن تيمنا الداري كان من اليهود والصواب انه كان نصرانيا فليرد بعد
اسمه (من علماء التصاري) يصح الكلام

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد آتاه خير كثير وما
يذكر إلا أول الألباب

المسحاة

١٣١٥

فيشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتمون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى ودمناراء كمنار الطريق)

(مصر - غرة ربيع الآخر سنة ١٣٢٢ - ١٥ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٤)

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

إِنَّ الصَّافَّاتِ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ وَأَعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا، وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ الْمَلَائِكَةُ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَصَلَّحُوا وَبَيَّنُّوا فَإِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ نَؤُوبٌ عَلَيْهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ *

علم مما تقدم ان مسألة تحويل القبلة جاءت في معرض الكلام عن معاندة المشركين وأهل الكتاب للنبي عليه الصلاة والسلام فكان التحويل

شبهة من شبهاتهم ، وتقدم أن من حكم تحويل القبلة الى البيت الحرام توجيه قلوب المؤمنين إلى الاستيلاء عليه - كما وجهون اليه وجوههم - لأجل تطهيره من الشرك وغيره كما عهد الله إلى أبيهم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وأن في طي « ولأتم نعمتي عليكم » بشارة بهذا الاستيلاء ، مفيدة للأمل والرجاء ، وقد علم الله المؤمنين بمد هذه البشارة ما يستعينون به على الوصول إليها هي وسائر مقاصد الدين من الصبر والصلاة وأشعرهم بما يلاقون في سبيل الحق من المصائب والشدائد ، فكان من المناسب بعد هذا أن يذكر شيئاً يؤكد تلك البشارة ويقوي ذلك الأمل فذكر شعيرة من شعائر الحج هي السعي بين الصفا والمروة فكان ذكرها تصريحاً ضمناً بأن سيأخذون مكة وقيمون مناسك إبراهيم فيها وتم بذلك لهم النعمة والهداية - لذلك قال (إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما) فهذه الآية ليست منقطعة عن السياق السابق لافادة حكم جديد لاعلانة له بما قبله كما توهم بل هي من تنمة الموضوع ومرتبطة به أشد الارتباط من حيث هي تأكيد للبشارة ومن حيث أن الحكم الذي فيها من مناسك الحج التي كان عليها إبراهيم الذي أحيا النبي دينه وجعلت الصلاة إلى قبلته ، كأنه قال لا تلوينكم قوة المشركين في مكة ، وكثرة الأصنام على الصفا والمروة ، عن قصد إلى تطهير البيت الحرام ، وإحياء تلك الشعائر العظام ، كما لا يلوينكم عن استقبال البيت تقول أهل الكتاب والمشركين ، ولا زال مرضي القلوب من المنافقين ، بل ثقوا بوعد الله ، واستعينوا بالصبر والصلاة ، والصفا والمروة جبلان بمكة والمسافة بينهما ٧٦٠ ذراعاً ونصف ،

ولهم في الشعائر كلام هنا لا بأس به وهو أن الشعيرة والشعار والشعارة تطلق على المكان وعلى العمل المخصوص الذي هو عبادة ونسك في آية أخرى « لا تحلوا شعائر الله » قالوا فالشعائر في الآية معناها العلامات واللغة تشهد لذلك - رمى رجل جرة فأصابت جبهة عمر (رضي الله عنه) فقال رجل: شعرت جبهة أمير المؤمنين: يريد جرحت سمي الجرح بذلك لأنه علامة وقال عند ذلك رجل لهبي: سيقتل أمير المؤمنين: وكان ما قال فأما كون المواضع كالصفا والمروة من علامات دين الله أو أعلام دينه فظاهر وأما كون المناسك والأعمال شعائر وعلامات فوجهه أن القيام بها علامة على الخضوع لله تعالى وعبادته إيمانا وتسليما. فالشعائر إذن لا تطلق إلا على الأعمال المشروعة التي فيها تعبد لله تعالى ولذلك غلب استعمال الشعائر في أعمال الحج لأنها تعبدية. قال في الصحاح: الشعائر أعمال الحج وكل ما جعل علما لطاعة الله عز وجل: وقال الزجاج في قوله تعالى « لا تحلوا شعائر الله » أي جميع متعبداته التي أشعرها الله أي جعلها إعلاما لنا: الخ فهو يريد أن الشعائر من أشعره بالشيء أعلمه به وقد صرح بذلك ولكنه لا يدل بهذا على معنى التعبد إذ قد أعلمنا الله تعالى بالاحكام التي لا تعبد فيها أيضا الاستاذ الامام: في الاحكام التي شرعها الله تعالى نوع يسمى بالشعائر ومنها ما لا يسمى بذلك كأحكام المعاملات كافة لأنها شرعت لمصالح البشر فلها علل وأسباب يسهل على كل إنسان أن يفهمها فهذا أحد أقسام الشرائع والقسم الثاني هو ما تعبدنا الله تعالى به كالصلاة على وجه مخصوص وكالتوجه فيها الى مكان مخصوص سماه الله بيته مع أنه من خلقه كسائر العالم. فهذا شيء شرعه الله وتعبدنا به لعلنا بأن فيه مصلحة لنا ولكننا نحن لا نفهم سر ذلك

تمام الفهم من كل وجه . وهذا النوع يوقف فيه عند نص ما شرعه الله تعالى لا يزداد فيه ولا ينقص منه ولا يقاس عليه ولا يؤخذ فيه برأي أحد ولا باجتهاده اذ من العبث أن يعمل الانسان ما لا يعرف له فائدة لقول من هو مثله وهو مستعد لأن يفهم كل ما يفهمه . ولا يأتي هذا العبث في امثال أمر الله تعالى لانا نعتقد أنه برحمته وحكمته لا يشرع لنا الا ما فيه خيرنا ومصالحتنا وانه بعلمه المحيط بكل شيء يعلم من ذلك ما لا نعلم والتجربة تؤيد هذا الاعتقاد فان الطائمين القائمين بحقوق الدين تصالح أحوالهم في الدنيا ، ويرجى لهم في الآخرة ما يرجى ، وان لم يفهموا فهماء كاملا فائدة كل جزئية من جزئيات العمل فمثلهم كما قال الغزالي مثل من وثق بالطبيب وجرب دواءه فوجده نافعا ولكنه لا يعرف أية فائدة لكل جزء من أجزائه ونسبته الى الأجزاء الأخرى وحسبه أن يعلم أن هذا الدواء المركب نافع يشفي باذن الله من المرض .

السمي بين الصفا والمروة من هذا النوع التعبدى فهو مطلوب بقوله تعالى (فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما) وهذا التطوف هو الذى عرف فى الاصطلاح بالسمي بين الصفا والمروة وفسرته السنة بالعمل واذ كان مشروعاً فسواء كان ركناً كما يقول الأئمة الثلاثة أو واجباً كما يقول الحنفية . وقوله عز وجل « فلا جناح عليه » قالوا انه للإشارة الى تخطئة المشركين الذين كانوا ينكرون كون الصفا والمروة من الشعائر وان السمي بينهما من مناسك إبراهيم فهو لا يتنافى الطلب جزماً وكذلك قوله تعالى (فمن تطوع خيراً) فان معنى التطوع فى أصل اللغة الإتيان بما فى الطوع أو بالطاعة وإطلاقه على الندب اصطلاح للفقهاء .

وقوله تعالى (فان الله شاكر عليم) معناه فان الله يشييه لانه شاكر يجزي على الاحسان، عليم بمن يستحق الجزاء ومن لا يستحقه
الاستاذ الامام : وصف الباري تعالى بالشاكر لا يظهر على حقيقته فلا بد من حمله على المجاز فالشكر في اللغة مقابلة النعمة والاحسان ، بالثناء والعرفان ، وشكر الله في اصطلاح الشرع صرف نعمه فيما خلقت لأجله وكلاهما لا يظهر بالنسبة الى الله تعالى إذ لا يمكن أن يكون لأحد عنده يد أو يناله من أحد نعمة فالمعنى إذن ان الله تعالى قادر على إثابة الحسنيين ، وأنه لا يضيع أجر العاملين ، فسميت بهذا المعنى مقابلة العامل بالجزاء الذي يستحقه شكرا وسمى الله تعالى نفسه شاكرا . والنكته في اختيار هذا التعبير تعليمنا الأدب فقد علمنا سبحانه وتعالى بهذا أدبا من أكل الآداب بما سمي إحسانه وإنعامه على العاملين شكرا لهم مع أن عملهم لا ينفعه ولا يدفع عنه ضرا فيكون إنعاما عليه ويذا عنده وإنما منفعته لهم فهو في الحقيقة من نعمه عليهم اذ هداهم إليه وأقدرهم عليه . فهل يليق بمن يفهم هذا الخطاب الأعلى أن يرى نعم الله عليه لا تعد ولا تحصى وهو لا يشكره ولا يستعمل نعمه فيما سيق لآجله ؟ ثم هل يليق به أن يرى بعض الناس يسدي اليه معروفوا ولا يشكره له ويكافئه عليه وان كان هو فوق صاحب المعروف رتبة وأعلى منه طبقة ؟ كيف وقد سمي الله تعالى جده وجل ثناؤه إنعامه على من يحسنون الى أنفسهم وإلى الناس شكرا والله الخالق وهم المخلوقون ، وهو الغني الحميد وهم الفقراء المعوزون ، شكر النعمة والمكافأة على المعروف من أركان العمران وترك الشكر والمكافأة مفسدة لا تضاهيها مفسدة إذ هي مدعاة ترك المعروف كما أن

الشكر مدعاة المزيد ولذلك أوجب الله تعالى علينا شكره وجعل في ذلك مصلحة لنا ومنفعة لنا لأن كفران نعمه باهمالها أو بعدم استعمالها فيما خلقت لأجله أو بعدم ملاحظة أنها من فضله وكرمه تعالى - كل ذلك من أسباب الشقاء والبلاء . وأما ترك شكر الناس وتقدير أعمالهم قدرها سواء كان عملهم النافع موجها اليها أو الى غيرنا من الخلق فهو جناية على الناس وعلى أنفسنا لأن صانع المعروف اذا لم يلق الا الكفران فان الناس يتركون عمل المعروف في الغالب فتحرم منه ونقع مع الاكثرين في ضده فتكون من الخاسرين . وانما قلنا « في الغالب » لأن في الناس من يصنع المعروف ويسمى في الخير رغبة في الخير والمعروف وطلبها لاكمال ولكن أصحاب هذه النفوس الكبيرة والأخلاق العالية التي لا ينظر ذروها الى مقابلة الناس لأعمالهم بالشكر ولا يصدحهم عن الصنيعة جهل الناس بقيمة صنيعتهم فلما تكد القرون واحدا منهم ، ثم ان كفران النعم لا بد أن يؤثر في نفس من عساه يوجد منهم فان لم يكن أثره ترك السعي والعمل كان الفتور والوني فيه واذا لم يدع المعروف لكفران الناس تركه لليأس من فائدته ، أو للحذر من سوء مغبته ، اذ الحاسدون من الاشرار ، يسعون دائماً في إيذاء الاخيار ، كذلك الشكر يؤثر في إنهاض همة اعلياء الهمة من المخلصين في أعمالهم الذين لا يريدون عليها جزاء ولا شكورا . ذلك أنهم يرون عملهم الخير نافعا فيزيدون منه ، كما أنهم اذا رأوه ضائعا يكفون عنه ، قال الاستاذ الامام بعد بيان حسن أثر الشكر في المخلصين ، ويروون في هذا حديثا ارتقى به بعضهم الى درجة الحسن وهو « عجبت لمحمد كيف يسمن من أذنيه ، أي كان اذا ذكرت أعماله الشريفة وسمعه في الخير

المطلق يُسر ويسمن - وهذا وهو صلى الله عليه وسلم أخلص المخلصين
انفاني في الله تعالى الذي لا يبتغي بعمله غير مرضاته فكيف لا يكون أجدر
بذلك غيره ممن اذا سلم من الانبعاث الى الخير بباعث توقع الشكر والثناء
فلا يكاد يسلم من حب الثناء لذاته فضلا عن مقت الكفران والكنود

ثم قال تعالى (ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من اليناث والهدى من
بعد ما بيناه للناس في الكتاب) الخ . هذه الآية عود الى أصل السياق وهو
مجاودة النبي ومعاذته من الكفار عامة ومن اليهود خاصة والكلام في
القبلة انما كان في معرض مجادتهم له وجاء فيه أنهم يعرفونه كما يعرفون
أبناءهم وان فريقا منهم يكتُمون الحق وهم يعلمون ولم يذكر هناك وعيد
هؤلاء الكائمين لأن ذكر الكتمان ورد مورد الاحتجاج عليهم وتسليية
لنبي والمؤمنين على إيدائهم ثم عاد هنا فذكره

أما هذا الكتمان فهو انكار أخبار أنبيائهم عنه وإشارتهم به وجعل
ذلك حجة سلبية على انكار نبوته اذ كانوا يقولون ان الانبياء يبشرون
بعض ولم يبشروا بأن سيبعث نبي من العرب أبناء اسماعيل ولم يحىء
بيان في كتبهم عن دينه وكتابه فالتة تعالى يقول أنهم يكتُمون ما أنزل في
شأن محمد صلى الله عليه وآله وسلم من بعد ما بينه لهم في الكتاب وهو اسم
جنس يشمل جميع كتب الانبياء عندهم . وقد اختلف الناس في كيفية
هذا الكتمان فقال بعضهم إنهم كانوا يحذفون أوصافه والبشارات فيه بالمرّة
وهو غير معقول اذ لا يمكن أن يتواطأ أهل الكتاب على ذلك في جميع
الاقطار ولو فعله الذين كانوا في بلاد العرب لظهر اختلاف كتبهم مع
كتب اخوانهم في الشام وأوربا مثلاً . ويذهب آخرون الى أن الإنكار

كان بالتحريف والتأويل وحمل الاوصاف التي وردت فيه والدلائل التي تثبت نبوته على غيره حتى اذا سئلوا : هل لهذا النبي ذكر في كتبكم : قالوا : لا : على أن في كتبهم أوصافا لا تنطبق الا على نبي في بلاد العرب وأظهرها مافي التوراة وكتاب أشعيا فانه لا يقبل التأويل الا بغاية التعمل والتمسف . كذلك فعلوا بالدلائل على نبوة المسيح فانهم أنكروا انطباقها عليه وزعموا انها لغيره ولا يزالون ينتظرون ذلك الغير

وقد بين الله تعالى في هذه الآية أنهم لم يقتصروا على كتمان الشهادة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتأويل بل كتموا مافي الكتاب من الهدى والارشاد بضروب التأويل حتى أفسدوا الدين وانحرفوا بالناس عن صراطه وذکر جزاءهم فقال (أولئك) اي الذين كتموا اليينات والهدى فخرموا النور السابق والنور اللاحق (يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) أما لعن اللاعنين فليس معناه أنه ينبغي أو يطلب لعنهم وانما معناه أنهم بفعلتهم هذه موضع للعنة اللاعنين الآتي ذكره في الآية التالية (الا الذين تابوا) عن الكتمان (وأصلحوا) عملهم بالأخذ بتلك اليينات عن النبي ودينه والهدى المطابق لما جاء به (ويدينوا) ما كانوا يكتُمونه . وفيه وجه آخر وهو ان المراد ويدينوا إصلاحهم وجاھروا بعملهم الصالح وأظهروه للناس فان بعض الناس يعرف الحق ويعمل به ولكنه يكتُم عمله ويسره موافقة للناس فيما هم فيه لئلا يعيبوه وهذا ضرب من الشرك الخفي وإيثار الخلق على الحق لذلك اشترط في توبتهم إظهار إصلاحهم والمجاهرة بأعمالهم ليكونوا حجة على المنكرين ، وقدوة صالحة لضعفاء التائبين ، قال تعالى (فأولئك أتوب عليهم) أي أرجع وأعود عليهم بالرحمة والرافة ، بعد الحرمان المعبر عنه باللعة ، قال الاستاذ وهذا

من ألطف أنواع التأديب الإلهي فانه لم يذكر أنه يقبل توبتهم كما هو الواقع بل أسند الى ذاته العلية فعل التوبة الذي أسنده اليهم وزاد على ذلك من تأنيبهم وترغيبهم أن قال (وأنا انتواب الرحيم) يصف نفسه سبحانه بكثرة الرجوع والتوبة فأني ترغيب في ذلك أبلغ من هذا وأشد تأثيرا منه لمن يشعر ويعقل

ثم ان العبرة في الآية هي أن حكمها عام وان كان سببها خاصا فكل من يكتم آيات الله وهدايته عن الناس فهو مستحق لهذه اللعنة . ولما كان هذا الوعيد وأشباهه حجة على الذين لبسوا لباس الدين واتحلوا الرئاسة لأنفسهم بعلمه حاولوا التفتي منه فقال بعضهم ان الكتمان لا يتحقق الا اذا سئل العالم عن حكم الله تعالى فكتمه وأخذوا من هذا التأويل قاعدة هي أن العلماء لا يجب عليهم نشر ما أنزل الله تعالى ودعوة الناس اليه وبيانهم وانما يجب على العالم أن يجيب اذا سئل عما يعلمه وزاد بعضهم اذا لم يكن هناك عالم غيره والا كان له أن يحيل على غيره وهذه القاعدة مسلمة عند أكثر المنتسبين للعلم اليوم وقبل اليوم بقرون . وقد زدها أهل العلم الصحيح فقالوا ان القرآن الكريم لم يكتف بالوعيد على الكتمان بل أمر ببيانه للناس وبالدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأوعده من يترك هذه الفريضة وذكر لهم العبر فيما حكاها عن الذين قصرُوا فيها من قبل كقوله تعالى « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه » الخ وقوله « ولتكن أمة يدعون الى الخير - الى قوله في المتفرقين عن الحق - وأولئك لهم عذاب عظيم » وقوله « لمن الله الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى

ابن مريم - الى قوله في عصيانهم الذي هو سبب لعنتهم - كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه » فأخبر تعالى أنه لعن الأئمة كلها لتركهم التناهي عن المنكر . نعم ان هذا فرض كفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقيين ولكن لا يكفي في كل قطر واحد كما قال بعض الفقهاء بل لا بد أن تقوم به أمة من الناس كما قال الله لتكون لهم قوة ولنهمهم وأمرهم تأثير

وذهب بعض المأولين مذهباً آخر فقال ان هذا الوعيد مخصوص بالكافرين فترك المؤمن فريضة من الفرائض كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يستحق به وعيد الكافرين فيلحقه بالكفار . وهذا كلام قد ألفتة الاسماع، وأخذ بالتسليم واستعمل في الافحام والاقناع، فان الذي يسمعه على علاته يرى نفسه ملزماً برمي تاركي الأمر بالمعروف والدعوة الى الخير والنهي عن المنكر بالكفر وذلك مخالف للقواعد التي وضعوها للعقائد فلا يستطيع أن يقول ذلك . ولكنه اذا عرض على الله في الآخرة وعلى كتابه في الدنيا يظهر أنه لاقية له ، واذا بحث فيه يظهر لك ان الذي يرى حرمة الله تنتهك أمام عينيه ، ودين الله يداس جهاراً بين يديه ، ويرى البدع تمحو السنن ، والضلال يغشى الهدى ، ولا ينبض له عرق ولا ينفع له وجدان ، ولا يندفع لنصرته بيد ولا بلسان ، هو هذا الذي اذا قيل له أن فلاناً يريد أن يصادرك في شيء من رزقك (كالجراية مثلاً) أو يحاول أن يتقدم عليك عند الأمراء والحكام، تجيش في صدره المراجيل ، ويضطرب باله ، ويتألم قلبه ، وربما تجافى جنبه عن مضجعه ، وهجر الرقاد عينيه ، ثم انه يجهد ويجتهد ويعمل الفكر في استنباط الحيل وإحكام التدبير لمداغمة ذلك الخصم أو الايقاع به ،

فهل يكون لدين الله تعالى في قلب مثل هذا قيمة، وهل يصدق أن الإيمان قد تمكن من قلبه، والبرهان عليه قد حكم عقله، والاذعان إليه قد ثابح صدره،؟ يسهل على من نظرفي بعض كتب العقائد التي بنيت على أساس الجدل أن يجادل نفسه ويغشها بما يسليها به من الاماني التي يسميها إيماناً ولكنه لو حاسبها فناقشها الحساب ورجع الى عقله ووجدانه لعلم أنه اتخذ إلهه هواه، وانه يعبد شهوته من دون الله، وأن صفات المؤمنين التي سردھا الكتاب سرداً، وأحصاھا عدداً، - وأظهرھا بذل المال والنفس في سبيل الله، ونشر الدعوة وتأييد الحق، - كلها بريئة منه، وان صفات المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم كلها راسخة فيه، فليحاسب امرؤ نفسه قبل أن يحاسب، وليتب الى الله قبل حلول الأجل لعله يتوب عليه وهو التواب الرحيم

قال تعالى: (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) تقدم في الآية السابقة استحقاق اللعن للكافرين بكتمان الحق واستثنى منهم الذين يتوبون ثم ذكر في هذه الآية وما بعدها بيان أولئك اللاعنين وشرط استحقاق اللعن الأبدى الذي يازمه الخلود في دار الهوان وهو أن يموتوا على كفرهم . فأولئك تسجل عليهم اللعنة ويخلدون فيها لا تنفعهم معها شفاعة ولا وسيلة . قال بعض المفسرين ان المراد بالناس هنا المؤمنون كأئن غيرهم ليسوا من الناس وحجتهم ان حمله على ظاهره وهو العموم لا يصدق على أهل دين أولئك الكفار ومذاهبهم اذ لا يلعنونهم . قال الاستاذ الامام وهو احتجاج ضعيف فان أهل مذاهبهم اذا كانوا لا يلعنون الاشخاص الذين يعرفونهم منهم

فهم اذا شرحت لهم أحوالهم في كفرهم وإصرارهم على غيهم وإعراضهم عن سعادتهم وحال الداعي الى الحق معهم وذكر لهم كيف يجاهدونه ويماندونه فهم يلغنونهم أو يرونهم محلا للجنة ومستحقين لأشد العقوبة كأن المراد ان هؤلاء الكافرين المصيرين على كفرهم الى الموت هم أهل اللعنة وموضع لها من الله ومن عالم الملائكة الروحانيين، ومن الناس أجمعين، فان الكافر من الناس اذا ذكر له الكفر وأهله وعنادهم واستكبارهم عن الحق يلغنونهم ولكنه قد يخطيء في حمل صفات الكفر على أصحابها . والنكته في ذكر لعنة الملائكة والناس مع ان لعنة الله وحده كافية في خزيهم ونكالهم هي بيان أن جميع من يعلم حالهم من العوالم العلوية والسفلية يراهم محلا لللعنة الله ومقتله فلا يرجي ان يراف بهم رائف، ولا أن يشفع لهم شافع، لأن اللعنة صبت عليهم باستحقاق عند جميع من يعقل ويعلم . ومن حرمه سعيه من رحمة الرؤف الرحيم فماذا يرجو من سواه؟

قال (خالد بن) فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) قالوا ان الخلود في اللعنة عبارة عن الخلود في أثرها وهو النار بقريئة «لا يخفف عنهم العذاب» ولا أذكر عن الاستاذ الامام في هذا شيئا ولكن خطرت لي أن الكلام يصح على وجه آخر توافق طريقتيه وهو أن اللعن بمعنى الطرد فيصح أن يكون الخلود فيه عبارة عن دوامه هو أي هم مطرودون من رحمة الله تعالى طردا أبديا لا يرجي لهم أن يسلموا منه لأن الكفر الذي استحقوه به هو غاية ما يكتسبه المرء من ظلمة الروح والجناية على الحق وتدسية النفس فتى مات انقطع عمله وبطل كسبه فامتنع أن يجلي تلك الغمة، وينير هاتيك الظلمة، وحرم من الرجوع الى الحق، ومن تركية النفس، فسجل عليه دوام العذاب

لأنه نشأ عن وصف لازم له فهو دائم بدوام ذاته التي هي علته ، وامتنع
أيضاً أن ينظر ويمهل فيه ، لأنه لم يكن من شيء خارج عنه ، فهو الجاني
والمعذب لنفسه ، فأى شيء يرجو من غيره ، ؟



مناظرة بين مقلد وصاحب حجة

(الوجه الخامس والستون) قولكم قد صرح الائمة بجواز التقليد كما قال سفيان
: اذا رأيت الرجل يعمل العمل وأنت ترى غيره فلا تهمه : وقال محمد بن الحسن : يجوز
للعالم تقليد من هو أعلم منه ولا يجوز له تقليد مثله : وقال الشافعي في غير موضع : قلته
تقليداً لعمر وقلته تقليداً لثمان وقلته تقليداً لعطاء : جوابه من وجوه (أحدها) انكم ان
ادعيت أن جميع العلماء صرحوا بجواز التقليد فدعوى باطلة فقد ذكرنا من كلام الصحابة
والتابعين وأئمة الاسلام في ذم التقليد وأهله والنهي عنه ما فيه كفاية وكانوا يسمون
المقلد الامعة ومحقب دينه كما قال ابن مسعود : الامعة الذي يحقب دينه الرجال : وكانوا يسمونه
الاعمى الذي لا بصيرة له ويسمون المقلدين أتباع كل ناعق ، يملون مع كل صائح ، لم يستضيؤوا
بنور العلم ، ولم ياجأوا الى ركن وثيق ، كما قال فيهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم
الله وجهه في الحجة وكما سماه الشافعي حاطب ليل ونهى عن تقليده وتقليد غيره فجزاء
الله عن الاسلام خيراً لقد نصح لله ورسوله والمسلمين ودعا الى كتاب الله وسنة رسوله
وأمر باتباعهما دون قوله وأمر بان تعرض أقواله عليهما فيقبل منها ما وافقهما ويرد
خالفهما فتحن تناشد المقلدين هل حفظوا في ذلك وصيته وأطاعوه أم عصوه وخالفوه ،
وإن ادعيت ان من العلماء من جاز التقليد فكان ما رأى الثاني أن هؤلاء الذين حكيت
عنهم انهم جوزوا التقليد لمن هو أعلم منهم هم من أعظم الناس رغبة عن التقليد واتباعاً
للحجة ومخالفة لمن هو أعلم منهم فأنتم مقرون ان أبا حنيفة أعلم من محمد بن الحسن
ومن أبي يوسف وخلافهما له معروف وقد صح عن أبي يوسف انه قال : لا يحل لاحد
أن يقول مقالتي حتى يعلم من أين قلنا (الثاني) انكم منكرون أن يكون من قلتموه من
الائمة مقلداً لغيره اشد الانكار وقعتم وتقدمتم في قول الشافعي : قلته تقليداً لعمر وقلته

تقليدا لعثمان وقتله تقليد اعطاء واضطربتم في حمل كلامه على موافقة الاجتهاد أشد
الاضطراب وأدعيتم أنه لم يقلد زيدا في الفرائض وإنما اجتهد فوافق اجتهاده اجتهاده
ووقع الحاطر على الحاطر حتى وافق اجتهاده في مسائل المعادة حتى في الاكدرية
وجاء الاجتهاد حذو القذة بالقذة فكيف نصبتموه مقلدا ههنا. ولكن هذا التناقض جاء
من بركة التقليد ولو اتبعتم العلم من حيث هو واقتديتم بالدليل وجعلتم الحجة اماما لما
تناقضتم هذا التناقض وأعطيتم كل ذي حق حقه. (الثالث) ان هذا من أكبر الحجج عليكم
فان الشافعي قد صرح بتقليد عمر وعثمان وعطاء مع كونه من أئمة المجتهدين وأنتم مع
إقراركم بأنكم من المقلدين لاترون تقليد واحد من هؤلاء بل اذا قال الشافعي وقال عمر
وعثمان وابن مسعود فضلا عن سعيد بن المسيب وعطاء والحسن تركتم تقليد هؤلاء
وقلتم الشافعي وهذا عين التناقض نالفتموه من حيث زعمتم انكم قلتموه فان قلتم
الشافعي فقلدوا من قلده الشافعي فان قلتم بل قلدناهم فيما قلدهم فيه الشافعي قيل لم يكن
ذلك تقليدا منكم لهم بل تقليدا له والافلوجاء عنهم خلاف قوله لم تلتفتوا الى أحد منهم.
(الرابع) ان من ذكرتم من الائمة لم يقلدوا تقليدكم ولا سوغوه البتة بل غاية ما نقل
عنهم من التقليد في مسائل يسيرة لم يظفروا فيها بنص عن الله ورسوله ولم يجدوا فيها
سوى قول من هو أعلم منهم فقلدوه وهذا فعل أهل العلم وهو الواجب فان التقليد
انما يباح للمضطر وامام من عدل عن الكتاب والسنة وأقوال الصحابة ومن معرفة
الحق بالدليل مع تمكنه منه الى التقليد فهو كمن عدل الى الميتة مع قدرته على المذكي
فان الاصل أن لا يقبل قول الغير الا بدليل الا عند الضرورة فجعلتم أنتم حال الضرورة
رأس أموالكم.

(الوجه السادس والستون) قولكم قال الشافعي: رأي الصحابة لنا خير من رأينا
لأنفسنا: ونحن نقول ونصدق رأي الشافعي والائمة لنا خير من رأينا لأنفسنا: جوابه
من وجوه: (أحدها) انكم أول مخالف لقوله ولا ترون رأيهم لكم خيرا من رأي الائمة
لأنفسهم بل تقولون رأي الائمة لأنفسهم خير لنا من رأي الصحابة لنا فاذا جاءت الفتيا
عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسادات الصحابة وجاءت الفتيا عن الشافعي وأبي حنيفة
ومالك تركتم ما جاء عن الصحابة وأخذتم ما أتى به الائمة فهلاك رأي الصحابة لكم

خيرا من رأى الائمة لكم لو نصحتهم انفسكم (الثاني) ان هذا لا يوجب صحة تقليد من سوى الصحابة لما خصهم الله به من العلم والفهم والفضل والفقه عن الله ورسوله وشاهدوا الوحي والتلقي عن الرسول بلا واسطة ونزول الوحي بلغتهم وهي غضة محضة لم تشب ومراجعتهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما أشكل عليهم من القرآن والسنة حتى يجليه لهم فمن له هذه المزية بعدهم؟ ومن شاركهم في هذه المنزلة حتى يقلد كما يقلدون؟ فضلا عن وجوب تقليده وسقوط تقليدهم أو تحريمه كما صرح به غلاتهم وتالله ان بين علم الصحابة وعلم من قلدهم من الفضل كما بينهم وبينهم وفي ذلك قال الشافعي في الرسالة القديمة بعد أن ذكرهم وذكر من أعظمهم وفضلهم: وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل وأمر استدرك به علم واراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من رأينا: قال الشافعي: وقد أثبتني الله على الصحابة في القرآن والتوراة والانجيل وسبق لهم من الفضل على آسان نبيهم ما ليس لاحد بعدهم وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم ينجي قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته» وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أفتق مثل أحد ذهباً ماباغ مد أحدهم ولا نصيفه» وقال ابن مسعود: إن الله نظر في قلوب عباده فوجد قلب محمد خير قلوب العباد ثم نظر في قلوب الناس بعده فرأى قلوب أصحابه خير قلوب العباد فاخترهم لصحبته وجعلهم أنصار ووزراء نبيه فارآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن وما رأوه قبيحا فهو عند الله قبيح:

وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باتباع سنة خلفائه الراشدين وبالاقتداء بالخلفين. وقال أبو سعيد: كان أبو بكر أعلمنا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وشهد رسول الله عليه وآله وسلم لابن مسعود بالعلم، ودعا لابن عباس بأن يفقهه الله في الدين، ويعلمه التأويل، وضمه إليه مرة وقال: «اللهم علمه الحكمة» وناول عمر في المنام القماح الذي شرب منه حتى رأى الري يخرج من تحت أظفاره وأوله بالعلم وأخبر أن القوم أنطاعوا أبا بكر وعمر يرشدوا. وأخبر لو كان بعده نبي لسكان عمر. وأخبر أن الله جعل الحق على لسانه وقلبه. وقال: «رضيت لكم ما رضي لكم ابن

أم عبد - يعني عبد الله بن مسعود - وفضائلهم ومناقبهم وما خصهم الله به من العلم والفضل أكثر من أن يذكر فهل يستوي تقليد هؤلاء وتقليد من بعدهم ممن لا يداينهم ولا يقاربهم؟ (الثالث) إنه لم يختلف المسلمون أنه ليس قول من قلدهم حجة وأكثر العلماء بل الذي نص عليه من قلدهم أن أقوال الصحابة حجة يجب اتباعها ويحرم الخروج منها كما سيأتي حكاية ألفاظ الأئمة في ذلك وأبلغهم فيه الشافعي ونبين أنه لم يختلف مذهبه : أن قول الصحابي حجة : ونذكر نصوصه في الجديد على ذلك إن شاء الله وإن من حكي عنه قولين في ذلك فأنما حكي ذلك بلازم قوله لا بصريحه وإذا كان قول الصحابي حجة فقبول قول حجة واجب متعين وقبول قول من سواه أحسن أحواله أن يكون سائفا ققياس أحد القائلين على الآخر من أفسد القياس وأبطله .

(الوجه السابع والستون) قولكم : وقد جعل الله سبحانه في فطر العباد تقليد المتعلمين للمعلمين والاستاذين في جميع الصنائع والعلوم إلى آخره : فجوابه إن هذا حق لا ينكره عاقل ولكن كيف يستلزم ذلك صحة التقليد في دين الله وقبول قول المتبوع بغير حجة توجب قبول قوله وتقديم قوله على قول من هو أعلم منه وترك الحجة لقوله وترك أقوال أهل العلم جميعا من السلف والخلف لقوله : فهل جعل الله ذلك في فطرة أحد من العالمين ؟ ثم يقال بل الذي فطر الله عليه عباده طلب الحجة والدليل المثبت لقول المدعي فذكر الله سبحانه في فطر الناس أنهم لا يقبلون قول من لم يقم الدليل على صحة قوله ولأنجل ذلك أقام الله سبحانه البراهين القاطعة ، والحجج الساطعة ، والأدلة الظاهرة ، والآيات الباهرة ، على صدق رسوله إقامة للحجة ، وقطعا للمعذرة ، هذا وهم أصدق خلقه وأعلمهم ، وأبرهم وأكملهم ، فأتوا بالآيات والحجج والبراهين مع اعتراف أممهم لهم بأنهم اصدق الناس . فكيف يقبل قول من عداهم بغير حجة توجب قبول قوله . والله تعالى إنما أوجب قبول قولهم بعد قيام الحجة ، وظهور الآيات المستلزمة لصحة دعواهم ، لما جعل في فطر عباده من الانقياد للحجة وقبول صاحبها وهذا أمر مشترك بين جميع أهل الأرض مؤمنهم وكافرهم ، وبرهم وفاجرهم ، الانقياد للحجة وتمظيم صاحبها وإن خالفوه عنادا وبغيا فلفوات أغراضهم بالانقياد ولقد أحسن القائل :

ابن وجه قول الحق في قاب سامع * ودعه فنور الحق يسري ويشرق
سيؤنسه رشداً وينسى فقاره * كما نسي التوثيق من هو مطلق
فقطرة الله وشرعه من أكبر الحجج على فرقة التقليد .

(الوجه الثامن والستون) قولكم : ان الله سبحانه قاوت بين ذوي الازهان ،
كما قاوت بين قوى الابدان ، فلا يليق بحكمته وعدله ان يمرض على كل أحد معرفة
الحق بدليله في كل مسألة إلى آخره : فنحن لا نكر ذلك ولا ندعي ان الله فرض على
جميع خلقه معرفة الحق بدليله في كل مسألة من مسائل الدين دقة وجهه وانما أنكرنا
ما أنكره الأئمة ومن تقدمهم من الصحابة والتابعين وما حدث في الاسلام بعد انقضاء
القرون الفاضلة في القرن الرابع المذموم على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم من نصب رجل واحد وجعل فتاويه بمنزلة نصوص الشارع بل يقدمها عليه
ويقدم قوله على أقوال من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من جميع أمته والاكتفاء
بتقليده عن تلقي الاحكام من كتاب الله وسنة رسوله وأقوال الصحابة وان يضم الى
ذلك انه لا يقول الا بما في كتاب الله وسنة رسوله، وهذا مع تضمنه للشهادة بما لا يعلم
الشاهد والقول بلا علم والاختبار عن خالفه وإن كان أعلم منه أنه غير مصيب للكتاب
والسنة ومتبوعي هو المصيب أو يقول كلاهما مصيب للكتاب والسنة وقد تعارضت
أقوالهما فيجمل أدلة الكتاب والسنة متعارضة متناقضة والله ورسوله يحكم بالشيء
وضده في وقت واحد ودينه تبع لآراء الرجال وليس له في نفس الامر حكم معين
فهو اما ان يسلك هذا المسلك أو يخطي من خالف متبوعه ولا بد له من واحد من
الامرین وهذا من بركة التقليد عليه اذا عرف هذا فنحن انما قلنا ونقول : إن
الله تعالى أوجب على العباد ان يتقوه بحسب استطاعتهم وأصل التقوى معرفة من يتق
ثم العمل به فالواجب على كل عبد ان يبذل جهده في معرفة من يتقيه بما أمره الله به
ونهاه عنه ثم يلتزم طاعة الله ورسوله وما خفي عليه فهو فيه أسوأ أمثاله عن عدا الرسول
فكل أحد سواء قد خفي عليه بعض ما جاء به ولم يخرج ذلك عن كونه من أهل العلم
ولم يكلفه الله ما لا يطيق من معرفة الحق واتباعه . قال أبو عمرو : ليس أحد بعد
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا وقد خفي عليه بعض أمره فاذا أوجب الله

سبحانه على كل أحد ما استطاعه وبلغته قواه من معرفة الحق وعذره فيما خفي عليه منه فأخطاه أو قلد فيه غيره كان ذلك هو مقتضى حكمته وعدله ورحمته بخلاف ما لو فرض على العباد تقليد من شاؤا من العلماء وأن يختار كل منهم رجلاً ينصبه معياراً على وجهه ويعرض عن أخذ الأحكام واقتباسها من مشكاة الوحي فإن هذا يناقض حكمته ورحمته واحسانه ويؤدي الى ضياع دينه ، وهجر كتابه وسنة رسوله كما وقع فيه من وقع وبالله التوفيق .

(لها بقية)

باب السؤال والفتوى

فتعنه هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبتنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فإن لم تذكره كان عندنا سبب صحيح لا غفاله

(التوارث مع اختلاف الدين)

(س ٢٣) أحمد أفندي صبحي في (أشمون) : ما هو حكم شريعتنا الفراء في شخص كان مسيحياً فأسلم ثم توفي والده فهل يرثه أم لا

(ج) انه لا توارث مع اختلاف الدين ومن المسلمين من يمتنع لمثل حادثة السؤال ولكنهم اذا تنبهوا الى ان هذه المسألة من المعاملات التي تحكم فيها الشريعة العادلة بالمساواة ولاحظوا انه لا يرضيهم ان يرث الولد اذا تنصر او هود مثلاً من أبيه المسلم يظهر لهم أنه يجب عليهم أن يرضوا بالعكس ويفتخروا بشريعة المساواة والعدل

﴿ خلود الكافر في النار ﴾

(س ٢٤) محمد أفندي حلمي كاتب سجون (حلفا) : هل حقيقة ان الكافر والنصراني يخلدون في النار أم كيف الله بنصه

(ج) نطق القرآن العزيز بأن الكافرين والمنافقين يخلدون في النار وأكده في آيات وجاء في غيرها استثناء «الا ماشاء ربك» فأولوه بعده وجوه كما أولوا اطلاق الخلود في جزاء القتل في قوله تعالى «ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها» الآية . وقالوا ان المراد بالخلود طول المسكن واستقر رأي المتكلمين على أن من بلغته دعوة

نبينا صلى الله عليه وسلم على وجه صحيح يحرك الى النظر فلم يؤمن عناد الحق أو جودا على تقليد آباءه وقومه فهو خالد في الدار التي أعدها الله تعالى للكافرين والمجرمين وأشهر أسمائها (النار) وإن لم تكن كلها ناراً بل فيها بر دوزمهر يركد ورد. واستنتوا من هذا الحكم من بلغت الدعوة فنظر فيها وبحث بجذوا خلاص فلم يظهر له الحق ومات على ذلك غير مقصر في النظر فقالوا انه يعذر عند الله تعالى لانه لا يكلف الله نفساً الا وسعها

﴿ إرم ذات العماد ﴾

(س ٢٥) ومنه : ما هو تفسير « إرم ذات العماد »

(ج) إرم في الآية عطف بيان لقوله (عاد) أو بدل منه في وجه والمعنى ماد التي هي إرم أي عاد الأولى وهي قبيلة عربية وفيها بعث الله هودا عليه السلام ولهم في وصفها بذات العماد أقوال منها ما روي عن ابن عباس ومجاهدان المراد بالعماد القدود الطوال وينقل ان طولهم كان يبلغ اثني عشر ذراعاً ولعله مبالغة . وفي رواية أخرى عن ابن عباس ان المراد بذات العماد ذات الحيام التي تقام على الاعمدة وكانوا أهل بادية وحل وزحال وهذا هو المتبادر . وقيل ذات العماد ذات الرفعة على الاستعارة وهو بعيد . وما في كتب القصص وبعض كتب التفسير من ان إرم مدينة صفتها كيت وكيت فهو من خرافات القصاصين .

﴿ أحياء النبي للموتى ﴾

(س ٢٦) ومنه : موضح في الجزء الخامس من مجلة المنار (ص ١٨٩ س ١٧) ان سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام أحياء ابن جابر ولم أجده ما ثبت لي ذلك فأرجو تفصيل هذه العبارة

(ج) يريد السائل الجزء الخامس من المجلد السادس والعبارة هناك خطأ والصواب (شاة جابر) والحديث أخرجه أبو نعيم وفيه انه صلى الله عليه وسلم أحياء الشاة بعد ما طبخت وأكلت والحديث ضعيف وإنما ذكرناه هناك على سبيل التمثيل . وأخرج البيهقي في الدلائل أن رجلاً جاء النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا أو من بك حتى تحيي لي ابنتي وفيه انه جاء قبرها وسألها هل تحب الرجوع الى الدنيا فأجابت الخ وهو كسابقه

لا يصح له سند ، على أن نقل هذه المعجزات هو أقوى مما ينقل أهل الكتاب وغيرهم عن أنبيائهم اذ لا أساس لهم يعرف تاريخ رجالها فيقال هذا سند صحيح أو ضعيف

الحكمة في اختلاف الناس في الدين ❦

(س ٢٧) حسين أفندي الجمل معاون البريد في (بور سعيد) : ما الحكمة في خلق العالم مؤمنين وكفاراً ولم لم يكونوا كلهم مؤمنين

(ج) لم يخلق الله كافراً قط بل كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما ورد في الحديث . خلق الله تعالى هذا الانسان وأعطاها المشاعر والعقل ، وجعله مستعداً لمعرفة الخير والشر ، والحق والباطل ، بنظره واستدلاله ، ليجازي على كسبه وعمله ، ويكون هو سبب سعادة نفسه أو شقاءها ، ولو خلقه لا كسبه ولا إرادة ولا اختيار لكان اما ملكاً روحانياً أو حيواناً أعجمياً لا مؤمناً ولا كافراً فمن يريد ان يكون نوع الانسان على غير ماهو عليه فهو يريد في الحقيقة عدم هذا النوع بالمرّة

❦ إثبات استدارة الارض ودورانها من القرآن ❦

(س ٢٨) ومنه : هل في القرآن الشريف ما يؤيد قول القائلين باستدارة الارض

ودورانها حول الشمس

(ج) نعم انهم يؤيدون هذه الدعوى بمثل قوله تعالى « يَكُوْرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُوْرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ » فان هذا يكاد يكون نصاً صريحاً في كروية الارض إذ به يتصور التفاف النور والظلام عليها وما أحسن هذا التعبير والطفه . ومثله قوله تعالى « يَغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا » وهذا ظاهر في الدلالة على كروية الارض ايضاً ورأيت مختار باشا الغازي — وهو من تعرف في البراعة بالعلوم الفلكية — يقول ان هذا دليل قطعي على الكروية وعلى دوران الارض معا اذ لا يستقيم المعنى بدونهما . على انه ليس من مقاصد الدين بيان حقائق المخلوقات وكيفياتها وانما يذكر ذلك في القرآن للمبرة والاستدلال على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته

اما كون حدوث الليل والنهار بسبب حركة الارض فلا نعرف فيه نصاً صريحاً في القرآن ولكن يمكن ان يستنبط منه استنباطاً وفي كتاب (صفوة الاعتبار) للشيخ محمد بيرم الخامس التونسي فصل في هذا الموضوع تكلم فيه أولاً على اثبات كروية الارض

بكلام الحكماء والفقهاء والصوفية والاستدلال عليه ببعض الآيات القرآنية ثم ذكر خلاف الحكماء في سبب الليل والنهار هل هو حركة الارض على محورها تحت الشمس أم حركة الشمس بفلكها حول الارض وأن الثاني هو الذي كان مرجحاً عند المتقدمين ومنهم المسلمون ثم قال مانصه

« ثم أحيى المذهب الاول وتأكد الآن عند علماء العصر بهذا الفن وأنكره المنسوبون لاسلم من المسلمين ظناً منهم أن المذهب الاول من عقائد الاسلام وان المذهب الآخر مصادم للنصوص والحق أن ايس شيء من هذا ولا من ذلك هو مما يجب اعتقاده عندنا وانما المدار عندنا على الاعتبار بالآثار المشاهدة من الليل والنهار واشباه ذلك واثبات جريان للشمس وأما كيفيته فلا تعاق لها بالعقائد وسير الشمس ثابت على كلا المذهبين لان المتأخرين يثبتون لها حركة رحوية على نفسها وحركة ثانية على منطقة لها أيضاً ثم حركة ثالثة لها مع جميع ما يتبعها من الكواكب حول شيء مجهول كما أن هذه الدورة مجهولة المستقر أيضاً وكأنها المشار إليها بقوله تعالى « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » وذلك أن المستقر أتى بلفظه منكرآ للابهام فيفيد انه غير معلوم لاخلاق ولهذا أتى به مضافاً الى الشمس باللام فكان منكرآ ولم يقل مستقرها بالإضافة المفيدة للتعريف لأن ذلك المستقر غير معروف وعلماء هذا الفن الآن من غير المسلمين مقرون بذلك فهو حينئذ دليل اجماعي ينشأ وينهم

« ثم ان ككون حدوث الليل والنهار هو من آثار دوران الارض ربما كانت آيات عزيزة تشير اليه فمنها الآية المتقدمة (يعني قوله تعالى « وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يفتكرون ») فانه تعالى بعد أن ذكر الدلائل على وجوده من السماء (أي بقوله قبل هذه الآية « الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها وسخر الشمس » الخ) ذكر الدلائل الارضية وخرط فيها الليل والنهار فيشير ذلك الى انها من آثار الارض لان وجودها وان كان يستلزم الشمس والارض معاً لكن تخصيصه بالانحراف في الدلائل الأرضية يدل على تعلق خاص وهو كون دورانها هو السبب على أن منطوق الآية فيه تدعيم لهذا حيث قال « يغشي الليل النهار » فجعل الليل

الذي هو ظلمة الارض يغطي به النهار الذي هو ضوء الشمس فيه تلميح الى أن الارض هي التي تحدث ذلك بفعل الله

« ومن الآيات المشيرة الى ذلك أيضا قوله تعالى « والشمس وضحاها * والقمر اذا تلاها * والنهار اذا جلاها * والليل اذا يغشيها * » فجعل النهار الذي هو مقابلة وجه الارض للشمس مجليا لها . والليل الذي هو الظلمة الاصلية للارض ممشيا لها (كان ينبغي ان يقول غاشيا لها) فأسند فاعلية ذلك لغير انشمس بل لفاعل آخر وهو الليل والنهار الذي هو من آثار الارض . واذا كان هذا ثابتا فما يدل من الآيات على طلوع الشمس وغروبها وغير ذلك يمكن تأويله باعتبار الابصار والعرف الجاري في اللسان اه وهو حسن وأنت ترى الذين يعتقدون بأن الارض تدور على محورها فيكون الليل والنهار من ذلك يقولون طاعت الشمس وغربت ويقولون : غطست في البحر ، وبينها وبين البحر مقدار كذا :

﴿ مطالعة كتب الملل غير الاسلامية ﴾

(س ٢٩) م ٠ خ ٠ في (تونس) : ما هو حكم الله فيمن يطالع الكتب السماوية الاخرى مثل التوراة بقصد الاحاطة خبرا بما جاء في غير شريعتنا وهل كان النهي عن قراءتها عاما . اذا سلمنا ذلك تكون الشعوب غير الاسلامية ممتازة على المسلمين بعدم منع أنفسهم إجابة النظر في القرآن الشريف فيستفيدون مما جاء فيه من الآيات البينات ويحتجون به علينا به عند الزوم ونحن لا نقدر ان نقابلهم بالمثل لأن كتبهم مغلقة في وجوهنا . أفيدونا بما علمكم الله من العلم ولحكم أجران أجر المفيد وأجر المصيب (ج) الامور بمقاصدها فمن يطالع كتب الملل بقصد الاستعانة على تأييد الحق ورد شبهات المعترضين ونحوه وهو مستمد لذلك فهو عابدة تعالى بهذه المطالعة واذا احتجج الى ذلك كان فرضا لازما وما زال علماء الاسلام في القديم والحديث يطلعون على كتب الملل ومقالاتهم ويردون عليهم بما يستخرجونه منها من الدلائل الالزامية وناهيك بمثل ابن حزم وابن تيمية في الفارين وبرحمة الله الهندي صاحب اظهار الحق في المتأخرين . أرايت لولم يقرأ هذا الرجل كتب اليهود والنصارى هل كان يقدر على ما قدر عليه من إلزامهم وقهرهم في المناظرة ومن تأليف كتابه الذي أحبط اعمال

دعاهم في الهند بل وغير الهند . رأيت لولم يفعل ذلك هو ولا غيره اما كان ياثم هو
وجميع اهل العلم وهم يرون عوام المسلمين تأخذهم الشبهات من كل ناحية ولا
يدفعونها عنهم ؟

نعم انه ينبغي منع التلامذة والعوام من قراءة هذه الكتب لئلا تشوش عليهم
عقائدهم وأحكام دينهم فيكونوا كالغراب الذي حاول ان يتعلم مشية الطاووس فنسي
مشيته ولم يتعلم مشية الحجل

﴿ اخبار الانسان بعمره ﴾

(س ٣٠) ومنه : رأيت ببعض الكتب المعتمدة ان الشيخ محمد بن أبي بكر بن
الحاج قاضي غرناطة سئل عن عمره فلم يجب قائلا انه ليس من المروءة ان يخبر الرجل
بسنه كذا قال الامام مالك اه فلم أعتد لفائدة هذا الحظر الذي نسب لامام دار
الهجرة لانه يظهر باديء بدء أن هذا القول مخالف لما هو مسطر بكتب تراجم
الرجال حيث نجد فيها أعمار الاعيان المترجم لهم ولا شك ان ذلك سرى للمؤلفين
بأحد وجهين اما بالتواتر والنقل عن أولئك الاعيان أنفسهم واما بالوقوف على تقييدات
وقع العصور عليها بعد وفاتهم فاذا سلمنا ان ما نسب للامام مالك صحيح الرواية فلا
يمكن تأويله الا بانه ليس من المروءة ان يقوم الانسان خطيبا بين الناس مجاهراً بعمره
من دون ان يسئل عن ذلك لان صنيعة والحالة تلك يعد ضرباً من الهذيان ولم يطالبه
أحد بالتعريف بعمره . وأما اذا عكسنا النازلة وفرضنا ان الرجل يسأله سائل عن
سنه سيما اذا كان ذلك لمصلحة مثل اشهار فضله وتعريف الناس به فلا شبهة في ان
انص المعزوة لاسيدنا مالك بن أنس لا ينطبق على هاته الحال ولا يقال انه غير صاحب
مروءة اذا أجاب سائله عن سؤاله وأنت ترى أن تسجيل الاعمار بالبلاد الافرنجية
ضربة لازب على الذكر والانثى وان مشاهير رجالهم معروفة أعمارهم ومرسومة
تحت كل ورقة ولم يضرهم ذلك شيئاً ولم يخس أحد ثمن مروءتهم فما معنى هذا الحظر
علينا حتى في الجزئيات التي لاعلقة لها بالدين مثل هاته أقنونا بما علمكم الله من
العلم لازم محط وحال المستفيدين .

(ج) ان المسألة ليست من أمر الدين في شيء واذا صحت الرواية عن الامام مالك

فهو لا يقصد بها الحظر الشرعي بمعنى انه يقول ان اخبار الانسان بعمره محرم أو مكروه شرعا ، كلا انها مسألة أدبية وكانوا لا يرون من الادب ولا من الذوق ان يسئل الانسان عن عمره أو عن ماله أو أن يخبر هو بذلك بغير سبب كما هو مذكور في كتب الادب والمحاضرة ولا يزال كثير من الناس لاسيما الشيوخ في البلاد الاسلامية على هذا الرأي أو الذوق ويختلف سببه باختلاف الاشخاص ولعل الشيوخ يحبون ان يكونوا دائما على مقربة من عصر الشباب وقلما يوجد شاب يحب ان يظن ان سنه أكثر مما هي في الواقع الا اذا توهم أن في ذلك نقصا من مهابته كأن يكون ذا منصب أصابه في سن الصبا ويرى ان الناس لو علموا بسنه لاستكثروه عليه كما جرى للقاضي يحيى ابن أكرم فقد نقل ابن خالكان عن تاريخ بغداد للخطيب ان يحيى ابن أكرم ولي قضاء البصرة وسنه عشرون سنة أو نحوها فاستصغره أهل البصرة فقالوا كم سن القاضي فعلم أنه قد استصغر فقال: أنا أكبر من عتاب ابن أسيد الذي وجه به النبي صلى الله عليه وسلم قاضيا على مكة يوم الفتح ، وأنا أكبر من معاذ ابن جبل الذي وجه به النبي (ص) قاضيا على اليمن وأنا أكبر من كعب بن سور الذي وجه به عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاضيا على أهل البصرة : فجعل جوابه احتجاجا .

وجلة القول انهم كانوا لا يستحسنون ان يسئل المرء عن عمره أو ماله أو يخبر هو به وما كانوا يقولون ذلك الحاجة وان الاحساس الذي كان عند الشيوخ فيما يظن هو ان ذكر السن يستلزم تذكر الموت وقرب الرحيل واما إحساس الشبان فهو ما ذكرناه آنفا من توهم الاستصغار . وهذا هو السبب في الاختلاف في تحديد أعمار أكثر العلماء والعظماء وعدم الجزم بتاريخ مواليدهم وبناء تاريخهم على وفياتهم فان قيل ان الكاملين من الأئمة والفضلاء يجلون عن كتمان أعمارهم لمثل هذا الاحساس : نقول نعم ولكنهم يجارون من يعاشرون على ما يستحسنون ويستقبحون ما لم يخل بالمصلحة كما قلتم لانه من آداب المعاشرة العامة والمروءة تختلف باختلاف عرف الناس ، ألا ترى أن أكثر أهل المشرق يرون كشف الرأس في المحافل مخلا بالمروءة ويرى عكس ذلك الافرنج ومن قلدتهم في آدابهم

﴿علامات الاستفهام والتعجب وغيرهما في الكتابة العربية﴾

(س ٣١) ومنه : حصل لي توقف عند قراءة المنار الثاني من هذه السنة من

استعمال طابعه أو مصححه للعلامات الاصلاحية عند الافرنج من نقطة الاستفهام ونقطة التعجب وعلامة العطف الخ مع كون اللغة العربية غنية عن ذلك وبالأخص منها القرآن المجيد الذي هو في أعلى درجات البيان كما لا يخفى وتراكيها تؤدي معنى الاستفهام والتعجب وكل ما يخيله الفكر وينطق به اللسان وأنكرت ذلك سيما وأنه لم يسبق له سابق بهذه المجلة البديعة فما الباءت على ذلك نرجو الافادة ، وان كانت بالجواز واعتبار تلك العلامات مثل علامات الرفع والنصب والحذف والسكون المصطلح عليها عندنا فليكن الجواب بالبسط حتى يزول ما وقع في النفس . وفي هذا المقام نقول : اني لم أفتح أحدا في شأن هذا التوقف الذي حصل والذي لا ينبغي ان يفهم منه الاعتراض بل مجرد الاسترشاد :

(ج) قد عني المسلمون بكتابة القرآن عناية عظيمة فلم يكتفوا بوضع النقط في منتهى آياته حتى زادوا على ذلك علامات الوقف والابتداء وجعلوا ذلك على أقسام الوقف التام والمطلق والجائز والممنوع الا لضرورة ضيق النفس . ووضعوا هذه الاقسام حروفا تدل عليها كليم والطاء والجيم و(لا) يكتبونها صغيرة في موضع الوقف . وكان لقائل أن يقول ان الله جعل القرآن سورا وجعل السورة آيات وجعل للآيات فواصل تعرف بها فهو غني عن هذه المحسنات ولكنهم لم يقولوا ذلك بل أجمعوا على استحسان هذا التحسين في الكتابة الذي ينه الى المعاني المفهومة بذاتها لأهل اللغة لأنها في أعلى درج البيان . ولو وضعوا يومئذ علامات أخرى لمقول القول يعرف بها متى يبتدىء وأين ينتهي والاستفهام والتعجب لكانوا لها أشد استحسانا فيما نظن لأن اعانتها على الفهم ليست دون اعانة علامات الوقف فكثيرا ما يأتي القول المحكي في القرآن من غير ان يتقدمه : قال وقالوا : وكثيرا ما يشبهه على غير العالم التحرير انتهاء القول المحكي كما ترى المفسرين يختلفون في بعض الآيات هل هي من القول المحكي أم ابتداء كلام جديد . وكذلك يحكي الاستفهام أحيانا مع حذف أداته وكذلك التعجب ، والاستفهام أنواع منه الحقيقي ومنه الانكاري والتعجبي والتوبيخي فلو وضع لكل نوع منها علامة لكان ذلك معينا على الفهم بسهولة ولتقبله علماء السلف بأحسن قبول . ولكن علماءنا لم يخطر ببالهم هذا أيام يقدر كل تحسين وكل اصلاح قدره لعدم الحاجة اليه كهذا الزمان

ثم أنهم لم يستعملوا المحسنات التي وضعوها لكتابة القرآن في غيره مما لا يداينه في بيانه وسهولته وكان ينبغي تعميم هذه الإصلاح بأن توضع نقط في اواخر الجمل التامة وعلامات وقف حيث يحسن الوقف في اثناء الكلام ولوفعلوا ذلك لكان فيه ترغيب في قراءة الكتب واعانة على الفهم بل افسد المتأخرون ما وضعه المتقدمون من الفصول في الكلام اقتداء بسور القرآن ومعنى هذا الفصل ان يكون فارق بين الكلامين بيباض في الطرس يبدأ بعده بالكلام الجديد ولعلهم ظنوا ان لفظ الفصل هو المقصود فصاروا يكتبونه في وسط السطر ويبقى الكلام به متصلا في الكتابة بحيث لا يرى الناظر في الصحف الاسودا في سواد وذلك مما ينفر عن القراءة او يقلل من النشاط فيها ولذلك لم يكتب علماءنا بكون القرآن مقسما الى سور حتى قسموه الى أجزاء وقسموا كل جزء الى أحزاب وأرباع وجعل بعضهم لكل عشر آيات علامة والغرض من هذا كله التنشيط على القراءة . فعلمنا من هذا ان كل ما يمين في الكتابة على فهم المعنى فهو حسن ومنها علامات الاستفهام والتعجب التي سبقنا اليها الا فرنج فهم يضعونها وان كان في الكلام ما يدل على المقصود بدونها كما ترى في اللغة الانكليزية فان صيغة الخبر عندهم مخالفة لصيغة الاستفهام وهم يضعون للاستفهام علامة مع هذا . وما في المنار من هذه العلامات هو من وضع منشئه فهو المحرر والمصحح وليس لغيره في المنار عمل الا ما كان من قول نسب الى قائله بالتصريح أو الإشارة . وليس هذا جديدا فيه وانما تنبه اليه السائل في الجزء الذي ذكره ولوراجع المجلدات الماضية لوجد هذه العلامات وعلامات القول والحكاية (: « ») وغير ذلك فيها ولكنها لم تلتزم التزاما في كل جملة . وهو يراها من المحسنات لاسيما حيث يكون في الكلام ما يقضي التعجب من جهة المعنى وليس فيه صيغة التعجب وحيث تكون الجملة أو الجمل المبدوءة بأداة الاستفهام طويلة يتوقع أن ينسى بعض القراء في نهايتها ان القول كله موضع للاستفهام ، وهو لم ير مانعا من استعمال هذا التحسين لادنيا ولا غير ديني . واما هذه العلامة (،) فنستعملها للسجع وما يشبهه من الفصل بين الجمل قبل تمام المعنى

— العمر الطيبي —

(س ٣٢) ومنه : أرجو الافادة على صفحات المنار أيضا عن عمر الانسان الطيبي

وهل يصح ان نعتقد مثلاً ان سلمان الفارسي عاش ٣٥٠ سنة فضلاً عن كون بعض اصحاب الطبقات يزعم أنه عاش اكثر من ذلك وبعضهم نقل انه ادرك المسيح فان هذه للسألة هي مدار كلام اهل الأذب عندنا اليوم

(ج) ان ما ذكرتموه عن عمر سلمان (رض) لم ينقل بسند صحيح على سبيل الجزم وانما قالوا انه توفي سنة خمس وثلاثين في آخر خلافة عثمان وقيل اول سنة ست وثلاثين وقيل توفي في خلافة عمر والاول اكثر . قال العباس بن يزيد قال اهل العلم عاش سلمان ٣٥٠ سنة فأما ٢٥٠ فلا يشكون فيه . قال ابو نعيم كان سلمان من المعمرين يقال انه ادرك عيسى ابن مريم وقرأ الكتابين ، اه من (اسد الغابة) فانت ترى ان الرواية الاولى الاولى مشكوك فيها فإنا بالك بالاخيرة المحكية يقال وهي انه ادرك المسيح . وعباس بن يزيد قال الدارقطني تكلموا فيه فقلوه لا يؤخذ على غرة على انه يجوز ان يعيش الانسان ٢٥٠ سنة ولا يوجد دليل علمي يحدد العمر الذي يمكن ان يعيشه الانسان بحيث تقطع انه يستحيل اكثر من ذلك . وقد نشر في المقتطف الذي صدر في صفر سنة ١٣١١ مانصه :

﴿ إطالة العمر ﴾

بحث احد العلماء في سبب الشيخوخة فاستنتج انه اذا امتنع الانسان عن الاطعمة التي تكثر فيها المواد الترابية واكثر من أكل الفاكهة ذات العصاير الكثير وشرب كل يوم ثلاثة اكواب من الماء القراح في كل منها عشر نقط من الحامض الفسفوريك الخفيف لتذيب ما يرسب في عضلاته من أملاح الكلوس (الجير) طال عمره كثيراً وقد يعمر حينئذ مئتي عام ، اه

فانت ترى ان علماء العصر يجوزون ان يعيش الانسان مئتي سنة بالتدبير الصحي وحسن المعيشة من غير أن تكون بنيته قد امتازت بقوة زائدة على المعتاد وهم لا ينكرون ان بعض الناس يخلقون أحياناً متمعين بقوى خارقة للعادة وهؤلاء يكونون مستعدين لعمر أطول اذا لم يقا جهتهم القدر بما يقطع مدد الاستعداد . اما العمر الطبيعي للانسان الذي يرى الاطباء انه خلق ليحيشه لولا ما يجنيه على نفسه بالافراط والتفريط فهو مئة سنة وذلك بالقياس على سائر الحيوانات اذ ثبت لهم بالاستقراء ان الحيوان يعيش ثلاثة

أمثال الزمن الذي يتم نموه فيه . ولكن لا يكاد يخلو قطر من الاقطار في عصر من الأعصار عن بعض الناس الذين يتجاوزون المئة وقد ذكر بعض علماء أوربا في كتاب له اشخاصا بلغوا نحو ١٧٠ سنة . أما نوح عليه السلام ، فالراجح انه كان في عصر كانت فيه طبيعة الارض وبنية الانسان ، على غير ماهي عليه الآن ، ثم تغيرت بالطوفان ، وذهب بعض أهل الكتاب الى أن سنهم لم تكن كسنينا بل كانوا يسمون الفصل سنة وحكت الكتب السماوية خبرهم على اصطلاحهم ، وهو يحتاج الى نقل وتاريخ ذلك العصر مجهول بالمرّة فلا يعرف عنه شيء الا بالوحي وما يفيد العلم الحديث من اختلاف أطوار الأرض واختلاف حال الاحياء بحسب ذلك فلا تقيس طبيعتها الحديثة وهي ما بعد الطوفان على طبيعتها قبل ذلك

وجلة القول: ان الذي قالوه عن اعتقاد في عمر سلمان رضي الله عنه هو انه ٢٥٠ سنة ولكن الرواية فيه ليست بحيث يجزم بها ولا يوجد دليل علمي يحمل على الجزم بكذبها فهي محتملة الصدق وغيرها ظاهر الكذب لاسيما القول بكونه أدرك المسيح اذ لو كان كذلك لحدث عنه وتوفرت الدواعي على نقله عنه ولم ينقل الا ما ينافيه وهو انه أخذ النصرانية قبل الاسلام عن بعض القسوس (راجع قصته في آخر المجلد الرابع من المنار)

﴿ الصفاء والمروة - تطهير المسمى ﴾

(س ٣٣) السيد علي الامين الحسيني من علماء سوريا: لدى تشرقي بالحج الى بيت الله الحرام في سنة عشرين من المائة الرابعة بعد الألف من هجرة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم كان أكبرهمي وقت السعي بين الصفاء والمروة التحفظ من القذرات الملوثة لكل ساع هناك مما ألقاه اهل الدكاكين والاسواق المكتشفة بهذا المشعر الشريف ومما يعرض عليه من دواب القوافل والمستطرقين فضلا عن الغبار الذي يثور من الأرض التي لم يجعل لها امتياز في التنظيف والرصف عن سائر الأزقة كما هو حقه او من المشقات التي تعرض هناك مدافعة القوافل للساعين والاختلاط بهم الموجب لا يذائم والخلل بأعمالهم وهيئتهم الشاغلة لهم عن توجه القلب واستشعار الرقة والخشوع في هذا المشعر فكادت أقضي المعجب من قلة الالتفات لهذا الامر وعدم الاهتمام فيه ولم تحقق المانع من التحجيج بين الفريقين بالفولاذ والحديد وفرش المسمى بالرخام بل والبسط الفاخرة

ودفع هذه المشقة عن المتطوفين كما يصنع بالمساجد المشرفة والمشاهد المعظمة أو ليس من ذلك تعظيم شعائر الله وهل هناك سر لعدم انتفاع أهل الزوة من مسلمي الآفاق الذين لم يخل منهم عام لذلك وعدم تصديهم له فإن لاح لكم شيء خال عن التقص وافدتمونا يكن لكم الفخر والأجر والافان نشرتم شيئاً نافعا بذلك فهو الممهور من سجاياكم ومساعدكم النافعة في الدين ولازمت مرجعاً للمسلمين آمين آمين

(ج) حسبنا أن ننشر هذا التنبيه الذي ورد في صورة السؤال لعل بعض أهل الغربة يسعى في تنظيف ذلك المكان وتطهيره وتسهيل اقيام بشعبيرة السعي في ذلك الموضع الذي شرف الله قدره بذكره من كتابه المجيد. واننا لانعرف سبب اهل العناية به ولم نره قبدي رأينا فيما ينبغي عمله تفصيلاً فنسأل الله أن يمن علينا بذلك

القسم العمومي

﴿ هذا أوان العبر ﴾

﴿ فهل نحن أحياء فنعتبر ﴾

أن كل ما يحيط بنا من أحوال الأمم ، وأعمال البشر وآثار العقول ، وثمار العلم والعدل ، وتناجج الجهل ، وفضائح الظلم ، آيات للعبر ، وبيئات لا تحتاج في الحكم الى كثير نظر ، يلمسها الاعمى بيده ، ويراه البصير حتى في نفسه وبيته وبلده وجواره ، فالمرء في هذا العصر حينما كان وأتى التفت وأينما اتجه يرى من آثار العبر ما ينعظ به العاقل ، ويتنبه الغافل ، أفليس من العجب ان يكون المسلمون فاقدون الشعور بهذا المحيط غافلين عن تلك العبر يتعسفون في أخريات الامم ، تعسف الخابط في ظلام الجحالة مع وضوح الطريق ووفور أسباب السلامة والاهتداء

ربما كان يقوم لهم المذر يوم اذ كانت الارض متناثية الاطراف . متباعدة الاقطار . تنشأ في قطر منها دولة وتدول أخرى فلا يسمع أهل قطر آخر بما كان فيه وما صار اليه الا بما ينقله السفار بعد سنين عاريا عن الحقيقة بعيدا عن وجوه العبر . فما عذرهم في هذا العصر وقد تضامت أطراف الارض بقوة البخار ، واتصلت أقطارها ببعضها ببعض بأسلاك البرق ، وارتبط سكانها بروابط التعاون والأنجار فاختلطوا اختلاط الامة الواحدة

على بسيط واحد وتعرف أهل كل قطر أحوال القطر الآخر تعرف الجار بأمور جاره فصار ما يحدث في أقصى الشرق في الصباح يعلمه أهل المغرب في المساء ففقد المسلمون يلمسون آثار الأمم الأخرى لمساءً، ويسمعون أخبارها يوماً فيوماً. وتساق إليهم العبر كل يوم سوقاً، ويرى كل فرد منهم نتائج ترقى الأمم بعينه، ويشاهد آثارها حتى في ملبسه ومأكله ومسكنه، ومع هذا فكأنما هم في وادٍ والعالم في وادٍ يرتقي غيرهم وينزلون، ويصعد سواهم ويتدلون، فما علة هذا الخمود الشامل وإلى أية غاية هم صائرون،

أخذت الأمم أسباب العلم النافع وشيدت صروح المدينة الحاضرة فعمم شأنها وتضاعفت قوتها فانكفأت دولها على أرجاء الأرض تدوخ الممالك وتستأثر بالسيادة على الأرض إلا هذا الفريق العظيم من البشر وهم المسلمون فإنهم أصبحوا طعمة كل جائع، ومطعم كل طامع، تمزق ممالكهم الدول المسيحية، وتستعبد لهم الأمم القرية، فلا تأخذهم نمرة الوطن ولا الدين ولا الجنس، ولا تنهض بدولهم القيرة ولو على سيادتهم المطلقة في استعباد المسلمين، فالخاكم منهم والمحكوم شقي مهضوم، والأمة كالفرد موجود في حكم المعدوم،

كل من أطلق غنان النظر على سكان الأرض يرى أن تنازع البقاء بين الأمم قائمة حربه الآن بين أقسامهم الثلاثة الكبرى الذين إليهم ينتهي السلطان على أرجاء الأرض وهم المسلمون والمسيحيون والوثنيون (اتباع كونفوشيوس وبوذه) وقد كانت الدول المسيحية منذ تسلمت بسلاح العلم الجديد وآنت من نفسها القدرة على مكافحة دول الأرض واندفعت للفتح والاستعمار لا ترى لها خصماً قوياً جباراً ينازعها الملك في أفريقيا وآسيا منازعة القرن للقرن إلا المسلمين ولم تكن تحفل بذلك القسم الآخر من الاثنين بل كانت تظن أن زلزال الساعة العظيم إنما يكون يوم تخوض جيوشها عباب الممالك الإسلامية وتخطو أول خطوة لمناوأة دول الإسلام فيصدها الاحجام تارة ويسوقها الاقدام أخرى حتى إذا مزقت حجاب الرهبة ومضت في وجهتها الاستعمارية بالحدعة تارة والحرب أخرى انكشف لها من حال المسلمين وضعف دولهم ما أزال ارتياها من جهة ذلك الخصم الموهوم ووطدت عزيمتها على إتمام الرغبة وإنجاح الطلبة فبث جنود العلم والقوة في أنحاء آسيا وأفريقيا ورفعت أعلام الفتح على أكثر ممالك الإسلام

وصرفت تلك الدول عن الاذهان ذلك الوهم الذي كان سائدا على ساستها من جهة قوة المسلمين الذين نازعهم الملك في كل بقعة من آسيا وأفريقيا فغلبهم عليه وانما منعهم عن الاجهاز على البقية الباقية منهم تنازعهم على كيفية اقتسامها. ولم يخطر لاساسة تلك الدول يوم كانت ترهب جانب المسلمين ان الفريق الثالث الذي ينتهي اليه السلطان أيضا على قسم عظيم من الارض وهم أتباع كوفوشوس وبوذه أعظم خطر أعلى الدول المسيحية من المسلمين وأشد لدادة وخصاماً في موقف النضال عن الحوزة والتنازع على الملك والسلطان حتى قامت في هذه الآونة دولة اليابان تناهض أعظم الدول المسيحية قوة وأضعفهم ملكاً وسطوة وتدافعها عن حوزة الملك الموروث للجنس الاصفر منذ دعا الله الارض وجعل الصين على رأي البوذيين منبت الانسان ومهبط آدم أبي البشر فادهش تلك الدول ماأدهشها من قوة العلم والمدنية التي تذرعت بها دولة اليابان لمزاحمة الدول المسيحية وصد غاراتها المتوالية على الممالك الشرقية على حدثة عهدا في قبول المدنية الجديدة بجميع فوائدها النافعة

اذا تقرر هذا علمنا أن المسلمين أصبحوا في معمران هذا التنازع العام مغلوبين على أمرهم دون غيرهم وان الأمم المسيحية والوثنية كادت تنفرد بالسيادة على الارض لان المدنية الحاضرة أصبحت بعلومها ومخترعاتها ملاك قوة الامم ومادة حياة الدول وليس للمسلمين حظ منها ولا لأمرانهم نزوع الى الاخذ بأسبابها، ولالدولهم رغبة ما في مجارة أربابها. وحسبك شاهدا لا يماري فيه العقل ولا يكذب الحس ما صارت اليه الممالك الاسلامية المحكومة بدول اسلامية من التقهر في العمران والتدلي في العلم والصناعة والضعف في القوة والحين في السياسة.

(لها بقية) رفيق العظم

أنا عبد الله بن أبي العلاء

رسائل أبي العلاء المعري وترجمته

قد ولع الناس في القرون المتوسطة بحفظ الرسائل التي كانت تدور بين الأذباء والكتاب ومن احسنها رسائل أبي العلاء على قلتها حفظوها في الكتاب ونسوا مؤلفاته النافعة حتى لانكاد

نجد منها غير دواوينه الشعرية وسبب ذلك ان العلم كان قد أخذ في التبدل والتولي فلا يؤثر منه الا ما فيه لذة وفكاهة . وهذه الرسائل على كونها اقل ما كتب الفيلسوف كما هي العادة هي كنوز آداب ولطائف لا يكاد يفهمها الا من أوتي حظا من الاطلاع على اللغة العربية مفرداتها واساليبها ، وسهما من تاريخها وامثالها ، ولعل الله تعالى اذن بفضل له هذه اللغة ان تنشط من عقاها ، وتستيقظ بعد طول سباتها ، فأوحى لانتصار العلم ان يخدموها ، وألهم رجال المدينة ان يتدارسوها ، فراجت بضاعتها في اسواق العلم في بلاده وأعني بها المدارس الاوربية الكبرى ، وعمد القوم اخراج كنوزها ونشرها بين الناس . ولا اجهل ان غرض الاوريين السياسيين الاستمانة بهذه اللغة على استعمار البلاد العربية ولكن العلم لاسياسة له ولا دين فتى اخذ رجاله بطرف منه اخذوه بحمد ، وخدموه باصلاح ونصح ، ولا يضرهم مع ذلك استفادته قومه ام غير قومه

ومن الكتب التي عني الاوريون بترجمتها ونشرها بلسانهم ولسانها رسائل أبي العلاء المعري نقلها الى الانكليزية صاحبنا الدكتور مرجليوث الانكليزي مدرس اللغات الشرقية بمدرسة او كسفورد الجامعة وقد اهدانا نسخة منها مطبوعة باللغتين وفي آخرها ترجمة أبي العلاء وفهارس تشير الى ما في الرسائل من أسماء الرجال والنساء والقبائل والحيوانات ، وأسماء الاماكن والبلاد ، والاصطلاحات العروضية ، واسماء النجوم . لكل فهرس مرتب على حروف المعجم ، وما احسن هذا الاصطلاح واقفقه لو كنا نحري عليه في طبع كتبنا كما يجرون عليه فيها وفي كتبهم بالاولى

وانت تري ان نقل الكتاب من لغة الى اخرى هو اصعب من تدريسه . وإننا لتعلم انه يقل في قراء العربية من اهلها من يقدر على تدريس هذه الرسائل فما تقول في فضل أعجمي بنقلها الى لغته . فنهني صاحبنا على عمله ونشكر له هديته اجمل شكر

اما ترجمة أبي العلاء فقد نقلها من تاريخ الذهبي وفيها انه اخذ العربية عن اهل بلده كفي كوثر واصحاب ابن خالويه ورحل الى طرابلس فاستفاد من خزائن كتبها وانه كان قانعا باليسير له وقف يحصل له منه في العام نحو ثلاثين ديناراً قدر منها لمن يخدمه النصف وكان اكله العدس وحلاوته التين ولباسه القطن وفرشه لبد وحصيره

بورية . وكانت له نفس قوية لا يحمل منه احد والا لو تكسب بأشعر والمديح لكان
ينال بذلك دنيا ورياسة . كذا قال الذهبي ونحن نقول انه لو لم يكن كذلك لما وجدنا
في شعره من الفلسفة العالية والمدارك الدقيقة في نقد العالم البشري مانجد . ثم ذكر
ما قيل في زندقته لانه التزم ان يذكر ما روي له وعليه واورد بعض شعره الدل على
شكه في الدين واعتراضه على الشرائع ثم نقل عن الحافظ السافي في ضد ذلك مانعه
هو ما يدل على صحة عقيدته ماسمعت الخطيب حامدين يختار النيري بالسفسمانية -
مدينة بالخابور - قال سمعت القاضي ابا المذهب عبد المنعم ابن احمد السروجي يقول
سمعت اخي القاضي ابا الفتح يقول : دخلت على ابي العلاء النوخى بالمعرة ذات يوم
في وقت خلوة بغير علم منه وكنت اتردد اليه ، واقراء عليه ، فسمعتة وهو ينشد من قبله

كم غودرت غادة كعاب وعمرت امها العجوز

احرزها الوالدان حرزا والقبر حرزها حرزا

يجوز ان تبطل المنايا والخلد في الدهر لا يجوز

ثم تأوه مرات وتلا : « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ

ذَلِكَ يَوْمَ مَجْمُوعٍ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٍ وَمَا نُوحِىْهِ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدٍّ *
يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * »

ثم صاح وبكاء شديدا وطرح وجهه على الارض زمانا ثم رفع رأسه ومسح
وجهه فقال : سبحان من تكلم بهذا في القدم ، سبحان من هذا كلامه ، فصبرت ساعة
ثم سلمت عليه فرد فقال : متى آيت ؟ فقلت الساعة . ثم قلت يا سيدي ارى في وجهك
أثر غيظ : فقال : لا يا ابا الفتح بل انشئت شيئا من كلام المخلوق وتلوت شيئا من
كلام الخالق فلحقني ماترى : فتحققت صحة دينه وقوة يقينه ، اه

ولعل تلك الحواطر الدالة على الاحاد كانت في بداية امره ثم رجع عنها على ان
أكثرها يحتمل التأويل ، وان لم يلتفت الى ذلك المتشددون من المرتابين في هذا العصر

﴿ إلياذة هوميروس ﴾

هوميروس كبير شعراء اليونان أشهر من نار على علم وأشهر شعره ما - جي بالاياذة

وهو ما نظم في وصف حرب قومه اليونان لطروده وقد غنيت أمم العلم والادب في القديم والحديث بنقل الالياذة الى لغاتها الا الذين أحيوا جميع علوم اليونان بمدد موتها وهم العرب . حتى قام في هذه الايام سليمان أفندي البستاني مؤلف دائرة المعارف العربية فمر بها نظما . ثم انه شرح النظم فكان كتابا حافلا بالتاريخ والادب . ووضع له مقدمة طويلة جمع فيها فصولا في تاريخ هو ميروس مفصلا ، وفي الالياذة ومكانتها في نفسها وعند الامم وتفصيل ما فيها من المعارف ، وفي التعريب وأصوله ، وفي النظم وبحوره وضروبه ، وفي الشعر وتاريخه وطبقات أهله في العرب ، وفي الشعر العصري والملاحم ، وفي الشعر واللغة ، وهي مقدمة مفيدة جدا تدل على خزانة علم المؤلف وحسن ذوقه وسعة اطلاعه . ثم انه وضع للكتاب معجما خاصا فمر فيه غريبه ، ومعجما آخر للالياذة جمع فيه ما فيها من الكلمات في الآلهة والمعاني والاعلام مشبرا بالارقام الى مواضعها من الصحائف . فالكتاب في مجموعه خزانة علم وأدب وصفحاته ١٢٥٨ وطبعه جميل جدا والشعر فيه مضبوط بالشكل الكامل

الاحتفال بمعرب الالياذة

نشر هذا الكتاب فتقبله أهل العلم والأدب بقبول حسن بل أكبروا أمره وبالفت الصحف في تقريره ثم تألفت لجنة من أدبائنا السوريين في القاهرة فأولموا بالأمس وليلة في فندق شبرد احتفالا بمعرب الالياذة اجتمع على مائدتها نحو مئة رجل من فضلاء القطرين المصري والسوري والقيت فيه الخطب العربية والفرنسية واليونانية وتلى فيه ثلاثة كتب ممن اعتذر عن عدم حضور الاحتفال أحدها من الاستاذ الامام وكان آية الآيات وثانيها من الدكتور شميل وثالثها من الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد . ورأينا هؤلاء العلماء والادباء حاضري الاحتفال متفقين على أن تعريب الالياذة من أجل الخدم للغة العربية ومتعجبين من عدم سبق العرب الى تعريبها في أيام دولتهم العلمية اذ عرّبوا كتب اليونان في جميع العلوم . وكان الدكتور يعقوب أفندي صروف أول خطيب في الحفلة فجال في هذا المعنى جولة المورخ العالم وقال ان السريان الذين كانوا يعربون الكتب اليونانية في أول الامر لا عرب قد نقلوا الالياذة الى لغتهم دون اللغة العربية ثم أطنب في وصف التعريب الجديد وما أضيف اليه من الفوائد وانتقل

لى ذكر فضل المؤلف وفضل بيت البستاني في خدمة العلم فبدأ بذكر عموده
وكبره بطرس البستاني مؤسس دائرة المعارف وصاحب الكتب والصحف الشهيرة
فصفق له الحاضرون استحساناً

وتلاه بالخطابة كاتب هذه السطور فذكر معنى الاحتفال وفائدته ونسبة
الألياذة الى الشعر العربي وسبب إغفال العرب لها . بينت في هذا ان الروح الادبي
يسبق في الامم الروح العلمي والصناعي فحق سميت آداب الامة ورق شعورها تحس
بحاجتها الى العلم فنبتت اليه وتبدأ بخدمة علم الادب منه . فكان مقتضى هذه القاعدة
ان يبدأ العرب بنقل آداب اليونان قبل علومهم ولكن العرب كانوا في غنى عن هذه
الألياذة فادونوها من آداب اليونان لانه لا يكاد يوجد فيها شيء من المعاني الشعرية والادبية
الا وقد سبقوا الى مثله أو خير منه وفي شرح الألياذة العربية شواهد كثيرة على ذلك
والسبب فيه ان حال اليونان في حروبهم التي يصفها هوميروس شبيه بحال العرب
في بداوتهم وحروبهم ولكن وثنيهم تخالف وثنية العرب . قلت : ويعلم السادة الحاضرون
ان العرب لم يندفعوا الى ترجمة الكتب الابد الدخول في الاسلام فقد كانوا قبله أميين
لا يعرفون الكتاب فالاسلام هو الذي ساقهم الى طلب العلم والحكمة فلما أرادوا ترجمة
كتب اليونان للاستفادة منها رأوا في آدابهم وأشعارهم العربية مثل ما عند اولئك وزيادة الا
ما كان من الخرافات الدينية كأحوال الالهة الكثيرين وهذا ما جاء الاسلام لمحوه للاحياثه
بعد موته فكان إغفال العرب للألياذة كإغفالهم لصناعة التصوير لان الصور كانت في
أيامهم خاصة بالشعائر الوثنية . فلما تغيرت الاحوال وأراد الله لهذه اللغة أن تنهض
نهضة جديدة أحس رجال الادب بالحاجة الى ما عند الامم الاخرى من الآداب وأقدمها
واشهرها الألياذة فكان صديقنا البستاني هو السابق الى توفية هذه الحاجة فقبل
بهذا الاستحسان العظيم

واما الاحتفال فقد بينت أنه شكر لصاحب الاثر وترية حسنة للامة فان أصحاب
الاستعداد اذا رأوا ان خواص الامة يقدرون الآثار العلمية والادبية قدروها فان استمدادهم
يظهر بالفعل وتنفع الامة بمباراتهم في ذلك فقد قامت لجنة هذا الاحتفال بشكر عالم
خدم الادب فكانها احتفلت بكل عالم وأديب . اذ يحس كل منهم بأن له في هذا

الاحتفال نصيبا ، والشكر مدعاة المزيد ومبعث الرغبة في العامين وترك سبب الاهمال فان العالم الكامل وان كان يتلذذ بالعلم ويحب الخير لذاته لا تنبثق همته الى إظهار الآثار ائنا فاعا اذا علم ان قومه لا يعرفون قيمتها ولا يقدرونها قدرها لأنه يرى ذلك من العيب . وما عساه يعمل به لتلذذ به لا يجي . كاملا كما اذا كان يرجو أن يعرض عمله على أهل البصيرة والفضل فيزنوه بميزانه ، ويكافئوه على قدر احسانه ، لهذا كان الشكر بطبيعته موجبا للمزيد بل ان الله تعالى وهو الغني عن العالمين وذو الكمال المطلق قد جعل شكره سببا للمزيد فقال « لئن شكرتم لازيدنكم » فلا غرو ان يزيد صديقنا البستاني في خدمته للعلم والادب بسبب هذا الشكر الحسن الذي تقابله به

هذا زبدة ما بينه هذا العاجز في خطابه وهو ما خطر له عند الكلام من غير سابقة تفكر فيه . وقد أطنب بعض الخطباء في مدح الايادى نفسها وزعموا ان ستكون ترجعها مبدأ انقلاب في الآداب العربية وفتحة ترق عظيم فيها وهو مباينة والعربية أغنى من ذلك ولو نظم الايادى غير البستاني فأحسن نظمها كما أحسن لما بقي من الشكر بعض ما بقي . ذلك ان صاحبنا في علمه الواسع ، وأدبه الرائع ، وخدمته السابقة ، وشجرتة السابقة ، وما أضافه الى النظم من الشرح والمقدمات التي هي أكثر فائدة للمطالع ، وخير مرجع للمراجع ، قد هز أريحية فضلاء السوريين فكان منهم ما يجب ان يكون فيه أسوة حسنة لغيرهم ممن لا يقدرول لعامل قدرا ، ولا يؤدون لحسن شكرا ، فحيا الله البستاني وحيا الله السوريين ، — هذا وانا سنعود الى الايادى فختار منها مما طيع نعرضها للقراء ان شاء الله تعالى . وثمن النسخة من الايادى جنيها انكليزي

— الفلسفة اللغوية —

اتسع نطاق العلوم كلها لسانية وعقلية وعملية فكثر فروعا وتعددت طرق تعليمها وأهل الازهر ومن على شاكلتهم من مقلدي الآوات على جودهم لانهقصون من كتب مشايخهم ولا يزيدون فيها حتى صرنا لانرى شيئا من الاصلاح في العلوم العربية حتى علوم اللغة الامن تعلم في المدارس النظامية التي أصبح زمامها بأيدي الافرنج في كل قطر فبينما ترى جبر أفندي ضومط يؤلف الكتب البديعة في البلاغة والنحو كالخواطر الحسان في المعاني والبيان وفلسفة البلاغة والخواطر العرب اذا يجرجي

أفندي زيدان يؤلف كتاباً في فلسفة اللغة العربية وتاريخها وتاريخ النمدن الاسلامي. وقد كان ألف كتاب (الفلسفة اللغوية) سنة ١٨٨٦ م ونشره في بيروت وأعاد طبعه في هذه السنة مع زيادة فيه. وموضوعه « الأدلة اللغوية التحليلية على ان اللغة العربية مؤلفة في الاصل من أصول قليلة ثنائية آحادية المقطع معظمها مأخوذ عن محاكاة الأصوات الخارجية والاصوات الطبيعية التي ينطق بها الانسان (نطقاً) غريزياً، فهو يبحث عن كيفية نشأة اللغة وارتقاها. وهو بحث جليل أفرد له الاغرنج بالتدوين وأقاموه على قواعد علمية استقرائية. وصفحات الكتاب ١٨٨ ولعلنا نوفق لمطالعتهم ونقدمه مساعدة لمؤلفه على خدمة لغتنا الشريفة. وهو يطلب من مكتبة الهلال بالفجالة وثمنه عشرة قروش وأجرة البريد قرش

﴿ الخواطر العرب ﴾

كتاب جديد في النحو ألفه جبر أفندي ضومط أستاذ العلوم العربية في المدرسة الكلية الامريكية ببيروت وصاحب الخواطر الحسان. وفلسفة البلاغة. وضعه بأسلوب تعليمي غاية في البسط، ودقة البحث، وحسن البيان، واستيفاء التقسيم، وكثرة التمثيل، واختيار الامثلة، — يمثل بالآيات الكريمة، والاحاديث الشريفة، والامثال الحكيمة، والاشعار الرقيقة في الحكم والنزل وغيرها. فهكذا يكون التأليف لاسباب في مثل هذا العصر الذي كثرت فيه العلوم والفنون وعرف فيه الاقتصاد في الوقت فصار الانسان يخل على فن النحو بالسنين الطويلة ينفقها في مدارسته وهو من وسائل اللغة وما اللغات وفنونها الاوسيلة للعلوم الحقيقية التي تبين للناس كيفية الاعمال المعاشية وغيرها. وانه ليسهل على المعلم البارح ان يدرس هذا الكتاب في سنة واحدة وهو كاف في هذا الفن.

الكتاب تحت الطبع وقد فضل صديقنا المؤلف بارسال كرايسه اليه ليتابعاً لنتقدها وقد تصفحنا بعض صفحاته فوجدناها تجل عن الانتقاد الاماليكا ويحاول منه كتاب حديث كاستعمال بعض الالفاظ او الجمل استعمالاً غير صحيح او غير فصيح

— الاحاطة. في أخبار غرناطة —

صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب طبعته شركة طبع الكتب العربية على ورق جيد كالعادة وهو كعلم القراء من تقر يظ الجزء الاول تأليف الوزير محمد لسان الدين بن الخطيب الشهير وأوله ترجمة محمد بن يوسف أمير المسلمين بالاندلس لذلك العهد وآخره ترجمة

محمد بن عبد الرحيم الاخمني ذي الوزارتين والجزء الثاني في ترجمة المحمدين من حرف الميم وهو ٣٠٣ صفحات وروح لسان الدين الشمر والادب فهمي فائضة في الكتاب وكانت سوقه نافقة في الاندلس لعمده وثمان الكتاب عشرة قروش صحيحة

مرآتي الأمة القبطية

صدرت النبذة الثانية من هذه النبذة التي يكتبها أحد شبان القبط في انتقاد جال ملته. وهذه النبذة في المدرسة الكيركية - تاريخها ونظامها الاداري ومدرسيها وثورتها وهذا الانتقاد من جملة أمارات الحياة النيرة في هذه الطائفة المستيقظة وقد أهديت لنا النسخة من بضعة أشهر وكنا أضللناها فذكر لكاتبها غيرته المليمة وزجوان تكون نافعة لقومه

(رسالة في ان العمل بالحقائق الدينية عماد الارتقاء في الحياة الدنيوية)

ألف هذه الرسالة السيد حسين كمال أفندي الشريف أودعها محاورته وبين أخيه السيد مصطفى فهمي أفندي الشريف في أسباب تأخر الأمة الإسلامية وما الذي يجب عليها في تلافي هذه الأسباب وقد قرأنا جملة ما فيها فإذ هي في الدعوة الى العمل بالكتاب والسنة الصحيحة وترك كل ما سواها من جهة الدين والبحث في بعض المسائل الدينية كالامر بالمعروف والنهي عن المنكر على منصور أفندي الشريف لانه يكتب في مسائل دينية برأيه وقال أنه لم يتلق العلم عن أحد. وفيها بحث في القوي الترנסفالية المشهورة - هذا ما ظهر لنا من تصفح معظم صفحات الرسالة ولم نقرأ شيئاً من مباحثها بالتدقيق وقد حمدنا من المؤلف هذه المباحث

جرائد جديدة

(المنعم) جريدة سياسية وطنية أسبوعية تصدر بالقاهرة محررها العاطفي بك عيروط الحامي بالاستئناف ومديرها سليم أفندي عيروط الحامي وقيمة الاشتراك فيها ستون قرشا مصرياً وقد صدر منها بضعة أعداد وكتب اليانا من ادارتها ان سيكتب في العدد الثامن مقالة مهمة في استبعاد البلاد بالامتيازات وأخرى مثلها في خيانة المجلس البلدي في الاسكندرية فتوجه الانظار الى الجريدة والى المقاتلين بخصوصهم

(الصواب) جريدة علمية سياسية أدبية تصدر في تونس يوم الجمعة من كل أسبوع

مديرها ومحورها (محمد الجعابي) من كتاب التونسيين وادبائهم وقد رأينا في الاعداد الاخيرة منها مقالات مفيدة في انتقاد الامتحان في جامع الزيتونة وما أخرج الأزهر الى مثل هذا الانتقاد. وانا لنشكر للحكومة التونسية إطلاق الحرية للجراند قيمة الاشتراك ٨ فرنكت في البلاد التونسية و١٠ في الجزائر و١٣ في سائر الممالك (النادي) جريدة مدينة أدبية اجتماعية تصدر في القاهرة باللغتين العربية والايطالية صاحبها الدكتور أنريكو أنساباتو. وبما أخذه صاحبها على نفسه بيان بعض مزايا الاسلام ولاسيما مذهب التصوف وقد جعل قيمة الاشتراك في السنة ٤٠ قرشافي البلاد المصرية و١٢ فرنكا في غير هاتئتي له المنوفيق والنجاح

بَابُ الْإِسْخَافِ وَالْإِثْرِ

❖ لائحة المساجد ❖

جاء في (٧٩٦٥ع) من جريدة الاهرام الصادر في ٢ يونيو تحت هذا العنوان مانصه
وأبنا في أعدادنا السالفة فائدة لائحة المساجد التي يعمر بها الأزهر وتعمرها
الجوامع ويقام عماد الدين والعلم والادب وقلنا ان معاداة هذه اللائحة والقيام في وجهها
هو عبارة عن معاداة صالح الأزهرين وتقدمهم والوقوف في وجههم. ولقد اتفق
بعض رصفائنا أمس على ان انفاذ هذه اللائحة قد أجل الى العام المقبل أي حتى عودة
رجال الحكومة من الاجازة فاخذنا نبحث عن سبب التأجيل فعرقنا ان فضيلة القاضي
الاكبر قدم عريضة الى سمو الجنب الخديوي فيها يشكو من بعض ما جاء في اللائحة
ويدعي انه مخالف لشروط بعض الواقفين كأن يكون بالمسجد مبخّر وسقاء وكناس
فاللائحة جمعت وظائف كثيرة في شخص واحد فاللمية ترجمت شكوى فضيلة القاضي
وأرسلت هذه الترجمة الى الوكالة الانكليزية فاجابتها الوكالة ان الوقت قد انقضى وان
جنب اللورد لا يقدر الآن على درس الشكوى واللائحة وانه ينعم نظره فيها بعد عودته
من الاصطياف فلهذا أجل الانفاذ

ولقد دهش العقلاء لهذا العمل لان المحتلين أعلنوا مراراً وجرراً أنهم لا يتعوضون

لامر من أمور الدين فما الذي حمل المعية اذن على ارسال تلك اللائحة الى الوكالة الانكليزية؟ ألا توجد في البلاد سلطة دينية عاقلة عالية تقدر على درس اللائحة وتمحيصها؟ ولقد دار في جميع الاندية ان ذلك كله نتيجة التسابق لارضاء المحتلين فكأن دولتا رياض باشا وجل جناب اللورد كرومر صاحب المقام الارفع كذلك المعية أحالت على جنابه شكوى العلماء وشؤون المساجد والجوامع فأنكب كبير حطدولة تجرد مثل هذا من أمة تحكمها وبلاد تحتلها. وما أنظم الفرق الذي يجرد الانكليزيين كبار المصريين وكبار البوير فاذا كنا نحن قدامنا رياض باشا على كلام فانا نحن نلوم المعية على فعلها وبقيتنا ان الانكليز انفسهم يوافقونا على هذا اليوم

(المنار) حسب الناس من العبرة الكبرى في هذا الخبر الصادع أن يعرفوه وإثباتاً لدن أن نبدي رأينا فيها لما استطعنا أن نقف عند الحد الذي تجزئه الرسوم المتبعة. ونتم عبرة أخرى وهي سكوت الجرائد اليومية التي تلقب بالاسلامية عن هذا وبيان الاهرام التي يصح أن نلقبها بحريضة الامة له وسببه انه جاء من قبل الامير وحده وهو الذي يرضيها منه كل شيء ولو كان للنظار فيه رأي لقامت قيامة هذه الجرائد وكثرت الطمن والامن وحملت النظار وحدهم التبعة كما هي عادتها في كل أمر يقوي نفوذ المحتلين مع انه لم ينفذ شيء من ذلك الا بأمر الامير وهو وحده كان القادر على معارضة الاحتلال بالحق وأوربا عضده وأما النظار فلا عضدهم الا بالامير وهو الذي يقدر على عزله اذا خالفوا ، ولا يقدر على إلزامه اذا وافقوا ، فكل ما أخذ الانكليز منه وعليه وعلى الامة المسكينة التي أضاعها أمرؤها في كل زمان

قول رياض باشا - أو عبيد الكلام

رفع العلم الانكليزي باذن الخديوي على السودان وخطب الامير تحته مدعنا له فلم يؤثر في المصريين ، وعقد الوفاق الانكليزي الفرنسي بناء على دكرتو خديوي ومن لوازمه تأييد الاحتلال في مصر فلم يؤثر فيهم . ولونت خريطة مصر في مدارس حكومتها بلون المستعمرات الانكليزية فلم يؤثر فيهم . واستشار الامير اللورد في تعيين شيخ الازهر فلم يؤثر فيهم . ووصل الى اللورد النظار في لائحة المساجد وأئمة الصلاة فلم يؤثر فيهم . ويقول اللورد كرومر جهرانه هو المسؤول عن ادارة هذه البلاد فلا يؤثر فيهم . وقال رياض باشا بخطبته في احتفال تأييد مدرسة محمد علي الصناعية ان اللورد هو صاحب النفوذ الشامل والمقام الارفع ورغب اليه في معاهدة المدرسة حتى تبلغ أشدها فقام احداث الوطنية يلفطون في ذلك ويمدون حاداً جنلاً فانظر على ما يسكتون ، وبماذا يلفطون ،

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد آتينا خيرا كثيرا وما
يذكر الا اولو الالباب

المعراج

١٣١٥

فسر عادي الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم
الله واوئك هم اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر — ١٦ ربيع الآخرة سنة ١٣٢٢ — ٣٠ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٤)

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

وَالْهَيْكُلُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ
النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ
فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
لَايَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ *

نطقت الآيات السابقة بأن الذين يكتُمون ما أنزله الله من البينات
والهدى ملعونون لا ترجى لهم رحمة الله تعالى الا أن يتوبوا فان هم ماتوا على
كتمانهم وما يستلزمه كفرهم من الاعمال كانوا خالدين في اللعنة لا يخفف
عنهم من عذابها شيء اذ لا يقبل منهم افتداء ، ولا تنفعهم شفاعة الشفعاء ،

(٣٦ — المنار)

بل « مالا ظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » لأن اللعنة تعمهم في الآخرة من جميع الملائكة والناس بحيث يظهر للعالم أنهم لا يستحقون الرحمة حتى ان الرؤسين يتبرؤن من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم في الضلال ويتخذون كلامهم ديناً من دون كتاب الله كما سيأتي - فناسب بعد هذا أن يبين الله تعالى ان شارع الدين ومحقق الحق هو واحد لا يعبد غيره ولا تكتم هدايته ولا يجعل كلام البشر معياراً على كلامه ، وهو مفيض الرحمة والاحسان اذ الرحمة من صفاته الكاملة اللازمة ليتذكر أولئك الضالون الكاثمون لبينات الله المؤثرون عليها آراء رؤسائهم وأنتهم ثقة بهم واعتماداً على شفاعتهم أنهم لن يغنوا عنهم من الله شيئاً ويعلموا وجه خطأهم في كتمان الحق ومجاهدة أهله عناداً من الرؤساء وتقليداً من الرؤسين فقال

(والهكم إله واحد لا إله الا هو) أي فلا تشركوا به أحداً. والشرك به نوعان أحدهما يتعلق بالألوهية وهو ان يعتقد ان في الخلق من يشاركه تعالى أو يعينه في أفعاله أو يحمله عليها أو يصدده عنها لا أجل قر به منه كما يكون من بطانة الملوك الظالمين وحواشيهم وحجابهم وأعوانهم. وثانيهما يتعلق بالربوبية وهو أن تؤخذ أحكام الدين في عبادة الله تعالى والتحليل والتحرير عن غيره أي غير كتابه ووحيه الذي بلغه عنه رسله بحجة ان من يؤخذ عنهم الدين من غير بيان الوحي أعلم بما راد الله فيترك الاخذ من الكتاب لرأيهم وقولهم وهو المراد بقوله تعالى « اتخذوا أجبازهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » كما سيأتي في موضعه ان شاء الله تعالى. وظاهر أن الواجب على العلماء بالدين ان يبينوا منازل الله للناس ولا يكتموا لأن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه كما زاد أهل الكتب المنزلة كلامهم أحكاماً كثيرة ثم هجروا الوحي اكتفاء بها. واذا كان الله تعالى واحداً لا إله

معه فلا ينبغي أن يشرك معه غيره فهو كذلك (الرحمن الرحيم) فلا ينبغي أن يمرض العبد عن أسباب رحمته اعتمادا على رحمة سواه ممن يظن أنهم مقربون عنده ولخطام زائل فحسب المؤمن من رحمة الله التي وسعت كل شيء أن يستغني بالتصدي لها عن رجاء سواها والا كان من الخائبين. قال الاستاذ الامام: بينهم سبحانه وتعالى الى أن المنافع التي يرقونها من كفرهم إنما هي بيده الكريمة وحده كأنه يقول اذا أنتم تركتم ما أنتم فيه لأجله تعالى فهو بتفرد بالالوهية يكفيكم كل ضرر تخافونه، ويعطيكم برحمته الواسعة كل ما ترجونه، فإن بيده ملكوت كل شيء وكل ما تعتمدون عليه من دونه فليس محلا للاعتماد بل اعتمادكم عليه من قبيل الشرك فيجب أن تطرحوه جانبا وتعتقدوا أن الإله الذي بيده أزمة المنافع والقادر على دفع المضار وإيقاعها هو واحد لا سلطان لأحد على إرادته، ولا مبدل لكلمته، ولا أوسع من رحمته، وقد رأيت كيف أكد أمر الوحدة تحذيرا من طرق الشرك الخفية، وقد سبق تفسير لفظي الرحمن الرحيم في الفاتحة،

أرأيت هذا الاتصال المحكم بين الآية وما قبلها إن بعض المفسرين قد قطع عراه وفصمها وجعل الآية جوابا لقوم قالوا للنبي عليه الصلاة والسلام: انسب لنا ربك: قاله الجلال. ويقول الاستاذ الامام إن سبب النزول إنما يحتاج اليه في مواضع مخصوصة لا في مثل هذا الموضع يعني انه يحتاج اليه في آيات الأحكام لأن معرفة الوقائع والحوادث التي نزل فيها الحكم تعين على فهمه وفقه حكمته وسره ومثلها ما فيه إشارة الى بعض الوقائع كواقعة بدر ومصيبة المؤمنين في أحد وأما الآيات المقررة للتوحيد وهو المقصود الأول من الدين فلا حاجة الى التماس أسباب لنزولها بل هي لا تتوقف على انتظار السؤال وإنما تبين عند كل مناسبة

وماعساه يكون قد قارن نزولها من حادثة أو سؤال مثل هذا الذي ذكر آتفا
فهو إن صح رواية لا يزيدنا بيانا في فهم الآية ولا يصح أن يجعل سببا لنزولها
لا سيما بمد الذي علم من اتصالها بما قبلها كما يليق ببلاغة القرآن. ومثل هذا
السبب يجعل القرآن مبددا متفرقا لا تربط أجزاءه، ولا تتصل أنحاءه،
ومثله ما قالوه في سبب الآية التي بمد هذه الآية فانها جاءت على سنة
القرآن من وصل الدليل بالدعوى ولكنهم رووا في سببها روايات منها
أن آية « وإلهكم إله واحد » نزلت بالمدينة ثم سمع بها مشركو مكة
فقالوا ما قالوا وعجبوا كيف يسع الخلق إله واحد : كان هذه الدعوى لم
تكن طرأت على أذهانهم ولا طرقت أبواب مسامعهم - تلى ان النبي (ص)
كان قد أقام فيهم يدعوهم الى هذا التوحيد عشر سنين ونيفا ، وطلبوا الدليل
على ذلك كأنهم لم يكونوا قد سمعوا عليه دليلا مع أن معظم منازل بمكة
آيات وبراهين على التوحيد ، فكيف نسلم بأن ما نراه في التنزيل المدني
من آيتين متصلتين إحداهما في التوحيد والأخرى في دليله قد كان من
الفصل بينهما أن نزل الدليل بمد المدلول بزمن طويل وسبب متأخر

قال الاستاذ الامام بمد بيان اتصال الآية بما قبلها وتقرير معناها :
ومن هنا يظهر انها لا يصح أن تكون جوابا للذين قالوا : انسب لنا ربك
أوصف لنا ربك : لأن هذا السؤال انما يصدر ممن لا يعرف شيئا من
صفات هذا الرب العظيم (أو ممن ينبغي أن يعرف مقدار علم المسؤل بهذه
الصفات) ويجب أن يكون جوابه بذكر جميع ما يجب اعتقاده من التنزيه
والصفات الثبوتية ولم يذكر في الآية الا الوحدة والرحمة وترك ذكر العلم
والحكمة والإرادة والقدرة وهي صفات لا تعقل الألوهية الا بها ، أما الاكتفاء

بذكر الوحدة والرحمة على الوجه الذي قررناه في تفسير الآية فهو ظاهر لا تطلب البلاغة غيره لأن الوحدة تذكر أولئك الكافرين الكائمين للحق بأنهم لا يجدون ملجأ غير الله يقيمهم عقوبته ولعنته . وذكر الرحمة بعد ما يرغبهم في التوبة ويحول دون بأسهم من فضل الله بعد إبتاسهم من اتخذوهم شفعاء ووسطاء عنده فيطابق ذلك قوله تعالى في الآية التي ذكر فيها الكتمان « الا الذين تابوا » الخ

(إن في خلق السموات والأرض) الخ هذه آية قرآنية تشرح لنا بعض الآيات الكونية الدالة على وحدانية الله تعالى ورحمته الواسعة إثباتا لما ورد في الآية قبلها من هذين لوصفين له تعالى على طريقة القرآن في قرن المسائل الاعتقادية بدلائلها وبراهينها كما ألمعنا . فأما خلق السموات والأرض ففيه آيات بيّنات كثيرة يدهش المتأملين بعض ظواهرها فكيف حال من اطلع ما اكتشف العلماء من عجائبها لدال على أن ما لم يعرفوه أعظم مما عرفوه . تألف هذه الأجرام السماوية من طوائف لكل طائفة منها نظام كامل محكم ولا ييطل نظام بعضها نظام الآخر لأن للمجموع نظاما عاما واحدا يدل على أنه صادر عن إله واحد لا شريك له في خلقه وتقديره ، وحكمته وتديره ، وأقرب تلك الطوائف إلينا ما يسمونه النظام الشمسي نسبة الى شمسنا هذه التي تفيض أنوارها على أرضنا فتكون سببا للحياة النباتية والحيوانية . والكواكب التابعة لهذه الشمس مختلفة في المقادير والأبعاد وقد استقر كل منها في مداره وحفظت النسبة بينها وبين الآخر بسنة إلهية منتظمة حكيمة يمبرون عنها بالجاذبية . ولولا هذا النظام لانفلتت هذه الكواكب السابحة في أفلاكها فصدم بعضها بعضا

وهلكت العوالم بذلك فهذا النظام آية على الرحمة الإلهية ، كما انه آية على
الوحدانية ، . هذه هي السموات نشير الى آياتها عن بعد « وفي الارض
آيات للموقنين » في جرمها ومادتها وشكلها وعوالمها المختلفة من جماد
ونبات وحيوان فلكل منها نظام عجيب وسنن إلهية مطردة في تكوينها
وتوالد ما يتوالد من أحيائها وغير ذلك حتى لو دقت النظر في أنواع
الجمادات من الصخور المختلفة الأنواع ، والجواهر المتعددة الخواص
والألوان ، لشاهدت من النظام فيها ومن أنواع المنافع في اختلافها وتنوعها
ما تعلم به علم اليقين أنها ترجع في ذلك الى ابداع إله حكيم ، رؤف رحيم ،
وأقول هنا ان الاستاذ الامام يرى أن في الجماد حياة خاصة به دون الحياة
النباتية ولا أدري أقاله في تفسير هذه الآية أم لا ولكنني سمعته منه غير مرة .
قال تعالى (واختلاف الليل والنهار) يجيئ أحدهما فيذهب الآخر
ويطول هذا فيقصر ذاك وكل ذلك بحسبان ، مطرد في جميع الاقطار
والبلدان ، ومثله اختلاف الفصول ، باختلاف مواقع العرض والطول ،
وقد ذكر هذه الآية بعد خلق السموات والأرض لأن هذا الاختلاف
هو أثر مقابلة الأرض للشمس وحركتها بازائها وتفصيل ذلك مشروح
في محله من العلم الخاص بهذه المسائل . وفي المشاهد من اختلاف الليل
والنهار والفصول وما للناس في ذلك من المنافع والمصالح آيات بينة على
وحدة مبدع هذا النظام المطرد ورحمته بعباده يسهل على كل أحد أن
يفهمها وان لم يعرف أسباب ذلك الاختلاف وتقديره . وفي القرآن بيان
لذلك في مواضع كثيرة كقوله تعالى « وجعلنا الليل والنهار آيتين فحونا
آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد

السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا» فهذه الآية تهدي الى مافي اختلاف الليل والنهار من المنافع العامة وفي معناها آيات أخرى . وقال تعالى « وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا » وهذا هداية الى المنافع الدينية . وهناك آيات تشير الى أسباب هذا الاختلاف كقوله تعالى « يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل » وقوله « يُغشي الليل النهار يطلبه حثيثا » (١) وصفوة القول في هذا المقام أن اختلاف الليل والنهار أثر من آثار النظام الشمسي وقلنا أن ذلك النظام يدل على وحدة واهبه ونقول إن آثاره تدل على ذلك أيضا وأما دلالتها على رحمته تعالى فظاهرة مما تقدم الاستشهاد به من الآيات آنفا

قال تعالى (والفلك التي تجري في البحر) كان الظاهر ان تأتي هذه الآية في آخر الآيات ليكون مالانسان فيه صنع على حدة وماليس له فيه صنع على حدة . والنكتة في ذكرها عقيب آية الليل والنهار هي أن المسافرين في البر والبحر هم الذين يمكنهم تحديد اختلاف الليل والنهار على الوجه الذي ينتفع به ، والمسافرون في البحر أحوج لمعرفة الأوقات ، وتحديد الجهات ، لأن خطر الجهل عليهم أشد ، وفائدة المعرفة لهم أعظم ، ولذلك كان من ضروريات رباني السفن معرفة علم النجوم (الهيئة الفلكية) وعلم الليل والنهار من فروع هذا العلم قال تعالى « وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر » - فهذا وجه الترتيب بين ذكر الفلك وما قبله . وأما كون الفلك آية فلا يظهر بادي الرأي كما يظهر كونها

(١) قد مر في الجزء الماضي الاستدلال بالآيتين على استدارة الارض مع الكلام على سبب الليل والنهار

رحمة من قوله (بما ينفع الناس) ومما يعرف في هذا العصر بالمشاهدة والاختبار أكثر مما كان يعرف في المصور السالفة اذ كانت الفلك كلها شرعية فلم يكن البخار يسير أمثال هذه البواخر والبوارج العظيمة التي تحكي مدنا كبيرة فيها جميع المرافق التي يتمتع بها المترفون والملوك في البر من الأرائك والسرر والحمامات وغير ذلك او قلاعاً وحصوناً فيها قتل آلات الحرب. وكل ذلك من رحمة الاله الذي خلق هذه الاشياء وهدى اليها الانسان ، فلا بد لفهم كونها آية على وحدانيته من فهم طبيعة الماء وطبيعة قانون الثقل في الاجسام وطبيعة الهواء والريح وزد على ذلك معرفة طبيعة البخار والكهرباء التي هي العمدة في سير الفلك الكبرى في زماننا فكل ذلك يجري على سنن إلهية مطردة منتظمة تدل على أنها صادرة عن قوة واحدة هي مصدر الابداع وهي قوة الاله الواحد الرحيم

(وما أنزل الله من السماء من ماء) المراد بالسماء جهة العلو لا ما قاله المخذولون الذين تجرؤا على الكذب على الله ورسوله فزعموا ان بين السماء والارض بحرا قالوا انه موج مكفوف وان المطر ينزل منه على قدر الحاجة في تفصيل اخترعوه ما أنزل الله به من سلطان، وتبعهم فيه أسرى النقل ولو خالف الحس والبرهان، ونزول المطر من الامور المحسوسة التي لا تحتاج الى نقل ولا نظر عقل وقد شرح كيفية تكونه ونزوله العلماء الذين تكلموا في الكائنات، ووصفوا بالتدقيق الآيات المشاهدات ، ولم يخرج شرحهم الطويل عن الكلمة الوجيزة في بعض الآيات التي ذكر فيها المطر وهي قوله تعالى « الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله » فحرارة الهواء هي التي تبخر المياه والرطوبات

وتثيرها الرياح في الجو حتى تتكاثف ببرودته وتكون كسفا من السحاب يتحلل منه الماء ويخرج من خلاله وينزل بشقه الى الارض .

ثم وصف الله تعالى هذا الماء بأعظم آثاره فقال (فأحيى به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة) فبالماء حياة الأرض بالنبات وبه استعدت لظهور أنواع الحيوان فيها . وعمل المراد الاحياء الأول وماتلاده من تولد الحيوانات المعبر عنها بكل دابة أو هو ما يشاهد من آحاد الاحياء التي تتولد دائما في جميع بقاع الارض ؛ الظاهر أن المراد أولا وبالذات الاحياء الاول المشار اليه بقوله تعالى في آية أخرى « أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي » فهو يذكر جعل كل شيء حي بالماء ، في إثرد ذكر انفصال الارض من السماء ، وذلك ان مجموع السموات والارض كان رتقا أي مادة واحدة متصلا ببعض أجزائها ببعض على كونه ذرات غازية كالدخان كما قال في آية التكوين « ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض « اخرجي ولما كان ذلك الفتح في الاجرام انفصل جرم الارض عن جرم الشمس وصارت الارض قطعة مستقلة ماثرة ملهبة وكانت مادة الماء وهي ما يسميه علماء التحليل والتركيب (الكيمياء) بالاكسجين والهيدروجين تتبخر من الارض بما فيها من الحرارة فتلاقي في الجو ببرودة تجمعها ماء فينزل على الارض كما وصفنا آنفا فيبرد من حرارتها وما زال كذلك حتى صار سطح الأرض كله ماء وتكونت بعد ذلك اليابسة فيه وخرج النبات والحيوان وكل شيء حي من الماء فهذا هو الاحياء الأول

أما الاحياء المستمر المشاهد في كل بقاع الأرض دائما فهو المشار

اليه بمثل قوله تعالى « وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج » وذلك أننا نرى كل أرض لا ينزل فيها المطر ولا تجري فيها المياه من الأرض راضي المطورة لافي ظاهرها ولا في باطنها خالية من النبات والحيوان إلا أن يدخلها من أرض مجاورة لها ثم يعود منها . فحياة الأحياء في الأرض إنما هي بالماء سواء كانت بالأحياء الأولى عند تكوين العوالم الحية وإيجاد أصول الأنواع أو الأحياء المتجددة في أشخاص هذه الأنواع وجزئياتها التي تتولد وتنمو كل يوم .

وهذه المياه التي يتغذى بها النبات والحيوان على سطح هذه اليابسة كلها من المطر ولا يستثنى من ذلك أرض مصر فيقال أن حياتها بماء النيل دون المطر فإن مياه الأنهار التي تنبع من الأرض هي من المطر يتخلل الأرض فيجتمع فيندفع . وقد امتن الله تعالى بذلك علينا وأرشدنا إلى آيته فيه بقوله « أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه » الآية . فالبحيرات التي هي ينابيع النيل من ماء المطر والزيادة التي تكون فيه أيام الفيضان هي من المطر الذي يمد هذه الينابيع ويمد النهر نفسه في مجراه من بلاد السودان وكثرة الفيضان وقلته بأمة لكثرة المطر السنوي وقلته هناك . هذا هو الماء في كونه مطرا وفي كونه سببا للحياة وهو آية في كيفية وجوده وتكونه فانه يجري في ذلك على سنة إلهية حكيمة تدل على الوحدة والرحمة ثم انه آية في تأثيره في العوالم الحية أيضا فان هذا النبات يسقى بماء واحد هو مصدر حياته ثم هو مختلف في ألوانه وطعومه وروائحها فتجد في الأرض الواحدة نبتة الخنظل مع نبتة البطيخ متشابهتين في الصورة متضادتين في الطعم ، وتجد النخلة وتمرها ماتلم وتجد في جانبها شجرة الورد لها من الرائحة

ما ليس للنخلة ، بل يوجد في الشجر ماله زهر ذكي الرائحة ولو قطعت الفصن الذي فيه هذا الزهر تنبت منه رائحة خبيثة - فذلك السنن التي يتكون بها المطر وينزل جارية بنظام واحد دقيق ، وكذلك طرق تغذي النبات بالماء هي جارية بنظام واحد ، فوحدة النظام وعدم الخلل فيه تدل على أن مصدره واحد فهو من هذه الجهة يدل على الوحدة ومن جهة ماله خلق فيه من المنافع والمرافق يدل على الرحمة لاهية الشاملة . وقل مثل هذا فيما ثبت الله تعالى في الأرض من دابة فانها آيات على الوحدة ، ودلائل وجودية على عموم الرحمة ، وبث الدواب في الأرض فرقتها وأرسلها منتشرة في أرجائها وأتحاها

قال تعالى (وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض) ذكر آية الرياح والسحاب بعد آية المطر للتناسب بينهما وتذكيرا بالسبب فان الرياح هي التي تثير السحاب وتسوقه في الجوال حيث يتحلل منه المطر كما تقدم آنفا في آية « الله الذي يرسل الرياح » وتصريف الرياح تديرها وتوجيهها على حسب الإرادة ووفق الحكمة والنظام مرة تأتي من الشمال وأخرى من الجنوب وتارة تأتي نكباء بين بين ، واذ هبت حارة في بعض الأماكن والأوقات فهي تهب عقيب ذلك لطيفة الحرارة أو باردة ، وكل ذلك يجري على سنة حكيمة تدل على وحدة مصدرها ، ورحمة مدبرها ،

قال تعالى (والسحاب المسخر بين السماء والأرض) ذكر السحاب هنا بعد ذكر تصريف الرياح لأنها هي التي تثيره وتجمعه وهي التي تسوقه إلى حيث يعطر وتفرق شمله أحيانا فيمتنع المطر ولم يذكره عند ذكر الماء مع أنه سببه المباشر ليرشدنا إلى أنه في نفسه آية فانه يتكون بنظام وباعتراض بين السماء والأرض بنظام فهو في ظاهره آية تدهش الناظر

الجاهل بالسبب لولم يألف ذلك ويأنس به وإنما يعرفها حق معرفتها من وقف على السنن الالهية في اجتماع الاجسام اللطيفة واقترافها وعلوها وتسفلها وهو ما يمبر عنه علماء هذا الشأز بالجاذبية ، وهي أنواع منها جاذبية الثقل والجاذبية العامة وجاذبية الملاصقة ومن لا يعرف أسرار هذه الكائنات ، وإنما ينظر الى ظواهرها فيراها كما تراها العجاوات ، فهو لا يفهم معنى كونها آيات ، لأنه أهمل آلة الفهم التي امتاز بها وهي العقل ولذلك قال الله تعالى ان في هذه الاشياء (آيات لقوم يعقلون) أليس أكبر خذلان للدين وجناية عليه أن لا ينظر المنتسبون اليه في آياته التي يوجههم الى النظر اليها ، ويرشداهم الى استخراج العبر منها ، ؟ أليس من أشد المصائب على الأمة أن يهجر رؤساء دين كعها الدين العلوم التي تشرح حكم الله وآياته في خلقه ويمدوها مضعفة للدين أو ماحية له خلافا لكتاب الله الذي يستدل بها وبعظم شأن النظر فيها ؟ بلى وانهم ليصرون على تقاليدهم هذه وليس عاها حجة وإنما تبموافها سنن قوم ممن قبلهم وكان بمض الحكماء المتأخرين يقول كلمة في أهل دينه الذين خذلوه: هكذا شأن أهل الاديان كافة كأنهم تعاهدوا جميعا على ان يكون سيرهم واحدا: وهذا المعنى مأخوذ من قول الله تعالى في الكافرين يتفقون في كل أمة على الطعن في نبيها «أو اوصوا به ؟ بل هم قوم طاغون» وقد يزعم بمض هؤلاء الذين يعادون علم الكون باسم الدين ان النظر في ظواهر هذه الاشياء كاف للاستدلال بها ومعرفة آيات صانعها وحكمته ورحمته فتعلم كمثل من يكفي من الكتاب برؤية جلده الظاهر وشكله من غير معرفة ما أودعه من العلم والحكمة . نعم ان هذا الكون هو كتاب الابداع الالهي المفصح عن

وجود الله وجماله، وجلاله وجماله، وإلى هذا الكتاب الإشارة بقوله تعالى «قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا» وبقوله «ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله» فكلمات الله هي آحاد المخلوقات والمبدعات الالهية فانها تنطق بلسان أفصح من لسان المقال لكن لا يفهمه الذين هم عن السمع معزولون، وللملم معادون، الواهمون أن معرفة الله تقتبس من الجدليات النظرية، والاقيسة المنطقية، دون الدلائل الوجودية الحقيقية، ولو كان زعمهم حقيقة لا وهما لكان الله سبحانه استدل في كتابه بالأدلة النظرية الفكرية، وذكر لدور والتسلسل وغير ذلك من الاصطلاحات الكلامية، ولم يستدل بالسماء والأرض والليل والنهار والفلك والمطر وتأثيره في الحياة وغير ذلك من المخلوقات التي أرشدنا القرآن إلى النظر فيها، واستخراج لدلائل والعبر منها، ألا إن الله كتابنا مخلوقا وهو الكون وكتابنا منزلا وهو القرآن وانما يرشدنا هذا إلى طرق العلم بذلك بما أوتينا من العقل فمن أطاع فهو من الفائزين، ومن أعرض فأولئك هم الخاسرون،

باب السؤال والفتوى

قد مضى هذا الباب لإجابة أسئلة المشتركين خاصة. إذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرزق إلى اسمه بالحروف أن شاء، واننا نذكر الأسئلة بالتدريج غالبا ورمقا قد متأخرا السبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه ورعا أجبنا غير مشترك لهذا. ولما مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة إن يذكر به مرة واحدة فإن لم يذكره كان عندنا سبب صحيح لا غفاله

(دعوى الشعراني أنه أعطني أن يقول للشيء كن فيكون)

(أودعوى الاولياء الالهية)

(س ٣٤) الشيخ قاسم محمد غدير في (أسيوط): ما تقولون في معنى قول الشعراني

ما من الله به علي أن أعطاني قول (كن) فلو قلت لحيث كن ذهب لكان: الخ

(ج) إن الإيجاد والتصرف في الأشياء بمقتضى الإرادة المعبر عنها بكلمة (كن) هو خاص بخالق العالم ومديره يستحيل أن يكون لغيره وما كان مستحيلا فلا تتعلق قدرة الله به فيقال بجواز إعطائه لغيره كما هو مقرر في علم الكلام فلا يقال إن الله تعالى قادر على أن يجعل معه الها آخر فإن القدرة لا تتعلق إلا بالممكنات وهذا محال ومن يعتقد أن أحداً غير الله يفعل ما شاء ويوجد ويعدم ويقبض الأعيان بقول كن فلا شك في كفره الصريح وشركه القبيح ، وإذا أحسننا الظن بالشيخ الشعراني فإتانا قول أن هذه الكلمة مدسوسة عليه فقد صرح هو في بعض كتبه كالواقيت بأنهم كانوا يدسون عليه في زمنه . على أن كتبه المشهورة المتداولة طافحة بالخرافات والدعاوي التي ينكرها الشرع والعقل وهي أضرت على المسلمين من غيرها من الكتب الضارة المنسوبة إلى المسلمين وإلى غير المسلمين . وقد كنت من أيام أجادل بعض البالية وأبين لهم فساد دينهم الجديد فقال أحدهم : ما تقول في الشعراني ؟ فعلمت أنه يريد أن يحتج بما في بعض كتبه من أن المهدي يأتي عكا وما يقوله في « مأدبة الله بمرج عكا » فإن البالية يحملون ذلك على البهاء الذي نشر دينه وهو في عكا ومات فيها فقلت له إن كلام الشعراني — أي الذي انفرد به — عندي كالشيء اللقا لا قيمة له والكتب المنسوبة إليه هي العمدة في الاضلال المنتشر بين المصريين في الأولياء لآسيا في السيد البدوي فإنها مرغبة في موالده التي هو قرارة المنكرات والمعاصي الخ

واني لأعلم أنه لا يزال في قراء المنار على استنارتهم من يعظم عليه وقع الإنكار على كتب الشعراني وإن كان الغرض منه تنزيه الله تعالى فإن الذين أشربت قلوبهم عقائد الوثنية يعظمون المشهورين من الذين يسمونهم أولياء أكثر مما يعظمون الله تعالى ويسرون أن يوصفوا أولياؤهم بصفات الألوهية ويرون من الضلال أو الكفر أن يقال أنهم بشر لا يمتازون على غيرهم بما هو فوق خصائص البشرية. وإن ما وفق له الصالحون من العمل الصالح فأنما هو عمل كسبي يقدر غيرهم على الاتيان بمثله بهداية الله وتوفيقه . وإن الفتنة في الدعوى المسؤل عنها أكبر من الفتنة بكل كلام أهل الكفر والاضلال إذ لا يخشى من قول عابد الصنم : إن صنمي إله : أن يفتن به المسلم كما يخشى على عامة المسلمين وكثير من المفلدين الذين يسمون علماء وخاصة من كلمة الشعراني لأن هؤلاء

يأخذون هذه الكلمة بالتسليم بناء على أنها من باب الكرامات التي ليس لها حد عندهم ومتى سلموا بها جزموا بأن مثل هذا الولي يفعل ما يشاء فيصرفون قلوبهم اليه ويطلبون حوائجهم منه فيكونون قد اتخذوه إلهًا باعتقادهم أنه يقول للشيء **كن** فيكون وقد عبده بدعائه والاعتماد عليه وهم مع هذا كله يفشون أنفسهم بأنهم لا يسمونه إلهًا وإنما يسمونه وليًا كأن الاسماء هي التي تميز الحقائق دون العقائد والأعمال القلبية والبدنية . وأنتي أذكرهم بأن المشركين كانوا يسمون معبوداتهم أولياء ، ويعتقدون كما يعتقدون أنهم شفعا ، قال تعالى « والذين اتخذوا من دونه أولياء: ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » وقال أنهم يعبدونهم « ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » وقد بينا لهم الحق لم نخف فيه لومة لائم فليضربوا بكلام الشعرا في عرض الحائط ان كان كل ما في كتبه كلامه أولي حسنوا الظن به كما قلنا أولا ويحكموا بأن هذه الكتب مملوءة بالدسائس عليه ، فلا يعتمد عليها ولا تتخذ حجة عليه ، وهذا هو الاسلام فبرئته ولا نبرئها ، وندعو له بالرحمة ونظرهما . مكتفين بهدي الكتاب والسنة ، فنتمسك بهما نجا ، وما تنكب عنهما هلاك ، وأعلم أن أعظم ما يغش الناس بقبول كل ما ينسب للأولياء والصالحين أمران أحدهما وقوع بعض الامور الغريبة على أيديهم أوفى إثر الالتجاء اليهم وقد بينا طرق تأويل ذلك وكشف الحق فيه في مقالات الكرامات والحوار من المجلد الماضي وسنزيدها يانا ، وثانيهما تسليم بعض الشيوخ المعرفين بالعلم أو الصلاح بذلك

﴿واقعة غريبة في الموضوع﴾

رأى في هذه الايام رجل موحد صديقا له من القضاة الشرعيين في المسجد الحسيني يتضرع ويشكو لسيدهنا الحسين عليه السلام ويطلب منه قضاء حاجاته من غير ان يذكرها بالتفصيل اكتفاء بأنه رضي الله عنه يمررها لانه مطلع على أحوال العالم كله ولذلك كان يقول له في كلامه ما يقوله غيره من العامة : الشكوى لاهل البصيرة عيب : فقال له الموحد إن هذا الذي أنت فيه شرك بالله تعالى وإن أحكامك الشرعية غير صحيحة مع اعتقادك وعملك هذا وبمد جدال اتفقا على ان يتحاكما الى عالم في الازهر هو من أشهر اهله في مصر بالعلم والصلاح ، فقضا عليه خبرهما وشرح له الموحد عقيدته . فسأله الشيخ عن استاذة الذي يحضر عليه ! فقال ليس لي استاذ وإنما الكلام في العقائد لاني الاشخاص ، فسأل

القاضي عن صحة ما نسب اليه فقال له نعم هذا الذي لقينا عليه مشايخنا ومنهم فلان الصالح
الشهير . فقال الشيخ الموحد ان عقيدتك يا بني هي الشرع اذ لا يوجد فيه شيء مما
عليه الناس فاذا لم تعتقد بان أحدا من الاولياء يضر أو ينفع فان ذلك لا يضرك ولكن
لا تنال قطعن فيهم اذ يخشى عليك حينئذ ولا يضرك أيضا ان تعتقد كما يعتقد القاضي
فان بعض علمائنا الشافعية الذين لا يستطيع أن تنكر عليهم أو تنسك في فضلهم قد أثبتوا
للاولياء تصرفا ! فقال الموحد أن الامر في اعتقادي الفطحي الذي أتى الله عليه هو
دائر في هذه المسألة بين التوحيد والشرك فانا اعتقد أنه لا ضار ولا نافع الا الله وان
نبينا عليه الصلاة والسلام قد جاءنا بالهداية عن الله تعالى ولم يكن له من الامر شيء وانما
عليه التبليغ وقد بلغ رسالة ربه . وانتهت مأموريته . فقبضه الله اليه . والقاضي يقول
أن الاولياء الميتين ديوانا وأنهم هم المتصرفون في الكون فكل ما يجري فيه قائما يجري
بتصرفهم ، وهذا نقيض اعتقادي ، فقال له الشيخ انك قلت أولا انك لقيت القاضي
في المسجد الحسيني فاذا كنت تفعل هناك ؟ قال أزور سيدنا الحسين : قال ولما ذا ؟
قال لأن زيارة القبور مسنونة للاعتبار ولأن سيدنا الحسين رجل عظيم من أولاد الرسول
الذي جاءتنا الهداية على لسانه بذل دمه في سبيل نصرته الدين وازالة الظلم فانا بزيارته ازداد
اعتبارا وأدعوله بالرحمة اعترافا بفضله . قال الشيخ قلت لك ان اعتقادك شرعي ولكن
لا تنكر على القاضي وغيره فان شيخنا فلانا كان يرسلني في أول حضوري عليه الى سيدنا
الحسين في حال شدته (أو قال مرضه لأدري) ويأمرني أن أقول له : العادة يا سيدنا الحسين :
فيحصل له خير (أو قال غير ذلك انسيان مني) فانظر أيها القارئ تجد العالم يعترف
بأن كذا هو الدين والشرع ثم يقر على مخالفته اعتمادا على أن بعض مشايخه المقلدين
كانوا يقولون ذلك وهو يحسن الظن بهم وأعجب من هذا أن الناس الذين يسلمون
بان امر الشعراني اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون لا ينافي الدين فلا يعترضون
عليه بل يعترضون على ابن تيمية اذ يقول لا اله الا الله لا يعترضون الا بالادعاء في كتاب
الله وسنة رسوله . فهكذا يفعل التقليد لا يبق عقيده ولا ديننا ، ولا حجة فيه الا الاذعان
للأشخاص الذين لا عصمة لهم من الجهل ولا من الخطأ والاحكايات ووقائع غريبة ينقل مثلها
عن جميع الملل . وكثيرا ما يكون هؤلاء المعتقدون بتصرف الأموات من أهل العبادة

والزهد والاخلاص بحسب تقاليدهم ولذلك يغش الآخرون بهم «وخلق الانسان ضعيفا»

❦ ادخال السعدية الدبايس في أشداقهم ❦

(س ٣٥) ومنه: كنتم قنم في تضارب السعدية بالسيوف ان ذلك لعبة عادية فما تقولون في ادخال الدبايس في أشداقهم من غير ضرر

(ج) ان هذا كذلك ولا يدخل منه شيء في الدين اذ الدين جد لاهو فيه ولا لعب ولا يدخل هذه الاعمال في الدين الا الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعبا وغرهم الحياة الدنيا، أما التعود على هذه الاشياء والحيل فيها فلا يعرفها الا من زاوها ومن المشعوذين في أوربا وغيرها من يفعل أعظم من ذلك

❦ حروف الكتابة — احترامها ❦

(س ٣٦) ومنه: هل كل مكتوب محترم لا يجوز إلقاءه أم ذلك خاص بما يحتوي على لفظ شريف وهل غير العربي مثله في ذلك؟

(ج) ذهب الشافعية الى أنه يجب احترام الاسماء المعظمة المكتوبة كأسماء الله وأنبيائه كاحترام كلام الله تعالى فلا يجوز أن تاتي حيث تداس مثلا أو أن يتعمد عدم الاكتراب بها أو الاهانة لها كما قال: وبالغ الحنفية فقالوا ان كل الحروف والكتابة محترمة بهذا المعنى. فاما كتابة نحو القرآن والاسماء المعظمة فان تعمد إهانتها يدل على عدم الايمان كما ينقل عن بعض الملحدين المشهورين في مسامي. مصر من انه أخذ ورقة من المصحف ولفها ووضعها في أذنه يخرج بها الوسخ منها فهذا لاشك في إلهائه وكفره. واما اهانة كلام الناس المكتوب فلا يتصور حدوثه من عاقل الا سبب كاعتقاد أن الكلام ضار أو كتب بسوء النية وقصد الايذاء والدهان. مثلا فمن قرأ جريدة ورأى فيها شيئا من مثل هذا فألقاها أو مزقها ورماها هل يقال انه عاص لله تعالى مرتكب لما حرمه؟ كلا ان التحليل والتحريم بغير نقل صحيح أو دليل رجيح هو المحرم ولم نعرف دليلا في الكتاب ولا في السنة على أن إلقاء ورقة مكتوبة على الارض بقصد احتقار مبني على اعتقاد ضررها مثلا أو بغير قصد ذلك كالاستغناء عنها وعدم الحاجة اليها من المحرمات التي يعذب الله فاعلمها. وماعساه يقال في استنباط اللوازم البميدة من: أن ذلك يستلزم احتقار الحروف واحتقار الحروف يستلزم احتقار ما يكتب

بها وما يكتب بها عام يشمل كتاب الله وأسماءه : فقير مسلم ويمكن ان يستبطن مثله
 فيمن يلقى قشور البطيخ والباذنجان ونحوها بان يقال ان هذه نعمة يمكن ان ينتفع بها
 الناس أو الدواب فيجب تعظيمها واحترامها وعدم احترامها يستلزم الكفر بالنعم
 بها وما أشبه ذلك . وجلة القول في المسألة ان العاقل المكلف لا يقصد ببقاء الورق
 المكتوب اهاتة الا لنحو السبب الذي ذكرناه وهو لاشي فيه بل العاقل لا يحقر
 شيئاً في الوجود لذاته أو لانه وسيلة لشي نافع أو شريف فما قاله الشافعية هو الظاهر ولا
 ينبغي الغلو والتطلع فيه والله أعلم

الطلاق - اشتراط القصد فيه -

(س ٣٧) ع . ص . بمصر (القاهرة) : كنت أتجاذب أطراف الحديث مع
 صديق لي في أمور دينية فتدرجنا الى موضوع الطلاق فاختلنا فيه وكان رأيي أن الطلاق
 يقع بمجرد النطق باللفظ ولو لم يكن الطلاق مقصوداً وأما أنا فرأيت انه لا يقع الطلاق
 الا بعد الاصرار عليه . فهل لكم ان تفضلوا بنشر الحقيقة على صفحات مناركم الا نقر
 فتقذوا العالم الاسلامي من وهدة الاختلاف التي وقع فيها من كثرة التأويلات ويكون
 لكم علينا الفضل ومنا الشكر ومن الله الأجر :

(ج) الزواج عقدة محكمة توثق بين الزوجين بعقد مقصود مع العزم فمن
 المعلوم أن لا تحل الا بعزم وبذلك جاء الكتاب الحكيم قال تعالى « ولا تمزوا
 عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله » أي لا تمزوا عقد هذه العقدة الا في وقتها
 وهو انتهاء عدة المرأة والكلام في المعتدة . وقال تعالى « وان عزموا الطلاق » الخ
 أي إن صمموا عليه وقصدوه قصداً صحيحاً . والقاعدة عند الفقهاء في العقود أن
 العبرة بالمقاصد والمعاني ، لا بالألفاظ والمباني ، وظاهر أن أعظم العقود وأهمها العقد
 الذي موضوعه الانسان من حيث ياتلف ويجمع ويتوالد ويربي مثله فمثل هذا العقد
 يجب الحرص التام عليه لأن في حله خراب البيوت وتشيت الشمل المجتمع وضياع
 تربية الأولاد وغير ذلك من المضار ولكن أكثر فقهاء المذاهب المشهورة ذهبوا
 الى أن عقدة النكاح تعقد بالهزل وتتحل بالهزل حتى كأنها أهون من العقد على أحقر
 الماعون الذي اشترطوا فيه مع التعاطي الايجاب والقبول الدالين على القصد الصحيح

وحجهم في حديث غريب كما قال الترمذي أخرجه أحمد وأصحاب السنن ما عدا النسائي من حديث أبي هريرة وهو « ثلاث جدهن جد وهزلن جد النكاح والطلاق والرجعة » وقد صححه الحاكم الذي كثيراً ما صحح الضام والموضوعات وفي إسناده عبد الرحمن بن حبيب بن (أزدك) قال النسائي فيه منكر الحديث ولذلك لم يخرج حديثه ولقد عرف النسائي رحمه الله تعالى من ابن (أزدك) هذا ما خفي على كثيرين ونحن نقدم جرح النسائي على توثيق غيره عملاً بقاعدة تقديم الجرح على التعديل مع كون موضوع الحديث منكر المخالفة ما دل عليه الكتاب من وجوب العزم في هذا الأمر ومخالفته القياس في جميع العقود وهو أن تكون بقصد وإرادة وإن جملة الحافظ حسناً . ولهذا لم يأخذ به مالك ولا أحمد - وهو أحد رواته - على إطلاقه بل اشترط النية في لفظ الطلاق الصريح واشترطه في الكتابة أولى لاحتماها معنيين . ومن العجائب أن بعض الفقهاء يقول أن النكاح لا يقع من الهازل ولكن الطلاق يقع فهو يأخذ ببعض الحديث ويترك بعضاً . وقد دعم بعضهم حديث ابن أزدك بحديث فضالة عند الطبراني « ثلاث لا يجوز فيهن اللاب الطلاق والنكاح والعنق » وهو على ضعفه بآب طهيم في سنده ينقض الأول لا يدعمه لأن عدم الجواز يستلزم الفساد لا الصحة كما يعرف من الأصول وجاء بلفظ آخر فيه انقطاع فلا يعول عليه ولا يبحث فيه . ثم إن مسائل العقود ومنها النكاح والطلاق كلها مشروعة لمصالح العباد ومنافعهم ومعقولة المعنى لهم وليس من مصلحة المرأة ولا الرجل ولا الأمة أن يفرق بين الزوجين بكلمة تبدر من غير قصد ولا إرادة لحل العقدة بل فيها من المفساد والمضار ما لا يخفى على عاقل فلا يليق بمحاسن الملة الخفيفة السمحة أن يكون فيها هذا الحرج العظيم . هذا وقد ورد في الأحاديث الموافقة لأصول الدين وسماحته ما يدل على أن الخطأ والنسيان غير مؤاخذ به ومثلها الأكرام وقد قال تعالى « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان » أي بتوثيقها بالقصد والنية الصحيحة والطلاق من قبيل الأيمان والله أعلم وأحكم

﴿ رأي أمير المؤمنين علي «ض» واحتياطه في أكله ﴾

(س ٣٨) عبده اقتدى ناطق في (الاسكندرية) نذكر هذا السؤال بعناه وهو أن صاحب مجلة الهلال قال في ترجمة سيدنا علي كرم الله وجهه في المجلد

السادس (ص ٢٠٢ و ٢٠٣) انه كان ضعيف الرأي ولذلك فشل في مسألة الخلافة « وانه لم يكن يأكل طعاما لا يعرف صانعه وحامله فكان يحتم على جراب الدقيق الذي يأكل منه وسئل مرة عن سبب ذلك فقال : لا أحب أن يدخل بطني الا ما أعلم : والظاهر أنه كان يفعل ذلك مخافة أن يغدر به أعداؤه فيميتوه مسموما ، اه هذه عبارة الهلال وقد استبشعها السائل وكتب اليها اولاً فأجبتاه بكتاب خاص بأن ماذكره في الهلال حكاية فهو منقول فكتب يباح منفعلا بوجوب الجواب في المنار فنقول فيه

(ج) ان الامام علياً لم يكن يجهل من الرأي ما كان يشير به عليه بعض الذين ظنوا انه كان ضعيف الرأي كما يعلم من خبر المغيرة موه وانما كانت السياسة تقضي في عهده بأن يقر بعض العمال ذوي العصية كماوية على اعمالهم مع اعتقاده بأنهم كانوا ظالمين ولكن وجد ان الدين كان اقوى عنده من دهاء السياسة حتى لا يستطيع ان يعمل ولا ان يقر الا ما يتقدمه حقاً وعدلاً وهذا هو السبب الصحيح في فشله فقد كان الدين عنده امراً وجدانياً عقلياً لانظرياً فقط وسبب ذلك انه تربى عليه عملاً في حجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال عبد الباقي

ريب طه حبيب الله انت ومن * كان المرابي له طه فقد برعا

واما مسألة الاكل فقد كان سببها الورع وما استظهره صاحب الهلال في غير محله فانه قياس على حال بعض الملوك الجبناء الظالمين الذين قتلوا بحب طول البقاء والنعيم والخوف من الرعية وما أبعد الفرق !! والمؤرخون كصاحب الهلال يأخذون الخبر على ظاهره ويستنبطون منه ما يسبق الى خواطرهم بحسب معرفتهم وتأثير عصرهم . أما الاثر فقد رواه أبو نعيم في الحلية بسنده الى عبد الملك بن عمير قال حدثني رجل من ثقيف ان علياً استعمله على عكبري قال ولم يكن السواد يسكنه المصلون وقال لي اذا كان الظهر فرح اليّ فرحت اليه فلم أجده عنده حاجباً يحجبني دونه فوجدته جالساً وعنده قدح وكوز من ماء فساابضيه (١) فقلت في نفسي لقد امنى حين يخرج الى جوهرها ولا ادري ما فيها فاذا عليها خاتم فكسر الخاتم فاذا فيها سويق فأخرج منها فصب في

* (١) الظية جراب صغير من جلد الظية عليه الشعر

القدح فصب عليها ماء فشرب وسقاني فلم اصبر فقلت : يا أمير المؤمنين اتصنع هذا بالعراق وطعام العراق اكثر من ذلك : قال : « اما والله ما اختم عليه بخلا عليه ولكن اتباع قدر ما يكفيني فأخاف ان يفنى فيوضع من غيره وانما حفظي لذلك واكره ان ادخل بطني إلا طيباً » : وأخرج ابو نعيم ايضاً من طريق سفيان عن الاعشى قال : كان علي يفتدي ويعشي (اي الناس) ويأكل هو من شيء يجيئه من المدينة : وذكر الاثر الاول من غير حكاية الراوي صاحب القوت والغزالي في كتاب الحلال والحرام من (الاحياء) وانفقوا على انه من الورع والواقعة صريحة فيه وهكذا كانت سيرة المتقين من الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة والتابعين

روى البخاري من حديث عائشة قالت : كان لابي بكر غلام يخرج له الخراج وكان أبو بكر يأكل من خراجها فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر فقال له الغلام أتدري ما هذا قال وما هو ؟ قال كنت تكلمت لانس في الجاهلية فأعطاني . فأدخل اصبعه في فيه وجعل يقيء حتى ظننت ان نفسه ستخرج وقال : اللهم اني اعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء :

وروى ابو نعيم في الحلية بسنده الى زيد بن ارقم قال كان لابي بكر مملوك يغسل عليه فأتاه يوماً بطعام فتناول منه لقمة فقال له المملوك : مالك كنت تسأني كل ليلة ولم تسأني الليلة : قال : « حملني على ذلك الجوع من اين جئت بهذا ؟ قال مررت بقوم في الجاهلية فرقت لهم فوعدوني فلما كان اليوم مررت بهم فأعطوني . قال : آف لك كدت ان تهلكني » فأدخل يده في حلقه فجعل يقيء ورجل لا يخرج . فقيل له ان هذه لا تخرج الا بالماء فدعا به من ماء فجعله يشرب ويتقيأ حتى رمى بها . فقيل له : رحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة قال : لو لم تخرج الا مع نفسي لأخرجتها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به » خشيت ان ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة : ورواه غيره . وروى مالك من طريق زيد بن اسلم قال شرب عمر لبناً فأعجبه فسأل الذي سقاه : من اين لك هذا اللبن ؟ فأخبره انه ورد على ماء قد سباه فاذا نعم من نعم الصدقة وهم يسقون فخابوا لي من ألبانها فجعلته في سقاني فهو هذا : فأدخل عمر يده فاستقاه : - هذا بعض شأنهم في الورع والاحتياط في المأكل ولم يكن

عهد ابي بكر وعمر كه مد علي في تهاون الناس بالحلال والحرام ولذلك بالغ هو في الاحتياط في سفره . وحاشا ان يمس الخوف من السم ذلك القلب المملوء ايمانا وشجاعة

تركة ووصيتان

(س ٤٠) السيد حسن بن علوي بن شهاب الدين في (سغا فوره)

ما قولكم فيمن اوصى بما نصه : وما يزيد من تركتي بعد ما ذكر اعلاه (يعني من دينه) يقسم اثلاثا ثلثان للورثة يقسم بينهم الثلث والثلث يقيم عشرين سهما اه وعين مصرف العشرين السهم ثم قال في وصية له اخرى ما نصه : وجعل لاولاد اخيه احمد مثل نصيب احد اولاده المذكور والوصية المتقدمة باقية على صحتهما اه : اما الوصيتان فمعلوم صحتهما والورثة ام وزوجة وستة اولاد وثلاث بنات ولا يخف ان مات قبل الاستحقاق فريق له ثلاثة اسهم ونصف سهم من العشرين السهم قبل موت الموصى فهل بسقوط هذه الاسهم تعود هذه الاسهم تركة ام يوزع ما بقي على ما بقي من الاسهم وتعود وصية وعلى كلا التقديرين كيف تكون قسمة التركة وكيف تصحيح المسئلة لان بعض العلماء يزيد ذلك انثلا في تصحيح المسئلة ويزيد مثله للموصى له نعم ثلث المال في واقعة الحال شي كثير فلو كان اثلاث مثلا لفا ومقدار مثل نصيب احد الاولاد سبعة مائة فهل يأخذ الموصى له بمثل النصيب نصيبه كاملا ام يدخل النقص على الجميع وفي مسئلتنا هاهل يشاركونهم في الزائد وهي الثلاثة الاسهم والنصف السهم الذي مات مستحقوه قبل الاستحقاق نومل من شيم الكرام الجواب على صفحات المنازع التوضيح الكامل فالمسئلة واقعة حال ودمتم

(ج) نقول اولاً ان السائل كتب حاشية للسؤال ذكر فيها اختلاف اهل العلم في المسألة وان كلام ابن حجر اختلف فيها فظننا انها ذكرت في فتاويه بنصها فأرجأنا الجواب لمراجعة كلام ابن حجر اذ ليس عندنا فتاواه ولا تحفته ثم رأينا ان نعطي السؤال لاحد اصدقائنا من علماء الشافعية في الازهر ففعلنا وجاءنا منه ما يلي بنصه :

الحمد لله اما بعد فهاتان وصيتان على الترتيب - الاولى بالثلث وجعله عشرين سهما فلتكن التركة ستين سهما - والثانية بمثل نصيب ذكر من اولاده . وحيث قدمنا اصحاب ثلاثة اسهم ونصف من العشرين قبل موت الموصى فتلك الحصة تعود تركة فتكون الوصية الاولى بستة عشر سهما ونصفا من ستين ، وتكون التركة التي فيها الوصية الثانية

ثلاثة واربعين سهما ونصف ، تقسم كلها على الورثة لا غير وهم ام وزوجة وستة ذكور
 وثلاث بنات = ومساألهم من اربعة وعشرين وتصح من ثمانية واربعين وتريد الآن
 الثاني لانه اسهل حسابا فلتعبر ان الثلاثة والاربعين سهما ونصفا ثمانية واربعين سهما
 للزوجة الخمسة وللأم السدس ثمانية فهذه اربعة عشر يبقى اربعة وثلاثون لستة ذكور وثلاث
 بنات فتكون القسمة على خمسة عشر باعتبار البنات فلا تنقسم الاربعة والثلاثون سهما عليهم
 صحيحة فتضرب في خمسة عشر فيكون حاصل الضرب خمسمائة وعشرة يقسم ذلك الحاصل على
 خمسة عشر فتكون حصة البنت اربعة وثلاثين وحصة الذكر ثمانية وستين ثم تحول حصة الزوجة
 والام الى اسهم كهذه فتضرب اربعة عشر في خمسة عشر فيبلغ مائتين وعشرة تضم الى
 خمسمائة وعشرة حصة بقية الورثة فتكون التركة التي كانت ثلاثة واربعين سهما ونصفا سبعمائة
 وعشرين سهما حصة جميع الورثة فقد صححت المسألة على ذلك وبزاد عليه مثل نصيب ذكر وهو
 ثمانية وستون قبله سبعمائة وثمانية وثمانين سهما ، فاذا قسمت الثلاثة والاربعون سهما
 ونصف سهم الى سبعمائة وثمانية وثمانين اعطيت الزوجة تسعين والام مائة وعشرين وبقيت
 الورثة خمسمائة وعشرون للذكر مثل حظ الانثيين ، وكان لاولاد الاخ ثمانية وستين على سيدل
 الوصية وهي الوصية الثانية ، منها اربعة اسهم وستة وعشرون جزءا من ثلاثة واربعين
 ونصف زائدة على الثلث فهي موقوفة على اجازة الورثة ، ويان كون هذا المقدار هو الزائد
 على الثلث انه اذا كانت الثلاثة واربعون سهما ونصف سبعمائة وثمانية وثمانين فلتكن الوصية
 الاولى التي هي ستة عشر سهما ونصف مائتين وثمانية وتسعين سهما وتسعة وثلاثين جزءا من
 ثلاثة واربعين ونصف حيث تضرب ستة عشر ونصفا في خمسة عشر فيمكن المبالغة قبل
 الوصيتين الفا وستة وثمانين سهما وتسعة وثلاثين جزءا من ثلاثة واربعين ونصف وليكن ثلثه
 ثلاثمائة واثنين وستين سهما وثلاثة عشر جزءا من ثلاثة واربعين ونصف ، وحيث ان
 الوصيتين على الترتيب فلتنفذ الاولى كلها وهي مائتان وثمانية وتسعين سهما وتسعة وثلاثون
 جزءا من ثلاثة واربعين ونصف ولتنفذ الثانية لاولاد الاخ فيما يتم الثلث ، والذي يتمه ثلاثة
 وستون سهما وسبعة عشر جزءا ونصف من ثلاثة واربعين ونصف مع ان حصة الذكر ثمانية
 وستون فيكون الزائد عن الثلث اربعة اسهم وستة وعشرين جزءا من ثلاثة واربعين ونصف
 فيحتاج الى اذن الورثة

والحاصل ان التركة بحسب الاصل ستون سهماً منها عشرون الموصية الاولى رجع منها
لاثة ونصف للتركة فتكون التركة ثلاثة واربعين سهماً ونصفاً أخذ منها الاولاد الاخ ثلاثة ونصفاً
تسعة الثلث ويبقى بعد الثلاثة ونصف شيء يتم حصة لذكرك فيحتاج الى اذن الورثة فان احازوا
نقد والا فلا نفود ، واذا اجازوا فلتكن القسمة على ما بينا ، بحيث تصحح مسألة الورثة
اولاً ثم يزداد على اصل المسألة مقدار ما يخص الذكرك ثم يقسم بعد ذلك على الورثة وفيهم صاحب
الموصية الثانية ولا يخفى ان تلك الزيادة هي مسألة المول الذي يدخل على جميع الانصاء .
وليس في هذه الواقعة خلاف ، اقررنا والله اعلم .

﴿ هذا أوان العبر ﴾

﴿ فهل نحن أحياء فنعتبر ﴾

وبالجملة فقدها كل قون المدينة النافعة التي سادت بها الدول المسيحية وسعدت الأمم
الغربية واليك البيان نشر أحد كتاب العثمانيين في العدد ٣٢ من جريدة (ترك) المؤرخة
٢٥ ربيع أول سنة ١٣٢٢ الصادرة في مصر مقالة تستثير كوامن الشجون خلاصتها
انه رأى في جرائد الاستانة كلاماً طويلاً عن مرور منير باشا سفير الدولة العثمانية في
باريس على صوفيا عاصمة البلغار لاجل دعوة أميرها الى زيارة الاستانة وقال انما
استوقف خاطره من ذلك الكلام الطويل جملة واحدة وهي قول تلك الجرائد
ان في جملة ما زاره السفير من المعاهد في تلك العاصمة (التي كانت تسمى في عهد استيلاء
الترك عليها مركز ولاية الطونة) معرض النباتات والحيوانات والتحف وهي العاصمة
التي كانت منذ خمس وعشرين سنة كبقية عواصم ولايات الدولة في أوروبا مثل يانينا
وأدرنه ومناسر قدرة الشوارع والطرق ضيقها محرومة من غناية المجالس البلدية
كل شيء فيها مهجور ماعدا الجوس والمعابد والقش (التكنات) فصارت تلك العاصمة
في زمن قليل أي منذ استقلت عن الدولة في حالة من الترقى يكاد من رآها يجهل انها
مدينة صوفية القديمة لما صار فيها من الشوارع العريضة المنظمة والمباني الفسيحة
والملاعب (التيارات) والمتنزهات والترامواي الكهربائي والتلفون وليست مدينة
صوفيا وحدها التي ترقى الى هذه المرتبة من المدنية الاوربية بل كل حواضر البلاد

التي دخلت تحت حكم البلغار كغلبه ووارنه وغيرها ولم ينحصر هذا الترقى بالبلغار بل شمل الصرب ورومانيا واليونان وهي الممالك التي انفصلت عن الدولة العثمانية واستفاض فيها نور التمدن استفاضته في البلغار وستبعمها كريد أيضاً التي انفصلت بالامس عنا واما الممالك التابعة لنا فانها فضلا عن ان تترقى في فنون المدنية آخذة يوماعن يوم بالتقهقر والحرب واليك مدن أدنه وروسه وحلب والشام وبغداد اللاتي كن عواصم كبرى للملك من أزمنة متفاوتة لم يستطعن المحافظة على عمرانهم المتخلف من ذلك الزمان : الى ان قال : وبغض النظر عن حاجة ولاياتنا الى أسباب العمران فاننا اذا نظرنا الى القسطنطينية تلك المدينة الكبرى التي يسكنها مليون من النفوس والتي هي ذات استعداد وقابلية لان تكون عاصمة العالم أجمع نرى ان ابنيها أدنى من ابنة قرية من قرى الممالك المتقدمة وطرقها وميادنها مملوءة بالاحوال شتاء وهي قرارة الاقدار صيفاً : ثم استرسل الكاتب في هذا الباب بما يدعي القلوب ويشجي النفوس وذكر من حال عاصمتنا الكبرى وتدنيتها العظيم وعدم مجاراتها حتى للبلدان التي انفصلت عنها بالامس وفقدانها كل وسائل الراحة وأسباب العمران ما لم نر لايراده حاجة خشية التطويل. واذكر أيضاً مثل هذا الشاهد وقد نشرته من بضع عشرة سنة جريدة الاهرام التي تطبع في مصر وخلاصته ان صاحب الجريدة اجتمع في مدينة صوفيا يومئذ مع أحد كتاب الجرائد الهندية الاسلامية وجرت بينهما محادثة مما جاء فيها قول ذلك الكاتب : ان من يرى اماره البلغار يكذب اتاريخ وذلك لانه لا يصدق انفصال هذه الامارة عن الدولة العثمانية منذ عشرين سنة وسبقها لأمها عاصمة الدولة هذا السبق البعيد في كل ضروب المدنية والترقى في ذلك الزمن القليل :

وانت ترى من هذا الشاهد ومما سبقه وهما من أقوال كتاب المسلمين أنفسهم كيف ان الشعوب الأخرى تسرع بالترقى والمسلمون يتخلفون وكيف هو حال الممالك الاسلامية بالنسبة لحال الممالك المتقدمة على ان ما ذكرناه يختص بالمملكة العثمانية دون الممالك الاسلامية الاخرى مع ان هذه المملكة هي أرقى حالا بكثير من بقية الممالك الاسلامية من حيث الترقى المدني في المعارف الضرورية لقيام الدولة العثمانية على أمر التعليم قياماً وان كان في نفسه غير موف بالحاجة الا انه لا يخلو من شئ من

الفائدة وأخصها فائدة المدارس الحربية التي جعلت لهذه الدولة جيشاً منظماً بلغ الغاية من الترقى لولم يصحبه ضعف السياسة والمال بل ضعف اساس الحكومة لانها حكومة اسلامية

هذا حال هذه المملكة وهم على ظنتنا أرقى من غيرها بكثير فما بالك بمملكة الغرب الاقصى وفارس والافغان وحال الاولى من الفوضى والتردي في الجهالة والامعان في طرق التدلي معلوم فهذه المملكة التي ليس بينها وبين أوروبا بلاد المدينة والترقي الا مضيق سبته لم تنفع من هذا الجوار بشيء البتة ولم ينفذ اليها على قريها من أوروبا شعاع من نور المدينة الجديدة والحياة السعيدة مع ان ذلك النور عم أفق اليابان في الشرق الاقصى وبينها وبين منبعته آلاف من الاميال فليس في المغرب الاقصى الآن أثر للتعليم على الاصول الجديدة ولا اسم للحكومة المنظمة ولا قوة للملك ولا جند منظم للدولة ولا معرفة لاهلها بأحوال العالم قط وحسبك من امعاتهم في الجهالة ان المطابع التي كانت سبباً متيناً من أسباب انتشار العلم بين الامم لم يبق بقعة من بقع الارض حتى مجاهل أفريقيا الا وجدت فيها وأهالي المغرب الاقصى لم يعنوا بها ولم تنتشر في بلادهم الى اليوم

جاء الى مصر في هذه الآونة السيد المنهبي وزير الحرية السابق في المغرب الاقصى بقصد أداء فريضة الحج فاستطلعت طلع الدول والبلاد وبسطت لديه بعض أمانتي في اصلاح المملكة فاخبرني ان المسلمين ثمة يأبون كل اصلاح وليس عندهم استعداد لقبول أي ضرب من ضروب الترقى والمدينة ولما أوضحت لديه أهون السبل للوصول الى تقويم أود الامة والدولة أظهر من خشونة المركب وشدة الاواء على إمكان العمل في بلاد ذلك مكانها من عدم الاستعداد للاصلاح في التعاليم والادارة والقضاء والجندية ما يظهر من كل كبير وأمير في المسلمين اذا شكوت اليه ضعف أمته وتقهقر أهل ملته حتى كأن العجز عن النهوض أصبح من العاهات السائدة على قادة المسلمين وخاصتهم كما هو آخذ بنواحي عامتهم متسلط على نفوس كافةهم

هذا اجمال حال مملكة المغرب الاقصى واما مملكة فارس فحسبك أن تقول ان تلك الامة على مراقبتها في المجد وقدم عهدها في الدولة وانها من الممالك القديمة التي كانت

ذات مدينة راقية وملك عظيم أصبحت الآن في حالة من الضعف وسوء الإدارة والتدلي عن مرتبة العلم والمدينة بحيث لا ترى لها حركة تدل على شيء من الرقي المطلوب لئلاهما هذا مع أن ملكها السابق والحالي جابا اطراف البلاد الاوربية ووفقا على كل فنون المدينة الحاضرة وعلمنا بانفسهما وجه ترقى الأمم المسيحية ومع هذا فلم يبق ذلك عن تفهيم بلادها وتدلي الامة الاسلامية فيها شيئا فليس في البلاد الفارسية من المدارس الاملا يتجاوز عدد الانامل وليس للدولة نظام للجندية ولو كنظام الجندية العثمانية وليس لتفورها التي أضحت مطمح الدول الغربية ولا باخرة حرية وبالجمل فسكون التناهي في الانحطاط سائد هناك كما هو سائد في بقية البلاد الاسلامية

واما الامة الافغانية فهي الى البداوة في كل اصول معيشتها ومارفها اقرب منها الى الحضارة وليس فيها من دلائل الحياة الاقيام أميرها المتوفى وأميرها الحالي على ترتيب الجند وتدريبه على الحرب وجمع كلمة القبائل والاحزاب على الذود عن حياض الملك فهذا بوجه الاجمال حال المسلمين في هذا العصر وحال دولهم المستقلة لهذا العهد أفليس مما يكلم القلوب ويديم الاحشاء ان لا يكون فيهم ولو دولة واحدة تضاهي أصغر الامارات المسيحية في التقدم والارتقاء كماارة البلغار أو الصرب أو رومانيا الثلاثي انفصلن بالامس عن الدولة الاسلامية الكبرى فسبقنها سبقا بعيدا وصرن لها خصما عنيدا ؟ وماهي ياترى علة هذا الحمود القاتل والحمود الشامل الذي تمرد المسلمين وقطع نظامهم وجعلهم يتسكمون في أخريات الانم حتى سبقهم المسيحيون والوثنيون واستبد بهم منازعوهم على الملك وغلب على أمرهم مزاحموهم في مضمار الحياة في كل بقعة من بقاء الارض ؟ ألا أنهم دون اولئك السابقين خلفا ؟ ألا أنهم أضف منهم استعدادا ؟ كلا إن الاستعداد والخلق في أبناء الطينة الواحدة لا يختلفان الا بالاعراض لا بالجواهر . أو لطلق كونهم مسلمين وان الاسلام مانع من المدنية كما يقول أعداؤه والمارقون منه هذه هي العقدة التي أصبحت مزدهم الافكار ومرمى نظر الباحثين في طبائع الامم في هذا العصر وانما قال بعضهم ان الدين هو المانع من ترقى المسلمين لانهم لم يروا شعبا واحدا منهم نهض لمجاعة الامم المتمدنة واستحق ان يوضع في مصاف الشعوب الراقية حكومة ومدنية ، بل كل المسلمين في هذا التأخر سواء وان تفاوتوا

في المراتب بتفاوت الارضاء، مع ان مجاورهم من المسيحيين أصبحوا مذانقصلوا عنهم في اسمى درجات الارتقاء، وكذلك أبناء طبيعتهم الشرقية من اتباع كوثقوشوس وبوذه وهم اليابانيون صاروا في مصاف الامم الراقية ودولتهم تعد من دول المشرق العظمى مع انهم لم يدخلوا في غمار هذا الترقى الجديد الا منذ ثلاثين سنة

الذين قالوا ان علة تدلي المسلمين هو الدين بعضهم يقول ان مصدر هذه العلة تعدد الزوجات لانه يهدم نظام البيوت ويفقد اصول الترية ويرج بالنفوذ في غمار الشهوات : وبعضهم يقول ان مصدرها عقيدة تقدر التي تقعد بالنفوس عن السعي واستأصل شافة الاعتماد على النفس : وبعضهم يقول ان مصدرها الاعتقاد بالاموات الذين يسمونهم بالاوياء والصالحين ويعتمد عليهم عامة المسلمين في قضاء الحاجات دون الاعتماد على تعاطي الاسباب الموصلة للحاجات : الى غير ذلك من العلل التي اذا محصها العقل مجدها بعيدة عن غرض الاسلام ادخلها في العقائد والاعمال سوء الفهم وهي وان صاححت لان تكون سببا لتدلي المسلمين الا انها لا تصاح ان تكون برهاناً على ان الاسلام هو المانع من ترقى المسلمين بل المانع في معتقدي أمر آخر أربدوضه لدى الباحثين في موضع النظر والتقد فاقول :

الاسلام من حيث هو دين سماوي لا يراد به الا سعادة البشر وخبرهم لا يسوغ لعاقل ان يقول انه يمنع المتدينين به من مثل هذه السعادة التي ارادها الله لعباده بواسطة الاديان وانما هي الافهام تختلف في معرفة مغزى الدين باختلاف الامم والعصور وتباين بتيان العقول . فالاسلام أول من تلقاه من الامم كما هو معروف الامة العربية التي كانت متردية في الضلالة متهاقة في البداوة ليس عندها شيء من قوانين الاجتماع ونظام الحكومات الراقية والشعوب المنمدنة فلما جاءها الاسلام باحكامه ومواعظه واوامره ونواهيها رأى العرب فيه مقصدا قريبا وأمرأ جليلا وحكمة بالغة فانضموا اليه وأقبلوا عليه وقالوا هذا هو الشيء الذي هو كل شيء وغلوا في ذلك الاعتقاد غلوا اذهلهم عن أن الغرور في الدين الى حشد مزجه بكل شيء من أمور الحياة الدنيوية وأخصها حياة الأثم السياسية خروج بالدين عن مقاصده الاصلية وافتتات على صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم القائل (اذا كان شيء من أمر دينكم فإلى . واذا كان

شيء من أمر دنياكم فأنتم أعلم به : (١) وهو إرشاد صريح إلى أن للدنيا أموراً أمرجهما
تحكيم المصلحة والعقل فهي في جانب والدين في جانب آخر

العرب كما قلنا كانوا عريقين في البداوة وحياة البداوة قاصرة على أمس الحاجات
الحيوية فلم ينظروا إلى ما بعد تلك الحاجات فهان عليهم مزج الدنيا بالدين فلم يحملوا
الدين غير الدنيا كما أمرهم الشارع ولم يقفوا على سر التفريق بين الأمرين إلا أفراداً
منهم عمر ابن الخطاب (رض) الذي كان يعلم أن المصاحبة تحول تحول الزمان وتدور
معه كيفما دار (٢) لهذا فأتت العرب في مبدأ نشوء الدولة وظهور الأمة بتحكيم
العقل في كثير من أمور الأمة الدنيوية ومصالحها الاجتماعية وحكموا الدين في كل
شيء حتى ما لعلاقة له بالدين وهو ما لا نريد الخوض فيه الآن حتى توهم من أتى بعدهم
أن سنة الأولين هي عين الدين

وأهم الأمور التي حكموا فيها الدين فكان لها أقبح الأثر في حياة الأمة الإسلامية
وهي على ما اعتقد سبب كل ما يعانيه المسلمون من ضروب الشقاء إلى هذا اليوم إنما هي
الحياة السياسية أو أمر السياسة والملك. الامم كما هو الثابت إنما تقوم بالحكومات
والحكومة إذا لم تكن ذات روابط قانونية تراعى فيها حالة كل زمان وقوم وتسير مع ترقى
الامم كيفما سار فلا حياة للأمة بها، مثاله أن الحكومة المطلقة إذا وافقت عصرها
وقوما لا توافق عصرها وقوما آخرين وبالعكس ربما كانت الحكومة المطلقة في قوم
أصاح منها في عصر لقوم آخرين فلا بدّ إذن من ترك شأن الحكومة لمطلق المناسبات
الطبيعية في كل قوم وعصر والعرب لم يكن لهم تاريخ لكيفية قيام الدول وتنظيم أصول
الحكومات ولا أصل يرجعون إليه في ذلك كالامم المتقدمة في ذلك العصر الصقوامسألة
الخلافة وتأسيس قواعد الملك بالدين فكان أول نزاع وقع على الخلافة قائماً بالدين وتلاه
فتنة عثمان (رض) فبنوها على الدين ثم الخلاف بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما فكان
يحتاج كل فريق من المتخاصمين على الآخر بالدين ثم قام النزاع بين بني هاشم وبني

(١) - رواد احمد ومسلم وابن ماجه عن أنس (٢) بذلك على ذلك حكمه في بعض

المسائل على مقتضى المصلحة مع مخالفته في ذلك لما ورد في السنة كحكمه في مسألة
الطلاق والمنعة

أمية باسم الدين ثم بين بني هاشم وبني العباس كذلك باسم الدين . وأغرب من ذلك ان الخوارج الذين قالوا في مبدأ أمرهم بعدم لزوم الخلافة وبفسف قواعدها لسفاه لم يخطر لهم على بالهم تحويل طرز الحكومة الى أصول نافعة كالاصول الجمهورية مثلاً حتى اضطروا للرجوع الى رسومها التي ألصقت بالدين وولوا منهم امراء استحلوا هم وأشياءهم حتى دماء الاطفال والنساء بالدين وناصبوا الخلفاء العداوة وأصلوا الامة حرباً عواناً مبدأها سياسي وهو عدم الرضى عن حكومة الخلفاء الا انها انتهت الى الالتجاء الى الدين . ولم يعرف الخوارج طريق المضي في وجهتهم السياسية وبناء مذهبهم على اساس معقول اذ ليس للعرب تاريخ في ترتيب الحكومات يرجعون اليه وكانت نتيجة ذلك كله استئثار الخلفاء بكل وظائف الدولة كالوزارة والقضاء والحرب وبيت المال وغير ذلك من ضروب الاستئثار بالسلطة الذي لا ينتظم به شأن دولة قط وذو هول الامة الاسلامية في ذلك المعترك القائم باسم الدين عن النظر فيما يوافق مصلحتها السياسية من جهة ترتيب الدولة على طرز يضمن سمادة المسلمين لامصلحة القائمين بتلك الدعوة الدينية

فالعرب مع إغراقهم في الحرية وعدم استكانتهم لاستبداد الخلفاء في مبدأ الامر فاتهم ان يجاروا في وضع قواعد الدولة وتأيس اصول الحكومات ذات الصبغة الدستورية كالجمهورية والفضلية والحكومة المعتدلة أقرب الامم جوارا لهم يومئذ وهم الرومان واستمروا راضخين لحكم انتازع باسم الدين ولما انصرفت دولتهم بالصبغة الاعجمية وأخذوا عن الفرس والروم ما أخذوه من ضروب المدنية وأصبحوا في حاجة الى حكومة أرقى تنزع بها يد الخليفة من القبض على كل شؤون الدولة بيده القاهرة وتوزيع الوظائف على المقتردين على القيام باعبائهم يتمكنوا من تغيير طرز الحكومة والنظر في مستقبل خيراتهم للسيادة لانها صارت حياة دينية . هذا مع إفعال الخلفاء في الخلفاء واستئثارهم بالسلطة فاضطروا بالخلفاء الى وضع قوانين خاصة برسوم الخلافة ووظائفهم كقوانين الوزارة والقضاء وأشياءها لتفعل يد الخلفاء عن الاستبداد مع تجري اسماءها الى الدين تبعاً لصبغة الحكومة الدينية ولكن لم تكن تلك القوانين في نظر الحكومة يومئذ الا شيئاً عميداً لا أساساً لها الى الدين والتبديد أمر وجداني لا يكون الا من أخلاص لله حق الاخلاص وليس وراءه من قوة الاكراه ما يدعو الى العمل

به قسراً كما يكون ذلك في الحكومات الديمقراطية التي لا توكل الى سيطرة الوجدان بل الى سيطرة القوة ومن ثم تغافل الفساد في جسم الحكومات الاسلامية ورضخ لها المسلمون بحكم الدين وباستدراج الوضاعين بمثل قولهم (أدوا للائمة حقوقهم وسلوا الله حقوقكم) حتى صاروا لا يعرفون أصلاً من أصول الحكومات العادلة ولا يخرجوا من ضيق الاستبداد وتأصل فيهم روح الخضوع المطلق والطاعة العمياء وناهيك بمثل هذا الروح الذي يسلب الانسان قوة الارادة ويضعه بمنزلة الاطفال الذين لا يعرفون محرماً لهم غير الوالدين ولا يألفون الا ما ألفه الوالدان ومن ثم ترك المسلمون كل حول وقوة وكل اعتماد على النفس وسعي الى الترقى ونظر في وجوه الاعتبار وأحالوا ذلك على الامراء والحكام فاذا نهضوا بهم نهضوا واذا قعدوا قعدوا بل تناهى بعضهم في ضعف قوة الارادة والتميز لما ألفوا الخمول وأنسوا بالجهل وتتابعوا في العماية فكانوا أعداء لمن يريد من الامراء اصلاح أي شأن من شؤونهم الاجتماعية ومس أي عادة قبيحة من عوائدهم الموروثة وتاريخ الاسلام مشحون بمثل هذه الحوادث وآخر عهد بها مابسطناه فيما تقدم عن أهل الممكة المراكشية الذين يابون كل جديد

هذه كانت نتيجة انصراف العرب أيام بداوتهم بكليتهم الى الدين وعدم وضعهم السياسة جانباً لتكون تبعاً في النمو والارتقاء لترقي حال المسلمين وبذلك على خطأهم في ذلك أن الحكومات البدوية التي لم تنصبغ بصبغة الحضارة وتجاري الزمان في قلبه والائم الراقية في أصول حكومتها لم تزل لهذا العهد أدنى الدول الاسلامية رقياً وأهلها أكثرهم بأمور الحياة الاجتماعية جهلاً كما هالي المغرب وجزيرة العرب الذين حالهم من التقهقر معروف الى اليوم

اذا تقرر هذا فقد علمت علة البلاء الذي أصاب المسلمين ومصدر شقائهم الاجتماعي الى هذا الحين ولا تظن أمة وضعت نفسها في هذه المنزلة من الاعراض عن شؤون الدنيا وألصقت كل شيء من أمور ترقىها المدني بالدين واستسلمت لأمرائها القاهرين تلك المئات الطويلة من السنين ترضى لنفسها منزلة أرقى منها أو تلتمس وجوه العبر فتعتبر بها الا بعد غناء طويل تلاقيه وشقاء كثير تمانيه : والذي أعتقد أنه أن الشقاء الآن استحكمت حلقاته والعبر ترادفت وجوهها وحسب المسلمين من ذلك

أن صاروا في أخريات الأمم وكفاهم عبرة أمة اليابان الوثنية التي نهضت للاخذ
بأسباب الرقي والتقدم نهضة رجل واحد فباغت في ثلاثين سنة شاو الأمم الاوربية
وناهضت دولتها أعظم الدول المسيحية - هذا والمسلمون ينتزع ملكهم وتهمد بالزوال
دولهم وتتحكم الدول المتمدنة فيهم وفي حكوماتهم وليس في دولهم دولة تنهض باختيارها
الى تأسيس حكومة راقية تضارع بها أصغر الدول الاوربية وتدفع غارات الشعوب
التمدنة التي تنازع المسلمين البقاء بقوة العلم وسلاح المدنية وتطهير أصول الحكم من
عوامل الاستبداد القاتل. وقد استعبد الاوريون الى الآن ثلاثة أرباع المسلمين ولا
يمضي ربع قرن الا والربع الباقي يصبح في حوزتهم وتذال دولته اليهم اذا استمر
هذا الربع في عماليته ولج في جهالته ولم ينهض لتدبير شؤون نفسه ويترك الاعتماد
على حكوماته التي تأصل فيها مرض الاستبداد الذي هو نار تأكل الممالك وتهدم
صروح المجد وتذهب بقوة الأمم وهم لا يشعرون

إخواني: ان الحياة مع الجهل مستحيلة والاقا،ة على الذل عار والبقاء امام جيوش العلم والمدنية
متعذر والسلامة مع هذا الجحود غير متأتية وما كنا عليه بالامس لا ينعنا اليوم وما نحن فيه اليوم
لم يعلمه آباؤنا الاولون ولو علموا الغيب لاستكثروا لنا من الخير ولكل عصر شأن وشأن هذا
العصر ما يرون وما تسمعون من أحوال الأمم الراقية والدول الدينية وتوريق وحياة الانسان غير
حياة الحيوان لان الاول يطلب الترقى في كل شيء والثاني يرى الاكلة الواحدة كل شيء فاذا
أردنا الحياة فحتم علينا أن نهج نهج السابقين ونتبع خطى المسرعين، بما لا يكون فيه حرج في
الدين، وانعتقد الاعتقاد اللائق بالدين وهو انه ليس كما يقول غيرنا دين مانع من ترقى
المسلمين ولتحترم جانب هذا الدين بان لا نجعله سداً في وجوهنا وغلا في أعناقنا فزبد
بفعلنا هذا قول المستهزئين ودعوى الطاعنين ولنتقين الله في ديننا العظيم الجليل ولا نجعله
سبباً لهلاكنا أجمعين، فنبوء بالخزي في الدارين، ونشقى في الحياتين،

هذا أو ان العبر أيها المسلمون فهل أنتم معتبرون، وهذا نذير أمين فهل أنتم سامعون،
موت مع الجحود، وخذلان مع السكون، وفناء عاجل مع الجهل، وخزي بين الأمم، مع الرضا
بما وجدنا عليه الآباء، وحياة سعيدة مع الاقدام وظفر بالمطلوب مع الحركة، وبقاء مستمر مع
العلم، وإيجاد حكومة ديمقراطية مقيدة، ونخرم مع الرقي الى مرتبة الكمال، فانظر والاية
الحاليتين ترضون، وهذا أو ان العبر فهل أنتم معتبرون، والسلام على من اتبع الحق وأخذ به
من المسلمين (رفيق العظم)

اتان عليا الشبي

تاريخ اللغة العربية

نوهنا في الجزء الماضي بكتاب فلسفة اللغة العربية تأليف جرجي أفندي زيدان صاحب مجلة الهلال العربية وأشرنا هناك الى اشتغاله بتاريخ هذه اللغة وأهلها وقبل ان ينتشر الجزء جاءنا منه كتاب (تاريخ اللغة العربية) وهو كتاب ألفه جديدا وطبعه فبلغت صفحاته ٦٤ صفحة وقال انه يعد ما كتبه فيه خواطر سائحة فتجها باب البحث لائمة الانشا وعلماء اللغة ليوفوا الموضوع حقه . اما الموضوع فهو « البحث فيما طرأ على ألفاظ اللغة العربية وتراكيها من الدثور أو التجدد مع إيراد الامثلة مما دثر منها أو تولد فيها أو اقتبسته من سواها وبيان الاسباب التي دعت الى دثور القديم وتولد الجديد » وقد جعل الكلام فيه ثمانية فصول (١) العصر الجاهلي و(٢) العصر الاسلامي و(٣) الألفاظ الادارية في الدولة العربية و(٤) الألفاظ العلمية فيها و(٥) الألفاظ العامة و(٦) الألفاظ النصرانية واليهودية و(٧) الألفاظ الدخيلة في الدولة الاعجمية و(٨) النهضة الحديثة وما تستلزمه . وقد أورد في كل فصل من الفصول امثلة غفلا من بيان التاريخ الذي أهمل فيه بعض الكلم وتجدد بعض ومنها ما لا يحتاج الى ذلك وفي بعضها نظر ظاهر وخفي والامر سهل . وفي الكتاب فوائد كثيرة ، وينابيع للبحث غزيرة ، وهو في حاجة الى النقد لجدة واختصاره . مصنفه منصف يحترم الانتقاد الصحيح ويعمل به فلمنا نوفق لمشاركة زميلنا المؤلف وإسعاده على هذه الخدمة الجليلة ونحث علماء اللغة على ذلك . وثمن النسخة من الكتاب خمسة قروش وأجرة البريد ثلاثة أرباع القرش ويطلب من مكتبة الهلال بمصر

رسالة في الشاي والقوة والدخان

كتب هذه الرسالة الشيخ جمال الدين القاسمي أحد علماء دمشق الشام وأدبها وبحث فيها عن تاريخ هذه الاشياء وصفاتها النباتية وخواصها وكيفية استعمالها ومقاله الادباء والشعراء فيها وذكر عند الكلام على الدخان اختلاف الفقهاء في حله وحرمة ومقال اطباء في مضراته ومنفعته وختم الرسالة بنبذة في الاعتناء باستنشاق جيد الهواء فالرسالة علمية أدبية شرعية فكاهية وقد طبعت في الشام وثمن النسخة هناك ثلاثة قروش وليته يرسل الى مصر طائفة من نسخها

شرح قانون العقوبات الجديد

تفحت الحكومة المصرية قانون العقوبات القديم فندسخت بعض أحكامه وغيّرت وبدأت فيه بما رآته أصاح مما كان قبله فوصف بعد ذلك بالقانون الجديد، وما العهد بيميد، وقد شرحه فوزي بك جورجي المطيعي النائب لنيابة مديرية جرجا وطبع مع الشرح طبعا متقنا على ورق جيد جدا في مطبعة المعارف الشهيرة باتقان عملها نخير للراغبين في الاطلاع على هذا القانون ان يطالعوه مع شرحه الذي يعرفهم مقاصده ووجوه مواده وهو يطلب من مكتبة المعارف بمصر ومن النسخة منه ١٥ قرشا

قصص أروايات

(الفرسان الثلاثة) قصة شهيرة تستتبع قصصا جعلت أجزاء لها سمي الثاني (رجع ما انقطع) وليته قال (وصل ما نقطع) والثالث والرابع (عود على بدء) والمؤلف هو اسكندر دumas الفرنسي الشهير وقد عربها الشيخ نجيب الحداد وكان المؤلف في مقدمة القصص في حسن التأليف والمعرف في مقدمة المعربين والمنشئين المصريين في حسن الأداء وسلامة التركيب قلما تعثر في كلامه بغلط أو لحن. اما موضوع القصة أو القصص فهو بيان حال بعض الشجعان السلاء في القرن السابع عشر وتمثيل بعض الاخلاق والصفات العالية في أشخاصهم كالسالة والشهامة والمروءة والوفاء والسخاء والدهاء. يتخلل ذلك نبذ من تاريخ فرنسا وانكلترا في ذلك القرن - ما كانت عليه قصور الملك من الترف والاثرة والاستبداد وفساد الاخلاق، وما كانت عليه الامة من ظلمات التفرق والعبودية؛ وما كان يلوح فيها آنا بعد أن من نور يتعارف فيه طوائف وشيخ من الامة فيجتمعون فيها جيون معاقل الظلم ثم يحتفي آنا آخر فيثوبون الى ما كانوا عليه حتى يلمع لهم ضوء ثانية وينقذ من هيب تلك الظلمة الحالكة ظلمة الظلم والاستبداد. فالقصص مفيدة بما تمثل لقارئها من الفضائل ومن عبر التاريخ وبها يظهر للخبير الفرق بين الامم في طور ضعف الجهل والاستبداد فنها مآثر في جرائم حياة كامنة فتعلم درجة استعدادها للحياة السعيدة ومنها ما لا ترى فيها ذلك. وما جرائم الحياة الا الاخلاق العالية التي أشرنا الى بعضها. فانك ترى أن أهل أوربا في القرون المظلمة كانوا على اخلاق وعادات هي التي نهضت بهم في ضوء العلم الذي أشرق فيهم ولكن الامة الفاسدة الاخلاق قد يزيدها العلم الطاريء فسادا كما ترى أمانا. أنه على عادة لا تزال باقية في القوم من عهد جاهليتهم وهي المبارزة التي ينتقدها قومنا أشد الانتقاد

وما هي الابنت الشجاعة وإحساس الشرف والآباء ، وأين منها ما عليه أمراء المشرق وكبرائه من الحين والخونة التي تسهل عليهم خيانة بلادهم وأمتهم وتسليم زمامها للاجنبي لادنى تهديد يهددهم به . كانت هذه القصة قد طبعت وجمت في جلد واحد ففقدت وقد طبعها أخيراً صاحب مطبعة ومكتبة المعارف كل جزء على حدة وجعل قيمة الاشتراك فيها ١٦ قرشاً وأما ثمن كل جزء على حدة فستة قروش وهي تطلب منه (الابرياء) قصة خيالية أدبية وضعها محمد أفندي محمد أحد كتاب ديوان الاوقاف وأحسن ما فيها التنبية الى خطائنا في نزج أنفُسهم وبناتهم . مما يوافق أهواء أنفسهم دون رغباتهم ورغباتهم ، وفيها كلام حسن في الفرية والحسب والاستقلال فيه وضم الحُر ومضرتها فتبحث انقراء على مطامعها

(الفضيلة) قصة غرامية خيالية أنشأها محمود طاهر أفندي حقي المستخدم في مصلحة الاوقاف بمصر وفيها مما يندفع بناء الفضيلة ذكر الاسترسال في الشهوات ، وفضيحة البنات ، وخيانة الزوجات ، واقتراف المنكرات ، وإنما سميت القصة بالفضيلة لان فيها ذكر فتاة اعتصمت بالعفة ، واستمسكت بعري الفضيلة ، اذ أريد منها ان تسفه نفسها ، لان موضوعها الفضيلة كيف تنهض بالامم أو الافراد فيحيون بها سعياً ، من حيث يتردى الارذلون في مهاوي الشقاء ، فاعل المؤلف يصرف عنايته فيما عساه يكتبه من القصص بعد الى مثل هذا . وثمن القصة خمسة قروش

(الخرافة الحسنة ، أو هدية الحكماء للاغنياء) قصة خيالية أخرى موضوعها تمثيل سفه الامراء وأولاد الاغنياء الوارثين في مصر وتبديدهم المال في طرق الشهوات واللذات وما لذلك من سوء العواقب واضعها اسماعيل أفندي شكري وفيها روح أدبي نافع نرجو ان يكثر في مكتوب الشبان كما نرجو العناية من هؤلاء الكتاتين بتتبع ما يكتبون والعناية بتصحيح عبارته وطبعه . وثمن هذه القصة خمسة قروش أيضاً

﴿ رسائل ﴾

(البورصة) كراسة صغيرة كتبها نسيم أفندي المازار في بيان أهم أعمال البورصة التي هي ميزان التجارة ودولائها في هذه البلاد ولعمري أن أكثر التجار والمزارعين وغيرهم في حاجة الى معرفة حقيقة هذه البورصة واصطلاحاتها وأعمالها فكم خرب هذا الجهل بيوتاً وبني بأقاصها بيوتاً . وثمنها قرش واحد وتطلب من مؤلفها بالاسكندرية (التقرير السنوي لجمعية الشبيبة المورية) الجمعية في بيروت ومؤسسوها من

خيرة فضلاء النصارى ولم نر فيها اسم مسلم غير عبد الرحمن اقدي شهندر فيا أسفي على المسلمين ، ويشكري وثنائي على العالمين ، وقد رأينا في هذا التقرير ان مال الجمعية لا يزال قليلا لا يذكر وأرباب الامول لا يزالون في اشرق أجهل الناس ، وأبعدهم عن الاحساس ، (حاشا اليابان) فتمنى للجمعية الترقى والنجاح

❦ كلمة ورد غطاها ❦

رسالة تضمن محاوره بين الشيخ محمد المليجي الكتي مصر وفرج بنيامين البروتستنتي في النبي والقرآن والمسيح كان فيها الفلج الشيخ ، وأمال هذه المناظرات والمجادلات والرسائل والكتب قد كثرت في مصر بصدي مبشري البروتستنت لمجادلة المسلمين ونشر الكتب في الرد عليهم . ونرى بعض المسلمين يتأفقون من هذا ويرون أنه ضار . ورأينا أن ضرره محصور في التنفير وإلقاء العداوة بين المسلمين والنصارى وأما من جهة الدين نفسه فهو نافع غالبا إذ المسلمون لا يكونون نصارى بسبب هذا الجدل ولكن يرجح ان ينتهبوا به الى الغاية بما هو مهمل عندهم من البحث عن أدلة الدين والتحقيق من مسائله وشدة الاستمسك بها مقاومة هؤلاء المعتدين . ولذلك كثرت المؤلفات في الرد على النصارى فهم المغلوبون لان كتابة هؤلاء المبشرين لا تزيد النصرانية قوة ولا النصارى تمسكها ولكنها تزيد المسلمين تمسكا بالدين وعلماء به . والرسالة تباع عنده ولقها بشارع الخلوحي

❦ مجلات جديدة ❦

(لسان الامم) مجلة علمية أدبية مدرسية شهرية تصدر في مصر للفتين العربية والانكليزية لمديرها ومحرريها حسين رويحي - م . ع . أبو الحادي الدراجي . هكذا ورد أسمهما على المجلة وهما نصح برأي لنا قديم وهو ان يكتب كل مؤلف أو صاحب جريدة أو مجلة لقيه الذي يخاطب به عادة مع اسمه كالشيخ أو السيد فلان أو فلان اقدي أو بك أو باشا مسلم الناس كيف يخاطبونه ومن أي صنف هو . والحزء من المجلة يدخل في ٢٠ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٣٠ قرشافي القطر المصري و ١٠ فرنكات في غيره .

(الحكمة) مجلة علمية طبية تهذيبية تاريخية تصدر في منتصف كل شهر شمسي لمنشئها الدكتور عبد المنزب اقدي نظمي من كلية مونبلييه (فرنسا) وقيمة الاشتراك فيها ٣٠ قرشافي القطر المصري و ٢٠ للافطباء والتلامذة و ١٠ فرنكات في غيره . وانا لنسر بكثرة المجلات العلمية والطبية اذ لا يعيش منها الا ما كان نافعا لكن الجرائد قد يعيش منها الضار ، لما لا يجدهور فيها من سوء الاختيار ،

باب الخصال والآثار

﴿ سبب ثناء رياض باشا على اللورد كرومر ﴾

أشرنا في الجزء الماضي الى سخط أحداث الوطنية ، من خطبة رياض باشا في احتفال المدرسة الصناعية ، واهتمام نبيد الكلام بقول الوزير ، دون عمل الامير ، على أن عمل الامير حكم نافذ فاذا أعطى عميد الاحتلال التفوذ الارفع صار ذلك له حقاً رسمياً ، والوزير معذور في استنحاده اللورد كرومر لحضنة المدرسة من دون الامير وثناؤه عليه لانه يعتقد أن نجاح المدرسة متوقف على ذلك واليك البيان بالايجاز : المدرسة نسبت الى اسم محمد علي لتكون تذكراً لمرور مئة سنة على تأسيسه هذه الامارة التي يتمتع المنسبون اليه بسعائنها وقد جعل المشروع تحت رعاية الامير الجالس على كرسي محمد علي الآن فاذا كان منه ومن أهل بيته ومن الامة المصرية كلها ؛ كان أن افتتح الامير الاكتاب بمئة جنيه فلم يزد الذين اكتبوا من الامراء عن ذلك على أن أكثرهم لم يكتبوا ، وكان مجموع ما جمع من المال من الامة أمرائها واغنيائها لا يبلغ بضعة آلاف من الجنيهات وقد تبرع الاجانب على قلوبهم وعلى كون المدرسة مصرية اسلامية بخو ذلك والكل قليل . ونستثني ما تبرع به احمد منشاوي باشا فانه صار أمة وحده . والسبب في هذه الحيلة الوطنية افتتاح الامير الاكتاب بمئة جنيه ولو افتتحه بعشرة آلاف جنيه مثلاً لوجد عدد كثير من الامراء والاغنياء يستحي أن يدفع واحد منهم أقل من ألف جنيه وكان المال بذلك يكون كافياً لتأسيس المدرسة عمال الوطنيين ، ولو شاء الامير أن ينجح المشروع بماله من التفوذ المعنوي لفعل . أرايت لو كان لهج امام الوجهاء والاعيان الذين يقابلونه في الايام التي يسمونها أيام التشريف بتقصير الامة في هذا المشروع الصناعي الذي هو ركن من أركان الحياة في البلاد أما كانوا يتسابقون الى البذل بسخاء عظيم ، أرايت لو منح بعض الذين تبرعوا بمبالغ عظيمة كال محمود في الرحانية - ولا نقول منشاوي باشا - بترتبة أو وسام عظيم أو بالثناء عليهم في محفله . أما كان يوجد كثيرون يقتدون بهم ؟ بلى ولكن الامير لم يفعل فمن الحتم ان اكتبه ومسلحه كانا العلة الحقيقية في عدم نجاح الاكتاب

وأما اللورد كرومر فهو على كونه قد تبرع من حيبه بمثل ما تبرع به الأمير من حيبه قد بذل نفوذه الذي يعلو كل نفوذ في هذا القطر لمساعدة المشروع بالثناء عليه قولاً وكتابة وبجمل المالية بل أمرها باعطاء الجمعية أرضاً لبناء المدرسة لا يقل ثمنها عن المال الذي جمع من الأكتتاب ويدفع تعويضاً لأصحاب الأكوخ والخصاص (العش) التي احتاجت الجمعية إلى إزالتها من هناك ، ثم بأمر أحد كبار المهندسين الإنكليز الذي أسس مدرسة الحكومة الصناعية على مساعدة الجمعية في تأسيس المدرسة بفبرأجر ففعل أفنكر مع هذا أن اللورد كرومر كان خيراً لهذا المشروع من جميع أمراء الوطن المحبوب وأغنيائه ووجهائه وجرائده ومن حدث السياسة الوطنية بل ومن جميع أحداثها الذين ينكرون فضله بزعمهم حب البلاد وأمير البلاد الرسمي . ألا نعد رئيس الأكتتاب للمدرسة الذي بذل جهده لا محاجة نخب أمله في قومه أن يمهّد للمشروع إلى من هو أرجح الناس لا بلاغه كماله . أمن الوطنية أن يترك الإنسان الطريق الموصل إلى نفع الوطن بالفعل ، ويلغظ بذكره في القول ؟ فيقال إن مثل رياض باشا العامل للوطن قد مرق من الوطنية لأنه شكر المحسن للوطن رجاء المزيد ، وأوماً للمقصر بتقصيره رجاء الإقلاع والتشمير : أو إنه خرج عن الموضوع ؟

قال المؤيد : إن أكثر الناس قد استأوا من خطبة الوزير ويعني أكثر أعضاء جمعية العروة الوثقى إذ لم يجتمع بأكثر الناس ولا بأكثر حاضري الاحتفال فيقال إنه يعينهم . ونحن نظن أن أكثر العقلاء على اعترافهم بفضل هذه الجمعية وهمة أعضائها مستأون من تسمية مدارسها بأسماء أمراء مصر السابقين — إبراهيم وعباس وسعيد وإسماعيل الذين خربت في أيامهم البلاد ، وهلك العباد ، وليس لهم أثر علمي يذكر فيشكر وهذه ذرياتهم تتمتع بالأراضي الواسعة من البلاد ولا تسمح لمدرسة ولا لجمعية خيرية بفدان واحد مهما صانعتها الجمعية . وما استياء بعض أعضاء الجمعية من خطبة رياض باشا إلا كنسبة مدارسها إلى أولئك الأمراء أي أنه أثر العبودية وبقي الاستبداد السابق . وما كلمة رياض بجارحة لاستقلال الأمة كما قيل بل هي أثر للاحاساس باستقلالها إذ معني استقلال الأمة هو شعورها التابع لاعتقادها بأن الأمراء أجراء للأمة لا آلهة لها فائق كان أكبر وزير في مصر قد أوماً إلى ما كان من إهمال الأمير لمشروع المدرسة الصناعية إجماعاً فلقد كان أقل الأعراب والنساء يصرون بخضعة عمر بن الخطاب وهو على منبر الرسول تصرحاً فهذا هو الاستقلال الذي أزاله ملوكنا وأمرأونا وجعلونا أذل الأمم

قال صاحب اللواء أنه شتم رياض باشا اقتداءً بالآعراي الذي قال لسيدنا عمر «لورأينا فيك
اعوجاجاً لقومناه بسيفونا» وانما يصح الاقتداء اذا قال الحدث مثل هذا لا مير البلاد أو
للسلطان. لالرجل اعتزل الحكومة والأحكام، وهو عمقته من قبل فاعتبروا يا أولي الأبصار،

— المتسولون المتسولون ودعاة الوطنية —

تطوّف في أسواق القاهرة وشوارعها في أي وقت شئت من ليل أو نهار، وأطلّ
من شرفات بيتك أو نوافذه مراقباً للناس مستمعاً لأحاديثهم، فانك لا تكاد تسمع
ذكر الله وذكر نبيه وأوليائه الا من أهل اتوسل للتسول الآن يأتي مؤتلف (يحلف
حالف) بسيدنا الحسين أو المتبولي أو غيرها ممن تقسم بهم العامة. وقد غاب عن ناظري
رجل أشعث أغبر أشمط كنت أراه يطوف الشوارع ولسانه رطب يتعاجل بذكر
السيدة لا يفتر طرفه عين عن ندائها: ياسيده ياسيده ياسيده ياسيده... وأعرف
رجلاً شيخاً أشيب أعمى أجش الصوت ينشد الاماديج المنظومة على طريق المواويل
بالاستغانة بالسيدة: «يا بنت النبي طلي وشوفينا» — يا بنت النبي دخلك أفاعيل...
وأعرف امرأة عمياء كانت تجلس في ظل دارنا وهي تحفظ أسجعا متناسقة في الدعاء
ممت غير مرة بأن أنصت إليها وأكتبها عنها. واما الذين يشتركون في عبارة خاصة
فكثيرون كالطوافين بكلمة: ملهم أحبيب بو شاء على أبول سيدنا الحسين والسيدة
زينب وجدهم الحبيب النبي: اي اطلب مايا (عشر القرش المصري) اشتري به كسرة
من الخبز رجاء ان يقبله منكم سيدنا الحسين الخ — يقول هؤلاء ما يقولون وقلوبهم
تطوف في صدور الناس أيها يتأثر بذكر هؤلاء السادات المتصرفين في الاكوان فيرضخ
لهم بشيء مما في يده تقرباً اليهم والتماساً لبركاتهم ولكنهم لو سئلوا شيئاً يذلونهم ابتغاء
مرضاة السادات فانهم يقبضون أيديهم لان حظهم من حب السادات أن يأخذوا من
الناس على قبولهم لأن يعطوا تقرباً اليهم، ولا غرض لهم من مدحهم وذكرهم الا التأثير
في نفوس من يرجي رفدهم من محبيهم

مثل هؤلاء مثل دعاة الوطنية من أحداث السياسة في مصر — تطوف البلاد
وتحضر الاندية وتغشى السمار وتقرأ الكتب والصحف المنشرة فلا تجدد للوطنية
داعياً، ولا يذكر جلاء الانكليز عن مصر لاهجاء الا المتسول المتوسل الى حظه باسم
الوطنية لعلهم بأن التفرنج الحديث قد جعل هذه الكلمة شرفاً كبيراً وذكرها مجيداً
فهي تؤثر في نفوس بعض الاغنياء والوجهاء، مالا يؤثر ذكر المتبولي والسيدة زينب

قلوب العامة والنساء ، فكم بذل مجنون بلوطنية البسدر من الدنانير ، اذا كان محب الاولياء يبذل القرش والمليم ، وحظ داعي الوطنية من الاليج بها كحظ مادح الاولياء هو أن يقول لا أن يفعل ، وأن يأخذ لا أن يعطي ، فاذا كان له منفعة من الامير فلان فهو يجعله عماد الوطنية وعتادها ، وان آمال عمادها واقتلع أوتادها ، وأضاع لأجل شخصه طارفها وتلادها ، واذا خالف هواه سير عالم كامل ، أو زعيم عامل ، فهو يجعل حسنة سيئات ، ويتبع للطعن به العثرات ، فأمثال هؤلاء الوطنيين يحصرون في الوطن في أشخاصهم بدعوى الوطنية كما يحصر بعض كبار المتسولين الدين في شخصه بدعوى الصلاح والولاية ، فدعي الولاية يرمي من ينكر عليه هوسه ودعواه بالمروق من الدين ، ودعي الوطنية يتهم من ينكر عليه هوسه ودعواه بمداوة الوطن ، وغرض كل من الفريقين المال والجاه بما يخادعون الناس في تغيير شكل ، لأجل الأكل ، وتوسل للتسول ، وأكثر الناس غافلون ، وهم في غلاتهم يرزقون ،

﴿ انتقاد على مقالة العلماء والمحاكم ﴾

زارنا أحد كبار القضاة الشرعيين في المحكمة الكبرى بعد صدور الجزء السادس وقال ان ماحدثنا به المرحوم علي باشا رفاعة من اقتراح اسماعيل باشا الخديو الاسبق على العلماء تأليف كتاب على نسق القوانين في السهولة الخ على غير وجهه والصواب أن الخديو طلب من العلماء تطبيق انقانون على الشريعة وإرجاع أحكامها اليه فأبى الا كثرون وتصدى بعضهم لوضع كتاب في الاحكام الشرعية يوافق القانون الفرنسي في الاكثر ومعظمه من فقه الامام مالك . قال ويقال أن الشيخ محمد مخلوف المتناوي قد أتم هذا الكتاب وقدمه للحكومة الخديوية أو الخاشية الأمير فلم يظهر له أثر . وحدثني نحو هذا صديق آخر وقال كان من غرض اسماعيل باشا إرضاء أوروبا بتقليدها في كل شيء حتى في إبطال بعض الاحكام الشرعية الاسلامية كإباحة تعدد الزوجات المنتقدة عندهم وتحويل الشريعة الى قوانينهم وانه كان يقول لا يمكن أن تعمل الأمة في هذا القرن بموضع للعرب من نحو ثلاثة عشر قرناً تقريباً . ولهذا يمكن للعلماء اجابة طلبه . ولا بعد في هذه الاقوال عند العارفين بحال هؤلاء الأمراء وبعدمهم عن الدين . وكان ذلك الأمير المستبد الجاهل كان يرى أن قانون الكرياج الذي وضعه محمد علي وأفسد به بأس الأمة ونزع منها هو ومن بعده روح الشهامة والشجاعة أفضل من الشرع الالهي الذي ارتقى بالأمة العربية الى السيادة على جميع الأمم .

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد آتاه خير كبير وما
يذكر إلا أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

فيشرح عبادي الذين يستمعون القول
فينصتوا أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و مناراً كمنار الطريق)

(مصر — غرة جمادى الاولى سنة ١٣٢٢ — ١٥ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٤)

القسم الديني

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ
وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ، وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ
الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ *

هذه الآية مبينة لحال الذين لا يعقلون تلك الآيات التي أقامتها
الآية السابقة على توحيد الله تعالى ورحمته ولذلك جعلوا له أندادا يلتمسون
منهم الخير والرحمة، ويدفعون ببركتهم البلاء والنقمة، ويأخذون عنهم الدين
والشرعة، قال المفسرون ان الند هو المائل وزاد بعض اللغويين فيه قيدا
فقال انه المائل الذي يعارض مثله ويقاومه: ويفهم من هذا أنهم يزعمون
أن الانداد مماثلة لله تعالى في قدرته وعلمه وسلطانه يعارضونه في الخلق

ويقاومونه في التدبير وهذا غير صحيح لأن القرآن قص علينا خبر متخذي
 الأنداد في آيات كثيرة صريحة في أنهم لا يعتقدون فيهم شيئا من هذا
 الذي يفهم أو يتوهم من عبارة المفسرين بل يعتقدون غالبا أن الله تعالى هو
 المنفرد بالخلق والتدبير وأن الأنداد وسطاء بينه وبين عباده يقربونهم
 إليه ويشفعون لهم عنده لأن المذنبين المقصرين لا يستطيعون الوصول إلى
 الله تعالى بأنفسهم فلا بد لهم من واسطة كما هو المعهود من الرعايا الضعفاء،
 مع الملوك والأمراء، والوثنيون يقيسون الله تعالى على من يعظمونه من
 الرؤساء وعظماء الخلق لاسيما المستبدين منهم الذين استعبدوا الناس استعبادا،
 فالآيات الناطقة بأنهم إذا سئلوا من خلق كذا وكذا يقولون: الله:
 كثيرة وقال فيهم مع ذلك « ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا
 ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » وقال أيضا « والذين اتخذوا من
 دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفى »

والأنداد عند جمهور المفسرين أعم من الأصنام والأوثان فيشمل
 الرؤساء الذين خضع لهم بعض الناس خضوعا دينيا ويدل عليه الآيات
 الآتية « اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا » الخ

فالمراد إذن من الند من يُطلب منه مالا يطلب الا من الله عز وجل
 أو يؤخذ عنه مالا يؤخذ الا عن الله تعالى، وبيان الأول على ما قررناه
 مرارا أن للأسباب مسببات لا تعدوها بحكمة الله في نظام الخلق وأن
 لله تعالى أفعالا خاصة به فطلب المسببات من أسبابها ليس من اتخاذ الأنداد
 في شيء، وإن هناك أمورا تخفى علينا أسبابها، ومعنى علينا طريق تطلباها،
 فيجب علينا بإرشاد الدين والفطرة أن نلجأ فيها إلى القوة الغيبية ونطلبها

من مسبب الأسباب لعله بعنايته ورحمته يهدينا الى طريقها أو يبدلنا خيرا منها، وانما يجب هذا بعد بذل الجهد والطاقة في العمل بما نستطيع من الأسباب حتى لا يبقى في الامكان شيء مع اعتقادنا بأن الأسباب كلها من فضل الله تعالى ورحمته علينا إذ هو الذي جعلها طرقا للمقاصد، وهذا انما إليها بما وهبنا من العقل والمشاعر،

لا يسمح الدين للناس أن يتركوا الحرث والزرع ويدعوا الله تعالى أن يخرج لهم الحب من الأرض بغير عمل منهم أخذاً بظاهر قوله « أم نحن الزارعون » وانما يهديهم الى القيام بجميع الأعمال الممكنة لإنجاح الزراعة من الحرث والتسميد والبذر والسقي وغير ذلك ويتكلموا على الله تعالى بعد ذلك فيما ليس بأيديهم ولم يهديهم لسببه بكسبهم كما نزال الامطار، وإفاضة الأنهار، ودفع الجوائح، فان استطاعوا شيئا من ذلك فعليهم أن يطلبوه بعملهم لا بالنسبهم وقلوبهم مع شكر الله تعالى على هدايتهم إليه، وإقذارهم عليه، كذلك يحظر الدين عليهم أن ينفروا الى الحرب والمدافعة عن الملة والبلاد عزلاً أو حاملي سلاح دون سلاح العدو المعتدي عليهم اتكالا على الله تعالى واعتمادا على ان النصر بيده بل يأمرهم بأن يعدوا للاعداء ما استطاعوا من قوة ويتكلموا بعد ذلك على عناية الله تعالى بتثبيت القلوب والاقدام، وغير ذلك من ضروب التوفيق والإلهام، فمن قصر في اتخاذ الأسباب اعتمادا على الله فهو جاهل بالله، ومن التجأ الى ما ليس بسبب من دون الله فهو مشرك بالله، وهذا الذي يلجأ اليه - من إنسان مكرم، (كلاً نبياء والصالحين) أو ملك مقرب، أو مظهر غريب من مظاهر الخليفة، أو صنم أو تمثال جعل تذكارا لشيء من هذه، يسمى ندا لله وشريكا

له ووليا من دونه ، وقد نطق القرآن بجميع هذه الأسماء التي سماها
المشركون ولم ينزل الله بها من سلطان،

قال الأستاذ الامام : قسم المفسرون الانداد الى قسمين قسم يعمل
بالاستقلال وقسم يشفع عند الله تعالى ويتوسط لصاحب الحاجة فتقضى وانما
كان الشفيع ندا لأنه يستنزل من يشفع عنده عن رأيه ويحول من إرادته
وتحويل الإرادة لابد أن يكون مسبوقا بتغيير العلم بالمصلحة والحكمة إذ
الارادة تابعة للعلم دائما وهذا هو المعروف من معنى الشفاعة عند السلاطين
والحكام وهو محال على الله تعالى ، وأقل تغيير في علم المشفوع عنده هو أن يعلم
أن الشفيع يهيمه أمر من يشفع له ويتمنى لو تقضى حاجته . ولا يرغب عن
الأسباب إلى انتعاق بالانداد والشفعاء الا من كان قليل الثقة بالسبب أو
طالب ما هو أعجل منه كالمرضى يعالجهم الأطباء فيترأى له أولا أحد أقاربه
أن ياجأ الى من يتمتع فيهم السلطة الغيبية الخارجة عن الأسباب طلبا للتعجيل
بالشفاء ، ومثله سائر أصحاب الحاجات الذين ياجئون الى من اتخذهم أولياء
ليكفؤهم عنا اتخاذ الأسباب (وذكروا منهم طلاب خدمة الحكومة)

أما القسم الآخر من الانداد فهو من يتبع في الدين من غير أن
يكون مبينا للناس ما جاء عن الله تعالى ورسوله فيعمل بقوله وان لم يعرف
دليله يتخذ رأيه دينا واجب الاتباع وان ظور أنه مخالف لما جاء عن الله
ورسوله اعتمادا على انه أعلم بالوحي ممن قلده دينهم وأوسع منهم فهما فيما
نزل الله . وفي هؤلاء نزل قوله تعالى « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من
دون الله » كما ورد في التفسير المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد عظمت فتنة متخذي الانداد بهم حتى كان جهم إياهم من نوع

حبه لله عز وجل ولذلك قال (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا
 يحبونهم كحب الله) ذلك ان الحب ضروب شتى تختلف باختلاف
 أسبابها وعللها وكلها ترجع الى الأنس بالمحبوب او الركون والالتجاء اليه
 عند الحاجة، فقد يحب الإنسان شخصا لأنه يأنس به ويرتاح الى لقائه
 لمشاكل بينهما ولا مشاكسة بين الله تعالى وبين الناس فيظهر فيهم هذا النوع
 من الحب . ومن أسباب الحب اعتقاد المحب أن في المحبوب قدرة فوق
 قدرته وقوفا يملو نفوذه مع ثقته بأنه يهتم لامره ويمطف عليه بحيث يمكنه
 اللجأ اليه عند الحاجة فيستعين به على ما لا سبيل له إليه بدونه فهذا الاعتقاد
 يحدث انجذابا من المعتقد يصحبه شعور خفي بأن له قوة عالية مستمدة ممن
 يحب . ويعظم هذا النوع من الحب بمقدار ما يمتد في المحبوب من الصفات
 والمزايا التي بها كان مصدر المنافع وركن الالجاء ، وكل ما للخلق من
 ذلك فهو داخل في دائرة الأسباب والمسببات والاعمال السببية . أما
 قوة الخالق وقدرته وما يمتد به المؤمنون فيه من الرحمة الشاملة ، والصفات
 الكاملة ، والمشيئة النافذة ، والتصرف المطاق في تسخير الأسباب والمسببات ،
 والسلطان المطاع في الأرض والسموات ، فذلك مما يجعل حبه تعالى أعلى
 من كل ما يحب للارضاء فيه ، وانتظار الاستفادة منه ، وغير ذلك . وهذا الحب
 لا ينبغي أن يكون لغير الله تعالى اذ لا يوجب الى غيره في كل شيء كما يوجب الى
 ولكن متخذي الأنداد قد أشركوا أندادهم معه في هذا الحب فحبهم إياهم
 من نوع حبه إياه جل ثناؤه لا يخصوصونه بنوع من الحب اذ لا يرجون
 منه شيئا الا وقد جعلوا الأندادهم ضربا من التوسط الغيبي فيه فهم كفار
 مشركون بهذا الحب الذي لا يصدر من مؤمن موحده ولذلك قال تعالى بعد

بيان شرهم هذا (والذين آمنوا أشد حبا لله) من كل ماسواه لأن حبه لهم خاص به سبحانه لا يشر كون فيه غيره فبههم ثابت كامل لأن متعلقه هو الكمال المطلق الذي يستمد منه كل كمال، وأما متخذو الأنداد فان حبههم متوزع متزعزع لا ثبات له ولا استقرار، للؤمن محبوب واحد يعتقد ان منه كل شيء ويبيده ملكوت كل شيء، وله القدرة والسلطان، على جميع الاكوان، فما ناله من خير كسبي فهو بتوقيفه وهدايته، وما جاءه بغير حساب فهو بتسخيره وعنايته، وما توجه اليه من أمر فتعذر عليه، فهو يكله اليه ويعمل فيه عليه، والله شرك الأنداد متمددون، وأرباب متفرقون، فاذا حز به أمر، أو نزل به ضرر، لجأ الى بشر أو صخر، أو توسل بحيوان أو قبر، أو استشفع بزبد وعمره، لا يدري أيهم يسمع ويسمع، ويشفع فيشفع، فهو دائما مبطل البال، لا يستقر من القلق على حال،

هذا هو حب المشركين للقسم الاول من الأنداد، ومن الحب نوع سببه الاحسان السابق. كما أن سبب الاول الرجاء بالاحسان اللاحق، ومن الاحسان ما تتمتع به ساعة أو يوما أو أياما متاعا قليلا أو كثيرا، ومنه ما تكون به سعيدا في حياتك كلها كالترية الصحيحة والتعاليم النافعة، والارشاد الى ما خفي من المنافع، وكل هذا مما يكون من الناس بكسبهم، وليس في طاقة البشر أن يحسن بعضهم على بعض باحسان اذا قبله المحسن عليه وعمل به يكون سعيدا في الدنيا والآخرة بحيث تكون سعادته به غير متناهية، وهذا الاحسان الذي يعجز عنه البشر هو هداية الدين التي تعلم الناس العقائد الصحيحة التي ترتقي بها العقول وتخلص بها من ظلمات الوثنية، والتعاليم التي تهذب بها النفوس وتزكي من الصفات البهيمية، وقوانين العبادة التي تفذي العقائد

والأخلاق ، حتى لا يمتريها كسوف ولا محاق ، فالدين وضع إلهي يحسن الله تعالى به إلى البشر على لسان واحد منهم لا كسب له فيه ولا صنع ، ولا يصل إليه بتلق ولا تعلم ، « إن هو إلا وحي يوحى » فيجب أن يحب صاحب هذا الاحسان سبحانه وتعالى حبا لا يشرك به معه أحد ، ولكن متخذي الأنداد بالمعنى الثاني في كلامنا قد أشركوا أندادهم مع الله تعالى في هذا الحب إذ جعلوا لهم شركة في هذا الإحسان بسوء التأويل كما تقدم فكما يأخذون بأرائهم على أنها دين من غير أن يعلموا من أين أخذوها وان لم يأمرهم بذلك بل وان نهوهم عنه يتسكون كذلك بتأويلهم لما أنزل الله كأنه أنزل به بدون استعمال العقل ودلالة اللغة وبقية نصوص الدين للعالم بانطباقه على الحق . وأما المؤمنون حقاً فهم يوحّدون الله تعالى ويخصّونه بهذا الحب كما يوحّدونه بالتشريع بمعنى أنهم لا يأخذون الدين إلا عن الوحي ولا يفهمونه إلا بقرائن ما جاء به الوحي وانما الأئمة والعلماء ناقلون للنصوص ومبينون لها بل قال الله تعالى للنبي نفسه « وأنزلنا إليك الذكرياتين للناس ما نزل إليهم » هؤلاء المؤمنون يسترشدون بنقلهم وبيانهم ولكنهم لا يقلدونها في عقائدهم ولا عبادتهم ولا يأخذون بأرائهم في الدين الذي هو عبارة عن سير الأرواح من عالم إلى عالم بل يجوزون كل عقبة ويدوسون كل رئاسة في سبيل الله تعالى ومحبه وابتغاء رضوانه فهم متعلقون بالله ومخلصون له « ألا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ان الله يحكم بينهم يوم القيمة فيما هم فيه يختلفون » - « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » - « ان الحكم الا لله أمر أن لا تعبدوا الا إياه » فالؤمنون هم المخلصون لله في

دينهم الذين لا يأخذون أحكامه الا عن وحيه » وأما متخذو الانداد
ومحبوهم بهذا المعنى فهم الذين ورد في بعضهم « واذا دعوا الى الله ورسوله
ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون » فهم لا يقبلون حكم الله في كتابه
ولكن اذا دعوا ليحكم بينهم بآراء رؤسائهم أقبلوا مدعنين ،

بعد هذا ذكر الله وعيد متخذي الانداد على سنة القرآن فقال
(ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد
العذاب) أي لو يشاهد الذين ظلموا أنفسهم بتدنيها بالشرك وظلموا
الناس بما غشوه به من أقوالهم وأفعالهم فحملوهم على أن يتلوا تلوهم ،
ويتخذوا الانداد مثلهم ، حين يرون العذاب في الآخرة فتتقطع بهم
الأسباب ، ولا تغني عنهم الانداد والأرباب ، أن القوة لله جميعا يظهر
تصرفها المطلق في كل موجود ، ويمثل لهم سلطانها تمثل الشهود ،
فلا تحجبهم عنها أسباب ظاهرة ، ولا تخدعهم عنها قوى تتوهم كامن ،
لعلوا أن هذه القوة التي تدير عالم الآخرة هي عين القوة التي كانت تدير
عالم الدنيا ، وأنها قوة واحدة لا تأثير لغيرها فيها ولا في شيء من العالم بدونها ،
وأنهم كانوا ضالين في اللجأ الى سواها ، وإشراك غيرها معها ، وأن هذا
الضلال هبط بمقولاتهم وأرواحهم ، وكان منشأ عقابهم وعذابهم ، ولورأوا
مع هذا أن الله شديد العذاب أروا أمرا هائلا عظيما يندمون معه حيث
لا ينفع الندم . وأمثال هذا الوعيد كثير في القرآن على من يشوب إيمانه بأدنى
شائبة من الشرك ثم هو يترك كله ويترك معه ما يؤيده من السنة الصحيحة
وسيرة السلف الصالحين ، والائمة المجتهدين ، ويؤخذ بالشرك الصريح
عملا بأقوال أناس من الميتين منهم من لا يعرف مطلقا وإنما سمي وليا عملا

بعض الرؤى والأحلام، أولاً اختراع بعض الطعام، ومنهم من يعرف في الجملة ولكن لا يعرف له تاريخ يوثق به ولا رواية يصح الاعتماد عليها، وإنما قدم كلام هؤلاء على كلام الله ورسوله وكلام أئمة السلف لأن العامة اعتقدت صلاحهم وولايتهم والعامة قوة تخضع لها الخاصة في أكثر الأزمان،

ومن مباحث اللفظ في الآية أن الرؤية فيها علمية على قول الجلال وقال الأستاذ الأمام أنها بصرية وإنما سلطت على المعقول لانزاله منزلة المحسوس كأنه قال لو يتمثل لهم الامر ويتشخص لرأوا أمراً هائلاً عظيماً لا يتصور نظيره وهو مجاز لا اللفظ منه ولا أبدع . ويجوز أن يراد بالمداب مظاهره فتكون مسلطة على محسوس . وقراءة « ولو ترى » أي لو رأيت حال هؤلاء الظالمين يومئذ لرأيت كذا وكذا . وحذف جواب لومهمود في كلام العرب وفي كلام الناس اليوم وذلك عند قيام القرينة على مراد المتكلم ولو إجمالاً . يقولون في شخص تغير حاله وانتقل الى طور أعلى أو أدنى : لو رأيت فلانا اليوم : ويسكتون والمراد معلوم ، والاجمال فيه مقصود ، لتذهب النفس في تصويره كل مذهب ، ويخترع له الخيال ما يمكن من الصور ، ولو على كل حال هي التي لمجرد الشرط لا يراعى فيها امتناع لا امتناع

قال الأستاذ الامام بعد تفسير اتخاذ الأنداد ومحبتهم على نحو ما تقدم وبيان ان المراد بالمحبة ما يجده المحب في نفسه من الأنس بالمحبوب والثقة به والاعتماد عليه والالجا اليه على اختلاف أطوار الانسان في وجدانه واعتقاده، اننا قد اشترطنا في ابتداء قراءة التفسير أن نتكلم عن معنى القرآن من

حيث هو دين جاء مكملًا للأرواح وسائقًا لها إلى سمادتها في طورها
الديني وطورها الأخروي ، ولا يتم لنا هذا إلا بالاعتبار وهو أن ننظر
في الحسن الذي يمدحه الله تعالى ويأمر به ونرجع إلى أنفسنا لنرى هل نحن
متصفون به ، وننظر في القبيح الذي يذمه وينهى عنه كذلك ، ثم نجتهد في
تزكية أنفسنا من القبيح وتحليتها بالحسن وههنا يجب علينا أن نبحت وننظر
هل اتخذ المسلمون أندادًا كما اتخذ الذين من قبلهم أندادًا أم لا فإن هذا أهم
ما يبحث فيه قارئ القرآن ثم قال مأمثاله

اشتبه على بعض الباحثين السبب في سقوط المسلمين في الجهل العميم
(الأفراد) في بعض شعوبهم لا يكاد يظهر لهم أثر) وبحثوا في تاريخ الإسلام
وما حدث فيه فكان له الأثر العظيم في الانقلاب وكان من أهم المسائل
التي عرضت لهم في ذلك مسألة التصوف وظنوا أن التصوف من أعظم
الأسباب لسقوط المسلمين في الجهل بدينهم وبعدهم عن التوحيد الذي هو
أساس عقائدهم وليس الأمر عندنا كما ظنوا وليس من غرضنا هنا ذكر تاريخه
وبيان أحكامه وطرقه وإنما نذكر الغرض منه بالأجمال ، وما كان له بعد
ذلك من الآثار . ظهر التصوف في القرون الأولى للإسلام فكان له
شأن كبير . وكان الغرض منه في أول الأمر تهذيب الأخلاق وترويض
النفس بأعمال الدين وجذبها إليه وجعلها وجدانًا لها وتعريفها بأسرارها
وحكمه بالتدريج . ابتلي الصوفية في أول أمرهم بالفقهاء الذين جحدوا على
ظواهر الأحكام المتعلقة بالجوارح والتعامل فكان هؤلاء ينكرون عليهم
معرفة أسرار الدين ويرمونهم بالكفر وكانت الدولة والسلطة للفقهاء لحاجة
الأمراء والسلاطين إليهم فاضطر الصوفية إلى إخفاء أمرهم ، ووضع

الرموز والاصطلاحات الخاصة بهم ، وعدم قبول أحد مهمم الا بشروط واختبار طويل فقالوا لا بد فيمن يكون منا أن يكون أولا طالبا فريدا فسالكا وبعد السلوك إما أن يصل وإما أن ينقطع فكانوا يختبرون أخلاق الطالب وأطواره زمنا طويلا ليعلموا أنه صحيح الارادة صادق العزيمة لا يقصد مجرد الاطلاع على حالهم ، والوقوف على أسرارهم ، وبعد الثقة يأخذونه بالتدريج رويدا رويدا ، ثم انهم جعلوا للشيخ (المسلك) سلطة خاصة على مريديه حتى قالوا يجب أن يكون المريد مع الشيخ كالميت بين يدي الغاسل لان الشيخ يعرف أمراضه الروحية وعلاجها فاذا أبيع له مناقشته ومطالبته بالدليل تتعسر معالجته أو تتعذر فلا بد من التسليم له في كل شيء من غير منازعة حتى لو أمره بمعصية لكان عليه أن يعتقد أنها خيره وان فعلها نافع له ومتعين عليه فكان من قواعدهم التسليم المحض والطاعة العمياء وقالوا ان الوصول الى العرفان المطلق لا يكون الا بهذا . ثم أحدثوا اظهار قبور من يموت من شيوخهم والعناية بزيارتها لأجل تذكر سلوكهم ومجاهدتهم ، وأحوالهم ومشاهدتهم ، لأن التذكر من أسباب القدوة والناسي . والناسي هو طريق التربية القويم عندهم وعند غيرهم

فظهر من هذا الاجمال أن قصدهم في هذه الأ. وركان صحيحا وانهم ما كانوا يريدون الا الخير المحض لأن صحة القصد وحسن النية أساس طريقهم ، ولكن ماذا كان أثر ذلك في المسلمين ؟ كان منه أن مقاصد الصوفية الحسنة قد انقلبت ولم يبق من رسومهم الظاهرة الا أصوات وحركات يسمونها ذكرا يتبرأ منها كل صوفي والا تعظيم قبور المشايخ تعظيما دينيا مع الاعتقاد بأن لهم سلطة غيبية تملأ الاسباب التي ارتبطت بها المسببات

بحكمة الله تعالى بها يدبرون الكون ويتصرفون فيه كما يشاءون ، وأنهم قد تكفلوا بقضاء حاج مرديهم والمستغيثين بهم أينما كانوا ، وهذا الاعتقاد ، هو عين اتخاذ الأنداد ، وهو يخالف لكتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف من الصحابة وأئمة التابعين والمجتهدين .

وزادوا على هذا شيئا آخر هو أظهر منه قبحا وهما للدين وهو زعمهم أن الشريعة شيء والحقيقة شيء آخر ، فإذا اختلف أحدهم ذنبا فأنكر عليه منكر قالوا في المجرم انه من أهل الحقيقة فلا اعتراض عليه ، وفي المنكر انه من أهل الشريعة فلا التفات اليه ، كأنهم يرون ان الله تعالى أنزل للناس دينين ، وانه يحاسبهم بوجهين ، وبإمامهم معاملتين ، (حاش لله) نعم جاء في كلام بعض الصوفية ذكر الحقيقة مع الشريعة ومرادهم به أن في كلام الله ورسوله ما يملو أفهام العامة بما يشير اليه من دقائق الحكم والمعارف التي لا يعرفها الا الراسخون في العلم فحسب العامة من هذا الوقوف عند ظاهره ومن آناه الله بسطة في العلم ففهم منه شيئا أعلى مما تصل اليه أفهام العامة فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ممن يجد ويجتهد للتزيد من العلم بالله وسننه في خلقه . فهذا ما يسمونه علم الحقيقة لا سواه وليس فيه شيء يخالف الشريعة أو ينافيها ومن آناه الله نصيبا من هذا العلم كان أتقى لله من سواه « إنما يخشى الله من عباده العلماء »

هكذا كان القوم - الصوفية الحقيقيون في طرف والفقهاء في طرف آخر وبعد ما فسد التصوف وانقلب من حال الى حال مناقضة لها ، وضعف الفقه فصار مناقشه لفظية في عبارات كتب المتأخرين اتفق المتفقهة الجامدون والمتصوفة الجاهلون وأذعن اولئك الى هؤلاء ، واعترفوا لهم بالسرو والكرامة

وسلموا لهم بما يخالف الشرع والعقل على انه من علم الحقيقة فصرت ترى العالم الذي قرأ الكتاب والسنة والفقه يأخذ العهد من رجل جاهل امي ويرى انه يوصله الى الله تعالى . فان كان كتاب الله وسنة رسوله وما فهم الائمة واستنبط الفقهاء منهما كل ذلك لا يفيد معرفة الله تعالى المعبر عنها بالوصول اليه فلماذا شرع الله هذا الدين ، والناس أغنياء عنه بأمثال هؤلاء الاميين وأشباه الاميين ، وهل القصور إذن فيما نزل الله تعالى أم في بيان الرسول له وبيان الائمة لما جاء عن الله تعالى والرسول ؟ حاش لله ولكتابه ورسوله فلا طريق لمعرفته عز وجل والوصول الى رضوانه غير ما نزل من الينان والهدى وانما كان غرض الصوفية الصادقين فهم الكتاب والسنة مع التحقق بمعارفهما ، والتخلق والتأدب بأدابهما ، وأخذ النفوس بالعمل بهما ، من غير تقليد لاهل الظاهر ، ولا جود على الظواهر ،

ولقد تشوهت سيرة مدعي التصوف في هذا الزمان وصارت رسومهم أشبه بالمعاصي والاهواء من رسوم الذين أفسدوا التصوف من قبلهم وأظهرها في هذه البلاد الاحتفالات التي يسمونها الموالد ومن العجيب ان تبع الفقهاء في استجسانها الأغنياء فصاروا يبذلون فيها الاموال العظيمة زاعمين انهم يتقربون بها الى الله تعالى ولو طالب منهم بعض هذا المال لشرع علم ازالة منكر أو إغاثة منكوب لضنوا به وبخلوا . ولا يرون ما يكون فيها من المنكرات منافيا للتقرب الى الله تعالى كأن كرامة الشيخ الذين يحتفلون بمولده تبيح المحظورات ، وتحل للباس التعاون على المنكرات ، فالموالد اسواق الفسوق فيها خيام للمواهر وحانات للخمر ومراقص يجتمع فيها الرجال لمشاهدة الرافعات المتهتكات الكاسيات العاريات ، ومواضع أخرى لضروب من

الفحش في القول والفعل يقصد بها إضحاك الناس . وبمض هذه الموالد يكون في المقابر وترى كبار مشايخ الأزهر يتخطون هذا كله لحضور موائد الأغنياء في السراقات والقباب العظيمة التي يضربونها وينصبون فيها الموائد المرفوعة ، ويوقدون الشموع الكثيرة ، احتفالا باسم صاحب المولد ويهني بعضهم بعضا بهذا العمل الشريف في عرفهم

وذكر الأستاذ الامام عند شرح مفاسد الموالد دهنان بعض كبار الشيوخ في الأزهر دعوه مرة للعشاء عند أحد المحتفلين فأبى فقبل له في ذلك فقال انني لأحب أن أكثر سواد الفاسقين فان هذه الموالد كلها منكرات ووصف ما يمر به المدعو قبل ان يصل إلى موضع الطعام . ثم قال لشيخ صديق لصاحب الدعوة كم ينفق صاحبك في احتفاله بالمولد ؟ قال أربع مئة جنيه . قال الأستاذ لاشك ان هذا في سبيل الشيطان فلو كلمت صاحبك في ان يجعل ذلك لجماعة من المجاورين في الأزهر يستعينون به على طلب العلم فيكون بذلك شرعيا وهؤلاء المجاورون يذكرونه بخير ويدعون له . فاجاب ذلك الشيخ قائلا : ان الكون يلزم أن يكون فيه من هذا وهذا : فقال الأستاذ : هذا الذي أريد فان كوننا ليس فيه الا هذه النفقات في الطرق المذمومة فأحب أن ينفق صاحبك على نشر علم الدين ليكون بعض الاتفاق عندنا في الخير ويبقى للموالد أغنياء كثيرون . فقال الشيخ حينئذ أما قرأت حكاية الشراني مع الزمار اذ رأى شيخا كبيرا ينفخ في مزمار والناس يتفرجون عليه فاعترض عليه في سره فما كان من الشيخ الا أن قال : يا عبد الوهاب أتريد أن ينقص ملك ربك مزمارا : فعلم الشراني انه من أولياء الله تعالى . قال الأستاذ ثم تركني المشايخ بعد سرد الحكاية وذهبوا الى المولد .

فلينظر الناظرون الى أين وصل المسلمون ببركة التصوف واعتقاد أهل
 بغير فهم ولا مراعاة شرع - اتخذوا الشيوخ أندادا وصار يقصد بزيارة
 القبور والاضرحة قضاء الحوائج وشفاء المرضى وسعة الرزق بمعدان كانت
 للعبرة وتذكر القدوة ، وصارت الحكايات الملفقة ناسخة فعلا لما ورد من
 الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون على الخير ونتيجة ذلك كله
 أن المسلمين رغبوا عما شرع الله الى ما توهموا انه يرضي غيره ممن اتخذوهم
 أندادا له وصاروا كالأباحيين في الغالب فلا عجب اذا عم فيهم الجهل
 واستحوذ عليهم الضعف ، وحرمو ما وعد الله المؤمنين من النصر ، لأنهم
 انسلخوا من مجموع ما وصف الله به المؤمنين .

ولم يكن في القرن الأول شيء من هذه التقاليد والاعمال التي نحن عليها
 بل ولا في الثاني ولا يشهد لهذه البدع كتاب ولا سنة وإنما سرت الينا
 بالتقليد أو العدوى من الأمم الأخرى اذ رأى قومنا عندهم أمثال هذه
 الاحتفالات فظنوا أنهم اذا عملوا مثلها يكون لديهم أبهة وشأن في قوس
 تلك الأمم . فهذا النوع من اتخاذ الأنداد كان من أهم أسباب تأخر
 المسلمين وسقوطهم فيما سقطوا فيه

وهناك نوع آخر لم يكن أثره في الفتك بهم بأضعف من أثر الأول
 وهو ترك الاهتداء بالكتاب والسنة واستبدال أقوال الناس بهما فلو دخل
 في الاسلام رجل عاقل أو شعب مرتق لحار لا يدري بم يأخذ ، ولا على أي
 المذاهب والكتب في الأصول والفروع يعتمد ، ولصعب علينا إقناعه بأن هذا
 هو الدين القيم دون سواه أو بأن هذه المذاهب كلها على اختلافها شيء واحد ،
 ولو وقفنا عند حدود القرآن وما بينه من الهدى النبوي لسهل علينا أن

نقوم ما هي الحنيفية السمحة التي لا حرج فيها ولا عسر، وما هو الدين الخالص الذي لا عوج فيه ولا خلف، واكتننا اذا نظرنا في أقوال الفقهاء وتشعبها، وخلافاتهم وعللها، فاننا نحار في ترجيح بعضها على بعض اذ نجد بعضها يحتاج عليه بحديث صحيح وهو ظاهر الحكمة معقول المعنى ولكنه غير معتمد عندهم بل يقولون فيه: المدرك قوي ولكنه لا يفتى به: ولماذا؟ لأن فلانا قال: فقول رجل من رجال كثيرين جدا نجهل تاريخ أكثرهم يكفي لترك السنة الصحيحة وان ظهر أن المصلحة فيما جاءت به السنة وبهذا قطعت الصلة بين مانحن فيه وبين أصل الدين وينبوعه. ونحن لا نطمئن في أولئك القائلين أو المرجحين سواء منهم من كان تاريخه معروفا لنا ومن كان غير معروف بل نحسن فيهم الظن ونقول انهم قالوا بما وصل إليه علمهم ولم يجعلوا انفسهم شارعين بل باحثين، واننا نسترشد بكلامهم على أنهم دالون ومبينون، لا على أنهم شارعون.

بل نقول انه يجب على ذي الدين ان ينظر دائما الى كتابه حتى لا يختلط ولا يشتبه عليه شيء من أحكامه ولا يجوز لأحد ان يرجع في شيء من عقائده وعبادته الا الى الله تعالى فان كانت هناك واسطة فهي واسطة الدلالة والتبليغ والتبيين لما نزل الله وتطبيقه على منازل لأجله من حياة الروح والكمال الانساني. فيجب علينا ان نعتقد بأن الحكم لله تعالى وحده لا يؤخذ عن غيره الدين كما يجب علينا ان نعتقد بان لا فعل لغيره تعالى فلا نطلب شيئا الا منه وطلبنا منه يكون بالأخذ بالاسباب التي وضعها وهدانا اليها فان جهلنا أو عجزنا فاننا نلجأ الى قدرته ونستمد عنايته وحده وبهذا نكون وحدين مخلصين له الدين، كما أمرنا في كتابه المبين، ومن خرج عن هذا

كان من متخذي الانداد ، « ومن يضل له فإله من هاد ، »
 وبقي صنف آخر يشبهه ان يكون من الانداد وهم العامة والذين
 اتخذوهم أندادا هم علماء لدنيا فأنهم يحلون لمرضايتهم ويحرمون ويخالفون
 النصوص الصريحة بضرب سخيصة من التأويل لموافقة أهوائهم . فان لم
 يفتوهم بخلاف النص التماسا لخيرهم أو هربا من سخطهم كتبوا حكم الله
 من أجل ذلك فترى أحدهم اذا سئل : أهذا حق أم باطل ، وحلال أم
 حرام : يفيض من صوته بالجواب ولا يجهر بالقول مداراة للعوام اذا كان
 الجواب على غير ما هم عليه لاسيما اذا كان هؤلاء العامة من الاغنياء وأصحاب
 السلطة . ونقول : مداراة للعوام : حكاية لقولهم اذيسمون النفاق والمحاباة في
 الدين مداراة لما كانت المداراة محمودة وكذلك كان الذين يكتمون ما أنزل
 الله من البينات والهدى ممن قبلهم يسمون كتمانهم بأسماء محمودة ولكن الله
 تعالى لعنهم على ذلك وسجل عليهم الكفر والفسوق والمصيان فهل يختلف
 حكمه فيرضى لهؤلاء بأن يؤثروا العامة على ربهم ويحملونهم أندادا له يحبونهم
 كحبه أو أشد ؟ ترى العالم من هؤلاء ينتسب الى الشرع ويحترم لأجله وهو
 مع ذلك يتبع هوى من لا يعرف الشرع فهو من الذين اذا أودوا في الله جعلوا
 فتنة الناس كعذاب الله فلا يتخذون الله وليا ولا نصيرا فهل يكون المرء
 مؤمنا اذا كان يترك دينه لأجل الناس أم شرط الايمان ان يصبر في سبيله
 على إيذاء الناس ؟ « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون »
 الخ كلا : إن هؤلاء المتبوعين والتابعين بعضهم فتنة لبعض وسيبترأ
 بعضهم من بعض كما أخبرنا تعالى في قوله ..

❦ باب العقائد ❦

❦ استغناء البشر عن دين جديد ❦

(ومعنى كون دين الفطرة آخر الاديان ، واقتجار البالية)

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ
لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ *
(سورة الروم) مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ
وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا * (سورة الاحزاب)

لقد كان من عموم رحمة الله تعالى وسعها أن جعل للحق السلطان على الباطل ،
وللخير الرجحان على الشر ، فله الشكر والحمد ، والله الامر من قبل ومن بعد ، خالق
الانسان في أحسن تقويم ، وهداه الى الحق والى طريق مستقيم ، كمله بالمشاعر
البادية والكامنة ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة ، أعطاه العلم والارادة ، وأناط بعمله
غوايته ورشاده ، ولذلك خلقه ضعيفا جهولا ، ليكون باكتسابه قويا علما ، وجعل
حياة الأمة من نوعه ، شبيهة بحياة الفرد في شخصه ، تتربى بكسبها وتبائع كآها بالتدرج
وجعل عقل الامة العام النبوة يظهرها في أكل أعضائها ، كما أن عقل الافراد يكون
في اشرف عضو فيها ، وشذوذ بعض آحاد الامة عن هدي نبيها شبيه بشذوذ بعض
أعضاء الشخص عن حكم العقل ، كاليده تبغض حيث يضر البطش ، او الرجل تسمى
الى ما يحكم العقل بوجوب القعود عنه ، وسبب ذلك التقصير في التربية الدينية والعقلية
ومن آياته تعالى أن جعل شذوذ الافراد عن الاصل ، وميلهم عن الجادة ، سببا
من أسباب الترية ، وعالما من أعلام الهداية ، كما جعل انتشار الباطل في الامم معدا
لها لقبول الحق ، وتغشي الظلم والاستبداد ، من مقدمات الحرية والاستقلال ، فله
سبحانه في أثر كل شدة رخاء ، وفي تضاعيف كل نقمة نعماء ، فسمع الضلال في أمة
الا وجاءها بعده الهدى ، ولا تفاقم الباطل في قوم الا وانجل بعد ذلك بقوة الحق ، كان
يظهر لهم ذلك بتعليم الوحي المناسب لحالهم حتى اذا ما استعد النوع لان يكون أمة
واحدة ، منحه الله الهداية العامة ، والرحمة الشاملة ، منحه دين الاسلام ، الذي هو

كالمقل العام ، والمرشد الحكيم لجميع الأنام .

كان لضلال البشر قبل الاسلام علتان احدهما ضعف قوى الحلقة ، وثانيتهما الانحراف عن سنن الفطرة ، فكان من الضعف ان يعتقد الناس في كل مظهر من مظاهر الخليفة لا يعرفون علته أنه هو القوة الغيبية التي قامت بها جميع المظاهر وهي القوة الالهية فيعبدوا ذلك المظهر . وكان من الانحراف عن قوانين الفطرة ما كان من الاوضاع والبدع والتقاليد الوضعية الكثيرة . ومن عجيب أمرهم أن أسندوا معظم ذلك للدين حتى صار من المقرر عند أهل الدين وعند الحكماء الباحثين في طبائع الملل أن الدين أوضاع كلها وراء ما تدعو اليه الفطرة ويرضي العقل كأنه وضع لمصادمة الحلقة ومناصفة الفطرة ومحاولة تبديل خالق الله بشرع الله حتى جاء القرآن ينادي الداعي اليه : « فأقم وجهك للدين خفيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » فعلم الناس ان الدين الحق إقامة الفطرة لمقاومتها ، والاستنارة بنور العقل لإطفاءه ، وأن العمدة في معرفة الحق الدليل ، والعمدة في العبادة الاخلاص لله تعالى وحده ، والعمدة في معرفة الاحكام ، والحلال والحرام ، اجتناب المضار واجتلاب المنافع ، فهذا كان الاسلام هو الدين الاخير الذي اخرج البشر من حجر القصور وعبوديته ، الى فضاء الرشد وحرية ، وكان ناسخا لما قبله من الاديان ، ولا يمكن ان ينسخ او يتقضي الزمان ،

يلغ في الشخص رشده فيؤذن له بالتصرف في حاله ، والاستقلال في أعماله ، فيمضي فيها فتارة يخطي وتارة يصيب ، وينجح في عمل وفي آخر يخيب ، وربما أضع رأس ماله زمان ثم استعاد في زمن آخر . والامم أولى بالتخطيط بمد بلوغ رشدها اذ الرشد لا يظهر في جميع أفرادها دفعة واحدة وانما يظهر في بعض دون بعض فتارة يغلب إصلاح الراشدين فيها وطوار يغلب ، والمجموع يستفيد من كل فوز وكل خيبة ، فلا يظهر الفساد في موضع الا ويلوح الإصلاح في موضع آخر تاما او ناقصا حتى يبلغ الكمال البشري أشده ويصل الى كماله العام باستقلاله في عمله بدون حاجة الى مسيطر ديني جديد كما كان يقع في الامم قبل ظهور دين الفطرة الاخير وهو الاسلام ولا يزال الإصلاح والافساد يتنازعان كل أمة قبل الوصول الى الكمال الاخير

كذلك كان شأن الناس في الاسلام نهض به الذين ظهر فيهم أولا ثم عميت عليهم سببه فوضعوا وابتدعوا ، وأولوا واخترعوا ، وتركوا الاستقلال بنور العقل في فضاء الفطرة وأقاموا لهم زعماء فبنت عقولهم وإرادتهم فيهم . وكان قد أخذ الاستقلال والاهتداء بسنن الفطرة عنهم قوم آخرون فغلب خير هؤلاء على شرهم كما غلب شر أولئك على خيرهم والسيادة والسعادة يتبعان الخير والاستقلال دائما . وقد قلب اصحاب السيادة في الأرض المجن للخاسرين فقالوا ان خساركم قد جاءكم من دينكم فاتبعونا تفلحوا ، وكان هؤلاء الخاسرون يقولون في أيام سيادتهم إنا قد سدنا بديننا قلوبهم فاتبعوا ، واتباع السائدة لكل من السائدة بالاستقلال واتباع سنن الفطرة التي أرشد اليها الاسلام - ساد بها أولئك من حيث عرفوا . ووردها ، وساد بها هؤلاء من حيث جهلوا مصدرها ، وانما يستغل أهل الزعامة لدينية منهم والسيطرة الروحية فيهم بظل الذين تركوها . ويخدعون أولئك بأقب الدين المشترك بينهما ، فعلم بهذا ان المسلمين قد تركوا ماساد وسعديه سلفهم الصالحون ، والآخريين جهلوا مذبح هذا النور الذي هم في ضوئه يسرون ، وزعم بعضهم ان دينهم هو الذي هدام اليه ولكن لماذا لم يهتدوا اليه بدينهم عقيب دخولهم في ذلك الدين . بل ظلوا يتسكعون في الظلمات بضعة عشر قرنا حتى انتشر الاسلام فأطاح الافكار من سيطرة الرؤساء . والارادة من عبودية الزعماء ، ووصل تعاليمه وهدية الى تلك الارجاء ، ؟

لا عجب في إنكار المخالفين مزبة في الاسلام . بقول . بعد ما أنكرها أهلها بالفعل . ولكن العجب العجيب في صنيع قوم قاموا يدعون الداء بالداء . ويعودون بالثبوع البشري الى مضيق العبودية والاستخذاء . ، ذلك أن الامة الاسلامية ضاقت ذرعا بأوزار البدع والتقاليد التي وضعا الرؤساء وألزموا الناس بها تقاييدا أعشى فطفت تثبط وترمي عن عاقها بعض ما حملت على غير بصيرة فيما ترميه وتستبقيه هل هو النافع أم الضار . وتنتظر زعما قائما بالحق ينتاشها مما وقعت فيه من الجهل والفقر والذل والعبودية .

واذا بصائح يصبح : انا القائم المنتظر : وكان ذلك مؤسس دين البابية ،

❦ البابية ❦

المسلمون متفقون على أن الدين قد ضعف في النفوس يعترف بهذا عالمهم وجاهلهم

في الجملة ويختلفون فيه بالتفصيل ، ومتفقون على أنهم في حاجة الى الإصلاح والى أن هذا الإصلاح انما يكون بالرجوع الى العمل بكتاب الله تعالى وسيرة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ويعتقدون أن هذا الإصلاح انما يكون على يد زعيم يدعى بالمهدي يطال المذاهب ويقيم الناس على مثل ما كانوا عليه في عهد النبي (ص) في الدين وأحسن مما كانوا عليه في الدنيا وهذا الاعتقاد ظهر في الشيعة وأمتد الى غيرهم من المسلمين حتى لا يكاد ينكره الافراد في كل زمان . وقد ظهر (الباب) في بلاد الفرس بهذه الدعوة في أثر ضيق شديد فتوهم الناس ومعظمهم هناك من الشيعة الذين ينتظرون المهدي في كل يوم أنه هو وحل الضيق والبلاء كثيراً من الناس على اتباعه . وماذا كان منه ؟ هل جاء على ما كانوا يعتقدون من الصفات والعوت والاعمال ؟ كلا إنه جاء بنزعة وثنية مناقضة لما جاء به الاسلام من الهداية العليا التي أشرنا الى مزاياها في مقدمة هذا المقال ، مبنية على استئصال جراثيم حرية الفكر . واستقلال العقل . وعلى الخضوع والعبودية للرجل مضطرب الفكر . بعيد من نور العلم . لا مزية له لا لغو بما يندع جهال الاعجميين . وضعفاء المقلدين . الذين اعتادوا على اعتقاد لولاية والعرفان . في أصحاب الدجل والهديان . فكان ظهور هذا الرجل واتباع كثير من الشيعة له وتصديهم من بعده الى تعميم دعوته . ورفع كلمته . أشد مضار الاعتقاد بالمهدي المنتظر . وأكبر العظائم فيها والعبر .

لم يحاول هذا الداعي المشرع إبطال دين الاسلام فيمن ينتظرون تأييده وانقاذه من التقاليد التي ذهبت باستقلاله بل حاول إفساد الفطرة وإطفاء نور العقل الذي أذكاه الاسلام وأطلقه من سجته ، وبني دينه الجديد على تقاليد الشيعة الذين ظهر فيهم لانه كان شعبان ريان بهذه التقاليد ومحكوم الشعور والوجدان بها ، ولولا هذا ما راجت دعوته في أولئك الغلاة الذين اذا سمعوا ذكر آل البيت عليهم السلام والرحمة ضنت أعناقهم له خاضعين ، وكانوا لكل ما يقوله ذا كرههم بالخير متقبلين ، ولو أن المسلمين لامذاهب لهم ولا كتب دينية غير القرآن وسيرة النبي وآله وصحبه في أعمالهم وأحوالهم وأقوالهم المنقولة بطرق متفق عليها بينهم مطابقة للأعمال والأحوال غير مخالفة للقرآن ما سرت اليهم هذه الضلالات في الماضي ولا في الحاضر فهكذا فعل التقليد بالمسلمين جعلهم غريباء عنه ، فسهل على المضالين أن يتزعروا بعضهم منه ،

القرآن بشر البشر بأن الله تعالى رفع عنهم سيطرة الرؤساء الروحانيين حتى
خاطب من أنزله عليه بقوله « فذكرنا أن أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » وسماه عبدا متبعا
لما أمر به وانما ذكرهم بما تعهده الفطرة السليمة فاقامة هذا الدين هو الرجوع الى
الفطرة المعتدلة كما ترشد اليه الآية التي صدرنا بها المقال وذلك تبشير برشد البشر
واستقلالهم، والبابية يحاولون إرجاع السيطرة الدينية للأشخاص بأقبح ما كانت عليه من
أشكال الوثنية فهم يعيدون البشر الى حجر الطفولية التي تفتقر الى القيم المطاع طاعة عمياء

القرآن بشر البشر بأن محمدا خاتم النبيين فلا حاجة بعده الى تعاليم سماوي ولا
وحي جديد لان تعليمه هو التعاليم العالي الذي يرتقي به العقل ويستقل فلا يقبل الشيء
الا برهانه ولذلك استدل على العقائد وبين منافع الآداب والاحكام وطالب بالدليل
والبرهان وجعله شرطا للاعتراف بالصدق قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين، والبابية
يحاولون إرجاع أهل هذا التعليم العالي الى تعليم الاطفال الابتدائي الذي يؤخذ فيه كل
شيء بالتسليم والاذعان، بدون دليل ولا برهان .

القرآن أبطل التقليد لأن فيه حجرا على العقول أن تفهم الدين عن الله بنفسها
وتفهم مصالحها في الدنيا بالتجربة والاختبار فقال فيمن احتجوا بتقليد ما كان عليه
آباؤهم «أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون» فيمن أن أحدا لا يأخذ بقول أحد
الا اذا عقله وتبين له وجه الهداية فيه. والبابية يحاولون إقرار الذين ضلوا عن الاستقلال
على ضلالهم وإلزامهم باتباع رؤسائهم في اتناويلات التي لاتعقل والخضوع لهم فيما عاينوا
وجعلوا بل أوجبوا عليهم عبادتهم (بالامصيبة والرزية ، وضعف البشرية)

القرآن جعل آية محمد الكبرى علمية أدبية . ولم يحتاج على نبوته بالآيات الكونية
لأنه دين العقل والآيات الكونية لاتعقل ولانه دين العلم وهي لاتعلم . ولانه جعل
ركن ارتقاء البشر الهداية الى سننه تعالى في الخلق وكونها لاتتبدل ولا تحول وهي على
غير السنن الكونية ، والبابية زعموا ان الباب كان مؤبدا بالحوارق والآيات ولكن
لم يستطيعوا اثبات ذلك بل جعلوا الالفودلائل كما ترى قريبا

القرآن أرشد البشر الى العلوم الكونية وحنهم عليها في آيات كثيرة والباب حرم
عليهم كل علم الا ما يؤخذ عنه وفرض عليهم في البيان محو جميع الكتب ثم نسخ البهاء

ذلك (في ص ٢٢ من الكتاب الاقدس) ولئن أصاب البهائية في هذه فهم لا يخرجون عن كونهم فرعا من البائية وكون ديانته مبنية على أساس البيان والمبني على الفاسد فاسد ماذا عسى ان تقابل وتظهر بين تعليم الاسلام وتعليم البائية ؟ هذا شيء يطول وأفضل منه التنبيه والايحاء الى سبب قبول بعض المسلمين لهذا الدين مع رفضهم لدين النصرانية الذي يجتهد دعائه في تصيرهم ويبدلون القناطر من الاموال ، ويتقنون فنون التشكيك والجدال ، على ان البائية تشبه النصرانية بالقول بألوهية البشر وهي دونها فيما عدا ذلك فان كلام الباب بمكانة من السخف والقفو يضحك منها الصبيان وانما راجت دعوته في طائفة الشيعة من المسلمين والسبب في ذلك أمور خاصة بهذه الطائفة وأمور اخرى عامة يشاركون فيها غيرهم من طوائف المسلمين

(السبب الأول) عموم الجهل بالقرآن فمن فهم القرآن يستحيل ان يقبل ديننا آخر لأنه يعلم أنه لا حاجة للبشر معه الا الى استعمال ما وهبهم الله من القوى العقلية والبدنية لنيل سعادة الدنيا والآخرة . وكان يجب على المسلمين ان يعلموا كل مسلم ومسلمة هذا القرآن — لا ألفاظه فقط بل ألفاظه ومعانيه وكان الخلفاء الراشدون يفرضون العطايا لمن يتعلم القرآن ولكن سلاطين الجور من بعدهم أبطلوا هذا وانفق بعد ذلك أئمة الجور من الملوك والفقهاء على الاكتفاء بكتب الفقه عن كل الدين .

(الثاني) عموم الجهل بسيرة النبي وسنته فانهما خير البيان لما نزل الله تعالى وان كنتم لم تحفلوا بذلك حتى لا تجد في مثل الازهر من يتعلمهما والعلة فيه ما تقدم

(الثالث) الجهل باللغة العربية التي يتوقف عليها فهم القرآن ولا شك أن تعميم تعليمها واجب اذ لا يفهم الدين بدونها وانني لأعرف في بلاد المسلمين مدرسة ولا مكانا تعلم فيه هذه اللغة وانما يعلم في المدارس بعض فنونها والكتب المؤلفة بها أما اللغة وأساليبها فلا تعلم بحيث ينطق بها المتعلم ويكتب ويخطب . ولو كان أولئك الذين استجابوا للباب يعرفون هذه اللغة الشريفة لسخروا من تقليده للقرآن بالفواصل مع كثرة اللغو والغلط والاحسن في كلامه حتى ان فيه ما لا يعقل له معنى قط وانما هو جمجمة وسجع كسجع الكهان ربما يظنه الاعجمي شيئا عظيما بلينا كالقرآن اذ لا يفهم من القرآن شيئا . ولا يذوق لبلاغته طعما .

(الرابع) تعود المسلمين على أخذ كلام العلماء في الدين بالتسليم من غير إسناد الى كتاب ولا سنة ولا دليل أي تعودهم على التقليد البحت الذي ذمه القرآن وأبطله . وقد عم هذا التقليد حتى في العقائد فلو أن رجلا في هذه البلاد مثلا خالف مثل السنوسي في الصفات العشرين والدلائل التي جاء بها عليها لعدوه مارقا من الدين وإن وافق هدي القرآن في سرد العقائد والاستدلال عليها بآيات الله في الكون

(الخامس) تعود المسلمين على الخضوع والاذعان للظاهرين بمظهر الصلاح والابسين لباس التصوف وتقديم كلامهم على كل كلام حتى ما يعتقدون أنه من الدين بخلاف (راجع الكلام في الصوفية من تفسير هذا الجزء) وكم خدع المسلمين خادع من الباطنية وغيرهم باسم التصوف وأفسد في دينهم ماشاء وماهؤلاء الباطية الأفرقة من الباطنية الملحدون . وكان الباب قد دخل الحلوات وبالغ في الرياضات . قبل أن يقوم بهذا الافئات . ومن العجائب أن علما المسلمين اليوم يقدسون كل كلام ينسب للمتصوفة مع اعترافهم بأن منه ما لا يفهم ومنه ما يفهم وفيه ما يناقض الكتاب والسنة واجماع الائمة ككلام محي الدين بن عربي وعبد الكريم الجيلي وغيرها . فلا عجب بعد هذا اذا قبل القوم كلام الباب في تفسير سورة يوسف بقصة الحسين وخضعوا للفوه في البيان والصحف والخطب والرسائل الكثيرة

(السادس) غلبت الشيعة في معظم المتتبعين لآل البيت والباب منهم واعتقادهم الجازم بالمهدي المنتظر وأنه معصوم لا يسئل عما يفعل . ولا يعارض فيما يحكم . وقد بنى الباب دعوته على تقاليد الشيعة في الائمة والمهدي كما تقدم وانا نورد للقراء من أقوال الباب التي يدعي أنها منزلة ليحكموا حكما صحيحا ونبدأ بما أرسله الينا في البريد الاخير أحد كبار الباطية في (طهران) ردا لما كتبناه من قبل في المنار . ومحاولة لاقتناعنا بهذا الدين ولعله أمثل ما عندهم وسنورد بعده ما هو شر منه . وانا نورد ما يأتي بنصه ونصححه على أصله بغاية الدقة فلا يتوهم من أحد أن ما فيه من الفاظ والسحف من التحريف بل هو كلام الباب بحروفه قال .

﴿ الصحيفة السادسة في الخطب وهي مرتبة بأربعة عشر خطبة ﴾

﴿ الخطبة الاولى ﴾

هذه الخطبة قد أنشأت في كل ماسطر في ذلك الكتاب ليكون الكل بذلك من الشاهدين :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق الماء بسر الانشاء ، واقام العرش على الماء بشأن الامضاء ، وأزل الايات من عالم العماء بجريان القضاء . وفصل ماقدر في طور السناء بحكم التناء ، وأمضى ماقدر بالهاء بذوبان الاقتضاء ، فسبحانه وتعالى قد أرسل الرسل مبشرين ومنذرين ليعبدوا الاياه ، وجعل في يدي كل أحد منهم شأنًا من قدرته التي يمجز عن مثلها كل ماسواه ، تثبت الحق بكلماته ، ويبطل الباطل بآياته ، لئلا يكون لاحد بعد العلم بمحل حكمه حجة وكان الكل له مسلمين ، فسبحانه وتعالى قد جعل بينه وبين رسله شأن البهاء من الكلام لانها أعظم النعماء في الانشاء ، وبها يتشرف الرسل بعضهم على بعض كما نزل في التنزيل ، بحكم الله الجليل ، وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم ؛ وجعل في كلامه شأنًا من القدرة التي لا يشبهه بكلام عباده وانه سبحانه حي قادر ينزل على من يشاء بما يشاء من آياته سبحانه وتعالى عما يصفون . أشهد الله في ذلك الكتاب بما شهد الله لنفسه بنفسه من دون شهادة أولى العلم من عباده بانه لا اله الا هو لم يزل كان بلا ذكر شيء . والآن هو الكائن بمثل ما كان لم يكن معه شيء . قد علموا بآياته من نت الانشاء وأهالها . وتعظم بمظمة نفسه عن وصف الابداع وما يشابهها . سبحانه تقطعت الابداع كنيونيته . وتفرقت الاختراع انيته . من قال هو هو فقد فقدته لانه لا يوجد غيره ولاله صفة دون ذاته ولا اسم عين بهائه فمن وحده فقد حجبده لانه لا يعرفه بشي ولا يدركه عبد انقطعت الاسماء من عالم العماء بجبروتيته ، وامتنعت الصفات من عالم الامثال بملكوتيته ، لم يزل كان ربابلا مربوب ، وعالما بلا معلوم ، وقادرا بلا مقدور ، وموجدا بلا موجود ، والآز كل الله بمثل ما كان ، وهو الكائن لامرئوب ، وهو العالم لامعلوم ، وهو القادر لامقدور ، وهو الموجد لاموجود ، لا اسم له ولا وصف ، ولا نعت له ولا رسم ، قد تقطع الكل ذاتيته . وتفرق الكل كنيونيته . لا ذكر له بالفصل ، ولا بيان له بالوصل ؛ من قال هو الحق ، يرجع الامر الى الخلق ، ومن قال هو العدل ، يمنع العدل عن الوصف ، سبحانه وتعالى قد وجدت الابداع بالانشاء بلا مس النار من ذاته ، واخترعت المشية بالابداع بلا فصل من نفسه ، وقد منعت الابداع عن معرفة ابداعه ، وانقطعت الاختراع عن محبته باختراعه ، سبحانه وتعالى

لاذكر هنالك لابلاني ولا بالاثبات ، ولا بالثناء ولا بالايات . ولا بالبهاء ولا بالاملامات ، ولا
بذكر الهاء ولا بالفرار عن انواع ولا بالقيام بين الامرين ، ولا بحرف اللاء سبحانه وتعالى
عما يصفون ، (واشهد) لمحمد صلى الله عليه واله بما شهد الله له به حيث لا يعلم ذلك
الا هو بعد ما اخترعه لغزة ذاته ، واصطفيه لقدس جنبه ، وجهه منفردا من ابناء الجنس
في تلقا جماله ، للقيام على مقامه . اذ هو لا يدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو
اللطيف الخبير ، (واشهد) ان محمد ابن عبد الله رسوله قد باغ ما حل في امره ، وقبض
ما جرى انقضاء بايدي نفسه ، سبحانه وتعالى ويحذركم الله نفسه . الاتقولوا في حقه
دون ما قدر الله لنفسه . سبحانه وتعالى عما يشركون . (واشهد) ان اوصيا محمد صلى
الله عليه واله اثني عشر نفسا في كتاب الله يوم ما خاق حرقا في الامكان غيرهم بما قد
شهد الله لهم في عز جبروتيته و قدس لاهوتيته وعظم سبوحيته وعلو صمدانيته بما
لا يعلم ذلك احد غيره (واشهد) انهم قد باغوا ما حلوا من وصاية رسول الله صلى الله
عليه واله وانهم الفائزون حقا . (واشهد) ان قائمهم سلام الله عليه حي به قد اقام الله
كل شيء وله يمد الله كل شيء وبه يوجد الله كل شيء . وان له رجعة حق بمثل ما
جعل الله لهم فسوف يحيي الله الارض بظهوره . ويبطل عمل المشركين . (واشهد)
ان فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه واله ورقة مباركة عن الشجرة البيضاء لاله الا
الله سبحانه وتعالى عما يشركون . (واشهد) لكل حق بمثل ما شهد الله له في علم الغيب
ولكل باطل بمثل ذلك وانه يعلم بافي عبد الله مؤمن به وباياته وبكتابه الفرقان الذي لم
يوجد بمثله وبالحجة لكل ما احبه وبالبرائة لكل ما ابغضه وكفى بالله علي شهيدا .
(واشهد) ان الموت والسؤال والبعث والحساب وحشر الاجساد والاجسام وما جعل
الله وراء ذلك في علمه لحق بمثل ما كان الناس في علم الله ليوقنون . واشهد ان كل ما
فصل في ذلك الكتاب حق من فضل الله علي ولكن اكثر الناس لا يشكرون .
ولقد فصل في ذلك الكتاب كل ما خرج من يدي من سنة ١٢٤٠ الى سنة ١٢٤٢ من
شهرها بمامضى نصفه من شهرها وهو اربعة كتاب محكم وعشر صحيفة متقنة التي كل
واحدة منها تكفي في الحجية على العبودية لمن في السموات والارض وانما اذكر اسمائها
باسمها ال الله منزلها لتكون حنيفا في البيان ، ومذكورا في التبيان

(لاولى) كتاب الاحمدية في شرح جزء الاول من القرآن (والثانية) كتاب العلوية وهو الذي قد فصل فيه سبع مائة سورة محكمة التي كل واحدة منها سبع آيات. (والثالثة) كتاب الحسينية وهو الذي قد فصل فيه خمسين كتابا محكمة بالآيات القاهرة. (والرابعة) كتاب الحسينية في شرح سورة يوسف عليه السلام التي كلها المفصلة بمائة واحد عشر سورة محكمة التي كل واحدة منها اثنتى وأربعين آية التي كل واحدة منها تكفى في الحجية لمن على الارض وما في تحت العرش ولم تغير وكفى بالله شهيدا (والخامسة) صحيفة العاطمية وهي مرتبة باربعة عشر بابا في أعمال اثني عشر شهرا في كتاب الله (والسادسة) صحيفة العلوية وهي مرتبة باربعة عشر دعاء في جواب اثني وتسعين مسألة التي قد فصلت بعد رجبى على الحج في الشهر الصيام (والسابعة) صحيفة الباقرية وهي مرتبة باربعة عشر بابا في تفسير أحرف البسملة (والثامنة) صحيفة الجعفرية وهي مرتبة باربعة عشر بابا في شرح دعائه عليه السلام في أيام الغيبة (والتاسعة) صحيفة الموسوية وهي مرتبة باربعة عشر بابا في جواب اثني نفس من عباد الله التي قد قضت في أرض الحرمين (والعاشرة) صحيفة الرضوية وهي مرتبة باربعة عشر بابا في ذكر أربعة عشر خطبة غراء الناطقة عن شجرة الثناء لاله الا هو العزيز المان (والحادى عشر) صحيفة الجوادية وهي مرتبة بأربعة عشر بابا في جواب أربعة عشر مسألة لاهوتية (والثاني عشر) صحيفة الهادية وهو مرتبة باربعة عشر بابا في جواب أربعة عشر مسألة جبروتية (والثالث عشر) صحيفة العسكرية وهي مرتبة باربعة عشر بابا في جواب أربعة عشر مسألة ملكوتية (والرابعة عشر) صحيفة الحجية وهي مفصلة باربعة عشر دعاء قدوسية التي قد ظهرت في بدء الامر وتنسب الى أيام العدل. فكل ذلك أربعة عشر نسخة مباركة موجودة في ذلك الكتاب مع صحيفة المشهودية في آخره في أربعة عشر كتابا من آيات العباد كل ذلك مكتوب في هذا الكتاب واما ما خرج من يدي ومرق في سبيل الحج تذكرة تصليته في صحيفة الرضوية فمن وجد منه شيئا وجب عليه حفظه في أطوبى لمن استحفظ كل نزل من لذي بانواح طيبة على أحسن خط فوالذى اكرهنى آياته حرقها من اعز لدي من ملك الاخرة والالى واستغفر الله رضى عن التحديد بالقليل وسبحان الله رب العرش عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

(المار) يرى القارى أن هذا اللغو الذي لا يفهمه حتى كاتبه إنما خدع بعض الفرس لما فيه من نسبة الصلح إلى آل البيت وأن الله أوجد ويوجد بقائهم كل شيء، وهذا شرك ولعلمهم ظنوا أن ما لا يفهم منه هو الألفهام والعقول كما يظن عامة المسلمين في كلام الصوفية.

﴿ أدلة الباب السبعة على دينه ﴾

هفت دليلي است که بجهت جواب یکی از علماء نقطه بیان نازل فرموده اند که
اول از عربی است و فارسی هم تفسیر اندام قوم فرموده ندعربى اندانوشتم (*)

﴿ بسم الله الافرد الافرد ﴾

انني أنا الله لا اله الا أنا قد خلقت كل شيء بأمري وما جمعت لشيء من أول ولا آخر جوداً من لدنا أنا كننا على ذلك لقادرين . وانتهيت كل ما قد خلقت إلى بديع الأول أمراً من عندنا أنا كننا على كل شيء لمقتدرين . ثم انتهينا ما قد خلقنا من بديع الأول إلى محمد رسول الله ص فضلاً من لدنا أنا كننا فاضلين . ورينا الذين أوتوا الفرقان في ألف ومائتين ثم سبعين سنينا لعلمهم يستبصرون . في دينهم ليوم ظهور ربهم وحين ما يعرفهم الله نفسه ليحييهم الله ربهم ثم لينصرون . وعلمناهم في الفرقان دلائل سبعة كل واحدة منهم يكفي كل العالمين . قل (الأول) ان غير الله لن يقدر ان ينزل مثل الفرقان وهل من خلق أعجب من هذا ان أنتم فيه تتفكرون . وأمهلتنا الذين أوتوا الفرقان من يومئذ إلى حينئذ حتى كل يوقنون بأنهم عاجزون . لعل الذينهم يستمعون آيات الله حين ظهور حجته بما آمنوا من قبل يؤمنون . انظر كيف قد سد الله أبواب حجته ولا يمين الله علي أمم مثلهم ولكنهم عن أمر الله غافلون . حين ما قدروا آيته لا سبيل لهم في دينهم الا أن يقولون هذا من عند الله المهيمن القيوم . وان يقولون هذا من عند غير الله يكذبهم قول الله من قبل في الفرقان بان غير الله لن يقدر ان يأتي بآية وأنتم كلكم بذلك من قبل موقنون . قل (الثاني) ما استدلل الله في الفرقان بأمر محمد رسول الله الا بعجزكم عن آيات الله ان أنتم قليلاً ما تتفكرون . ولم يكن عند الله حجة أكبر من هذا ليستدل الله به وان مادونه ما أنتم لتذكرون كمثل ظلال عند الشمس افلا تبصرون . وأنتم

(*) هذه العبارة الفارسية لم يرسل الرسالتين ومعناها الدلائل السبع التي تفضلت بانزالها

نقطة البيان في جواب العلماء بالعربية و مترجمة بالفرنسية فبادرت بارسال العربية إليكم

لكم أجمعون. لتقولون ان الفرقان أكبر آيات محمد رسول الله من قبل ان أنتم بذلك موقنون. كيف لا تستدلون يومئذ ولا به في دين الله تدخلون. قل (الثالث) ان آيات الله أكبر عن آيات النبيين من قبل ان أنتم قليلا ما تفكرون. اذ لو لم يكن أكبر لا ينسخ الله بآيات الفرقان دين عيسى بعد موسى ثم النبيين قبل موسى ولكنكم في حجة دينكم من قبل لا تفكرون. لو لم يكن آيات الفرقان أكبر من عصى موسى ثم كل آيات النبيين من قبل موسى وبعد عيسى كيف ينسخ الله بها ما نزل من قبل افانتم في دلائل الله لا تفكرون. أفانتم في حجج الله لا تتأملون. ولو أنكم أنتم من قبل في الفرقان مستبصرون. حين سمعتم من آية لعظم من أفندتكم أكبر عن خالق السموات والارض وما بينهما ولو لا تفكرون ولا تتذكرون. قل (الرابع) انما الآيات لا يكفين الذين اتوا الفرقان من قبل ومن بعد ان أنتم بما نزل الله من قبل لموقنون. قل ان ذلك الدليل ليثبت الكتاب بأنه حجة من عند الله ويكفين كل العالمين. مثل ما نزل الله في سورة الفسكوت وانتم بالليل والنهار لتقرؤن. او لم يكفهم انا انزلنا اليك الكتاب يلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون. قل (الخامس) دليل عقلي مقطوع لو اراد احد من النصارى ان يدخل في دين الاسلام انتم كيف تستدلون. وهل يكن حجبتكم بافة بالكتاب أو أنتم بغيره تستدلون. لو تستدلون بغيره ان يقبل عنكم وان تستدلون به فاذا انتم غالبون. سواء يقبل عنكم او لا يقبل فان حجبتكم قد تمت وكملت عليه هذا ما انتم من قبل في الاسلام مستدلون. كيف لا تستدلون يومئذ في البيان وانتم على الصراط الحق لتبرون. (*) قل (السادس) قد أظهر الله قدرته في الآيات على شان كل عنها عاجزون. ولا يحسبن ان هذا امر خفيف فانه لا نقل عمافي السموات والارض وما بينهما ولو لا كن أكثر الناس لا يعلمون. ما خاق الله خاقا عز من الانسان وكل عند ذلك

(*) المنار: زعم الباب أن هذا دليل عقلي وله خصه أن كتابه البيان حجة على المسلمين كما أن القرآن حجة على النصارى وهذا جهل. مثل سابقه ولا حقه ذلك أنه يحل طريق الاستدلال عند المسلمين وهو البرهان على الأثوية بالعقل ويدخل في ذلك استحالة حلول الباري في البشر والبرهان بالعقل على الحاجة الى الرسالة والى بعثة محمد (ص) والاستغناء عنها بدنيته وهمنا يحل الاستدلال بالقرآن بما فيه من العلوم العالية مع ان الجاثي به أمي ومن البلاغة التي أعجزت البلاء. وليس بيان الباب الا على ما هو يسهل مثله على الصبيان والمجانين.

عاجزون . انظر كل بحروف الثمانية والعشرين متكلمون . وان الله قد سخر تلك الحروف
وركبها بشان كل عنها بمجزون . هذا صنع الله . كل به يخلقون . ان الذين يدعون من دون
الله ما لهم داييل في كتاب الله . ثم لهم كمثل الذين هم كانوا من قبلهم لو شاء الله ليهديهم وان يشاء ليضلهم
وذلك نارهم عند الله وليكنهم لا يملعون . وليكنهم لو يفكرون اقرب من لمح البصر ليهتدون .
قل (السابع) كل موقنون بان الله لن يعزب من علمه من شيء ولا يعجزه من شيء لافي السموات
ولافي الارض ولا ما بينهما وانه كان بكل شيء عاليا وانه كان على كل شيء قديرا . فاذا انساب أحد
نفسه اليه ان لم يكن من عنده فعلى الله ان يظهر من يظلم من يظلم ذلك بدليل كل به يوقنون . فان
لم يظهر دليل انه حق من عند الله لاريب فيه كل به يؤمنون . انظر ان الامر في ظهور البيان
أعجب عما نزل الله من قبل الفرقان وجعله آية من عنده على العالمين ، قل الله قد
نزل الفرقان من قبل بلسان محمد رسول الله في ثلث وعشرين سنة وكل يومئذ به
لمدينون من الذين أوتوا الفرقان ومن لم يؤمن به فاولئك هم عن صراط الله المضعدون ،
ولكن الله ان شاء لينزل مثل منازل من قبل في يومين وليتئين اذا لم يفصل بينهما
ان اتم تحبون فتستنبئون ، فانا كنا على ذلك لمقتدرين ، انظر بآية قل نزل الله من
قبل في ذكر الحج في حبل كم من خاق في حول الطين يطوفون ، هذا عظمة أمر
الله في آياته وسيشهدن الذين هم يأتون من بعد في آيات البيان أكبر من ذلك
ولكن الناس هم لا يملعون ، هذا في شأن انا كنا بلسان الخاق مستدلون ، والا كيف
نعرفن أنفسنا بايتنا واسما هي خاق في كتاب الله تعرف بالله رسما والله لا يعرف بها
وانا كنا على كل شيء لشاهدين ، ان كنت في بحر الاسماء لمن السائرين ، مامن اله الا الله
رب العالمين ، له الاسماء الحسنى من قبل ومن بعد كل عباد له وكل له عابدون ، وان
كنت في بحر الخاق لمن السائرين ، قد خاق الله كل شيء بامر واحد وجعل مثل ذلك
الامر كمثل الشمس ان تطالع بما لا يحصي المحصون ، انها هي شمس واحدة وان اقرب
بمثل ذلك انها هي شمس واحدة قل كل بالله قائمون ، فاذا في كل الرسل أمر واحد
وفي كل الكتب أمر واحد وفي كل المناهج أمر واحد كل بامر الله من عند مظهر
نفسه قائمون ، هذا معنى حديث اتم في ذكر قائمكم التذكرون ، ليدكرن من بديع
الاول الى محمد وليقوان من أراد أحد من أنبياء الله فليظنن الى ولا يقوان فليظنن

الى غيري اذ كل فيه وكل بامر الله اذا يشاء ليظهرون ، هذا معنى قول محمد من قبل في ذكر النبيين بانهم اياي اذ مافي كل أمر واحد قد اتصل بمحمد رسول الله ومن محمد الى نقطة البيان ومن نقطة البيان الى من يظهره الله ومن يظهره الله الى من يظهر من بعد من يظهره الله الى آخر الذي لا آخر له انتم مثل أول الذي لا أول له لتستنبئون ثم لتوقون (*) . فاذا في كل ظهور وكل مظهر فيه وكل ما يظهر من عنده يظهر ذلك معنى ما انتم في بحر الاسماء تذكرون . سبحانه الله انك أنت الاول ولم يكن قبلك من شيء وانك أنت أول الاولين . قل اللهم قل اللهم انك أنت الآخر ولم يكن بعدك من شيء وانك أنت مؤخر الآخرين . قل اللهم انك أنت الظاهر فوق كل شيء ولم يكن فوقك من شيء وانك أنت مظهر الاظهرين . قل اللهم انك أنت الباطن دون كل شيء ولم يكن غيبك من شيء وانك أنت مبطن الابطنين . سبحانه الله انك أنت القادر على كل شيء لان يعجزك من شيء . لافي السموات ولا في الارض ولا ما يدور بها تنصر من تشاء بامرك انك أنت اقدر الاقدرين . وان كنت في بحر الخلق ناظرين . مثل ذلك في مرءات الازل انا كنا منزليين ، اذ لا يرى في المرات الاجلها ذلك رب العالمين ، فانظر من اول ما قد دخلت في دينك هل رأيت من نبي او حجة الا وقد شهدت الفرقان من عند الله رب العالمين ، واستدللت به من غير ان تسكن فيه وكنت به لمن الموقنين ، فلتنصفن حين ما قد رايت الفرقان او آيات البيان هل رايت ما تحجبك عن هذا او توقنتك في هذا ان كنت من المستبصرين ، وإن ما تشاهدن غير قواعد انحويين والصرفين هؤلاء يستنبئون علمهم من كتاب الله وما يلي الكتاب من عند الله لا يستنبئ من علمهم فما هؤلاء القوم لا يتفكرون ولا يتذكرون . (*) وهذا دليل على انكم توقنون بان الله قد اظهر حجته من عنده من لم يعلم شؤون علمكم املككم اتم بذلك تستطيعون في دين الله توقنون ، وانا لو انشاء لنزلنا مثل ما انتم في قواعدكم مستدلون ، مثل ما قد نزلنا كتبنا من قبل وان كنا على ذلك لمقتدرين ، وان الله في كل ظهور ليحب ان يدخلنا الناس في دين الله بحجة ودليل وعلى هذا

(*) المآل : يظهر ان الشبهة بروون حديثا من فواعي هذا الموضوع والعارف بالمرية وأساليبها يحزم بانه موضوع لأصل لا ويفهم من العبارة ان الباب يعمد بخلود الناس في الدنيا (*) انظر الى هذا الاعتذار البخيف عن محزه عن الكلام لصحيح كان الله تعالى يحب الافر الذي لا يفهم

لينصحن الرسل في كل ظهور كل عباد الله المؤمنين، والا اذا يبعث الله ذا طول عظيم
ليدخلن الناس في دين الله سواء يحيطون علمهم بدليل أو لا يحيطون، مثل كل ما دخل
محمد رسول الله من قبل في الاسلام بحجر وقهر فان اولئك هم سواء يطلمون بدليل
أو لا يطلمون، ليدخلهم الله في رضوان الدين بفضله سواء هم يعلمون أو لا يعلمون، فلتسكرون
هل يكن حجة الذين اتوا التورية بالغة على الذين اتوا الزبور كيف هم صبروا في
دينهم وما دخلوا في دين موسى ولا هم يتذكرون، ويحسبون بينهم وبين الله بانهم محسنون،
بعد ما انهم عند الذين هم اتوا التورية مسيئون، وكيف عند الله ولكن لا يعقلون، ثم
انظر الى الذين اتوا الانجيل لم يكن حجتهم بالغة على الذينهم اتوا التورية كيف هم
قد صبروا في دينهم ويحسبون بينهم وبين الله بانهم محسنون. بعد ما انهم عند الذين اتوا
الانجيل لمسيئون. وكيف عند الله ربهم ولكنهم لا يتذكرون، ثم انظر الى الذين اتوا
الفرقان بان حجتهم بالغة على الذين اتوا الانجيل كيف هم يحسبون بانهم بينهم وبين
الله محسنون. وان ما وعدهم عيسى ماجاء وهم يحسبون بينهم وبين الله ربهم بانهم في دينهم
مستبصرون. بعد ما انهم عند الذين اتوا الفرقان لمسيئون وغير مبصرون، وكيف وعند
الله ربهم ولكنهم لا يعلمون. ثم انظر الى الذين اتوا الفرقان كيف حجة الدين هم
امنوا بائمة الدين بالغة على الذين لم يؤمنوا بهم وهم يحسبون بانهم محسنون. بعد ما انهم
عند هؤلاء غير محسنون. ثم انظر الى الذين اتوا البيان فان حجتهم بالغة على كل الامم
وكل دينهم وبين الله يحسبون بانهم محسنون وفي دينهم محتاطون ثم لمتقون، ولكنهم عند الذين
اتوا البيان غير محسنون ولا متقون. وكيف عند الله وعند مظهر نفسه وعند شهداء مظهر
نفسه ولكنهم لا يتفكرون ولا يتذكرون. ثم انظر الى الذين هم اتوا الكتاب من يظهر الله في
القيامة الاخرى فان حجتهم بالغة على الذينهم اتوا البيان ولكنهم يحسبون في دينهم بانهم متقون
ومحسنون. بعد ما انهم عند الذين اتوا ذلك الكتاب غير متقون ولا محسنون، وكيف
عند الله وعند من يظهره الله وعند ادلائه يا ولي البيان بالله تقون. ان لا تنصحن أنفسكم
مثل الامم قبلكم بانكم تحسبون بينكم وبين الله بانكم متقون. وعند خالق آخر غير متقون
ومحسنون. وكيف عند الله ربكم فلتقطعن عن كل علمكم وعملكم ولتستمسكن بمن يظهره
الله ثم دليله وحجته ثم بما يستدل المستدلون وباهوائكم لا تستدلون ثم بما يرضى

لترضون ولا تجملون رضائه بما رضون بل تجملون رضائكم بما يرضى ولا تسئلونه عن آيات غير ما يؤتيه الله فانكم انتم لا تستجيبون . قد وصيناكم لعلمكم في دينكم تتقون، وعلمناكم سبل الدلائل في الايات لعلمكم في البيان لتتقون ثم لتخلصون . ثم بالحق تستدلون . اهـ

(المنار) الذي يمكن أن يفهم بالقرائن من مجموع هذا اللغو الطويل الذي أفرغ فيه الباب جمعة دلائله أن أهل كل دين جديد يرون أنهم محقون . ويهدون وغيرهم مبطل وهكذا يراهم غيرهم وأن المسلمين الذين يؤمنون بالاثمة مع الذين لا يؤمنون بهم كذلك فوجب أن يكون دينه كذلك . ولونض هذا دليلا لحاج لكل أحد في كل يوم أن يخترع ديناً ويحتج به !!! وقد جهل الباب أو نسي أن المسلمين الذين يحتج عليهم يعتقدون بأن الأديان قد ختمت بحمد صلى الله عليه وآله وسلم . وأن الدليل عليها لم يكن التنازع والخلاف بين أهل الأديان بل كان دليلا حقيقيا معقولا

وقد بنت البهائية دينها على قوله من يظهره الله ولكن أي معنى لوجود شارع يضع ديناً ولا يلبث أن ينسخ دينه في عصره ويكتب كتابه قبل أن يعلم به الناس الا قليلا لا يعتد بهم فإن البهائية يخفون (البيان) إذ وجد فهم من أدرك أنه سخريه ؟ وباليات هذا الدين الصياني قد انقسم الى دينين فقط . كلاً منهما انقسم الى أربع فرق يكفر بعضها بمضاهي الغالب وهي كافي خاتمة كتاب (مفتاح باب الايواب) الذي نوهنا به من قبل وقد تم طبعه الآن وسيصدر بعد أيام قال مؤلفه

﴿ فرق البائية ﴾

﴿ الأولى البائية الخالص ﴾ أي الذي اتبعوا الباب فقط ولم يرضخوا لأوامر من قام من بعده مثل الميرزا يحيى صبح أزل وأخيه الميرزا حسين علي البهاء وغيرها وهم يعملون بأحكام البيان وينبذون جميع مآلف وكتب بعد الباب ظهرياً وهؤلاء ينفون نحو مائتي نفس في البلاد الإيرانية دون غيرها وفي أثناء وجودنا بطهران قابلنا مع أناس منهم وعلمنا منهم مالا تعلمه البائية الأزلية والبهائية .

﴿ الثانية البائية الأزلية ﴾ وهم القائلون بخلافة أو أصالة الميرزا يحيى صبح أزل سجين قبرص الآن أي أن الأزل هو مصداق لما ورد في كتاب البيان (من

يظهره الله أو من يريد الله) وهؤلاء يؤيدون مدعياتهم بكتب عديدة من الباب والميرزا حسين علي الى الميرزا يحيى وهي موجودة عند الأزل ويتمسكون ويستدلون بها على بطلان أمر البهاء وأتباعه وعددهم القان ونيف تقريبا في البلدان الايرانية وغيرها وداعيتهم الأ كبر وعييدهم الاعظم هو الحاج الميرزا القاطن الآن بطهران هو وأنجاله وأناس آخرون منهم ذكرنا أسماءهم في كتابنا (باب الابواب) وهؤلاء يتظاهرون بالاسلامية ، ويتبرؤن من الباب والبائية ، ويعملون بالتيق ، يصلون ويصومون ويقومون بجميع فرائض الدين الاسلامي في الظاهر ويكفرون البهاء وأتباعه ويلعنونهم في الظاهر والباطن ، ويستيحون أموال وأنفس المسلمين والبهاية عند المقدرة ويستعينون على قضا حوائجهم هذه بالكتمان وشدة الخذر ويسندون الخلافة من بعد الميرزا يحيى الى الحاج الميرزا المذكور ولهم اشارات ورموز خاصة بهم لمعرفة بعضهم بعضا.

الثالثة البائية البهائية ﴿ وهؤلاء على مرّ عليك من أخبارهم يعتقدون برؤية وألوهية البهاء وأنه هو الذي بعث الانبياء والرسول وان زردشت وموسى وعيسى ومحمد (ص) والباب انما كانوا يبلغون أحكامه ويدينون آياته فهم مظاهروا أمره وبشروا به وبظهوره كما ان ابنه الا كبر عباس يكون كذلك من بعده وان ايس لاحد أن يقوم بعده ويدعي بالامر الابدألف سنة كاملة وبعد ذلك يكون الامر لمن يظهره الله (يعني لمن يظهره هو كما علمت من أقواله) وان من يدعي أمرا قبل ألف سنة تحتم قتله لاحالة ويبلغ عددهم نحو ثلاثة آلاف نفس في ايران ونحو ألفي نفس في خارجها ولا عذبة بما يدعونه من انهم يبلغون الملايين من النفوس في البلدان الايرانية ومئات الاثوف في الممالك الروسية والافرنجية والعثمانية ومثلها في الممالك المتحدة الامريكية لائن الاطراء والاغرق القلوب هي دينهم ودأبهم في تجسيم وتعظيم الأمور الراجعة اليهم كشأنهم في بقية المسائل المختصة بهم ،

الرابعة البائية البهائية العباسية ﴿ هؤلاء هم البائية البهائية ولكن يقدسون ويمجدون العباس كتقديسهم لأبيه البهاء بل البعض منهم يحملون البهاء مبشرا به كما كان الباب مبشرا بأبيه وولد العباس في اليوم الخامس من جادى الاول ١٢٦٥ هجرية بظهران

ورافق أباه بالنفي الى بغداد وادرنه وعكا ولم يكن للباية البهائية شأن يذكر قبل ترسيمه ولما بلغ أشده واستلم زمام الامور بكياسته المشهورة ، نثر ونظم ، عقد وحل ، غير وبدل ، ألف وصنف ، وهو الذي اشار على ابيه بالاستقلال في الامر والاستبداد بالرأي حتى فرق بين ابيه وعمه الازل وجعل للبهائية شأنًا يذكر ولو لا ما قامت للباية قائمة ومقام بشخص يسقط بسقوطه ويزول بزواله اذ لا بقاء له بذاته ، نعم انه كان يتظاهر امام الباية انه كأقل عبد متواضع خاشع للبهاء ولكنه كان ماسكا دفعة الامر بيد من حديد يديرها كيف شاء وأنى شاء وكان يخاطبه أبوه بلفظة (آقا) ومعناها (السيد) ولما مات البهاء آلت اليه الرئاسة وانفرد بالحج والاثبات في الاحكام فذعر من ذلك اخوته والخاصة من اصحاب ابيه مثل الميرزا آقاخان الكاشاني الملقب بخادم الله ومحمد جواد القزويني وجمال البروجردى واصهار البهاء فانضم هؤلاء الى الميرزا محمد علي الشجل الثاني للبهاء الملقب بغصن الله الاكبر وأرسلوا الدعاء الى البلدان ، ونزغوا الى الطغيان والعصيان ، وألفوا كتباً بالفارسية والعربية وطبعوها بالهند أظهروا بها مروق العباس وأشياءه من دين البهاء وكفروه وسلقوه بالسنة حداد (عندنا نسختان من الكتب المذكورة) ومن جراء ذلك انشقت الباية البهائية الى قسمين قسم سمي (باناقضين) هم الميرزا محمد علي وأشياءه وقسم سمي (بالمارقين) هم العباس وأشياءه وقام كل منهم الآن يؤيد دعواه ويكفر من عداه فاعتزلوا المعاشرة وحرموامعاملة بعضهم لبعض وعداوة كل منهم للآخر أشد من عداوتهم جميعا للمسلمين وغيرهم فهذا ما آل اليه أمر البهائية بعد موت البهاء ولله الامر من قبل ومن بعد ،

بشائر الخبيثات والآفات

بشائر الإصلاح في المملكة لفارسية

كتبنا في المنار السابق مقالة بعنوان (هذا أوان العبر) ابنا فيها عن فساد الحكم الاستبدادي وان الذي أودى بالمسلمين وأوهن قواهم وجعلهم دون غيرهم قوة ورقيا واستعداد أدولهم وعدم ملائمة طرز حكومتهم لأصول الترقى الجديدة لما أثبتته التاريخ وأيده العلم في هذا العصر من ان كل الامم التي سبقت المسلمين وآخر السابقين أمة اليابانين انما سبقوهم بتغيير طرز الحكومة الاستبدادية الى ما يوافق أصول ترقى

الامم ويلائم حالة العصر حيث أقاموا مقامها الحكومات النيابية التي هي أصل في سعادة الشعوب وأساس متين لبقاء حياة الدول وذكرنا قصور أمراء المسلمين ودولهم عن مجازاة الدول الأخرى استشاراً بالسلطة وحرصاً على بقاء تقديم على قدمه وطلبنا من الأمة ان تلتزم وجوه العبر بنفسها وتنهض لمجازاة الامم بغير اعتماد على حكماها. وكان هذا الشهور الذي يشعر به كل عقلاء الأمة يشعر به أمراء المسلمين أنفسهم أيضاً ويعلمون ان حياة أممهم الطيبة ورفقهم السريع متوقفان على تغيير طرز الحكومة وإطلاق أعنة العقول من أسر الاستبداد القاهرة، واتمنا بهم من العمل بما تشمر بالحاجة اليه الضمائر مغالبة النفس المائلة الى الاستئثار بالسلطة ويدلنا على هذا اتنا في الوقت الذي كنا نرمي فيه أمراء المسلمين بالتقصير ونبين حاجة الأمة الى تغيير شكل الحكومة القديم واستبدال ما يوافق حالة العصر به، وبسمو بدول المسلمين الى مصاف الدول الأوروبية، كان مظفر الدين شاه إيران المظلم يفكر فيما وصل اليه المسلمون في مملكته وفي حاجة دولته الى تغيير صفة الحكومة حتى ترتقي بالامة الى مرتبة السكالكما ارتقى بها ميكادو اليابان منذ وضع في بلاده أساس الحكومة النيابية، وتنازل حبا بترقي قومه عن سلطته الاستبدادية

جاء في الجرائد الفارسية تفصيل ما كانت أملت اليه منذ مدة التلقرافات العمومية عن جمع شاه ايران لاعيان الأمة وكبار الوزراء وإلقائه عليهم خطاباً طويلاً في تقرير وجوه الإصلاح اللازم للمملكة الفارسية ومحصل ما جاء في تلك الجرائد انه جمع نحو أربع مائة شخص من الوزراء والاعيان وقام فيهم خطيباً يبين ما وصلت اليه البلاد وحاجة الدولة الى الإصلاح في كلام طويل جامع. والذي حل منا محل الإعجاب من كلام ذلك الملك الكبير وكان عليه المعول وفيه المؤمل، انه أعلن قبل كل شيء على رؤوس الملائكة تنازله عن كل شيء يسمى امتيازاً للملك أو الأسرة المالكة بمنازلة به عن الرعية ونجلي عن السلطة الاستبدادية بمحض الرغبة بخير الدولة والامة وأشار عليهم بعد ذلك بالنظر في طرق الإصلاح الواجب سلوكها على الأمة والدولة في عصر هو أحوج ما تكون فيه الأمة الى مثل هذه الرغائب العالية التي يندر صدورها عن ملك عظيم بمحض الارادة. وأنت ترى ان في قوله هذا من الصراحة في حاجة الدولة الى حكومة نيابية

ذات قوانين عميرية ما يؤيد رأينا في المقالة السابقة وبذلك عليه أن الشاه المعظم أحل في ختم خطبته إيضاح الامر والنظر في أطراف المسئلة ووضعها موضع المناقشة بين أهل هذه الشورى على الوزير الاعظم فخطبهم الوزير خطبة في موضوع الإصلاح وفيما رآه من ذلك أن وضع امامهم أكثر قوانين الدول المتقدمة وطالب اليهم انتخاب ما يوافق منها حالة الامة والدولة مع مراعاة تطبيقها على أصول الشريعة وحاجة العصر. رأى مظفر الدين شاد لزوم الحكومة النيابية إذ أراد أن ينهض بالامة ولزوم الاستئانة بقوانين الدول الراقية على تأسيس مثل هذه الحكومة ، والامة لم تستعد لتلك المفاجأة فإشار الى أنه تنازل عن حقوقه في الحكم المطلق اشارة تفني عن كثير البيان تمهيداً للعمل ثم أشار بانتخاب ما يوافق مثل تلك الحكومة من اقوانين بشأ لروح الحاجة اليها في نفوس الشعب فإذا ثبت على عزمه ومضى في وجهته وجارى ميكاو الديان في حسن ارادته وعلوهمته وجهه لحيوطنه ورعيته بتأسيس حكومة نيابية في ملكته فقد والله حقق اماني العقلاء فيه وجعل افئدة من الامة الاسلامية تهوي اليه ونهض بقومته نهوضاً لا عثار بدمه ان شاء الله وحسبه من ذلك فضيلة ان يكون قدوة الامراء المستبدين، وعبرة حسنة في الآخرين، وذكر أخالداً في تاريخ نهضة المسلمين،

هذا واتنا نرجو من صاحب المنار الغيور أن يتبع في الجرائد الفارسية خطبة الشاه المعظم ومشروع الإصلاح الذي وضعه الصدر الاعظم ويعرب كل ذلك أو جله وينشره في المنار الاغر ليطلع عليه المسلمون في كل الاقطار التي يصل اليها المنار إفادة للمسلمين وإعلاناً لهذه الحسنة الكبرى والله ولي المرشدين (رفيق)

(المنار) اتنا لما علمنا بخبر طاب الشاه للإصلاح اهتزنا طرباً وفاجأنا من السرور ما لا يمكن التعبير عنه وعهدنا الى صديق لنا من علماء الفرس هنا بأن يعرب لنا ما تنشره الجرائد الفارسية التي نحيثنا من ذلك لاسيما جريدة (جبل المتين) فأرجأنا التعريب انتظاراً لما ستقرره اللجنة التي عهد اليها الشاه العظيم النظر في طرق الإصلاح وأرجأنا الكتابة في المسألة لنكتب عن بيئتنا حتى جاء صديقنا رفيق بك يستمع لنا وله الحق فان هذا البأ أعظم نبأ إسلامي طرق الآذان في هذا العصر واذا سار الإصلاح في تلك المملكة الاسلامية على وجهه كان لنا ان نمد مظفر الدين أعظم ملوك المسلمين ، لأنهم وضعوا أصول

الاستبداد في القرن الاول وتمسكوا بها بعصده حتى أزالها هو في القرن الرابع عشر لا يكفي في الاصلاح تنظيم ادارة البلاد وإقامة العدل فيها بل يجب ان يعتنى أشد الاعتناء بالفنون العسكرية والقوى الحربية وأن تنشر المعارف العصرية في البلاد طوها وعرضها وعندى أنه يجب أن يكون التعليم باللغة العربية ولغة أخرى أوربية فاذا عاشت العربية مع العلم في تلك البلاد كان لهذه الدولة شأن آخر في إقادة الأمة الإسلامية كلها لاسيا البلاد العربية المجاورة لها والله الموفق للسداد

استقلال الحكومة باستقلال الأمة

ان الامم الجاهلة المحكومة بالاستبداد، المذلة بالظلم والاضطهاد، لا يخطر على بال أفرادها معنى يعبر عنه باستقلال الأمة. ولا يعقلون أن للراعي أثرًا في سيادة الحكومة، الا بما يؤدون من الأتاوات والضرائب وما يسخرون به من الاعمال لرقية ساداتهم المستبدين. فاذا عثت استقلال حكومتهم حكومة أخرى أجنبية طفقوا يشعرون بمعنى الاستقلال بالتدريج ويقوى فيهم هذا الشعور بنسيان ظلم حكامهم السابقين لاسيا إذا كان الاجنبي العاث ظمًا على أن النفرة من سلطة الاجنبي طيبة في الامم فان هو عدل تمنوا لو يستبدلون بسلطته سلطة من جنسهم عادلة ليكونوا مستقلين، ولكنهم بعصده هذا كله لا يفهمون من معنى الاستقلال الا إعادة السلطة للأسرة الحاكمة فيهم بالاستبداد من قبل ويبلغ فساد التصور من بعض الافكار ان تخيل إرشاد الأمة الى ضرر الاستبداد والمستبدين من عوائق الاستقلال، وهذا من أعجب عجائب عالم الخيال، يامعشر المتخيلين والوهميين إنكم لن تتنصروا للاستقلال ربحًا، ولن تستنشقوا له عرفًا، الا بعد الاعتقاد القاطع بأن الاستقلال إنما هو استقلال الأمة وذلك بأن ينفخ فيها روح من التربية والتعليم يشعر جميع طبقاتها بمعنى الأمة وحقوقها وأول هذه الحقوق أن تختار هي الحاكم الأعلى لها وأن تقيد حكومته بشريعتها وقوانينها التي ترضاه وتلزمه بتنفيذها بمشاورتها وتحت مراقبتها وسيطرتها حتى يكون لها الحق بعزل من يشذ عن ذلك أو إقامته عليه سواء الحاكم الاكبر وغيره

يامعشر المتخيلين والواهمين ان أمة محرومة من هذه الروح لن تعرف للحياة الاستقلالية معنى، ولن تذوق للسيادة القومية طعمًا، بل تظل طعمعة لاطاميين، وألعوبة

في أيدي المتغلبين ، فيوما يستعبدها من يشاركها حقيقة أو صورة في وصف من أوصافها كالمغة أو الجنس أو الدين ، ويوماً يستذلها من لا يشاركها إلا في الصورة البشرية ، فهي تزاوج دائماً بين استعباد واستذلال ، لأن طبيعتها قاضية بهذه الحال ، بفقد هاتك الروح التي تبعث بطبيعتها الاستقلال ،

يا معشر المنحياين والواهمين ان حنين الامة التي عبث الاجانب بسططان حكومتها الى حكماها السابقين المستبدين ليس حينذا الى الاستقلال بل الى الاستبداد ، وان المحافظة على بقايا رسوم السلطة السابقة ، لا يكون آلة لمقاومة السطة الطارئة ، وانما الذي يمنع الامة من كل جور ، ويصد عنها كل ظلم ، هو ما يهبها حقيقة الاستقلال في ذاتها ثم في حكومتها بأن تكون الحكومة مستقلة باستقلال الامة قوية بقوتها وقد عرفت معنى ذلك الاستقلال ومهب روحه من انتداء الاول فاعملوا له ان كنتم عاملين ، اوموتوا بضمفكم ان كنتم متواكلين ،

اجتماع التلامذة وانتحارهم

للتعليم ثمار مختلفة منها ما يكون مطلوباً ومقصوداً من المعلمين ومنها لا يكون مقصوداً لهم وأنفي بالمعلمين هنا مديري نظام التعليم ومؤسسي المدارس . ومعلمو المدارس في هذه البلاد الافرنج سواء مدارس الحكومة وغيرها ومن مقاصدهم الباطنة فيه زلزال التقاليد القديمة الامة الذي ينتهي باضعافها أوزوالها وتحويل وجهه المتعلمين الى تقليد قوم المعلمين اذ بذلك تكون لهم السيادة الحقيقية عليهم تحوّلهم عن مقومات أمتهم الذي يقطع الامل باستقلالهم . وقد مضت سنة الاولين بأن الضعيف يقلد القوي في الامور التي تضر غالباً ولا تنفع لهذا ترى المتفرنجين من المتعلمين ومقلدي المتعلمين قد أخذوا عن الاوربيين السكر والقمار والفتش والازياء والزخرف في الاثاث والمناوع بدون مراعاة للاقتصاد الذي تسمح به ثروتهم كما يفعل أولئك . وقد زالت من أكثر هؤلاء المتعلمين حرمة الدين وآدابه واحتقروا أمتهم حتى صارت حالة الامة بهم شرّاً من حالتها في أمتها قبل انتشار هذا التعليم فيها بسياسة من يستمر بلادها ويسخرها لسعادة قومه بأساليب مختلفة

ومن ثمار التعليم الذاتية التأليف بين الافكار التي تتلقى تعليمياً واحداً والجمع بين

التعلمين والارتقاء أحيانا الى تقليد المعلمين في بعض الأمور النافعة . وكننا نرى من الغرائب أن الوحدة والاجتماع قد ظهرا في تلامذة كل بلاد حتى اليونان وروسيا ولم يظهر لهما أثر في تلامذة مصر وقد وجد في هؤلاء من سقط في الامتحان فلجأ الى بئس نفسه تفضيلا للانتحار على العار ، وترجيحا لمرارة الموت على مرارة الاصطبار ، ولم توجد فيهم عاطفة الاتحاد والاجتماع لمقاومة منكر أولعمل معروف يعود نفعه عليهم خاصة او على قومهم عامة حتى كان ما كان في هذه الايام من اجتماع مئين ممن خابوا في امتحان الشهادة الابتدائية الاحتجاج على نظارة المعارف كما يقولون ويريدون الانكار عليها في جعل الامتحان مرة واحدة في السنة . اجتمعوا في حديقة الازبكية وخطب فيهم نفر منهم واجمعوا على أن يطلبوا من النظارة جعل الامتحان مرتين في كل عام حتى لا يضطر من ينجح في كل علم الا لعلم او اثنين أن ينتظر سنة كاملة لاعادة امتحانه وانا نحمد منهم هذا الاجتماع لذاته بصرف النظر عن موضوعه وتتمنى من صميم الفؤاد أن نرى دائما في تلامذتنا النجباء عاطفة الوحدة والوفاء ، وداعية التألف والاجتماع ،

نتيجة امتحان المدارس في هذا العام

لبعض أصحاب الجرائد اليومية المصرية مدرسة يفاخر بها ويوهم الناس أنها ينبوع الحياة العلمية والسعادة الوطنية في القطر وقد ظهر بالامتحان أنها وراء المدارس كلها حتى قيل انه لم ينجح منها أحد قط لهذا انبرى صاحب هذه الجريدة للطعن في الامتحان وإيهام الناس أن نظارة المعارف تشدد فيه وان كثرة الذين خابوا في الامتحان أثرت تشديدها الذي تريد به محو العلم من «الوطن المحبوب» والحق أن النجاح في الامتحان كان في هذه السنة أعظم منه في السنين السابقة وأن مدارس المعارف لا تزال سابقة لجميع المدارس الاهلية بمراحل كثيرة فعلى الطاعنين في النظارة ان يعلموا أحسن من تعاليمها ثم لينتقدوا عليها العلمهم يسمعون . نعم ان بعض المدارس الاهلية تقدم للامتحان عدداً فينجح الكثير منه نجاحا يضاهي نجاح مدارس الحكومة فيقول أصحاب المدرسة وبعض الجرائد ان مدرسة خليل آغا مثلا مثل مدارس الحكومة والحق أن في هذا غشا فان المدارس الاهلية تختار أحسن التلامذة لاداء الامتحان ومنهم من يكون قد درس في مدارس الحكومة واما الحكومة فانها تلزم جميع من أتم سني الدراسة بالامتحان

بوني الحكمة من بناء ومن بون
الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما
بذكر الأول الألباب

المسحاة

١٣١٥

فسر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر - السبت ١٦ جمادى الأولى سنة ١٣٢٢ - ٣٠ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٤)

القسم الديني

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ
الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا كَرَّةً فَتَبَرَّأْنَا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا،
كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ *
(إذ تبرأ) متعلق بيرون العذاب في الآية السابقة والكلام متصل
لاحقه بسابقه في موضوع اتخاذ الأنداد . وقد نطقت الآية السابقة بأن
عذاب الله تعالى سيحل بمتخذي الأنداد من دونه وهو عام في التابع في
الاتخاذ والمتبوع فيه . وبين في هاتين الآيتين التفصيل حال التابعين
والمتبوعين في ذلك وأورده بصيغة الماضي تمثيلاً لحال الفريقين في ذلك
اليوم الذي ينكشف فيه الغطاء ويرى الناس فيه العذاب بأعينهم ، ويعرفون

أسبابه من تأثير العقائد الباطلة والأعمال السيئة في أنفسهم ، كأن الأمر قد وقع ، والبلاء قد نزل ، ورأى الرؤساء المضلون الذين اتبعوا أن إغواءهم للناس الذين اتبعوا رأيهم وقلدوهم دينهم قد ضاعف عذابهم ، وحملهم مثل أوزار الذين أضلوهم فوق أوزارهم ، فتبرءوا منهم ، وتنصلوا من ضلالتهم ، (و) قد (رأوا العذاب) فأنى ينفعهم التبرؤ (وتقطعت بهم الأسباب) فلم تبق من صلة بينهم وبين التابعين فيقال إنهم آثروا تبرؤهم الحق على الرياسة والجاه والمنافع التي يستفيدونها الرئيس باستهواء المرعوس وإخضاعه له وحمله على اتباعه في كل ما يذهب إليه . فعلم أن جملة : رأوا العذاب : وما عطف عليها في محل الحال المبينة عدم فائدة التبرؤ لأنه لم يصدر عن إشار الحق على الخلق بل صدر عن نفوس ترتعد من رؤية العذاب الذي أشرفت عليه بما جنت واقتربت ، بعد ما تقطعت الروابط والصلات بينها وبين المتبوعين واصطلمت ، فلا منفعة للمتبرئ تركت فيحمد تركها ، ولا هداية للمتبرأ منه ترجى فيحمد أثرها ،

لولا أن حيل بين المقلدين وهداية القرآن لكان لهم في هذه الآية أشد زلزال لجودهم على أقوال الناس وآرائهم في الدين ، سواء كانوا من الأحياء أم الميتين ، وسواء كان التقليد في العقائد والعبادات ، أم في أحكام الحلال والحرام ، إذ كل هذا مما يؤخذ عن الله ورسوله ليس لأحد فيه رأي ولا قول إلا ما كان من الأحكام متعلقا بالقضاء وما يتنازع فيه الناس فلا ولي الأمر فيه الاجتهاد بشرطه إقامة للعدل وحفظا للمصالح العامة والخاصة . وإنما العلماء نقلة وأدلاء ، لا أنداد بل ولا أنبياء ، فلا عصمة تحوط أحدهم فيعتمد على فهمه ، وقضارى العدالة أن يوثق بنقله ويستعان

بعلمه ، وما تنازعوا فيه يرد الى كتاب الله وسنة رسوله فهناك القول
 الفصل ، والحكم العدل ، والله يحكم لامعقب لحكمه ، ولا مرد لأمره ،
 في مثل هؤلاء المتبوعين والتابعين نزل قوله تعالى في سورة الأعراف
 « كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى اذا داركوا فيها جميعا قالت أخريهم
 أوليهم ربنا هؤلاء أضلونا فآثم عذابا ضعفا من النار . قال لكل ضعف
 ولكن لا تعلمون * » وقالت أوليهم لا أخريهم فما كان لكم علينا من فضل
 فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون * » فكل يؤاخذ بعمله فاذا حمل الأول
 الآخر على رأيه ودعاه الى اتباعه فيه أو في رأي غيره الذي يقلده هو فيه
 فهو من الأئمة المضلين وعليه إثم ومثل إثم من أضلهم من غير أن ينقص
 من إثمهم شيء إذ حرم الله عليهم اتخاذ الأنداد من دون الله فاتخذوهم .
 وأما من ييدي في الدين فهما ، ويقرر بحسب مظهره من الدليل له حكما ،
 يريد أن يفتح للناس أبواب الفقه ، ويسهل لهم طريق العلم ، ثم هو يأمر
 الناس بأن يعرضوا قوله على كتاب الله وسنة رسوله ، وينهاهم أن يأخذوا
 به إلا أن يقتنعوا بدليله ، فهو من أئمة الهدى ، وأعلام التقي ، وليس يضره
 أن يقلد فيه بغير علمه ، ويُجمل ندا لله من بعد موته ، فانه إذا كان مخطئا
 وجاء ذلك المقلد له على غير بصيرة يوم القيامة ينسب ضلاله إليه فانه
 يتبرأ منه بحق ويقول ما أمرتك أن تأخذ بقولي على علته ولا أعرفك ،
 فالذين يتخذون أندادا كلهم يتبرأون يوم القيامة ممن اتخذوهم ولكنهم
 يكونون على قسمين قسم عبدهم الناس كالسيح وبعض الصالحين من هذه
 الأئمة ومن الأمم قبلها أو قلدوهم وأخذوا بأقوالهم في الدين من غير
 دليل شرعي كععض الأئمة المهتدين من غير أن يأمرهم هؤلاء بهادتهم

أو تقليد هم بل مع نهيهم إياهم عن عبادة غير الله تعالى وعن الاعتماد على غير وحيه في الدين - فهذا القسم غير مراد هنا لأن الذين عبدوا أولئك الأختيار أو قلدوهم دينهم لم يتبعوهم في الحقيقة إذ اتباعهم هو اتباع طريقتهم في الدين وما كانوا يشركون بالله أحدا ولا شيئا ولا يقلدون في دينه أحدا وإنما يأخذون دينه عن وحيه فقط. وقسم أضلوا الناس بأحوالهم وأقوالهم فاتبعوهم على غير بصيرة ولا هدى هؤلاء هم الذين يتبرأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضا إذ تنقطع بهم أسباب الأهواء والمنافع الدنيوية التي تربط هنا بعضهم ببعض

قال تعالى (وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كاتبرءوا منا) أي تمنى لو أن لنا رجعة إلى الدنيا لتتبرأ من اتباع هؤلاء المضلين وتتنصل من رياستهم أو لتتبع سبيل الحق ونأخذ بالتوحيد الخالص ونهتدي بكتاب الله وسنة رسوله ثم نعود إلى هنا - الآخرة - فتتبرأ من هؤلاء الضالين كاتبرءوا منا إذ نسعد بعملنا من حيث هم أشقياء بأعمالهم (كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم) أي أن الله تعالى يظهر لهم كيف أن أعمالهم قد كان لها أسوأ الأثر في نفوسهم إذ جعلتها مستندلة مستعبدة لغير الله تعالى فأورثها ذلك من الظلمة والصغار ما كان حسرة وشقاء عليها فالأعمال هي التي كونت هذه الحسرات في النفس ولكن لم يظهر ذلك إلا في الدار الذي تسعد فيها كل نفس بارتقائها وتشقى بأخطائها (وما هم بخارجين من النار) إلى الدنيا فيشفوا غيظهم من رؤسائهم وأندادهم لأن علة دخولهم فيها هي ذواتهم بما طبعها عليه أعمال الشرك وحب الأنداد

والأستاذ الامام يقول المفسرون في مثل هذه الآيات أن

هذا الكلام خاص بالكفار نعم انه خاص بالكفار كما قالوا ولكن من الخطأ أن يفهم من هذا الكلام ما يفصل بين المسلمين والقرآن اذ يصرفون كل وعيد فيه الى المشركين واليهود والنصارى فينصرفون عن الاعتبار المقصود . لهذا ترى المسلمين لا يتعظون بالقرآن ويحسبون ان كلمة « لا إله الا الله » يتحرك بها اللسان من غير قيام بحقوقها كافية للنجاة في الآخرة ، على ان كثير من الكافرين يقولها ومنهم من يهز جسده عند ذكر الله كما يهزه جماهيرهم فهل هذا كل ما أراده الله من إنزال القرآن ، وبعثة محمد عليه الصلاة والسلام ، ؟

ليس هذا الذي يتوهمه الجاهلون من مراد المفسرين فما بين الله تعالى ضروب الشرك وصفات الكافرين وأحوالهم الا عبرة لمن يؤمن بكتابه حتى لا يقع فيما وقعوا فيه فيكون من الهالكين . ولكن رؤساء التقليد حالوا بين المسلمين وبين كتاب ربهم بزعمهم أن المستعدين للاهتداء به قد انقضوا ولا يمكن أن يخلفهم الزمان لما يشترط فيهم من الصفات والنعمت التي لا تيسر لغيرهم كمعرفة كذا وكذا من الفنون الصناعية والإحاطة بخلاف العلماء في الأحكام . والذي يعرفه كل واقف على تاريخ الصدر الأول من المسلمين هو ان أهل القرنين الأول والثاني لم يكونوا يقلدون احداً أي لم يكونوا يأخذون بآراء الناس وأقوال العلماء بل كان العامي منهم على بينة من دينه يعرف من أين جاءت كل مسألة يعمل بها . من مسأله إذ كان علماء الصدر الأول رضي الله تعالى عنهم يلقنون الناس الدين ببيان كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكان الجاهل بالشيء يسأل عن حكم الله فيه فيجاب بأن الله تعالى قال كذا أو جرت سنة

نبيه على كذا فان لم يكن عنده فيه هدي من كتاب أو سنة ذكر ما جرى عليه الصالحون وما يراه أشبه بما جاء في هذا الهدي أو أحال على غيره . ولما تصدى بعض العلماء في القرن الثاني والثالث لاستنباط الاحكام واستخراج الفروع من أصولها - ومنهم الأئمة الأربعة - كانوا يذكرون الحكم بدليله على هذا النمط فهم متفقون مع الصحابة والتابعين (عليهم الرضوان) على أنه لا يجوز لأحد أن يأخذ بقول أحد في الدين ما لم يعرف دليله ويقتنع به . ثم جاء من العلماء المقلدين في القرون الوسطى من جعل قول المفتي للعامي بمنزلة الدليل مع قولهم بأنه لو بلغه الحديث فعمل به كان كذلك أو أولى ثم خلف خاف أعرق في التقليد فتمعوا كل الناس أخذ أي حكم من الكتاب أو السنة وعدوا من يحاول فهمهما والعمل بهما زائفا وهذا غاية الخذلان وعداوة الدين وقد تبهم الناس في ذلك فكانوا لهم أندادا من دون الله وسيئرا بعضهم من بعض كما أخبر الله

قال الاستاذ الامام في الدرس إنه نقل عن الأئمة الأربعة رضي الله عنهم النهي عن الأخذ بقولهم من غير معرفة دليلهم والامر بترك أقوالهم لكتاب أو سنة رسوله اذا ظهر مخالفته لهما أولا حدهما وقد سبق لنا في المنار ايراد كثير من هذه النصوص عنهم معزوة الى كتبها ورواتها ومن ذلك قول الفقيه الحنفي أبي الليث السمرقندي : حدثنا ابراهيم بن يوسف عن أبي حنيفة أنه قال « لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين قلنا » وروي عن عاصم بن يوسف أنه قيل له : إنك تكثر الخلاف لأبي حنيفة : فقال إن أبا حنيفة قد أوتي ما لم نؤت فأدرك فهمه ما لم ندركه ونحن لم نؤت من الفهم الا ما أوتينا ولا يسعنا أن نقفي بقوله ما لم نفهم من أين قال . وروي

عن عصام بن يوسف أنه قال : كنت في مأتم فاجتمع فيه أربعة من أصحاب أبي حنيفة زفر بن الهزيل وأبو يوسف وعافية بن يزيد وآخر فكلهم أجمعوا على أنه « لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين قلناه » . وفي روضة العلماء قيل لأبي حنيفة إذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه قال : اتركوا قولي لقول رسول الله (ص) : فقل إذا كان قول الصحابة يخالفه قال : اتركوا قولي لقول الصحابة : (راجع ص ٥٢٦ و ٥٢٧ من المجلد الرابع) وبعد هذا كله جاء الكرخي بقول أن الأصل قول أصحابهم فإن وافقته نصوص الكتاب والسنة فذاك والاوجب تأويلها وجرى العمل على هذا فهل العامل به مقلد لأبي حنيفة رضي الله عنه أم للكرخي ؟

وروى حافظ المغرب ابن عبد البر عن عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن قال حدثني أبو عبد الله محمد بن أحمد القاضي المالكي حدثنا موسى بن اسحق قال حدثنا ابراهيم بن المنذر قال أخبرنا ابن عيسى قال سمعت مالك بن أنس يقول : إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه : (راجع بقية النصوص عنه في ص ٥٧٢ وما بعدها من المجلد الرابع) ثم حذا المنتسبون إلى هذا الإمام الجليل حذو المنتسبين إلى أبي حنيفة فهل هم على مذهبه وطريقته القويمة ؟

وأما الإمام الشافعي والإمام أحمد فالنصوص عنهما في هذا المعنى أكثر وأتباعهما أكثر عناية بالكتاب والسنة من غيرهم لاسيما الحنابلة وقد أوردنا طائفة من ذلك عن الشافعي وأصحابه في المحاوراة الثانية عشرة بين المصلح والمقلد (تراجع المحاوراة الثانية عشرة في ص ٦٩٢ م ٤) وطائفة أخرى

عن الامام أحمد وأتباعه (تراجع المحاوراة الثالثة عشرة من ص ٨٥٢ م ٤)
والغرض من هذا الاستشهاد على ما قاله الاستاذ الامام من نهي لأئمة
الأربعة عن التقليد

(قال) وهناك قول آخر للمتأخرين مبني على أن الأئمة جاهلة
لا تعرف من الدين شيئاً لا من أصوله ولا من فروعه ولا سبيل الى
تكفير هؤلاء المذعنين للإسلام ولا الى إلزامهم بمعرفة العقائد الدينية من
دلائلها، والأحكام الشرعية بأدلتها وعللها، فلا مندوحة اذن عن القول
بجواز التقليد في الاصول وهي ما يجب اعتقاده في الله وصفاته وفي الرسالة
والرسل وفي الايمان بالغيب ما فصله النص القطعي منه. والتقليد في الفروع
العملية بالأولى. وهذا القول مخالف لإجماع سلف الأئمة وما قاله الا
الذين يحبون إرضاء الناس باقرارهم على ما هم عليه من الجهل، وإهمال
ما وهبهم الله من العقل، لينطبق عليهم قوله تعالى « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً
من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها وآذان
لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم اضل أولئك هم الغافلون » والمراد أن قلوبهم
أي عقولهم لا تفقه الدلائل على الحق وأعينهم لا تنظر الآيات نظراً استدلالاً،
وأسماعهم لا تفهم النصوص فهم تدبر واعتبار فتحركهم للعمل بها

والقول الوسط بين القولين هو أنه يجب النظر في إثبات العقائد
بقدر الامكان ولا يشترط فيه تأليف الأدلة على قوانين المنطق ولا التزام
طريق المتكلمين في بناء الدليل على فرض انتفاء المطلوب ولا إيراد الشكوك
والأجوبة عنها بل أفضل الطرق وأمثلها طريق القرآن الحكيم في عرض
الكائنات على الانظار وتبنيها الى وجه الدلالة فيها على وحدانية مبدعها

وقدرته وحكمته . وهذا هو حكم الله الصريح في المسألة فإنه أمر بالعلم
« فاعلم أنه لا إله إلا الله » وقال « وان الخزن لا يغني من الحق شيئا » وطالب
بالبرهان وجعله آية الصدق « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين »
وجعل سبيله الذي أمر باتباعه ونهى عن سواه لدعوة الى الدين على بصيرة
« قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » - وان هذا
صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » وأما
فرض الأمة جاهلة والتسليم لها بذلك اكتفاء باسم الاسلام . وما يقلد به
الجاهلون أمثالهم من الأحكام ، فهو من القول على الله بغير علم وقد قرنه
تعالى مع الشرك في التحريم بقوله « قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها
وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا
وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون »

وأما الأحكام ، ومسائل الحلال والحرام ، فمنها ما لا يسمع أحداً التقليد
فيه وهي ما علم من الدين بالضرورة كوجوب الصلاة والزكاة والصيام
والحج وما أجمع عليه من كيفياتها وفروضها فان أدلتها متواترة وتلقينها مع
ماورد فيها من الآيات والهدى النبوي يجعل المسلم على بصيرة فيها وفقه يبعث
على العمل ولا أسهل منه . ومنها فروع دقيقة مستنبطة من أحاديث غير
متواترة لم يطلع عليها جميع المسلمين وقد مضت سنة السلف الصالح في مثلها
بأن من بلغه حديث منها بطريق يعتد به ثبوته عمل به ولم يوجبوا على
أحد ولو منقطعا لتحصيل العلم أن يبحث عن جميع ما روي من هذه الأحاد
ويعمل بها ، كيف والصحابة عليهم الرضوان لم يكتبوا الحديث ولم يتصدوا
لجمعه وتلقينه للناس بل منهم من نهى عنه ومن حدث فانما كان يقول

ما يعلم بالمناسبة مع المخاطبين . فمثل هذه الفروع يعذر العامي بجهلها بالأولى
ويجب عليه التحري في قبول ما يبلغه منها فلا يقبل رواية كل أحد ولا يسلم
بكل ما في الكتب لكثرة الموضوعات والضعاف فيها . ولا مشقة ولا
حرج على المسلمين في التزام هذه الطريقة الا اذا كانوا يريدون ترك
دينهم بالمرّة اكتفاء ببعض العادات والاعمال التي لا يكاد يسهل عليهم فيها تمييز
السنة من البدعة تقليدا لا بأهم ومعاشرهم

فثنين مما شرحناه أن لا عذر لأحد في التقليد المحض وأن حكم
الآية يستغرق جميع المقلدين فهم اتخذوا مقلديهم أندادا وسيتبرأ التابع
من المتبوع اذ يرون العذاب ، وتقطع بهم الأسباب .

ومن مباحث اللفظ في الآيتين أن التشبيه في قوله تعالى « كذلك
يريه الله أعمالهم » هو تشبيه حالة بحالة ذكرت في الكلام السابق أي
كذلك النحو الذي ذكر من إراءتهم العذاب سيريه الله أعمالهم حسرات
عليهم . والذين تنظعوا في اعرابها من المفسرين صرفتهم قواعد النحو عن
ملاحظة الاسلوب العربي في مثل هذا على ان له نظائر في كلام العامة في
كل زمان هي مما بقي لهم من الاساليب العربية الفصيحة لم تفسدها العجمة
إذ لا تنافها أذواق الأعجمين .

ومنها قوله تعالى « وتقطعت بهم الأسباب » قال الأستاذ الامام
جاءت فيه الباء لمعنى خاص لا يظهر فيما ذكرناه هنا من معانيها وانما يفهمه
العربي من الاسلوب فانك اذا قلت هنا كما قال الجلال تقطعت عنهم
الأسباب لا ترى في نفسك الأثر الذي تراه عند تلاوة العبارة الأولى
التي تمثل لك التابعين والمتبوعين كعقد انقطع بانقطاع سلكه فذهبت كل

حبة في ناحية . أقول وتوضيحه أن هؤلاء المقلدين قد كانوا مرتبطين في الدنيا ومتصلاً ببعضهم ببعض بأواع من المنافع والمصالح يستمدّها كل من التابع والمتبوع من الآخر فشبهت هذه المنافع التي حملت الرؤساء على قود المرءوسين والتابعين على تقليد المتبوعين بالأسباب وهي في أصل اللغة الحبال كأنه يقول ان كل واحد منهم كان مربوطاً مع الآخر بحبال كثيرة فلم يشعروا الا وقد تقطعت هذه الحبال كلها فأصبح كل واحد منبوذاً في ناحية لا يصله بالآخر شيء ، وعلى هذا تكون الباء متعلقة بمحذوف حال من الفاعل . قال الأستاذ الامام ومن هذه الاساليب الخاصة قوله تعالى « وكفى بالله شهيدا » و« سبحانه الله » فإذا فسرت ذلك بالتحليل والارجاع الى القواعد العامة فقلت في الأول كفى الله شهيدا أو كفت شهادته وفي الثاني تسبيحا لله : لم يكن له تأثير الاول وموقعه من النفس . ومثل هذه الاساليب الخاصة توجد في كل لغة

باب السؤال والفتوى

فتعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة . اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرهز الى اسمه بالحروف ان شاء ، ولنا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورماداً متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن ينفي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان عندنا سبب صحيح لا غفاله

الاسئلة الباريسية

ارسل الينا الكتب الآتي من باريس صديقنا احمد بك زكي الكاتب الثاني لأمراء مجلس النظار بمصر فأثبته برمته ليطالع القراء على ما يدل عليه من عناية علماء الفرنج بالمباحث الاسلامية الاساسية وأهمها مسألة الاجتهاد والتقليد التي قلما يخلو جزء من المنار من الخوض فيها ، وتوبها بفضل صديقنا الذي يصرف إجازته في أوربا مشغولاً

مباحثة العلماء ومناقشة الفضلاء من حيث يشتغل أكثر المصريين هناك بالاهو واللعب والانغماس في الملاذ ، وهذا نص الكتاب :

باريس في ٨ يوليو سنة ١٩٠٤

سيدي الاستاذ الفاضل

أحمد اليك الله الذي وفقك لخدمة دينه الكريم ، ورفع مناره بمنارك القويم ، وبعد فقد اجتمعت مع كثير من أفاضل المتشرعين وتباحثنا في التواميس الالهية والوضعية ، واطهار مزاي كل منهما في الهيئة الاجتماعية ، وانساق الحديث الى ذكر الاجتهاد وإقفال بابه في الشرع الاسلامي . فأجبت القوم بما في محفوطي وما كان عالقا بذاكرتي على قدر الامكان ثم وعدتهم بتفصيل أوسع وبيان أوفى . ولما كنتم وقفتم أنفسكم على أمثال هذه المباحث السامية حيث راجيا من بحر معارفكم أن تكتبوا خلاصة في مناركم لزاهر على الاسئلة الآتي بيمانها . وأرجو ان لا تحيلوني على ماسبق لكم كتابته في هذا الموضوع في الأعداد القديمة والسنوات الماضية فانما غرضي هو خلاصة وجيزة جامعة لا ترجمها لأوثاك الافاضل ليعرفوا أن في السويداء رجلا وأن الشرق لا يزال عامراً بأرباب العقول الكبار . وهذه خلاصة المسائل

(١) ماهو مدلول الاجتهاد بالتفصيل والتوسع المناسب للمقام

(٢) مامعنى قولهم : أقفل باب الاجتهاد :

(٣) مامعنى هذه العبارة عند العامة وعند أهل التحقيق

(٤) متى أقفل باب الاجتهاد وماذا ترتب على هذا الاقفال من المنافع والمضار

(٥ و٦) ماهو القانون بوجه التدقيق ومن الوجهة العلمية - ونعني بالقانون ذلك النظام

الذي يضعه الحاكم في مقابلة الشرع - وما هي خواصه ومميزاته

(٧) ماهو الفرق بين الشرع والقانون

(٨) الى أي حد تمتد سلطة الحاكم في وضع القوانين

(٩) ماهي الكتب والمباحث (لعله اراد الرسائل فسبق القلم) التي خاض أصحابها في

غمار هذا الموضوع (أي الاسئلة الثمانية المتقدمة)

(١٠) ماهي المدارس الاسلامية التي يجوز مقارنتها بالأزهر ونعني بها تلك التي في غير ارض مصر (وذكر اشهر البلاد والاقطار)

هذه هي خلاصة الاسئلة التي أرجو المبادرة الى الاجابة عنها مع التحقيق المعهود من علمكم الواسع والاشارة الى ماخذ الاجوبة . وغاية الأمل الاهتمام بها والاسراع في كتابة الرد وما ذلك على فضلكم بعزير ، والله يحفظكم لخدمة ملته ودينه والسلام من الخاص (أحمد زكي)

نشكر لصديقنا حسن ظنه بنا ونذكر أسئلته ونحيب عنها واحداً بعد واحد على النسق المتبع عندنا في العدد المساسل من أول سنتنا هذه فنقول وبالله بالتوفيق

(س ٤١) ماهو مدلول الاجتهاد الخ

(ج) قال في كشف اصطلاحات الفنون : « الاجتهاد في اللغة استفراغ الوسع في تحصيل امر من الامور مستلزم لا كلفة والمشقة . . . وفي اصطلاح الاصوليين استفراغ الفقيه الوسع في تحصيل ظن بحكم شرعي . والمستفراغ وسعه في ذلك انه تحصيل يسمى مجتهداً بكسر الهاء : ثم ذكر بعد بحث في التعريف والقول بتجزي الاجتهاد - أي جواز كونه في بعض الاحكام دون بعض - شرط المجتهد فقال : « للمجتهد شرطان (الأول) معرفة الباري تعالى وصفاته وتصديق النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمعجزاته وسائر ما يتوقف عليه علم الايمان كل ذلك بأدلة إحصائية وان لم يقدر على التحقيق والتحصيل على ماهو دأب المتبحرين في علم الكلام . (والثاني) أن يكون عالماً بمدرالك الاحكام وأقسامها وطرق إثباتها ووجوه دلالتها وتفاصيل شرائطها ومراتبها وجهات ترجيحها عند تعارضها والتفصي عن الاعتراضات الواردة عليها فيحتاج الى معرفة حال الرواة وطرق الجرح والتعديل وأقسام النصوص المتعلقة بالاحكام وأنواع العلوم الادبية من اللغة والصرف والنحو وغير ذلك - هذا في حق المجتهد المطلق الذي يجتهد في الشرع : اهـ

وتجد مثل هذا التعريف في عامة كتب الاصول وقد توسع بعضهم في شروط المجتهد وأكثر منها والبعض بالبعض اكتفى حتى جعل الشاطبي في الموافقات العمدة فيها فهم العربية متناً وأسلوباً ومعرفة مقاصد الشريعة وأجاز تقليد المجتهد لغيره في الفنون التي هي مبدأ الاجتهاد كأن يقلد المحدثين في كون هذا الحديث صحيحاً وهذا ضعيفاً

من غير ان يعرف هو حال الرواة وطرق الجرح والتعديل . ومقاله الشاطبي أقرب الى الصواب فان بعض ما شرطوه في المجتهد لا ينطبق على بعض المتفق على إمامتهم فقد اشترط بعضهم أن يعرف المجتهد كذا ألفاً من الاحاديث ولم يعرف عن أبي حنيفة حفظ ذلك القدر ولا ما يقاربه اذ لم تكن الرواية قد كثرت في عهده لاسيما في العراق وهو لم يسافر لاجلها .

وقال صاحب الهداية في فقه الحنفية : « وفي حديث الاجتهاد كلام عرف في أصول الفقه وحاصله ان يكون (المجتهد) صاحب حديث له معرفة بالفقه يعرف معاني الآثار او صاحب فقه له معرفة بالحديث اثلاً يشتغل بالقياس في المنصوص عليه . وقيل ان يكون مع ذلك صاحب قريحة يعرف بها عادات الناس لان من الاحكام ما يبنى عليها اهـ وقال صاحب نتيج القدير في القيد الاخير « فهذا القيل لا بد منه في المجتهد فمن اتقن معنى هذه الجملة فهو أهل للاجتهاد فيجب عليه ان يعمل باجتهاده وهو ان يبذل جهده في طلب الظن بحكم شرعي عن هذه الادلة ولا يقلد أحداً اهـ واعتماده معرفة أحوال الناس وعاداتهم لا مندوحة عنه وانت تعلم أن المجتهدين الاولين لم يكن عندهم علم يسمى الفقه ينظرون فيه قبل الاجتهاد لتحقيق الشرط . على أن النظر في الفقه بعد تدوينه يعين على الاجتهاد بلا شك ، وانما قالوا الظن بالحكم لان الاحكام القطعية المعلومة من الدين بالضرورة للاجتهاد فيها لان طلب معرفتها تحصيل حاصل كتحرير الظلم والحرر وفرضية الصلاة والعمل . وجملة القول ان الاجتهاد عندهم هو النظر في الأدلة الشرعية التي هي الكتاب والسنة والاجماع والقياس لمعرفة أحكام الفروع التي لم تثبت بالأدلة القطعية المتواترة . والعمدة في شروطه فهم الكتاب والسنة ومعرفة مقاصد الشرع والوقوف على أحوال الناس وعاداتهم لان أحكام الشريعة لاسيما المعاملات منها دائرة على مصالح الناس في معاشهم ومعادهم أي على قاعدة درء المفاسد وجلب المنافع (س ٤٢) مامعنى قولهم : أقول باب الاجتهاد :

(ج) معناه أنه لم يبق في الناس من تتوفر فيه شروط المجتهد ولا يرجح أن يكون ذلك في المستقبل . وانما قال هذا القول بعض المقلدين لضعف ثقتهم بأنفسهم وسوء ظنهم بالناس وزعمهم أن المقول دائماً في تدل وانحطاط وغلوهم في تعظيم السابقين ،

وقد رأيت أن تلك الشروط ليست بالامر الذي يبرر مثاله ، وتعلم أن سنة الله تعالى في الخلق الترقى الا ان يعرض ما منع كما يعرض لنمو الطفل مرض يوقفه أو يرجعه القهقري ، ولذلك كان آخر الاديان اكملها ،

(س ٤٣) ما معنى هذه العبارة عند العامة وعند أهل التحقيق

(ج) العامة يقلدون آباءهم ورؤساءهم في قولهم ان أهل السنة ينتمون الى أربعة مذاهب من شذ عنها فقد شذ عن الاسلام ولا يفهمون أكثر من هذا. وأما المشتغلون بالعلم أو السياسة فالضعفاء المقلدون منهم يفهمون من الكلمة مافسرها بها في جواب السؤال السابق ويحتجون على ذلك بأن الناس قد اجتمعت كلمتهم على هذه المذاهب فلو أجاز للعلماء الاجتهاد لجاءونا بمذاهب كثيرة تزيد الامة تفريقا وتذهب بها في طرق الفوضى . والمحققون يعلمون أن منشأ هذا الحجر هو السياسة فالسلطين والامراء المستبدون لا يخافون الامن العلم ولا علم الا بالاجتهاد فقد نقل الحافظ ابن عبد البر وغيره الاجماع على أن التقليد ليس بعالم ونقله عنه ابن القيم في (أعلام الموقعين) وهو ظاهر اذ العالم بالشيء هو من يعرفه بدليله وانما يعرف المقلد أن فلانا قال كذا فهو ناقل لاعلم وربما كانت آلة الفونوغراف خيرا منه

(س ٤٤) متى أقفل باب الاجتهاد وماذا ترتب على هذا الاقفال من المنافع والمضار

(ج) زعموا أنه أقفل بعد القرن الخامس ولكن كثيرا من العلماء اجتهدوا بعد ذلك فلم يكونوا يعملون الا بما يقوم عندهم من الادلة ولا يخلو زمن من هؤلاء كما صرح بذلك علماء الشافعية (انظر الخطيب وغيره) ولولا خوفهم من حكومات الجهل لينوا للناس مفاسد التقليد الذي حرمه الله ، ودعوهم الى العمل بالدلائل كما أمر الله ، وقد علمت الحكومة العثمانية منذ عهد قريب بأن بعض علماء الشام يحملون تلامذتهم على ترك التقليد والعمل بالدلائل فشددت عليهم التذكير حتى سكتوا عن الجهر بذلك . ولا نعرف في ترك الاجتهاد منفعة ما . واما مضاره فكثيرة وكلها ترجع الى اهمال العقل ، وقطع طريق العلم ، والحرمان من استقلال الفكر ، وقد أهمل المسلمون كل علم بترك الاجتهاد فصاروا الى ما زرى

(س ٤٥ و ٤٦) ماهو القانون بوجه التدقيق ومن الوجهة العالمية الخ

قد فسر السائل الفاضل القانون وليس في كتب أصول الدين ولا فروعه شيء سمي بالقانون ولكن الأحكام القضائية والسياسية منها ما تناوله علم الفقه ومنها ما فوض النظر فيه إلى القضاة والأئمة (الأمراء) كالمقوبات التي وراء الحدود التي يطلقون عليها لفظ التعزير وكطرق النظام للعمال والحكام وقواد الحروب . ولأولي الأمر أن يضمنوا لأمثال هذه الأشياء قوانين موافقة لمصالح الأمة وتعلم بميزات القانون من بيان الفرق بينه وبين الشرع في جواب السؤال الآتي

(س ٤٧) ماهو الفرق بين الشرع والقانون

(ج) الشرع والشرعية في اللغة مورد الشارحة وفي اصطلاح الفقهاء ما شرع الله تعالى لعباده من الأحكام الاعتقادية والعملية على يد نبي من الأنبياء عليهم السلام . ويعرف أيضا بما عرف به الدين وهو قولهم : وضع الهي يسوق ذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات وهو ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم . وقد يخص الشرع بالأحكام العملية الفرعية . وقد يطلق على القضاء أي حكم القاضي . ذكر ذلك كله في كشاف اصطلاحات الفنون وغيره . فالقانون يختص عندهم بما وراء ذلك فهو يتناول جميع ما يضعه أولو الأمر من الأحكام النظامية والسياسية وتحديد العقوبات التعزير وغير ذلك مما يحتاج إليه بشرط أن لا يخالف ما ورد في الشرع . والفرق بينه وبين الشرع أن أحكام الشرع لا بد أن تستند إلى أحد الأدلة الأربعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس . وأحكام القانون تكون بمحض الرأي ، وأن أحكام الشرع يجب العمل بها دائما ما لم يعرض مانع يلجئ إلى ارتكاب أخف الضررين وأحكام القانون يجوز تركها واستبدال غيرها بها لمجرد الاستحسان . مثال ذلك أنه لا يجوز للحكومة أن تزيد في نصيب أحد الوارثين لمصلحة من المصالح أو سبب من الأسباب ولكن يجوز أن تزيد في راتب العامل إذا ظهر لها مصلحة في ذلك لأن الأول حكم الهي لا يتغير والثاني حكم قانوني مفوض لأولي الأمر .

(س ٤٨) إلى أي حد تمتد سلطة الحاكم في وضع القوانين

(ج) أن حدود هذه السلطة منها سلبية وهي عدم تعدي حدود الله تعالى فليس للحاكم أن يحل حراما أو يحرم حلالا أو يزيد في الدين عبادة أو ينقص منه عبادة

أو يظلم شخصاً أو قوماً أو يميز نفسه أو أسرته أو قومه على سائر الرعية لذاتهم فضلاً عن تمييز غيرهم . ومنها إيجابية كالتزام العدل والمساواة في الحقوق ومشاورة أهل الرأي من الأمة ومراعاة قاعدة وجوب درء المفاسد وجلب المصالح

(س ٤٩) ماهي الكتب التي خاض أصحابها في غمار هذا الموضوع الخ
(ج) أما مباحث الاجتهاد والتقليد فانك تجدوها في جميع كتب أصول الفقه وتجد شيئاً منها في كتب الفروع عند الكلام في المفتي والقاضي وشروطهما وفي كتب الكلام في مبحث الإمامة وأبسط كتاب في ذلك (أعلام الموقعين عن رب العالمين) لابن القيم رحمه الله تعالى فهو كتاب لا نظير له في بابيه وقد طبع في الهند وصفحات جزئية تزيد على ٦٠٠ من انقطع الكامل وكتاب إيقاظ همم أولي الأبصار . وهناك رسائل نفيسة لابن تيمية والسيوطي ولولي الله الدهلوي وغيرهما . وأما الكلام في القوانين فقد تقدم أن علماءنا لم يخوضوا فيه ويمكن أخذ ما ذكرناه في ذلك من مباحثهم في حقوق الإمام وأحكام القضاء وذلك متفرق في كتب الفقه كلها وفيه كتاب الأحكام السلطانية للماوردي صاحب كتاب أدب الدنيا والدين . وإذا شاء السائل زيادة الايضاح ببيان أسماء طائفة من الكتب في ذلك فليراجعنا في ذلك

(س ٥٠) ماهي المدارس الإسلامية التي تجوز مقارنتها بالازهر الخ
(ج) ان هذه المدارس لا حد لها ولا يمكن عدها اذا أريد بمقارنتها بالازهر كونها تعنى بالعلوم الشرعية التي يعنى الازهريون بها وبمبادئها من فنون اللغة العربية فان في أكثر الامصار الإسلامية مدارس تعلم هذه العلوم وأشبهها بالازهر مدرسة جامع الزيتونة في تونس ومدرسة جامع القرويين في فاس ولكن الازهر يفضل هذين الجامعين بوفود الطلاب اليه من جميع الاقطار التي يقيم فيها المسلمون . ويشبه هذه المدارس الثلاث مدرسة التجف في العراق لطائفة الشيعة وهناك يخرج مجتهدوهم بل هذه أشبه بالازهر من مدرستي تونس وفاس اذ يقصدها الشيعة من ايران والهند وسائر البلاد التي تتبوا هذه الطائفة . وعلماء الاسلام في سائر البلاد يقرأون العلوم الدينية ووسائلها في المساجد الجوامع وغير الجوامع ويقصدهم المساجد في المدن الكبيرة بعض أهل القرى القريبة منها . والقسطنطينية مقصد لجميع البلاد التركية - هذا مجمل علمنا في ذلك

هذا وإنا قد أجبتنا عن مسائل الاجتهاد والشرع والقانون بما في الكتب المصنفة أو ما تشهد له تلك الكتب لأن الأسئلة تشعر بأن هذا هو الذي يريده السائل وفي المقام كلام آخر شرحه المنار مرات كثيرة مع أدلته وحججه من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح وخلاصته أن ما جاء به الاسلام ينقسم الى أقسام (أحدها) - العقائد وأصول الايمان وهي على قسمين قسم يطالب القرآن بالبراهين العقلية عليه ويشترط فيه العلم اليقين وهو الايمان بوحداية الله تعالى وعلمه وقدرته ومشيئته وحكمته في نظام الخلق وتديره وبيئته الرسل ، وقسم يأمر فيه بالتسليم بشرط أن لا يكون محالا في نظر العقل كالإيمان بهالم الغيب من الملائكة والبعث والدار الآخرة (ثانيها) - عبادة الله تعالى بالذكر والفكر والاعمال التي تربي الروح والارادة كالصلاة التي تذكر الانسان بمراقبة الله تعالى وترفع همته بمناجاة والاعتماد عليه حتى يكون شجاعا كريما وكانز كاة التي تعطفه على أبناء جنسه وتعلمه الحياة الاشتراكية المعتدلة الاختيارية ، وكالصيام الذي يربي إرادته ويعوده على امتلاك نفسه بالتمرن على ترك مادة الحياة باختياره زمناً معيناً مع الحاجة إليها وتيسر تناولها بدون أن يلحقه لوم أو أذى ويشعر الغني بالمساواة بينه وبين الفقراء ، وكالحج الذي يبعث في نفوس الأمة حب التعارف والتآلف بين الشعوب المختلفة ويقوي فيها رابطة الاجتماع ويحيي في أرواح الشعوب الشعور بنشأة الدين الأولى بقصد مشاهدتها ، والطواف في معاهدها ، وإتباعها في مواقفها ، ويعلمهم المساواة بين الناس بتلك الاعمال المشتركة كالاحرام وغيره (ثالثها) - الآداب ومكارم الاخلاق وتزكية النفس بترك المحرمات وهي الشرور الضارة وتحري عمل الخير بقدر الطاقة

(رابعها) - المعاملات الدنيوية بين أفراد الامة أو بين الامة وغيرها من الأمم ويدخل فيها الأمور السياسية والمدنية والقضائية والادارية بأنواعها فأما القسم الاول فقد علمنا أن منه ما يؤخذ بالبرهان ومنه ما يؤخذ بالتسليم لما ورد في كتاب الله تعالى والسنة المتواترة القطعية وهو برهانه ولا يؤخذ فيه بأحاديث الآحاد وان كانت صحيحة السند لأنها لا تنفذ الا الظن والاعتقاد يطلب فيه اليقين بلا خلاف فهذا القسم لا اجتهاد فيه بالمعنى الذي فسروا به الاجتهاد ولا تقليد

وأما القسم "ثاني" فالواجب فيه على كل مسلم أن يأخذ ماورد في الكتاب العزيز وماجرت به السنة في بيانه على طريقة القرآن من قرن كل عبادة ببيان فائدتها . وهذا القسم ليس للمجاهدين أن يزيدوا فيه ولا أن ينقصوا منه لان الله تعالى قد آتاه وأكمله وهو لا يختلف باختلاف الزمان والعرف فيفوض اليهم التصرف فيه . ولا يسع أحد التقليد فيه أي الاخذ بأراء الناس بل يجب على العلماء أن يبلغوه للمتعلمين تبليغاً .

وأما القسم الثالث فماورد فيه من نص على حلال أو حرام فليس للمجاهد أن يغيره . وقد أطاق القرآن الامر بعمل الخير والمعروف والنهي عن الشر والمنكر وترك فهم ذلك لفطرة الناس فيجب أن يلتزم كل مسلم قوله تعالى « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » وأن يترك الى اجتهاده تحديد الخير والشر مع بيان ما جاء فيه من التفصيل في الدين وهو قيمان - معلوم من الدين بالضرورة كخيرية الصدق والعفة والامانة وشرية الزنا والسكر والقمار ، وغير معلوم الا للمشتغلين بالعالم كوجوب مساواة المرأة للرجل والكافر للمسلم والعبد للحري في الحقوق أمام العدل وكن تحريم عضل الولي - وان كان والدا - موليته أي امتناعه عن تزويجها ممن يخطبها بغير عذر . فالاول لا اجتهاد فيه ولا تقليد ، والثاني يجب أن يعرف تحريمه بدليله العام ككون كل نافع خيراً وكل إيذاء شراً وحراماً وبدليله الخاص إن وجد ، وليس لاحد أن يقول في الاسلام هذا حلال وهذا حرام فيقلد ويؤخذ بقوله بدون دليل . وهذه الأمور كلها دينية محضة يتقرب بها الى الله تعالى من حيث هي نافعة ومربية للناس فيجب أن يكون الناس فيها على بصيرة ،

بقي القسم الرابع - وهو الذي لا يمكن أن تحدد جزئياته شريعة عامة دائمة لكثرتها واختلافها باختلاف الزمان والمكان والعرف والاحوال من القوة والضعف وغيرها ، ولا يمكن لكل أحد من المكلفين أن يعرف هذه الاحكام كما أنه لا يحتاج اليها كل واحد . فهي التي يجب فيها الاجتهاد والاستنباط من أولي الامر ويجب فيها تقليدهم واتباعهم على سائر الناس ، ولذلك لم يحدد الدين الاسلامي كيفية الحكومة الاسلامية ولم يبين للناس جزئيات أحكامها وإنما وضع الأسس التي تبنى عليها من وجوب الشورى وحجية الاجماع الذي هو بمعنى مجلس النواب عند الاوربيين وتحري العدل والمساواة

ومنع الضرر والضرار ، وقد حدثت أقضية للناس في زمن التنزيل منها ما نزل فيه قرآن ومنها ما حكم فيها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بما أراه الله تعالى فكانت تلك القواعد العامة وهذه الأحكام نبراساً لاولي الامر الذين فوض الشارع اليهم وضع الأحكام باجتهدهم فهم في ضوءها يسرون فلك أن تسمي كل ما يضعونه شرعاً اذا وافق ذلك لانهم مأذونون به من الشارع وقد بنو على القواعد التي وضعها ولك أن تسميه قانوناً لانه قواعد كلية وأحكام وضعية يمكن الرجوع عنها اذا اقتضت المصلحة ذلك فقد غير بعض الخلفاء الراشدين ما وضعه البعض بل أمر عمر رضي الله تعالى عنه في عام الرمادة أن لا يحد سارق لاضطرار الناس بسبب المجاعة وكانوا لا يقيمون الحدود على المحاربين في زمن الحرب ومنه ترك سعد إقامة حد السكر على أبي محجن عندما بلى في الفرس وأتخذ المسلمون بعد ما كادوا يغلبون كل ذلك لاجل المصلحة وان استزدت من الدلائل زدناك

الطلاق - اشتراط القصد فيه ديانة

(س ٥١) عبد القادر بك الغرياني في (الاسكندرية): ذكرتم في باب الفتوى من الجزء الثامن أن الطلاق لا يقع بمجرد اللفظ بل يشترط فيه نية والقصد فهل اشتراط النية معتبر ديانة فقط أو ديانة وقضاء ومن اشترط النية من الائمة

(ج) ذكرنا هناك أن الامامين الجليلين مالكا وأحمد اشترطوا النية في لفظ الطلاق الصريح وقلنا ان اشتراطه في الكسبية أولى لانه اذا اشترطت النية في وقوع الطلاق بقوله : أنت طالق : فاشترطها في نحو قوله : اذهب الى بيت أهلك : أولى لان اللفظ الاول متبادر في حل عقدة لزواج والثاني متبادر في معنى الزيارة أو الهجران قيل بغضب وعلى القاضي أن يعتمد بخباره عن نيته في الثاني دون الاول عملاً بالظاهر في الصيغتين كما هو شأن القاضي واذا لم يرفع الامر الى القاضي فيجب العمل بالحقيقة وهي أنه لا يقع طلاق الا بلفظ يقصد به حل عقدة الزوجية والله أعلم

(س ٥٢) ز . ف . بمصر : هل تطلق زوجة من يسب الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما

(ج) سب الشيخين عليهما الرضوان معصية والمعاصي لا تحل عقد الزوجية والا لما صح لفاسق زوجية ولا نسب وقد علم من جواب السؤال الماضي ما يقع به الطلاق وليس وزاء ذلك الا الردة والعياذ بالله تعالى

﴿ باب الفقه في أحكام الدين ﴾

(الأولياء والكفاءة في الأزواج)

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال جاءت فتاة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت : إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خيسته : قال فجمّل الامر اليها فقالت قد أجزت ما صنع أبي ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الامر شيء : رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وسنده صحيح وهو يدل على اعتبار الكفاءة في صفات الرجل مع الاتفاق في النسب ويدل على أن المرأة تزوج برضاها وفي هذا أحاديث كثيرة كما أن هناك أحاديث في اشتراط الولي وكونه هو الذي يزوج بإذنها

عن أبي حاتم المزني قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » قالوا يا رسول الله وإن كان فيه قال : « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه » ثلاث مرات . رواه الترمذي وقال حسن غريب ولم يرو أبو حاتم غيره وأرسل الحديث أبو داود وأعله ابن القطان بالارسال وضعف راويه ، وقد أخرجه الترمذي أيضاً من حديث أبي هريرة بلفظ « إذا خطب اليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض » ورواه الليث ابن سعد عن أبي عجلان مرفوعاً وقد خولف عبد الحميد بن سليمان في رواية الترمذي وقال البخاري حديث الليث أشبه ولم يمد حديث عبد الحميد محفوظاً . ومعنى الحديث أنه يجب تزويج البنت إذا جاءها الخاطب الذي يرجى أن يحسن عيشها معه لأن دينه وخلقه مرضي لا يشكى منه ، واستدلوا به على اعتبار الكفاءة في الدين والخلق وخصها بذلك بعض الصحابة والتابعين وبه قال مالك ولم يعتبر هؤلاء الكفاءة في النسب بل قالوا المسلمون بعضهم لبعض أ كفاء

عن علي كرم الله وجهه أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال له : « ثلاث لا تؤخر الصلاة إذا أتت والجنائز إذا حضرت والأيام إذا وجدت لها كفوا » : رواه الترمذي وهو حجة على تحريم عضل الايامي - غير المتزوجات - بلا عذر
عن ابن عمر أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : « العرب أ كفاء بعضهم

لبعض قبيلة لقييلة وحي لحي ورجل لرجل الا حائك أو حجام ، رواه الحاكم ولة
الفاظ أخرى لا يصح منها شيء وان قال بعضهم إن الحاكم صححه وماذا عسى يعني تصحيح
الحاكم وقد سأل ابن أبي حاتم أباه عنه فقال هذا كذب لا أصل له وقال في موضع
آخر باطل . وقال ابن عبد البر هذا منكر موضوع . قال الحافظ بن حجر في فتح
الباري : ولم يثبت في اعتبار الكفاءة في النسب حديث وأما ما أخرجه البزار من
حديث معاذ رفعه « العرب بعضهم أكفاء بعض والموالي بعضهم أكفاء بعض »
فأسناده ضعيف : نعم وورد في الصحيح ما يدل على فضل العرب وفضل قريش على
العرب وفضل بني هاشم على قريش ولكن لم يرد ذلك في أمر الكفاءة .

عن عائشة وعمر : « لا تمنعن ذوات الاحساب الا من الاكفاء » رواه الدارقطني .
والحسب المال ولذلك اعتبر بعض العلماء الكفاءة باليسار والغنى واستدلوا عليه
بما رواه أحمد والنسائي وصححه وابن حبان والحاكم من حديث بريرة عن النبي
(ص) أنه قال « ان أحساب أهل الدنيا الذي يذهبون اليه المال ، وما رواه أحمد
والترمذي والحاكم وصححاه من حديث سمرة عن النبي (ص) : أنه قال : « الحسب
المال والكرم التقوى » والفقهاء يفسرون الحسب بالمجد الموروث

عن عروة عن عائشة أن بريرة أعتقت وكان زوجها عبداً فخبرها رسول الله
(ص) ولو كان حراً لم يخبرها رواه مسلم وأبو داود والترمذي . وهناك روايات
أخرى وفيها أنها اختارت الفسخ وهو حجة على اعتبار الكفاءة بالحرية بل قال الشافعي
أصل الكفاءة في التكاح حديث بريرة .

فلم مما تقدم أن السنة مضت باعتبار الكفاءة بالدين والحرية والاخلاق واليسار وبهذا
أخذ الكثير من العلماء في صدر الاسلام وزاد أكثر العلماء النسب والصناعة واستدلوا
عليهما بما لا يصح من الاحاديث وبما يصح من القياس فانهم قالوا إن العلة في اعتبار
الكفاءة رفع الضرر والعار وقد كانوا يفاخرون بالانساب ويرون من العار أن تزوج
القرشية بأعليا ، ولا يزالون يسميرون بدناة الحرفة والصناعة ، والعمدة في ذلك العرف
ونذكر على هذا شهادا من كتب الحنفية اذ القضاء على مذهبه في هذا البلاد

جاء في الهداية أن الكفاءة تعتبر بالصنائع وعزى ذلك الى الصاحبين ثم قال مانصه :

« وعن أبي حنيفة في ذلك روايتان وعن أبي يوسف أنه لا تعتبر إلا أن تفحش كالحجام والحائك والدباغ . ووجه الاعتبار أن الناس يتفاخرون بشرف الحرف ويتعرون بدناءتها . ووجه القول الآخر أن الحرفة ليست بلازمة ويمكن التحول عن الحفيسة الى انفيسة منها : اه وقال الكمان في الفتح : » (قوله وعن أبي حنيفة في ذلك روايتان) أظهرها لا تعتبر في الصنائع حتى يكون البيطار كفوًا للعطار وهو رواية عن محمد . وعنه في أخرى الموالي بعضهم أكفاء لبعض الا الحائك والحجام وكذا الدباغ وهو الرواية التي ذكرها في الكتاب عن أبي يوسف . وأظهر الروايتين عن محمد فصار عن كل واحد منهما روايتان - الظاهر عن أبي حنيفة عدم الاعتبار ، والظاهر عن محمد كذلك إلا أن تفحش وهو الرواية عن أبي يوسف وفيها قدمناه من حديث بقية حيث قال فيه الاحائك أو حجاماه ما يفيد اعتبارها في الصنائع لكن على الوجه الذي ذكره في شرح الطحاوي وهو : أن الصناعات المتقاربة أكفاء كالبراز والعطار بخلاف المتباعدة : وعند الحياط مع الدباغ والحجام والكناس قال : فهو لاء بعضهم أكفاء لبعض ولا يكافئون سائر الحرف : ولم يذكر خلافا فكان ظاهرا في أن الظاهر من قول أبي حنيفة اعتبار الكفاءة واليه ذهب بعض الشارحين قال وكذا قال الشيخ أبو نصر بعد أن أثبت اعتبارها وعن أبي حنيفة : لا تعتبر : ونحوه في النافع وإنما قلنا : لكن على الوجه الذي ذكره في شرح الطحاوي : لأن حقيقة الكفاءة في الصنائع لا تحقق إلا بكونها من صناعة واحدة وفي المحيط وغيره وههنا خساسة هي أخس من الكل وهو الذي يخدم الظلمة يدعى شاكر باه تابعا وان كان ذا مروءة ومال ، قيل هذا اختلاف عصر وزمان : في زمن أبي حنيفة لا تعد الدناءة في الحرفة منقصة فلم تعتبر وفي زمنهما تعدتعتبر والحق اعتبار ذلك سواء كان هو المبنى أولا فان الموجب هو استنقاص أهل العرف فيدور معه وعلى هذا ينبغي أن يكون الحائك كفوًا للعطار بالاسكندرية لما هنالك من حسن اعتبارها وعدم عدوها نقصا لثة اللهم إلا أن يقرن بها خساسة غيرها اه (المنار) علم مما أوردناه أن الكفاءة ليست من أمور العبادات وإنما هي من مسائل المعاملات التي يحكم فيها العرف ويستدل عليها بالقياس لأنها تابعة لمصالح الناس ورفع الضرر عنهم ومدارها على التعبير فكل رجل كفؤ لمن اذا تزوج منهم لا يلحقهم

عار بتزويجه بين قومهم ولذلك قالوا ان العالم كفو لبنت الشريف والحبيب وان كان
نسبه وضيمًا أو مجوهولاً لأن العالم أشرف الاشياء فلا عار معه مطلقاً. وأن هذه الكفاءة
تختلف باختلاف الزمان والمكان فرب رجل يعد كفوًا لقوم في بلد ولا يعد كفوًا
لأمناهم في بلد آخر لاختلاف العرف. أما حكم هذه الكفاءة فهو وجوب تزويج
الخطاب مع تحققها واعتبار الولي عاضلاً للمخطوبة اذا امتنع من التزويج ولها حينئذ ان
تزوج نفسها من الكفو بدون رضاه عند الحنفية ان كانت رشيدة وایس له الاعتراض
ولا طلب الفسخ، وعند غيرهم ترفع الامر الى القاضي فيأذن الولي البعيد بالتزويج اذا
كان القريب هو العاضل أو زوجها هو - في تفصيل معروف في الفقه - واذا لم يكن
الخطاب كفوًا وزوجها الولي بدون اذنها او زوجت نفسها هي بدون اذنها جاز لها
على الوجه الاول وله على الثاني رفع الامر للقاضي وطلب الفسخ دفعا لا يذاء التعبير
الا ان يسكت الولي حتى تلد فانه يبطل حينئذ حق الفسخ مراعاة لمصلحة الولد

ومسألة الكفاءة الآن من النوازل في مصر فقد زوجت صفية بنت السيد أحمد
عبد الخالق السادات نفسها من الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد ووكلت في العقد
أجنيبا مع وجود أبيها في البلد فطلب أبوها من القاضي فسخ العقد بدعوى عدم
الكفاءة وخاضت الجرائد في ذلك بأهوائها وامتدت أعناق قراء المنار اليه يسألونه
بيان حكم الشريعة في ذلك لعلمهم بأن الذين زعموا الدفاع عنها من الكتاب جاهلون
بها فها هو الحكم وعليهم تطبيقه على الواقعة فانهم أهل العرف

﴿ الفتوى لشركة جريشام ﴾

ذكرنا في الجزء الرابع والعشرين من السنة الماضية أن بعض طلاب العلم في تونس أشكل
عليه فهم مستند مفتي الديار المصرية في الفتوى لشركة جريشام التي أنشئت للتأمين على الحياة
وبينا هناك أن الاشكال جاء من تطبيق الفتوى على ما يسمع عن الشركة لاعلى السؤال الذي
رفع الى المفتي. وقد كتب ذلك الطالب وجه اشكاله في جريدة (الزهرة) التي ظهرت في تونس
ثم ذوت وسقطت فكتب الينا أحد علماء تونس ما يأتي ردأعليه

﴿ إفهام وتقوم ﴾

قرأت في العدد السابع من جريدة « الزهرة » كلاما مسهبا رام به صاحبه ان

يساهم في الانتضال لمسألة فتوى القراض (التي سموها فتوى التأمين) ، عرضه على أفكار أولي البصيرة وبعد ان طويينا ذيله ، وقطعنا نيله ، رأينا ان صاحبه وان نادي باسم النقد والاستبصار في مواضع كان بعيدا منهما في الوصول الى كنهه ما قصدناه من مراجعة وطنينا الفاضل في رده الأول على كلام محتاج الى غزقناته ، وإيقاظ ذهن صاحبه من سباته ، : زاد فافهم استحسان تصدير الفتوى بلو حتى وهم انا نوهنا بذلك لما فيها من الشرط وكأني به بعد حائر آفي وجه هذا التنويه لولائه بين الشك واليقين في بركة تأثير الشرط في نحو هذا المقام ! ولم يعلم انا انما ألقنا الأ نظار النقادة الى ما في «لو» من الامتناع المقتضي غرابة الصورة وامتناع وقوعها .

مدار بحثه في هاته الفتوى على محور واحد وهو انتقاد اجمال المفتي والملام عليه اذ لم يفض في شرح المراد من الشركة مينا في خلال ذلك ما تبطنه في ضميره او لم يذكركه في سؤالها ناسيا قولهم «جواب المفتي على قدر سؤال السائل» وما كرهه العلماء من اذالة العلم والفضول فيه وقد نقل عن كثير من الأئمة أنهم كانوا يكرهون الزيادة على قدر الاستفتاء ويرونه من فضول المفتي . فاذا كان ذلك مطلوبا فهو من باب الاحتياط وربما لا يحتاج اليه في الامور الظاهرة الواضحة الجارية على المتعارف والمحمولة على الصحة لان العالم لم يؤمر بالتنقيب على القلوب بل نهي عنه بنص الحديث الصحيح . ومع هذا فان المفتي ما ترك الاحتياط اللازم فيما أعاده من الالفاظ في جوابه شرحا للمراد حيث لم تكن عبارة السؤال من الافصاح عن المقصود بالمكان البين لو وجد آذانا سامعة أو عيوننا ناظرة الى السؤال والجواب . لو سألته الشركة عن صحة قواعدها - من حيث حكم الشرع الاسلامي - لرأينا ماذا يجيب به المفتي بعد أن يستطلعها أحوال رسومها ، ولكن سألته عن صورة عقد بين رجل وجماعة كهاته الشركة وجعلت نفسها مثلا يجمعها بالمثل وصف الجماعة لينظر في صحتها من جانب الحكم الشرعي وليس سؤالها عن فرع فقهي لتتظر ماذا عسى ان يطلبه الناس منها يوما ما قفير خطتها لاجله ولا كانت هي محل السؤال ابتداء بل كانت في موضع المثال . والسؤال عن هذا الحكم الشرعي ان وقع وهو حكم يرجع الى ضرب من التجارة ربما تقصده هاته الشركة . نعم ربما يكون محقا اذا وجه الملام على الشركة كيف تسأل عن خلاف مرامها وذلك عدل

يجب على ديانة السائل أو فصاحة عبارته في سؤاله !!! ومن الواجب أن يذكر كاتبنا شيئاً لطيفاً ما غفل عنه الباحث الأول وهو أن المقتي خفي المذهب وأنه يجب تخرج كلامه على نصوص مذهبه مادام كلامه غير محتاج ولا قاض بصرفه إلى اختيار بعض المذاهب على بعض في خطة النظر ولا ينبغي التساهل والمساورة إلى فساد صحيح من كلام الناس .

واذ قد أتينا على ما يفهمه خطة البحث في هذا الموضوع ويبحثه على تحقيق النظر قبل المجازفة فنلتم باطلال شروطه التي ذكرها مما لا يدخل في المؤاخذة بذنوب الاجمال قال « أول الشروط أن يكون المال نقداً إلى قوله - سيما وإن أوراق المبالغ معتبرة في المعاملات اعتبار الذهب والفضة » . هذا موضع الزيادة على الاجمال لانه رجع به إلى الغالب . وجوابه عن هذا أن كون رأس المال ديناً على غير أحد المتعاقدين جائز ماض عند الحنفية وما منعه مالك لالتمه في القصد ، لالفساد اصل العقد . وإذا نظرنا إلى مذهب محمد بن الحسن من جواز القراض بالفلوس الرابحة وعدم اشتراط خصوص الذهب والفضة فكل ما راجع إلى رواج المال والتقدين فهو مثلهما وهذا هو التحقيق لأن مناط اشتراط التقدين قصد قطع جرثومة الغرور وضرر العامل في عمله ان يقدم على شيء يظنه يساوي مقداراً فإذا هو قاصر عما قدر وكل رائج معلوم القدر لا توجد فيه هاته العلة فهو كالذهب والفضة ألا ترى أنهم ما اكتفوا بالذهب والفضة نضاراً حتى اشترطوا ان يكونا مسكوكين . وهذا هو عين الجواب عن الشرط الثاني اذ كان عين الاول لولا اختلاف العبارة .

قال « رابعها ان لا يشترط على العامل الضمان الخ » بناء هذا البحث مؤسس على شفا الاشتباه في قضية الاجمال ووهم أن الجواب وقع عن كراسة شروط الشركة لاعتن سؤال مسطور وربما كان كلامه يحوم حول الاعتراف بأن ذكر هذا البحث لتكثير سواده، وتعزيز فقه وأجناده،

قال « خامسها عدم تأجيل مدة القراض ونص السؤال مقتض للتأجيل » القراض في مذهب أبي حنيفة رحمه الله من العقود التي لا يفسدها التوقيت والغاية إنما محور الشرط فيها على مظنة حصول القصد مما سبق له العقد وهو معدود في ضمن ستة وعشرين عقدة لا يفسدها أي شرط فاسد .

«سادسها تعيين الجزء الخ» وهذا ملحق باخوته المسوقة للتعزير، فلا يشبهه
 إلى ذوي التميز . ثم إن المذهب أن دخول المتقارضين في عقدة القراض على
 المساخمة في تعيين الربح لا يفسد القراض بل يكون الربح فيه على السواء في قول أبي
 يوسف رحمه الله وبه الفتوى . أما لو ذكر ما يدل على التسوية في الربح فلا خلاف
 بين أبي يوسف ومحمد في جوازه نحو أن يقولوا : على أن ماتج من الربح بيتنا : قال
 «ثم مقتضى السؤال (إذا قام بما ذكر و انتهى امد الانفاق المعين بانتهاء الاقساط)
 انه ان لم يوف بدفع تلك الاقساط لاحق له الخ » وههنا الخطأ العظيم في الانتقال ، والغفلة
 عن الحقيقة في الاستدلال ، فأما الاول فليس الكلام بقاض انه لاحق له في المقارضة ولا
 حق له ان لم يوف انما قضى انه ان لم يوف لاحق له في المقارضة ولاحق له في الربح
 والشروط في المضاربة ان كانت مما يخل بجانب رب المال جازت لاسيما ان كان ذلك من
 شرطه هو لامن شرط المضارب عليه وذلك صريح صورة السؤال لانه جاء قبل الكلام
 الذي ساقه كاتبنا كلمة حذفها حذفاً لم يصادف به كنه الفهم وهي « واشترط معهم » ومن
 الفروع التي يذكرها الحنفية في هذا الموضع لو شرط المضارب على رب المال أن يدفع
 له داره يسكنها أو أرضه يزرعها لم تفسد المضاربة أما لو شرط رب المال ذلك على
 المضارب لفسدت للجهالة في مقدار ما يكون لذلك من المال ومقدار ما يكون للعمل فيه
 ولم يعتد بهاته الجهالة في جانب رب المال . ويذكر المالكية فرعاً في كتبهم انه يجوز
 القراض على أن جميع الربح للعامل وضمان المال ان تلف من ربه إذا سميامقراضاً
 وقال سحنون هو سلف وضمانه من العامل . وفي هذا ما يعملنا الفرق بين هذا وبين
 القمار بأن هذا شيء من جانب رب المال وهو محمول على الموجبة والمقدرة فلا يظن
 به اهتمام ، ولا أن يؤكل ماله بالباطل أو يضام ، خلافاً لحال العامل المظنون به العجز
 والافتقار ، ولأن رب المال ينزل في نحوهااته الشروط منزلة المتبرع انه لو شاء أعطى وما أخذ .
 قال « ان مشاركة المسلم لهاته الجمعية ممنوعة وذلك لانها لاتحاشى في تجربها
 ومعاملتها الربا والنصوص متظاهرة على منع شركة من لا يتحفظ من تعاطي
 ما ذكر الخ » قد علمت ان اسم الشركة مما وقع الامثالا ولو فرضنا صحته فذلك شيء
 ينظر فيه الرجل الى حالة التجارة التي سموها في السؤال وليس المفتي بصدد تبيان كل

ما يجب على المرء في صورة الاستفتاء والالشرع بين لهم شروط البيوع كلها وذلك لا يخص الشركة بل كل من يظن به الجهالة باستقراء أحكام البيوع ومن ذا الذي يرقبها اليوم من تجار المسلمين. على ان نسيان المفتي ان ينبه على هذا غير بعيد حيث لم يكن مما يرجع الى شرط من شروط الباب التي يجب استحضارها عند الافتاء ولذلك يذكرها كاتبنا بعد تعداد الشروط : ووكيل الذي في المعاملات غير ممنوع ولو نص له على معاملة يحرم على الوكيل فعلها وقد نص الحنفية رحمهم الله على صحة توكيل المسلم ذميا على بيع خمر أو خنزير ولو باشر ذلك بنفسه لمنع باتفاق الناس وقدما ما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوكلون المشركين حتى المخاربين، في صحيح البخاري « (باب) اذا وكل مسلم حريا في دار الحرب اودار الاسلام جاز » أخرج فيه توكيل عبد الرحمن ابن عوف (رضي الله عنه) أمية ابن خلف ومافيه من القصة .

وهاهي تلك النوبة قد أفضت الى كاتبنا ليعيد علينا من تبليانه ثانيا فان دعت الى ذلك الدواعي فان آذاتنا مصغية الى ما يقول .

(ذلك التونسي)

❦ باب الانتقاد على المنار ❦

(المسائل الزنجارية)

جاءنا من أحد فضلاء القراء في زنجبار ما يأتي ويعقبه الجواب عنه قال :

« ان لمناركم الاسلامي من المنة على المسلمين مظهر أثرها من تنبيه الافكار وتبادل الآراء فيما بينهم . لا يصل أحد أجزاء المنار حتى يميز مافيه سير الامثال وتحدث به الاندية وانهم لينظرون الى ما يأتيهم من درره بفرغ الصبر غير انه لما نشرتم في أعداد المنار - الجزء الثاني ١٦ المحرم الحرام صحيفة ٥٧ (علم الغيب للانباء) الجزء الرابع ١٦ صفر صحيفة ١٤٤ القرآن لقضاء الحوائج) وصحيفة ١٤٥ (المهدي المنتظر) - انكر ما حررتموه كثير وتوقف قراء المنار عن اتباعهم حتى أورد عليهم المنكرون أدلة تناقض ما حررتموه فالتمسوا ان أكتب اليكم في ذلك لتشرحوا الأدلة بنوع بسيط أما أدلة المنكرين فقد اعترضوا جواب : س : القرآن لقضاء الحوائج بما رواه البخاري وغيره في حديث الرقية بالفاتحة وبغير ذلك مما ورد واعترضوا كلامكم في المهدي المنتظر بما أورده مفتي

الشافعية بمكة السيد أحمد زيني دحلان بآخر كتابه الفتوحات الاسلامية حيث حتى ان الاحاديث الواردة في المهدي منها صحيح وحسن وضعيف وهو الاكثر الى ان قطع بعد ذلك بوجود المهدي وانه قطعي . اما ابن خلدون فلا يعتبرونه ووسموه بانه مؤرخ لاحدث والمعتبر في مثل هذا أقوال المحدثين . واما مسألة علم الغيب للانبياء فقد أوردوا على ماحررتنموه ما قرره الصاوي في حاشيته على الجلالين في تفسيره على آية « يستلونك عن الساعة » الآية وما بعدها قل لأملك لنفسي نفعا ولا ضرا . . . ولو كنت أعلم الغيب ، الآية في سورة الاعراف واليكم ما ذكره الصاوي بنصه : (قوله تأكيد) أي لما قبله لبيان انها (الساعة) من الامر المكتوم الذي استأثر الله بعلمه فلم يطلع عليه أحدا الا من ارتضاه من الرسل والذي يجب الايمان به ان رسول الله لم ينتقل من الدنيا حتى أعلمه الله بجميع المغيبات الذي تحصل في الدنيا والآخرة فهو يعلمها كما هي عين يقين لما وردت في الدنيا فانا أنظر فيها كما نأظر الى كفي هنا ووردانه اطلع على الجنة وما فيها والنار وما فيها وغير ذلك مما تواترت به الاخبار ولكن أمر بكتمان البعض (قوله لنفسي) معمول لأملك (قوله الا ما شاء الله) أي تملكه لي فانا أملكه (قوله ولو كنت أعلم الغيب الخ) فان قلت ان هذا يشكك على ما تقدم انه اطلع على مغيبات الدنيا والآخرة والجواب انه قال ذلك تواضعا وان علمه بالغيب كلا علم من حيث انه لا قدرة له على تغيير ما قدر الله وقوعه فيكون المعنى حينئذ لو كان لي علم حقيقي بأن أقدر على ما أريد وقوعه لاستكثر الخ ان قلت ان دعاءه مستجاب لا يرد اوجب بانه لا يشاء الا ما يشاء الله فلو اطلع على ان الشيء مثلا لا يكون كذا لا يوفق للدعاء له اذ لا يشفع ولا يدعوا الا بما فيه إذن من الله واطلاع منه على أنه يحصل مادعا به وهو سر قوله تعالى « من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه » وفي ذلك المعنى قال العارف

وخصك بالهدى في كل أمر * فليست تشاء الا ما يشاء

وللخواص من أمته حظ من هذا المقام ولذا قال العارف أبو الحسن الشاذلي اذا اراد الله امرأ أمسك أسنّة اوليائه عن الدعاء ستر أعليهم لئلا يدعوا فلا يستجاب لهم فيقتضوا . اهـ كلامه فالرجو ان تبينوا ما هو الحق في المسائل الثلاث فقد اخذت محلا من الافكار واكم الاجر والثواب .

﴿ الرقى وقضاء الحوائج والاستشفاء بالقرآن ﴾

ثبت في الاحاديث أن الله تعالى خالق لكل داء دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله وما زال الناس ينتفعون بما علموا منها ويبحثون عما جهلوا فزيدادون علما. كذلك قد جعل الله تعالى لكل شيء سبيبا يتوصل اليه به. وانما يصح كون هذا سبيبا لهذا اذا كان بينهما اتصال بالتأثير والتأثر متلا بحيث ينتفي وجود الثاني لانتفاء الاول ويوجد بوجوده اذا انتفت الموانع. ولم يثبت بالتجارب الصحيحة المطردة أن تلاوة القرآن الكريم او كتابته في الصحف تحمل او الصحف يؤكل منها ويشرب سبب للشفاء من الامراض وقضاء الحوائج ولو ثبت لاستغنى به الناس عامة او المسلمون خاصة عن الطب والاطباء وعن اتخاذ الاسباب والوسائل المعروفة لسائر الحاجات والمصالح. فهذا دليل عقلي في الموضوع وقد قرر العلماء أن النصوص الشرعية اذا خالفت الادلة العقلية ترد اليها بالتأويل اذ لا يمكن ابطال حكم العقل لانه أصل الايمان، ولا يصح بدونه برهان،

ودليل ثان على ذلك وهو أنه لو انزل القرآن لاجل المنافع الحسية الجسدية كما نزل لأجل الهداية لذكر فيه ذلك وعدم المعجزات لانه يكون خارقا للعادة ولتحدى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بذلك ولكن شيئا من ذلك لم يكن ولم يذكر العلماء في وجوده إعجاز القرآن ما ذكر ولم يعلم أن الصحابة أو الائمة احتجوا على منكر بذلك.

اما اجازة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الرقية فاني اشرحها لك بما لا ينافي ما تقدم بالدليل. فأقول ان الرقى والعوذ كانت من اعمال الجاهلية وقد نهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عنها وحدت وقائع رقى فيها بعض الصحابة فأفاد جاز النبي (ص) ذلك في العين وفي ذي الحمة اي لدغ ذي الحمة كالعقرب والزنبور وفي الصحيحين ولا رقية الا من عين او حمة، وفي رواية اخرى لابي داود زيادة داود لم يرقاه وفي اخرى عنده وعند احمد ولا رقية الا في نفس او حمة اولدغة، فضيق عليهم دائرة الرقى ولم يأذن لهم بغيرها من العوذ والتنجيس التي كانوا يملقونها على الاطفال وغيرهم للوقاية من الامراض والجن ولا كتابة القرآن وغيره لذلك وارشدتهم مع هذا كله الى ان الرقى والاسترقاق ينافي التوكل الذي هو كمال التوحيد والايمان ولا ينافي به التداوي وغيره من الاسباب الصحيحة لان الانتفاع بالرقى امر موهوم كما قال حجة الاسلام وغيره

روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما سئل عن صفة الذين يدخلون الجنة بغير حساب من حديث طويل: «هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتون وعلى ربهم يتوكلون»: ورواه غيرهما. وروى احمد والترمذي وحسنه والنسائي في السنن الكبرى وابن ماجه والطبراني والحاكم والبيهقي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال «من استرقى او اکتوى فقد برئ من التوكل» وفي لفظ «ما توكل من استرقى او اکتوى»: قال الامام الغزالي في كتاب التوكل من احياء علوم الدين مانصة:

«اعلم ان الضرر قد يعرض للخوف في نفس أو مال وليس من شروط التوكل ترك الاسباب الدافعة رأساً أمافي النفس فكالنوم في الارض المسبعة أو في مجاري السيل من الوادي أو تحت الجدار المائل والسقف المنكسر فكل ذلك منهى عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة. نعم تنقسم هذه الاسباب الى مقطوع بها ومظنونة والى موهومة فترك الموهوم منها شرط التوكل وهي التي نسبتها الى دفع الضرر نسبة السكي والرقية فان السكي والرقية قد يقدم بهما على المحذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المحذور الازالة ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصف المتوكلين الا بترك السكي والرقية والطيرة ولم يصفهم بأنهم اذا خرجوا الى موضع بارد لم يلبسوا حبة والحية تلبس دفعا للبرد المتوقع وكذلك كل مافي معناها من الاسباب». اهـ

فالقارى يرى أن حجة الاسلام جعل علة منافاة الرقية للتوكل كونها من الامور الوهمية التي لم ترتق إلى أن تكون سببا للنفع ظنيا ولكن الدجالين الذين اتخذوا الرقى والتائم والتعاويد والتنجيس حرفة يأكلون بها أموال الناس بالباطل يوهمونهم أن أن حرقهم مبنية على تعظيم القرآن وقوة الايمان ويجعلون الحبة قبة. وإنما كان الاخذ بالامور الوهمية منافيا للتوكل لأن التوكل هو كمال التوحيد والثقة بالله تعالى والمؤمن الكامل يجب ان يكون بعيداً عن الاوهام لاستنارة عقله وقوة يقينه فهو لا يأخذ الا بالاسباب الصحيحة التي قضت حكمة الخالق ربط المسببات بها وينبذ الاوهام وراء ظهره فلا يكون لها عليه سلطان واما سبب إجازة النبي صلى الله عليه وسلم الرقية من العين ولدغ نحو العقرب فلعله الرحمة بالضعفاء الذين جرت العادة بأن يتأثروا أحيانا بالامور

الوهمية وينتفعوا بها وقد شرحنا ذلك في المقاليتين الرابعة عشرة والخامسة عشرة من مقالات (الكرامات والحواري) فلتراجع هناك . وأذكر هنا شاهداً وهو أنني أعرف عالماً من أجل العلماء المتقين الذين يحاربون الاوهام أصيبت عنده امرأة بمرض عصبي تعاصى علاجه على الأطباء وكان منشأه الوسواس - وهو وهم - فلم ير بداً من الرضى بالتمس راقى رقيها لاعتقادها بذلك . وهذا التعليل يظهر تمام الظهور في الرقية من العين فإن كثيراً من الملل التي ينسبها الناس الى تأثير العين وهمية وماعساه يصح من تأثير المائن فالمعقول أن يكون تأثير نفس في نفس ولذلك عبر عن العين في حديث أحمد وابي داود الماضي بالنفس وذلك أن بعض النفوس تؤثر بانفعالها في نفس أخرى تتوجه اليها وتظهرها لاستعداد فيها لسرعة التأثير وهذا من قبيل تأثير حال الحزن في نفس من يراه ولكنه أقوى منه . فلاغرو أن يزيله التأثير من الرقية وماهي الا تلاوة شيء يعتقد المرقى ويتوهم نفعه والاهام انفعالات في النفس يغلب اقواها أضعفها . والدغ له تأثير حقيقي في الجسم ولكنه ضعيف في الغالب يبرأ أحياناً بدون سبب وكانت العرب في الجاهلية تطب الدغ بالرقية فاعتقادهم يغلب أحياناً على ألم الدغ فيسرع شفاؤها وقد نهى النبي (ص) عن ذلك ثم علم أن بعض الناس ينتفعون به بحكم الوراثة وتأثير الوهم فأجازه فقد روى أحمد وعبد بن حديد ومسلم وغيرهم من حديث جابر أن رجلاً قال يا رسول الله إنك نهيت عن الرقى أنا أرقى العقرب فقال (ص) « من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه » فهي رخصة لمن علم من حاله أن للوهم سلطاناً عليه اذا احتسج الى استعمال ذلك لنفعه فضيق دائرة تلك الاوهام وجعل المأذون به على قلته منافياً للتوكل وكال اليقين واشترط في الرقية أن لا يكون فيها شرك كما في حديث عوف بن مالك عند مسلم وأبي داود ومعنى ذلك أن لا يكون فيها استعانة بغير الله او ما يوهم أن غير الله ينفع أو يضر . ومن الغرائب أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لدغ مرة ففشي عليه فرقاه ناس فلما أفاق قال « ان الله شفاني وليس برقيتم » رواه البخاري في التاريخ وابن سعد والبخاري والبارودي وابن السكن وابن فانع وسمويه والطبراني والدارقطني في الافراد عن جبلة بن الأرق . وهو دليل على أن الرقية لا تأثير لها وان نفوس المتقين لا تؤثر فيها الاوهام . وما ورد من الرقى الماثورة فادعية وتناء على الله تعالى .

هذا صفوة ما يقال في تحرير المقام فإن منه ما عليه الدجالون من كتابة الآيات لغير ما أنزلت له واتخاذها تمام مع قول النبي (ص): «من عاق تيممة فقد أشرك» رواه أحمد والحاكم عن عقبة بن عامر. وقوله (ص): «أن الرقي والتائم والتولة شرك» رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم عن ابن مسعود. وقوله ثلاث من السحر الرقي والتولة والتائم، رواه الحاكم عن ابن مسعود وغير ذلك. ولا شك أن الرقي والتائم في هذا الزمان من نزعات الوثنية فإنها ليست مبنية على اعتقاد أن القرآن يرفع الضرر ويحلب النفع لذاته معجزة وإنما العمدة عندهم على بركة الراقي وكاتب التائم وتأثيره ولذلك لا يطلبون ذلك من كل عارف بالقرآن. فانظر كيف قلبوا الدين فتركوا الاهتداء بالقرآن وهو قد أنزل هدى للمتقين بل زعموا أن الاهتداء به محرم على الناس اليوم لانه وظيفة المجتهدين الذين انقرضوا. ثم زعموا أنهم يعظمونه بترك الاسباب والسفن الالهية التي أرشدتهم اليها والاعتماد على الاتفاق برسم حروفه وحملها

المسألة الثانية - المهدي المنتظر

إذا قالوا أن ابن خلدون كان مؤرخا غير محدث فائنا نقول ان السيد احمد زيني دحلان غير محدث ولا مؤرخ ولا متكلم وإنما هو مقلد للمقلدين، ونقال من كتب المتأخرين، ينتصر للعامة وينتصرون له لشهرته بالعلم بتقليده وظيفة إفتاء الشافعية في مكة وبالشرف الذي يخضع لصاحبه أكثر العامة وإن كان أميا. وعجيب من منتم للعلم يشكر على المؤرخ العلم بنقد رجال الحديث وهو فرع من فروع التاريخ ولقد كان ابن خلدون أوسع المؤرخين علما وأدقهم تقدا وأشدهم إنصافا وهو لم يشكر المهدي المنتظر لعدم الاطلاع على ما روي فيه ولا تقليدا لأحد من الناس وإنما بنى إنكاره على قاعدتين إحداهما نقد رواة أحاديثه بنقل ما قاله أئمة الحديث في جرحهم، والثانية عدم انطباق مزاعم الناس فيه على أصول العمران وسنن الاجتماع البشري من قيام الامور العامة بالعصبية، ومن أنكر شيئا أو أثبتته بالدليل فإنما يرد عليه بنقض أدلته لا بتقليد من هو دونه في كل علم بلاينة ولا برهان. فان كان المنتقدون الآن يقلدون دحلان لانه كان مقتنيا في مكة من عهد قريب فإن خلدون قد ولي القضاء في مصر أيام كانت غاصة بأشهر علماء القرون المتوسطة الذين يقلدهم زيني دحلان فهو أحق بأن يقلد - اذ لو ظائف لم تكن تعطى في ذلك الوقت لغريب مثله الا اذا كان نادرة الزمان، ولكنها قد تعطى لأجهل الجاهلين في دولة آل عثمان، فقد كان عندنا في طرابلس الشام قاض شرعي اذا صلى وسبقه

الامام لا يعرف كيف يتم الصلاة منفردا حتى انه أخطأ في صلاة العيد. ولا أريد بهذه
 الكلمة التعريض بأن السيد أحمد دحلان كان كهم ذا القاضي وإنما أريد التنبيه الى ان
 ما يغتر به العامة من المناصب لاسيما في البلاد المشرفة ليس موضعا للغرور
 نحن لانحكم على مستقبل الزمان باستحالة ظهور زعيم للمسلمين أو امام عظيم
 يخرجون على يديه من ظلمات البدع والجهل الى نور الهداية والعلم والعمل النافع بل
 نرجو هذا من فضل الله بتوفيق المسلمين الاستعداد لقبول ذلك فان الله تعالى اذا أراد
 أمرا هيا أسبابه ولسكتنا نقول انه لا دلائل على ان الله تعالى كاف المسلمين باعتقاد
 ظهور مصاح فيهم معروف باسمه (المهدي) ووصفه ونسبه أو جب عليهم طاعته وسجل
 عليهم ان يبقوا في الضعف والجهل والبدع والشقاء الى أن يظهر فيهم ويخرجهم من
 ذلك كما يظن الجماهير من المسلمين منذقرون فان هذا الاعتقاد كان آفة عليهم في دينهم
 وديارهم ولو كفهم الله تعالى ذلك لأنزل فيه قرآنا أو أمر نبيه بأن يبينه للناس يانانا ماشافيا
 على أنه عقيدة دينية ولو فعل لنقل ذلك بالتواتر قرنا بعد قرن ودونوه في كل عقيدة وكل
 كتاب حديث ولما أهمله مالك في موطأه والبخاري في صحيحه ، ولما كان رواة
 خبره محصورين في فرقة واحدة من المسلمين (وهي الشيعة) فلم يوجد له سند الا
 من طريقها ، ولما كانت الروايات فيه مضطربة ثبت بعضها ما ينفيه الآخر ، ولما
 سكت علماء أهل السنة عن الطعن في منكره ، ومن أراد ان يحكم في هذه المسألة
 حكما صحيحا فعليه ان يجمع كل ما رووه فيها من الاخبار مرفوعا وموقوفا ومرسلا
 ومن الآثار خصوصا ما عزي منها الى آل البيت عليهم الرضوان والسلام. إن يفعل يظهر
 له فيها من الاضطراب والتناقض والتعارض ومن لحن العبارات وأساليبها ما يجزم معه
 معه بأنها موضوعة وان كثرتها وتعدد طرقها لا يزيد ما الاوهنا ووهي
 امثل الروايات فيه ما أخرجه أحمد وأصحاب السنن فمن دونهم من الكلام المختصر وفي بعضها
 أنه من ولد فاطمة وفي بعض آخر أنه من ولد العباس ، وفي بعضها أنه يعيش سنا أو
 سبعا أو ثمانيا أو تسعا وفي بعض آخر يعيش خمسا أو سبعا أو تسعا بالاوتار وفي بعض آخر
 يعيش سبعا بالحزم وفي بعض تسعا بالحزم وفي بعض آخر عشرا بالحزم ، وفي بعضها انه
 يلي أمر الناس ثلاثين سنة أو أربعين ، « ولاخير في الحياة بعده » وفي بعض آخر ان بعده

عيسى وزمنه خير من زمنه ، وفي بعضها ان عيسى ينزل في عهده ويصلي وراءه وفي بعض آخر « ان تهلك امة انا في اولها وعيسى ابن مريم في آخرها والمهدي في اوسطها » وهو يناقض ما قبله وفي بعضها « لامهدي الاعسى » . وفي بعضها ان مولده المدينة ومهاجرة بيت المقدس في بعض آخر انه توجه الى بيت المقدس فلما بلغه حتى يموت ، وفي بعضها ان المهدي ابن اربعين بالجزم وفي بعض آخرين ثلاثين الى الاربعين . وفي بعضها انه آدم (اسمر) ضرب من الرجال ، وفي بعض آخر وجهه كالكوكب الدرري الى غير ذلك من الاضطراب والاختلاف كل هذا في الروايات التي رواها اهل السنة عن الشيعة وما اختص الشيعة بروايته من الآثار عن علي كرم الله وجهه انه قال في المهدي « يرفع المذاهب فلا يبقى الا الدين الحاصل ببيانه العارفون من اهل الحقائق عن شهود وكشف وتعريف إلهي » ثم ذكر ان امه اسمها زرجس وهي من اولاد الحواريين . وانت تعرف انه لم يكن في زمنه كرم الله وجهه مذاهب وان لفظ الشهود والكشف من اصطلاح الصوفية بعده . ومن رواياتهم ان ابا نعيم جاء ابا جعفر الصادق عليه السلام فسأله هل هو قائم آل محمد الذي ينظرونه فقال كذا قائم بأمر الله فسأله هل هو المهدي فقال كذا المهدي الى الله حتى سأله انت الذي يقتل اعداء الله الخ فقال كيف أكون انا وقد بلغت خمساً واربعين وان صاحب هذا الامر اقرب عهدا بالبن مقي واحف على ظهر الدابة . وروى نحوه عن غيره منهم . وروا عنه انه قال : قام قائم ولد العباس عند (المص) ويقوم قائما عندما تقضيها (المرأ) اي سنة ٢٧١ هـ وهو دليل على أنهم كانوا ينظرونه يومئذ والسبب في هذا معروف وهو محاربة تأليف عصبة للقيام بأمر الملك وجعل الخلافة في ولد الحسين

وجملة القول ان هذه المسألة اذا اريد ادخالها في الدين كانت من مسائل العقائد والعقائد يجب الاعتماد فيها على اليقين ولم تصل هذه الأحاديث الواردة فيها الى افادة غلبة الظن للمسلم بمنشأها والمطاعن في اسانيدها والاضطراب وانتاقض في مدلولاتها ولذلك لم يذكرها المكلمون في كتب العقائد فلا حرج على من أنكرها . وقد اضر المسلمين نشو القول بها إذ ظهر فيهم كثيرون بهذه الدعوى في القديم والحديث فسفكوا الدماء وفسدوا سقائهم كثير من المسلمين وآخرهم مهدي السودان والباب وخلفاؤه من اهل إيران . فعلى المسلمين ان لا يتوكلوا على امرين صحيح بعض الاحاديث فيه او حسن كان ظنا ويدعوا اليقيني من أسباب القوة والسيادة وهو التهذيب الصحيح بالرجوع الى سيرة السلف في الدين والعلم النافع في الدنيا والآخرة والاعمال التي توفر المال وتحمي الحوزة فاذا قام فيهم مع هذا قائم هاد

مهدي كانوا مستعدين للاتحاد على يديه والا فان السيادة والسعادة يستحيل وجودهما مع
استدبار طريقتهما الذي سنه الله لهما والله الموفق والمعين

﴿ المسألة الثالثة علم الغيب الانبياء عليهم السلام ﴾

جرت سنة الله تعالى بأن يكون غلو الناس في اطراء رجال الدين من الانبياء
وورثتهم في العلم والعمل على نسبة الجهل بالدين فانك تجد الفاسق من الشعراء المتأخرين
يطري بعض المشهورين بالعلم او الصلاح بما لم يرد عشر معشاره عن شعراء الصحابة
في النبي عليه الصلاة والسلام . وقد طوح الجهل بالناس الى إسناد خصائص الألوهية
الى الانبياء والصلحاء خلافا لتوصوهم الصريحة في ذلك ولكن منهم من صرح باطلاق
لقب الألوهية على انبيائهم ومنهم من صرح بمناهة دون لفظه . وإن واحدهم يقول
الكلمة في ذلك فجعل اصلا في الدين ويحرف لاجلها كلام الله وكلام رسوله عن مواضعه
ويحمل على غير محمله

علمنا الله تعالى في كتابه وبسيرة خاتم رسله ان الانبياء بشروا انهم عبيد لله تعالى لا يمتازون
على غيرهم الا بالوحي الذي يلقاه سبحانه وتعالى اليهم ليلغوا للناس ولا يكتموا له ولوازمه . فهل
يجوز لنا ان نقول هذه النعمة الكبرى ونستصغرها فضيض اليها شيئا من عندنا فنساع قيام
الدليل على خلافه او مع عدم الدليل عليه ؟

يقول الله عز وجل « قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله وما
يشعرون أيان يمشون » أي فانه هو الذي يعلمه وحده . روى أحمد والبخاري ومسلم
والترمذي والنسائي وغيرهم من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت « من زعم أن
محمد صلى الله عليه وسلم يخبر الناس بما يكون في غد وفي رواية يعلم ما يكون في غد
فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول « قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب
الا الله » فكذا كان الصحابة يفهمون ويعتقدون فهل كانوا ضالين في فهمهم واعتقادهم حتى
جاء الصاوي في المتأخرين الذين ليس لهم من العلم الا التقليد والاماني فوضعوا لنا العقيدة
الصحيحة ؟ حاش لله ! بل كان ازواج رسول الله واصحابه اعلم الناس بدين الله وافهمهم لكتابته
وايس مثل الصاوي من مقلدة المتأخرين بحجة في فروع الاحكام الفقهية ، فضلا عن العقائد
الدينية ، بل ليس لاحد ان يقلد في عقيدته اماما مجتهدا ، فكيف يقلد ضعيفا مقلدا ،
علم الغيب لانه لا نهاية له لان منه علم المستقبل الذي لانهاية له وليس في وسع مخلوق ولا

استعداده ان يحيط علما بالانهاية له فعلم الغيب كله محال عقلا على البشر والملائكة
وجميع المخلوقين وهو ممنوع نقلا بنص الآية وما يؤيدها من الآيات الكثيرة فلو
ورد نص بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعطي علم ما كان وما يكون من الغيب
لوجب تأويله ليوافق العقل والنقل بأن يقال اعطي علم ما كان في الماضي من سيرة
الانبياء مثلا وما يكون من أمر العصاة والطائمين في الآخرة من العذاب والنعيم لان
هذا العلم هو الذي يتعلق ببعثته . فكيف ولم يرد أن الله تعالى أطلعته على كل غيبه
نخالف العقل والنقل ونقول على الله تعالى ورسوله مالا نعلم وقد نهانا الله تعالى عن
ذلك وعده مع الشرك في قرن ؟

لأنقول ان النبي (ص) يعلم كل الغيب لان هذا ممنوع عقلا ونقلا كما علمت ولانقول
ان الله تعالى لم يطلع على شيء من الغيب لان النص ورد بأنه أطلعته وأطلع غيره من
الرسل قال تعالى « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول »
الى قوله « ليعلم أن قد أبانوا رسالات ربهم » فلم انه يظهرهم على الغيب الذي يتعلق
به تبليغ الرسالة وذلك مشروح في القرآن ومنه الملائكة والجن والنار والحساب وغير
ذلك فواجب في هذا المقام الوقوف عند النص لانعدامه بزيادة ولا نقصان لأنه ليس
للعقل مجال في عالم الغيب فيقيس ويستنبط . فما كان من النصوص قطعا كآيات
السكرية المنصرحة بالاخبار عن الانبياء السابقين وائهم وعن الآخرة وما فيها وعن
الملائكة والجن وعن ما وعد الله به هذه الامة من الاستخلاف في الارض فالتاؤ من
به ونقول بكفر من أنكره . وما كان منها مرويا في أخبار الآحاد فلا يكلف كل مؤمن
بعلمه والايمان به ولكن من ثبتت عنده الرواية واطمأن لسندها فانه بالطبع يعتقدها
ولا نوجب عليه رفضها لانها غير متواترة الا اذا عارضت دليلا قطعيا كما لا نوجب على
غيره قبولها . هذا هو الاصل الذي لا نزاع فيه

وأحاديث الآحاد الواردة باخبار النبي (ص) بالغيب كثيرة وقد ظهر تأويل
المشهور منها كالأخبار بأن الله يفتح على المسلمين مصر والشام وغيرها من الاقطار
والاخبار بأن عمارا تقتله الفئة الباغية وان الحسن يصلح الله به بين فتيين من المسلمين
وأن فاطمة عليها السلام أول أهله لحاقبه بعد موته وغير ذلك . ومن هذه الروايات
الآحادية ما يضح سندها ومنها الضعيف والموضوع ولا حاجة لنا الى الكذب لاثبات فضله
وخصائصه عليه أفضل الصلاة والسلام فان الثابت منها ليس بقليل وحسبنا قوله تعالى « واثقك »

لعل خلق عظيم ، وقوله « وكان فضل الله عليك عظيما » وقوله « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » وغير ذلك . وقد ذكر عليه السلام خصائصه ولم يرد فيها رواية صحيحة ولا ضيقة أن الله تعالى أطلعهم على ما كان من الازل وما يكون في الابد فهل يحل لنا ان نكذب على الله تعالى بغير علم وندعي ان ذلك من الايمان والله تعالى يقول « انما يفتری الکذب الذین لا يؤمنون »

وأما ما ورد من أن الجنة والنار مثلثاته في عرض الحائط أو قبلة الجدار ومن أنه زويت له الارض فرأى ما يصل اليه ملك أمته منها فلا يدل على أن الله تعالى أطلعهم على ما كان وما يكون مما ليس في استمداد البشر الاطلاع عليه اذ لانهاية له ولا هو مما يتعلق به تبليغ الرسالة وهداية الخلق والتصوص تنافيه . فقول الصاوي « والذي يجب الايمان به » الخ مردود لانه زيادة عقيدة من عقائد الدين والله قد أتم الله الدين وأكملته على لسان رسوله صلى الله عليه وآله ولم فلا نسلم لأحد أن فيه نقصا لعمه الصاوي أو الجمل أو من هو أكبر شهرة من الصاوي والجمل كالعلماء والائمة المجتهدين (وحاشاهم من ذلك)

ومن المجائب أن تجرأ مثل هذا الرجل على زيادة عقيدة في الدين ثم يجعلها إشكالا على القرآن يستبيح به تحريفه بالتأويل لا يثبتها فيزعم أن أمر الله تعالى لنبيه أن يقول « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء » ليس بيانا لعقائد الدين وإنما هو أمر بالتواضع !! وهل يكون التواضع بالكلام في العقيدة بخلاف الواقع ؟؟ إن فرضنا أن هذا يجوز أن يقع فكيف يتحقق التواضع فيه والناس لم يعلموا أنه يعلم الغيب فيحملوا كلامه على التواضع لا على ظاهره ؟ أم كيف يتحقق وقد ورد في العلم بالغيب مورد الاستدلال والحجة ومن يقول تواضعا : إني لأعلم كذا : لا يقيم الحجة على عدم علمه به . ثم إنه ينافي دعوى التواضع قوله بعد ذلك « إن أنا الانذير وبشير لقوم يؤمنون » فهو ينافي أن يكون له خصوصية غير التبليغ بالانذار والتبشير كأنه يقول ان الله تعالى أمرني أن أبلغكم بأنني لأمتاز عليكم بصفات لا توهية كالقدرة على النفع والضرر وعلم الغيب وإنما أنا بشير منكم ورحي الي » والقرآن في جملته وتفصيله مؤيد لهذه العقيدة . فتأويل الآية هذا التأويل البعيد ، لاجل حملها على هذا الاعتقاد الجديد ، هو من تفسير القرآن بالرأي وفيه ما فيه من الوعيد ، ولا يمكن اما قبل ولا مجنون أن يقول مثله في سائر الآيات

كقوله تعالى «لا يعلم من في السموات والارض الغيب» فائقوا الله أيها المؤمنون، ولا يفرنكم كل ما كتبه الميتون؛ ولا تقولوا على الله، إلا تعلمون، وإنني في خاتمة القول أذكر القاري بأجماع الامة على أن العقائد لا اجتهاد فيها ولا يؤخذ فيها باستنباط المستنبطين، وإنما يجب فيها البرهان المؤدي الى اليقين، وهذا الرأي الذي أورده الصاوي لم يقم البرهان العقلي والنقلي الاعلى خلافه كما تقدم فحين تبرأ منه، ونسأله تعالى ان يغفر له، فإنه لم يبق له الا بحسن نية كما هو شأن كثير من الذين شرعوا للناس من الدين ما لم يأذن به الله. ونحمده تعالى أن حفظ أشهر المفسرين من هذا التأويل اذلوا ابني مثل ابن جرير والبيضاوي والرازي بمثل هذا القول لتعسر محووه من نفوس العامة. وسنشبع القول في علم الغيب عند الكلام على كشف الاولياء في بقية مقالات الكرامات والحواريق ان شاء الله تعالى

﴿ باب الاخبار والاراء ﴾

﴿ تأثير الجرائد وحالها في مصر ﴾

لأنعرف في هذا المصير شيئاً يؤثر في النفوس تأثير الجرائد فهي التي تقيم الاحزاب في بلاد المدنية وتقدمها وتقمها بما تشاء من الامور العامة والخاصة لذلك يستعين بها الملوك والوزراء ورؤساء الاحزاب على الاعمال العامة كما يستعين بها الافراد على مقاصدهم الخاصة كترويج الساع بالانلان منافعتها فيها وللجرائد في مصر من التأثير نحو ما لها في غيرها ولكنها قاصرة في مصر كأن الامة قاصرة فهي تشغل الجمهور في الغالب بما يضر ولا ينفع، وتشغل الناس بأهواء اللاس وتعاقب آملهم بالاوهام، وترى الناس على كثرة ذمهم لها منقادين بزمامها فها تكبره يستكبرونه وان كان صغيراً، وما تصغره يستصغرونه وان كان كبيراً، وما تهمل البحث فيه يهملونه كأن لم يكن شيئاً مذكوراً، تجد ما تتفق عليه الجرائد يتفق عليه الاكثرون، وما تختلف فيه فهم فيه مختلفون، كل يؤيد ناطقاً، ويتبع ناعقاً، فلوان لهذه الجرائد مذاهب نافعة، ومقاصد عالية ثابتة، لبلغت بهامن ترقية الامة ماشاءت. ولكنها في الاكثر قد أضرت الامة بتجريء الصغير على الكبير، وتضييع زمن الجمهور، بالاشتغال بسفاساف الامور، وصرف الوجوه عن تربية الامة على الاستقلال، وتعليمها بكواذب الاماني الآمال، ولا غرض لها من ذلك الا الجاه والمال،

يكتب صاحب الجريدة بحسب هواه ويضحك من الناس غاشا إياهم بأنه يخدمهم

ولا عجب اذا راجت على الغافلين دعواهم أن إطرأ الامراء والحاكمين من الخدمة الوطنية ولكن العجب العجيب رواج دعواهم خدمة الدين الذي هم به جاهلون ، وعن صراطه ناكبون ، وقد ملأ الآفاق في هذه الايام صياح بعض الجرائد التي تسمي نفسها اسلامية في الشكوى من زميلهم ومحسودهم صاحب المؤيد وانيل من عرضه والطعن بنسبه والتحريض على ترك جريدته انتصار الدين بزعمهم لانه عقد على بنت عقد اشريعيا قابلا للفسخ بطاب الولي على اثبات عدم كفاءته وزعموا أنهم يريدون بذلك خدمة الدين والدفاع عنه . على ان اذا قدر الامر مرفوع الى المحكمة الشرعية فهلا انتظروا ماتحكم به فان أجازت العقد وحكمت بالكفاءة والا أطلقوا أسنة أقلامهم على صاحب المؤيد لانشائه عقدا يحتمل الفسخ غرورا بكفاءته أوجهلا بما قبله ، او اكتفوا بدم العمل من الوجهة الاجتماعية ، وجعلوه كما دتهم قاذحاف الوطنية ، وتركوا الكلام في الدين ، لاعاملين به من العالمين ،

اذا كانوا يغارون على الدين كازعموا فلما ذا لا يعلمون عقائده وأحكامه فقد جاء في جريدة اللواء أنه اذا لم ينفذ حكم المحكمة بالحيلولة بين صاحب المؤيد وزوجته تكون إرادة الله تعالى معطلة ! ! ولو جاز أن تكون الارادة معطلة لجاز أن تكون القدرة كذلك لأن القدرة تتعاقب وتتعاقد بما تتعاقب به الارادة قطعاً ولكن جريدة اللواء تجمل الارادة الالهية بمعنى الارادة السلطانية يجوز أن تنفذ ويجوز أن لا تنفذ ، فهلا تعلم أصحابها عقيدتهم وغاروا عليها . واذا كانوا يغارون على أحكام الدين كما يزعمون فلما ذا يمدحون ويطرون الاعمال المجمع على تحريمها وكفر مستحلها كالمرقص الذي يكون في قصر الامير بين النساء والرجال مع الدعوة الى شرب الخمر جهاراً . واذا كانوا يغارون على كرامة البنات ان يفعلن ما لا يليق بشرفهن من التزوج بدون إذن آبائهن كما يزعمون فلما ذا قام زعيمهم صاحب جريدة اللواء يندد بعمل محافظ مصر السابق عند ما أراد التشديد على النساء المتهتكات في الشوارع والاسواق وتبعه في ذلك كثير من الجرائد حتى اضطروا الحكومة الى منع المحافظة من ذلك وعاد النساء الى تبرجهن المحرم بعدما كدن يقلعن عنه ؟ قاية الصدق في المدافعة على الدين ان يكون المدافع عالماً عاملاً بالدين لا يحابي فيه كبيراً ولا صغيراً ، ولا سلطاناً ولا أميراً ، وهو لا يعلم ولا يعمل ، ولكنهم يحلون بأهوائهم ويحرمون ، ويرتكبون سبعين منكر ابدعوى إزالة منكر واحد ولا يبالون ، فاعتبروا بجر شديكم أيها المسلمون .

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

المعراج

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتمون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر — السبت غرة جمادى الثانية سنة ١٣٢٢ — ١٣ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٤)

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى
اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلِ نَتَّبِعُ مَا
أَفْنَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا: أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ *

ذكر الجلال أن الآية الأولى نزلت فيمن حرم السوائب ونحوها
ولكنه لم يذكر ذلك في أسباب النزول وقد كان هذا في طوائف من
العرب كمدلج وبني صمصمة وقال الأستاذ الامام لوصح أن الآية نزلت

في ذلك لما كان مقتضيا فصل الآية مما قبلها وجماعها كلاما مستأنفاً لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب على أن الظاهر من السياق أن الكلام متصل بما قبله أتم الاتصال فإن الآيات الأولى بينت حال متخذي الأنداد وما سيلاقون من عذاب الله تعالى ، وقد قلنا في تفسيرها أن الأنداد قسمان قسم يتخذ شارعا يؤخذ برأيه في التحليل والتجريم من غير أن يكون بلاغا عن الله ورسوله بل يجعل قوله وفعله حجة بذاته لا يسئل من أين أخذه وهل هو فيه على هدى من ربه أم لا ، وقسم يعتمد عليه في دفع المضار وجلب المنافع من طريق السلطة الغيبية لا من طريق الأسباب حتى إنهم ليعتمدون على إغاثة هؤلاء الأنداد بعد موتهم وخروجهم من عالم الأسباب ، ثم بينت أن الناس يتبع بعضهم بعضا في ذلك وإن سيطر الذين اتبعوا من الذين اتبعوا عند رؤية العذاب وتقطع الأسباب بينهم ، وقلنا في تفسيرها إن الأسباب هي المنافع التي يجنيها الرؤساء من المرؤسين والمصالح الدنيوية التي تصل بعضهم ببعض . وفي هذه الآيات يبين تعالى أن تلك الأسباب محرمة لأنها ترجع إلى كل الخبائث واتباع خطوات الشيطان ونهى عنها وبين سبب جودهم على الباطل والضلال وهو الثقة بما كان عليه الآباء من غير عقل ولا هدى ، فالكلام متمم لما قبله قطعاً

قال تعالى (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً) الحلال هو غير الحرام الذي نص عليه في قوله تعالى « قل لا أجد فيما أوحى إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوفاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به » فما عدا هذا كله مباح بشرط أن

يكون طيبا. وفسر الجلال الطيب بالجلال على أنه تأكيد أو بالمستلذ ورجح الأستاذ الامام أنه مالا يتعلق به حق الغير وهو الظاهر لأن المراد بمحصر التحريم فيما ذكر المحرم لذاته الذي لا يحل الا للمضطر وبقي المحرم لمعارض فتعين بآنه وهو ما يتعلق به حق الغير ويؤخذ بغير وجه صحيح كما يكون في أكل الرؤساء من الرؤسين بلا مقابل الا أنهم رؤساؤهم المسيطرون عليهم وكذلك أكل المرءوسين بجاه الرؤساء فان كلا منهما يمد الآخر ليستمد منه في غير الوجوه المشروعة التي يتساوى فيها جميع الناس ، وبهذا التفسير يتحرر ما أباحه الدين وتلتئم الآية مع ما قبلها. وأتبع الأمر النهي فقال (ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) أما خطواته فهي ما يبينه في الآية التالية وأما كونه عدوا مبينا فهو لا يتوقف على معرفة ذاته وانما يعرف الشيطان بهذا الاثر الذي ينسب إليه وهو وحي الشر وخواطر الباطل والسوء في النفس فهو منشأ هذا الوحي والخواطر الرديئة قال تعالى « شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا » ولا أبين وأظهر من عداوة داعية الشر والضلال فعلى الانسان أن يلتفت الى خواطره ويضع لها ميزانا فاذا مالت نفسه أو عرض له سبب معاونة عامل على خير أو صدقة على بائس فقير فعارضه خاطر التوفير والاقتصاد فليعلم أنه من وحي الشيطان ولا يندفع لما يسو له من إرجاء هذا العطاء لأجل وضعه في موضع أنفع ، وبذله لفقر أحوج ، واذاهم بدفاع عن حق وأمر بمعروف أو نهى عن منكر فخطر له ما يثبط عزمه أو يمسك لسانه فليعلم أنه من وسواس الشيطان ، وأظهر وحي الشياطين الاندفاع الى التحريم والتحليل لأجل المنافع التي تلبس على المتجرى عليها

بالمصلحة وسياسة الناس ، كأنه قال لا تتبعوا وحي الشر وخواطره تلم بكم
وتظوف في نفوسكم ثم بين ذلك بما يفيد تعليل النهي فقال

(انما يأمركم بالسوء والفحشاء) فأما السوء فهو كل ما يسوءك وقوعه

أو عاقبته فمن الشرور ما يقدم عليه المرء منذ فعا بتزيين الشيطان العمل له حتى
حتى اذا فعل الشر فاجأه السوء وعاجله الضرر ، ومن الأعمال مالا يظهر
السوء في بدايته ، ولكنه يتصل بنهايته ، كمن يصده عن طلب العلم لم أن
بعض المتعلمين أضاع وقته وبذل كثيرا من ماله ثم لم يستفد من التعلم شيئا ،
فهذا قياس شيطاني يصرف بعض الناس عن طلب العلم بأنفسهم وبعض الآباء
عن تعليم أولادهم فتكون عاقبتهم السوءى فلا بد من البصيرة والتأمل في
تمييز بعض الخواطر الشيطانية فان منها مالا يظهر بادي الرأي ،

وأما الفحشاء فكل ما يفتح في أعين الناس من المعاصي والآثام ولا يختص
بنحو الزنا كما قال بعضهم والفحشاء في لغالب أقبح وأشد من السوء. وأسوأ
السوء مبدأ وعاقبة ترك الأسباب الطبيعية التي قضت حكمة الباري بربط
المنسببات بها اعتمادا على أشخاص تعتقد فيهم السلطة الغيبية والتصرف في
الآثام كوان بدون اتخاذ الأسباب ، ومثله اتخاذ رؤساء في الدين يؤخذ بقولهم
ويعتمد على فعلهم ، من غير أن يكون بيانا وتبليغا لما جاء عن الله ورسوله
فان في هذين النوعين من السوء إهمالا لنعمة العقل وكفرا بالمنعم بها ، واعراضا
عن سنن الله تعالى وجهلا باطرادها ، وصاحبه كمن يطلب من السراب
الماء ، أو ينعق بما لا يسمع غير الدعاء والنداء ، وهذا شأن متخذي الأنداد ،
ومن يضل الله فإله من هاد ، وأما الرؤساء الذين يحملون العامة على هذا
التقليد في الأمرين فقد بين تعالى اتباعهم لوحي الشيطان بقوله (وأن تقولوا

على الله ما لا تعلمون) وهذا أقبح ما يأمر به الشيطان فانه الأصل في إفساد العقائد ، وتحريف الشرائع ، واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير ، أليس من القول على الله بغير علم زعم هؤلاء الرؤساء ان لله وسطاء بينه وبين خلقه لا يفعل سبحانه شيئاً بدون وسطاتهم فحولوا بذلك قلوب عباده عنه وعن سننه في خلقه ووجهوها الى قبور لا تمتد ولا تحصى والى عبيد ضعفاء لا يملكون لأنفسهم ضرراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، أليس من القول على الله بغير علم ما اختلقوه من الحيل لهدم ركن الزكاة وهو من أعظم أركان الاسلام ، أليس من القول على الله بغير علم ما زادوه في أحكام العبادة والحلال والحرام عما ورد في الكتاب والسنة المبينة له والنبي صلى الله عليه وسلم يقول عن الله تعالى « وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها » ؟ بلى . قال الأستاذ الإمام هنا : كل من يزيد في الدين عقيدة أو حكماً من غير استناد الى كتاب الله أو كلام المعصوم فهو من الذين يقولون على الله ما لا يعلمون ، : ومثل لذلك بالزائحات للقبور وما يأتيه هناك من البدع والمنكرات باسم الدين ، وبتشجيع الجنائز بقراءة البردة ونحوها بالنعمة المعروفة وبحمل المباخر الفضية والأعلام أمامها ، وبالاجتماع لقراءة الدلائل ونحوها من الأوراد بالصياح الخاص ، وقال ان كل هذا جاء من استحسان ما عند الطوائف الأخرى ، وليس في الاسلام صيغة غير صيغة الأذان ، وقد قال تعالى في الصلاة « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها » وأما التلبية فلم يشرع فيها رفع الأصوات والصياح وإنما يكون العجيج من كثرة الناس واختلاف أصواتهم وان لم يرفعوا عقيرتهم جهد المستطاع كما يفعل مقلدة التصوف .

قال وان كثيرا من البدع في العقائد والاحكام قد دخلت على المسلمين بتساهل رؤساء الدين وتوهمهم أنها تقوي أصل العقيدة وتخضع العامة لسلطان الدين - أو سلطانهم المستند الى الدين - ولقد دخلت كنيسة بيت لحم فسمعت هناك أصواتا خيل الي أنها أصوات طائفة من أهل الطريق يقرأون حزب البر مثلًا ثم علمت أنهم قسيسون ، فهذه البدع قد سرت إلينا منهم كما سرت إليهم من الوثنيين ، استحسنا منهم ما استحسناه من أولئك توهمًا أنه يفيد الدين أبهة وفخامة ويزيد الناس به استمساكا ، فكان أن ترك الناس مهمات الدين اكتفاء بهذه البدع فإن أكثر الصالحين في الأضرحة وقباب الأولياء وفي الطرق والأسواق بالأثر والادوار والأحزاب لا يقيمون الصلاة ومن عساه يصلي منهم فانه لا يحرص على الجماعة بعض حرصه على الاجتماع للصياح بقراءة الحزب في ليلة الولي فلان . ولقد أنس الناس بهذه البدع ، واستوحشوا من شعائر الدين والسنن ، حتى ظهر فيهم تأويل قوله عز وجل -

(وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) لم يخاطب هؤلاء ببطلان ما هم عليه وتشنيعه خطابا بل حكى عنهم حكاية وبين فساد مذهبهم فيها كأنه أنزلهم منزلة من لا يفهم الخطاب ولا يعقل الحجج والدلائل كما بين ذلك بالتمثيل الآتي . ولو كان للمقلدين قلوب يفقهون بها لكانت هذه الحكاية كافية بأسلوبها لتفجيرهم من التقليد فانهم في كل ملة وجيل يرغبون عن اتباع ما أنزل الله استئناسا بما ألفوه مما ألفوا آباءهم عليه وحسبك بهذا شناعة اذ العاقل لا يؤثر على ما أنزل الله تقليد احد من الناس مهما كبر عقله وحسن سيره إذ ما من عاقل الا وهو

عرضة للخطأ في فكره ، وما من مهتد الا ويحتمل أن يضل في سيره ،
 فلا ثقة في الدين الا بما أنزل الله ، ولا معصوم الا من عصم الله ، فكيف
 يرغب العاقل عما أنزل الله الى اتباع الآباء مع دعواه الايمان بالتنزيل ،
 على أنه لو لم يكن مؤمنا بالوحي لوجب أن ينفره عن التقليد قوله تعالى
 (أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) فان هذا حجة عقلية لا تنقض
 أي أيتبعون ما ألفوا عليه آباءهم ولو كان آباؤهم لا يسلكون طريق العقل
 بالاستدلال على أن ما هم عليه من العقائد هو الحق ، ولا يهتدون طريق
 الاعتدال المشروع في أعمالهم وأحوالهم ، قال الجلال : لا يعقلون شيئا من
 أمر الدين : وقال الأستاذ الإمام عقل الشيء معرفته بدلائله ، وفهمه
 بأسبابه ونتائجه ، وأقرب الناس الى معرفة الحق الباحثون الذين ينظرون في
 الدلائل بقصد صحيح ولو في غير الحق لأن الباحث المستدل اذا أخطأ
 يوما في طريق الاستدلال أوفى موضوع البحث فقد يصيب في يوم آخر
 لأن عقله يتعود على الفكر الصحيح واستفادة المطالب من الدلائل ،
 وأبعد الناس عن معرفة الحق المقلدون ، الذين لا يبحثون ولا يستدلون ،
 لأنهم قطعوا على أنفسهم طريق العلم ، وسجلوا على عقولهم الحرمان من
 الفهم ، فهم لا يوصفون بإصابة لأن المصيب هو من يعرف أن هذا هو
 الحق والمقلد إنما يعرف ان فلانا يقول إن هذا هو الحق فهو عارف
 بالقول فقط. ولذلك ضرب لهم المثل في الآية الآتية بعد ما سجل عليهم
 الضلالة بعدم استعمال عقولهم

فان قيل إن الآية إنما تمنع اتباع غير من يعقل الحق ويهتدي الى حسن
 العمل والصواب في الحكم ولا كنها لا تمنع من تقليد العاقل المهتدي :

نقول ومن أين يعرف المقلد أن متبوعه يعقل ويهتدي اذا لم يقف على دليله ؟ فان هو اتبعه في طريقة الاستدلال حتى وصل الى ما وصل على بصيرة فان الآية لا تنعي عليه هذا إذ هو استفادة للعلم محمود . قال الاستاذ الامام : رأيت لبعض السلف أنه قال لو أن شخصا رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في حياته وسمع قوله واقتدى به من غير نظر في نبوته يؤدي الى الوصول الى اعتقاد صحتها بالدليل لعد مقلدا ولم يكن على بصيرة كما أمر الله المؤمن أن يكون

قال تعالى في المقلدين انهم لا يعقلون شيئا وربما يشكل هذا العموم على بعض الافهام وقد بين له الاستاذ الامام ثلاثة أوجه أحدها أن معناه لا يستعملون عقولهم في شيء مما يجب العلم به بل يكتفون فيه كله بالتسليم من غير نظر ولا بحث وهو ماهر ، وثانيها أنه جار على طريقة البلاء في المبالغة بجعل الغالب أمرا كلياً عاماً ، يقولون في الضال في عامة شؤونه أنه لا يعقل شيئا ولا يهتدي الى صواب ، ويقولون في التلبذ أنه لا يفهم شيئا ، وهذا لا ينا في أن يفهم الثاني بعض المسائل ويعقل الاول بعض الاشياء وثالثها أنه ليس الغرض من العبارة نفي العقل عن آباءهم بالفعل وانما المراد منها : أيتبعون آباءهم لذواتهم كيفما كان حالهم حتى لو كانوا لا يعقلون ولا يهتدون ؟ كأنه يقول ان اتباع الشخص لذاته منكر لا ينبغي ، وهذا قول مألوف فمن يقول أنا أتبع فلانا في كل ما يعمل يقال له أتعلمه ولو كان لا يعمل خيرا ؟ أي ان من شأن من يتبع آخر لذاته لالكونه محسنا ومصيبا أن يتبعه في كل شيء وان كان كل عمله باطلا لأنه لا يفرق بين الحق والباطل والخير والشر الا من ينظر ويميز وهذا لا يتبع أحدا لذاته كيفما كان حاله

مناظرة بين مقلد وصاحب حجة

(تابع لما في الجزء السابع)

(الوجه التاسع والستون) قولكم انكم في تقليدكم بمنزلة المأموم مع الامام والمتبوع مع التابع فالركب خلف الدليل : جوابه انا والله حولها نذندن ولكن الشأن في الامام والدليل والمتبوع الذي فرض الله على الخلائق أن تأتم به وتقدمه وتسير خلفه وأقسم الله سبحانه بعزته أن العباد لو أتوه من كل طريق واستقتحووا من كل باب لم يفتح لهم حتى يدخلوا خلفه فهذا لعمر الله هو امام الخلق ودليلهم وقائدهم حقاً ولم يحمل الله منصب الإمامة بعده الا لمن دعا اليه ودل عليه وأمر الناس ان يقتدوا به ويأتموا به ويسيروا خلفه وأن لا ينصبوا لنفوسهم متبوعاً ولا إماماً ولا دليلاً غيره بل يكون العلماء مع الناس بمنزلة أئمة الصلاة مع المصلين كل واحد يصلي طاعة لله وامثالاً لأمره وهم في الجماعة متعاونون متساعدون ومنزلة الوفد مع الدليل كل واحد يحج طاعة لله وامثالاً لأمره لا ان المأموم يصلي لاجل كون الامام يصلي بل هو يصلي صلى إمامه اولاً . بخلاف اقلد فإنه انما ذهب لقول متبوعه لانه قاله لا لأن الرسول قاله ولو كان كذلك لدار مع الرسول أين كان ولم يكن مقلداً فاحتجاجهم بامام الصلاة ودليل الحاج من أظهر الحجج عليهم ، يوضحه -

(الوجه السبعون) ان المأموم قد علم ان هذه الصلاة هي التي فرضها الله على عباده وأنه وامامه في وجوبها سواء وان هذا البيت هو الذي فرض الله حجه على كل من استطاع اليه سبيلاً وأنه هو والدليل في هذا الفرض سواء فهو لم يحج تقليداً للدليل ولم يصل تقليداً للامام . وقد استأجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم دليلاً يدلّه على طريق المدينة لما هاجر الهجرة التي فرضها الله عليه وصلى خلف عبد الرحمن بن عوف مأموماً . والعالم يصلي خلف مثله ومن هو دونه بل خلف من ليس بعالم وليس ذلك من تقليده في شيء ، يوضحه -

(الوجه الحادي والسبعون) ان المأموم يأتي بمثل ما يأتي به الامام سواء ، والركب يأتون بمثل ما يأتي به الدليل ، ولو لم يفعلوا ذلك لما كان هذا متبوعاً فالتبوع للأئمة هو الذي يأتي بمثل ما أتوا به سواء من معرفة الدليل وتقديم الحجة وتحكيمها حيث كانت ومع

من كانت فهذا يكون متبعاً لهم ، وأما مع إعراضه عن الأصل الذي قامت عليه إمامتهم
وبذلك غير سبيلهم ثم يدعي أنه مؤتم بهم فذلك أمانهم ويقال لهم « هاتوا برهانكم
أن كنتم صادقين »

(الوجه الثاني والسبعون) : قولكم أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فتحوا البلاد وكان الناس حداثي عهد بالاسلام وكانوا يفتونهم ولم يقولوا لا خدمهم
« عليك أن تطلب الحق في معرفة هذه الفتوى بالدليل » : جوابه إنهم لم يفتوهم بأرائهم
وإنما بلغوهم مقاله نبيهم وفعله وأمر به فكان ما أفتوهم به هو الحكم وهو الحاجة
وقالوا لهم هذا عهد نبينا إلينا وهو عهدنا إليكم فكان ما يجبرونهم به هو نفس الدليل
وهو الحكم فان كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الحكم وهو دليل
الحكم وكذلك القرآن ، وكان الناس إذ ذاك إنما يحرصون على معرفة مقاله نبيهم
وفعله وأمر به وإنما تبلغهم الصحابة ذلك فإين هذا من زمان إنما يحرص الناس فيه
على مقاله الآخر فالآخر وكل تأخر الرجل أخذوا كلامه وهجروا وأوكادوا بهجرون
كلام من فوقه حتى تجد أتباع الأئمة أشد الناس هجراً لكلامهم وأهل كل عصر إنما
يقضون ويفتون بقول الأدي فالأدي إليهم وكلما بعد العهد ازداد كلام المتقدم هجراً
ورغبة عنه حتى أن كتبه لا تكاد تجد عندهم منها شيئاً بحسب تقدم زمانه (١). ولكن
أين قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للتابعين : لينصب كل منكم لنفسه
رجلاً يختاره ويقله دينه ولا يلتفت إلى غيره ولا يتأق الاحكام من الكتاب والسنة

(١) المنار : أن السبب الطبيعي للتقليد هو ثقة الانسان بمن يراه أعلم منه وثقة
المتأخرين بمشايخهم يأخذون أقوالهم بالقبول وان خالفت أقوال الأئمة مع اعتراف
شيوخهم بأنهم مقلدون ويحتجون على هذا بما يحتاج به المشايخ على وجوب تقليد الأئمة
وتقديم أقوالهم على نصوص الشارع وهو أنهم أعلم بكلام الشارع منا ، فالشافعية في
مصر مثلاً يقولون قال الشرحاوي أن موضة السيد البدوي مستثناة من المياه النجسة والمتغيرة
فيجوز الوضوء منها فإذا قيل لهم هذا مخالف لكلام الشافعي وأصحابه قالوا هو أعلم
بكلامهم منا وقد قال ماقال !! وهكذا اتباع كل طائفة فهم لا يقدرون الاثمة الا بما يجيزه
مشايخهم فهم مقلدون للمقلدين وهذا باطل بالاجماع ولكن ماذا تقول للمقلد الذي يستدل
بجهله ولا يقبل الدليل

بل من تقليد الرجال فإذا جاءكم عن الله ورسوله شيء وعن من نصبتموه إماما تقلدونه
(قول يخالفه) فخذوا بقوله ودعوا ما بلغكم عن الله ورسوله:؟ فوالله لو كشف
الغطاء وحقت الحقائق لرأيتم نفوسكم وطريقكم مع الصحابة كما قال الأول:

نزلوا بمكة في قبائل هاشم ونزلت بالبيداء أبعد منزل

وكما قال الثاني

سارت مشرقة وسرت مغربا شتان بين مشرق ومغرب

وكما قال الثالث

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يماني

(الوجه الثالث والسبعون) قولكم: إن التقليد من لوازم الشرع والقدر والمكترون
له مضطرون إليه ولا بد كما تقدم بيانه من الأحكام: جوابه أن التقليد المنكر المذموم ليس
من لوازم الشرع وإن كان من لوازم القدر بل بطلانه وفساده من لوازم الشرع كما
عرف بهذه الوجوه التي ذكرناها وأضعافها وإنما الذي من لوازم الشرع المتابعة. وهذه
المسائل التي ذكرتم أنها من لوازم الشرع ليست تقليدا وإنما هي متابعة وامتناع فان أيتم
الاتسميتها تقليدا فالتقليد بهذا الاعتبار حق وهو من الشرع ولا يلزم من ذلك أن يكون
التقليد الذي وقع النزاع فيه من الشرع ولا من لوازمه وإنما بطلانه من لوازمه. يوضحه -
(الوجه الرابع والستون) أن ما كان من لوازم الشرع فبطلان ضده من لوازم
الشرع فلو كان التقليد من لوازم الشرع لكان بطلان الاستدلال واتباع الحجة في
موضع التقليد من لوازم الشرع فان ثبوت أحد التقيضين يقتضي انتفاء الآخر وصحة
أحد الضدين توجب بطلان الآخر. ونحضره دليلا فتقول لو كان التقليد من الدين لم
يجز العدول عنه إلى الاجتهاد والاستدلال لأنه يتضمن بطلانه. فان قيل: كلاهما من الدين
وأحدهما أكل من الآخر فيجوز العدول من المفضل إلى الفضل: قيل إذا كان قد انسد
باب الاجتهاد عنكم وقطعت طريقه وصار الفرض هو التقليد فالعدول عنه إلى ما قد سد
بابه وقطعت طريقه يكون عنكم معصية وفاقله آثم؛ وفي هذا من قطع طريق العلم
وإبطال حجج الله وبياناته وخلو الأرض من قائم لله بحججه ما يبطل هذا القول

ويدحضه، وقد ضمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه لا تزال طائفة من أمته على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة، وهؤلاء هم أولو العلم والمعرفة بما بعث الله به رسوله فانهم على بصيرة وبينة بخلاف الأعمى الذي قد شهد على نفسه بأنه ليس من أولي العلم والبصائر . والمقصود أن الذي هو من لوازم الشرع فالمتابعة والافتداء وتقديم النصوص على آراء الرجال وتحكيم الكتاب والسنة في كل ما تنازع فيه العلماء . وأما الزهد في النصوص والاستغناء عنها بآراء الرجال وتقديمها عليها والانكار على من جعل كتاب الله وسنة رسوله وأقوال الصحابة نصب عينيه وعرض أقوال العلماء عليها ولم يتخذ من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة فبطلانه من لوازم الشرع ولا يقيم الدين الا بآء نكاره وإبطاله ، فهذا لون والاتباع لون والله الموفق

(الوجه الخامس والسبعون) قولكم : كل حجة أثرية احتججتم بها على بطلان التقليد فانتم مقلدون لحملتها ورواتها ليس بيد العالم التقليد الراوي ولا بيد الحاكم التقليد الشاهد ولا بيد العامي التقليد العالم الى آخره : جوابه ما تقدم مرارا من أن هذا الذي سميتموه تقليدا هو اتباع أمر الله ورسوله ولو كان هذا تقليدا لكان كل عالم على وجه الأرض بعد الصحابة مقلدا بل كان الصحابة الذين أخذوا عن انظارهم مقلدين ومثل هذا الاستدلال لا يصدر الا من مشاغب أو ملبس يقصد لبس الحق بالباطل . والمقلد لجهله أخذ نوعا صحيحا من أنواع التقليد واستدل به على النوع الباطل منه لوجود القدر المشترك وغفل عن القدر الفارق وهذا هو القياس الباطل المتفق على ذمه وهو أخوه هذا التقليد الباطل كلاهما في البطلان سواء . واذا جعل الله سبحانه خبر الصادق حجة وشهادة العدل حجة لم يكن متبع الحجة مقلدا ، واذا قيل أنه مقلد للحجة فيها لاهذا التقليد وأهله وهل ندندن الاحولة . والله المستعان .

باب السؤال والفتوى

فتعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا ورمقا قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن يحضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان عندنا سبب صحيح لا غفاله

فناء الاجساد والحشر - إشكال

(س ٥١) مصطفى أفندي رشدي المورلي بناية (الزقازيق) : قلتم عند الرد في

المنار على السائل هل الحشر بالاجساد أو الارواح فقط انه بالروح لان الجسم ينفى كل عشرات من السنين كذلك الدم في كل شهوور (كذا) فاذا قلنا ان الجسم يتغير في حال الحياة كما أثبتته الطب فلماذا نرى الوشم الاخضر ثابتا على الاجسام طول العمر من الصغر الى الكبر

(ج) اتنا لم نقل بان الحشر يكون بالارواح فقط كما يفهم من السؤال بل صرحنا بأن الحشر يكون بالروح والجسد ولكن لا يجب ان يكون الجسد الذي يمود هو الذي كانت الاعمال التكليفية به لان هذا الجسد لا يثبات له كما قلنا بل هو يتخلل في كل بضع سنين ويبدل بغيره تدريجيا ويبقى الانسان كما هو فاذا عاد في الآخرة بغير هذا الجسد لا يستلزم ذلك ان تكون الحقيقة قد تغيرت لان الحقيقة هي الروح وما الجسم الا نوب لها كما أوضحناه هناك فليراجع . اما الاشكال الذي أورده السائل على ما تقر في العلم من تبدل جسد الانسان مرات كثيرة فجوابه أنه كلما انحلت دقيقة من دقائق الجسم تخلفها دقيقة حية مثلها كما وكيفا والوشم من الكيفيات التي تنتقل من الدقائق الميتة الى الدقائق الحية عند التحليل والتركيب لأنه ليس صبغا على ظاهر الجلد بل هو مما يتأثر به الدم والعصب فيكون كاللون الطبيعي . كذلك آثار الجروح في البدن تكون ثابتة فالخلايا الحية التي تخلف المنحطة في موضع الاندمال تأخذ شكلها الاول وعلى ذلك فقس

﴿ الحيلة والتوهم في دعوى مشاهدة أشباح الشهداء ﴾

(س ٥٢) م. غ. في (سوريا): قرأت في العدد الخامس من منار هذه السنة جوابكم على السؤال التاسع عشر فذكرني واقعة جرت معي وأنا في السابعة أو الثامنة من العمر فاحببت ان أقصها على سيادتكم لأرى رأيكم فيها. كنت في مدرسة وكان الطريق اليها قريبا من مقبرة فكان دأبي أن أمر على المقبرة كل يوم صباح مساء لأقرأ الفاتحة لشهيد فيها يسمونه زين العابدين ، فيوماً أنا واقف في قبة هذا الشهيد رأيت يداً مجردة عن الجسم تدور فوق الصندوق الموضوع على قبره فحدقت ببصري برهة لا أرى بقية الجسد فلم أرسثا فدهشت حينئذ واستولى عليّ الجزع وفررت هارباً الى البيت وقصصت ما رأيته على والدي ، ولم أزل أذكر ذلك كلما مررت بطريق ذلك الشهيد فالمرجو من فضيلتكم

كشف القناع عن هذا الأمر، على أنكم تعلمون حق العلم أنني من أشد الناس إنكار البدع والخرافات والاهوام والضلالات لأخاف في ذلك لومة لائم لأنني أعتقد أن الحباة في دين الله غير جائزة ولو لغرض صحيح كما أوضحتموه في المنار الزاهر غير مرة

(ج) يزعم الألوف من المصريين أنهم يرون أشباح الشهداء في الهنسا تطوف في أعلى قبة هناك وقد أراد بعض علماء الأزهر اكتشاف هذا الأمر الذي يستند فيه العوام إلى المشاهدة فذهب غير واحد إلى هناك غير مرة فبين لهم أن هذه الكرامة مصنوعة للمرترزين هناك من السدنة وأن الذي يرى في القبة إنما هو ظللال رجال يطوفون وقت الاصيل حول القبة في مكان يحاذي السكوى من أعلاها فيوهم السدنة النساء والأطفال ومن في حكمهم من الرجال أنها شخص الشهداء. حدثني بهذا الشيخ محمد بن حيت العضو الأول في المحكمة الشرعية العليا والشيخ أبو الفضل الجيزاوي من مدرسي الدرجة الأولى في الأزهر كل على حدته. زاد الأول اكتشاف حيلة أخرى وهي أنهم يطعمون الناس في قبر هناك على رأس مكسو بشعر طويل يزعمون أنه رأس شهيد لم يتغير عمره والقرون عليه ولكن الشيخ وصل إلى الرأس فذا هو ججمة قديمة بالية وإذا بالشعر قد ألصق عابها حديثا بنحو صمغ أو غراء، لأنجل التغير والاغراء، ولهوؤلاء الدجالين حيل كثيرة في خداع الأغراء، وحسبك قصة أحمد المغربي السابقة في الاعتبار، وهناك تعليل آخر لما يترامى لبعض الناس من نحو الذي ظهر لكم وهو أن اشتغال الخيال بالشيء من هذا القليل ينتهي أحيانا بتمثل بعض الخيالات للمرء كأنها محسوسة كما شرحنا ذلك في مبحث رؤية الأرواح من مقالات الحوارق والكرامات فراجع في مجلد المنار السادس فالأرجح عندي أن ما ظهر لكم من هذا القليل ومنه ما نسب إلى الشيخ أحمد الرفاعي أو إلى الشيخ علي أبي شبك الرفاعي من رؤية كف النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقظة نهى رؤية خيالية لا حقيقية حسية. على أن رؤية الأرواح غير مستحيلة عقلا ولكن العاقل لا يسلم بخلاف مقتضى الظاهر الإبدليل قطعي لا يحتمل التأويل ودعوى رؤية أرواح الأولياء وأجساد الشهداء كانت شائعة في كثير من بلاد أوروبا في القرون المتوسطة التي يسمونها المظلمة فلما جاء عصر العلم والنور تلاشت تلك الدعاوي فلم يبق لها الاثر ضعيف في بعض عامة القرى. وكذلك يكون في غير تلك البلاد فإن

سته تعالى في جميع اصناف البشر واحدة. ثم ان المشتغلين بالعلم من الاوربيين يدعون أنهم وصلوا أخيراً الى اكتشاف طريقة صناعية لاستحضار الارواح ورؤيتها وان بعض الناس أشد استعداداً لها من بعض ، فان صح هذا كان طريقاً طبيعياً لتعليل بعض المشاهدات ، ولكنها لا تعد من قبيل الكرامات ،

﴿ رائحة الأولياء ورؤيتهم وشفاء المرضى برؤيتهم ﴾

(س ٥٣) أحمد زكي أفندي عبده في (السويس) : قد اطاعت في الجزء الخامس على جواب سؤال عنوانه (اثبات الولاية بالرؤى والاحلام) حماني على سؤال حضررتكم عما يحصل في بعض البيوت التي فيها قبور تنسب الى بعض أولياء الله تعالى من الرائحة الذكية التي تحدث في ليال معلومة من كل شهر تقريباً على اني شممت هذه الرائحة وما كان في البيت بخور .. وأذكر لحضرتكم أن وجيها حدثني بأنه مرض منذ سنين مرضاً حار في علاجه الاطباء ، فز الشفاء ولم ينجح الدواء ، الى أن رأى ذات ليلة وهو بين النائم واليقظان شخصاً ولي مدفون في البيت دخل عليه ووضع يده على خده مدة قليلة ثم رجع من حيث أتى . وما جاء الصبح الا وقد شفي من مرضه وعافاه الله . وانه وصف اليه بأنها ليست يد آدمي وانها كوسادة ناعمة لينة محشوة قطناً وضعت على خده ثم رفعت . أرجو الافادة عن هذه الحوادث وما يشاكلها من رؤية الولي المدفون في البيت يصلي أو يسبح أو يتوضأ بما هو شائع أمره ولكم من الله الاجر .

(ج) ما من مسألة من المسائل التي تضمنها هذا السؤال الا وقد تقدم في المنار ما يفهم منه تعليلها الا الرائحة ولكن أكثر الناس يحبون ان نكتب اسكل جزئية لتعليلها فاما الرائحة الذكية فسببها أن بعض الناس يضعون البخور او الاعطار عند قبر الولي في الليالي الممهودة بلا شك وهو أمر قد عرفناه واختبرناه . ولقد حدث لنا ما هو أبعد منه عن التأويل وهو أننا كنا في أيام سلوك الطريقة النقشبندية نشم في وقت الذكر رائحة ذكية جداً تأتي نفحة بعد نفحة ثم تذهب ولقد كنا نعلمها أو لا اذا حدثت ونحن في حلقة الذكر الاجتماعي التي يسمونها الختم بأن بعض الحاضرين فتح زجاجة عطرية ثم سدوها ونحن لا نراه لان أعيننا تكون مغمضة مدة الختم ثم ان ذلك صار يحدث لنا ونحن نذكر الله تعالى ولو في خلوة باهافاق وليس معانفها أحد . واتناع عجزنا عن تعليل طبيعي لذلك فنحزم بأن ما يشم عند القبور عادة له سبب طبيعي وهو ما ذكرناه آنفاً لأنه لو كان أمراً روحانياً أو هيمياً كان عاماً يشمه كل من حضر بل الروحانيون او الواهمون خاصة

وأما المريض الذي شفي عقيب الرؤيا فلك أن تعلق شفاءه بما تقدم شرحه في بحث (إبراء العال) بالكرامة أو الوهم من المجلد السادس. على أن صاحبك قد طال عليه زمن المرض ومن الأمراض ما يشفي بدون علاج إذا انتهى سيره وأعرف رجلاً في طرابلس مرض مرضاً طويلاً لم ينجع فيه علاج حتى إذا كان ذات ليلة شعر بأن في غرفته صينية من (الكيبية) فزحف على استه وكان لا يقدر على القيام حتى وصل إليها فأكلها برمتها ولم يكن في حال الصحة ليقدر على أكل نصفها أو ربعها فأصبح معافاً. واذكر أن المقتطف سئل مرة عن رجل مقعد معروف في لبنان رأى ذات ليلة بعض القديسين المعتقدين عندهم أو المسيح أو مريم عليهما السلام (الشك) في فأصبح يمشي فأقْبَصَ ويصرون بأيكم المقتون ومثل هذه الحكايات كثيرة وتعليمها ما شرعناه من قبل ونهنا عليه آنفاً. فإن كان السائل أو غيره يظن أن هذا خاص بالمسلمين فلما ذا لم يكن شائعاً فيهم أيام كانوا قائمين بحقوق الإسلام في الصدر الأول. ولماذا شاع فيهم بشيوع نزغات الوثنية وضروب البدع والضلالة؟؟ وأما روية الاولياء فتقدم تعليمها كما نبهنا في جواب السؤال السابق

مسافة القصر في سكك الحديد

(س ٥٤) رشيد افندي غازي في الشام:

لا يخفى أن علماء الفروع قد حددوا سفرأ مخصوصاً للمسافر حتي يجوزوا قصر الصلاة به. وهذه المدة تنطبق على المسافر من مدينة بيروت الى دمشق أو من حمص الى طرابلس أو منها الى دمشق أو من مصر الى الاسكندرية فلو تزوج دمشقي مثلاً من بيروت ثم سافر الى بلده على القطار الحديدي ومعه أهله واثاث يتنقطع المدة المعلومة في بضع ساعات فهل يجوزوا له قصر الصلاة أم لا. وإذا جازله فهل من دليل على ذلك يتأجلج الصدر وتطمئن له النفس أم لا. ولو ادعى مدع أن القصر في هذه المدة القليلة غير جائز فما الدليل المصادم لدليله على طريقة الاصوليين. فذلك أحببت نشر هذا السؤال على صفحات جريدتكم الفراء لتتنو الاجوبة وتكون معلومة لعموم المكلفين. اذ لو كان سؤالاً خاصاً لعالم خاص لم تحصل الثمرة المطلوبة وهو الهادي

(ج) ان الله تعالى أباح لنا قصر الصلاة والتميم والفطر في السفر ولم يحدد لنا طول المسافة فكان مقتضى الظاهر ان تباح هذه الرخص في كل ما يطلق عليه اسم السفر لفة

ولكن العلماء حاولوا تحديد أقل مسافة لهذه الرخص بما ورد فيها من قول الشارع أو عمله فاختلفوا في ذلك على أقوال كثيرة وجعلوا التقدير بالأميال والفراسخ والراحل والعبرة عندهم بسير الأثقال المعتدلة فن قطع المسافة المقدرة بأقل من الزمن الذي تقطع فيه يسير الأثقال كان له أن يترخص بالإخلاف فلا فرق إذن بين قطعها في السكة الحديدية بقوة البخار وقطعها على فرس سابق فلك أن تخرج من يمارضك من المقلدين بعدم تفرقة الفقهاء . وأما من يطالب بالحجة الحقيقية فلك أن تجبه باطلاق السفر في الكتاب والسنة مع ماورد في مسند أحمد وصحيح مسلم وسنن أبي داود من حديث شعبة عن يحيى بن يزيد الهنائي قال سألت أنسا عن قصر الصلاة فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ صلى ركعتين : (الشك من شعبة) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري وهو أصح حديث ورد في ذلك وأصرحه . وروى سعد ابن منصور من حديث أبي سعيد قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر فرسخا قصر الصلاة ، وقد أقره الحافظ في التلخيص وهو يؤيد رواية الثلاثة الأميال وبه أخذ الظاهرية وأما حديث ابن عباس عند الطبراني أنه صلى الله عليه وسلم قال : يا أهل مكة لا تقصروا في أقل من أربعة برد من مكة الى عسفان ، ففي إسناد عبد الوهاب بن مجاهد بن جبير وهو متروك ونسبه النووي الى الكذب وقال الأزدي لأجل الرواية عنه فكثر ماورد في طول المسافة ثلاثة فراسخ اذا لم تعتبر رواية سعيد بن منصور مرجحة للشق الاول من حديث أنس والافتلاة أميال وهو فعل لا ينافي جواز القصر في أقل من ذلك . وأقل ماورد في المسافة ميل واحد رواه ابن أبي شيبة شيخ البخاري عن ابن عمر بإسناد صحيح وبه أخذ ابن حزم مع اطلاق السفر في الكتاب والسنة وعدم تخصيصه أو تحديده ومع كون النبي (ص) لم يقصر عند خروجه الى البقيع لأنه أقل من ميل . وقد يقال أنه من ضواحي المدينة فالخروج اليه لا يسمى سفرا والله أعلم وأحكم

— تحويل النقود المعدنية الى ذهبية —

(س ٥٥) عبد الحميد افندي السوسي في (الاسكندرية) : يوجد في نهر نارجل غريب نازل عند أسرة مثرية أخبرني عنه من أتق بقوله أنه توجه اليه ذات يوم بقصد الزيارة واستأذنه في الدخول فأذن له فدخل وحياء وجلس وبعد ان استقر به المكان أخذنا

تحدنان وكان مخبري معه ولد له يناهز الثامنة فما كان من الشيخ الا أن أعطى الولد (قرش نيكل) فأخذه الولد وبعد هنية استرده الشيخ منه ووضع بين راحتي كفيه وأخذ يدعه بلطف ويتمم ويتفلس عليه ثم ناوله للولد ثانية وإذا هو جنبه انكليزي فاندش مخبري من عمل هذا الرجل الا انه بعدما انصرف من عنده أخذ من ابنه الجنيه وصرفه من صاحب له وانتظر بعد ذلك ان يتغير الجنيه فلم يتغير وبلغني ان الرجل عمل مثل ذلك مع أفراد آخرين فصارأ يكتم في ذلك الرجل وفيما عمله أفيدونا

(ج) ان المشعوذين يعملون مثل هذا وأغرب منه والأرجح ان الرجل أخفى القرش بلطف واستبدل به الجنيه الذي أعطاه الولد والظاهر أنه يريد ان يشتر بذلك ليقبل عليه الطامعون بالغنى من غير طرقه الطبيعية فيتر من أموالهم أضعاف ما ينفق في سبيل الشهرة بالكيمياء القديمة التي لا يزال يفتن بها كثير من الناس فيبيدون مآب أيديهم من النقد لاجل ان يستغنوا به نسيئة وما العهد بعيد من قضية محمد بك أبي الشادي المحامي صاحب جريدة الظاهر فقد بذل مبلغا عظيما على بعض الناس للقيام بهذا العمل الموهوم فكان كأمثاله من الخائنين

(حديث التفاوت في التكليف)

(س ٥٦) محمد أفندي كامل الكاتب بالحكمة الاهلية في (أسيوط) : ضم أحد إخواننا مجلس جمع من الاكابر عدة بينهم عالم كبير ودار البحث بينهم على حالة الاسلام فذكر هذا العالم حديثا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو : «أنتم في زمن لو تركتم عشر معشار ماوجب عليكم هلككم وسيأتي على أمتي زمن لو فعلوا عشر معشار ماوجب عليهم لنجوا» : ولما كان هذا الحديث لا يقبله العقل لمناقضته للقرآن الكريم أخذ صاحبنا يبين للعالم استحالة قبول العقل له بالآيات القرآنية ووافقته الحاضرون لقوة حجته ولكن صاحب الحديث أصر عليه . ولما حضر تكلم من الايادي البيضاء على المسلمين في مثل ذلك جئناكم راجين فصل الخطاب في صحة هذا الحديث وعدمها

(ج) الحديث لم يروه أحد بهذا اللفظ مطلقا وحقا انه هادم للدين هدمالولكن روى الترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعا « أنكم في زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك ثم يأتي زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجاة » وهو على كونه غير

صحيح قد حملوه على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذ لا يمكن حمله على جميع التكاليف لما يستلزمه من التفاوت بين الازمنة في التكليف واللازم باطل باجماع المسلمين وبعموم النصوص القطعية . وقالوا ان السبب في ذلك أن الاسلام كان عزيزا وكان الناس كلهم أعوانا على الحق والخير فلا عذر للمقصر واما الزمان الاخير فيضعف فيه الاسلام ويقل التعاون على الخير فيكون للمقصر بعض العذر لفقد التعاون وكثرة الموانع من الخير والايذاء في الله . ويمكن حمله على ما يأمر به الحكام والولاة لانهم كانوا في العصر الاول حقا وخيرا في الغالب ولينظر الناظر بماذا يأمر حكامنا الآن . اما كون الحديث غير صحيح فنحن به أنه لا يكاد يرتقي عن الكذب الى الضعيف وآفته نعيم بن حماد الحديث الكبير المكثر الذي غر كثيرا من المحدثين بعلمه وسعة روايته حتى أخرج له البخاري في المتابعات دون الاصول فهو لا يوثق بما انفرد به ومنه هذا الحديث صرح الترمذي راويه بأنه غريب لا يعرف الا عن حماد وقد عد ابن عدي في الكامل جملة مما انفرد به ومنه ما صرحوا بوضعه . وفي الميزان عن العباس بن مصعب في تاريخه أن حمادا وضع كتابا في الرد على الحنفية واخرى في الرد على الجهمية وكان منهم اولاد . وقال ابو داود كان عنده نحو عشرين حديثا عن النبي (ص) ليس لها أصل . وقال الحافظ أبو علي النيسابوري سمعت النسائي يذكر فضل نعيم بن حماد وتقدمه في العلم والمعرفة والسنن فقل له في قبول حديثه فقال قد كثر تفرد عنه الأئمة فصار في حد من لا يحتج به . وقال في موضع آخر انه ضعيف . وقال الازدي كان نعيم يضع الحديث : ولا شك عندي في ذلك ، ومن علامة وضع الحديث عدم انطباقه على الاصول الثابتة

لبس الحرير والتجلي بالذهب

(س ٥٧) ومنه : هل اتخذ انسلم الحرير دنارا . والتجلي بالذهب شعارا ، محرم عليه حقيقة باجماع الائمة . وما نص كتاب الله وسنة رسوله في ذلك ؟

(ج) ورد في حديث الصحيحين وغيرها النهي عن لبس الحرير والوعيد على ذلك بأن من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة وحملوه على الحرير المحض قالوا ومثله الغالب فيه الحرير لما يأتي وخصه بعضهم كالحنفية باللبس فلا مانع عندهم من الدنار ونحو الزنار وحرم بعضهم كل استعمال حتى أغطية الأواني . وقالوا فالنهي خاص بالرجال لحديث

أبي موسى عند أحمد وأبي داود والترمذي والنسائي وغيرهم: «أحل الذهب والحرير للأنث من أمتي وحرم على ذكورها» : صححه الترمذي ولكن في إسناده سعيد ابن أبي هند عن أبي موسى قال أبو حاتم أنه لم يلقه وقال ابن حبان في صحيحه أن حديثه عنه لا يصح وقالوا فيه غير ذلك وجملة القول فيه أنه لا يحتج به وكذلك حديث علي عند أحمد وأبي داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخذ حريرا فجعله في يده اليمنى وأخذ ذهبا فجعله في شماله ثم قال «ان هذين حرام على ذكور أمتي» زاد ابن ماجه «حل لآناهم» ولا حاجة الى تفصيل ما قالوه في إعلاله والطنن بسنده .

ولكن جرى العمل في السلف والخلف على لبس النساء الحرير والتحلي بالذهب وفي حديث ابن عباس عند أحمد وأبي داود : إنا نهي رسول الله (ص) عن الثوب المصمت من قزأما السدي والعلم فلا نرى به بأسا : ورجال الحديث ثقات ومن ضعف خفيف بن عبد الرحمن من رجاله لم يشك في صدقه وقد وثقه ابن معين وأبو زرعة . وأخرجه الحاكم بسند صحيح والطبراني باسناد حسن وثبت في الصحيح أن الصحابة لبسوا الخبز وكانت ثياب الخبز على عهدهم تنسج من حرير وصوف . وروى أبو داود أن عشرين صحابيا لبسوا الحرير الخالص . وفي حديث عمر عند أحمد ومسلم وأصحاب السنن : أن رسول الله (ص) نهى عن لبوس الحرير الخالص الا هكذا ورفع لنا رسول الله (ص) أصبعيه الوسطى والسبابة وضمهما : وفي لفظ «الاموضع أصبعين أو ثلاثة أو أربعة» زاد أحمد وأبو داود وأشار بكفه وفي حديث البخاري النهي عن الجلوس على الحرير والدياج هذا ملخص ماورد في السنة مختصرا أما ماورد عن العلماء فقد ادعى بعض الزيدية الاجماع على تحريم الحرير الخالص وهو غير صحيح فقد روى ابن عليه وغيره الخلاف في أصل التحريم وكأن الذين أباحوه وهم الاقلون يرون ان الامر والنهي في الامور الدنيوية العادية للارشاد أي لالتحليل والتحريم الديني ولهذا نفاثر لاخلاف فيها يقولون : الأمر للارشاد ، النهي للارشاد : والجاهير على تحريم الحرير الخالص للرجال وعلى حل قدر أربع أصابع من المطرز والموشى ومن السجوف على جوانب الثوب وجيوبه وفروجه وتحريم ما كان الحرير فيه هو الغالب في النسج وحل ما كان غيره هو الغالب وبعضهم يعتبر قلة الحرير وكثرته في النسج نالوزن كالشافعية وبعضهم يعتبر النسج فيكني ان

يكون سداً حريراً ولحمته قطناً وغيره. ومحل هذا الخلاف عند عدم الضرورة أو الحاجة ففي حديث عند أحمد والشيخين وأصحاب السنن أن النبي (ص) رخص لعبد الرحمن بن عوف والزبير في لبس الحرير لحكمة كانت بهما. ورواية الترمذي أنهما شكوا إليه القمل. كذلك قد ورد النهي عن المعصفر والاحمر وسيأتي تعليقه بعد الكلام على الذهب

أما استعمال الذهب في اللباس فقد ورد فيه عن معاوية قال: نهى رسول الله (ص) عن ركوب النار وعن لبس الذهب المقطعا: رواه أحمد وأبو داود والنسائي وفي أسناده ميمون التفاد فيه مقال وبقيّة رجال سنده ثقات ورواه أبو داود بسند آخر فيه بقية ابن الوليد وفيه مقال أيضاً. والنار جمع نمر كالنور في رواية أخرى والمراد بالمقطع ما كان قطعاً في نحو سيف أو ثوب. وأما استعمال الذهب وكذا الفضة في غير اللباس فلم يرد فيها شيء صحيح إلا النهي عن الأكل والشرب في أوانيهما وصحافهما والتختم ولم ينقل خلاف في الشرب إلا عن معاوية بن قرة وأما الأكل فأجازه الإمام داود الظاهري واختلفوا في النهي لحمله بعضهم على الكراهة وهو قول قديم للشافعي وعليه العراقيون من أصحابه. وردوا عليهم بحديث الصحيحين عن أم سلمة مرفوعاً أن الذي يشرب في آنية الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم، وفي رواية لمسلم دياً كل ويشرب في آنية الذهب والفضة، وفي رواية أحمد وابن ماجه عن عائشة: كأنما يجرجر في بطنه ناراً على التشبيه. وأما التختم بالذهب فقد ورد فيه في الصحيحين حديث أحمد ومسلم وأصحاب السنن ماعداً ابن ماجه عن علي أنه قال: نهاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن التختم بالذهب وعن لباس القسي وعن القراءة في الركوع والسجود وعن لباس المعصفر، وفي لفظ لأبي داود والترمذي (نهى) ولكن يؤكّد لفظ مسلم وغيره رواية: ولا أقول نهاكم: ولذلك ذهب بعض العلماء إلى أن هذا النهي خاص بعلي عليه السلام حملاً له على المبالغة في الزهد. ومن حرم التختم بالذهب ترجيحاً لقول الأصوليين أن الحكم على الواحد حكم على الأمة ما لم يقم دليل على التخصيص برده عليه قوله: ولا أقول نهاكم: ويلزمه تحريم المعصفر وقد حمل بعضهم النهي فيه على الكراهة تنزيهاً وذهب جمهور الأمة من الصحابة ومن بعدهم إلى إباحة لبس المعصفر. والقسي بفتح القاف ثياب من حرير تنسب إلى بلد بمصر وقيل هي كقري نسبة إلى القز المعروف وثم روايات أخرى في النهي عن

خاتم الذهب وخاتم الحديد لان الأول حلية أهل الجنة والثاني حلية أهل النار. وفي حديث أبي هريرة عند أحمد وأبي داود النهي عن حلقة الذهب وسوار الذهب وفيه «ولكن عليكم بالفضة فالعبدوا بها لعباء»

وجلة القول انه ثبت في الصحيح النهي عن الأكل والشرب في أواني الذهب والفضة مع الوعيد والنهي عن التحتم بالذهب وفي حديث مسلم انه شبهه بجمرة من نار ولم أره في المتنقي . وأما مذاهب العلماء فقد حمل الاقلون النهي على التزيه لا التحريم وذهب داود الى تحريم الشرب في أواني النقيدين واباحة ماعدها من أنواع الاستعمال . وقاس كثير من الفقهاء غير الأكل والشرب عليهما حتى حرم الشافعية اتخاذ الاواني ولو لم يستعمل . فان جعلوا هذا النهي عن الحرير الخالص وعن الأكل والشرب في أواني النقيدين تعديدا امتنع القياس على ماورد به النص الصحيح وان قالوا ان له علة ترجع لمصلحة الناس في معاشهم وأخلاقهم فهلم نبحث فيها

اختلفت النصوص والآراء في علة النهي عن لبس الحرير والمصفر بألفاظ تفيد عموم النهي حتى للنساء مع ثبوت لبس النبي (ص) السندس والديباج الذي أهدها اليه اكيدردومة ولبس الصحابة له، وعن النهي عن الأكل والشرب في آنية النقيدين فقط مع حديث ابن حبان «ويل للنساء من الاحمرين الذهب والمصفر» . وفي الصحيحين ان ابن الزبير خطب فقال في خطبته: لا تلبسوا نساءكم الحرير فاني سمعت عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تلبسوا الحرير فان من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة» وروى النسائي والحاكم وقال صحيح على شرطهما عن عتبة ابن عامر انه كان يمنع أهله الحلية والحرير: ان كنتم تحبون حلية الجنة وحريرها فلا تلبسوها في الدنيا: وانما ذكرنا هذا هنا لان له علاقة بالتعليل

قال بعض العلماء ان العلة في تحريم الذهب والفضة الخيلاء فهو اذن كجر الثوب لا يحرم الامع الخيلاء وقال بعضهم انه كسر قلوب الفقراء وقال بعضهم ان العلة اجتماع هذين الامرين وان احدهما لا يكفي علة وهذا هو المقتصد عند الشافعية وقالوا انه يخرج به اباحة استعمال اواني الجواهر كالزمرد والياقوت فانها مباحة إجماعا والخيلاء فيها أظهر منها في آنية النقيدين ولكن ليس فيها كسر قلوب الفقراء لان أكثرهم لا يمر فها على أن الخيلاء محرم في نفسه .

وفهم من كلام الغزالي علة أخرى وهي تقليل النقود المسكوكة التي هي موازين التعامل وقضاء الحاجات وهذه العلة تظهر في تحريم الآنية دون القليل من الحلي وتطبق على حديث معاوية المبيح لاستعمال الذهب قطعا صغيرة في نحو حلي للنساء أوزينة في نحو سيف ومنطقة . وقد ورد في الصحيح انه كان لقدح النبي سلسلة من فضة وعند أحمد ضبة من فضة . وبهذا علل الغزالي تحريم الربا وقال ان التقدين كالحاكم فمن جعلهما مقصودين بالاستقلال كان كمن حبس القاضي الذي يفصل بين الناس ،

هذا قول الفقهاء واما المحدثون فمنهم من قال ان العلة في النهي عن الذهب والحرير هي التشبه بأهل الجنة لان الاحاديث نطقت بذلك ومنها قوله صلى الله عليه وسلم للابن خاتم الذهب « مالي أرى عليك حلية أهل الجنة » رواه أصحاب السنن الثلاثة . ومنهم من قال ان العلة التشبه بالكفار كما في بعض الروايات ولكن يعارض هذا ما ورد في الصحيح من لبس النبي (ص) الحية الرومية والطياسة الكسروية ، ومنهم من قال انه التزهد في الدنيا لقوله (ص) بعد النبي « فأنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة » ولكن الله يقول « قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيمة » والذي يفهم من هذا ومن كل رواية فيها ما يشعر بأن النهي عن الذهب والفضة والحرير لانه لأهل الجنة أن المراد به النهي عن المبالغة في الترف والتعظيم الذي يفسد بأس الأمة ويصرف همها الى اللذات والانغماس في التهميم حتى تهمل أمر الدين ، وتكون طعمة للطامعين ، لا مجرد الزهد في لزينة . فالترف هو الذي أهلك الأمم ودمر انقضى وهو علة الظلم والفساد وثمار الشحشاء والفتن وسبب الاعتداء والحيانة وهو يختلف باختلاف أحوال الأمم فرب شيء يعد من الأمور العادية عند قوم وهو عند آخرين غاية السرف والترف ولا شك ان لبس الحرير المصمت والاكل والشرب في أواني الذهب والفضة هو غاية ما ينتهي اليه الترف والسرف في كل زمان ومكان لا تختلف الأعصار والاحوال الا في الصنعة فيه وتظهر هذه العلة في النساء كالرجال كما فهم بعض السلف . اذا وصل الى حد السرف ، واذا صح أن هذا هو العلة وأن النهي ليس تعديا كان ما عساه يعرض للانسان من أكل أو شرب في آتية الذهب والفضة عند كافر وكذا غير كافر فيما يظهر غير محرم وكان قياس الفقهاء غير الاواني عليها قياس اتخاذ على الاستعمال صحيحا لاسيما في حالة فقر الأمة . والعمدة

في معرفة الترف في الجزئيات ترتب الضرر في الامة عليه بفشو استعمالها سواء كان في امر المعاش أو في الاخلاق فالمسألة تسمى في عرف هذا العصر أدية اقتصادية وقد بحث علماء الاقتصاد السياسي في استعمال ماعون الزينة وأثاثه ورياشه هل هو ضار بالامة أم نافع فرجحوا أنه نافع لانه اذا لم يتنافس الاغنياء في ذلك يجتمع أكثر المال عند فئة من البارعين في الكسب ويقع باقي الامة في مهواة الفقر والعوز، واذا كان للاغنياء تنافس فيما وراء الحاجيات مما ذكر (وهو ما يسمونه الكماليات وسماه الشاطبي في الموافقات التحسينيات) يفتح بذلك أبواب كثيرة لارتزاق الفقراء والمتوسطين منهم .

واذا تبين بالاختبار ان استعمال كذا وكذا من الذهب والفضة والحرير لا ينافي الاقتصاد بل تقتضيه مصلحة الامة في مجموعها لم يكن وراءه الارعاية الاخلاق فاذا كان استعماله غير مؤثر في فساد الاخلاق وضعف بأس الامة فلا بأس به والاوجب اجتنابه . ويختلف هذا في الافراد باختلاف نياتهم ومقاصدهم وما يبرفونه من تأثيره في أنفسهم . ولعله لا يوجد ضابط للضار والنافع في الامة مثل حديث معاوية السابق في القلة والكثرة وحديث ابن عباس ومذهبه في الحرير

والخلاصة ان نص الشارع صريح في النهي عن الحرير الخالص الالحاجة لبسا وجلسا عليه وأباح انس وابن عباس الجلوس عليه وقال الفقهاء أي بلا حائل فان كان هناك حائل كالنسيج الابيض الذي يوضع على الكراسي والارائك فلا بأس عندهم . وعن الاكل والشرب في أواني الذهب والفضة والتختم بالذهب على ما فيه وأن بعض الفقهاء حملوا ذلك النهي على السكراةة دون التحريم والجماهير حملوه على التحريم وأن داود خصه بالشرب وأكثر المحدثين بالاكل والشرب وعامة الفقهاء حرموا كل استعمال الانحوضبة يصلح بها ائناء . وان الاحتياط أن يجتنب المسلم ما ورد به النهي الصريح ويراعي المصلحة فيما وراء ذلك بحسب اجتهاده مع الاخلاص والله أعلم

— لبس الزوج الذهب حال العقد هل يبطله —

(س ٥٧) الحاج وان أحد في (سنن فوره) ما قولكم اذا لبس الزوج الذهب والفضة والحرير في حال العقد هل يصح النكاح أم لا وهل توبته في تلك الحالة كتوبة

الولي فلا يحتاج فيها الى مضي سنة ولا بد منه حتى يصير كفوا للعفيفة وهل يجب على من حضر من الشاهدين وغيرهما انكاره وهل يفسقوا بتركهم ذلك أم كيف الحكم ؟
(ج) الظاهر من السؤال ان السائل شافعي المذهب لان الشافعية هم الذين يشترطون عدالة الولي والشاهدين لصحة العقد ويكتفون بتوبة الولي في المجلس ولا يحيزون شهادة الفاسق الا بعد توبته بسنة يستقيم فيها حاله يسمونها مدة الاستبراء ولكنهم لم يشترطوا عدالة الزوج والا لا تمتنع التزوج على الفاسق عندهم ولكن الفاسق لا يكون كفوا للتقية العفيفة ولذلك يشترط في صحة عقده عليها رضاها ولو بكر أو المزوج الاب فان رضيت ورضي الولي صح العقد . وأما فسق الشهود بترك الانكار على لابس الذهب والفضة والحرير سواء كان الزوج أو غيره فلا يتحقق الا اذا كانوا يمتقدون ان هذا محرم كبير وتعين الانكار عليهم وعلموا أن اللابس لا عذر له ومن الاعذار الصحيحة عندهم أن يكون مقلدا لبعض القائلين بالحل ممن يعتد بقولهم وقد مر الخلاف في ذلك في جواب السؤال السابق

أَتَانُكَ عَلَى سَبِيلِ

جاءنا من سنغافورة ما يأتي فنشرناه لما فيه من النصيحة للمسلمين

هذه أبيات خاطب بها أعضاء ندوة العلماء بالهند سنة ١٣٢١ هـ

مولانا السيد أبو بكر بن شهاب الدين أمتع الله به

كلم يقدمها السيئ الجاني	لذوي المعارف لا ذوي التيجان
نفثات مصدر الى من هم بها	ادري وأحرى منه بالتبيان
وجيل شكر للذين تصدروا	في ندوة العلماء والاركان
لله درهم سوابق حلبة	فيها العقول فوارس الميدان
شربوا رحيق العزم والجدي الذي	لم يخش مدمنه من الحرمان
هبوا وأمرانكل شورى بينهم	والرأي قبل شجاعة التبعان
نهضوا لنفع المسلمين بنشر ما	عنهم يصد طوارق الحدنان
ودعوا الى نشر العلوم على احتلا	ف قوتها والعلم ذو أفتان

وإلى اجتماع قلوب من إيمانهم بمحمد المحمود وذو الطمئنان
 ولزم ما عقدت خناصرهم على إبرازهم من حيز الكتان
 فالعلم أشرف مقتنى واجله وبه تفاضل نوعنا الانساني
 فذووه في عز ومجد باذخ ورفيع منزلة وسعد قران
 العلم يطلب كي يزج بحامله به إلى التربع في ذرى كيوان
 من حيث كان وكيف كان ليمشيه الدنيا ولا بدان والاديان
 هذا رسول الله نبهنا على عدل المجوس وحكمة اليونان
 والاجتماع أجل حصّ رادع عبث الخوضوم وسورة العدوان
 والمؤمنون كما اتانا في حديث الصادق المصدوق كالبنيان
 ومقّ تحاذلنا وأعمل بعضنا بعضاً خائفاً خالعة الايمان
 واصابنا الفشل الذي يقف --- وهذل واضطه دليس بالحسبان
 إن افتراق المسلمين اذاقهم ضيم المضيمه بمدعظم الشان
 وهنت عزائمنا وأصبح هازنا بخمولنا الوثني والصراني
 فسلام فرقتنا التي ألفت بنا في هوة الاهمال والخذلان
 ولم التنافر واتباعدت بيننا والحقد وهي مدارك النقصان
 ها كل طائفة من الاسلام مذ عنة بوحدة فاطر الاكوان
 وبان سيدنا الحبيب محمداً عبد الاله رسوله العدناني
 وامام كل منهم في دينه اخذاً ورداً محكم القرآن
 فإلهنا ونبينا وكتابنا لم يتصف بالخلف فيها اثنان
 والسكبة اليك الحرام يومها قاصي الحجيج لسكبه والداني
 وصلاة كل شطرها وزكاته حتم وصوم الفرض من رمضان
 أبعد هذا الاتفاق يصينا نزع ليقننا من الشيطان
 وان اختلفنا في الفروع فذلك عن خير البرية رحمة المنان
 وحديث تفرق النصارى واليهود وأمتي فرقا روى الطبراني
 لكن زيادة كلها في النار الافارقة لم تخل عن طعان

بل كلهم في جنة وعدوا بها بالنص في آي من القرآن
 وكذا الحديث الرسول تضافت ان الموحد في حمى الرحمن
 واذا أردت بيان ما أورده فانظر فتاوى الحافظ الشوكاني
 فلقد أتى فيها بما يشفي العليل من الدليل وساطع البرهان
 وأفاد فيها ما يلاشي ينسا إحن النفوس وشأفة الشنآن
 أبها رجال الندوة اجهدوا ولا تهنوا قرب الحية المتواني
 وامضوا على غلوكم قدم آولا تخشوا معرة فاسدي الازهان
 فالحق قائمكم وأنتم تعلمون من موارد الارباح والخسران
 او ماروitem حين أقبل جيش اهل الشام قولاً عن أبي اليقظان
 والله لو باغوا بنا طرداً الى هجر لما عدنا الى الازعان
 ولتسمعن اذى كثير افاصبروا واكسو المني مطارف الاحسان
 ماذا على الحكماء من اضدادهم قدح السفيه ومدحه سيان
 والله شاكر سعيكم ورسوله وألوالفضائل من ذوي الايمان
 وقد غيرنا الشطر الاخير من آخر بيت ليكور إشارة الى قوله تعالى «وقل اعملوا فسيرى
 الله عماركم ورسوله والمؤمنون»

﴿ تَقْرِيطُ الْمَصْنَفَاتِ ﴾

﴿ إرشاد الامة الاسلامية الى أقوال الأئمة في الفتوى الترnsفالية ﴾

قد علم القراء ما كان في العام الماضي من لفظ بعض الجاهلين بفتوى مفتي
 الديار المصرية لبعض اهل الترnsفال بجل ذبيحة التضارى في تلك البلاد وبجل لبس
 القنسوة الافرنجية حاجة أو ضرورة وبجل صلاة الشافعي خاف الحنفي وكان
 السبب في الالفاظ أن بعض أصحاب الاهواء من الامراء أوعز الى بعض الجرائد المحدثه
 بالتدديد بالفتوى لغرض له في ذلك فطفقت الجريدة تخبط في ذلك محرقة السؤال والجواب
 عن موضعه وقد جرت العادة بأن ما أكثر الجرائد الخوض فيه يخوض فيه الناس
 لاسباب أهل الجهل والبطالة وكثير ما هم وقد بينا يومئذ حكم الله تعالى في هذه المسائل،

وأيدنا الفتوى بالبراهين الشرعية والدلائل ، ولم يكن لصاحب الجريدة المحدث من دليل ، غير القال والقليل ، وكان منه الإيهام بأن بعض علماء الأزهر كتبوا لصاحب الجريدة ينكرون صحة الفتوى ، فلما وصلت هذه الدعوى الى علماء الأزهر الاعلام اتدب بعض فضلائهم الى وضع رسالة يؤيدون فيها الفتوى بنصوص المذاهب الاربعة وسموها (ارشاد الامة لاسلامية الخ) ثم ان الشيخ عبد الحميد حروش البحراوي أحد المدرسين في الأزهر لهذا العهد طبع الرسالة ونشرها تبرئة لعلماء الأزهر مما نسبته جريدة (الظاهر) اليهم . وقال في مقدمة الطبع بعد ذكر ما عزي الى علماء الأزهر مانصه : « عند هذا نهض جماعة من أفاضل الأزهر الاعلام أئمة المذاهب الاربعة الذين يعول عليهم ويوثق بملمهم في العلوم الشرعية وراجعوا المذاهب الاربعة واستخرجوا منها النصوص التي تلائم موضوع المسألة وعرضوا عليها فتوى فضيلة الاستاذ الموما اليه فوجدوا لها من كل مذهب نصيرا ، ومن فقد كل امام ظهيرا . » ثم قال انه رأى ان يخدم الاسلام بطبع هذه الرسالة لفوائد منها : « تبرئة الافاضل علماء الأزهر من وصمة السكوت ومما عزي اليهم من القول بخلاف ما أتفق به عالم الدنيا ، وابن بجدة الفتيا ، صاحب النضيلة مولانا الاستاذ مفتي الديار المصرية وان الذين يشيعون مخالفة علماء الأزهر الكرام لاستاذنا أرادوا أن يذمووا واحداً فذموا الكل فوجب تبرئة الجميع »

والرسالة مؤلفة من مقدمة واحد عشر فصلا وخاتمة وهي مطبوعة طبعا حسنا على ورق جيد وثمن النسخة ثلاثة قروش صحيحة . ومما يدل على سوء قصد الجريدة التي كانت تلفظ وتطالب علماء الأزهر ببيان الحق في الفتوى أنها لم تكتب عن الرسالة شيئا مع أنها أهديت اليها كما بلغنا

﴿ الامومة عند العرب ﴾

رسالة لأحد علماء هو لنداء ج . ويلكن الاستاذ في كلية ليدن وقد عربها أحد علماء العرب السوريين بندي صليبا الجوزي المدرس في إحدى المدارس الروسية بقازان وطبعها هناك « وخصص دخلها للاعمال الخيرية » والبحث في الامومة فرع من فروع البحث في (تاريخ العائلة) او هو اصله الاول لان النسبة الى الام هي الثابتة العامة في كل جيل من أجيال البشر في كل طور من أطوارهم في بداوتهم وحضارتهم . وفي الرسالة

مباحث طويلة دقيقة في الزواج عند العرب قبل الاسلام وعند غيرهم من الامم وهو أنواع أطلق العرب عليها هذه الاسماء - نكاح الاشتراك والمشاركة، النكاح الخارجي، النكاح الداخلي، النكاح الفردي، نكاح تعدد الزوجات، نكاح تعدد الأزواج، نكاح النفر، وفيها كلام طويل عن المتعة في الاسلام وبحث في انها كانت قبله ام لا وهو غير محرز والاستدلال على المتعة بقوله تعالى « فاستمتعتم بهن فآتوهن أجورهن » الذي ذكره هو مذهب اليه الشيعة وهو منقوض بقوله تعالى في نفس الآية « محصنين غير مسافحين » أي يجب ان يكون قصد الرجل في هذا الاستمتاع إحصان نفسه وإحصان المرأة لا مجرد المسافحة التي هي إراقة ماء الشهوة ، ولا شك ان المتعة يقصد بها المسافحة لا الإحصان وقد كانت العرب عليها غرما التي فشق ذلك عليهم فاذن لهم بها عند الضرورة وشدة الحاجة في السفر ثم نهاهم عنها ليكون إبطا لها تدريجيا ، والشيعة لا تزال تحملها ويميل بعض الناس الى انها رخصة للضرورة والجماهير على ان الرخصة نسخت ويؤكد نسخها اعتبار الكتاب العزيز قصد الإحصان شرط الكون الزواج شرعا وقوله تعالى بعد اباحه الزواج والتسري « فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » وروي في الصحيح أنها بقيت الى عهد عمر فكان هو الذي أبطلها بالمرّة . والذين يقولون بالنسخ يحملون ذلك على عدم علم الجميع بالنسخ وفي الرسالة مباحث تحتاج الى الإيضاح والتقد وفيها فوائد لا توجد في غيرها من كتب التاريخ فنشكر للمعرب هذه الهدية الثمينة لافته الشريفة ونحث الناس على قراءتها وننتظر ورود طائفة من نسخها علينا للبيع في مكتبة المنار فتى جاءت نعلن ذلك في غلاف المنار .

﴿ كتاب القواعد الألمانية ﴾

وضع هذا الكتاب الاستاذ مرتين هرتمن مدرس اللغة العربية في مدرسة اللسان الشرقية ببرلين عاصمة بلاد ألمانيا لبيان قواعد لغته بالعربية اسعادا لمن يرغب في تعلم هذه اللغة من العرب ، وذكر في مقدمة الكتاب اقبال الامم على دراسة هذه اللغة واتخذ كرم من ذلك ما نرى فيه عبرة لنا قال :

« ولقد انبعثت رغبة قوية عند معظم الامم في تعلمها ولا يوجد اديب حقيقي في أمة من الامم الاوربية الا وله إلمام بهذه اللغة الشريفة وبأعظم أقسام ادبياتها . أما الامم الشرقية فأول من سارع منها الى اقتناء (كذا) لفتا هي الامّة اليونانية حيث

أرسلت ألوفا من أبنائها الى كليات ألمانيا لرضاع ألبان العلم من نديها وقلما تدخل بيتنا من بيوت الادباء اليونانيين الا ونجد من يتكلم بلغتنا ويعلم بأدياتنا ، ثم كثر عدد دارسها في بلاد اليابان من الشرق الاقصى حيث اجتلبوا معلمين من الالمان الى مدارسهم الكبرى وكثرا مازاروا بأنفسهم بلادنا لاجل تحصيل لغتنا ومشاهدة أحوالنا وتنظياتنا . ثم يوجد عدد من أفراد الامة التركية يحسنون اتادية باللغة الألمانية وأكثرتهم من الموظفين بالخدمة العسكرية بقوام درجن في سلك العسكرية الألمانية مدة . اما الامة العظيمة التي سطت بعد إتيان نبيها بالشرعية الاسلامية على قسم يذكر من المسكونة وتميزت لغتها بالمصنفات الغزيرة العالية - أعني الامة الناطقة بالعراق التي مسقط رأسها جزيرة العرب المنتشرة كتبها من أقصى المشرق الى أقصى المغرب - فلم نر الى الآن منها الاقدام على اقتناء الألمانية والاطلاع على أدياتها . نعم قد اجتهد في أيام خديوى مصر المرحوم اسماعيل باشا الموسوي دور السويسري الموظف وقتئذ بالتفتيش على المكتاب المصرية في ادخال اللغة الألمانية في مواد التعليم (البروجرام) وحمل السادة ابراهيم زين الدين وأحمد نجيب على تأليف كتاب في القواعد الألمانية الا انه قد اندرس مسعاه عند ذهابه من الخدمة المصرية . الخ

ثم انتقل من ذلك الى ذكر اتدابه لتأليف هذا الكتاب تسهيلا لمن يريد تعلم هذه اللغة من أبناء العربية . وهو مرتب أحسن ترتيب ، ومقرب لغة أشد تقريب ، يشرح الحروف والكلم ويذكر كيفية النطق بها بالعربية بغاية الضبط وقد جمعه دروسا يشرح في كل درس القاعدة بالعربية ويذكر بعدها الأمثلة المفردة والمركبة ثم التمرينات الألمانية والعربية . وصفحات الكتاب ٢٣٢ وعن النسخة منه (٣ ماركات او ٣ شلنات) وأجرة البريد (٣٥ سنتيا) وهو يطلب بواسطة مكتبة المنار بمصر

❖ تاريخ البابية - أو - مفتاح باب الابواب ❖

قد صدر هذا التاريخ لنفيس الذي نوهنا به من قبل في المنار وقننا نبذة من خاتمه وقد ذكر مؤلفه (ميرزا محمد مهدي خان) في فاتحته أنه في مدة اقامته في مصر وفي أثناء سياحاته السكثيرة رأى الناس مختلفين في امر هؤلاء البابية لاختلاف ما يلقفونه من أخبارهم عنهم وعن اعدائهم حتى ان امرهم لا يزال غامضا مبهما وانه هو مطلع على

احوالهم كما كان والده من قبله مخبراً لرؤسائهم وان عندهم امهات كتبهم وقد اطلع مع ذلك على ما كتب الناس في تاريخهم واكثر لاس خفا فيه الا فرنجي ذلك ساقته الرغبة الى وضع تاريخ كبير لهم سماه (باب الابواب) احصى فيه ما علم من اخبارهم وعقائدهم وشرائعهم كما هي من غير حكم عليها بدمج او ذم بل صور الحقائق تصويراً ومثلها للقارئ تمثيلاً. ثم اختصره بهذا الكتاب الذي جعله رسالة وفهرسالة وسماه (مفتاح باب الابواب) على ان صفحات هذا المختصر قد بلغت ٤٤٠ . ويعني بقوله الابواب الذين ادعوا بالمهدية سواء منهم من أطلق عليه لقب الباب ومن لقب بالمهدي فقط وقد بدأ الكتاب بالكلام على الديانات السبع الكبرى في الارض - البوذية والبرهمية والفتشية والزردشتية والموسوية والنصرانية والاسلامية - ثم أورد ما نقل عن اهل السنة والشيعة في المهدي المنتظر ، وانتقل من ذلك الى الكلام فيمن ادعوا المهدوية او العيسوية وذكر تراجم اشهرهم ومنهم ميرزا علي محمد الشيرازي الملقب بالباب الذي هو المقصود من تأليف الكتاب ، وذكر نشأته وتاريخه ودعوته واسبابها وأسباب انتشارها في ايران ومناظرات العلماء للباب وما كان من الفتن الى أن قتل الباب، ثم ذكر مزاعم البابية فيه وذكر صفاته وتأليفه وشريعته وما جرى لاصحابه بعده من الفتن والتفرق والتي الى أن قام فيهم حسين علي الملقب بالبهاء واستمال اكثرهم اليه وفتح لهم دين الباب وادعى انه الاصل بل انه هو الله الذي ارسل الرسل من آدم الى الباب . ثم ذكر شيئاً كثيراً من شريعة البهائية وكتب انبهاء الى الملوك وغيرهم وختم الكتاب بذكر فرق البابية في هذا العهد وكيفية ظهورهم في بلاد امريكا . ولعلنا نقل في اجزاء اخرى بعض المباحث من هذا الكتاب النفيس الذي لا يستغني قارئ عنه لاسيما في البلاد التي انبث البابية فيها يدعون الى دينهم كمصر وايران . وقد ذكر المؤلف في آخر الكتاب أنه تبرع بما يحصل من نمته للمكويين من المسلمين . وثمن النسخة منه في مصر ٢٠ قرشاً وفي ايران (تومان واحد) وفي الهند ثلاث رويات وفي روسيا روبلتان او منان وفي سائر البلاد ٥ فرنكات وهو يطلب من مكتبة المنار بمصر ومن مكتبي هندية والهلل

﴿ سياحة العلماء . وهداية الحكماء ﴾

(يوم ولية في الريف)

حالة العامة — في أوائل يوم الاثنين (١٨ ج ١) سافر كاتب هذه السطور مع أستاذه الشيخ محمد عبده الى جهة (فم البحر) بدعوة الشيخ عبدالمؤمن موسى عمدة بهاده وكان قد سبقنا في صباحه الى هناك السيد علي البيلاوي شيخ الجامع الأزهر والشيخ ابوالفضل الحيزاوي والشيخ سليمان العبد من كبار المدرسين في الأزهر . والشيخ عبدالمؤمن هذا لم يقصد بدعوة العلماء الى بلده التفاخر بهم فقط كما هو شأن أهل الدنيا لاسيما العمدة بل قصد استفادة أهل بلده من علمهم ، وإزالة الشبهات ومقاومة الخرافات بارشادهم ، وذلك أن أكثر ما عليه عامة المصريين في القرى وغيرها من الخيالات والاعتقادات والتقاليد الدينية مأخوذ عن أهل الطريق الذين يطوفون البلاد والقرى لطلب الرزق بالدين والطريق فهم عميان يقودون عميانا ويجهلون في جعل الدين كله محصوراً في التعلق بهم وبشيوعهم والاعتقاد بكراماتهم والتوسل بهم الى الله تعالى لقضاء الحاجات ، وتنفيذ الكربات ، وجلب الرزق ، ونيل الرغائب ، وقرن التوسل بالنذور للاموات ، والعطايا للاحياء ، هذا مايقنعون به الدهماء ومن أخذ عليهم أو أخذوا عليه العهد يلقنونه أحزاباً واوراداً يذكرون لها من الخواص والمنافع الدنيوية ما يذكرون ، حتى ضاع أكثر معارف الدين وآدابه وأعماله الا هذه الامور وما يتصل بها من الاوهام والخرافات ، التي لاسند لها الا ما اخترعوه من الحكايات ، وما خفي عليهم امره من مثار الشبهات ، فمن سيب عجلاً او نذر شيئاً للسيد البدوي او غيره ولم يقدمه ، ومن اعتاد الذهاب الى مولده ولم يذهب ، فأصابه مرض او مصاب في نفسه او اهله او ماله ، فاولئك يعتقدون ان الذي اوقع بهم هو السيد ، كأن السيد حاكم مستبد ظالم يفرض على الناس ما لم يفرضه الله عليهم وينتقم منهم اشد الانتقام اذا هم قصر او ادى اداء ذلك ولا يفتار على حق من حقوق الله تعالى فهو لا يتصرف بمن يترك الصلاة او يمنع الزكاة او يؤذي جاره او يسرق متاع اخيه او يفسد عليه زرعه او يسمم بعض ماشيته

كان الناس على هذا زمن طويلاً لا يكادون يسمعون إنكاره نكرو ولا تنبيه منبه ولا إرشاد مرشد

الاماقل ونذر حتى كان بعد انتشار النار في هذه السنين الاخيرة أن قام كثيرون من قرائه ينكرون على الناس البدع والخرافات الفاشية فيهم وكان الشيخ عبد المؤمن المذكور لسلامة فطرته من أشدهم غيرة وأكثرهم دعوة وأقواهم حجة ولم يكن له مساعد في النهي عن هذه المنكرات في تلك الجهات الا الشيخ عليا الجبري وبعض الاذكياء ولكن كان لهما معارض شديد التأثير في العامة هناك بماله من سمت الصلاح والنسبة الى الطريق والعلم وهو الشيخ محمد الدلاصي ، فكان الناس في (بهاده) ونواحيها حزبان يختصمان - حزب يقول ويوقن بأن لانافع ولاضار الا الله تعالى وانه لا يتوسل اليه تعالى الا بمأمره لعباده في كتابه وعلى لسان رسوله من الفرائض والسنن وانه لاسبب لقضاء الحاجات وجلب النافع والمضار الا ما هدى الله الناس اليه من سننه المطردة في خلقه ، وحزب يقول ان الاولياء في قبورهم يضرون وينفعون ، ويحيون ويميتون ، ويمطون ويمنعون ، وانه يتوسل الى الله تعالى بذواتهم ، ويدعى بواسطتهم لاوحده ، الخ ما هو معلوم مشهور من امثالهم ،

وكان الشيخ عبد المؤمن يتمنى على من زمن طويل ان ادعو الاستاذ الامام لزيارة بلدكم ليتكلم على الناس بالقول الفصل الذي يرجي ان يمحو كل شبهة ، ويخرس لسان كل بدعة ، حتى كان ان ذهبنا في ذلك اليوم الذي ذكرناه في صدر المقال فاجتمع في تلك القرية اشهر علماء العصر وقد اجتمع علينا اكثر اهل البلد ليلا متوقعين ان يسموا من الاستاذ الامام ، ومن سائر الاساتذة الاعلام ، ما يقطع عرق النزاع والخصام ، وكان تلامذة الشيخ محمد الدلاصي يتوقعون منه ان يدافع عما هم عليه بل كان منهم من يظن ان حجته في ذلك ستعلو كل حجة وافتتح الشيخ على الجبري الكلام ، بسؤال الاستاذ الامام ، فأجاب حفظه الله تعالى بتقرير عقيدة التوحيد الخالص وهي ان لا فاعل الا الله ، وانه لا يدعى معه احد سواء ، وان التوسل بالاولياء والصالحين ، انما يصح بمعنى الاهتداء بهديهم المبين ، وبأن لله ان يكرم من عباده من شاء ولكن لا يصح ان تكون السكرامات والخوارق كصنعة من الصنائع في ايدي الاولياء والحق انه ليس لهم من الامر شيء وانه لا يكلف مؤمن بأن يعتقد بولي مخصوص ولا بكرامة لولي معين مطلقا ، وأوضح ذلك بما وافقه وصدقه عليه العلماء الحاضرون

﴿ ديوان الأولياء والتصرف الباطن ﴾

ثم قال منشىء هذه المجلة : يقولون ان للاولياء ديوانا يجتمع فيه الاحياء والميتون فما أقروا عليه فهو الذي يقع في الكون ، وإن تاتى حوادث الكون في جملتها وتفصيلها منافية لمصلحة المسلمين حتى علت عليهم الملل كلها فاستوت على معظم بلادهم الدول المسيحية ، وسبقتهم في العزة والمكانة الشعوب الوثنية ، فاذا كان أولياء المسلمين وأنصار الدين هم المتصرفون في الأكوان لا يجري فيها الا ما يجرونه ، ولا يستقر الا ما يقرونه ، فما بالهم ينصرون الكافرين على المسلمين ، وكيف اعتر الاسلام بطائفة من سلفهم ثم هو يخذل الآن باتفاق الأحياء منهم والميتين ، ؟

فقال الأستاذ الامام : قد يقال أن الأولياء يرون أن المسلمين صاروا أبعد عن دينهم من سائر الأمم فهم ينتقمون منهم حتى يرجعوا الى دينهم . والحق أن مسألة الديوان والتصرف الباطني عند الصوفية المتأخرين هي رمز الى ما كان عليه سلفهم عند ما كانت هذه الطائفة حية عاملة . ذلك أن الفقهاء كانوا يكفرون الصوفية وكان الحكم أنصاراً للفقهاء فكان جميع أمر الصوفية مبنياً على الكتمان فوضعوا الرموز لعقائدهم واصطلاحاتهم وأعمالهم وبالفعل في التستر كما هو شأن الجمعيات السرية العاملة وكان لهم اجتماع خفي يتباحثون فيه وينظرون في أمرهم وحمايتهم من أعدائهم وكل ما يتفقون عليه في الباطن ، يسعون بتنفيذه بوسائله في الظاهر ، فاذا اتفقوا على عزل حاكم او قتل ظالم لا يكفون عن السعي حتى ينفذ ذلك . فهذا هو الديوان ومعنى كون ما يجري في الظاهر محكوماً به في الباطن . وكذلك كان شأن الباطنية (والصوفية فرقة منهم معتدلة) كما هو معلوم في التاريخ. ولما بين الاستاذ هذا استحسنته الشيوخ اشد الاستحسان .

تلك إشارة الى سمر الشيوخ وما كان فيه من الفوائد لعامة حاضريه ويظهر ان الشيخ الدلاصي سكت واجماً لاراضياً لذلك عاد في النهار الى المحفل وألقى على الاستاذ الامام الاسئلة الآتية قائلاً انه سمع مقررهم ليلاً واستحسنه ولكن لديه اشكالا يجب كشفه بعرضه على الاستاذ المفتي وسماع الجواب منه وقال ماثله :

(س ١) الناس امام ومأموم فالاول متبوع والثاني تابع لا يعدو حده ، فأناد

اتخذت الشافعي إماماً فإذا وجدت في مذهبه شيئاً ورأيت في كتاب الله شيئاً يناقضه
أراني مرتاحاً للعمل بقول الشافعي دون قول الله تعالى . مثلاً إن الشافعي يقول
بحل الذبيحة بدون تسمية ولكن الله تعالى يقول « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله
عليه » وأنا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه . ألسنت معذوراً بذلك

(س ٢) ان الله فضل بعض الناس على بعض في الرزق وغيره فإذا أعطى
الله عبداً جنبها الا يجوز لي ان اقول له أعطني ريالاً من الجنة الذي اعطاك الله ؟
وقد علمنا من مشايخنا ان الله تعالى اعطى سيدي ابا الحسن الشاذلي و ابا العباس
المرسي وفلاناً وفلاناً سرّاً لم يعطه لغيرهم فأى مانع من ان يطلب الانسان منهم شيئاً
من هذا السر الذي اعطاهم الله كما يطلب الربال من صاحب الجنة

قال الاستاذ الامام اما قولك الاول فهو خطأ كبير وفيه خطر عظيم فان الذين
اجازوا لك تقليد الامام الشافعي او غيره من الأئمة رضي الله عنهم يشترطون في ذلك
ان لا تعرض لك شبهة في كتاب الله تعالى فترى انك تعمل بنقيضه فان عرضت لك الشبهة
وجب عليك حالا السعي في كشفها وازالتها والا زال الايمان فان الشك في كتاب
الله تعالى كفر صريح باجماع المسلمين وكذلك نبذه وراء الظهر وتقديم غيره عليه .
نعم ان الناس امام ومأموم ولكن امام هذه الامة واحد وهو رسول الله (ص)
المعصوم وانما العلماء ناقلون ومبينون عنه فمتى تعارض كلامهم مع ما جاء عنه رجعنا اليه
كما امرونا الا ان يظهر لنا عدم التعارض والتناقض

قال الشيخ الدلاصي إنني لاشك في كتاب الله ولكن أعلم ان امامي قد اطلع
على الآية وفهمها احسن مما افهمها ولذلك لا اراني مخالفاً لكتاب الله ولا شاكا فيه
قال الاستاذ الامام ان الله تعالى يحاسبك على ما تفهم وتعتقد لا على ما فهم الشافعي
وانت قلت الآن انك ترى الآية مناقضة لقول الشافعي فترجيحك قول الشافعي حينئذ
يقضي ان يكون قول الله تعالى مرجوحاً فهو عندك دون المشكوك فيه حقيقة لأن
الشك استواء الطرفين وترجيح احدهما يقتضي بطلان الثاني ولو ظننا ان كنت تقلد
الشافعي وترى الآية موافقة لقوله فلا اشكال ولا محل للسؤال

قال الشيخ الدلاصي ان أبا حنيفة والشافعي يختلفان في الحكم (أو قال الآية

المفيدة للحكم) وتبصع أحدهما ولا ترى في ذلك مخالفة للقرآن

قال الاستاذ الامام اذا كان الخلاف بين أبي حنيفة والشافعي ولم يكن هناك قرآن
تقرأ وتفهّم منه انه مؤيد لقول أحدهما فلا حرج عليك في الاخذ بقول من شئت
منهما لانك لم تخرف عن كتاب الله تعالى ولم تلقه وراء ظهرك وليس هذا من السؤال
الاول في شيء لان الترجيح هناك بين قول الشافعي وقول الله عز وجل الذي تراه
يناقضه على أن المثال هناك غير صحيح فان الآية لاتناقض قول الشافعي اذ النهي فيها
عن متروك التسمية مقيد بقوله تعالى «وانه لفسق» وقد فسروه بقوله تعالى في الآية
الآخري «أوفسقا أهل لغير الله به» فافتتح الدلاصي ثم قال الاستاذ

وأما الجواب عن السؤال الثاني فهو اتنا نسلم ان الله تعالى فضل بعض الناس
على بعض في الرزق والمواهب الظاهرة والباطنة ولكن فضل الله على عباده قسمان
قسم مكسوب يمكن بذله او البذل منه وقسم ليس في استطاعة البشر بذله او البذل
منه كالإيمان والمعارف الوجدانية ومنها ما يسميه الصوفية بالاسرار فانهم قالوا انها أمور
ذوقية لا يعرفها الا من ذاقها فلا يصح ان تطلب ولا أن توهب . (يقول الكاتب)
انني لأجزم بأن الاستاذ ساق التقسيم على هذه الصورة من التمثيل ولكنني أعلم أنه
ذكر قسمين منها ما يدخل في الكسب ويعاون فيه الناس بعضهم بعضا كالمال ومنه
ما ليس كذلك وقال انه لا يصح قياس أحدهما على الآخر فلما عني واحد وان اختلف
التمثيل اوجاء بزيادة كلمة أو نقص كلمة . ثم ذكر ان الناس يسألون الاموات الذين يعتقدون فيهم
الولاية ما قطع الله عنهم من رزق الدنيا ومصالحها وما لا يبذل من ذلك بحسب الأسباب
والسنن الالهية وما يبذل فيطلبون منهم المال وزيادة الغلة ونماء الزرع وشفاء المرضى
والانتقام من الاعداء وأمثال ذلك مما لو كان في ايديهم وصح لهم بذله كما يبذل صاحب
الجنه ريالاً منه لكان لهم في أمر الآخرة التي هم في شغل عنه

قال الشيخ الدلاصي اتنا تلقينا عن مشايخنا كما تلقوا عن مشايخهم أن سيدي أبا
الحسن الشاذلي وسيدي أبا العباس المرسى من اولياء الله تعالى ومن أصحاب السر والمدد
وان تلامذتهم في حياتهم واتباعهم بعد مماتهم يتوسلون بهم الى الله تعالى ويطلبون
منهم المدد والسر كما ترى ذلك في كتبهم ككتب ابن عطاء الله السكندري وسيدي

مصطفى البكري (ولعله ذكر أسماء أخرى) فهل تقول ان هؤلاء كانوا على ضلال أم كانوا مهتدين ؟

قال الاستاذ الامام . هل جاء مثل هذا الذي تنقله عن هؤلاء الاولياء في كتاب الله تعالى ؟ قال لا . قال هل جاء في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال لا . قال هل قل مثله عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة ؟ قال لا . قال هل نقل عن التابعين والأئمة المجتهدين وقدماء الصوفية ؟ قال لا . قال فخذ هؤلاء كلهم - رسول الله (ص) وأصحابه والتابعون والأئمة الاربعة وقدماء الصوفية كالحراز والجنيد رئيس الطائفة وسائر أهل القرنين الاول والثاني وضمهم في كفة ميزان وضع في الكفة الاخرى من ذكرت من المشايخ المتأخرين واتبع الراجح

قال الشيخ الدلاصي ولكن هل تقول ان ابا الحسن الشاذلي وأبا العباس المرسي وياقوت العرشي وابن عطاء الله السكندري ومصطفى البكري كانوا ضالين مخالفين لهدي الله ورسوله وأصحابه أم كانوا مهتدين

قال الاستاذ الامام انك بعد بيان الحق تكرر هذا السؤال تنسقطني لأقول ان كل ماخالف هدي الساف فهو ضلال فتخرج فتقول للعامة ان المفتي أوفلانا يضلل كبار أولياء الله تعالى ولكنني لأقول لك ذلك بل أقول إن الله تعالى ما كلفك باتباع هؤلاء حتى لو مت ولم تعلم بوجودهم في الدنيا لما سألك الله تعالى يوم الحساب عنهم ولكن كلفك باتباع كتابه ونيبه وهدي أصحاب نبيه الذين أخذوا الدين عنه مباشرة وكانوا به خير العاملين . فهل تقول انهم كانوا ضالين ، ثم انني أقول لك إنني أنا احترم ابا الحسن الشاذلي وأنا من أهل طريقتة لم أسلك غيرها ولكن ليس كل ما ينسب اليه يصح عنه بل قال لي شيعي الذي سلكت عليه الطريقة أن هذه الاحزاب المنسوبة لسيدي أبي الحسن لم تصح عنه . قال الدلاصي لكنها متواترة . قال الاستاذ كيف وفريق من الشاذلية ينكرها . ثم حرر مسألة الخلاف هنا بأمور مرتبة كما ترى

(أولها) ان الكتاب والسنة العملية منقولان بالتواتر القطعي وما عداها من سيرة النبي وأصحابه وسلف الامة منقول بأسانيد معروفة يمكن بها تمييز الصحيح من غيره وما نقل عن الشاذلي وغيره من الاولياء لاسند له يحتاج به شرعا فاذا فرضنا ان كلامهم

في مرتبة كلام الله ورسوله (ولا يقول بهذا مسلم) وجب ترجيح كلام الله ورسوله وكلام السلف على كلامهم لصحة النقل كما يرجح بين الحديثين . وكيف وقد اشتهر الكذب عليهم ودرس الزيادات في كتبهم كما صرح بذلك الشعراني الذي كانوا يدسون عليه في حياته ويزيدون في كتبه ما يخالف الكتاب والسنة ولا تزال كتبه مملوءة بهذه الدسائس (قال) ولو صح عنه كل ما ينسب اليه لما كان مؤمنا بل ملبسا يريد إفساد عقائد المؤمنين وههنا قال احد الشيوخ العلماء ان في مصر نسخة من المهود بخط الشعراني تنقص عن النسخة المطبوعة بنحو الثلث فلا شك ان كل هذه الامور المنكرة شرعا في كتب الشعراني من الدسائس عليه . قال الاستاذ وهذا الذي يغلب على ظني وانا اعتقد ان الطبقات والمنايا يستأمن تأليفه بالمرءة ثم قال

(ثانيها) اذا فرضنا ان النقل عنهم صحيح وانه لادسائس فيما ينقل عنهم فالتاخر رجح هدي الكتاب والسنة لعصمة كتاب الله وعصمة رسوله دون غيرها . على ان مبحثنا يتعلق بالعقائد والتوحيد وهي لا يؤخذ فيها بأحاديث الآحاد وإن سحت فكيف بما لا يصح من قول الناس

(ثالثها) اذا فرضنا ان هؤلاء الاولياء معصومون كالانبياء ولم يقل بهذا مسلم فالاولى لنا ان نأول كلامهم حتى ينطبق على هدي الكتاب والسنة والسلف لانه الاصل باتفاقهم وإقرارهم

(رابعها) اذا فرضنا ان الكل في مرتبة واحدة وانه لا اصل ولا فرع - ولا يقول بهذا مسلم أيضا - فملينا ان نعمل بالكتاب لانه واضح مبين كما وصفه الله تعالى في مواضع منه وبالسنة لانها بيضاء واضحة كما وصفها صاحبها وقال ليها كنهها وبسيرة السلف لانهم أعلم الناس بهما واما كلام الصوفية فقد صرحوا بأنه رموز واصطلاحات لا يعرفها الا أهلها الذين سلكوا هذه الطريقة الى نهايتها وصرحوا بأن من أخذ بظاهر أقوالهم ضل وهذا ظاهر فان كتب محي الدين بن عربي مملوءة بما يخالف عقائد الدين وأصوله وهذا كتاب الانسان الكامل للشيخ عبدالكريم الحلي هو في الظاهر أقرب الى النصرانية منه الى الاسلام ولكن هذا الظاهر غير مراد وانما الكلام رموز لمقاصد يعرفها من عرف مفتاحها فان كنت تدعي ذلك (وأشار الى الدلاهي) فان

لي معك كلاما آخر والاحرم عليك ان تنظر في كلام القوم لثلاثين في دينك (قال) وانني لما كنت رئيس المطبوعات أمرت بمنع طبع كتاب الفتوحات المكية وامثالها لان أمثال هذه الكتب لا يحل النظر فيها الا لاهلها: وههنا سكت الشيخ لدلاصي فلم يرجع قولا وظهر لنا انه اقتنع وقد تذكرت انني كنت رأيت في كتاب للشعراني أحسبه الجواهر والدرر انه سأل شيخه عليا الخواص لماذا يطلب من الناس تأويل كلام الانبياء اذا خالف ظاهر الشرع ولم يطلب منهم تأويل كلام الاولياء فاجابه لان الانبياء معصومون فيجب حمل كلامهم على الصحة دائما والاولياء ليسوا بمعصومين فيجوز ان يكونوا مخطئين فيما خالفوا فيه. هذا وانا في خاتمة هذا القول نعرف القراء بالشيخ محمد الدلاصي فنقول انه ليس كمن يهدون من شيوخ الطرق الجاهلين بل هو من اهل العلم والفهم ولولا غلوه باعتقاد تصرف الاموات في شؤون الاحياء لكان من احسن المرشدين المعامة وعسى ان يكون رجوع عن ذلك فقد نقل لنا من غلوه انه اقسم بالله تعالى ان السيد البدوي يميت ويحيي ويفقر ويسعد ويشقي ويمنع ويعطي (والعياذ بالله تعالى) وتنتي ان يكون هذا النقل عنه غير صحيح وقد عز علينا ان ننشر ذلك عنه ثم ذكرنا ان الانسان لا يرى غضاضة عليه في عزو اعتقاده اليه وان كذب لنا النقل فانا ننشر التكذيب فحين مستبشرين لاننا نفتقد ان نفع هذا الرجل يكون عظيما اذا هو رجوع عن ذلك الرأي الذي لا حجة له عليه الا انسه به والثقة بمشايخه الذين كانوا عليه والعقائد لا تقلد فيها على انه ربما كان اعلم منهم بكتاب الله الذي استأصل الوثنية من جذورها والخطا في العقائد خطر عظيم والله الهادي

❦ شرط طلب شيخ الطريق وصفته ❦

ثم سأل ابو زيد افندي موسى صاحب المنزل الذي نزلنا فيه (والشيخ عبدالمؤمن ولده) الاستاذ الامام عن سلوك الطريق قائلا ما معناه: اذا كنت انا جاهلا بما يجب علي الله تعالى وعاصيا مقصرا فيما أعرفه من الواجب ألا ينبغي لي أن أطلب شيئا مرشدا أضع يدي في يده واعاذه على السمع والطاعة ليداني على الله؟ فقال الاستاذ الامام ينبغي لك ان تطلب المرشد وانا أدلك على طريقة الطلب وهي أن تعمل أولا بحمد واخلاص بما تعرفه من أمور الدين الظاهرة التي لا خلاف فيها حتى اذا استقمت على ذلك وظهرت لك أمور اخرى دقيقة يشبه عليك الحق فيها فاطلب من هو اشد منك محافظة على العمل بما تعلم واعلم منك بتلك الدقائق ابرشدك الى مسلك الحق فيها بالشرط

الآتي. ثم سأله الاستاذ عن أمور كثيرة منها أن عرف أن أكل أموال الناس بالباطل حرام وأن إيذاء الناس حرام وأن التعاون على الشر حرام وأن الكذب والحيانة حرام.... وأن الصلاة والزكاة.... من الفرائض وأن الصدق والامانة والتعاون على الخير ومواساة المحتاج من الفضائل المحمودة - حتى ذكر له أمهات الفضائل والردائل وكان يحجب عن كل واحدة بأنه يعرف حكمها ولا يحتاج فيه الى مرشد ولا استاذ. فقال له اذا عملت بهذا كله باخلاص فانا أضمن لك على فضل الله تعالى القبول والرضوان وأن يهديك الى الدقائق وكشف الشبهات فانه قال «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين» وفي الحديث «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم» وتستغنى عن المرشد اذا لم يجده لقلته في هذا الزمن واذا وجدت من تراء سابقا لك في العلم والعمل وحسن الخلق وأردت أن تسترشد به فانظر وراء هذا شرطا واحدا وهو أن لا يكون دين هذا الرجل دكانه أي ان لا يقبل منك جزاء على الارشاد فاذا رأيته لا يمد يده للاخذ فامد اليه يدك وعاهده على الاسترشاد بعلمه وعرفانه واذا كان يمد يده للاخذ منك فلا تمد يدك الى يده الى بالسكين فانه لص قد اخذ الدين حرفة واكتف بالعمل بما تعلم والله يهديك ويسددك اه بالمعنى مختصرا

❦ قضية السادات وصاحب المؤيد ❦

حكم الشيخ أحمد أبو خطوه القاضي الشرعي في قضية السادات وصاحب المؤيد المشار اليها في الجزء الماضي بأن عقد الشيخ علي يوسف على السيدة صفية بنت السيد عبد الخالق السادات باطل بناء على عدم الكفاءة اذ ثبت لدى المحكمة بشهادة أهل العرف في البلد وإخبارهم ان أبا الزوجة يلحقه العار بزواج صاحب المؤيد ببنته لانه مشهور بالشرف وصاحب المؤيد غيره مشهور به ولا هو شريف بالفعل اذ ثبت ان نسبه مزور ولانه من أصحاب المجد الموروث وصاحب المؤيد حديث عهد بنعمة الدنيا وذكر في الحكم السابق ولان حرفة الصحافة لا تكون شريفة الا اذا كان صاحبها على معارف وصفات فصلها القاضي في حيثيات الحكم وذكر ان صاحب المؤيد عار منها بل متصف بضدها - هذا هو روح الحكم وقد أعجب به الاكثرون في القطر كله وائتقده بعض الناس بأن في حيثيات أمور اخطائية غير شرعية وتضعيفا للقوي من دفاع أحد الخصمين مع قبول مثله من الآخر

(تصحيح) جاء في السطر ١٣١ ص ٢٦٨ (وآذان) والصواب (ولهم آذان) فلتصحح

المسحاة

١٣١٥

فيشر عبادي الذين يستمعون القول
فيؤمنون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد آتاه خير كبير وما
يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للسلام صوى و«مناراً» كنار الطريق)

(مصر - الأحد ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٢٢ - ٢٨ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٤)

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً
صُمُّ بَكْمٌ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ *

بعد ما بين تعالى فساد ما عليه المقلدون من اتباع ما وجدوا عليه آباءهم
من غير نظر ولا استدلال ضرباهم مثلاً زيادة في تقييح شأنهم والازراء
عليهم فشبه حالهم بحال الغنم مع الراعي يدعوها فتقبل ويزجرها فتزجر
وهي لا تعقل مما يقول شيئاً ولا تفهم له معنى وإنما تسمع أصواتاً تقبل
لبعضها وتدبر للآخر بالتعود ولا تعقل سبباً للإقبال ولا للإدبار

(٥٦ - المنار)

ومعنى المثل هنا كما قال سيبويه أن قصة هؤلاء وشأنهم كشأن الناق
 بالغنم ولا يقتضي هذا أن يكون كل جزء من المشبه كمقابله من المشبه به
 وهو ما سماه علماء البيان بعد سيبويه بالتمثيل وفرقوا بينه وبين تشبيه
 متعدد بمتعدد. والكفر جحود الحق والاعراض عن النظر في الدليل عليه
 عند الدعوة إليه وفرق بينه وبين الضلال فإن الضال من أخطاء طريق الحق
 مع طلبه أوجهه فلم يعرفه بنفسه ولا بدلالة غيره. وأما الكافر فهو يرى
 الحق ويعرض عنه ويصرف نفسه عن دلائله وآياته فلا ينظر فيها فهو
 كالحيوان يرضى بأن لا يكون له فهم ولا علم بل يقوده غيره ويصرفه كيف
 شاء فهو مع من قلدهم من الرؤساء كالغنم مع الراعي تقبل بدعائه وتزجر
 بندائه، مسخرة لأرادته وقضائه، ولا تفهم لما زادعا ولما أجاز جرد دعوتها للراعي
 وللذبح سواء. وكذلك شأن كل من يسلم باعتقاد بلا دليل، ويقبل تكليفا
 بغير فقه ولا تعليل، والآية صريحة في أن التقليد بغير عقل ولا هداية هو شأن
 الكافرين وأن المرء لا يكون مؤمنا إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى
 اقتنع به فمن ربي على التسليم بغير عقل والعمل ولو صالحا بغير فقه فهو غير
 غير مؤمن لأنه ليس القصد من الإيمان أن يذلل الإنسان للخير كما يذلل
 الحيوان، بل القصد منه أن يرتقي عقله ونفسه بالعلم والعرفان، فيعمل الخير
 لأنه يفقه أنه الخير النافع المرضي لله ويترك الشر لأنه يفهم سوء عاقبته،
 ودرجة مضرته، ويكون فوق هذا على بصيرة وعقل في اعتقاده، فلا يأخذه
 بالتسليم لأجل آبائه وأجداده، ولذلك وصف الله الكافرين بعد تقرير
 المثل بقوله (صم) لا يسمعون الحق سماع تدبر وفهم (بكم) لا ينطقون به
 عن اعتقاد وعلم (عمي) لا ينظرون في آيات الله وفي أنفسهم حتى يتبين لهم

أنه الحق (فهم لا يعقلون) كما يطالب من الانسان، وانما ينقادون لغيرهم كما هو شأن الحيوان، وما ذكرناه هنا في المقلد وان حسنت حاله لم يصرح به الاستاذ الامام بعد تقرير المثل وتفسيره لاغناء الكلام السابق عنه وقد ذكرناه لان أكثر العلماء المتأخرين صرح بخلافه من عهد الغزالي الى الآن كأن الغزالي رأى من الغنيمة ان يكون الناس غير أشرار ينقادون لرؤسائهم وهداتهم ولو بغير عقل ولا فقه وفاته رحمه الله ان هذا الخير على كونه ليس كل المطلوب من الدين هو عرضة للذهاب والانقلاب بفساد حال المرشدين والمرين كما نراه باعيننا. نعم ان من كان مقلدا في الخير ولم يدع الى المعرفة الصحيحة والفقه يرحى له مغفرة الله ورحمته ولكن لا يكون له من ثمرات الاسلام في الدنيا والآخرة مثل ما للعارف، ومتى دعي وجب ان يجيب ويعرف

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، فَمَن اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ *

بين الله تعالى حال الذين يتخذون الانداد من دونه وأشار الى أن سبب ذلك حب الخطام وارتباط مصالح المرءوسين بمصالح الرؤساء في الرزق والجاه وخاطب الناس كلهم بأن يأكلوا من الارض إذ أباح لهم جميع خيراتها وبركاتها بشرط ان تكون حلالا طيبا وبين سوء حال الكافرين المقلدين الذين يقودهم الرؤساء كما يقود الراعي الغنم لانهم لا استقلال لهم - ثم وجه الخطاب الى المؤمنين خاصة لانهم أحق بالفهم وأجدد بالعلم وأحرى بالاهتداء فقال (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم)

وهذا تنبيه بعد ما تقدم الى عدم الالتفات الى أولئك الحمقى الذين أبيت لهم خيرات الأرض بأعمالهم فطفقوا يحلون بعضها ويحرمون بعضها بوساوس رؤسائهم ، وأعطوا ميزانا يميزون به الخواطر الشيطانية الضارة من غيرها ولكنهم تقضوا أيديهم من عز الاستقلال ، وهون عليهم التقليد ذل قيوده والاغلال ، فهو يقول كلوا من هذه الطيبات ولا تضيقوا على أنفسكم مثلهم . (واشكروا لله) الذي خلقها لكم وسهل عليكم أسبابها بأن تتبعوا سننه الحكيمة في طلب هذه الطيبات واستخراجها وفي استعمالها فيما خلقت لأجله ، وبالثناء عليه جل جلاله وعم نواله واعتقاد أن هذه الطيبات من فضله وإحسانه ليس لمن اتخذوا أندادا له تأثير فيها ولذلك قال (ان كنتم اياه تعبدون) أي ان كنتم تخصونه بالعبادة والاعتقاد بالانفراد بالسلطة والتأثير فاشكروا له خلق هذه النعم وإباحتها لكم ولا تتجهلوا له أندادا تطلبون منهم الرزق أو ترجعون اليهم بالتحليل والتحريم فان ذلك له وحده والا كنتم به كافرين كالذين من قبلكم جهلوا معنى عبادة الله تعالى فاتخذوا بينهم وبينه وسطاء في طلب الرزق ورؤساء يحلون ويحرمون . ومن الشكر له تعالى استعمال القوى التي غذيت بتلك الطيبات في تقع أنفسكم وأمتكم وجنسكم وليس من الطيبات ما يأخذه شيوخ الطريق من مرديهم بل هو من الخبائث والسحت

الاستاذ الامام : لا يفهم هذه الآية حق فهمها الا من كان عارفا بتاريخ الملل عند ظهور الاسلام وقبلة فان المشركين وأهل الكتاب كانوا فرقا وأصنافا منهم من حرم على نفسه أشياء معينة بأجناسها وأوصافها كالبحيرة والسائبة عند العرب وكبعض الحيوانات عند غيرهم وكان المذهب الشائع

في النصارى أن أقرب ما يتقرب به الى الله تعالى تعذيب النفس واحتقارها وحرمانها من جميع الطيبات المستلذة واحتقار الجسد ولوازمه واعتقاد أن لاهية الروح الابذلك وان الله تعالى لا يرضى منا الا احياء الروح . وكان الحرمان من الطيبات على أنواع منها ماهو خاص بالقديسين أو بالرهبان والقديسين ومنها ماهو عام كأنواع الصوم الكثيرة كصوم المذراء وصوم القديسين وفي بعضها يحرمون اللحم والسمن دون السمك ، وفي بعضها يحرمون السمك واللبن والبيض أيضاً . وكل هذه الأحكام والشرائع قد وضعها الرؤساء وليس لها أثر ينقل عن التوراة أو عن المسيح عليه السلام وبذلك كانوا أندادا ونزل في شأنهم « اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً » وقد تقدم بيان ذلك . وقد سرت اليهم هذه الاحكام بالوراثة عن آباؤهم الوثنيين الذين يحرمون كثيرا من الطيبات ويرون أن التقرب الى الله تعالى محصور في تعذيب النفس وترك حظوظ الجسد إذ رأوا في دينهم وسيرة المسيح وحواريه من طلب المبالغة في الزهد ما يؤيدها

وقد تفضل الله تعالى على هذه الأمة بجعلها أمة وسطا تعطي الجسد حقه والروح حقها كما تقدم في تفسير « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » فأحل لنا الطيبات لتتسع دائرة نعمه الجسدية علينا وأمرنا بالشكر عليها ليكون لنا منها فوائد روحانية عقلية فلم نكن جثمانين محضا كالأنعام ولا روحانيين خلصا كالملائكة ، وإنما جعلنا أناسي كماله ، بهذه الشريعة المعتدلة ، فله الحمد والشكر والثناء الحسن

ظهر بهذا التقرير أن الآية متصلة بما قبلها ومتممة له . وقال بعض المفسرين وله وجه فيما قال ان ما تقدم من أول السورة الى ما قبل هذه

الآية في القرآن والرسالة وأحوال المنكرين للداعي وما جاء فيها من الأحكام فانما جاء بطريق العرض والاستطراد . وهذه الآية ابتداء قسم جديد من الكلام وهو سرد الأحكام فانه يذكر بعدها أحكام محرمات الطعام وأحكام الصوم والحج والقصاص والوصية والنكاح والطلاق والرضاع وغير ذلك وينتهي هذا القسم بما قبل قوله تعالى « ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم » الآية ولا غرو فان بين كل قسم وآخر في القرآن من التناسب مثل ما بين كل آية وأخرى في القسم الواحد « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير »

بعد ذكر إباحة الطيبات ذكر المحرمات فقال تبارك اسمه (إنما حرم عليكم الميتة) لما في الطباع السليمة من استمقذارها ولما يتوقع من ضررها فانها إما أن تكون ماتت بمرض سابق أو بعملة عارضة وكلاهما لا يؤمن ضرره لأن المرض قد يكون معديا والموت الفجائي يقتضي بقاء بعض الأشياء الضارة في الجسم كالكربون الذي يكون سبب الاختناق . هذا ما قاله الاستاذ الامام ويزاد عليه عدم القصد الى إِمَاتِهَا بعمل الانسان وهو سبب الفرق بين المخنوقة والمنخنقة التي في معنى الميتة حتف أنفها (وتقدم شرح ذلك في المجلد السادس) ولذلك كان في معنى الميتة كل ما أُلْفَ بغير قصد الذكاة كالمنخنقة والموقوذة الخ ما ذكر في آية المائدة (والدم) أي المسفوح كما في آية الأنعام فانه قدر لا طيب وضار كالْمِيتَةِ (ولحم الخنزير) فانه قدر لأن غذاء الخنزير من القاذورات والنجاسات وهو ضار في جميع الأقاليم كما ثبت بالتجربة وأكل لحمه من أسباب الدودة الوحيدة القتالة والعياذ بالله تعالى منها (وما أهل لغير الله به) وهو ما كان يذبح ويقدم للاصنام أو غيرها مما

يُعبَد والمنع من هذا ديني محض لحماية التوحيد لا نه من أعمال الوثنية فكل من
أهل لغير الله على ذبيحة فانه يتقرب الى من أهل باسمه تقرب عبادة
وذلك من الاشرار والاعتماد على غير الله تعالى . وقد ذكر الفقهاء أن كل
ما ذكر عليه اسم غير الله ولو مع اسم الله فهو محرم وقد أقره الاستاذ الامام
وعد منه ما يجري في الأرياف كثيرا من قولهم عند الذبح - لاسيما ذبح
المنذور - بسم الله الله أ كبر ياسيد : يدعون السيد البدوي أن يلتفت اليهم
ويتقبل النذر ويرضى به قال وكيفما أولته فهو محرم . ومثل ذكر
السيد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم اذ لا يجوز أن يذكر عند الذبح غير
اسم المنعم بالبهيمة المبيح لها فهي تذبح وتؤكل باسمه لا يشاركه في ذلك
سواه ولا يتقرب بها الى من عداه ممن لم يخلق ولم ينعم ولم يبع ذلك لأنه
غير واضع للدين (فن اضطر) الى الاكل مما ذكر بأن لم يجد ما يسد به ريقه
سواه (غير باغ) له أي غير طاب له راغب فيه (ولا عاد) يتجاوز قدر
الضرورة (فلا إثم عليه) لأن الالتقاء بنفسه الى التهلكة بالموت جوعا
أشد ضررا من أكل الميتة أو الدم أو اللحم الخنزير بل الضرر في ترك الأكل
محقق والضرر في فعله مضمون وربما كانت شدة الحاجة الى الاكل مع
الاكتفاء بسد الريق مانعة من الضرر . وأما ما أهل به لغير الله فن أكل
منه مضطرا فهو لا يقصد اجازة عمل الوثنية ولا استحسانه (ان الله غفور
رحيم) إذ حرم على عباده الضار وجعل الضرورات تقدر بقدرها لينتفي
الحرج والعسر عنهم

وفسر الجلال « باغ » بالخارج على المسلمين و « عاد » بالمتعدي
عليهم بقطع الطريق قال ويلحق بهم كل عاص بسفره كالأبق والمكاس

وعليه الشافعي . قال الاستاذ الامام ولا خلاف بين المسلمين في أن العاصي كغيره يحرم عليه إلقاء نفسه في التهلكة ويجب عليه توفي الضرر ويجب علينا دفعه عنه ان استطعنا فكيف لا نتناوله إباحة الرخص . ثم ان المناسب للسياق ان يحدد الضرورة التي تجيز أكل المحرم وتفسير الباغي والعادي بما ذكرنا هو المحدد لها وهو موافق للغة كقوله تعالى حكاية عن أخوة يوسف « مانعني » وفي الحديث الصحيح « يا باغي الخير هلم » وفي التنزيل « ولا تعد عينك عنهم » أي لا تتجاوزهم الى غيرهم فالكلام في تحديد الضرورة وتمايم بيان حكم ما يحل ويحرم من الاكل في السياسة وعقوبة الخارجين على الدولة والمؤذين للأمة . وانما كان هذا التحديد لازما لئلا يتبع الناس أهواءهم في تفسير الاضطرار اذا هو وكل اليهم بالاحد ولا قيد فيزعم هذا أنه مضطر وليس بمضطر ويذهب ذلك بشهوته الى ما وراء حد الضرورة، فلم من قوله « غير باغ ولا عاد » كيف تقدر الضرورة بقدرها والاحكام عامة يخاطب بها كل مكلف لا يصح استثناء أحد الا بنص صريح من الشارع . ويدكر بعض المفسرين في هذا المقام مسائل خلافية في الميتة كحل الانتفاع بجلدها وغير ذلك مما ليس بأكل وقد قلنا اننا لا نتعرض في بيان القرآن الى المسائل الخلافية التي لا تدل عليها عبارته إذ يجب أن يبقى دائما فوق كل خلاف

ومن مباحث البلاغة في الآية أن ذكر (غفور) له فيها نكتة دقيقة لا تظهر الا لصاحب الذوق الصحيح في اللغة فقد يقال أن ذكر وصف الرحيم ينبيء بأن هذا التشريع والتخفيف بالرخصة من آثار الرحمة الالهية وأما الغفور فانما يناسب أن يذكر في مقام العفو عن الزلات والتوبة عن

السيئات . والجواب عن هذا أن ما ذكر في تحديد الاضطرار دقيق جدا ومرجه الى اجتهاد المضطر ويصعب على من خارت قواه من الجوع أن يعرف القدر الذي يمسك الرمح ويبقى من الهلاك بالتدقيق وأن يقف عنده والصادق الايمان يخشى أن يقع في وصف الباغي والعادي بغير اختياره فانه تعالى يشره بأن الخطأ المتوقع في الاجتهاد في ذلك مغفور له ما لم يتعمد تجاوز الحدود والله تعالى أعلم

مناظرة بين مقلد وصاحب حجة - تابع ويتبع

(الوجه السادس والسبعون) قولكم : إنكم منعمون من التقليد خشية وقوع المقلد في الخطأ بأن يكون من قلده مخطئا في قتواه ثم أوجيتم عليه النظر والاستدلال في طلب الحق ولا ريب أن صوابه في تقليده لمن هو أعلم منه أقرب من اجتهاده هو لنفسه كمن أراد شري سلعة لا خبرة له بها فانه اذا قلده عالما بتلك السلعة خيرا بها أمينا نالها كان صوابه وحصول غرضه أقرب من اجتهاده لنفسه : - جوابه من وجوه (أحدها) أنا منعمنا بالتقليد طاعة لله ورسوله والله ورسوله منع منه وذم أهله في كتابه وأمر بحكيمه ونحكيم رسوله ورد ما تنازعت فيه الأمة اليه وإلى رسوله وأخبر أن الحكم له وحده ونهى أن يتخذ من دونه ودون رسوله وليجة وأمر أن يعصم بكتابه ونهى أن يتخذ من دونه أولياء وأربابا يحل من اتخذهم ما أحلوه ويحرم ما حرموه وجعل من لا علم له بما أنزله على رسوله بمنزلة الأنعام وأمر بطاعة أولي الأمر اذا كانت طاعتهم طاعة لرسوله بأن يكونوا متبعين لأمره مخبرين به واقسم بنفسه سبحانه أنه لا يؤمن حتى يحكم الرسول خاصة فيما شجر بيننا لأنحكم غيره ثم لا نجد في أنفسنا حرجا من حكمه به كما يجد المقلدون اذا جاز حكمه خلاف قول من قلده وأن نسلم حكمه تسليما كما يسلم المقلدون لا أقوال من قلده بل تسليما أعظم من تسليمهم وأكمل واقعة المستعان وذم من حاكم إلى غير الرسول . وهذا كما أنه نابت في حياته فهو ثابت بعد مماته فهو كان حيا بين أظهرنا ونحاكمنا إلى غيره لكن

من أهل الذم والوعيد فسنته وما جاء به من الهدى ودين الحق لم يمت وان فقد من بين الامة شخصه الكريم فلم يفقد من بيننا سنته ودعوته وهديه . والعلم والايمان بحمد الله مكانهما من ابتغاهما وجدها . وقد ضمن الله سبحانه حفظ الذكر الذي أنزله على رسول فلا يزال محفوظا بحفظ الله محميا بحمايته لتقوم حجة الله على عباده قرنا بعد قرن اذ كان نبيهم آخر الانبياء ولاني بعده فكان حفظه لدينه وما أنزله على رسوله مغنيا عن رسول آخر بعد خاتم الرسل والذي أوجبه الله سبحانه وفرضه على الصحابة من تلقي العلم والهدى من القرآن والسنة دون غيرها هو بينه واجب على من بعدهم وهو محكم لم ينسخ ولم يتطرق اليه النسخ حتى ينسخ الله العالم اويطوي الدنيا وقد ذم الله تعالى من اذا دعي الى ما أنزله والى رسوله صد وأعرض وحذره ان تصيبه مصيبة باعراضه عن ذلك في قلبه ودينه ودنياه وحذّر من خالف عن أمره واتبع غيره ان تصيبه فتنة أو يصيبه عذاب أليم ، فالفقتة في قلبه ، والعذاب الاليم في بدنه وروحه ، وهما متلازمان فمن فتن في قلبه باعراضه عما جاء به ، ومخالفته له الى غيره ، أصيب بالعذاب الاليم ولا بد . وأخبر سبحانه انه اذا قضى امراً على لسان رسوله لم يكن لاحد من المؤمنين ان يختار من أمره غير ما قضاه فلا خيرة بعد قضائه للمؤمن البتة ونحن نسأل المقلدين : هل يمكن ان يخفى قضاء الله ورسوله على من قلدهم دينكم في كثير من المواضع ام لا ؟ فان قالوا : لا يمكن ان يخفى عليه ذلك : انزلوه فوق منزلة ابي بكر وعمر وعثمان وعلى والصحابة كلهم فليس أحد منهم الا وقد خفي عليه بعض ما قضى الله ورسوله به . فهذا الصديق أعلم الامة به خفي عليه ميراث الجدة حتى أعلمه به محمد بن مسلمة والمغيرة بن شعبة وخفي عليه ان الشهيد لادية له حتى أعلمه به عمر فرجع الى قوله . وخفي على عمر (١) تيمم الجنب فقال لو بقي شهرا لم يصل حتى يغتسل . وخفي عليه (٢) دية الاصابع فقضى بالابهام والتي تليها بخمس وعشرين حتى أخبر ان في كتاب عمرو بن حزم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قضى فيها بعشر عشر فترك قوله ورجع اليه . وخفي عليه (٣) شأن الاستئذان حتى أخبره به أبو موسى وأبو سعيد الخدري . وخفي عليه (٤) توريث المرأة من دية زوجها حتى كتب اليه الضحاك بن سفيان الكلابي وهو اعرابي من أهل البادية أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمره أن

بورث امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها. وخفي عليه (٥) حكم املاص المرأة حتى سأل
 عنه فوجده عند المغيرة بن شعبة. وخفي عليه (٦) أمر المجوس في الجزية حتى أخبره عبد
 الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذها من مجوس هجر. وخفي
 عليه (٧) سقوط طواف الوداع عن الخائض فكان يردهن حتى يطهرن ثم يطفن حتى بلغه
 عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلاف ذلك فرجع عن قوله. وخفي عليه (٨) التسوية
 بين دية الأصابع وكان يفضل بينها حتى بلغته السنة في التسوية فرجع إليها. وخفي
 عليه (٩) شأن متعة الحج وكان ينهى عنها حتى وقف على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 أمر بها فترك قوله وأمر بها. وخفي عليه (١٠) جواز التسمي بأسماء الانبياء فنهى عنه
 حتى أخبره به طلحة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كناه أبا محمد فامسك ولم يتمد
 على النهي. هذا وابوموسى ومحمد بن مسلمة وابو أبوب من أشهر الصحابة ولكن لم
 يرباله رضي الله عنه أمر هو بين يديه حتى نهى عنه. وكما خفي عليه (١١) قوله
 تعالى «أنك ميت وأنهم ميتون» وقوله «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل
 أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم» حتى قال والله كاذبي ما سمعتها قط قبل وقتي هذا.
 وكما خفي عليه (١٢) حكم الزيادة في المهر على مهور أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 وبناته حتى ذكرته تلك المرأة بقوله تعالى «وآتيتهم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه
 شيئا» فقال كل أحد أفقه من عمر حتى النساء. وكما خفي عليه (١٣) أمر الجد والكلالة
 وبعض أبواب الربا فتنبى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان عهد إليهم فيها
 عهدا. وكما خفي عليه يوم الحديبية (١٤) أن وعد الله لثيابه وأصحابه بدخول مكة مطلق
 لا يتعين لذلك العام حتى بينه له النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وكما خفي عليه (١٥) جواز
 استدامة الطيب للمحرم وتطيه بعد النحر وقبل طواف الافاضة وقد صحت السنة
 بذلك. وكما خفي عليه (١٦) أمر القدوم على محل الطاعون والفرار منه حتى أخبر بان
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال «إذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع
 وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها فرارا منه» هذا وهو أعلم الأمة بعد الصديق على الإطلاق
 وهو كما قال ابن مسعود لو وضع علم عمر في كفة ميزان وجعل علم أهل الأرض في
 كفة لرجح علم عمر. قال الاعمش: فذكرت ذلك لأبراهيم التيمي فقال والله أني

لأحسب عمر ذهب بتسعة اعشار العلم .

وخفي على عثمان بن عفان أقل مدة الحمل حتى ذكره ابن عباس بقوله تعالى « وحمله وفصاله ثلاثون شهرا » مع قوله « والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين » فرجع الى ذلك . وخفي على أبي موسى الاشعري ميراث بنت الابن مع البنت السدس حتى ذكر له ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورثها ذلك . وخفي على ابن عباس تحريم لحوم الحرم الاهلية حتى ذكر له ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرمها يوم خيبر . وخفي على ابن مسعود حكم المفوضة وترددوا اليه فيها شهرافأفتاهم برأيه ثم بلغه النص بمثل ما أفتى به .

وهذا باب لو تتبعناه لجاء سفر أكبر أفنساء حينئذ فرقة التقليد هل يجوز أن يخفى على من قلدتموه بعض شأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يخفى ذلك على سادات الامة اولا ؟ فان قالوا لا يخفى عليه وقد خفي على الصحابة مع قرب عهدهم بلغوا في الغلو مبالغ مدعي العصمة في الأئمة . وان قالوا : بل يجوز أن يخفى عليهم - وهو الواقع وهم مراتب في الخفاء في القلة والكثرة - قلنا : فبحن نناشدكم الله الذي هو عند لسان كل قائل وقلبه اذا قضى الله ورسوله امرا خفي على من قلدتموه هل تبقى لكم الحيرة بين قبول قوله ورده ام تنقطع خيبرتكم وتوجبون العمل بما قضاه الله ورسوله عينا لا يجوز سواه ؟ فأعدوا لهذا السؤال جوابا ، وللجواب صوابا . فان السؤال واقع ، والجواب لازم ، والمقصود ان هذا هو الذي منعنا من التقليد فأين معكم حجة واحدة تقطع العذر وتسوغ لكم ما ارتضيتموه لأنفسكم من التقليد .

(الوجه الثاني) ان قولكم صواب المقلد في تقليده لمن هو أعلم منه اقرب من صوابه في اجتهاده دعوى باطلة فانه اذا قلد من قد خالفه غيره بمن هو نظيره وأعلم منه لم يدر على صواب هو من تقليده او على خطأ بل هو كما قال الشافعي : حاطب ليل اما ان يقع بيده عود أو ألقى تلده . واما اذا بذل اجتهاده في معرفة الحق فانه بين أمرين اما ان يظفر به فله اجران واما ان يخطئه فله أجر فهو مصيب للاجر ولا بد بخلاف المقلد المتعصب فانه ان اصاب لم يؤجر وان أخطأ لم يسلم من الاتم فاين صواب الاعمى من صواب البصير الباذل جهده .

(الوجه الثالث) انه انما يكون أقرب الى الصواب اذا عرف ان الصواب مع من قلده دون غيره . وحينئذ فلا يكون مقلدا له بل متبعا للحجة . واما اذا لم يعرف ذلك البتة فمن اين الحكم انه اقرب الى الصواب من باذل جهده ، ومستفرغ وسعه في طلب الحق .

(الوجه الرابع) ان الاقرب الى الصواب عند تنازع العلماء من امثال امر الله فرد ما تنازعوا فيه الى القرآن والسنة واما من رد ما تنازعوا فيه الى قول متبوعه دون غيره فكيف يكون أقرب الى الصواب .

(الوجه الخامس) ان المثال الذي مثلتم به من أكبر الحجج عليكم فان من اراد شري سلعته ، أو سلوك طريقة حين اختلف عليه اثنان أو أكثر وكل منهم يأمره بخلاف ما يأمره به الآخر فانه لا يقدم على تقليد واحد منهم بل يبقى مترددا طالبا للصواب من أقوالهم فلو أقدم على قبول قول أحدهم مع مساواة الآخر له في المعرفة والنصيحة والديانة أو كونه فوقه في ذلك عد مخاطرا مذموما ولم يمدح إن أصاب وقد جعل الله في فطر العقلاء في مثل هذا أن يتوقف أحدهم ويطلب ترجيح قول المختلفين عليه من خارج حتى يستبين له الصواب ولم يجعل في فطرهم الهجس على قبول قول واحد واطراح قول من عداه (لما بقيه)

سُبْحَانَكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ

الفداء والقداسة

قد اعتاد ذلك الشاب القبطي الذي كان محرر مجلة بشائر السلام على الارتزاق والتعزز عند قومه بدعوة المسلمين الى النصرانية ولما خذلت تلك المجلة ولم يجد مجلة ولا جريدة غيرها تقبل ان تستخدمه لنشر بضاعته المزجاة رأى ان يطبع منشورات في الدعوة الى النصرانية ويطوف في البلاد موزعا لها ويظهر ان له من قومه أعوانا يرضخون له لإسماعدا على هذا العمل الذي يرون أنه يفيظ المسلمين وربما يعتقدون انهم أنه ربما يشككهم في دينهم . وقد أرسل الينا الكاتب نسخة من منشوره وكتب عليها ما نصه :

« بما أنني قد لاحظت من جريدتكم الزاهية شديد الغيرة للدفاع عن حوزة الاسلام
 بسنت اليكم بهذا الخطاب للرد عليه بممر فتكم ونشر الرد على صحيفتكم وان لم تستطيعوا
 لقوة البراهين الموردة فيه أرجوكم اذا ان تعبروه اتباعكم وتعملوا بما فيه ودمتم ،
 ومن البديهي أنه لم يرسل الينا ذلك ويطالبنا بالرد عليه في المنار الا لجل إشهاره
 وإشهار نفسه ولو كان قاصدا إقناعنا بالالوهام التي سماها براهين لما طلب منا الرد
 عليها . ولعمري ان امثال هذه الالوهام الصيانية لا تستحق ان يرد عليها لأن العقل
 الذي يخفى ان يفتر بها يستحق بها ان لا يبالي به واشرف للمسلمين ان لا يكون منهم .
 ولكننا مع هذا نذكر البرهان الذي قامت عليه هذه الدعوة او هذه الديانة التي نسبت
 الى المسيح عليه السلام بعد وفاته ورفعته الى دار السكرامة عند ربه بقرون ليحمد
 المسلمون ربهم على توفيقهم لهذا الدين القويم ، ولتقوم حجته على المقلدين الغافلين ،
 كان دعاة النصرانية يصورون مسألة الفداء بأنها الجامعة بين رحمة الله تعالى وعذله
 فلا يتصور العقل (النصراني) ان يكون خالق السموات والارض على أبدع نظام
 رحما عادلا الا اذا حل في بطن امرأة من كرة صغيرة من مخلوقاته التي لا يعلمها غيره
 ثم ولد منها فصار إنسانا لها ثم ساعد عليه اعداءه فصلبوه . وقد بينا من قبل ان
 النصراني أخذوا هذه العقيدة عن الوثنيين (راجع المجلد الرابع من المنار أو الجزء الاول من
 كتاب شبهات النصراني وحجج الاسلام) وقد جاءنا المبشر القبطي في منشوره بتصوير
 آخر يشبه الاول وهو ان الايمان بواحدانية الله تعالى يعوزه الايمان بأنه تعالى قدوس
 قال « لأنه أهون عليه تعالى أن تشرك به آلهة كثيرة من أن تنفي عنه القداسة » ثم قال
 « انه لا يمكن أن يكون الله قدوسا تلقاء معاملته لعالمنا الاثيم بهذه المعاملة الا اذا اعتبرنا
 صحة الفداء » : فانظر الى هذه القداسة المتوقف عندهم إمكانها على اعتبارنا هذه
 العقيدة التي لا يستطيع العقل التصديق بها وان قال لسان المقلدين من النصراني ان
 ذلك من عقائد قلوبهم

ما أضعف عقول المقلدين ، يفسر لهم الشيء بضد معناه فيسلمون خاضعين ، إن
 القداسة هي الطهارة والزاهة ومعنى كونه تعالى قدوسا أنه جل جلاله منزّه عن كل
 ما لا يليق بالالوهية من صفات المخلوقات وشؤونهم كالتحول والانتقال والحلول في

الاجسام والمعجز وغير ذلك مما عبر عنه أحد أئمتنا بقوله « كل ما خطر ببالك قاله تعالى بخلاف ذلك » ولكن القداصة الالهية عند النصارى لا تحقق لله بل لا يمكن الا باعتبار اعتقاد طائفة صغيرة من خلقه وهم البشر ولو بعضهم بشرط أن يكون هذا الاعتقاد ضد القداصة وتقيضها وهو أن ينتقل الخالق ويحل في بطن امرأة الخ فما أعجب هذه القداصة !!! وأعجب منها أن يدعو أهلها اليها المسلمين الذين يقولون ان الله تعالى قدوس بذاته من الأزل قبل أن يخلق النصارى والمسيح وكل البشر وان هذا الوصف واجب له لا يمكن انتفاؤه ولو كفر جميع البشر به لأن ما كان بانذات لا يزول الا بزوال الذات وانه لا يتوقف على فداء ولا غيره والا كان أمرا اعتباريا لا ذاتيا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. يقولون أن الغرض من هذا التفسير تنزيه الباري تعالى عن الرضى بالمعاصي والشرور التي عملها ويعملها الناس من لدن آدم الى أن ينقرضوا. وفي هذا من التناقض نحو ما في سابقه لانهم يزعمون أن من يؤمن بهذا الفداء لا يؤاخذ الله بذنب وهذا هو عين الرضى بالمعاصي والشرور لانه إباحة لها . أليس من المعجائب ان يتصدى من يقول ان الله لا يكون قدوسا كارها للمعاصي الا اذا أباحها الى دعوة المسلمين لعقيدته وهم الذين يعتقدون أن من تقديس الباري وتنزيهه وعدم رضاه بالمعاصي أن جعل لكل معصية جزاء وعقوبة ليعتبروا ويتربوا بالنظر في تأثير أعمالهم في أنفسهم وفي الكون لانه تفضل عليهم بالارادة والعقل والاختيار في أعمالهم فهل بعد هذا التقديس والتنزيه من تقديس وتنزيه ؟

وقال مجيبا عن قول المسلمين ان الله غفور رحيم ان الرحمة والمغفرة لا يمكن أن يكونا بغير الفداء لانهما حيثئذ من الرضى بالمعصية وضرب لذلك مثل الجاني يعفو عنه الحاكم الظالم حبا في الظلم وارتياح له كأنه يقول إن الحاكم اذا سمح لرعيته بأن يرتكبوا جميع الفواحش والمنكرات وقتل ابنه البرى فداء عنهم يكون عادلا رحيفا حكيما نزيها لانه عاقب البرى وجعله فدية للآثيم ! وأي ظلم وجور وقسوة وحسب للآثام والجرائم أشد من هذا ؟ ولكن التقليد يعمي البصر والبصيرة ويعطى نور الفطرة حتى لا يكون بدعا عند صاحبه قلب الحقائق وتفسير التقيض بالتقيض . ومن المعجيب - وأي قولهم ليس بالمعجيب - أن صاحب هذا السخف يدعو اليه المسلمين الذين يعتقدون ان

رحمته تعالى قضت ان تكون عواقب المعاصي كلها سيئة لتكون أعمال الناس عبرة لهم وسببا لترتيبهم وترقيهم بعلمهم وعملهم وأنه تعالى قرن وعد المغفرة بالتوبة ووعد الرحمة بإحسان العمل فقال « واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » وقال « ان رحمة الله قريب من المحسنين » ونهى عن اليأس من رحمته مهما أذنب العبد لتدوم رغبته في فضل الله وقال « إن الحسنات يذهبن السيئات » لان آثار الحسنات في النفس ضد آثار السيئات والمراد من الدين ترقية النفس ليرجع المؤمن عن ذنبه ويتوب عالما بفائدة التوبة ومعنى المغفرة ثم ان صاحب المنشور حاول أن يجيب عن الاعتراض الذي طالما وجهناه اليهم قولا في مجتمهم وكتابة في النار وهو أن كون الفداء هو الذي يحقق انصاف البارى بالرحمة والعدل (وزد هنا القداسة) يقتضي أن يكون الله تعالى قبل صلب المسيح غير عادل ولا رحيم ولا قدوس فهذه الصفات انما حدثت له على رأيهم وإيمانهم منذ ألف وتسع مئة سنة تقريبا ولكن العقل يدل على أن صفاته تعالى كلها قديمة بقدمه وكذلك كتبهم فان ابراهيم وولده ومن قبلهم من الانبياء كانوا يقدسون الله تعالى ويصفونه بالرحمة والعدل، فهذه العقيدة ينقضها العقل والنقل - فقال في جوابه « ان الفداء وان كان تم بعد خلق العالم بقرون فان صاحبه وعدبه من بدء العالم ورمز اليه بالقرايين فابتدأت آثاره تظهر من ذلك الحين » اه وتقول في جواب الجواب : يخفى لهذه البراهين التي لا يقوى أحد على نقضها بل يأسنى على الفطرة البشرية التي يباغ التقليد الى هذه الغاية من إفسادها - ان القرايين وجدت في الملل الوثنية فهل كان الوثنيون ناجين ومقربين الى الله بها ؟ وهل كان هذا القرب والرضوان الالهي لانهم وعدوا من كهنهم بأن الله سيصلب نفسه بعد في جسم بشري يولد من فرج امرأة لاجلهم وجعلت هذه القرايين رمزا لذلك ؟ ان الوثنيين قد سبقوا النصراني الى خرافة الفداء إذ قالوا ان الاله أودين رمى نفسه في نار عظيمة فأحرقها فداء عن عباده (راجع ص ٤٤٨ م ٤ أو المقالة الخامسة من الجزء الأول من كتاب شبهات النصراني وحبج الاسلام) ثم انه لم ينقل عن ابراهيم خليل الرحمن ولا عن أدريس (أخنوخ) الذي رفعه الله اليه أنهما كانا يقولان بهذا الفداء أو يشيران الى هذا الرمز الوثني فهل كان التوحيد ذنبا لهما ولغيرهما من الانبياء وكان الوثنيون المتقدمون هم الناجين ؟ وكذلك موسى

لم يقل به بل لم يقل به أحد الاهولاء النصارى

هذه هي خرافة الفداء وهذه قيمة شبهة القرايين ، التي هي عندهم البرهان المين ، ومن العجائب ان اصحابها يدعون اليها المسلمين الذين بين دينهم حكمة القرايين بما يليق بحكمة الباري ويتفق مع تقديسه وتنزيهه في قوله تعالى « ان ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين » الله أكبر الله أكبر ، لمع الحق وظهر ، وتلاشت شبهة الذي كفر ، وبطل قول صاحب المذمور لمنكر الصلب والفداء : « واحذر كل احذر من انكار ذلك والا كنت منكرا لقداسة الله وليس على وجه الارض كفر أعظم من هذا فالمشرك والملاحد وعابد الصنم يكون في يوم الدين ألطف حالا من منكري الصلب الذي هو قداسة الله ورحمته وغفرانه » : وعلم ان الحق تقيض قوله وهي ان العقيدة تنافي ذلك وحسبك أن صاحبها يفضل الملاحد على المؤمن الذي ينكرها . فالحمد لله الذي جعلنا مسامحين

باب السؤال والفتوى

فتعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا ورمما قد منأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن بقي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لا غفاله

اشتراط الولي في النكاح

(س ٥٨) م . المدرس في (القاهرة) : لقد أنصقم فيما كتبتموه في مقالة (الاولياء والكفاءة الخ) اذ اقتصرتم فيها على ما ورد في الكفاءة من الاحاديث مع بيان مذهب الحنفية في ذلك وتركتم الحكم للرأي العام وانما نود أن تبينوا لنا رأيكم في وجوب اشتراط الولي أو عدمه مستدلين على ذلك بالكتاب والسنة كما هي طريقتكم مع بيان حكمة الشريعة في ذلك بتفصيل كاف وبيان شاف لا زال مناركم هاديا ، وعلمكم نافعا كافيا .

(ج) الذي يفهم من القرآن العزيز وكلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومضت به السنة وتقل عن جماهير الصحابة ولم ينقل عنهم خلافة أن الولي هو الذي يزوجه وانه لا بد منه ان وجد وأن الاثنى لا تزوج نفسها ولكن ليس للولي أن يزوجه .

بدون رضاها واكتفى الشرع بسكوت البكر لحياتها واشتراط أمر الثيب للولي وبذلك أعطى النساء حقاً لم يكن هن في غير هذه الشريعة العادلة وجعل الرجال قوامين عليهن مع العدل والشفقة وعدم الاكراه حفظاً لنظام البيوت وجمعاً بين مصلحة الرجال والنساء واليك الدلائل

قال تعالى «وأنكحوا الأيامى منكم» وهو خطاب للرجال الذين يتولون العقد وقال تعالى مخاطباً لعموم المكلفين: «وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف» فالاية صريحة في نهى الاولياء عن عضل الثيب ولا يملك العضل الا من يده عقدة النكاح ومن زعم ان الخطاب بالنهي للأزواج نرد عليه بالسياق وبما أخرجه البخاري وأصحاب السنن وغيرهم باسانيد شتى من حديث معقل بن يسار قال: كانت لي اخت فأتاني ابن عمي فأنكحها إياه فكانت عنده ما كانت ثم طلقها تطليقة ولم يراجعهما حتى انقضت العدة فهويها وهوته ثم خطبها مع الخطاب فقلت له بالكع اكرمتك بها وزوجتكها فطلقها ثم جئت بخطبها والله لا ترجع اليك ابداً وكان رجلاً لا بأس به وكانت المرأة تريد ان ترجع اليه فعلم الله حاجته اليها وحاجتها الى بعلمها فأنزل الله هذه الآية. قال فقهي: نزلت فكفرت عن عيني وأنكحيتها إياه. وفي لفظ فلما سمعها معقل قال سمعاً لربي وطاعة ثم دعاه فقال أزواجك وأكرمك: ولو كان لها أن تزوج نفسها لفعلت مع ما ذكر من رغبتها. ثم ان الآية إنما حرمت العضل على الولي ولو أراد الله أن لا يجعل للولي حقاً على الثيب انزلت الآية في بيان ان لمن أن يزوجهن أنفسهن. ولا يقال انها خاصة بتجريم العضل عن الأزواج السابقين لان العبرة بالعموم لا سيما مع اتحاد العلة المشار اليها في تمة الآية وهي قوله تعالى (ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وانتم لاتعلمون» فانها تشير الى مراعاة المصالح في هذه المعاملات ولا تجعلها أموراً تعبدية ومصلحة المرأة في العودة الى زوجها الاول مع التراضي كما أن مصلحةها أن تزوج مطلقاً فالعضل محرم على كل حال وهو لا يتحقق الا اذا كان الولي هو الذي له حق التزويج برضاها

وقال تعالى «وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او يعفو الذي يده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب

للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير ، الظاهر ان الذي بيده عقدة النكاح هو الولي وهو مروى عن ابن عباس وعائشة وطاووس ومجاهد وعطاء والحسن وعلقمة والزهري ولكن روى ابن جبر وغيره في المرفوع أنه الزوج وفي اسناده مقال وان حسنه ولم يذكره السيوطي في أسباب النزول ولم ترجح الاول عليه لهذا ولكن للسياق فانه يقول للازواج اذا طلقتن قبل الدخول فعليكن ان تدفعا نصف المهر المفروض الا اذا سمحت المعقود عليها بذلك بنفسها اوسمى وياها به وليس يظهر اوسمى الزوج به لأن الزوج هو المكلف بالدفع وانما قال به قوم وأولوه لأن من قواعدهم أن الولي لا يملك التصرف بمال موليته ولذلك خصه بعض من قال انه الولي بالمطلقة الصغيرة وقامهم ان المذاهب لا يصح أن تقيد القرآن ولا أن تخصصه على أن الجمع بين الآية وبين قاعدتهم سهل وهو أن يحمل على عفو وسماح يعلم به الولي رضاها أو يعوضها عنه مثله أو خيرا منه اذا رأى أن اللائق به ان لا يأخذ من الزوج شيئا لانه لم يدخل بها وقد رأيت ان الآية تحت على هذا العفو لان المأخوذ في هذه الحالة يثقل على النفوس من الجانبين الزوج يرام كالفرامة والولي والزوجة يرايه كالصدقة . ومن نظري في التعامل والآداب الاسلامية يرى ان ماجرى عليه المسلمون من إمضاء الولي أمثال هذه الامور وعدم حضور البنت المطلقة الى مجلس الطلاق وتصريحها بعفو أو مباشرتها لقبض ومن اتفاق الناس على أن هذا لا يلبق بها ومن التسامح بين الاولياء والبنات لاسيما اذا كان الولي أباً او جداً - كل ذلك من العمل بأداب القرآن وفضائل الاسلام . وهناك آيات أخرى كآية النساء «ولا تعضلوهن» وآية البقرة «ولا تسكحو المشركين» خاطب الرجال لانهم هم الذين يزوجون ولم يخاطب النساء بذلك قط

واما الحديث فقد روى أحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تسكح الايم حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن» : وهو يفهم ان حق مباشرة العقد للرجال ولكنه واجب ان يكون برضى النساء فالثيب لابد من أمرها صريحاً ويكتفي ان يستأذن البكر فتسكت ولذلك قالوا يا رسول الله وكيف أذننا قال «أن تسكت» وهذا أصبح حديث في الباب اتفاق عليه أهل الصحيح وهو يدل على ان من الآداب الاسلامية ان لا تصرح البكر بطلب

الزواج لانه لا يديق بالحياة الاسلامي الذي هو غرلها وهي لاتعرف الرجال فليقل هذا من يقولون ان الشريعة اعطت للبنت الحق في ان تزوج نفسها بدون رضاء أبيها أو غيره فلا يصح ان يقال ان ذلك مخالف للآداب الدينية . وفي حديث عائشة المتفق عليه قالت قلت يا رسول الله تستأمر النساء في أبضاعهن ؟ قال نعم قلت ان البكر تستأمر فتستحي فتسكت فقال « سكاتها أذن » وفي رواية « إذنها صماتها » وهذا الاستفهام من عائشة يدل على أنه لم يكن يعمد في ذلك العصر أن يزوج المرأة غير وليها وكانهم رأوا من الغريب أن تستأمر في ذلك .

وقالوا ينبغي ان تعلم البكر ان سكاتها اذن . ولا ينافي هذا حديث ابن عباس عنده سلم وأصحاب السنن « الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن في نفسها وإذنها صماتها » لأنه يحمل على انه لا يزوجه الا بأمر صريح منها جمعا بين الاخبار الماضية والآتية وموافقة للكتاب وأنه لا يصح العقد الا بذلك وأما البكر فيجب استئذنها ولو زوجها بدون اذنها يكون العقد موقوفا على اجازتها ويدل على ذلك في الموضعين ما تقدم في الجزء العاشر من حديث عبد الله بن بريدة وأن النبي (ص) جعل أمر الفتاة لها فأجازت عقدأبها وتزوجها إياها . وحديث خنساء بنت خدام الانصارية وهو أن أباه زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك فأتت رسول الله (ص) فرد نكاحها رواء أحمد والبخاري وأصحاب السنن

وعن أبي موسى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « لا نكاح الا بولي » رواء أحمد وأصحاب السنن الا النسائي وكذلك ابن حبان والحاكم وصحاحه وذكر له الحاكم طرقا وقال قد صحت الرواية فيه عن أزواج النبي (ص) عائشة وأم سلمة وزينب بنت جحش ثم سرد تمام ثلاثين صحابيا فلا يضر مع هذا وما سيأتي الاختلاف في وصله وارساله

وعن عائشة ان النبي (ص) قال « أيما امرأة نكحت بدون اذن وليها فنكاحها باطل فنكاحها باطل فنكاحها باطل فان دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها فان اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له » رواء الذين رووا ما قبله وحسنه الترمذي منهم وأخرجه أيضا أبو عوانة وابن حبان والحاكم وأعلوه بانكار الزمري له وأي مانع من نسيانه إياه وقد رواء عن ابن جريج عشرون رجلا . ورواه أبو داود الطيالسي بلفظ « لا نكاح الا بولي وأيما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل باطل باطل فان لم يكن لها ولي فالسلطان ولي من لا ولي له »

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تزوج المرأة المرأة ولا تزوج المرأة نفسها فان الزانية هي التي تزوج نفسها » رواه ابن ماجه والدارقطني والبيهقي وقال الحافظ بن حجر رجاله ثقات. وروى الشافعي والدارقطني عن عكرمة بن خالد قال جمعت الطريق ركبا فجعلت امرأة تذب أمرها بيد رجل غيروي فأنكحها فبلغ ذلك عمر فجلد الناكح والمنكح ورد نكاحها. وقد نقل بطلان العقد بغير ولي عن علي وعمر وابن عمر وابن عباس وابن مسعود وأبي هريرة وعائشة وهؤلاء أعلم الصحابة وقال الحافظ ابن المنذر انه لا يعرف عن أحد من الصحابة خلاف ذلك. فتبين ان الكتاب والسنة وعمل الصحابة وأقوالهم وان شئت قلت كما يقول الفقهاء اجماعهم على ان النكاح لا يصح بدون ولي وجري على هذا سلف الامة وخلفها عملا حتى الخفية الذين رووا عن أئمتهم في المسألة روايتين ظاهر الرواية أن نكاح الحرة العاقلة البالغة ينعقد برضاها ولوبدون ولي قال في الهداية « وعن أبي يوسف أنه لا ينعقد بدون ولي وعن محمد ينعقد موقوفا » وقولهما هو الموافق للاحاديث فهل يصح ان يترك الخفية هذا القول عندهم المؤيد بما رأيت من النصوص وعمل الصحابة لاجل تلك الرواية المخالفة لذلك ؟ تأمل وأنصف

هذا هو شرع الله في المسألة وحكمته ظاهرة وشرحها بالتفصيل يتوقف على اعادة ما كتبناه غير مرة في استقلال النساء وولاية الرجال عليهن وتقول هنا بالايجاز ان النساء كن قبل الاسلام كالعبيد والماعون عند العرب وغيرهم فرفعهن الله الى مساواة الرجال في الحقوق والتصرف في الاموال، ولكنه جعلهن تحت ولاية الرجال، ولم يعطهن تمام الاستقلال، فأوجب ان يكون للمرأة قيم يسوسها ولكن ليس له ان يتصرف في مالها ولا في نفسها بدون اذنها ورضاها بالمعروف وهذا القيم هو الاب ثم الاقرب فالاقرب من محارمها حتى تزوج فيكون الزوج هو القيم والرئيس عليها فليس لها ان تنفصل من البيت موقتا يسفر بعيد بدون ذي عزم وليس لها ان تنفصل منه بالمرّة بالزواج بدون اذن الاقرب فالاقرب من قوام البيت فلا بد من اتفاقها مع وليها في انفاذ هذا الامر الذي يهيم به ويحميها لانها خلقت للتقيام بأمر بيت فاذا طلقها الزوج فانها تعود الى بيت الولي فلا بد ان يكون الموالي يدي اختيار الزوج لها لئلا يلحقه من سوء اختيارها أذى أو عار. ولأنه أعرف بأحوال الرجل منها وأبعد عن

المهوي في الاختيار، ولا من مقاصد المصاهرة التآلف بين البيوت (العائلات) والعشائر وانقراد المرأة باختيار الزوج ينافي ذلك ويكون سبباً للعداوة والبغضاء. ولأنه ليس في اتفاق الولي معها على انتقاء الزوج وتوليئه المقدم عنها أدنى هضم لحريتها بعد ما علم من اشتراط رضاها - ولهذا المعنى ورد في الأحاديث أيضاً طاب استئذان الأم والعلم برضاها. وما علم من تحريم العضل أي الامتناع من تزويجها بمن يليق بها ويرجى أن يحسن عيشها معه كما نطقت به النصوص السابقة. وإذا اتفق أنها إذا أرادت زوجاً لم يرده هو بلا عذر ككونه غير كفؤ يلحقه به العار هو وبيته فقد جعل لها الشرع مخرجاً جابراً رفع أمرها إلى الحاكم قتيين بهذا ان اشتراط الولي مع رضى الزوجة في المقدم هو الذي يتم به نظام البيوت ويليق بكرامة النساء والرجال معا وان الخروج عنه خروج عن الشريعة والمصلحة جميعاً. وأي فساد في العائلات أكبر من خروج العذارى من بيوتهن وعدم عودتهن إليها لاختيارهن أزواجهن قدن عليهم ويدعن آباءهن وأهلهم في حيرة واضطراب ويوقعن بينهم وبين الزوج وأهله العداوة والخصام وقد أشرنا إلى اشتراط الولي في مقالة الكفاءة وهذا تفصيله ودليله والله أعلم بحكم ؟؟

❦ زواج الشيعي بالسنية ❦

(س ٥٩) ز . ف . في (القاهرة) : هل يجوز للسنية أن تتزوج بشيعي أم لا (ج) قد علم مما ذكرناه في جواب سؤالك السابق وما قبله ان هذا جائز وذلك ان أهل السنة يذكرون من مناقبهم التي يفضلون بها سائر أهل المذاهب الاسلامية أنهم لا يكفرون أحداً من أهل القبلة وإن كفرهم متأولاً وقد صرحوا بصحة إيمان الشيعة لأن الخلاف معهم في مسائل لا يتعلق بها كفر ولا إيمان فالشيعي مسلم له أن يتزوج بأية مسلمة . وإذا نظرنا إلى ما أصاب المسلمين من التأخر والضعف بسبب العداوة المذهبية وأنا في أشد الحاجة إلى التآلف والتعاطف والاتحاد يتبين لنا أن مصاهرة المخالف في المذهب ضرورية في هذه الأيام التي أحس المسلمون فيها مخطأهم السابق في التنافر والتباعد لأن المصاهرة من أعظم أسباب الاتحاد

❦ تعدد الجمعة وإعادة الظهر ❦

(س ٦٠) السيد محضار بن حسن في (سنن فوره)
ماقولكم دام بقاءكم فيها هو الجاري ببلد سنن فوره من تعدد الجمعة فيها في نحو

أربعة عشر مسجداً مع ما تعلمون من قول متأخري الشافعية في تعددها على هذا النحو . ولكن هل يجوز الإنكار على من اقتصر على صلاة الجمعة ولم يصل بعدها الظهر ويباح ثلثه والاستخفاف به أم لا

(ج) ان الشافعية يشترطون لوجوب إعادة الظهر ان يكون تعدد الجمعة لغير حاجة بأن يكون بعض هذه المساجد كافياً للمصلين . وإذا كانت هذه المسألة من المسائل الاجتهادية التي لم يرد فيها نص عن الشارع فلا يجوز أن ينكر فيها على من لم يصل الظهر بعد الجمعة وتجهل سبباً للتنازع بين المسلمين ودليل الشافعية على إعادة الظهر ضعيف جداً وان كان مافهموه من قصد الشارع اجتماع الناس والحرص على عدم تفرقهم صحيحاً فان هذا لا يقتضي أن يطالبوا بفريضتين في وقت واحد فاذا قلنا بالتقليد فلا يجوز للشافعي أن ينكر على من اتبع غير مذهبه لان جميع الأئمة على هدى من ربهم واذا اتبعنا الدليل وقوته كان لنا أن ندعو الشافعية الى ترك إعادة الظهر ولكن بالتي هي أحسن ولا يجوز لمسلم أن يهين مسلماً أو يثلبه لاجل الخلاف في أمثال هذه المسائل الفنية والله أعلم وأحكم

الذكر مع النطق باسم العدد

(س ٦١) ومنه: ما قولكم فيما صرح به كثير من المتأخرين من ان من قال في الصلاة هكذا: سبحان ربي العظيم وبحمده ثلاثاً: بلفظ ثلاثاً لا بتكرير التسييح حصل له كمال السنة وكذا لو قال بعد المكتوبة: سبحان الله ثلاثاً وثلاثين الحمد لله كذلك الله أكبر كذلك: بهذا اللفظ حصل له الفضل الموعود وان قال: سبحان الله مئة ألف مرة يحصل له ثواب من كررها مئة ألف مرة وما توسط به بعضهم فقال له أجر أكثر ممن قالها بدون لفظ العدد لكنه دون أجر من كرر العدد. وقد خالف هذا بعض من حضر قراءة عبارات المصنفين المذكور فحواها فقال ان النبي قال: «صلوا كما رأيتموني أصلي» وما بلغنا أنه ألحق ثلاثاً بشيء من أذكار الصلاة بل أمر بتكرير الاذكار ولم يفهم أحد من الصحابة ما فهمه هؤلاء المصنفون فمن أدخل في الصلاة ما ليس فيها فقد عصى وتلاعب وابتدع. أما في غير الصلاة فما ورد على النبي صلى الله عليه وسلم نحو سبحان الله وبحمده عدد خلقه إلخ فلا شك ان فيه فضلاً كبيراً بموجب الوعد وإيسر لنا أن

أن نقبس عليه ، وذكر احتجاجاً ورداً على ما احتج به المخالف لاحتاجة الى تسطيره لكم وقد أحيينا استجلاء الحقيقة منكم فأفيدونا ولكم الفضل

(ج) مقاله هذا المعترض على المؤلفين هو الحق وكلامه كلام فقيه في الدين وقد صرحنا في المنار مراراً بأن العبادات لا قياس فيها . والمعجب من هؤلاء المصنفين بمنعون الاجتهاد بمعنى الاستدلال على الأحكام وفهم الكتاب والسنة ويديحون لأنفسهم الاجتهاد بالتسلاع في الدين وتغيير بعض أحكامه والريادة والتقص من عباداته مع اكمال الله إياه فقولهم يكتفي في أذكاء الصلاة المكررة التلغظ باسم العدد يقتضي إذا سلم أنه يجوز لنا أن نغير الأذان بأن يقول المؤذن : « الله أكبر أربع مرات أشهد أن لا إله الا الله مرتين » : وهكذا بذكر لفظ العدد وما هو الا قياس شيطاني يراد به إفساد الدين فهو قول باطل لا يلتفت اليه . أما قول الذين سميتوهم متوسطين فهو ليس بشيء أيضاً وإن كان لا يبالغ فساد الاول وقبحه فإن ذكر لفظ العدد لغو ليس له أثر في النفس فنقول إنه مفيد بأثره ولم يعد عليه الشارع شيئاً فنقول اتنا نسلم به تعبداً ، وليس هو من قبيل : سبحان الله وبحمده عدد خلقه : فإن هذه الصيغة وأمثالها كقولك : الحمد لله عدد نعم الله : هنا أثر في النفس بما فيها من الاعتراف بكثرة النعم وتذكرها مجملة واعترافك باستحقاق المنعم بالحمد عليها وإنما كان الذكر عبادة باعتبار ماله من مثل هذا الأثر في النفس ولأنواب عليه من حيث هو حركات في اللسان وكيفية في الصوت وإنما الثواب عليه بما ذكرنا من تأثيره في النفس فإن ذاكر الله مع هذا الحضور ينمو الايمان في قلبه ويصير كثير المراقبة لله تعالى وذلك أعظم رادع عن الشرور والرذائل ، ومرغب في الخيرات وأعمال الفضائل ، والمراقبة تثمر الحشية كما ان الذكر يثمر الانس بالله تعالى أيضاً وناهيك بذلك سعادة لا يعرفها الا من شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ولهذا المعاني قول الذّاكر بالغافل فكان ضده وإنما موضع الغفلة القلب فهو موضع الذكر أيضاً وإنما اللسان محرك لقلب المبتدئ وضعيف الايمان كما أن انقلابه هو المحرك لسان المؤمن الكامل . بل الذكر في الاصل هو ذكر القلب ومنه التذكر والذكرى والاقوال التي تكون سبباً لذكر القلب تسمى ذكراً مجازاً . ولو كان ذكر اللسان مفيد بذاته لكان قول : لا اله الا الله : بمن لا يفهم معناها اولا يعتقد نافعاً والامر ظاهر لاحتياج الى زيادة إيضاح

باب التريية بركوب البحر

الشذرة الرابعة عشرة من جريدة الدكتور اراسم (*)

(التريية بركوب البحر)

عن ميناء لوندرة في ٣ مارس سنة ١٨٦٠

(في البحر) تقرر أن يقام أصحاب السفينة التي تقلنا في يومين وهانحن أولاء

نسام فيها من الآن

ذلك أني كنت قرأت في الصحف الانكليزية منذ ستة أسابيع اعلاناً بأن سفينة تسمى المونيتور تسافر عما قليل الى بلاد البيرو فلم ألبث عند وصولي الى لوندرة ان سألت عنها ولاقيت ربانها في أحواض الميناء وهو رجل في نحو الثانية والأربعين من عمره أسمر قصير بادن تؤذن بدأته بأن ستنهي بسمن مفرط مع ماهو فيه من معيشة الجهد والنشاط . ويطري الناس خبرته ومثانة سفينته واني قلما صادفت وجها أطلق من وجهه وأدل منه على الذكاء والاستقامة وقد تبين لي أنه عرف في مواني استراليا رباناً جسوراً انقطع للملاحة لايعرف غيرها كنت سافرت معه فيما سبق واتخذته صديقاً فلما علم اني صديق صديقه أقبل عليّ بصدر رحب وقلب سليم وكان من نتيجة هذا التعارف ان اتفقنا على ان أكون طبيباً للسفينة كما كنت لذلك الصديق وان يكون « أميل » تلميذاً بحرياً في مدة السفر

لما سمعت والدته بهذا ارتاعت في أول الامر لما توقعته له من سوء الطالع في ذلك العمل فاجتهدت في تسكين روعها ميناها مقاصدي منه

بلغ « أميل » الآن من السن أكثر من ثلاث عشرة سنة وأصبح طويل القامة قوي الجسم يتمتع بصحة تامة من أسبابها فيما أرى نظام المعيشة الذي جرى عليه وقد بدالي ان اشتغاله بتعلم الملاحة فرصة مفيدة لتريية قوته البدنية وشده أعضائه وتذليل

(*) معرب من باب تريية اليافع من كتاب أميل القرن التاسع عشر . وهو تابع لما

نشر في الجزء الرابع عشر من المجلد السادس

(٥٩ - المتار)

عضلاته بأعمال تقتضي من المهارة مثل ما تقتضيه من الشجاعة الحقيقية فإني وهيلانة
ما قصدنا قطعاً أن نجعله واحداً من أجنة العلم الفاسد الذين لأحياء لهم إلا في رؤسهم
فليعجب من شاء بأولئك المراهقين السقام المخدجين (١) الذين أعجزهم الدرس عن
العمل فليس هذا هو الكمال الذي نطلبه « لا ميل »

رأيت الناس في مكان لا يحضرني اسمه الآن يجرحون باطن الصدفة في بعض
الحيوانات الرخوة بطرف خنجر ليحملوا هذه الحيوانات على توليد الأؤلؤ بالصناعة
فذلك يشبه أن يكون شأن المربين مع أحسن التلامذة فهم يتلفون بناهم وينهكون
أجسامهم ولا أدري أي قصد لهم في ذلك سوى الحصول على مجموع من المعاني
تتحجر في أذهانهم تواضعوا على أن يسموها علماً وإني لفي شك من أن ما يحصله
المتعلمون من تلك المعاني يعوضهم شيئاً مما خسروه في سبيل تحصيله من قواهم وما أنفقوه
من صحتهم . ولست أقصد بقولي هذا تضييق المتعلمين عن العلم فإن الإنسان خالق ليعلم
وانما أريد أن يفهموا أن العمل البدني والعمل العقلي متكافئان في لزومهما لتقوية العقل
وإحصافه فعليتان تربيتي كل ما وهبه الله لنا ولا نستخف بشيء منه

استشرت « اميل » قبل اعتزامي على هذا الفكر فألقيته مملوء النفس به لانه
كجميع أترابه يحب الجديد ويأنس من نفسه فخراً بتعامه حرفة ويجب في هذا المقام
أن أئين مرادي وهو أنني لا أعتقد بحال أن من حق أن احتار لولدي عملاً تقوم به
معيشته كما أنني لا أدعي لنفسي حق إلزامه الايمان بمقيدة دينية أو سياسية على التلميذات
وقت التفكير في الحرفة التي ينبغي أن يشتغل بها ولا أدري هل يعرف بنفسه ما يلائمه
من الحرف أم لا فإن تربيته في غاية البعد عن نهايتها بل هي في بدايتها ولكنني أرى أنه
مهما حذق المربي في التبكير بإنشاء الطفل على الميل الى النفع والطمع فيلم يكن ذلك
منه عجالة مذمومة ولقد عرف « اميل » مما تلقاه على والدته من الدروس شرف
العمل وكرامته فترأى يخيل الآن أنه سيكسب أجرة سفره بتساقط شرع السفينة وهو
تخيل غير صحيح إلا في جزئه خير إني تحاميت كل التحامي إزالة هذا الوهم من نفسه
وتركت له أن يفخر بأنه يعلم خبزه الحاف بكده ونصبه فإن أقل ما في هذا أنه مفخرة

(١) المخدج هو الذي يولد ناقصاً بعد تمام مدة الحمل

كنت جبراً باللوم لو أني حرمتها

ثم إن التعليم في سفينة تجارية مفيد ومقو للعقل خصوصاً إذا كانت مدته لاتعمدى بضعة شهور فحرية الانسان على ظهر البحار هي ان لا يخضع الا الى الواجب فطاعة البحار في الحقيقة فيها شيء من الاختيار وهذه هي الخاصة الفارقة بينه وبين الجندي فالرجل الذي يرى من نفسه الجهل ببعض نواميس الكون فييدي من قوتها ما يكفي لامثال أمر الربان وهو يعلمه بقول موجز ما جهله من تلك النواميس يكون قد جمع في عمله هذا بين الاستقلال والحكمة

لست أبالغ لنفسي مطلقاً فيما لهذا التعلم من الآثار الحسنة والنتائج المفيدة فاني أعلم ان « اميل » لن يكون بحاراً مجرداً بما يمارسه من ضروب التمرن في حبال السفينة بيدان بلاده في ذلك لا يمكن أن يتخلف عنه استفادته منه فانه بواسطته يتعلم شيئاً من أحوال البحر وبه يعرف أجزاء السفينة الاساسية وما يطلق عليها من الاسماء فكثير من أترابه لا يعرفون شيئاً من امر هذه الدنيا السابعة

أخص ما أعني به في هذا الامر ان يحصل في ذهنه بالاختبار والمشاهدة معنى من القوى الكونية العظمى وما يلزم للانسان في مقاومتها وقهرها من ثبات الجاش وحضور الفكر وسيكون هذا أعظم درس له في سفره. وما لا يعني إلا أن أضحك منه انني أسمع بعض المعلمين يقولون لفلانهم المتبطلين الذين ورموا من صغرهم كبرا وغرورا انهم ملوك الخلق فهلا وصفوهم أيضاً بان أيديهم البيضاء الرقيقة لم تخلق الا لتقود عجلة الشمس في أرجاء السماء ؟ وريداً أيها المملعون قفوا هؤلاء الملوك امام البحر فانظروا ما يعتريهم من الرعب خشية أن تبصق امواجه الكثيفة في وجوههم

واما (اميل) فانه لا بد أن يتعلم من الآن ما يجب أن يبذله الانسان في سبيل سيادته على الفواعل الكونية وكيف ينبغي أن يكون معها في كفاح مستمر ليحفظ سلطانه على عرش الماء حادث الربان وهو رجل شهم في شأن ولدي وكاشفته بفكري في تربيته ففهم حق الفهم الدرس الذي أردت تعليمه اياه وهو أن من المفروض على الشاب أن يمتدحوا العمل العقلي جزاء للعمل البدني ومكافأة عليه اه



اثار علي بن ابي طالب

قصيدة في ندوة العلماء بالهند

تفضل علينا صديقنا الشيخ عبد الله الحيتيكي من بمبي (الهند) بارسال هذه القصيدة التي قدمها الى ندوة العلماء التي اجتمعت في شهر شوال سنة ١٣٢١ وكتب اليها أن بعض المسلمين اشتدوا في السنة الماضية في مقاومة الاجتماع وإبطال الاحتفال وجاءوا بأمور لا تحمد عند عاقل ولكن عزم رجال الندوة غلب حزب التفريق والتزريق وصديقنا يمرض بذلك وبهذا فهمنا ما في قصيدة أبي بكر بن شهاب في الجزء الماضي من التعريض والشيخ عبد الله هذا هو اخو فقيد العلم والادب صديقنا المرحوم الشيخ محمد الجيتيكي صاحب القصائد السابقة في المنار . واتنا ننشر القصيدة برمتها لما فيها من النصيحة والتذكير قال حفظه الله

دع ذكر ربات الكلل	وذر الصباية والعزل
القلب مشغول فدا	للعشق فيه من عمل
قد صمنا الداء العضا	ل من البطالة والكلل
داء أخل بعقلنا	والجسم منه قد اضمحل
داء به فسد المسرا	ج وفي الطبع بدا الخلل
داء لقد سلب القوى	منا وعدوض بالشلل
داء تعطل منه اح	ساساتنا والخطب جيل
خطب أباد جموعنا	حتى اتصفنا بالفشل
خطب لمول وقوعه	ولدان رأسهم اشتعل
خطب تزلزل الأرا	ضي منه واندك القليل
خطب أقام قيامة	قبل القيامة منذ حل
وارحنا لحالنا	اذ في الخطاط لم نزل
ما زاد كثر تناسوي الك	قصان قينا والعطل
قد زال شمس نهرا	في غفلة وبدا الطفل

فالآن ان لم تنبيهه هل بعد فينا من أمل
 واخيتاه لقد اطلت من الذل الظليل
 ترى أمام عيوننا الـ آفات تمطر كالهمل
 يا أيها الدلاء انظروا ماذا بساحتكم نزل
 جلت لديكم قمة مذبح عزتكم أقل
 هل فيكم من نهضة تحييكم مما حصل
 هل عدة مع عدة نرجو بها دفع الجبل
 ما عندكم غير اللسان وليس يتبعه عمل
 فلكم وكم بتم تعدون المصائب بالجمل
 هل ما أفاد مقالكم بين الوري غير الحجل
 ليس الكلام بمنجد مادام قائله وكل
 إن الكلام بغير فعـ لكالبكاء على العليل
 كم ذا التراخي منكم كم ذا التكاثر والمهل
 كم ذا التصبب بينكم كم ذا التنازع والجدل
 كم ذا التجاهل والتفا فل والتساهل والمطل
 أودي تأخركم عن الـ أقران في شر القيل
 لن تفلحوا مادمتم أسرى لأفكار أول
 والدهر حيث شغلتم عنه بغيركم اشتغل
 لله يا قوم انهضوا وخذوا الحذار من الدغل
 والى المعالي سارعوا فالجد يعلي من سفل
 ها ندوة العلماء يد نكم أقامت محفل
 من كل غطريف سديد العزم مقدم بطل
 من كل تحرير خبير سر عارف سمح أجل
 لله ناد قد حوى فضلاء قوم واشتمل
 به درهم فكل منهم في المناسبي يذل

لله جهدهم فكم قد أصلحوا منا خلل
 كم من مسائل فيهم تروي الأنام لدي التحل
 يامعشر الاسلام فاتبعوهم وذروا المذل
 فهم الأساء وغدهم لكم الشفاء من العلل
 وارعوا حقوق إخوانكم ودعوا النزاع على الأقل
 ويكون همكم لإصلاح الفساد وما أخل
 بفرق منكم لقد ضاقت بنا حيل الحيل
 لن تستقيم شئونكم والحبل منكم منفصل
 يا للحمية أسعدي فتشددني فينا الوصل
 حتى تقف حاله ذات فامرهم أجل
 ان الزمان لمتته والعمر يمضي بالعجل
 لا ينفعن تأسف من بعد ما يقضى الاجل
 والله ليس نفوسنا تركت سدى مثل الحمل
 فقدأ سيئس كلنا عما جناه وما فعل
 ماذا يكون جوابنا أفلا نجيب اذا نسل
 هذا وما غرضي سوى الذكري ولا أبني بدل
 ما الدين الا النصح والهادي هو الله الاجل
 يارب وفقنا لمرضاة من حسن العمل
 واهد الصراط المستقيم م جميعنا وقنا الفشل
 وانصر بلطفك ندوة الامل بلطفها الامل
 وأعن عبادك في الذي شرعوا به واشف العلل
 واجعل لنا من امرنا فرجا وكن لمن اقتبل
 واقبح بفضلك ينشأ بالحق واقبل من سأل
 وأدم صلوتك والسلا م على الذي نسخ الملال
 والآل والاصحاب ثم التابعين ومن كمل
 وسقى سحاب الفضل (مد - راسا) ومن فيها وخل

﴿ تقرير المصنفات ﴾

(كتاب روح الحياة) أهديت لنا من بضعة أشهر رسالة بهذا الاسم مؤلفة من ٣٢ صفحة وقد كتب عليها بعد اسم الكتاب : (الدعوة الاولى) من قلم تحرير جمعية الدعوة الاسلامية : ثم كتب بعد ذلك (تأليف محمد حافظ صاحب مدرسة نور الاسلام الاهلية) ففهمنا منها ان هناك جمعية للدعوة ولكننا لم نسمع لهذه الجمعية قبل الرسالة ولا بعدها خبراً ، ولم نر لها أثراً ، وقد اعتدنا ان نرى كثيراً من هذه المصنفات الحديثة الضخمة الالقاء ، فتحوم عليها نبغي الورود فيتين لنا انها سراب ، حتى صرنا نرغب عن قراءة اكثر المصنفات الحديثة التي لانعرف لانصحابها شهرة في العلم لثلا نضيع وقتنا في غير المفيد . وقد كنا ظننا ان هذه الرسالة من هذا القيل قيل المتجهين على التأليف وطبع ما يكتبون وان كان افوا الا اننا لمسكنها لتتظر فيها لانها نسبت الى جمعية موضوعها الدعوة الاسلامية فلم يتسع لنا ذلك الا اليوم .

نصفنا بعض صفحاتها وقرأنا جملاً من مسائلها فإيناها قد كتبت بعقل واشتملت على حكم وعظات نافعة أكثر مما كنا نتظرو ولكننا لم نر فيها دعوة الى شيء معين محدود يدل على ان وراءها ما هو أرقى منه كما يتبادر الى الذهن من كلمة (الدعوة الاولى) اذ تفهم الكلمة ان هناك أموراً مرتبة يتوقف بعضها على بعض قد شرعت الجمعية في بيانها لاقناع الناس بها . وهاهنا الرسالة في تقسيم الحياة الى وجودية وشهوانية واجتماعية وفي الموامل الحيوية في الشخص والعائلة والقوم والوطن وفيها فصل في الدين وتأثيره وفضل الاسلام وطريقتها في البحث فلسفية . وحيلة القول ان الرسالة نافعة نود أن يطالعها الشبان المصريون الذين لا هم لهم في حياتهم الا اللذة ونشكر للمؤلف والجمعية هذا العمل وتمنى أن يزيد نجاحاً وثباتاً

﴿ المجلس في التهمة والامتحان على طلب الاقرار ﴾

رسالة « الشيخ الاسلام سعد الدين الخالدي المعروف بابن الديري » نقلت من احدى مكاتب الاستانة واعتنى بايضاحها وطبعها محمد روجي افندي الخالدي المقدسي باش شهبندر الدولة العلية في مدينة برودو الفرنسية وفيها مباحث لانكاد توجد بمجموعة في كتاب بدأها بما ورد في المجلس من نصوص الكتاب والسنة وخرج الاحاديث

التي أوردتها وذكر عليها وهو ما لم يمهده من فقهاء الحنفية الا قليلا ثم ذكر أقوال الفقهاء في ذلك . ومن مسائلها بيان أصل اعتبار غلبة الظن ومراعاة ظواهر الاحوال والكلام في الحدود ودرئها والمعافة منها قبل الوصول الى الحاکم وعدم العمل فيها بكل اعتراف . والكلام في حبس أرباب التهم وضربهم لاجل الاقرار ، وفي تحكيم القلب في الامور وهو ما يعبرون عنه اليوم بالضمير . وفي آخرها ترجمة المؤلف ومقاله العلماء فيه ونقلوه عنه . وصفحات الرسالة تزيد على ٨٠ فنشكر فضل من سعى بطبعها ونشرها

علم قراءة اليد

كتاب حديث موضوعه ما يسميه الناس عندنا علم الكف وذلك أننا نسمع منذ الصغر أن من العرافين من يعرف مستقبل الانسان من النظر في كفه وقراءة ما فيها من الخطوط الدالة على معاني لا يعرفها الا أهلها . والمقلد يمدون هذا ضربا من الدجل والاحتيال على الرزق كضرب الرمل والودع والحصى ولا تكاد تجد من يعتقد بأن الكف يدل حقيقة على أحوال الانسان الا النساء والجهلة . وما كنا نظن أن الاوربيين عنوا بهذا الامر ووضعوا فيه المصنفات الموضحة بالرسوم وتصور تقاطيع الكف وخطوطه حتى ظهر هذا الكتاب .

نقل الكتاب وجمعه من اللغات الاجنبية محيب أفندي كاتبه رئيس القلم الافرنجي بالسكة الحديدية السودانية . واعتنى بضبط لغته الصاغق ولاسي محمد أفندي فاضل أركان حرب السكة الحديدية السودانية ، وهو جزآن أحدهما في دراسة اليد وثانيهما في اسرار الكف وفيهما أبواب وفصول كثيرة وتسعة وعشرون شكلا . وصفحات الكتاب تقرب من مئتين وثمن النسخة منه ٢٠ قرشاً أو ٥ فرنكات وأجرة البريد قرش أو ٣٠ سنتيا ويطلب من المكاتب الشهيرة

تاريخ اليهود

وضع هذا التاريخ حديثاً شاهين بك مكاربوس الواسع الاطلاع في التاريخ وهو مؤلف من فصول في نسب اليهود وأصلهم وفي انتشارهم وتاريخهم قبل الخروج من مصر وبعده وفي تفرقهم في الارض شرقها وغربها وفي ديانتهم وشرائعهم وفرقهم وعوائدهم وأشهر متقدميهم ومتأخريهم وجمعياتهم ونوابغهم ووجهاء المعاصرين في

العصر . وطريقة المؤلف وعادته في كلامه عن الطوائف والملل النظر الى الحسن والتوبه به وعدم الالتفات الى ضده بالمره فهو لا يذكرا امرأ متقدماً لاعلى طريقة الاستحسان والرضى ولا على سبيل الرد والتقص . وقد قرظ كتابه بعض فضلاء اليهود واستحسنوا تدريسه في مدارسهم الابتدائية لاختصاره وسهولته

(تاريخ ايران) وقد أهدانا المؤلف مع كتابه الحديث المذكور تاريخه لايران الذي ألفه من عدة سنين وقدمه للشاه مظفر الدين وهو أكبر من تاريخ اليهود وأكثر فائدة منه

الحقائق الأصلية . في تاريخ الماسونية العملية

وأهدانا أيضاً هذا الكتاب من تأليفه وينى بالعملية ما ينسب الى الجمعية من المباني والآثار الأذية لأعمالها السياسية السرية التي كانت من أعظم أسباب الانقلاب السياسي في أوروبا . وفي الكتاب فوائد كثيرة عن هذه الجمعية لا يستفي الباحثون عن معرفتها ولعلنا نسلكم عن ثمن مسائل هذا الكتاب بعد مطالعته . فنشكر للمؤلف هديته . وهذه الكتب تطلب كسائر مؤلفاته من ادارة المقطم بمصر

عود على بدء

صدر الجزء الثاني من هذه القضية المتممة لقصة الفرسان الثلاثة وفيها فوائد جمة عن أخلاق الملوك المستبدين وأحوالهم وأهمها أنه لا يؤمن جانبهم ولا يرجي ودهم وفيها من غرائب دسائس اليسوعيين وبراعتهم في السياسة ما يمثل لك عظمة هذه الجمعية السرية وهول مستقبلها . وأعظم العبر فيها ما كان من خبر بعض الحراس الثلاثة مع الملك لويس الرابع عشر في مواجهته ببيان فساد أخلاقه وسوء تصرفه مما يدل على أن انحباب الاخلاق العالية في كل زمان ومكان هم الملوك الحقيقيون الذين يحققر كل أحد نفسه أمامهم وان كابر وتكبر . وعتا ونجبر ، وثمن الجزء الواحد ستة قروش كما تقدم ويطلب من مكتبة المعارف بمصر

شارل وعبد الرحمن

هي القصة الثامنة من القصص التي وضعها جرجي أفندي زيدان في تاريخ الاسلام

وهي • تتضمن فتوح العرب في بلاد فرنسا الى ضفاف نهر لوار بجوار تورس وما كان من تكاثف الافرنج هناك على دفعهم بقيادة شارل مارتل والاسباب التي دعت الى فشل العرب ونجاة أوروبا منهم • اما هذه الاسباب التي شرحها فهي ترجع الى أمرين أحدهما قلة العرب في الجيش وكثرة البربر وغيرهم من الشعوب التي دخلت في الاسلام ولم يتمكن من قلوبهم الايمان ولا عرفوا حقيقة ما أمر به هذا الدين من العدل وعدم الاعتداء في الحرب ونحرهم التعرض لمن لا يقاتل كالرهبان والنساء • فكان هؤلاء الدخلاء لهم الا السلب والنهب فتتكررت النفوس التي كانت مالت الى المسلمين منهم وساءت بذلك سيرتهم • وثانيهما اجتماع كلمة الاوربيين بعد تفرقهم وهو أضعفها وثمن النسخة من القصة ١٠ قروش وتطلب من مكتبة الهلال بمصر

✽ نبراس المشارقة والمغاربة ✽

جريدة ظهرت في مصر مديرها السيد مصطفى بن إسماعيل وهي جريدة لكالجرائد التي تظهر كل آن في مهاب الاهواء المتناوحة في مصر فتعلمو وتسفل وتمين وتشم وتمين وتصديق بل هي جريدة تحالف فيها القول مع الاعتقاد وتأخى الاعتقاد مع الدين وجرى الدين كعادته مع حسن النية فهي تأمر بالنعروف وتنهى عن المنكر في الأمور العامة بحسب ما يصل اليه علم من يكتبها وفهمه • وقد انتقدنا عليها إطالة الكلام في المسألة الواحدة كالسكلام في العرب ومرا كش ولو نوعت المباحث لكانت أحب وهي تصدر في الشهر ثلاث مرات وقيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشاً في مصر و ١٠ رويات في الهند وزنجبار و ١٦ فرنكا في سائر البلاد • فنسال الله أن يهديها طريق الرشاد • ويهبها اثبات والسداد • ان الله بصير بالعباد •

✽ سيف العدالة ✽

• جريدة سياسية أدبية انتقادية ارشادية فكاهية أسبوعية موقفاً • لصاحبها حسن أفندي ليب البري ومحمد توفيق أفندي البحري ولما كان أحد صاحبها برياً والآخر بحرياً وكان موضوعها الانتقاد فيتوقع ان يبين فيها مظاهر من الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ويلبسا ذلك ثوب الانتقاد • ليكون ذلك من جزاء أولئك الأفراد • • ومن يضل الله فساله من هاد • وقيمة الاشتراك في الجريدة ٨٠ قرشاً عن ستة في مصر و ٣٥ عن ٣ أشهر و ٣٠ فرنكا في الخارج فتتنى لها التوفيق والنجاح

باب الخبيرة والاداء

مراکش والاصلاح - وحال المسلمين -

كتب اليانمن فاس ان ابا حمارة يكون ساطنة في تازة . وانه ظهر خارج آخر يدعى ابا عمارة (وهو معروف) وانه ليس لدى الحكومة في فاس أكثر من ألف جندي وأن الخزينة مفلسة فان الدين الذي أخذه السلطان عبد العزيز من فرنسا قد اشترى به من باريس كثيرا من الأثاث والرياش والماعون وأدوات الزينة والزخرف، وأن فرنسا قد استلمت ادارة المكس (الجمرك) بطنجة في مقابلة المال الذي اخذه السلطان منها وقدره ٦٢ مليون فرنك وابتدأت بالعمل ، وأن بعض الوزراء ميال لسياستها كما كان المهدي المنهبي ميالا الى انكلترا حتى انه دخل في حمايتها رسميا وهو وزير وان كان لاحق له في ذلك ، وأن جيل هذا الوزير هو الذي ذهب بما كان عند الدولة من السلاح الكثير وأفسد عليها جيشها وأطعم الخارجين فيها ، وأن السلطان قد صادره بمسد عودته من الحج هو وكاتبه وقد قبض على كاتبه وامتنع هو في طنجة بحماية قصل انكلترا. ويظن الكاتب أن في تداخل فرنسا في شؤون البلاد خطرا عظيما لان جميع القبائل مستعدة للمقاومة بالقوة وأنهم ما أنقضوا السلطان الا ليليه الى الأجانب ولولا ذلك لم تمتد دعوة الخارج وقوى شوكته

هذا ملخص ما كتبه الكاتب من أخبار البلاد وهو يقول مع هذا ما يعلمه المختبرون من أن أكثر علماء تلك البلاد لا يزالون على ما كانوا لم يتحدث لهم موعظة ولا تحجد لهم اعتبار ولا اقتنعوا بالحاجة الى شيء من العلم والعمل غير فقه المالكية ومقدماته، وعامتهم لا تزال تعتقد مع أكثر خاصتهم أن أعظم واق للبلاد هو وجود قبور الاولياء فيها لاسيما سيدي ادريس الأكبر (رضي الله عنه) ولو عرفوا مع كتب النحو والفقه شيئا من تاريخ المسلمين لكان لهم فيه عبرة فان معظم بلادهم خرجت من أيديهم واستولى عليها الأفرنج على بعد أكثرهم عنها وكان أهلها يقولون بقول أهل مراکش ويمتقدون اعتقادهم . كان أهل بخارى قبل فتح الروسية لبلادهم يرون أن قراءة البخارى وسر سيدي

بها الدين شاه نقشبند امام الطريقة المشهورة كافيان لحماية البلاد من كل سوء وقد دخلت
الجنود الروسية عاصمتهم وهم مشغولون بقراءة البخاري فلم تغن عنهم قراءة البخاري
ولا البخاري نفسه ولا شاء نقشبند شيئا من عذاب الله الذي تركوا سنته في خلقه وأمره
في كتابه «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة»

يتوقف امتثال أمر الله في هذه الآية على معرفة الفنون العسكرية ومنها الرياضية
والطبيعية التي يحرمها الغفل من الفقهاء باسم الدين فيحرموا ما فرضه الله تعالى على
الامة اعتداء على الله واقتتانا على دينه والعامه نفس بهم لانها اعتادت على تقليدهم .
ومن ينير الله تعالى بصيرته ويؤتیه فهماً في كتابه فيحاول اقناع الناس بما أوجب
الله تعالى عليهم من الاستعداد للاعداء بمثل ما يستعدون به لازالة سلطة الاسلام -
وهو العالم حقاً - يهيجون عليه العامة بأنه يدعوهم الى علوم الكافرين لفسد عليهم
دينهم وأن ما يستدل به على دعاويه من كتاب الله تعالى غير جائز لأمثاله لأنه مخصوص
بالذين ماتوا من المجتهدين ، ولكن كيف جاز لهم هم أن يجتهدوا بجهلهم فيحصلوا
ويحرموا بأهوائهم من غير بيّنة ولا دليل .

هذا ما وصلت اليه الامة الاسلامية بارشاد علمائها ، واستبداد سلاطينها وأمرائها
حتى نزع الله منهم أكثر أعمالهم ولا تزال الامم الافرنجية تستولي على بلادهم مملكة بعد
مملكة ولا يرجع المتأخر عما كان عليه المتقدم فمن نعاتب ومن نخاطب
الخواص والزعماء هم الذين ينهضون بالامم ولكن طول عهد المسلمين باستبداد
الامراء قد أفسد النفوس ، وطول عهدهم بالجهل والتقليد قد أفسد العقول ، فأى
زطامة ترجى مع فساد نفس المرء وعقله

تتحي جرائد هذه البلاد على السلطان عبد العزيز وتحي عليه اسرافه في اللهو
واللعب واللذات الحسية وكل أمراء المسلمين كذلك بل يعرفون من طرق الشهوات
واللذات ما لا يخطر له على بال وإنما يلام هذا السلطان على كونه لا يعرف شيئا غير اللهو
وأنى له أن يعرف شيئا ولا تعلم بالتعلم وهو لم يتعلم من علوم السياسة وادارة الممالك شيئا .
ثم أنى له أن يعمل بما عساه يعلمه والحلم بالتعلم ، اي ان الاخلاق والاعمال الحسنة انما
تنشأ عن القرية والتمود عليها وهو لم يقرب الا على اتباع ما يحب ويشتي ، واتا نرى

من تعلم من امرائنا وعرف ما لم يعرفه غيره لا يتبع الاهواء الا ان يهجز عنه ويضطر
الى غير ما يهوى اضطرارا

الواجب على الجاهل بما ينبغي له علمه وتوقف عليه سعادته إن كان عاقلا موقفا
أن يستعين بمن يعلم ذلك ويقدر على العمل به بقدر الامكان ولكن طبيعة الاستبداد
كالخدر في الجسم لا يحس معه المرء بالحاجة الى الدواء فيسمى بطلبه ولو أحس لوجد
للمقتضي مانعا وهو لذة الاستبداد التي تملو كل لذة في السكون فهو يختار أن تطوح
أمته في هوة الهلاك على أن يمارض استبداده وحكمه المطلق معارض إصلاح .

السلطان عبد العزيز لا يرى أمامه ولا حوله داعيا الى إصلاح عسكري أو إداري
أو علمي ولا يشعر بان الامة تطالبه بشيء من ذلك بل ربما كان يعلم أن أمته تكره كل شيء
جديد وان كان السادة والسيادة أفلا يكون معذورا بالنسبة الى سلطان يعلم أن في
رعيته الألوف وعشرات الألوف بل والملايين من العارفين بدرجة ضعف الدولة الشاعرين
بخطر الجهل في الامة والاستبداد في السلطة المطالبين بالاصلاح ثم هو يحاربها كلها
ويسعى في إطفاء كل شعلة للعالم وحنودة للغيرة في كل زاوية من زوايا بلادها وقرأها حتى
انه ليمد من أكبر الجرائم السياسية الاطلاع على كتاب في فن التربية والتعليم ويعاقب
على ذلك بدون محاكمة عقابا لاحد له ولا شرع ولا قانون ؟

ساح شاه ايران في بلاد أوروبا ورأى فيها من آيات القوة والرفي ما عرفه الفرق
بين العلم والجهل والعمران والخراب والترقي والتدلي والقوة والضعف فاشبهى ان
يصالح حال دولته ولكنه لا يجد في بلاده من يقدر على القيام بالاعمال الادارية ولا
المالية ولا الحرية ولا التعليمية

فهنا شعب اسلامي يحب الاصلاح ولكن سلطانه لا يحبه وهناك شعب اسلامي
لا يشعر بالحاجة الى الاصلاح ولكن سلطانه يشعر به . فلا شعب يقدر على تقييد سلطان
ولا سلطان يقدر على اصلاح شعب واما بلاد مراكش فلا سلطانها يشعر بما يجب
ولا شعبها خفاها شر الأحوال

ولكن قد بلغنا أخيرا أن بعض الكبراء في فاس يشعرون بالخطر الذي يندرجهم
وتمنون لو يقتنع السلطان بمثل ما هم مقتنون به وبتفق معهم على العمل لتلافي الخطر

ثم لا يجدون لذلك وسيلة ولا يهتدون اليه سبيلا. المسلمون مساكين. المسلمون فقراء. أما
إنهم ليسوا فقراء الأيدي ولكنهم فقراء العقول والقلوب فانه لا يزال في أيديهم أفضل
بقاع الأرض ولكنهم قوم يجهلون

نعم قد رشد من المسلمين افراد قليلون ، ولكنهم في شعوبهم القاصرة ضائعون ،
ومع هذا فهم محل الرجاء ، في جميع الأرجاء ، يعدون الإصلاح الأفراد ، ويؤلفون
ما استطاعوا بين الآحاد ، وإن الإصلاح والاسعاد ، على قدر الاستعداد ، فنسأل الله إن يسدد
أمرهم ، ويشد أزرهم ، ويكثر عددهم ، ويقوي مددهم

﴿ الحجاج والسلطان والانكليز ﴾

أرسل السلطان الى الحجاز لجنة لتحقيق أمر ما كان من التعدي على الحجاج
وسفك دمائهم ونهب أموالهم وهذا اعتراف رسمي بالتعدي إجمالا وتكذيب لما
نشر في الجرائد العثمانية نقلا عما كتبه أمير مكة واليهاب عبد الحليم ، من أن الحجاج كانوا في
أمن وراحة واطمئنان . والذي نقل عن اللجنة أنها نفت طائفة من وجهاء المدينة
النورة الى جهة الطائف . والمعروف أن هناك حزمان يتنازعان والحكام يصرون
من كان أكثر لهم نفعا والناس يعرفون أن علة مصاب الحجاج في مكة لافي المدينة
وهي الأمير والوالي ولكن (المابين) راض عنهما فليغضب من شاء من الحجاج
وغيرهم . وعسى أن تكون اللجنة اتفقت مع الوالي والأمير على حفظ الأرواح
والرفق بسلب الاموال إذ لا يرجي اشبع من السلب مطلقا فيما نظن فان الاعتداء على
الأرواح فضيحة كبرى وإذا تبين استمراره يبطل الحج لانه يصير محرما بعد أن كان
واجبا الا اذا قدر المسلمون على حماية حرم الله وحرم رسوله رغما عن الحكومة
هذا ما كان من أمر حكومة السلطان في ذلك وقد أنبأنا البرق بأن مجلس النواب
الانكليزي بحث من عهد قريب في مسألة الحج المصري وسأل حكومته عن الطريق
التي تسلكها في المحافظة على الحجاج المصريين وهو نبأ جديد لم يهده من قبل ولا
غرو فان الاحتلال الانكليزي قد دخل في طور جديد بمسد الوفاق بين انكلترا
وفرنسا ورضاء الدول بالوفاق ومنه عدم البحث في أمر الاحتلال والجلاء وتقويض
الأمر كله في مصر الى بريطانيا العظمى بشرط أن تكون حقوق الدول ومصالحها

فيها محفوظه . فهل تظن الحكومة الحميدة الى وجوب منع كل سبب يؤدي الى تداخل الانكليز في شأن الحجاز والحجاج ؟ هذا ما يمتناه للدولة والسلطان كل مسلم والله الموفق

﴿ الرابطة الدينية والحرب الحاضرة ﴾

لقد ظهر لنا من ميل التصارى الى روسيا في هذه الحرب فوق ما كنا نعرف ونظن فانتاراينا العوام والخواص منهم يتألمون أشد التألم لكل انكسار وكل خسارة يصيب الجنود الروسية في الشرق الاقصى ويفرحون أو يتزرون اذا قيل أنه قد قتل من العساكر اليابانية عدد كثير . ظهر ذلك لنا مما نشاهد في مصر ومما ينقل لنا من أخبار سوريا والمهاجرين السوريين في أمريكا . وقد انتهى القتل في حب روسيا عند السوريين الى أن يترك بعضهم الضحك بل والاكل في المساء الذي يقرؤون في برقياته أن روسيا قد انكسرت في واقعة كذا وأخذ اليابانيون منها موقع كذا أو أغرقوا لها كذا وكذا من السفن الحربية - والى أن يكابر بعض أصحاب الصحف منهم أنفسهم في الانكسار المتوالي من الروس فيصوروا الوقائع بغير الصور التي انتهى اليهم خبرها حتى كان في هذه الصحف ملو ا كذافي به القارئ في تعرف أخبار هذه الحرب لاعتقد أن ليس لليابانيين مزبة وأن ما أخذوه من المواقع والحصون من الروس قد تركه الروس لهم لحكمة حرية ولا يلبثون أن ينقضوا عليهم انقضاض الاسود على القروء فيمزقوهم تمزيقا - هذا وأوربا بدعواها وكبريائها وخيلائها واحتقارها للشرق واهله قد أعجبت كلها حتى أنصار روسيا منها بأن اليابان قد بلغت من اتقان الحرب علما وعملا غاية لا مطمع لأحد في تجاوزها فظامهم أ كمل نظام وسلاحهم أحسن سلاح وشجاعتهم أتم شجاعة وقد بلغوا السكالك الحربي في البر والبحر . والمقتدون من أصحاب هذه الصحف الذين لامندوحة لهم عن ذكر جميع الوقائع كما ينقل البرق والبريد يضيفون الى أخبار ظفر اليابان مالا مناسبة له من أعمال روسيا الماضية وانتصارها السابق في بعض الحروب وما لها من الاعذار الحاضرة وما يرجي لها من الاماني المستقبلية . يمثلون بذلك عظمة روسيا في أعظم تمثال وصل اليه الخيال قبل هذه الحرب التي ذهبت بالخيالات وفتحت للناس باب الحقيقة في الحكم . ولنا نريد بهذا القول تحقير روسيا والتكهن بأنها لا تنتصر أو الرد على هذه الصحف وانما نريد

بيان الواقع. في البرازيل جريدة سورية معتدلة حقاً لا تمصب لدين ولا المذهب ولا الطائفة وهي جريدة (المنابر) كانت تذكر خلاصة أخبار الحرب كما تصل إليها فقامت عليها قيامة السوريين هناك وطفقت جرائدهم ترد عليها رداً غنياً هذا أثر من آثار الرابطة الدينية ويعلم من ظهر عليهم أن بعض مظاهره منتقد وأنه على كل حال لا يفيد روسيا ولا يدفع عنها شيئاً وماذا عليهم وهم لم يشعروا باختيارهم ولم يقولوا ما قالوا وكتبوا دهاناً لها وإنما هو سلطان الدين الأعلى على الأرواح ظهر أثره في الأقوال والأحوال، من غير تكلف ولا عمل؛ فهل يعتبر بهذا بعض الشعوب الذين استحوذ على أرواحهم سلطان اللذة فغلب فيهم الشعور الديني حتى لا غيرة لهم على دينهم ولا على أهلهم الذين يعيشون معهم فضلاً على الذين يبعدون عنهم؟؟؟ أيتعللون بأنهم استبدلوا الشعور الوطني بالشعور الديني خلافاً للسوريين؟ لهملهم لا يجرون على هذا التعلل فإن السوريين هم الذين علموا الشرق الأدنى هذا النداء بالوطنية. فإذا كانت آية الوطنية لم تمنح آية الدين عند الأستاذ فأجدر بها أن لا تمنحوها عند التلميذ. وإذا ادعوا أن الشعور الديني كامل فيهم فليحاسبوا أنفسهم ليرفوا حقيقة الدعوى. والله يعلم السر والنجوى.

أهواء الجرائد والدفاع عن الأمير

لقد كان في قضية السادات وصاحب المؤيد عبر لا ولي الألباب لا تذكر منها إثبات المحكمة كون طريقة إثبات الأنساب الرسمية غير شرعية ولا غير ذلك وإنما نجب تنبيه الأفكار إلى ضرب من ضروب أهواء الجرائد التي أشرنا إليه في الجزء الأسبق وهو أن وكيل السادات قال في المحكمة إن الخديو المعظم خطب بنت موكله لصاحب المؤيد ثلاث مرات ولم ينجح في خطبته (أو كما قال) ولا يخفى أن هذه الكلمة أعظم مما انتقدته الجرائد على رياض باشا أو أبعد منه عن الأدب مع الأمير - إن لم تقل أكثر من هذا - فإبطل تلك الجرائد التي شنت الفارة على رياض دفاعاً عن مقام الأمير تآقت كلمة المحامي بالقبول؟ اللهم إنها نطقت هناك عن هوى وسكتت هنا عن هوى فلا الاخلاص للأمير انقطعها ولا ضده أسكتها فهم كمن نزل فيهم «يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً»

فلنا في الجزء الماضي أنه ثبت للمحكمة تزوير نسب صاحب المؤيد والأولى لم تثبت عندها صحة

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

فيشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر - الأحد غرة رجب سنة ١٣٢٢ - ١١ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٠٤)

✽ القسم الديني ✽

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الدار المصرية في الازهر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا
يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ وَالْعَذَابَ
بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
وَأَنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شَفَاقٍ بَعِيدٍ *

قوله (ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب) متصل بما قبله
على كلا الوجهين السابقين فاذا كان الكلام لا يزال في محاجة اليهود

(٦١ - المنار)

وأمثالهم فالأمر ظاهر وإذا قلنا أن الكلام قد دخل في سرد الأحكام
تكون مقررة لحكم مخصوص وهو ظاهر فقد تقدم أن قوله تعالى
«يا أيها الناس كلوا مما في الأرض...» تقرير لحكم في الأكل على خلاف ما عليه
أهل الملل وبيننا ما كان عليه أهل الكتاب والمشركون في الأكل ونقض القرآن لما
وضموه بأوهام من الأحكام وإباحة الطيبات للناس بشرط أن يشكروه عليها
وعلى هذا تكون هذه الآيات جارية على الرؤساء الذين يحرمون
على الناس ما لم يحرم الله ويشرعون لهم ما لم يشرعه من حيث يكتمون
ما شرعه بالتأويل أو الترك فيدخل فيه اليهود والنصارى ومن هذا حدوهم
في شرع ما لم يأذن به الله واطهار خلافه سواء كان ذلك في أمر الأكل
والتقشف أو العقائد ككتمان اليهود أو صاف النبي (ص) وغيرها من الأحكام
التي كانوا يكتُمونها إذا كان لهم منفعة في ذلك كما قال تعالى «تجملونه
قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا» وفي حكمهم كل من يبدي بعض العلم
ويكتم بعضه لمنفعته لا لإظهار الحق وتأنيده وهذا هو ما عبر عنه بقوله
«ويشترون به ثمنا قليلا» إذ اتخذوا الدين تجارة. والتمن القليل منه ما قاله
المفسر من استفادة الرؤساء من الرؤسسين وعكسه كما تقدم غير مرة وهذا
النوع من البيع والشراء في الدين عام في الرؤساء الضالين من جميع الأمم،
ومنه ما كان رؤساء اليهود يلاحظونه زمن التنزيل وهو حفظ ما يبداهم
الذي يتوهمون أنه يفوتهم بترك ما هم عليه من التقاليد واتباع ما أنزل
الله بدلا منها وهذا هو شأن الإنسان في كل دعوة إلى إصلاح جديد غير
ما هم فيه وإن كان يمددهم بخير منه في الدنيا والآخرة وكان ما هم فيه هو
الفقر والذل والخذلان حاضرة أو منتظرة

ما هو شأن اليهود في زمن البعثة؟ ذل واضطهاد من جميع الامم ولا سيما النصارى فقد كانوا يسومونهم سوء العذاب ومنعهم من دخول مدينتهم المقدسة وأكروههم في بعض البلاد على التنصر

ما هو شأن النصارى في زمن البعثة؟ فقر حاضر، وذل غالب، وحجر على العقول، ومنع للحرية في الرأي والعلم، وتحكم في الإرادة، وسيطرة على خطرات القلوب وأهواء النفوس. كان هذا عاماً في كل قطر وكل مملكة وكان بين الطوائف بعضها مع بعض حروب تشب، وغارات تشن، ودماء تسفك، وحقوق تنهك، وكانوا على هذا كله يتوهمون أن الاسلام سيخرجهم من سعادة الى شقاء، ومن نعمة الى بلاء، هب أن بعضهم كان له شيء من المال، وبقية من الجاه، أليس هو من فخفة الدنيا الزائلة، ألم يكن منغصاً بالخوف عليه والمنازعة فيه، هب انه كان لبعض شعوبهم طائفة من القوة لم تكن تشبه الزوبعة تمصف ولا تلبث أن تزول؟ نعم ان ما كان يفر هو لاء وهو لاء لم يكن موضعاً للغرور لأنه متاع حقير ونمن قليل وهو غير قائم على أساس ثابت ولذلك زال بظهور الاسلام وانتشاره وتقوضت تلك السلطة واندكت صروح تلك العظمة وأجلى اليهود من جزيرة العرب وزال ملك غيرهم من كل بلاد رفضوا فيها دعوة الاسلام وهذا شأن الباطل لا يثبت أمام الحق فان أحكام الباطل مؤقتة لا ثبات لها في ذاتها وانما بقاءها في نوم الحق عنها وحكم الحق هو الثابت بذاته فلا يغلب أنصاره ماداموا معتصمين به

وقال المفسرون ان هذا الحكم يصدق على المسلمين كما يصدق على أهل الكتاب لأن الغرض تقرير الحكم وهو عام كما يدل لفظه وكما يليق بمعدل

الله تعالى رب العالمين وكما هو ظاهر معقول من أطراد سنة الله تعالى في
تأييد أنصار الحق وخذل أهل الباطل فانها واضحة جلية للمتأملين
كل ثمن يؤخذ عوضا عن الحق قليل ان لم يكن قليلا في ذاته فهو قليل في
جنب ما يفوت آخذه من سعادة الحق الثابتة بذاتها والدائمة بدوام المحافظة
على الحق. ولو دام للمبطل ما يتمتع به من ثمن الباطل الى نهاية الأجل - وما
هو الا قصير - فاذا يفعل وقد فاتته بذلك سعادة الروح ونعيم الآخرة
باختياره الباطل على الحق « وما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل »
قد يعترض الناظر في التاريخ ما قرره الاستاذ الامام في هذا المقام
من ذهاب عز الذين قاوموا دعوة الاسلام وكتبوا الحق من اليهود
والنصارى بأن اليهود كانت بعد الاسلام خيرا منها قبله لأنهم كانوا
مضطهدين مقهورين بحكم النصارى الشديد وتعصبهم الفاحش فساوى
الاسلام بينهم وبين النصارى بل والمسلمين وأعظامهم كمال الحرية في دينهم
ودنيائهم فحسنت حالهم في الشرق والغرب وكثر ما بأيديهم ولم يقل. وان
المسلمين لم يقولوا على جميع نصارى أوروبا فبقي لكثير من الممالك سلطانها
وما تتمتع به وكذلك بعض الممالك الوثنية وهم أعرق في الباطل من النصارى
والجواب عن ذلك أن يهود بلاد المغرب هم الذين كانوا يؤذون
النبي عليه الصلاة والسلام ويحادونه ويكتمون ما عرفوا من نفعه فهم
الذين قاوموا الحق بالباطل فلقوا جزاءهم الذي تم بجلائهم من جزيرة العرب
وأما يهود سوريا وغيرها فقد كانوا يساعدون الدعوة الاسلامية ودعائها
حتى من لم يؤمن منهم ليخلصوا من ظلم النصارى واستبدادهم فيهم فقالوا
من حسن الجزاء بمقدار قربهم من الحق ولو آمنوا وقبلوا الحق كله وأبدوه

لذاته ظاهراً وباطناً لا وتوا أجراً مرتين، وجزاءهم ضعفين، وكانوا أئمة وارثين، وسادة عالين، وأما الذين سلم لهم ملكهم ومتاعهم فلم يكن لهم ذلك بضعف حق الاسلام عن باطلهم فان الذين حاولوا فتح ما وراء بلاد الأندلس من أوربا لم يكن غرضهم نشر دعوة الحق وإنما كان غرضهم عظمة الملك والغنائم وليس من الحق أن يعتدي قوم على قوم لأجل سلب ما في أيديهم فان المعتدي مبطل والمدافع محق في الدفاع عن نفسه وبلاده، وان كان مبطلاً في عمله واعتقاده، فهو جدير بأن يكون له الظفر اذا أخذه أهبة، وأعد له عدته، وقس على هذا سائر الممالك التي لم يقو المسلمون عليها بعد تحرك الدعوة. والاسلام لا يبيح الحرب لذاته وقد حرم الاعتداء وإنما يوجب تعميم الدعوة فمن عارضها وجب جهاده عند القدرة حتى يقبلها أو يكون لأهلها السلطان الذي يتمكنون به من نشرها بدون معارض أي انه يوجب الجهاد مادام الناس يفتنون في الدين أي لا تكون لهم حرية فيه ولا في الدعوة اليه «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة» «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين»

(أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار) أي لا تملأ بطونهم الا النار فان الأكل لما كان لا يكون الا في البطن كان لابد من نكته لذكر البطن اذا قيل أكل في بطنه ورأيناهم يعبرون بذلك عن الامتلاء يقولون أكل في بطنه يريدون ملاء بطنه والمراد أنه لا يشبع جشعهم ولا يذهب بطمعهم الا النار التي يصيرون اليها على حد ماورد في الحديث «ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب» وقال الأستاذ وفقاً للمفسرين إن المراد بالنار سببها أي ان ما يأكلون ثمناً لكتمان الحق سيوردهم النار لأنه سبب لعذاب الله

واستشهد له بقول القائل في زوجه:

دمشق خذها لا تفتك فليلة تمر بعودي نعشها ليلة القدر

أكلت دمان لم أرعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

فانه يريد بالدم الدية الذي هو سببها وأكلها عار عندهم فهو يدعو على نفسه بأن يتلى بأكل الدية ان لم يرع زوجه بضرة هي من الجمل بالمنزلة التي ذكرها، وأكل الدية يتوقف على أن يقتل بعض أهله الذين له الولاية عليهم. قال تعالى (ولا يكلمهم الله يوم القيمة) قالوا ان الكلام كناية عن الاعراض عنهم والغضب عليهم وجمعوا بهذا بين الآية وبين قوله تعالى «فوربك انساؤهم اجمعين» وقوله «فلنسألن الذين أرسل اليهم» (ولا يزكهم) أي لا يطهرهم بالمغفرة والعفو (ولهم عذاب أليم)

ثم قال فيهم (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) فأما الهدى فهو كتاب الله وشرعه، وأما الضلالة فهي العماية التي لا يهتدي بها الانسان لمقصده، وتكون باتباع آراء الناس في الدين وليس لأحد أن يقول في الدين برأيه وهذه الآراء لا ضابط لها ولا حد فأهلها في خلاف وشقاق كما سيأتي فنأجاز لنفسه اتباع أقوال الناس في الاعتقاد والعبادة وأحكام الحلال والحرام فقد ترك الهدى الواضح المبين الذي لا خلاف فيه وصار الى تيه من الآراء مشتبه الأعلام يضل به الفهم، ولا يهتدي فيه الوهم، وذلك عين اتباع الهوى، وشرء الضلالة بالهدى، فان الله وحده هو الذي يبين حدود العبودية، وحقوق الربوبية، فلا هداية الا بفهم ما جاء به رسله عنه. (والعذاب بالمغفرة) وهذا أثر ما قبله فان متبع الهدى هو الذي يستحق المغفرة لما يفرض منه وما يلزم هو به من سوء ومتبع الضلالة

هو المستحق للعذاب ومن دعي الى الحق يعرف هذا فاذا هو اختار الضلالة بعد صحة الدعوة وقيام الحجة فقد اشترى العذاب بالمغفرة وكان هو الجاني على نفسه اذ استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير غرورا بالمعجل، واستهانة بالآجل، وصيغة التعجب قالوا يراد بها تعجيب الناس من شأنهم إذ لا تتصور حقيقة التعجب من الله تعالى إذ لا شيء غريب عنده عز وجل ولا مجهول سببه وهو العالم بظواهر الاشياء وخوافيها، وحاضرها عنده كحاضيتها وآتيها، لا يئزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض

وقال الأستاذ الامام في هذا المقام مأمثاله، ان الكلام في أكلهم النار والتعجب من صبرهم على النار هو تصوير لحالهم، وتمثيل لما ألهم، أما الثاني فظاهر وأما الأول فيتجلى لك اذا تمثلت حال قوم عندهم كتاب يؤمنون أنه من الله ويؤمنون بقاء الله وقد كتبوا ما أنزل الله فيه بالتحريف والتأويل، كما فعل اليهود بكتمان وصف الرسول، وهم يُقَارِعُونَ بالدلائل العقلية، ويذكرون بآيات الله وأيامه، فيشعرون بجاذبين متعاكسين جاذب الحق الذي عرفوه، وجاذب الباطل الذي ألفوه، ذلك يحدث لهم هزة وتأثيرا، وهذا يحدث لهم استكبارا ونفورا، وقد غلب عقولهم ما عرفوا، وغلب قلوبهم ما ألفوا، فثبتوا على ما حرفوا وانحرفوا، وصاروا الى حرب عوان، بين العقل والوجدان، يتصورون الخطر الآجل، فيتغصص عليهم التلذذ بالمعجل، ويتذوقون حلاوة ما هم فيه، فيؤثرونه على ما يصيرون اليه، أليس هذا الشعور بخذل الحق ونصر الباطل واختيار ما ينفي على ما يثبت نارا تشب في الضلوع، أليس ما يأكلونه من ثمن الحق ضريعا لا يسمن ولا يغني من جوع، بلى فان عذاب الباطن،

أشد من عذاب الظاهر ، كما يومئ إليه قول الشاعر
 دخول النار للمهجور خير من الهجر الذي هو يتيقه
 لأن دخوله في النار أدنى عذاباً من دخول النار فيه

فهذا وجه وجهه لأن كلهم النار ، وللمعجب من صبرهم على النار ،
 نزل به الوحي الإلهي وظهر على لسان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
 وإن أرباب الأرواح العالية ، والمرايا الصافية ، تتمثل لهم المعاني بأنهم
 وأظهر ما تتمثل به لسائر الأرواح المحجوبة بالظواهر ، المخدوعة بالمظاهر ،
 التي يصرفها الاشتغال بالحس ، من معرفة مراتب شعور النفس ، فلا غرو
 إذا تمثلت للنبي عليه السلام حال أولئك المجاحدين المعاندين الذين اشتروا
 الضلالة بالهدى ، واتخذوا إلههم الهوى ، واثبوا الحق يقارعهم ويقارعونه ،
 وناصروا الدليل ينازعهم وينازعونهم ، بحال الذي يتحجم في النار ، ويكره نفسه
 على الاضطبار ، كما يتمثل ذلك الثمن القليل الذي باعوا به الحق نارا يزدردونها ،
 إذ كان آلاما يتحملونها ، فكابرة البرهان أشد العذاب عند العقلاء ، ومحاربة
 القلب (الضمير والوجدان) أوجع الآلام عند الفضلاء ، فالعاقل يستطيع
 أن يمنع نفسه من أكثر اللذات الحسية ولكنه لا يستطيع أن يمنع عقله العلم ،
 وذهنه الفهم ، فقد قيل لا يوجين لا تسمع فسد أذنيه ، فقيل له لا تبصر
 فأغمض عينيه ، فقيل له لا تدق فقبل ، فقيل له لا تفهم فقال لا أقدر ، فلا
 غرو إذا مثلت للنبي حال أولئك المكابرين للحق بما ذكر وأظهرته البلاغة
 بصيغة التعجب تارة وبصورة أكل النار تارة

قال تعالى في تلميح ما ذكر ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق أي ذلك الحكم
 الذي تقرر في شأنهم بأن الكتاب جاء بالحق والحق لا يغالى ولا يقاوى

فن غالبه غلب ، ومن خذله خذل ، ثم قال (وان الذين اختلفوا في الكتاب
لني شقاق بعيد) وهذا حكم آخر في الكتاب غير حكم كتمانهم فهو يفهمنا
أن الخلاف فيه بمد عن الحق ككتمانهم لأن الحق واحد وهو ما يدعو
اليه الكتاب والمختلفون لا يدعون الى شيء واحد ولا يسلكون سبيلا
واحدة « وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن
سبيله » وهذا دليل على أنه لا يجوز لأهل الكتاب الالهية أن يقيموا على خلاف
في الدين وان يكونوا شيئا كل يذهب الى مذهب « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا
شيعا لست منهم في شيء » ولما كان اختلاف الفهم ضروريا وجب عليهم ان
يتحاكموا في الخلاف الى الكتاب والسنة حتى يزول ولا يقيموا عليه « فان
تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » فلا عذر للمسلمين في الاختلاف
في دينهم بمد هذا البيان الذي جعل لكل مشكل مخرجا . الشقاق أثر
طبيعي للاختلاف والاختلاف في الأئمة أثر طبيعي للتقليد والانتصار
للرؤساء الذين اتخذوا أنادا ولو بدون رضاهم ولا إذنه إذ لا التقليد
لسهل على الأئمة أن ترجع في كل عصر أقوال المجتهدين والمستنبطين الى
قول واحد بمرضه على كتاب الله وسنة رسوله . مثال ذلك أن الكتاب
والسنة صريحان في أن النكاح لا يصح الا اذا تولى العقد ولي المرأة برضاها
أو غيره بإذنه وقد أجمع الصحابة على هذا عملا ونقل عن أعلمهم قولا ولم ينقل أحد
فيه خلافا صحيحا فاذا وجد للحنفية في المسألة قولان أحدهما مخالف للنصوص
وهو أن للبالغة الرأسة أن تزوج نفسها وثانيهما انه ليس لها ذلك وهو الموافق
للنصوص أفلم يكن من الواجب على المسلمين وقد اختلف علماءهم في هذه
المسألة أن يرضوها على الكتاب والسنة واجماع الصحابة وسائر المجتهدين

ويردوا الرواية المخالفة ويمملوا بالموافقة ؟ بلى ولكن التقليد ، هو الذي أوقعهم في الشقاق البعيد ، والشقاق الخلاف والتعادي وحقيقته أن يكون كل واحد من الخصمين في شق أي في جانب والمختلفون في الدين ينأى كل بجانبه عن الآخر فيكون الشقاق بينهما بعيدا كما نرى . ويتوهم بعضهم أن ترك أقوال بعض الأئمة إهانة لهم وهذا غير صحيح بل هو عين التعظيم لهم والاتباع لسيرتهم الحسنة ولوفرصنا أنه إهانة وكان يتوقف عليها اتباع هدي كتاب الله وسنة رسوله أفلا تكون واجبة ويكون تعظيم الكتاب والسنة مقدما لأن إهانتهم كفر وترك للدين ؟ على أن ترك أقوال الأئمة واقع ماله من دافع فإن أتباع كل إمام تاركون أقوال غيره المخالفة لمذهبهم بل مامن مذهب الا وقد رجح بعض علمائه أقوالا مخالفة لنص الامام لاسيما الخفية . هذا وان الكتاب لامثار فيه للخلاف والنزاع اذا صحت النية فكل من يتعلم العربية تعلما صحيحا وينظر في سنة النبي وسيرته وما جرى عليه السلف من أصحابه والتابعين لهم يسهل عليه أن يفهمه ، وما تختلف فيه الأفهام لا يقتضي الشقاق بل يسهل على جماعة المسلمين من أهل العلم والفهم ان ينظروا في الفهمين المختلفين وطرق الترجيح بينهما وما ظهر لكلهم أو أكثرهم أنه الراجح يعتمدونه اذا كان يتعلق بمصلحة الأمة والاحكام المشتركة بينها وما عساه ينفرد به بعض الافراد من فهم خاص بمعارفه فهو لا يقتضي شقاقا لأن الشقاق فيه معنى المشاركة والله أعلم وأحكم



﴿ مناظرة بين مقلد وصاحب حجة ﴾ - تابع

(الوجه السابع والسبعون) ان تقول لطائفة المقلدين هل تسوغون تقليد كل عالم من السلف والخلف أو تقليد بعضهم دون بعض ؟ فان سوغتم تقليد الجميع كان تسويغكم لتقليد من اتبعت الى مذهبه كـ تسويغكم لتقليد غيره سواء فكيف صارت أقوال هذا العالم مذهبا لكم تقنون وتقضون بها وقد سوغتم من تقليد هذا ما سوغتم من تقليد الآخر فكيف صار هذا صاحب مذهبكم دون هذا ؟ وكيف استجزتم ان تردوا أقوال هذا وتقليدوا أقوال هذا وكلاهما عالم يسوغ اتباعه فان كانت اقواله من الدين فكيف ساغ لكم دفع الدين وان لم تكن أقواله من الدين فكيف سوغتم تقليده ؟ وهذا الاجواب لكم عنه . يوضحه : -

(الوجه الثامن والسبعون) ان من قلدتموه اذا روي عنه قولان وروايتان سوغتم العمل بهما وقلتم : مجتهد له قولان فيسوغ لنا الاخذ بهذا وهذا : وكان القولان جميعا مذهبا لكم فهلا جعلتم قول نظيره من المجتهدين بمنزلة قوله الآخر وجعلتم القولين جميعا مذهبا لكم ؟ وربما كان قول نظيره ومن هو اعلم منه أرجح من قوله الآخر وأقرب الى الكتاب والسنة يوضحه : -

(الوجه التاسع والسبعون) انكم معاشر المقلدين اذا قال بعض أصحابكم ممن قلدتموه قولا خلافا قول المتبوع او خرجه على قول جعلتموه وجها وقضيتهم وأفتيتهم به والزمتم بمقتضاه فاذا قال الامام الذي هو نظير متبوعكم او فوقه قولا يخالفه لم تلتفتوا اليه ولم تعدوه شيئا . ومعلوم ان واحدا من الائمة الذين هم نظير متبوعكم أجل من جميع أصحابه من أولهم الى آخرهم فقدروا اسوأ التقادير ان يكون قوله بمنزلة وجه في مذهبكم فيالله العجب صار من أفتى أو حكم بقول واحد من مشايخ المذهب أحق بالقبول ممن أفتى بقول الخلفاء الراشدين وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وأبي الدرداء ومعاذ بن جبل وهذا من بركة التقليد عليكم . وتما ذلك : -

(الوجه العاشر) انكم ان رتم التخلص من هذه الخلطة وقلتم : بل يسوغ تقليد بعضهم دون بعض وقال كل فرقة منكم يسوغ اويجب تقليد من قلدناه دون غيره من الائمة الذين هم مثله او أعلم منه : كان اقل ما في ذلك معارضة قولكم بقول

الفرقة الاخرى في ضرب هذه الاقوال بعضها ببعض ثم يقال ما الذي جعل متبوعكم
اولى بالتقليد من متبوع الفرقة الاخرى فبأي كتاب أو بأية سنة وهل تقطعت الامة
امرهابيتها زبرا وصار كل حزب بما لديهم فرحون، الابهذا السبب فكل طائفة تدعو
الى متبوعها وتأنى عن غيره وتنهى عنه وذلك مفضل الى التفريق بين الامة وجعل
دين الله تابعا للتشهي والاعراض، وعرضة للاضطراب والاختلاف، وهذا كله يدل
على ان التقليد ليس من عند الله للاختلاف الكثير الذي فيه ويكفي في فساد هذا
المذهب تناقض أصحابه ومعارضة أقوالهم بعضها ببعض ولولم يكن فيه من الصناعة الا
ايحايهم تقليد صاحبهم وتحريمهم تقليد الواحد من أكابر الصحابة كما صرحوا به في كتبهم لكنني
(الوجه الحادي والثمانون) ان المقلدين حكموا على الله قدرا وشرا بالحكم الباطل
جهار الخالف لما أخبر به رسوله فاخلو الارض من القائلين لله بحججه وقالوا لم يبق في الارض
عالم منذ الاعصار المتقدمة فقالت طائفة: ليس لاحد ان يختار بعد أبي حنيفة وأبي يوسف وزفر
بن الهذيل ومحمد بن الحسن والحسن بن زياد اللؤلؤي وهذا قول كثير من الحنفية. وقال بكر بن
الاعلا القشيري المالكي: ليس لاحد ان يختار بعد المتين من الهجرة. وقال آخرون: ليس
لاحد ان يختار بعد الاوزاعي وسفيان الثوري ووكيعة بن الجراح وعبد الله بن المبارك. وقالت
طائفة: ليس لاحد ان يختار بعد الشافعي. واختلاف المقلدون من أتباعه فيمن يؤخذ بقوله من
المتتبعين اليه ويكون له وجه يفتي ويحكم به من ليس كذلك وجعلوهم ثلاث مراتب (١) طائفة
اصحاب وجوه كابن شريح والقفال وأبي حامد و(٢) طائفة اصحاب احتمالات لاصحاب وجوه
كأبي المعالي و(٣) طائفة ليسوا واصحاب وجوه ولا احتمالات كأبي حامد (*) وغيره. واختلفوا
مضى انسداد باب الاجتهاد على اقوال كثيرة ما ازل الله بها من سلطان وعند هؤلاء ان
الارض قد خلت من قائم لله بحججه ولم يبق فيها من يتكلم بالعلم ولم يحل لاحد بعد
ان ينظر في كتاب الله ولا سنة رسوله لاتخاذ الاحكام منهما ولا يقضي ويفتي بما فيها
حتى يعرضه على قول مقلده ومتبوعه فان وافقه حكم به وافق به والا رده ولم يقبله
وهذه اقوال كما ترى قد بلغت من الفساد والبطالان والتناقض والقول على الله بلا علم
وابطال حججه والزهد في كتابه وسنة رسوله وتلقي الاحكام منهما مبلغها وبأي الله

(*) كذا في الاصلين ولعله ابن حامد لان ابا حامد في الطائفة الاولى او هو ابو حامد
والاول ابن حامد او غيره والله اعلم اه من هامش النسخة المطبوعة بالهند

الا ان يتم نوره ويصدق قول رسوله انه لا تخلو الارض من قائم لله بحجته وان
زال طائفة من امته على محض الحق الذي بعث به وانه لا يزال يبعث على رأس كل
مئة سنة لهذه الامة من يجدد لها دينها ويكفي في فساد هذه الاقوال ان يقال لا رباها
فاذا لم يكن لأحد ان يختار بعد من ذكرتم فمن اين وقع لكم اختيار تقليدهم دون
غيرهم وكيف حرمتهم على الرجل ان يختار ما يؤديه اليه اجتهاده من القول الموافق
لكتاب الله وسنة رسوله وأتجتم لانفسكم اختيار قول من قلدهتموه واوجبتم على
الامة تقليده وحرمتهم تقليد من سواء ورجحتهموه على تقليد من سواء فما الذي سوغ
لكم هذا الاختيار الذي لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا اجماع ولا قياس ولا
قول صاحب وحرمتهم اختيار ما عليه الدليل من الكتاب والسنة واقوال الصحابة .
وقال لكم فاذا كان لا يجوز الاختيار بعد المتين عندك ولا عند غيرك فمن اين يساغ
لك وانت لم تولد الا بعد المتين بخوستين سنة ان تختار قول مالك دون من هو افضل
منه من الصحابة والتابعين او من هو مثله من فقهاء الامصار او ممن جاء بعده

وموجب هذا القول ان اشهب وابن الماجشون ومطرف بن عبد الله وأصبغ
بن الفرج وسحنون بن سعيد واحد بن الممدل ومن في طبقتهم من الفقهاء كان لهم
ان يختاروا الى الانسلاخ ذي الحجة من سنة متين فلما استهل هلال المحرم من سنة
احدى ومشتين وغابت الشمس من تلك الليلة حرم عليهم في الوقت بلا مهلة ما كان
مطلقا لهم من الاختيار ويقال للآخرين اليس من المصائب وعجائب الدنيا تجوزكم
الاختيار والاجتهاد والقول في دين الله بالرأي والقياس لمن ذكرتم من ائمتكم ثم لا
تجيزون الاختيار والاجتهاد لحفاظ الاسلام واعلم الامة بكتاب الله وسنة رسوله
واقوال الصحابة وفتاواهم كاحمد بن حنبل والشافعي واسحق بن راهويه ومحمد بن
اسماعيل البخاري وداود بن علي ونظرائهم على سعة علمهم بالسنن ووقوفهم على
الصحيح منها والسقيم وتخريهم في معرفة اقوال الصحابة والتابعين ودقة نظرهم
ولطف استخراجهم للدلائل . ومن قال منهم بالقياس فقياسه من اقرب القياس الى
الصواب ، وابعد عن الفساد ، واقربه الى التصوص ، مع شدة ورعهم وما منحهم الله
من محبة المؤمنين لهم ، وتعظيم المسلمين علمائهم وعامتهم لهم .

فان احتج كل فريق منهم بترجيح متبوعه بوجه من وجوه التراجيح في تقدم زمان اوزهد او ورع او لقاء شيوخ وأئمة لم يلقهم من بعده او كثرة اتباع لم يكونوا لغيره امكن الفريق الاخر ان يبدو المتبوعهم من التراجيح بذلك او غيره ما هو مثل هذا او فوقه وامكن غير هؤلاء كلهم ان يقولوا لهم جميعا نفوذ قولكم هذا - ان لم يأنفوا من التناقض - يوجب عليكم ان تركوا قول متبوعكم لقول من هو اقدم منه من الصحابة والتابعين واعلم واورع وازهد واكثر اتباعا واجل . فابن اتياع ابن عباس وابن مسعود وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل بل اتباع عمر وعلي من اتباع الائمة المتأخرين في الكثرة والجلالة وهذا ابو هريرة قال البخاري : حمل العلم عنه ثمان مئة رجل ما بين صاحب وتابع : وهذا زيد بن ثابت من جملة اصحاب عبد الله بن عباس . وأين في اتباع الائمة مثل عطاء وطاوس ومجاهد وعكرمة وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وجابر بن زيد ؟ واين في اتباعهم مثل السعيد بن جبير ومسروق وعلقمة والاسود وشريح ؟ واين في اتباعهم مثل نافع وسالم والقاسم وعروة وخارجة بن زيد وسليمان بن يسار وابي بكر بن عبد الرحمن ؟ فما الذي جعل الائمة بأبائهم اسعد من هؤلاء بأبائهم ؟ ولكن اولئك وأتباعهم على قدر عصرهم فعملهم وجلالتهم وكبرهم منع المتأخرين من الاقتداء بهم وقالوا باسان قالم وحالم : هؤلاء كبار علمنا لسنا من زبونهم : كما صرحوا وشهدوا على انفسهم فان اقدارهم تنقصر عن تلقي العلم من القرآن والسنة وقالوا لسنا اهلا لذلك لا لقصور الكتاب والسنة ولكن اجزنا نحن وقصورنا فاكفينا نحن هو اعلم بهما منا !!! فيقال لهم : فلم تتكروا على من اقتدى بهما وحكمهما وتحاكم اليهما وعرض اقوال العلماء عليهما فما وافقهما قبله ، وما خالفهما رده ، فب انكم لم تصلوا الى هذا المنقود فلم تتكروا على من وصل اليه وذاق حلاوته ، وكيف تحجرت الواسع من فضل الله الذي ليس على قياس عقول العالمين ولا اقتراحاتهم وهم وان كانوا في عصركم ونشأوا معكم وبينكم وبينهم نسب قريب فالله بمن على من يشاء من عباده

وقد أنكر الله سبحانه على من رد التوبة بان الله صرفها عن عظماء القرى ومن رؤسائها واعطاها لمن ليس كذلك بقوله : اهلهم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم

معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا، ورحمة ربك خير مما يجمعون » وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « مثل أمي كالمطر لا يدري أوله خير أم آخره » وقد أخبر الله سبحانه عن السابقين بانهم « ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين » وأخبر سبحانه أنه « بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » قال « وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم » ثم أخبر أن « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » والله ذو الفضل العظيم »

وقد أطلنا الكلام في القياس والتقليد وذكرنا من ما أخذها وحجج أصحابها وما لهم وعليهم من المنقول والمعقول ما لا يجده الناظر في كتاب من كتب القوم من أولها إلى آخرها ولا يظفر به في غير هذا الكتاب أبدًا وذلك بحول الله وقوته وموته وفتح فله الحمد والمنة وما كان فيه من صواب فمن الله هو المان به، وما كان فيه من خطأ فني ومن الشيطان وليس الله ورسوله ودينه في شيء منه ، وبالله التوفيق

(تمت المناظرة)

باب السؤال والفتوى

فتعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسمع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا ورمقاد من امتأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجينا غير مشترك لثمل هذا، ولمن يمضي على سؤاله شهر ان أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان عندنا سبب صحيح لا غفاله

بلوغ الدعوة لكفار العصر

(س ٦٢) محمود أفندي ناصف الصراف بسكة الحديد السودانية في (حلفا) : ذكرتم في الجزء السابع ان « كل من بلغته دعوة النبي (ص) على وجه صحيح فلم يؤمن به عنادا للحق فهو خالد في النار » وهذا يستلزم ان تكون الدعوة في زمن رسول الله (ص) اذ كان يدعو المشركين للإسلام ويفرض عليهم الجزية أو الحرب في حالة إياهم كما هو وارد في القرآن ومذكور في التاريخ فما حكم من لم تبلغه الدعوة بلاغا شرعيا من القوم المتأخرين وكيف حالهم في الآخرة عند الله وهم لم يدعوا للإسلام ولم تبلغهم الدعوة على الوجه الشرعي الصحيح

(ج) ان دعوة خاتم النبيين عامة فحكمها واحد في زمنه وفي كل زمن بعده الى يوم القيامة فمن بلغته على وجه صحيح يحرك الى النظر فلم ينظر فيها أول نظر وظهر له الحق فاعرض عنه عناداً واستكباراً فقد قامت عليه حجة الله البالغة ولا عذر له في يوم الجزاء اذا لم يرق روحه ويزك نفسه بها ليستحق رضوان الله تعالى ومن لم تبلغه بشرطها أو باقته ونظر فيها باخلاص ولم يظهر له الحق ومات غير مقصر في ذلك فهو معذور عند الله تعالى ويكون حاله في الآخرة بحسب ارتقاء روحه وذكائها بعمل الخير أو تسفلها ودنسها بعمل الشر. والخير والشر معروفان في الغالب لكل أحد لا يكاد يختلف الناس الا في بعض دقائقهما وبإسعاد من يجرى عمل كل ما يعتقد خيراً واجتنب كل ما يعتقد شراً

وما ذكر في السؤال من ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يفرض على المشركين الجزية أو الحرب غير صحيح ولا هو في القرآن ولا في التاريخ بل سهو من السائل فانه (ص) دعا مشركي العرب الى الاسلام بالحجة فاندوه واذوه وأخرجوه من وطنه ثم صاروا يؤذونه في مهاجره ويكرهون أتباعه على الشرك ويصادرونهم في أموالهم حتى اذا أقدره الله تعالى على الدفاع أنشأ يجاهدهم حتى أظفره الله تعالى بهم ولم تضرب الجزية على أحد من المشركين بل هي خاصة بأهل الكتاب ومن في حكمهم كالجوس لأنهم أدياناً تعرفهم بالله وتأمرهم بالخير وتنههم عن الشر وان مازجتها نزغات الوثنية ونال منها التحريف والتأويل ، حتى ضل أهلها عن سواء السبيل ،

❦ ارادة الله وكسب الانسان ❦

(ص ٦٣) أمين أفندي محمد الشباسي بسكة حديد (سواكن) : كنت أحدث مع بعض أصدقائي في أحوال المسلمين من حيث ميلهم الى الشر أكثر من الخير وقتنتهم في المعاصي وعدم ميلهم الى ما فيه خيرهم الديني والآخرى فقال يا أخي هذه ارادة الله بنا فقلت له ان هذا شر والله لا يريد الشر وكيف يريد لنا دون غيرنا ؟ فقال اتنا نستحق ذلك في علمه أزلاً فهذه ارادته . فقلت ان هذا باطل فقد بين الله لنا طريقي الخير والشر في القرآن وجعل لكل سلوك جزاء ومنحنا العقل لأجل أن نميز بينهما فاذا أسأنا استعمال ما وهبه لنا من القوى والهداية كنا أشقياء في الدنيا

والآخرة واذا أحسننا استعمالها كنا سعداء فيهما ولكتنا أسانا الاستعمال وصرفنا قوانا الحسية والعقلية الى الشر . فقال من الذي صرف قوانا العقلية نحو أحد الأمرين؟ فقلت له الحواس وما غسدنا من الجزء الاختياري . فقال ان العقل أكبر شيء في الانسان وباقي الحواس دونه فلا يصح أن تغلب عليه بل الله عز وجل هو الذي حول قواك نحو إرادته فلا يقع في ملكه الا ما أَراده وأرضاه ثم قرأ هذه الجملة وادعى أنها آية من القرآن وهي : « انه لا يصدر عن أحد من عبيده قول ولا فعل ولا حركة ولا يكون الا بقضائه وقدره » ولم أقف عليها في المصحف فهل هي من القرآن وفي أي سورة هي وهل مقاله صحيح واذا كان كذلك فكيف يكون العذاب نرجو الفصل بيتنا بما أطلعك الله الخ اه بتصرف يسير

(ج) أما العبارة فليست من القرآن حتماً وعجبنا كيف خفي ذلك عليكم والمصحف في أيديكم على ان نظمها مخالف لنظم القرآن وأزيدك أن لفظ القضاء لم يرد في القرآن لامعرفاً ولا مضافاً ولا مجرداً وأما المسألة المتنازع فيها فكل منكم اخطأ في بعض قوله فيها وأصاب في بعض وكلامك أقرب الى الحقيقة وكلامه أميل الى التصورات النظرية فقولك ان الله لا يريد الشر مبني على ان الارادة بمعنى الرضى وذلك غير صحيح وانما الارادة هي ما يخص الله به الممكنات ببعض ما يجوز عليها من الامور المتقابلة . وقوله انه لا يقع في ملكه الا ما أَراده ورضيه غير صحيح في الرضى فان الكفر يجري في ملكه وقد قال في كتابه « ولا يرضى لعباده الكفر » ومن هنا تعرف ان فرقاً بين الارادة والرضى

وحقيقة القول في المسألة ان الله تعالى خلق الانسان وأعطاه القوى البدنية والنفسية والحواس الظاهرة والباطنة وأقدره على الاعمال النافعة والضارة وهداه الى التمييز بينها بالمشاعر والعقل والدين فهو يربي نفسه وعقله بكسبه . وأعماله الاختيارية تابعة دائماً لأفكاره العقلية وأخلاقه ووجداناته النفسية فهي كسبية تتبع كسبها فهما فسد التعليم والتربية كانت الاعمال قيحة ضارة ومهما صالح التعليم والتربية كانت الاعمال سالحة نافعة حتماً . هذا ما نشاهده من سير الانسان منفرداً ومجتمعاً فهو قطعي لا يقبل النزاع . وقام الدليل العقلي على أن هذا النظام الكامل في الانسان هو من مبدع

الكائنات كلها ولا تنافي بين الامرين. والبحث عن كيفية تعلق قدرة الله وارادته في اقامة الانسان او غيره من الكائنات على ماهو عليه سفه من العقل وبدعة في الدين أما الاول فـلأن العقل لا يقدر على اكتشاف سر الابداع والتكوين واما الثاني فلأن الشرع هنا ناعن الخوض في القدر لانه فتنة تثير الشكوك وتجري الى الكفر وينتهي الامر بصاحبها الى أن يبرئ نفسه من ذنبه وتقصيره ويرمي ربه عز وجل بذلك وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم

وغدا يعتب القضاء ولا عذ ولا عاص فيما يسوق القضاء

﴿الشفاعة والانداد﴾

(س ٦٤) الشيخ أنور محمد يحيى شيخ عزب في (الترعة الجديدة - من الشرقية): يفهم من عبارة المنار في الجزء التاسع أن الانداد على قسمين قسم يطلب منه العمل بالاستقلال وقسم يطلب منه ان يشفع عند الله تعالى وصرحتم بان الشفيع يكون ندأ لأنه يستنزل من يشفع عن رأيه ويحوله عن ارادته فالذى يفهم من هذا التصريح ان الذي يجب اعتقاده عدم الشفاعة عند الله تعالى مع ان الله قال في كتابه العزيز « من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه » وقال « ولا يشفعون الا لمن ارتضى » وقال اللقاني في جوهرته

وواجب شفاعة المشفع محمد مقدما لا تمنع

وغيره من مرتضى الاخبار يشفع كما قد جاء في الاخبار

فهل يوجد نص في وجود الشفعاء أرجو من حضرتكم بيان هذا الموضوع على لسان مناركم جعلكم الله ملجأ لكل قاصد ، ونجح لكم المقاصد ،

(ج) قد سبق لنا في المنار بيان حقيقة الشفاعة وأن من الآيات الكريمة ما ينفي الشفاعة قطعاً كقوله تعالى « ولا خالة ولا شفاعة » وقوله « لا لظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » ومنها ما هو ظاهر في جواز الشفاعة باذن الله لمن ارتضاه وهي ليست نصوصاً قطعية في وقوعها واما الاحاديث فهي صريحة في ثبوت الشفاعة في الآخرة وهي آحاد لا يؤخذ بها وحدها في العقائد. ويمكن حمل الآيات النافية للشفاعة والتي تحكيها عن عقائد المشركين في معرض الانكار كقوله تعالى « ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » الآية على ما ينطبق على الآيات والاحاديث

التي تجزها وتنطق بوقوعها فلا يكون هناك تناقض ولا تعارض وذلك ان الشفاعة المنفية
المنوعة هي ما حكاه القرآن العزيز عن المشركين وهي التي بمعنى الشفاعة عند الحكم
لقضاء المصالح عند العجز عنها من طرقها وأسبابها والشفاعة الجائزة خاصة بالآخرة
وهي عبارة عن دعاء من الشافع المشفع يأذن له به الله ويستجيبه إظهارا لكرامة عبده
الشفيع وقد سبق في علمه القديم وتعلقت ارادته سبحانه بأن مابه الشفاعة كائن في
وقته لا يتأخر ولا يتقدم فالشافع لم يغير شيئا من علمه تعالى ولم يؤثر في ارادته ولم
يحمله على شيء لم يكن ليفعله لو لاه

ومن هذا التقرير يفهم ان ما عليه أكثر العامة من الاستشفاع بالاولياء وأصحاب
القبور المعلومين والمجهولين لا أجل دفع المكاره وجلب المنافع هو من النوع الاول
الذي ينعمة الدين ويحل بالاعتقاد الصحيح بالله تعالى فانهم كثيرا ما يصرون بتشييه
الشفاعة عند الباري تعالى بشفاعة المقربين من الملوك الظالمين لبعض المجرمين وتأثير
شفاعتهم لهم وهذا محال على الله تعالى بل ان الملوك العادلين الحكماء ما كانوا يقبلون
شفاعة أحد وانما يعملون ما يعتقدون أنه الحق فتأمل

الحرم بالرضاع

(س ٦٥) أحمد أفندي المشد المحامي في (ملوي): هل يحرم على مرتضع زواج
جميع بنات مرضعته أم التي رضع معها فقط
(ج) من رضع من امرأة صارت أمه وحرم عليه جميع بناتها ولا يحرم من على
أخوته الذين لم يرضعوا منها، وإذا رضعت بنت من امرأة حرم على جميع أولاد المرأة
الزواج بها دون سائر أخواتها اللاتي لم يرضعن

الكشف ورؤية النبي (ص) يقظة

(س ٦٦) الشيخ حاتم ابراهيم مأذون ناحية تنده التابعة (ملوي):
جرت بيني وبين بعض اهل العلم مناظرة في شأن اهل الكشف ورؤية النبي
عليه السلام يقظة فانكرتهما مستدلا على نفي الأول بقوله تعالى «قل لا يعلم من في
السموات والارض الغيب الا الله» وقوله «وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو»
وقوله «علم الغيب» الخ وكثير من الآيات وحديث عائشة المشار اليه بقوله تعالى «ان

الله عنده علم الساعة الآية. وما نسمعه ممن عدوا للولاية - وهي حق كل تقي - حرفة: نوع من الكهانة كما أخبر عليه السلام حينما قيل له أنهم يقولون في الشيء كمن فيكون وكما وقع له مع ابن صياد . وعلى نفى الثاني بأنه عليه السلام مدفون بحيث لو استكشف لرؤي نائما وحياته البرزخية لا نشعر بها فلا كلام فيها وبأن ذلك لو كان جائزا لكانت عائشة التي قبره في بيتها أجدر بذلك ولما كان من اللازم ارشاد الصحابة حينما اشتعلت بلادهم قتنا وتقاتلت أئمتهم وتفرقت جماعتهم وبالجملية فلم يؤثر عن الصحابة والتابعين وتابعيهم أنهم رأوه يقظة وما يزعمه أهل الطرق من أن الرفاعي قبل اليد الشريفة فليس بأول كذوبة لهم. وادعى هو اثباتهما مستدلا بأن الكشف وقع من الصالحين الذين لا يظن فيهم الكهانة كعبد العزيز الدباغ والسيد البدوي والدسوقي وكثير من الأولياء وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نادى وهو على المنبر ياسارية الجبل واني يكون ذلك بدون كشف وبأن الرؤية حصلت لكثير من الأولياء كما صرح بذلك الأبريز ولا مانع من ذلك فإنها من الكرامات وزعم أن الشيخ محمدا عبده ادعى ذلك فترجو من سيادتكم تثبيتنا على أمر موافق للعقل والنقل كما هو شأنكم في تربية المسلمين

(ج) أنك لست مكلفا بأن تصدق بما ينقل من الكشف ومن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة والكشف ضرب من علم الغيب في الظاهر وقد رأيت ما كتبناه فيه في جواب الاسئلة الزنجبارية وقبلها وقد وعدنا بأن سنزيده تفصيلا فانتظر ذلك . وأما الرؤية فقد كتبنا في كتابنا (الحكمة الشرعية) ما نقل فيه عن الصوفية والعلماء وما يحكم به العقل والدين مفصلا في عدة كراريس ولعلنا نلخص ذلك في الكلام على بقية أنواع الكرامات وإنك لتجد الآن غناء في بحث رؤية الارواح اذا راجعته في المجلد السادس. واعلم ان البحث في هذه المسألة عامي لاديني اذ الدين لم يكلفنا باعتقاد ان الناس يرون الارواح المجردة ولكن نقل ذلك عن كثير من الناس ثلثة من الاولين وقليل من الآخرين واختلف فيه هل هو حقيقي او خيالي وبعض الصوفية يقول انه لا يكون في اليقظة ولكن في حال بين اليقظة والنوم وقد سلك الافرنج له طريقا صناعية ولكن الاستعداد له متفاوت وفاقا بينهم وبين المتقدمين ولا يزال امرهم فيه مبهما كما اشرنا الى ذلك من قبل . واذا ثبت ان لمعرفة بعض المغيبات سببا طبيعيا وجب استثناءه من

الغيب الذي استأنره الله تعالى بعلمه ويمكن ان يقال انه ليس بغيب حقيقي لاننا اذا قلنا ان الغيب كل ما غاب عنك كان اكثر الموجودات المجهولة غيبا وكان لا سبيل الى معرفة مجهول قط فوجب إذا ان يراد بالغيب مالا طريق لمعرفته بكسب البشر لامن طريق المشاعر ولامن طريق العقل والروح ويخرج بهذا ما يعرف الآن قبل ظهوره من الاحداث كالانواء والزلازل بواسطة آلات طبيعية وما يعرف بالحساب كالخسوف والكسوف ويقاس على ذلك كل ماله طريق طبيعي يوصل اليه بالسيرة عليه ولوروحانية. وهذا التقرير نكتفي مؤنة البدعة في الدين ، ونقطع الطريق على الدجالين ، ولا نقطع طريق العلم ولا اجتهد الانسان في اظهار مواهبه الروحانية

﴿ شرب اللبن في يوم الاربعاء واكل السمك في يوم السبت ﴾

(س ٦٧) احمد افندي صبحي في (اشمون) نرى كثيرا من اخواتنا المسلمين (وهم العامة وقليل من غيرهم) يقولون ان شرب اللبن يوم الاربعاء واكل السمك يوم السبت مكروه شرعا وورد فيهما احاديث شريفة وهذا الاعتقاد متمكن فيهم لا يحولون عنه فترجو الافادة هل ورد فيه شيء في السنة فان لم يكن فن اين سرى الى المسلمين ونسأله تعالى ان لا يحرمنا من وجودكم ...

(ج) ليس في هذه المسألة حديث مروي وانما سرت الى المسلمين من اهل الكتاب اليهود والنصارى مسألة السبت من الاولين ومسألة شرب اللبن من الآخرين فانا نرى طوائف منهم لا يشربون اللبن ولا يأكلونه مطبوخا في يوم الاربعاء . وسمعت بعض العامة ينسب الى علي كرم الله وجهه انه قال : ما استسمكت في سبتهما قط ولا استلبت في أربعائها قط : الخ ومرادهم ظاهر والعبارة ليست بمرية فضلا عن كونها مأثورة عن أمير المؤمنين كرم الله وجهه

﴿ الاستشفاء بجلوس النساء والاطفال تحت المنبر ﴾

(وحال الخطباء والائمة في بلاد مصر)

(س ٦٧) حامد افندي البكري في (دمياط) : دخلت مسجد شطا يوم جمعة للصلاة فلما سمعت الامام المنبر وحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم بكى صغير تحت المنبر وصاح فشوش على الناس فقرع الامام المنبر بالسيف مرات متواليات

ورفع صوته بما يقول فلم يسكت الصغير ولم يقم أحد لأخذه فقال الامام أما فيكم أحد يأخذ هذا الصغير؟ أخرجوه ومن معه فقام رجل وأخذه وأخرج معه ثلاث نسوة بعد جلوس طويل انتهى بنزوله وقوله لمن والله إن لم تخرجن لأضربنكن بالسيف فوقفت إحداهن بالصغير أمام المنبر بين الناس فقال أخرجوها هي ومن معها فان هذه بدع ولا يجوز دخوله في مساجد الله بهذا الشكل، فصاح عليه أحد سكان هذه القرية قائلا: أنت مالك وما لها: فقال له اسكت فجاوبه الرجل بقوله: دانت موش عالم هو انت امام والله نطلعك من هنا هي صلاتنا وراك راح تدخلنا الجنة: فنزل الامام وقال له صل بالناس فقامت أنا وواحد صحابي وصالحناه فصعد المنبر وأردنا ملاطفة الثاني فلم يزد ذلك الا نقورا حتى قال: انا موش عاوز اصلي وراك ولانا عاوز الجنة الي جايه لنا من صلاتنا وراك، والله ماعت مصلي وراك ياراجل انت: فثانته الخروج خوفا عليه من ارتكاب هذا الاثم فأبى الا تنفيذ يمينه. حصل ذلك والناس قد هاجوا وعلا ضجيجهم والامام يقول لا تفوتوا الصلاة فانها تمتد الى قبيل العصر فلما سكت الناس خطب وصلى بهم فسألت عن جلوس النسوة تحت المنبر فقيل لي أن الصغير مريض والنساء يعتقدن أنه يبرأ بجلوسهن به تحت المنبر أثناء الخطبة. فهل أصاب الامام في عمله أم أخطأ وما جزاء هذا الآثم وما رأيكم في هذا الاعتقاد وهل ورد أن يكون للمنبر بابان متقابلان كما تمهدون في المنابر؟ أفيدونا أفادكم الله

(ج) أصاب الامام في منع النساء والاطفال من القعود تحت المنبر الاستشفاء وخطأ ذلك الجاهل المعارض له وما قاله يشبه ان يكون هزء بالدين واستخفافا واحتقارا للجنة. ولبعض الفقهاء كلام في تكفير من يستهزئ بالعبادة او بالجنة او النار واذا لم يكن مثل هذه الاقوال مما يرتد به المسلم فهو مما لا يصدر عادة عن عارف بالدين يذعن له ويحترمه واكثر هؤلاء المقلدين لاسطان للدين على عقولهم وقلوبهم وانما يصلي احدهم لانه تعود على هذه الحركات التي يسمونها صلاة فاذا عارض الصلاة هواه او غضبه تركها بلا مبالاة. وينبغي للناس احترام امامهم وخطيئهم ما داموا راضين بامامته ولكن الحكم هم السبب في احتقار الناس لآئمة الصلاة والخطباء لانهم يعدون بهذا المنصب الذي هو من مناصب ورثة الانبياء الى الفقراء الجهلة ولو

جعلوهم من العلماء المدرسين وجعلوا رواتبهم كافية مانعة من احتياجهم الى الطمع في الصدقات لاحترامهم الناس وكان في احترامهم إعلاءً لشأن الدين. ألا ترى ان ذلك الاحق قد انكر على الخطيب واطهر احتقاره وعدم العمل بما امر به محتجا عليه بأنه غير عالم. ومن تدبر أمثال هذه الوقائع تجلّ له ما في مشروع الاستاذ الامام في اصلاح المساجد من الفائدة ولكن اهواء السياسة قد هبت من قصر الامارة على لائحة ترتيب المساجد فسفتها وألقها في قصر الدوبارة وصار الامر فيها الى اللورد كرومر ولا يدري الا الله ما هو صانع فيها. اما جعل المنبر بالكيفية المعروفة فليس له أصل في الدين فلا مانع منها ولا مقتضي لها

❦ استيثاس الرسل عليهم السلام ❦

(س ٦٧) ومنه : عرضت لي شبهة في قوله تعالى « حتى اذا استيثاس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين » فأرجو توضيح المراد منها

(ج) الاظهر المنطبق على قواعد العقائد أن المراد باستيثاس الرسل يأثمهم من إيمان قومهم وفي قوله تعالى « كذبوا » بضم الكاف قراءة ثان سبعتان إحداها بتشديد ذال « كذبوا » ولا إشكال فيها والثانية بالتخفيف وفي تطبيق القواعد عليها وجهان أحدهما أن الضمير في « ظنوا » لا أقوام الرسل أي ظن الاقوام أنهم كذبوا فيما وعدوا به من وقوع العذاب عليهم وثانيهما أن الضمير للرسل وكذبوا ههنا بمعنى تمذوا أو بمعنى وجب عليهم الأمر ومعناه كذبهم أنفسهم فيما تمنوا أو أملوا أي خابت آمالهم في قومهم أو في كيفية انتقام الله لهم قال في القاموس : وكذب قد يكون بمعنى وجب ومنه كذب عليكم الحجج كذب عليكم العمرة كذب عليكم الجهاد ثلاث أسفار كذب عليكم أو من كذبت نفسه اذا منته الاماني وخيلت اليه من الآمال مالا يكاد يكون : وقال في الاساس : وكذب نفسه وكذبت نفسه اذا حدثته بالاماني البعيدة والامور التي لا يبلغها وسعه ومقدرته : والمعنى حتى اذا يئس الرسل من إيمان قومهم وظنوا أي أيقنوا أن أمانهم في ايمانهم وآمالهم في قبولهم الدعوة ضائعة جاءهم نصرنا .

وقد انكرت عائشة رضي الله عنها قراءة التخفيف فقد روى البخاري وغيره من طريق عروة بن الزبير انه سأل عائشة عن هذه الآية قال قلت : اكذبوا (بالتخفيف) ام كذبوا

(بالتشديد) فقالت بل كذبوا تعني بالتشديد قلت والله لقد استيقنوا ان قومهم كذبوهم فما هو بالظن قالت اجل لامري لقد استيقنوا بذلك قلت لعلها كذبوا مخفة قالت معاذ الله لم تكن الرسل لتظن ذلك بربها . قلت فما هذه الآية قالت هم اتباع الرسل الذين آمنوا بهم وصدقوهم وطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر حتى اذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنت الرسل ان اتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك :
وقرأ بعض الصحابة « كَذَّبُوا » بالتخفيف مبنيًا للمعلوم وهي قراءة مجاهد اي
أيقن قومهم انهم كذبوا . والظن يستعمل في النصيح بمعنى اليقين وبمعنى الوهم وحديث
النفس والقرائن هي التي تعين ولذلك حمل بعضهم الظن هنا على حديث النفس وله
شواهد من اللغة

﴿ جنة آدم ﴾

(س ٦٨) ومنه : هل الجنة التي هبط منها آدم هي الجنة التي وعد المتقون في
الدار الآخرة أم هي جنة من جنات الدنيا واذا كانت الثانية فما معنى قوله تعالى
« ولكم في الارض مستقر »

(ج) ان جنة آدم ليست هي دار الجزاء في الآخرة ولك ان تراجع تفصيل
ذلك في تفسير قصة آدم (في ص ٢٠٣ من مجلد المنار الخامس) وفيه أن المختار عدم
البحث عن مكانها وان معنى « ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين » أن إقامتكم
في الارض محدودة خلافا لزعم الشيطان أن الشجرة التي أكلتم منها هي شجرة
الخلد وملك لا يبلى . ولا ينافي هذا أن تكون الجنة في الارض وهناك كلام في كون
القصة تمثيلا فراجعوه

﴿ التوسل بالانبياء والاولياء ﴾

كثر كلامنا في هذه المسألة ولا يزال الناس يسألون عنها وقد وقفنا قبل اتمام
طبع هذه الجزء من المنار على فتوى فيها الاستاذ الامام فالحقناه بباب فتاوى المنار
وهي فصل الخطاب وهذا نصها :

فضيلتوا افندم في الديار المصرية متعا الله بوجوده آمين

ابدي انه قد بلغني ان بعض الناس كتب الى فضيلتكم سؤالا يدعي فيه اني انكرت جاه النبي

صلى الله عليه وسلم والتوسل به الى الله تعالى وبأوليائه رضوان الله عليهم اجمعين والحقيقة اني لم انكر شيئاً من ذلك ولم اتكلم به بل الحقيقة انه سألني جمع من الناس عن حقيقة ما يعتقدونه ويقولونه بالسنتهم من التوسل بحاج النبي صلى الله عليه وسلم والتوسل بأوليائه معتقدين ان النبي او الولي يستميل ارادة الله تعالى عما هي عليه كما هو المعروف للناس من معنى الشفاعة والجاه عند الحكم وان التوسل بهم الى الله تعالى كالتوسل بأكثر الناس الى الحكم فلمما رأيت منهم ذلك وان هذا امر محل بالعقيدة كما تعلمون وان قياس التوسل الى الله تعالى على التوسل بالحكم محال فاجبتهم بما أعتقد وأدين الله به من تقرير عقيدة التوحيد وهي انه لا فاعل ولا نافع ولا ضار الا الله تعالى وانه لا يدعى معه احد سواء كما قال تعالى «فلا تدعوا مع الله أحداً» وان النبي صلى الله عليه وسلم وان كان اعظم منزلة عند الله تعالى من جميع البشر واعظم الناس جاهاً ومحبة واقربهم اليه ليس له من الامر شيء ولا يملك للناس ضراً ولا نفعاً ولا يرشداً ولا غيره كما في نص القرآن وانما هو مبلغ عن الله تعالى ولا يتوسل اليه تعالى الا بالعمل بما جاء على لسانه صلى الله عليه وسلم واتباع ما كان عليه الصحابة والتابعون والائمة المجتهدون من هديه وسنته وانه لا سبب لجلب المنافع ودفع المضار الا ما هدى الله الناس اليه ولا معنى للتوسل بنبي او ولي الا باتباعه والافتداء به يرشدنا الى هذا كثير من الآيات الواردة في القرآن العظيم كقوله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله) (وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه) الى غير ذلك من الآيات هذا هو اعتقادي وهو الذي قلته للناس فان كنتم ترون فيه خطأ فارجو بيانه وان كان هو الصواب فارجو اقراره عليه كتابة لا دافع بذلك من أساء في الظن لازلم هادين مهدين (محمد موسى من مجلة فرنوي بحيره)

جواب المفتي

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
اعتقادك هذا هو الاعتقاد الصحيح ولا يشوبه شوب من الخطأ وهو ما يجب على كل مسلم يؤمن بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ان يعتقده فان الاساس الذي بنيت عليه رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو هذا المعنى من التوحيد كما قال الله له: قل هو الله أحد الله الصمد والصمد هو الذي يقصد في الحاجات ويتوجه اليه

المربوبون في معونتهم على ما يطلبون وإمدادهم بالقوة فيما تضعف عنه قواهم والاتباع بالخبر على هذه الصورة يفيد الحصر كما هو معروف عند أهل اللغة فلا صمد الا هو وقد أرشدنا الى وجوب القصد اليه وحده بأصرح عبارة في قوله «واذا سألك عبادي عني فاني قريب احيب دعوة الداعي اذا دعان» وقد قال الشيخ محي الدين بن العربي شيخ الصوفية في صفحة ٢٢٦ من الجزء الرابع من فتوحاته عند الكلام على هذه الآية ان الله تعالى لم يترك لعبده حجة عليه بل لله الحجة البالغة فلا يتوسل اليه بغيره فان التوسل انما هو طلب القرب منه وقد أخبرنا الله انه قريب وخبره صدقاه ملخصا على أن الذين يزعمون جواز شيء مما عليه العامة اليوم في هذا الشأن انما يتكلمون فيه بالمبهات ويسلكون طرقا من التأويل لا تنطبق على ما في نفوس الناس ويفسرون الجاه والواسطة بما لا أثر له في مخيلات المعتقدين فاي حالة تدعوهم الى ذلك وبين أيديهم القرون الثلاثة الاولى ولم يكن فيها شيء من هذا التوسل ولا ما يشبهه بوجه من الوجوه وكتب السنة والسير بين أيدينا شاهدة بذلك فكل ما حدث بعد ذلك فأقل اوصافه انه بدعة في الدين وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وأسوأ البدع ما كان فيه شبهة الاشراك بالله وسوء الظن به كهذه البدع التي نحن بصدد الكلام فيها . وكأن هؤلاء الزاعمين يظنون ان في ذلك تعظيما لقدر النبي صلى الله عليه وسلم او الانبياء والاولياء مع ان أفضل التعظيم للانبياء هو الوقوف عند ما جاءوا به واتقاء الزيادة عليهم فيما شرعوه باذن ربهم وتعظيم الاولياء يكون باختيار ما اختاروه لأنفسهم . وظن هؤلاء الزاعمين ان الانبياء والاولياء يفرحون باطرائهم وتنظيم المدائح وعزوها اليهم وتفخيم الالفاظ عند ذكرهم واختراع شؤون لهم مع الله لم ترد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا راضيا السلف الصالح هذا الظن بالانبياء والاولياء هو أسوأ الظن لانهم شبهوهم في ذلك بالجبارين من أهل الدنيا الذين غشيت أبصارهم ظلمات الجهل قبل لقاء الموت وليس يخطر بالبال ان جباراً لقي الموت وانكشف له الغطاء عن أمر ربه فيه يرضى ان يفخمه الناس بمالم يشرع الله فكيف بالانبياء والصديقين إن لفظ الجاه الذي يضيفونه الى الانبياء والاولياء عند التوسل مفهومه العرفي هو السلطة وان شئت قلت نفاذ الكلمة عند من يستعمل عليه اولديه فيقال فلان

اغضب مال فلان بجاهه ويقال فلان خلص فلانا من عقوبة الذنب بجاهه لدى الامير
أو الوزير مثلاً. فزعم زاعم أن لفلان جاها عند الله بهذا المعنى إشراك جلي "لاخفي" وقلما
يخطر ببال أحد من المتوسلين معنى اللفظ اللغوي وهو المنزلة والقدر على أنه لا معنى
للتوسل بالقدر والمنزلة في نفسها لأنها ليست شيئاً ينفع وإنما يكون لذلك معنى لو أوت
بصفة من صفات الله كالاجتباء والاصطفاء ولا علاقة لها بالدعاء ولا يمكن للتوسل
أن يقصدها في دعائه وإن كان الألويسي المسكين بنى تجويز التوسل بجاه النبي خاصة على
ذلك التأويل وما حمله على هذا الاخوفه من السنة العامة وسباب الجهال وهو مما
لا قيمة له عند العارفين فالتوسل بلفظ الجاه مبتدع بعد القرون الثلاث وفيه شبهة
الشرك والعياذ بالله وشبهة العدول عما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم الاصرار
على تحسين هذه البدعة

يقول بعض الناس ان لنا على ذلك حجة لا أبلغ منها وهي ما رواه الترمذي
بسنده الى عثمان بن حنيف رضي الله عنه قال ان رجلاً ضرير البصر أتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال ادع الله ان يعافيني فقال: ان شئت دعوت وان شئت صبرت فهو خير
لك: قال فادعه قال فأمره ان يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء اللهم اني
اسألك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة اني توجهت بك الى ربي ليقضي لى في حاجتي
هذه اللهم فشفعه في: قال الترمذي وهو حديث حسن صحيح غريب

ونقول اولاً قد وصف الحديث بالغريب وهو ما رواه واحد ثم يكفي في لزوم
التحرز عن الأخذ به ان اهل القرون الثلاثة لم يقع منهم مثله وهم اعلم منا بما يجب
الاخذ به من ذلك ولا وجه لاتباعهم عن العمل به الا علمهم بان ذلك من باب
طلب الاشتراك في الدعاء من الحي كما قال عمر رضي الله عنه في حديث الاستسقاء انا
كنا نتوسل اليك نبينا صلى الله عليه وسلم فقسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبيك العباس
فاسقنا قال ذلك رضي الله عنه والعباس بجانبه يدعوا الله تعالى ولو كان التوسل ما زعم
هؤلاء الزاعمون لكان عمر يستسقي ويتوسل بالنبي (ص) ولا يقول كنا نستسقي بنبينا
والان نستسقي بعم نبيك، وطلب الاشتراك في الدعاء مشروع حتى من الاخ لاخيه بل
ويكون من الاعلى للادنى كما ورد في الحديث وليس فيه ما يخشى منه فان الداعي ومن

يشركه في الدعاء وهو حي كلاهما عبد يسأل الله تعالى والشريك في الدعاء شريك في العبودية لاوزير يتصرف في إرادة الأمير كما يظنون «سبحان ربك رب العزة عما يصفون» ثم المسألة داخله في باب العقائد لاني باب الاعمال ذلك ان الامر فيها يرجع الى هذا السؤال (هل يجوز ان نعتقد بأن واحدا سوى الله يكون واسطة بيننا وبين الله في قضاء حاجاتنا او لا يجوز) أما الكتاب فصرح في ان تلك العقيدة من عقائد المشركين وقد نعاها عليهم في قوله «ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله» (سورة يونس) وقد جاء في السورة التي تقرأها كل يوم في الصلاة «وإياك نستعين» فلا استعانة الا به وقد صرح الكتاب بان احدا لا يملك للناس من الله نفعا ولا ضرا وهذا هو التوحيد الذي كان أساس الرسالة المصطفوية كما بينا ثم البرهان العقلي يرشد الى ان الله في اعماله لا يقاس بالاحكام وامثالهم في التحول عن ارادتهم بما يتخذ اهل الجاه عندهم لتزهره جل شأنه عن ذلك ولو اراد مبتدع ان يدعو الى هذه العقيدة فعليه ان يقيم عليها الدليل الموصل الى اليقين اما بالمقدمات العقلية البرهانية او بالأدلة السمعية المتواترة ولا يمكنه ان يتخذ حديثا من حديث الآحاد دليلا على العقيدة مهما قوي سنده فان المعروف عند الامة قاطبة ان أحاديث الآحاد لا تفيد الا الظن «وان الظن لا يبغي من الحق شيئا» والله اعلم

(محمد عبده)

في ٢٧ جمادى الثانية سنة ١٣٢٢

بَابُ التَّوْبَةِ وَالْتَّعْلِيمِ

الشذرة الخامسة عشرة من جريدة الدكتور إدراهم

(مايتعلم في السفينة)

في اليوم الخامس من شهر مارس بلغنا ميناء جرافسند (١) حيث سلم معرف التاميز (٢) زمام سفينتنا الى معرف البوغار الذي أخذ الآن على نفسه ابلاغنا ما وراء مصب النهر

(١) جرافسند هي أحد مواني انكلترا وموقعها في الجنوب الشرقي للوندره

في نحو الساعة السادسة من المساء برز الربان على ظهر السفينة وتعهده بنفسه ماشحن فيها من المؤنات كالماء والبسماط وبرايميل اللحم المملح واستوثق من سلامتها ثم قضينا ليلتنا على المرساة

وقرب حد الظهيرة من الغد سارت بنا السفينة تبحر ها باخرة صغيرة الحجم شديدة القوة تسمى « نلسن » وفي وقت مرورنا حيا ل منارة « نور » هبت علينا ريح طيبة فامكنتنا من مد بعض الشرع ثم تغير لون الماء فصار ذا خضرة كدواء

كانت تلك الساعة هي المعينة لنزولي الى حجرات المسافرين لعيادتهم فيها وليس القيام بشؤون الصحة في سفينة انكليزية كبرى من الاعمال (الوظائف) التي يؤثر صاحبها بلا كسب فان « المونيتور » تحمل خمسة وثلاثين راكبا من الدرجة الاولى وقل منهم من يقوى على أول صدمة للبحر عدو الانسان ويكون آمنا من الغار فلم ينج من مرضه الا هيلانة وامرأتان اخريان او ثلاث

وفي اليوم الثامن من الشهر بلغنا حوالي الكتيبان فالتقى معرف البوغاز مقاليد السفينة الى ربانها ونزل بالساحل ثم رجعت الباخرة الجارة بعد ابلاغنا هذا المكان من حيث أنت ووكلتا الى قوانا أي الى « شرع » سفيتنا ولما رأى المسافرين والملاحون ان هذه البقعة هي آخر موقف يؤذن لهم فيه بالاقتراب من البر حمل كثير منهم للمرف رسائل لاصدقائهم تتضمن بالبداهة آخر وداع لهم

جاء دور البحارة الآن في العمل فدوا أيديهم اليه بهمة واقدام واشتغل الضابط الاول والثاني للسفينة بترتيب الحرس فعينا لكل حارس عمله ثم تدلت من جميع السواري وهي في نصف ارتفاعها انسجة طويلة نفختها الريح ووصفتها فأنشأت السفينة تميدوا حسنت باستقلالها من وقت أن ثابت اليها أجنحتها وكانت قيل هذا تبدو عليها اعلام الكآبة والحجل أن ترى مقودة بغيرها

أدبرت على الملاحين كأس من خمر غسل السكر استحقوها كل الاستحقاق بكدهم ونصيبهم

مما عرفته من الاماكن في مسيرنا (يدشى هد) وهو رأس في أميرية (قوتية)

(٣) التأميز نهر من أنهار انكلترا يمر با كسفورد ولوندره ويصب في بحر الشمال

صاسقس وجزيرة وايت وستارت بوينت وقد صار الماء الآن ذا خضرة بهيجة
تطفو على سطحه اعشاب بحرية تشبه التبن الطويل. صادفتنا سفينة راجعة الى انكلترا
نخاطبناها بأعلامنا الملونة وسألناها بهذه اللغة السرية ان تبلغ سفر سفينتنا مكتب
الملاحة لشركة ليود

اتبيننا من اجتياز البوغاز نخرجنا منه وكان الجو صحو فصعد المسافرون على ظهر
السفينة لاستنشاق النسيم البارد

اني قلما رأيت اللج مرة لم يكن مرآه فيها مثارا للمعجب في نفسي ولكن أخض
ماشغل ذهني منه الآن هو جملة العلوم التي استفادها الانسان من ممارسة البحر. انظر
الى النظام الكوني تجد علم الحياة الذي يبحث فيه عنه انما تولد من الملاحة فانه لولا أن
حاجة الانسان الى الاهتداء في سيره على ظهر البحار دفعته الى درس الفلك لكان
من المحتمل ان لا يخطر بباله اصلا ان يتقصى سرّاً من أسرارهِ فاحتياجه الى السي
في طلب الغني هو الذي اضطره الى قياس الزمان والابعاد قياساً مضبوطاً فترى للملاح
الساذج مع انه لا يعرف القراءة دائماً حائزاً بالتحقيق لكثير من العلوم العملية . سله
ان شئت وليكن ذلك عن بعض الامور الطبيعية تجد كلامه فيها يرجع الى ما قرره العالم
الذي قضى سنين كاملة في دار من دور الكتب واذا كنا الآن قد انشأنا نظن ان
للرياح والزوايا قانوناً قائماً كان ذلك بسبب ما جمع من ملاحظات البحارة المختلفين
في السفن الموزعة على جميع البحار فاصبح اشد الفواعل الكونية تعاصياً عن الضبط
منقاداً الى قانون ودخل ابعد الحوادث عن النظام في نظام العلم العام وكشفت المسابير
اغوار قعر المحيط وقفاره المفروشة باسلااب فرائسه واضحي الآن من الميسور رسم
خريطة لتيارات البحر السفلية ثم ان الفضل فيما عرفناه من العلوم الصحيحة عن شكل
العالم راجع الى الملاحين

خلق البحر مثالا للازل لانه مثال للحركة فشهد تولد اليابسات المتعاقبة وانعدامها
وارتفاع الجبال وما وقع على مر الدهور من ضروب فعل الارض وانفعالها مما لا
يزال يرتجف منه فوآده وهو اليوم كما كان في مبداء العالم لا يتوره نصب في جهاده
وجلاده فتراه بعض بعض سواحله ويقرض ما يقاومه من الصخور الصوانية ويقتلع

بعض اجزاء الارض من اماكن مختلفة فينقلها من احد نصفها الى النصف الآخر لينى بها سواحل جديدة وجزرا ورؤوسا لا بد ان يهدمها بعد وبدأ به على العمل بخول من مكان الى مكان على تعاقب العصور بالقوة الساكنة التي توجد فيها لا يموت من الاشياء وكما انه رحم للخلائق العضوية الاولى هو ايضا اكبر مستودع للحياة من المحقق الذي لامرية فيه ان ممارسة البحر قد وسعت دائرة علومنا ولكننا قد استفدنا منه ما هو اجل من العلم نفسه الا وهو ما يتحلى به الرجال من الفضائل التي ينميها في النفس الجهاد مع المحيط المخوف فلولا هذا الجهاد لما عرف الانسان شيئا يستحق المعرفة فما امثل الملاحة طريقة للتربية ! فذلك المربي القاسي العبوس واعني به البحر يبت كل يوم في اذهان غلماننا الذين يتغذون بلبان معارفه ان النفوس متساوية وان الفلاح في الاعتماد عليها ويعلمهم من البسالة مالا ترزعه الخطوب ومن الصبر ما يقوون به على احتمال كل ضروب الحرمان واقتحام جميع المخاطر ومن ذا الذي في وسعه ان يصف ما آتى الجنان من الثبات وما ألبس النفس من درع القوة وهو وان غلبه الملاحون بمنابرتهم على قهره وثباتهم في طاب الظفر به يحق له في نفس هذا القلب ان يفخر بقاليه فانه هو الذي أنشأهم وهم تلامذته اه

﴿ الرجل والمرأة في دمشق ﴾

(رسالة من الفتاة الدمشقية المهدبة صاحبة التوقيع الرمزي)

حضرة الاستاذ العالم الفاضل الشيخ محمد رشيد افندي رضا صاحب جريدة

النار الاغر لا زال ملجأ لكل خير

الغرض من المناظرة التوصل للحقيقة ولجريدتكم القراء سبق في هذا الميدان الذي اعرف نفسي بأني لست من فرسانه وان دخولي فيه يعد تطفلا مني على ذويه لكن شدة غيرتي على بنات نوعي ذوات الخدر اضطررتي للدفاع عنهن على قدر بضاعتي واستطاعتي فاقول : طالعت مقالة للفاضل س.ع. مدرجة في عدد ١٤٨٥ من جريدة نمرات الفنون القراء فرأيت حضرة الكاتب من جهة يعترف بان الرجل في دمشق ام يكن احسن اخلاقا من اخته وانه هو الذي جعلها بالدرك الاسفل من الجهل

ومن جهة أخرى يعطف ويوجه الملام عليها بتبذير ابنها بقوله ان امه هي السبب فانه لما شرع بالمشي واخذ يخرج الى السوق بدأت هي تعطيه نفقة (خرجية) وتعوده على الاسراف والتبذير الخ

فاجيبه انه لم ينصف أخته المسكينة التي كان الرجل هو الذي ضغط عليها اولا حتى هوت بأولاده في هاوية الجهل كما نرى فبأي عدل يحق لآخيهاتوجيه الملام اليها مهما اساءت التصرف سواء كان بسوء التربية او غيرها وهو السبب فيما يشكو منه اذ هو صاحب السيطرة عليها ويده إدارة التعليم وما يد شريكته غير خدم المنزل فدامت الحالة على ما ذكر فن المسؤول والمطالب يا ترى هل الرجل ام المرأة

هل المرأة هي التي قالت لابنها اذا كبرت يا بني فاخرب ما بناء اسلافك من مدارس العلم والتعليم واجعل البعض منها يوتا لسكنائك والبعض يتا لمركتك والبعض اسطبلا للدواب والبعض قاعا صفصفا يأوي اليه الغراب وابتلع ما وقفه اسلافك على هذه المدارس ولا تبق لها غير الاسم بكتاب المدارس؟ (*) هل المرأة هي التي علمت ابنها الحزبيلات وقالت له اترك طلب العلم وتزني بشعار العلماء حتى تعش باقوالك وافعالك الظاهرة البسطاء من اخوانك واخوانك واطرك التجارة والصناعة والزراعة واتخذ لك مهنة خرافية فادع انك مشارك للعقاريات والجان وانك قادر على اخراج الشياطين المردة ممن اصابهم امراض عصبية من بني جنسك وانك قادر على الاعلام بالمغيبات وانك تخرج الثعابين والحيات من اجحارها وان النار اذا دخلتها تكون عليك بردا وسلاما وان أمضى السلاح لا يؤثر بجسمك وانك قادر بطلاسمك على التفريق بين المرء وزوجه وانك قادر على صلاة المغرب في دمشق والعشاء في بغداد وما شابه ذلك من الخرافات والدعاوي الكاذبة والحزبيلات اللاتي يندر صدور امثالها عن النساء الجاهلات اللاتي ينحصر خديتهن في الأثزياء (الموضة) والحياطة والرجال يقولون فيهن: طويلات الشعور قصيرات العقول .

واما نداء حضرته ابناء وطنه ودعوتهم الى تهذيب بناتهم وان يبذلوا الدراهم على تعليمهن كما يصرفونها على تعليم ابنتهم فاننا مع موافقته على وجوب التعليم نطلب منه

(*) المنار: تعني الكاتبة الكتاب الذي أحصيت فيه أسماء مدارس الشام

طلب استفادة ان يدلثا رعاه الله على مدرسة وطنية في دمشق او في نواحيها يمكن ان نجاب فيها الدعوة التي هي بالحقيقة ضالطنا المنشودة حتى اكون اول مناديه مع حضرته واكون لحضرته من الشاكرين . فان كان مراده التعليم بالمكاتب (الكتاتيب) الموجودة فعيد هنا ماقلناه في مقالة سابقة من ان هذه المكاتب ملأى من كلال النوعين الذكور والاناث على انها غير وافية بالمطلوب لأن التعليم فيها محدود . وان كان مراد حضرته ارسال البنات الى مدارس الاجانب كما يرسل البنون فتحن واياه على طرفي قبض وانظن انه لا يوافق على هذا الا قليل من الآباء

قد نحقق عند كثير من الآباء والامهات بدمشق ضرورة تعليم البنات اللاتي سيصرن أمهات ما يحسن أهم أعمالهن وهي تربية الاولاد الذين تتألف منهم العيال والطوائف والامم والذين سيكونون رجال ونساء المستقبل لأن الاطفال عند ما يكونون في أحضان أمهاتهم يرضعون من لبنهن ينتقل اليهم كثير من عاداتهن وصفاتهن ونطقهن ويقتدي الولد بوالدته في كل ما يسمع منها ويرى . لذلك نرى ان من يريد تعليم بناته يجب عليه ان يصرف عليهن مثلما يصرف على تعليم بنيه لكن المانع من ترقية التعليم عدم وجود مدرسة كما تقدم ولا أنكر وجود أناس أيضا لا يزالون يرون تعليم البنات من الامور المنكرة لأن المرأة بحمد ذاتها عندهم كمناع البيت وأن الواحد اذا صرف وقته بتعليم البقرة الحرة أفضل له من صرفه في تعليم بنته لاعتقاده أو خوفه من أن نصير ساحرة .

واما قوله انه عجز الآن عن تأسيس مدرسة بدمشق لاجل تهذيب اخوانه وأخواته الخ فأقول في جوابه انه لا يخفى على حضرته ماقله البنا التاريخ عما كان يعانيه ويقاسيه أعظم الرجال الذين كانوا يتصدون لأي مشروع جديد سيما اذا كان مخالفاً لآلاف الاكثرون ولو كان ذلك دافيه النجاح من الاهانة والهزم بهم وبأعمالهم حتى كان السواد الاعظم يرى عمل أحدهم ضرباً من الجنون ومع ذلك كانوا يشتون ولا يرجعون عن عزيمتهم حتى خلد ذكركم ووضعوا لذاتهم ذكراً حميداً على صفحات التاريخ فيجب علينا ان نقف على هؤلاء الرجال ولا نهمل اي مشروع يكون من ورائه النجاح عاجلاً أو آجلاً وان نترك ما نحن عليه من التساكن ومحبة التعظيم الكاذب والتبجيل الفارغ وان نتنبه من غفلتنا ونصحو من رقدتنا

وتنظر لحالتنا وتقا بلها على حالة جيراننا الذين سبقونا بكل شيء ونشمر عن ساعد الجهد والاجتهاد وتعاون كأمرنا على البر والتقوى وان نؤلف جمعية من نخبة الشبان العلماء البعيدين عن الخرافات ونباشر بمعرفتها جمع المال اللازم لتأسيس مدرسة وطنية لاجل تعليم البنين والبنات تكون على أحسن طرز ان شاء الله وبه المستعان وعليه الانتكال (ف.ع)

التلميذة في دمشق

آثار محمد بن عبد الله

تاريخ التمدن الاسلامي

صدر الجزء الثالث من هذا الكتاب لمؤلفه جرجي أفندي زيدان صاحب مجلة الهلال وهو يبحث في العلم والادب وما كان منهما عند العرب قبل الاسلام وما أحدثه الاسلام من التغيير في القرائح والعقول وما نقل عن اللغات الاجنبية من العلوم وما كان من تأثير التمدن الاسلامي في كل ذلك، فما كان قبل الاسلام هو النجوم والانواء والميثولوجيا والكهانة ويعني بالميثولوجيا الخرافات المتعلقة بتأليه النجوم وغيرها وكل ما تقدم من الخرافات واما العلم الحقيقي الذي كان عندهم فهو التاريخ والاسباب فرع منه والادب ومنه الشعر والخطابة وما هو ممزوج من الحقيقة والوهم وهو الطب وقد ذكر المؤلف هذه كلها سردا لاعلى وجه التقسيم. وكانوا يعرفون علوما أخرى لم يتكلم عنها كعلم الريافة (استنباط المياه من الارض) والقيافة والعيافة والزجر وغير ذلك ولم يكن شيء من هذه العلوم مدونا في الصحف والكتب بل كان مما يعملون به ويتناقلونه باللسان لانهم أميون. واما العلوم الاسلامية فهي لسانية ودينية وعقلية وكونية وفيها أكثر مباحث الكتاب

وذكر المؤلف في مقدمته أن من الافرنج من هضم في كتبه المسلمين او العرب وغصص حقهم العلمي فلم يعترف بفضلهم بل زعم أنهم افسدوا ما نقلوه ومنهم من أنصف واعتترف بفضلهم وهم المستشرقون الذين منحوا وعرفوا ولكن بعض هؤلاء أطنب في مدح العرب وذكرهم من المزايا ما لا يوجد له ذكر في كتبهم مع ان الكتب العربية هي منبع التاريخ والمعارف الاسلامية وأنه هو توسط بين الطرفين. ولكن لا يخفى عليه انه لا يصح

ان نجعل ما بين أيدينا من الكتب هو الميزان لمعرفة العرب فان معظم كتب سلفنا قد ضاع من أيدينا ولم يبق لنا الجبل بقيمة تلك الآثار ، وما يلزمه من سوء الاختيار ، الا أدنى الكتب وأقلها فائدة ومكاتب الأفرنج مملوءة بتلك الذخائر المفقودة ، والآثار الضائعة ، ثم أن الاجنبي عن الأمة قلما ينصفها في فضلها تمام الانصاف ، وأقل من ذلك وأبعد عن المعقول ان يهبها مائيس لها من المزايا والادوصاف ، الا أن يكون الكتاب من أصحاب الاهواء المعروفة ، لامن أهل العلم والمعرفة ، ومن الهوى حب الاغراب ، والكذب في المبالغة والاطباب ،

وقد قرأنا نبذا من الكتاب متفرقة فرأيناها شاهدة لما نعتقده في المؤلف من الانصاف ولكننا رأينا بعض المسلمين يرميه بالتعصب ووصلت شكواهم منه الى أكبر معاهد العلم الاسلامي في مصر وهذه الشكوى لاتزيد على ما كتبه لنا بعض أهل العلم في دمياط وقد طلب منا كغيره الرد عليه فرأينا من الظلم أن نجازي من يتعب في خدمتنا بذكر هفواته قبل التنويه بفائدة كتابه ولذلك بادرنالنا الى تقريره قبل مطالعته . وهذا نص الكتاب الوارد من دمياط

« قرأت مانشر صاحب الهلال في هذه الايام الاخيرة من تاريخ التمدن الاسلامي فوجدته وان نوه بما للإسلام والمسلمين من الفضل الا ان في طوايا الكتاب وزوايا الكثير من صحائفه ما يرمي المسلمين في العصر الاول بالجمود والتعصب الديني فان لم يتيسر لك تصفح الكتاب فانظر الصحيفة التاسعة والثلاثين .

ليس هذا كل ما أقصد من الكتابة لحضرة الفاضل صاحب المنار وانما أهم مادعاني الى الكتابة استلفات نظره الى مشكلة دينية اشار لها حضرة الكاتب تحت عنوان (المأمون والاعتزال) صحيفة ١٤١ وهي مشكلة الخلاف في القرآن هل هو مخلوق او غير مخلوق فانه حرفها بظنه وفسرها برأيه حيث قال بعد ان نوه بفظنة المأمون وميله الى البحث العقلي مانصه (فتمكن من مذهب الاعتزال وأخذ بناصر أشياعه وصرح بأقوال لم يكونوا يستطيعون التصريح بها خوفا من غضب الفقهاء ومن حملها القول بخلق القرآن أي انه غير منزل) فاستلقت نظرك أيها الفاضل لقوله اي انه غير منزل بل الى الكتاب كله والسلام»

(المنار) : أما ما جاء في (ص ٣٩) فهو منتقد ولكنه معتقد المؤلف فيما أرى ولم يقصد به إهانة الاسلام والنيل منه قال : كان الاسلام في اول امره نهضة عربية والمسلمون هم العرب وكان اللفظان مترادفين فاذا قالوا العرب أرادوا المسلمين وبالعكس. ولا أجل هذه الغاية أمر عمر بن الخطاب باخراج غير المسلمين من جزيرة العرب : ونقول ان هذا غلط سرى للمؤلف من استعمال الاجانب من عهد بعيد فأطلقه والصواب ان المسلمين في صدر الاسلام كانوا يطلقون كلمة العرب احيانا في مقابلة المسلمين فيعنون بهم المشركين ولم يكن اللفظان مترادفين عند المسلمين في وقت ما على الاطلاق بل كانوا يطلقون لفظ المسلم والمسلمين على كل من دخل في الاسلام واذا أطلق على العرب خاصة كان تجاوزا يعرف بالقرينة . ولم يخرج عمر غير المسلمين من الجزيرة اجتهادا منه لهذا بل عملا بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد اوصى بذلك في مرض موته . ثم قال المؤلف :

«واساس الاسلام وقوامه القرآن في تأييده تأييد الاسلام والعرب. ويمكن هذا الاعتقاد في الصحابة لما فازوا في فتوحهم وتغلبوا على دولتي الروم والفرس فنشأ في اعتقادهم أنه لا ينبغي ان يسود غير العرب ولا يتلى غير القرآن وشاع هذا الاعتقاد خصوصا في ايام بني امية وقد بالغوا فيه حتى آل ذلك فيهم الى نعمة سائر الامم عليهم »

ونقول ان القرآن بلا شك اساس الاسلام ولكن ليس فيه ما يدل على ان العرب يجب ان يكونوا ممتازين على غيرهم بل يقول «يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكروا نثي وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » نعم ان تأييد العرب له تأييد لهم اذ لولاه لم يخرجوا من ظلمة جاهليتهم ولكن فتح بلاد الروم والفرس لم يزد الصحابة اعتقادا بما ذكره وإنما كانوا يعتقدون كما يعتقد كل مسلم الى الآن والى ما شاء الله من انه لا يصح ان يعتد بان شيئا من الدين الا ما جاء في القرآن والسنة او ارشد اليه الكتاب او السنة وهذا الاعتقاد لا يمنع جواز قراءة كل كتاب نافع والانتفاع بكل علم في امر الدنيا لاسيما وقد قال لنا نبينا «اتم اعلم بامور دنياكم » وامرنا ان نطلب العلم ولو بالصين وأن نأخذ الحكمة اينما وجدت. وما كان من امر بني امية فهو من الاثر

والطمع ولم يميزوا انفسهم على الاعاجم وحدثهم بل ميزوها قبل كل شيء على آل بيت النبي عليه وعليهم السلام . ثم قال

« أما في الصدر الاول فقد كان الاعتقاد العام أن الاسلام يهدم ما قبله فرسخ في الأذهان أنه لا ينبغي أن ينظر في كتاب غير القرآن لأنه جاء ناسخا لكل كتاب قبله اه وتقول إن معنى هدم الاسلام لما هو قبله أن من دخل فيه لا يؤاخذ على الكفر والمعاصي التي كان عليها قبله كما يعلم من النصوص الصريحة وليس معناه أنه أبطل العلوم والفنون الدينية والدينية مما كيف وأكثر المسلمين يقولون الى اليوم بأن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد عندنا ما ينسخه بخصوصه . وأما نهى النبي (ص) عن النظر في كتب اليهود وعن تصديقهم وتكذيبهم فسيبه عدم الثقة بما ينقلونه عن كتبهم على أنها محرقة وقد نسوا حظا مما ذكروا به، ومثلهم في هذا النصاري وقد خالف هذا النهي بعض الرواة فأدخلوا في كتب المسلمين من الاسرائيليات ماشوه كتب السيرة والتفسير والحديث بالأكاذيب والخرافات ولولا نقد الحفاظ لاختلط عاينا الامر بسوء قصدهم اوفهمهم كاختطاط على من قبلنا . وقد جعل المؤلف هذه التنبذة مقدمة للتنبذة التي يرجح فيها أن العرب هم الذين أحرقوا مكتبة الاسكندرية وما كان أغناء عن ذلك

هذا ما أشار اليه الدمياطي عن (ص ٣٩) وأما تفسير المؤلف لخلق القرآن بما فسره به في (ص ١٤١) فهو من اجتهاده الغريب الذي انفرد به ولم يخطر على بال أحد قبله من المعتزلة ولا من أهل السنة فان هؤلاء لا يكفرون المعتزلة بالقول بخلق القرآن والفريقان مع سائر الفرق الاسلامية على إجماع واتفاق على كفر من يقول أن القرآن غير منزل لأن هذا القول تكذيب صريح للقرآن وللنبي لا يحتمل التأويل ولا التعليل والذي يقول به يستحيل أن يلتزم شيئا من عقائد المسلمين وعباداتهم . وانما يضنون بخلق القرآن ما كانوا يسمونه مسألة اللفظ وهو أن ألفاظ القرآن التي يكيفها التالي بصوته مخـلوقة ومن فوائد انكار أهل السنة والجماعة لهذا القول أنه ربما يقضي الى أن يقول بعض الناس أنه يلزم من حدوث اللفظ القرآن أن لا يكون منزلا من الله تعالى - كما قال المؤلف - فيخرجوا من الاسلام

ولما تعلم أن كثيرا من المسلمين يظنون أن المؤلف يتعمد أمثال هذا القول

طعننا في الدين وتشكيكا في الاسلام وقد صرحنا من قبل باعتقادنا فيه وأنه يقول ما وصل اليه علمه بحسن نية وأنه ليس من متعصبي النصارى الذي يرضون تمصهم بآفساد العلم كاليسوعيين الذين حرفوا كتب المسلمين لهذا الغرض حتى لاثقة بكتاب يطبع عندهم وينتسب سبب وقوع هذه الأغلاط في كتب جرجى افندي زبدان وهي انه لم يدرس المسائل الاسلامية ويأخذها عن أهلها من كتبها وإنما يتناول تنقاً منها من كتب التاريخ والادب وغيرها فيجي بيانه للمسألة أو حكمه عليها خطأ في بعض الاحيان مهما كانت ظاهرة جليلة في مواضعها كما صرحنا بذلك في تقريرنا الجزء الثاني من هذا الكتاب . وعذر الذين يسيئون الظن فيه أنه يقول في الاسلام بما لم يقل به أحد وعزوا الى أهله ما لم يخطر لاحد منهم ببال من غير دليل كتفسيره مسألة خلق القرآن بأنه غير منزل من الله والحقيقة ما قلناه وليس لنا ان نعد ما هو بديهي عندنا بديها عند المخالفين لنا في الدين الذين لم يدرسوه دراستنا لعدم حاجتهم الى ذلك . نعم كان ينبغي لهذا المؤلف الذي نعهد فيه الانصاف وحب الحقيقة ان يعرض المسائل الدينية الاسلامية المحضة على عالم مسلم قبل تدوينها وهي قليلة لا تزيد في عنائه على مراجعة الكتب في المكتبة المصرية . وفي الكتاب مباحث أخرى تستحق النقد ربما تعود اليها في وقت آخر وفيه فوائد كثيرة لانجدها مجموعة في كتاب عربي

ولما مع هذا نشكر للمؤلف عنايته واجتهاده وسبقه الى إدخال أساليب التأليف الحديثة في اللغة العربية ونرجو أن يزيد في التحري مع الاعتراف بأنه لأعصمة لأحد في اجتهاده ونحث أهل العلم والبحث على النظر في كتبه هذه ومن كان ينتقدها على الاطلاق فليأتنا بنحير منها نكن له من السامعين الشاكرين وصفحات هذا الجزء ٣١٤ ومن النسخة منه عشرون قرشا

ثلاثون عاما في الاسلام

كتاب وضعه موسيوليون روش السياسي الفرنسي الذي أقام في بلاد المدين ٣٠ سنة تعلم في أتمائها اللغة العربية وقونها وقرأ العلوم الاسلامية وعاشر المسلمين في الجزائر وتونس والاساتنة ومصر والحجاز وقد عربت جريدة اللواء المصرية عنه

الجلية الآتية (في عدد ١٥٠٦ الصادر في ٢٢ ج ٢) فنشرناها نقلا عنها لتكون حجة على متعصبين التصاري وعلى أمثال صاحب جريدة اللواء الذي ينتصر للمشايخ الجامدين الذين وصفهم صاحب الكتاب كما يحامل على المصاحين الذين يبنون انطباق الاسلام على المدينة الفاضلة ويدعون الى أصوله الكاملة التي طمس التقليد معالمها ، وعبرة لنا بتة المسلمين أبناء التزية الحديثة الذين كفروا بهذا الدين تقليدا للافرنج الجاهلين به أو المتعصبين على أهله قال المؤلف

« اعتنقت دين الاسلام زمناً طويلاً لا أدخل عند الامير عبد القادر ديسية من قبل فرنسا وقد نجحت في الحيلة فوثق بي الامير وثوقاً تاماً وانخذني له سكرتيراً. فوجدت هذا الدين الذي يعيبه الكثيرون أفضل دين عرفته فهو دين انساني طبيعي اقتصادي أدبي ولم أذكر شيئاً من قوانينها الوضعية الا وجدته فيه مشروعا . بل اني عدت الى الشريعة التي يسميها جول سيمون الشريعة الطبيعية فوجدتها كأنها أخذت أخذاً عن الشريعة الاسلامية . ثم بحثت عن تأثير هذا الدين في نفوس المسلمين فوجدته قد ملأها شجاعة وشهامة ووداعة وجمالا وكرما . بل وجدت هذه النفوس على مثال ما يحلم به الفلاسفة من نفوس الخير والرحمة والمعروف في عالم لا يعرف الشر والغو والكذب . فالمسلم بسيط لا يظن بأحد سوءاً ثم هو لا يستحل المحرم في طلب الرزق ولذلك كان أقل مالا من الاسرائيليين ومن بعض المسيحيين

ولقد وجدت فيه حل المسئلتين الاجتماعيتين اللتين يشغلان العالم طراً . الاولى في قول القرآن (انما المؤمنون اخوة) فهذا أجمل مبادي الاشتراكية . والثانية فرض الزكاة على كل ذي مال وتحويل الفقراء حق أخذها غصبا ان امتنع الاغنياء عن دفعها طوعا وهذا دواء الفوضوية

ممت بحب فتاة جزائرية اسمها خديجة وشغفت هي بي حبا . اني كلما تذكرت هذا الحديث أذوب أسفا . تبادلنا الغرام وتشاكينا الهيام وهي لا تعرف من أمري الا اني مسلم . وكان حبي لها حبا جرى مجرى دمي في مفاصلي فأردت ان أتخذها زوجة وان أرحل بها الى فرنسا حين قضاء مهمتي فاطلعتها على شيء من سري . وأأسفاه . انها حين علمت بذلك نهضت من جنبتي مصفرة الوجه مطرقة الرأس وقالت الوداع الوداع اني أحبك فلا أستحل افشاء سرك ثم اني احب قومي فلا استحل

أن أبقى بينهم عارفة بأمر يسوءهم ولذلك لا ينبغي لي أن أعيش فالوداع . ثم طعنت
فؤادها بنخجر فسقطت ميتة . وإني لأنساها مادمت حياً

ذلك من تأثير هذا الدين الكريم انه دين المحامد والفضائل . ولو انه وجد
رجالا يعلمونه الناس حق العلم ويفسرونه تمام التفسير لكان المسلمون أرقى العالمين
وأسبقهم في كل الميادين . ولكن وجد بينهم وباللأسف شيوخ يحرفون كله ويمسخون
جماله ويدخلون اليه مالايس منه . واني تمكنت من استقواء بعض هؤلاء الشيوخ
في القيروان والاسكندرية ومكة فكتبوا الى المسلمين في الجزائر يقتونهم بموجب
الطاعة للفرنسيين وبأن لاينزعوا الى ثورة وبأن فرنسا خير دولة أخرجت للناس .
ومنهم من أفق بأن فرنسا دولة اسلامية أكثر من الدولة العثمانية . وكل ذلك لم
يكلفني غير بعض الإثنية من الذهب

مثل هؤلاء الشيوخ الذين يحسبون هذا الدين ملكا لهم لا ينبغي لغيرهم شرحه
وتفسيره . مثل هؤلاء الشيوخ الذين يقاومون المصلحين ويعمدون كل تأويل غير
تأويلهم كفراً وإلحاداً . مثل هؤلاء الشيوخ هم علة تأخر الاسلام والمسلمين .
سمعت في الجزائر وتونس أن الشيخ محمدا عبده المصري يفسر اقرآن تفسيراً منطبقاً
على العلم والمدنية والانسانية فوجدت كثيراً من الشيوخ الجامدين يرون في ذلك بدعة
ويقولون ما أتى بمثل هذا أحد من الأولين . فكأنهم يرون هذا الدين متاعاً لا يخص
غير الرازي والجمل والسيوطي وغيرهم من المفسرين السابقين ولا يخص سواهم من
العلماء المجتهدين . انه اذا من الله على الاسلام بشيوخ عقلاء مثل الشيخ محمد عبده
وغيره من المصلحين كان خير دين أخرج للناس وكان المسلمون أرقى العالمين اهـ

(المنار) قد سررنا من نشر جريدة اللواء لهذه التبعة كما سررنا من كتابة ذلك
الفرنسي لما فعسى أن تراها بعد الآن معترفة على الدوام بمثل ما اعترف به هذا السياسي
الكبير والعالم المنصف وان لا تنصبر بعدلاً ولئك الشيوخ الجامدين على العقلاء المصلحين
وان كان الحق يعلو كل انتصار حيث يجد حرية ، وأن تستفيد بما ينشر المنار من ذلك التفسير
الذي هو حجة الله على العالمين في هذا العصر ومن سائر محاسن الاسلام وحكمه ومزاياه .
فلا يليق بمن ينتحل لنفسه خدمة الاسلام في مصر أن يجهل او ينكر ما فيها من الاصلاح
الذي يعرفه ويعترف به الفرنسي في باريس

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المسحاة

بقرآن الحكمة من بقاء ومن يؤمن بالحكمة فقد أوتي
خير كثير وما يذكر إلا أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق)

(مصر - الاثنين ١٦ رجب سنة ١٣٢٢ - ٢٦ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٠٤)

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الدار المصرية في الازهر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَلَكِنَّ الْبِرَّ
مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ، وَآتَى الْمَالَ
عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي
الرِّقَابِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا
وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ، أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ*

ادعى الجلال أن هذه الآية نزلت للرد على النصارى الذين يولون

وجوهم في صلاتهم قبل المشرق واليهود الذين يولونها قبل بيت المقدس وهذا ادعاء لم يثبت والصحيح قريب منه وهو أن أهل الكتاب أكبروا أمر تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة كما تقدم في آيات التحويل وحكمه وطال خوضهم فيها حتى شغلوا المسلمين بها وغلا كل فريق في التمسك بما هو عليه وتنقيص مقابله كما هو شأن البشر في كل خلاف يثير الجدل والنزاع فكان أهل الكتاب يرون أن الصلاة إلى غير قبلتهم لا تقبل عند الله تعالى ولا يكون صاحبها على دين الأنبياء والمسلمون يرون أن الصلاة إلى المسجد الحرام هو كل شيء، لأنه قبله إبراهيم وأول بيت وضع لعبادة الله تعالى وحده - فأراد الله تعالى أن يبين للناس كافة أن مجرد تولية الوجه قبله مخصوصة ليس هو البر المقصود من الدين، ذلك أن استقبال الجهة المعينة إنما شرع لأجل تذكير المصلي بالأعراض عن كل ماسوى الله تعالى في صلاته والاقبال على مناجاته ودعائه فتولية الوجه وسيلة للتذكير بتولية القلب وليس ركنا من العبادة بنفسه، وأن يبين لهم أصول البر ومقاصد الدين فقال

(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) قرئ بنصب البر ورفعهم وكلاهما ظاهر قال (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين) وفيه الاخبار عن المعنى بالذات وهو معهود في العربي الفصيح والقرآن على الأساليب العربية الفصحى لا على فلسفة النحاة وقوانينهم الصناعية، وبلاغة هذه الأساليب في إيصال المعاني المقصودة إلى الذهن على أجلي وأتم وجهه يريد المتكلم وأحسن تأثير يقصده فلسنا في حاجة هنا إلى تأويل « من آمن » ليجري الكلام على فلسفة القوانين فإن مثل

هذا التعبير لا يزال مألوفاً عند أهل العربية على فساد السنتهم في اللغة يقولون : ليس الكرم أن تدعو الأغنياء والأصدقاء إلى طعامك ولكن الكرم من يعطي الفقراء العاجزين عن الكسب : فالكلام مفهوم بدون أن نقول إن معناه ولكن ذا الكرم من يعطي أولئك الكرم عطاء من يعطي وإنما نحن في حاجة إلى بيان النكتة في اختيار ذلك على قول : ولكن البر هو الإيمان بالله : الخ وهذه النكتة مفهومة من العبارة فإنها تمثل لك المعنى في نفس الموصوف به فتنبهك إلى أن البر هو الإيمان وما يتبعه من الأعمال باعتبار الانصاف بالإيمان والقيام بعمله أي أنها تمثل لك المعنى في الشخص أو الشخص عاملاً بالبر وهذا أبلغ في النفس هنا من إسناد المعنى إلى المعنى ومن إسناد الذات إلى الذات كما هو مدق ومفهوم .

ابتداءً بذكر الإيمان بالله واليوم الآخر لأنه أساس كل بر ومبدأ كل خير ولا يكون الإيمان أصلاً للبر إلا إذا كان متمكناً من النفس بالبرهان ، مصحوباً بالخضوع والإذعان ، فمن نشأ بين قوم وسمع منهم اسم الله في حلفهم واسم الآخرة في حوارهم وقبل منهم بالتسليم أن له إلهاً وأن هناك يوماً آخر يسمى يوم القيامة وأن أهل دينه هم خير من أهل سائر الأديان فإن ذلك لا يكون باعثاً له على البر وإن زادت معارفه بهذه الألفاظ المسلمة لحفظ الصفات العشرية وأضدادها بل وإن حفظ العقيدة السنوسية ببراہینہا ولقد كان أهل الكتاب الذين تبين لهم الآية خطأهم في فهم مقاصد الدين يؤمنون بالله واليوم الآخر ولكنهم كانوا بمنزل عن الإذعان والقيام بحقوق هذا الإيمان من الأعمال والأوصاف المذكورة في الآية

الإيمان المطلوب معرفة حقيقية تملك العقل بالبرهان ، والنفس بالاذعان ، حتى يكون الله ورسوله أحب الى المؤمن من كل شيء ، وبؤثر امرهما على كل شيء ، « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتهموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين » وإيمان التقليد يفضل صاحبه كل واحد من هذه الأمور على أمر الله ورسوله

الإيمان المطلوب معرفة تطمئن بها القلوب ، وتحيا بها النفوس ، وتخس معها الوسوس ، وتبعد بها عن النفس الهواجس ، فلا تبطر صاحبها النعمة ، ولا تؤثسه النقمة ، « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب » - « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » وإيمان التقليد لا يفتأ صاحبه مضطرب القلب ، مبت النفس ، اذا مسه الخير فرح فخور ، واذا مسه الشر يؤوس كفور ،

الإيمان المطلوب معرفة تتمثل للمؤمن اذا عرضت له دواعي الشر وأسباب المعاصي فتحول دونها فاذا نسي فأصاب الذنب بادر الى التوبة والابانة فالمؤمنون هم « الذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » وهم « الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم » وإيمان التقليد يصر صاحبه على العصيان ويقترف الفواحش عامدا عالما لا يستحي من الله ولا يوجل قلبه اذا عصاه

الإيمان المطلوب هو الذي اذا علم صاحبه بأن الإيمان أصيب بمصيبة

كانت مصيبته في دينه أشد عليه من المصيبة في نفسه وماله وولده وكان انبعائه الى تلافيا أعظم من انبعائه الى دفع الأذى عن حقيقة ، وجلب الرزق الى نفسه وعشيرته ، وإيمان المقلد لاغيرة معه على الدين ولا على الايمان » واذا دُعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون * وإن يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين * » الآيات .

يذكر القرآن الايمان بالله واليوم الآخر كثير وانما المراد به ماله مثل هذه الآثار التي شرحها في آيات كثيرة من أجمعها الآية التي تفسرها ولكن أهل التقليد الذين لا أثر للايمان في قلوبهم ولا في أعمالهم الاماجرت به عادة قومهم من الاتيان ببعض الرسوم يأولون كل هذه الايات بجعلهم الايمان قسمين قسماً كاملاً وهو الذي يصف القرآن أهله بما يصفهم به وقسماً ناقصاً وهو ايمانهم الذي يجامع ما وصف الله تعالى به الكافرين والمنافقين ويرون أن الايمان الناقص كاف لنيل سعادة الآخرة لاسيما اذا صحبه بعض الرسوم الدينية ، ولكن الله تعالى في مثل هذه الآية يرشدنا الى أن الرسوم ليست من البر في شيء وانما البر هو الايمان وما يظهر من آثاره في النفس والعمل كما ترى في الآية وأساس ذلك الايمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين . فالايمان بالله يرفع النفوس عن الخضوع والاستعباد للارؤساء الذين استذلوا البشر بالسلطة الدينية أو السلطة الدنيوية وهي سلطة الملك فان العبودية لغير الله تعالى تهبط بالبشر الى دركة الحيوان المسخر أو الزرع المستنبت . والايمان باليوم الآخر وبالملائكة يعلم الانسان أن له حياة في عالم غيبي أعلى من هذا العالم فلا يرضى لنفسه أن يكون سعيه وعمله لأجل خدمة هذا الجسد خاصة لأن ذلك يجعله لا يبالي الا

بالأمور البهيمية . ثم ان الايمان بالملائكة أصل للايمان بالوحي لأن ملك الوحي روح عاقل عالم يفيض العلم باذن الله على روح النبي بما هو موضوع الدين ولذلك قدم ذكر الملائكة على ذكر الكتاب والنبين فهم الذين يؤتون النبيين الكتاب « تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر » - « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين » فيلزم من انكار الملائكة إنكار الوحي والنبوة وإنكار الأرواح وذلك يستلزم إنكار اليوم الآخر ومن أنكر اليوم الآخر يكون أكبر همه لذات الدنيا وشهواتها وحظوظها وذلك أصل لشقاء الدنيا قبل شقاء الآخرة والملائكة خلق روحاني عاقل قائم بنفسه وهم من عالم الغيب فلا نبحت عن حقيقتهم كما تقدم غير مرة

واختير لفظ الكتاب على الكتب للايماء الى أن كلا من اليهود والنصارى لو صح إيمانهم بكتبهم وأذعنوا له لكان في ذلك هداية لهم وان جهلوا وحدة الدين فلم يعرفوا حقيقة جميع الكتب الالهية على أن المقصود لازمه وهم أنهم لم يؤمنوا حق الايمان بكتبهم اذ لا يعملون بما يرشد اليه ولو كان إيمانهم صحيحا لقارنه الاذعان ، الباعث على العمل بقدر الامكان ، فان كثيرا من المؤمنين بالتسليم والتقليد كانوا كمن نزل فيهم « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم » إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون « فهذا الايمان الذي حصر الله الصدق في أصحابه كان قد فقد من أكثر أهل الكتاب كما هو حال مجموع

المسلمين في هذا العصر فان الذي تصدق عليه هذه الاوصاف صار نادرا جدا ولذلك حرم المسلمون ما وعد الله به المؤمنين من العزة والنصر والاستخلاف في الأرض ولن يعود لهم شيء من ذلك حتى يعودوا الى التحقق بما ميز الله به المؤمنين من النعوت والاصاف . فالايان بالكتاب يستلزم العمل به فان المؤمن الموقن بأن هذا الشيء قبيح ضار لا تتوجه إرادته الى إتيانه والمؤمن الموقن بأن هذا الشيء حسن نافع لا بد أن تتوجه اليه نفسه عند عدم المانع . فبالمدعي الايمان بالكتاب قد أعرضوا عن امتثال أمره ونهيه حتى صاروا يمدون حفظه وقراءته من موانع الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس فكان من قوانينهم أن حافظ القرآن لا يطلب لتعلم فنون الحرب والجهاد لأنه حافظ وصار حملة الكتاب لا يطالبون ببذل شيء من مالهم في سبيل الله حتى اذا ما طولب أحدهم ببذل شيء لاعانة المنكوبين أو لبناء مسجد ونحو ذلك اعتذر بأنه من العلماء أو الحفاظ لكتاب الله تعالى - بخل القراء والمتفقهة بفضل الله تعالى فجازاهم الله تعالى على بخلهم ، ووفاهم ما يستحقون على سوء ظنهم بربهم ، حتى صاروا في الغالب أذل الناس لآثهم عالة على جميع الناس

والايان بالنيين يقتضي الاهتداء بهديهم والتخلق بأخلاقهم والتأدب بأدابهم ، ويتوقف هذا على معرفة سيرتهم ، والعلم بسنتهم ، وأبعد الناس عن الايمان بهم من رغبوا عن معرفة مآذكر والاهتداء به ولا عذر لهم بما يزعمون من الاستغناء عن السنة بالاقتداء بالائمة الفقهاء فانه لا معنى للاقتداء بشخص الا الاستقامة على طريقته وانما طريقة الائمة المهتدين البحث عن السنة وتقديمها بعد كتاب الله تعالى على كل هداية وارشاد ولا يفني عن

كتاب الله وسنة رسوله شيء أبداً فإن الله يقول « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر » فمن استغنى عن التأسي بالرسول فقد استغنى عن الإيمان بالله واليوم الآخر إذ لا ينفعه هذا الإيمان إلا بهذا التأسي . على أن الاقتداء بالآئمة يقضي على صاحبه بأن يعلم سيرهم وطريقة أخذهم عن ربهم ونبيلهم وهؤلاء المقلدون لا يعرفون عن إيمانهم إلا اسمه وقول قائل لا يعرفونه كذلك أن هذا الكلام كلامه ولا يدرون كيف يعتقدون أنه كلامه . وهناك قوم غشيتهم الجهل فغشيتهم بأنهم من أشد الناس إيماناً بالرسول وحباله بما يصيحون به في قراءة كتب الصلاة عليه كالدلائل وأمثالها أو المدايح الشعرية وهم أجهل الناس باخلاقه العظيمة وسنته السنية وسيرته الشريفة وأشدهم نفورا عن التأسي به إذا دعوا إليه أو نهوا عن البدع في دينه والزيادة في شريعته وأمثال هؤلاء هم الذين ورد الحديث بأنهم يردون عليه الخوض يوم القيامة فيزدادون (يطردون) دونه فيقول أمتي فيقال انك لا تعلم ما أحدثوا بعدك فيقول : بعدا لهم وسحقا :

ثم ذكر تعالى بعد بيان أصول الإيمان أصول الأعمال الصالحة التي هي ثمرته وبدأ بأقواها دلالة عليه فقال (وآتى المال على حبه) أي وبذل المال لأجل حبه تعالى أو على حبه أي أيها المال . قال الاستاذ الامام وهذا الإتياء غير إتياء الزكاة الآتي وهو ركن من أركان البر وواجب كالزكاة وذلك حيث تعرض الحاجة إلى البذل في غير وقت أداء الزكاة بأن يرى الواحد مضطرا بعد أداء الزكاة أو قبل تمام الحول . وهو لا يشترط فيه نصاب معين بل هو على حسب الاستطاعة فإذا كان لا يملك إلا رغيفا ورأى مضطرا إليه في حال استغنائه عنه بأن لم يكن محتاجا إليه لنفسه أو لمن تجب عليه نفقته وجب

عليه بذله . وليس المضطر وحده هو الذي له الحق في ذلك بل أمر الله تعالى المؤمن أن يعطي من غير الزكاة (ذوي القربى) وهم أحق الناس بالبر والصلة فإن الانسان اذا احتاج وفي أقاربه غني فإن نفسه تتوجه اليه بماطقة الرحم ، ومن المغروز في الفطرة ان الانسان يألم لفاقة ذوي رحمه وعدمهم أشد مما يألم لفاقة غيرهم ، فانه يهون بهوانهم ، ويعتز بعزتهم ، فنقطع الرحم ورضي بأن ينعم وذوو قرباه بأثسون ، فهو بريء من الفطرة والدين . وبعيد من الخير والبر ، ومن كان أقرب رحما كان حقه أكد ، وصلته أفضل ، (واليتامى) فانهم لموت كافلهم تتعلق كفالتهم وكفالتهم بأهل الوجد واليسار من المسلمين كيلا تسوء حالهم وتفسد تربيتهم فيكونوا مصابا على أنفسهم وعلى الناس - (والمساكين) فانهم لما قعد بهم العجز عن كسب ما يكفيهم وسكنت نفوسهم للرضى بالقليل ، عن مدكف الذليل ، وجبت مساعدتهم ومواساتهم على المستطيع (وابن السبيل) المنقطع في السفر لا يتصل بأهل ولا قرابة حتى كأن السبيل أبوه وأمه ورحمه وأهله وهذا التعبير بمكان من اللطف لا يرتقي اليه سواه . وفي الامر بمواساته وإعاناته في سفره ترغيب من الشرع في السياحة والضرب في الارض - (والسائلين) الذين تدفعهم الحاجة العارضة إلى تكفف الناس وأخرهم لانهم يسألون فيعطيهما هذا وهذا . والسؤال محرم شرعا الا لضرورة يجب على السائل أن لا يتعدها - (وفي الرقاب) أي في تحريرها وعتقها وهو يشمل ابتياع الارقاء وعتقهم وإعانة المكاتبين على أداء نجومهم (١) ومساعدة

(١) المكاتب هو الرقيق يشتري نفسه من مولاه بمن يجعل أقساطا ووالاقساط تسمى

في اللغة نجومها

الاسرى على الافتداء . وفي جعل هذا النوع من البذل حقا واجبا في أموال المسلمين دليل على رغبة الشريعة في فك الرقاب واعتبارها أن الانسان خلق ليكون حرا الا في أحوال عارضة تقضي المصلحة العامة فيها ان يكون الاسير رقيقا . وآخر هذا عن كل ما سبقه لأن الحاجة في تلك الاصناف قد تكون لحفظ الحياة وحاجة الرقيق الى الحرية حاجة الى الكمال

ومشروعية البذل لهذه الاصناف من غير مال الزكاة لا تنقيد بزمن ولا بامتلاك نصاب محدود ولا بكون المبدول مقدارا معيناً بالنسبة الى ما يملك ككونه عشرا أو ربع العشر او عشر العشر مثلاً وإنما هو أمر مطلق بالاحسان موكل الى أريحية المعطي وحالة المعطى . ووقاية الانسان المحترم من الهلاك والتلف واجبة على من قدر عليها وما زاد على ذلك فلا تقدير له وقد أغفل أكثر الناس هذه الحقوق العامة التي حث عليها الكتاب العزيز لما فيها من الحياة الاشتراكية المعتدلة الشريفة فلا يكادون يبذلون شيئا لهؤلاء المحتاجين الا القليل النادر لبعض السائلين وهم في هذا الزمان أقل الناس استحقاقا لأنهم اتخذوا السؤال حرفة وأكثرهم واجدون

ثم قال (وإقام الصلاة) وهذا هو الركن الروحاني الركين للبر . وإقامة الصلاة التي يكرر القرآن المطالبة بها لا تتحقق بأداء أفعال الصلاة وأقوالها فقط وان جاء بها المصلي تامة على الوجه الذي يذكره الفقهاء لأن ما يذكرونه هو صورة الصلاة وهيأتها وإنما البر والتقوى في سر الصلاة وروحها الذي تصدر عنه آثارها من النهي عن الفحشاء والمنكر وقلب الطباع السقيمة ، والاستعاضة عنها بالفرائض المستقيمة ، فقد قال تعالى « ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين »

فمن حافظ على الصلاة الحقيقية تطهرت نفسه من الهلع والجزع اذا مسه الشر، ومن البخل والمنع اذا مسه الخير، وكان شجاعا كريما قوي العزيمة، شديد الشكيمة، لا يرضى بالضميم، ولا يخشى في الحق العذل واللوم، لأنه بمراقبته لله تعالى في صلاته واستشعاره عظمته وسلطانه الأعلى في ركوعه وسجوده، يكون الله تعالى غالبا على أمره، فلا يبالي مآلتي من الشدائد في سبيله، وما أنفق من فضله ابتغاء مرضاته، وصورة الصلاة لا تعطي صاحبها شيئا من هذه المعاني فليست بمجرد لها من البر في شيء وإنما شرعت للتذكير بذلك السناء الإلهي والاستعانة بها على توجه القلب إليه واستغراقه في ذكره ومناجاته ودعائه - فهذا هو البر وقد تقدم القول في معنى الصلاة وإقامتها وإنما نعيد التذكير كلما أعاده الكتاب العزيز

(وآتى الزكاة) قلما تذكر إقامة الصلاة في القرآن الا ويقرن بها إيتاء الزكاة فالصلاة مهذبة للروح والمال كما يقولون قرين الروح فبذله في سبيل الحق ركن عظيم من أركان البر وآية من أظهر آيات الايمان ولذلك أجمع الصحابة عليهم الرضوان على محاربة مانعي الزكاة ولكن الذين لا يعرفون من الدين والايمان الا تقليد بعض الكتب التي ألفها الميتون، ونشرها الرؤساء والحاكمون، يمتنعون الزكاة عمدا باسم الدين بما تعلمهم هذه الكتب من الخيل التي تمنع بها الحقوق الثابتة وآكدها الزكاة التي ذكر الكتاب مصارفها الثمانية وقضى بان تبقى ببقائها كلها أو بعضها ويسمونها حيلة شرعية وما نسبتها الى الشرع، الا كنسبة منجل الحاصد الى الزرع، أو العاصفة في القلع، فمانع الزكاة يهدم في الظاهر ركننا من أعظم أركان الاسلام، وينقض في الباطن من تحته أساس الايمان، لأنه يحتال على الله تعالى في

إبطال فريضته، وإزالة حكمته ، فهو لم يرض بحكمه ولم يدعن لأمره، بل فسق عن أمر مولاه ، واتخذ إلهه هواه ، وتجراً على تبديل كلمات الله ، فمسح الآيات الكثيرة من كتابه الآمرة بإيتاء الزكاة على أنها آية الايمان ، وصلاح العمران ، ثم هو يسمي هذا الخنث العظيم ، والجرم الكبير ، حكماً مشروعاً ، وديناً متبوعاً ، والله ان نسبة هذا السفه الى الشرع ، لأدل على الكفر من ذلك المنع ، اذ لا يعقل ان يشرع الله لنا شيئاً ويؤكده علينا سبعين مرة ثم يرضى بأن نحتال عليه ونخدعه في تركه ونزعم أنه تقديس وتعالى أذن لنا بهذه الخداعة والخاتلة !! إذن لماذا فرض وأوجب ، ورغب ورهب ، ووعد وأوعد ، وحكم وأحكم ، هل كان ذلك لغوا من الكلام ، وجهلاً بحكمة وضع الاحكام ، ؟ على ان تلك الحيل الشيطانية لم يجد لها واضعوها شبهة من تحريف كتاب الله وتأويل آياته كما هي طريقة في اتباع أهوائهم ، وتأيد آرائهم ، فان الله تعالى لم يذكر في كتابه الحول والنصاب وانما ذكر ما هو روح الدين ومقصده وهو إيتاء الزكاة وكونه آية الايمان ، وتركه آية النفاق والكفران ،

وقد بينت السنة بالهدي والعمل كيفية الأخذ وقدر المأخوذ وسائر الاحكام وليس فيها شيء يصح ان يكون شبهة لإبطال الكتاب والهروب من الاهتداء به ولكن المخذولين لما تركوا الاهتداء بالكتاب والسنة وجعلوا عبارات الكتب التي صنفوها هي مأخذ الدين وينايمه صاروا يحتالون في تطبيق أعمالهم على تلك العبارات المخلوقة فيكتب أحدهم مثلاً : تجب الزكاة على مالك النصاب اذا تم الحول وهو مالك له : ثم يعمد هو وغيره الى تطبيق دينه على هذه العبارة فيهب ماله قبل انقضاء الحول بيوم أو يومين

الى امراته ولو مع الاشتراط عليها أن تعيده له بعد يوم أو يومين ويقول انه لم تجب عليه الزكاة بحسب نص الكتاب الذي سماه فقها ويدك بكلمة كتابه المخلوق كتاب الله القديم، وسنة رسوله الحكيم، وحكمة دينه القويم، ويزعم مع هذا كله انه مسلم مؤمن بالله وكتابه ورسوله بل يزعم انه عالم فقيه في الدين، يجب تقليده واتباعه على المؤمنين، وربما يتبجح اذا سمع أو قرأ قوله صلى الله عليه وآله وسلم: من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده: لأنه يزعم أنه ممن أراد الله به خيرا ففقهه في الدين، فيأهل الفطرة السليمة التي لم يفسدها فقه هؤلاء المحتالين على الله لهدم دينه أفتونا هل العلم بمثل هذه الحيلة ينطبق على أصول البر التي ذكرها الله في هذه الآية وعلى الفقه والرشد الذي ذكره النبي في حديثه هذا أم هذه فتنة من فتن التقليد، وأخذ الدين من الكتب المحدثه دون كتاب الله المجيد؟

ثم قال تعالى (والموفون بعهدهم اذا عاهدوا) وهذا انتقال من البر في الاعمال الى البر في الاخلاق فذكر منها ما هو اهم أصول البر وهو الوفاء والصبر بضروبه المبينة. وقد ذكر الاعمال بصيغة الفعل والاخلاق بصيغة الوصف لأن الاعمال أفعال والاخلاق صفات وفيه تنبيه على أن من أوفى وصبر تكلفا لا يكون بارا حتى يصير الوفاء والصبر من أخلاقه ولو بتكرار التكلف والتعمل فقد ورد: الحلم بالتحلم: وقدم ما ذكر من الاعمال على هذه الاخلاق لان الاعمال هي التي تطبع الاخلاق في النفوس لاسيما الصلاة وبذل المال فلا أعون منهما على الوفاء والصبر وذلك ظاهر لقوم يفقهون

قال الاستاذ الامام المهدي عبارة عما يلتزم به المرء لا آخر وهو بعمومه يشمل ما عاهد المؤمنون عليه الله بايمانهم من السمع والطاعة والاذعان لكل ما جاء به دينه. ويذكر العهد في القرآن والسنة كثيرا ويراد به في الغالب

ما يعاهد به الناس بعضهم بعضاً عليه ويشترط في وجوب الوفاء بهذا العهد أن لا يكون في معصية . وفي معنى العهود المقود وقد أمرنا بالوفاء بها فيجب على المسلم أن يلتزم الوفاء بما يتعاقد عليه مع الناس ما لم يكن مخالفاً لأمر الله ورسوله الثابت عنده ولقواعد الدين العامة . وهذا أمر لا مندوحة عنه وهو معقول الفائدة ولذلك قال أهل القوانين الوضعية إن كل التزام يخالف أصول القوانين فهو باطل . ولكن لا يجوز أن يعاهد الإنسان أحداً أو يعاقده على أمر يعلم أنه مخالف للدين لا بنية الوفاء ولا بنية الغدر والنقض الأول معصية والثاني معصيتان أو أكثر لما يتضمنه من الغدر والغش . ولا يتحقق البر في الإيفاء إلا إذا كان المرء يوفي من نفسه بدون إلزام حاكم يقع أو يتوقع إذا هو لم يوف أو خوف أي جزاء ولو من غير الحكم فمن أوفى خوفاً من إهانة تصيبه أو ذم يلحق به فهو غير بار ولا هو من الموفين بالعهود

وقال الاستاذ الامام ما مثاله : ان الإيفاء بالعهد والمقود من أهم الفرائض التي فرضها الله تعالى لنظام المعيشة والعمران وانما الصلاة والزكاة من وسائله - والزكاة فرع منه في وجه آخر - فان الله تعالى فرض علينا الصلاة وهو غني عن العالمين لنؤدب بها نفوسنا فنعيش في الدنيا عيشة راضية ونستحق بذلك عيشة الآخرة المرضية اذ المصلي أجدر الناس بالقيام بحقوق عباد الله الذين هم عيال الله بما يستولي على قلبه فيها من الشعور بسلطان الله تعالى وقدرته وفضله وإحسانه وعموم هذا السلطان والاحسان له وللناس كافة . والغدر والاختلاف من الذنوب الهادمة للنظام المفسدة للعمران المفضية للآثم . وما فقدت أمة الوفاء الذي هو ركن الأمانة وقوام الصدق الا وحل بها العقاب الالهي . ولا يجعل الله الانتقام من الامم

لذنب من الذنوب يفشو فيها كذنب الإخلال بالعهد، والاختلاف بالوعد، وانظر حال أمة استهانت بالإيفاء بالعهود، ولم تبال بالتزام العقود، وكيف حل بها عذاب الله تعالى بالاذلال، وفقد الاستدلال، وضياع الثقة بينها حتى في الأهل والعيال، فهم يعيشون عيشة الافراد لا عيشة الأئمة، صور متحركة، ووحوش مفترسة، ينتظر كل واحد وثبة الآخر عليه، إذا أمكن ليداه أن تصل إليه، ولذلك يضطر كل واحد إذا عاقد أي انسان من أمته أن يستوثق منه بكل ما يقدر، ويحترس من غدره بكل ما يمكن، فلا تعاون ولا تناصر، ولا تعاضد ولا تأزر، بل استبدلوا بهذه المزايا التحاسد والتباغض، والتعادي والتعارض، « بأسهم بينهم شديد »، ولكنهم أذلاء للبعيد، (قال) وقد أحصيت في سنة قضايا الخصام في محكمة بنها فألفت أن خمسة وسبعين قضية في المئة منها بين الأقارب والباقي بين سائر الناس . ولو كان في الناس وفاء، لسلموا من كل هذا البلاء،

(والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس) قالوا ان البأساء اسم من البؤس وهو الشدة والفقر، والضراء ما يضر الانسان من نحو مرض أو قرح، أو فقد محبوب من مال وأهل، وفسروا البأس باشتداد الحرب. والصبر يحمد في هذه المواطن وفي غيرها وخص هذه الثلاث بالذكر لأن من صبر فيها كان في غيرها أصبر لما في احتمالها من المشقة على النفس، والاضطراب في القلب، فان الفقر إذا اشتدت وطأته يضيق له الذرع، ويكاد يفضي الى الكفر، والضرر إذا برح في البدن يضعف الاخلاق حتى يكاد المرء لا يحتمل ما كان يسر به في حال الصحة فما بالك بالمرض والآلام وما يطرأ في أثنائه من الامور التي تسيء النفس، واما حالة اشتداد الحرب

فهي على ما فيها من الشدة والتعرض للهلكة بخوض غمرات المنية يطلب فيها من الصبر ما لا يطالب في غيرها لأن الظفر مقرون بالصبر وبالظفر حفظ الحق الذي يناضل من يجاهد في سبيل الله دونه ويدافع عنه ويحاول إظهاره، ويبغي انتشاره، وهذا هو المأمور من الله تعالى بالصبر حين البأس لا المحارب لطمع الدنيا وأهواء الملوك. وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أن الفرار من الزحف من أكبر الكبائر وعبر عنه في بعضها بالكفر، فلا غرو أن يجعل الصبر في البأس أصلاً من أصول البر، وقد كان المسلمون بارشاد هذه النصوص أعظم أمة حرية في العالم فما زال استبداد الحكام يفسد من بأسهم، وترك الاهتداء بالكتاب والسنة يقل من غربهم، حتى سبقتهم الأمم كلها في ميادين الكفاح وحتى صرنا نسمع من أمثالهم: فرفأ لعنة الله، خير من مات رحمه الله: وأبعد الناس عندنا عن الصبر وأدناهم من الجزع والهلع والفرع المشتغلون بالعلوم الدينية فإن الشجاعة والفروسية والرماية عندهم من المعاييب التي تزي بالعلم وتحط من قدره وهم مع هذا يقرءون في كتبهم أن الشرع أباح المراهنة - وهي من القمار الذي هو من كبائر الآثم - في السباقة والرماية خاصة عناية بهما وترغيباً للامة فيهما. فهذا البعد عن الدين ممن يسمون أنفسهم ورثة الانبياء هو الذي قال الجاحظ انه لا يصل اليه أحد الا بخذلان من الله وانظر بعد هذا حكم الله تعالى على البررة الذي يقيمون ما تقدم ذكره من أركان البر قال (أولئك الذين صدقوا) في دعوى الايمان دون الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ، (وأولئك هم الملقون) الذين تشهد لهم بالتقوى أعمالهم وأحوالهم ، والتقوى أن تجعل بينك وبين سخط الله وقاية بأن تتحامي أسباب خذلانه في الدنيا وعذابه في الآخرة

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة التدرجيا غالبا ورمقاد منا تأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولمن يفتي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لا غفاله

البيع بالنسيئة

(س ٦٩) ح. ح. في الجبل الأسود: ما قولكم دام فضلكم في البيع بالنساء مضاعفة كأن يكون ثمن السلعة في السوق قرشا واحداً بالقدر فيبيعها المالك بقرشين نسيئة وهل يوجد فرق في هذا البيع بين أن يكون لمسلم أو لغير مسلم (ج) ان ذلك جائز للمسلم وغيره ما لم يكن غش أو تقرير ولا فرق في المعاملات بين المسلم وغيره لأن الشريعة الاسلامية ساوت بين الناس في الحقوق وان اختلفوا في الجنس والدين وانما الشرائع الاخرى لاسيما الأوربية منها هي التي تفاضل بين الاجناس والمال فتميز كل شريعة أبناء جنسها في الحقوق على غيرهم. أما الشريعة الاسلامية فانما تقدم المسلم على غيره في الأمور التي تتعلق بالدين ولا يخفى أمر التراحم والتسامح مع المحتاج أو المضطر

شرب الغازوزة

(س ٧٠) ومنه: الماء الذي يقال له في اللغة التركية (غازوزة) هل يجوز شربه أم لا (ج) ما كنا نظن أن هذا مما يحتاج للسؤال عنه فإنه لا يسكر قليلا ولا كثيره وليس فيه شيء من مادة السكر وما زال العلماء يشربون الكازوزة في الاستانة ومصر وفي كل بلد توجد فيه

شرب الدخان في مجلس القرآن

(س ٧١) محمد افندي حلمي من المشتغلين بالعلم في دمياط: قد سئلت عن حكم من يحضر لسماع أو تلاوة القرآن العزيز مستعملا لشرب الدخان - المسمى بالتبغ - ولكوني أرى الحكم على غير رأي من ذهب فقال بالحرمة أو من قال بالكراهة بدون استناد منهما لشيء مما يقطع بصحة الحكم أمسكت عن الجواب واثبتت

لاخذ رأي من آتاه الله بسطة في العلم ناظراً بماذا يرجع اليه رأيه في ذلك واليك رأينا -
نحن لانرى في حق من شرب الدخان وقت تلاوة أو سماع القرآن الشريف أنه
ارتكب محظوراً يجعله الشارع في حقه مكروهاً أو محرماً وكيف يتسنى لنا ذلك ونحن
على ما نعلم أنه لم يقم دليل من كتاب الله أو سنة على حرمة أو كراهة ذلك على من
ذكرنا فهو عندنا لم يخرج عن كونه نباتاً تحول بالحرق لمادة كربونية ثم انتشر في
الهواء مثل تحول الفحم النباتي وبقية المواد القابلة للاحتراق كذلك ومتى كنا نعلم
أنه لم يقل أحد بتحريم أو كراهة استعمال ما يتسبب عنه انتشار ما يتولد بالحرق من نحو
الفحم النباتي في مجلس من ذكرنا فلا يحول لنا القياس أن نخصص أحدهما بالحكم
دون الآخر متى كان الكل متحولاً لما هو من نوع واحد فما يحكم به على الواحد
يحكم به على غيره والا كان هناك ترجيح بلامرجح ولا يمكن مع هذا التخيل ان يرى
فيما ذكرنا انحطاطاً بكرامة الألفاظ المتلوة متى كانت الآداب مرعية من الجانبين
ولا يقال إنه من الصوارف عما هو المقصود من المتلو مادامت الأشباع والقلوب ليست
في أكنة ولا يقال أيضاً من شروط تلاوة المتلو طهارة محله وحمض الكربون بانتشاره
في محل المتلو يجعله قذراً لأنه ليس مما عدا في الشرع مستقذراً بل صار في زماننا
هذا مستطاباً لنفوس الكثيرين وانتشر في سائر أنحاء الكرة الأرضية وجنح الى تعاطيه
أكثر الناس - حتى الاطفال والنساء لاسيما المخدرات - والشئ كما قيل يعطى حكم
وقته . هذا ما يظهر للناظر من تلك الجهة - جهة الاستعمال - أما إن نظر لهذا الجوهر
من جهة أنه يضر بصحة المتعاطي حيث يجلب لجسمه الخطر الجسيم أو أنه يضر الحاضرين
بالنظر لاتحاد حمض كربونه بالهواء المجاور فيجعله غير صالح للتنفس تماماً فذاك نظر من
جهة أخرى له حكم آخر ولو لم يكن بمحضر القرآن هذا وليعلم المطلع على ما كتبنا
ان تصدينا له ليس من قبيل الميل لما نهوى فاتنا وربك ما تعاطينا شرب هذا
الدخان عمرنا فلا يحمله ذلك على أن يقول هذا امرؤ يختار حكماً لما يشتهي وإنما
مقصودنا بيان الحق في ذلك فجاء بجوابك الفصل أيها العالم الحكيم وأنت الحكم
الذي ترضى حكومته والسلام

(ج) ان الذين يتأثمون من التدخين المعروف في مجلس القرآن لا يبنون ذلك

على نجاسة مادة النبات ولا على كونه أخس من غيره أو نجسا ولا على كون التدخين
يقضي لذاته الاعراض عن الفهم والتدبر وإنما يروى ذلك ينافي الأدب لأن مجلس
القرآن أفضل من مجالس العلم بنسب القرآن ولا شك أن من يدخن في مجلس درس
العلم سواء كان في مدرسة نظامية أو مسجد يعدّ مخلا بالأدب فإذا كان عرف البلد
بعد التدخين حال التلاوة أو سماعها مخلا بالأدب فالقول باجتنابه ظاهر وإذا لم يكن
ذلك عرفا عاما فعلى كل امرئ أن يعمل بما يقتضيه وتطمئن إليه نفسه ومن كان
أقرب إلى الأدب كان أبعد عن توجه الإنكار عليه. هذا ما ظهر لنا في المسألة بعرضها
على قواعد الشريعة وآدابها والله أعلم واحكم

حكمة عدة الوفاة وعدة الطلاق

(س ٧٢) مصطفى أفندي صبري مأمور مركز (البداري): أرجو اتكرم بإفادتنا على
لسان مناركم الاسلامي عن الحكمة في تربص المتوفى زوجها أربعة أشهر وعشرًا
وتربص المطلقة ثلاثة قروء. أفادنا الله بكم وأثابكم على إرشادنا

(ج) الأصل في العدة بعد انفصال الزوجين بالطلاق أو بموت الرجل أن يعلم
أن المرأة غير عالقة من الرجل لئلا يشبه حال الولد فلا يعلم أهوللزوج الأول أم للثاني
فإذا تكرّر على المرأة الحيض أو الطهر ثلاث مرات يعلم أنها غير حامل ولهذا المعنى
كانت عدة الحامل أن تضع حملها فلو ولدت في اليوم الثاني جاز لها أن تزوج
والمتوفى زوجها تقتصد لتعرف براءة رحمها من الحمل ولمعنى آخر وهو الحداد على
زوجها ولذلك كانت عدتها أطول من عدة ذوات القروء إذ لا يليق بها أن تظهر
الرغبة في الزواج بعد شهرين أو ثلاثة من موت زوجها بل ذلك ينتقص منها ويؤلم
قربة زوجها ولذلك زادت عدتها على عدة غيرها ووجب عليها الاحداد أربعة أشهر
وعشر ليال لاتزين فيها ولا تمس طيبا مع أن الحداد على سائر الاهل والاقربين لا يزيد
على ثلاثة أيام فإن زاد حرم الاما قبل في الأثب الحديث معلول ورد بسبعة أيام

وذهب أكثر المفسرين إلى أن الحكمة في تحديد عدة الوفاة بهذا القدر أنه هو
الزمن الذي يتم فيه تكوين الجنين ونفخ الروح فيه ولا بد من مراجعة الأطباء في هذا
القول قبل التسليم به والظاهر لنا أن الزيادة لاجل الاحداد ولم يظهر لنا شيء قوي
في تحديده ولكن هناك احتمالات منها أنه ربما كان من عرف العرب أن لا ينتقص

على المرأة اذا تعرضت للزواج بعد أربعة أشهر وعشر من موت زوجها فأقرهم الاسلام على ذلك لانه من مسائل العرف والآداب التي لا ضرر فيها . وقد كان من المعروف عندهم أن المرأة تصبر عن الزوج بلا تكلف أربعة أشهر وتتوق اليه بعد ذلك ويروي ان عمر أمر أن لا يغيب المجاهدون عن أزواجهم أكثر من أربعة أشهر . واذا صح ان هذا أصل في المسألة تكون الزيادة الاحتياطية عشرة أيام والله أعلم بالصواب

القسم العمومي

أسباب ضعف المسلمين وعلاجه

كتب رفيق بك العظم مقالة (هذا أو ان العبر) في حال المسلمين فكان لها من التأثير في نفوس نبيه المسلمين أن انتدبت جريدة (تريبت) الفارسية الغراء التي تصدر في طهران الى ترجمتها ثم جاءنا في بريد الهند الماضي رسالة مطولة من احد فضلاء حيدرآباد الدكن يثني فيها على الرفيق بما هو أهله من الغيرة والاخلاص والفضل وينتقد رأيه في جعل مزج السياسة بالدين هو السبب في ضعف المسلمين ويذكر ما عنده من الرأي في ذلك بغاية الادب ويعرضه على فضلاء المسلمين في مصر وفي سائر الاقطار ليؤيدوه أو ينتقدوه . ولما كان هذا البحث أهم المباحث التي أنشئ المنار لاجلها وكان صاحب هذه الرسالة من أحسن الكاتبين فيه أدبا وبياناً نشرنا مقالته كما نشرنا مقالة الرفيق . وقد قسمنا مقالة الفاضل الهندي الى قسمين أحدهما في بيان الداء وأسبابه والثاني في علاجه قال حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم فحمده ونستعينه

جناب سيدي محمد رشيد رضا مالك مجلة المنار الفاضل ، والعلامة العامل ، الذي ايد الله به الدين ، وجعل وجوده نعمة ومنة على المؤمنين . فنشكر الله على هذه المنحة ، ونحمده على هذه النعمة ،

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فاني محبكم في الله حقاً وصدقاً واسأل الله ان يزيدكم من فضله ويثيبكم على سعيكم في إحياء السنة ، وخدمة الامة ، واني ارسل اليكم هذه الرسالة فارجو من فضلكم ان تدرجوها في المنار وان رأيتم تحسینا فلکم الفضل على انه يمكن ان تكون عليكم مشقة ولكن في نصيح المسلمين ومحبة السنة والامة

لا اراكم توقفون ولا تعوقكم اي مشقة وان احببتم ان تجيبوا بجواب خطي فذلك يكون فضلا وكرما من حضرتكم

والذي ساقني الى كتابة هذه الرسالة اني رأيت في اثناء مطالعاتي الجزء الثامن من المجلد السابع من مجلة المنار، التي هي منى الابرار، وقرة أعين الاخيار، رسالة عنوانها (هذا اوان العبر) انشأها الاخ الصالح الغيور رفيق بك العظم افصح فيها عن حالة المسلمين بما يفتت الاكباد، ويصدع الجماد، وهو لمع الله كلام من فؤاد ملي حية وغيرة وطنية، ودل على حسن طوية، واخلاص نية.

واني لا اقصر ثنائي عليه فقط ولا انسى الشكر لكثير من اخواتنا المصريين الذين لا يزالون يحررون الرسائل، ويذهبون الغافل، والاخ رفيق بك المعظم جمل موضوع رسالته البحث عن سبب ضعف المسلمين وانحلال روابطهم وتخليهم الى حضيف الجهل - ثم ماهو مانع للمسلمين عن الترقى ومجاراة الامم المتمدنة ورأيت أنه أبدى من رأيه على ما يعتقد ان سبب ما ذكر هو مزج العرب للدين بكل شيء من امور الحياة الدنيوية واخصها حياة الامم السياسية والامة الاسلامية استسلمت وصارت خاضعة لأولئك الولاة بحكم الدين حتى تأصل فيهم روح الخضوع المطلق والطاعة العمياء لأولئك الامراء المستبدين الذين يسومون الامة الخسف ولو ان العرب في بداية الامر وضعوا الدين جانبا، والسياسة الاجتماعية جانبا، وقلدوا الامم المتمدنة في ذلك العصر كالرومان لما سقطت الامة الاسلامية هذا السقوط. وبالمجلة فلا حاجة الا ان يجتمع المسلمون ويضعوا الدين جانبا وسياسة الملك جانبا،

فهذه خلاصة رسالته ولا ريب في سقوط المسلمين عن عرش مجدهم وانتشارهم الى حالة المهمجية عن معاقل الاتفاق، وشرهم فيما بينهم على الشقاق، حتى صدق فيهم قوله تعالى «بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى» بل المسلمون قلوبهم شتى ولا تحسبهم جميعا لتجاهر بعض لبعضهم بالعداوة. أخرجهم الزمان، واراهم العبر بالعيان، وهم لاهون، فيالله العجب الى متى هذه الغفلة، والتردي في هذه الغواية. والتكاسل عن الجدة. والرفيق أبدى رايه بقصد اصلاح قومه ووضع له للنقد والاختيار ف شكر الله سعيه واثما الاعمال بالنيات وانما الكل امرئ مانوى. والانسان يبذل جهده ويصلح نيته

وليس عليه أن لا يخطئ. وحيث اني ظهر لي غير ما ظهر له ودلني عقلي على عكس ما ابداه احببت ان ابدى رأيي وأضعه ايضا للتمحيص والتقد والاختبار فان رآه المسلمون حسنا صحيحا فذلك فضل الله فليشيعوه وليسطوه بالرسائل وأرجو من اهل الجرائد ان ينشروه ليطلع عليه العام والخاص وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين، وان كان غير ذلك فذلك شأني وعسى ان يظهر الله الصواب على يد من اراد فاقول

إن من قرأ تواريخ المسلمين عرف ما اتاب هذه الأمة من النوائب والمصائب التي لا تكاد تثبت لها شواخ الجبال وهي كثيرة واعظمها تأثيرا على جامعة الاسلام أمران ناشئان عن تركهم الدين واهلهم اياه احدهما في امورهم الشخصية والآخر يتعلق بحياتهم الاجتماعية السياسية بيانه. ان اعظم سبب لسقوطهم وتزعزع ملكهم بادئ بدء ان من لم يستحق الخلافة ولم يكن من اهلها ولم تجتمع له شروطها ولم ير اهل الحل والعقد انتخابها لها هاجم اهل الحق ونازع الحق اهلها واغار عليهم بإثارة الحروب وأعانهم من رغب في جمع الحطام، باستمالة الطغام من العوام، وكان ما كان حتى انتهت تلك الحروب الهائلة التعيسة بانتصار هؤلاء الظلمة لأسباب لا حاجة بنا الى بسطها. ولو كانت الغلبة لأهل الحق والعلم والدين والنهي لما كانت حالة المسلمين ما نرى، ولكن لا ينفع: لو وعسى: في امر مضى واقتضى،

ولما رأى هؤلاء المقتصبون انهم لم يظفروا بما ظفروا به الا بالقهر والسيف وخافوا ان يكر عليهم اهل الحق مرة أخرى مالوا عليهم ميلة ظافر غشوم فقتلوا احلامهم، وانهكوا حرماتهم، ووكلت بمن بقي منهم الرقباء والجواسيس فنفروا في البلاد محتفين لا يبيدون ولا يعيدون يعاقب الواحد منهم اشد العقاب على كلمة يقولها. يوضح ذلك قول ابي هريرة صاحب رسول الله (ص) حفظت عن رسول الله (ص) وعائين من العلم اما احدهما فقد بثته فيكم واما الآخر فلو بثته لقطع مني هذا البلعوم. او كقول وهو في الصحيح وهؤلاء المتقلبون الفاصبون جعلوا الخلافة ملكا عضوضا كما اخبر بذلك رسول الله (ص) في معرض الذم وعدلوا به عن منهج دين الله وشرعوا واستأثروا ببيت مال المسلمين واستبدوا بأرائهم معاندة لسنة رسول الله (ص) وخلفائه رضي الله

عنهم وعصيانا لأمر الله في كتابه وآثروا الجهلة والفساق بالوزارة والامارة بجماع
التشابه والله در القائل (ان الطيور على اشباهها تقع)

فهذه اول مخالفة للدين وقعت في تاريخ الاسلام وهي سبب سقوط المسلمين
واعظم مانع صرف المسلمين عن جميع القواعد والاصول وتفصيلها وترتيبها التي شرعها
الله لهم وندبهم اليها لتكميل حياتهم الاجتماعية السياسية فبقيت مفرقة كما انزلت لا يحيط
بها علما الا العاملون الذين مر ذكرهم وبيان حالهم ومهملة لا يحتفل بها الاشرار، ولا
يسمحون بنشرها للابرار، لما انها مخالفة لتلك الانفس الشهوانية، والرغائب الحيوانية،
خاف اولئك المستبدون ان تشتهر تلك الاصول وتعتقدها عامة الامة فيطالبوهم
بما تقتضيه جبرا فبقيت محجوبة في زوايا الاهمال وبتركها شقي المسلمون وسعد بهافي
دنياهم اهل الغرب وكانت أكبر الغنائم التي آوئها واستفادوها من حروبهم ومخالطتهم
المسلمين كما سعدوا ايضا بفوائد العلوم الفلسفية الطبيعية من هناك فكان نصيبهم من
علومنا ما نسمع ونرى، ونصيبنا القليل والقال، وكثرة الجدل، كالذي يحمل الانتقال،
وكانوا كلبلغ اوعى من السامع

والسبب الثاني جنابة على الدين ومخالفة له ايضا وهو الذي اقمدهم على بساط
الذل والهوان، وبه يرسفون حتى الآن في مهاوي الخذلان، لا يلوي احد منهم على
الآخر وبه كانوا شيعا متفرقين وكان السبب الاول كالدود القوي الهاجم،
وتلاه السبب الثاني يجهز على الجرحى ويماجل، وهو اعظم رزية، واشد
بلية، ألا هو نبذهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم ومع ذلك فهم
يحسبون انهم يحسنون صنعا. جهل مركب، وغواية عمياء، وفتنة دهاء، والى الله شكاة
رسوله «وقال الرسول ياربى ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا» إذ لم يمثلوا
وصيته - باني هو وامي - فيما صح عنه «اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي
كتاب الله وسنتي» ورد بروايات متقاربة المعنى. بل عدلوا عن سبيله وأكبوا على تقليد
الرجال الى مذاهب مختلفة، وآراء غير مؤتلفة، والله يقول وهو اصدق القائلين «ان
الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شئ» فنستغفر الله وحسبنا الله والعياذ
بالله من هذه العاقبة الوخيمة والتفرق المشؤم الذي يفسد الدارين، ويشقى النشأتين،

في الآخرة براءة نبينا (ص) منا وهو الذي نمد شفاعته اعظم ذخيرة، وفي العاجلة ذهاب الريح والئصر في حياة منغصة بالتهاجر، وبالجملة فالتقليد جلب علينا كل طامة لو لم يكن الاقصمه عرى الوفاق، وتيسيج الشقاق، لكني ألا ترى كل فرقة من فرق التقليد تود ان لو سمح الزمان لها باستئصال الفرق الاخرى واعدامها من الوجود ولقد بلغ بهم هذا الشغف الى أحقاد وائر هذا الاختلاف أشد تأثير على احساس المسلمين كما هو مشاهد

وان شئت تحقيق ذلك فدونك ومذهبا من تلك المذاهب استخرج منه مسألة مخافسة للكتاب والسنة فبه عليها بخصوص كونهما من المذهب الفلاني ثم ادعهم الى الحق والعدل عن تلك المسئلة. لا ريب انك ان فعلت ذلك ترى من جماعة ذلك المذهب المعجائب والفرائب والصياح والتأولات وسائر التمحلات ويقاومونك أشد مقاومة ويرمونك بكل حجر ومدبر وتعلم حينئذ صدق ما قلنا من ان هذه المذاهب أذهبت من المسلمين الإحساس بكل طارق مؤثر وصرقتهم عن الالتفات والتوجه الى ما سواها ولاجل ذلك لا تكاد ترى من علمائهم فضلا عن عوامهم تأملا واحساسا بما يعانونه ويقاسونونه من وطأة الاعداء واعتصامهم على بلادنا وركوبهم كواهلنا الضعيفة وهؤلاء الاعداء لا يزالون في جد واجتهاد يسوموننا كل دنية والمسلمون مع ذلك كله لاهون وغارقون في العماية المظلمة بتلك الافكار. اقرب مثال لهم واشبه حالة المجنون الذي يلعب به الاطفال، ويسومونه النكال، وهو لا بما هو فيه وجسمه في غناء، يستوجب الرحمة من الاعداء، بل صرنا الى حالة اخرج من حالة هذا المجنون، وتربص بنا كل ذي طمع ريب المتون، وطوقوا أعناقنا بأصار النكال، وحملوا كواهلنا أنواع الشقاء الثقيل، ونحن لا نثبت باستفانة، ولا نستطيع شكاية، فهل سمع السامعون، اورأى الرايون ان أحد يخاف او يهجز أن يقول لمن ظلمه يا هذا ارحم ضعفي، او خف الله ولا تظلمني، أو اعدل في حقّي، لا لالا لم يبلغ أحد الى هذا الحد الا المسلمون في هذا الزمان وذلك بسمي سلاطينهم وأمرائهم الذين يجب أن يتخذ لهم التاريخ التناء الجليل بذكريتهم وشجاعتهم وحسن سياستهم وتمسكهم بأوثق عرى دينهم!! فسحقا لهم وبمدآمن أمراء ياليت لنا باكثرهم رجلا واحدا من سواس الغرب الذين لو اعطي أحدهم الدنيا

بجذافها ليحط من قدر قومه ولو بكلمة يفوه بها لم يطاوعه طبعه فضلا عن أن يخون أمته أو يرضى بالدنية لها اللهم الآن يكون في معرض الخداع لنا ليسوقنا الى نفيه وبمكس ذلك أكثر أمرائنا ومتولي شئوننا البطرون المتكبرون على قومهم وبني أوطانهم ثم تراهم متملقين صاغرين بين ايدي الاجانب يتسابقون الى إرضائهم حتى ان أحدهم اذا لاطفه الاجنبي بكلمة ولعلها مخادعة يكاد فؤاده يطير فرحاً وسروراً ويرى كأنه أوتي مفاتيح جنة الخلد ويضحى أمته ووطنه أفلا يتفكر في عاقبة نفسه ولده، اذا لم يبال بعشيرته وبلده

هذه الكلمات هي وان كانت نكتات مصدور لم تتجاوز الواقع ولا تنس شكر كثير ممن يدعي العلم والفقه الذين لهم اليد البيضاء في التيسير بين طوائف المسلمين الذين يزينون لهم الاختلاف، والتعصب لمذاهب الاسلاف، اللهم انه عم البلاء واليك المشتكى فيا أمة الاسلام قد تجاوز الامر حده وبلغ السيل الزبي فهل من إفاقة؟ اليس التقليد اكتف حجاب دون ادراك كل حقيقة وهل هو الاعجز والعجز علة كل آفة والمائق عن العلم والعمل والمنازع لكل سعادة شخصية أو قومية وفيه نزل قوله تعالى «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله» انك اذا أغمضت النظر وطرحت تشكيكات المتوكلين جانباً وقصدت الانصاف ومحضت النصح لله ورسوله ولقومك واخوانك المسلمين فلا شك انك توافقي على ما ذكرت لك من آفات التقليد. أيها الواقف المنصف المشفق دونك والنظر الى أحوال تلك الفرق وما صنفوه من الاسفار والاطمار التي استحکم بها هجران النصوص حتى رمت بالامة الى العناد والضغائن والاحقاد؛ وطوحت بهيكل اتحادهم الى الزوال والفساد، صنفت حروفها بسواد الخطأ مع ما فيها من التعقيد والتناقض والاضطراب والخفاء ولو رأيت ما لهم من المختصرات المبهمة العبارات لا تكاد ترى فيها: قال الله قال رسوله (ص): بل ولا قول الامام الذي يزعمون انهم قلدوه أمر دينهم. اما تعجب من أصولهم المتضادة وآرائهم المتناقضة وطرقهم الوعرة الضنكة التي تخرج من أمها. غدوا وراحوا يقترحون على الامة، يحرمون ويوجبون بالحرص والظنون، لم يألوا جهداً في التشديد والتضييق قياساً واستنباطاً وكناية وقرينة ومفهوماً وخفى وإشارة وتأويلاً الى غير ذلك مع سلوكهم فيما ذكر طريقاً معوجاً عن طريق السلف

الصالح . اشتروا على القضاة في القضاء والسلاطين والامراء في السياسة شروطا يصعب التزامها ويستحيل العمل بها ولولا خوف الاطالة لذكرت من مخالفتهم الكتاب والسنة والعقول والفطر، والسياسة والنظر، ما يضحك الشكلى ويمنع من ذكره الحياء وبسبب هذا الغلو الذي نهى الله عنه واذم أقواما عليه في قوله «قل يا ايها الكتاب لا تغلوا في دينكم» الذي يسميه المقلدة احتياطا هجرت السلاطين الشريعة في أمر القضاء والسياسة يزعم ودعوى أن الشريعة شاقة وغير مطابقة لمصلحة الزمان وتركها عامة الامة ايضا في أكثر أحوالها وجميع معاملاتها بل أكثر المتفهمة متحيرون، تراهم في عدو الى الحيل يخبطون، ولا تظن أن هذا الترك قريب العهد فإنه لم ينقل لنا التاريخ أن طائفة من طوائف التقليد استطاعت إجراء شؤونها على جميع قواعد ومسائل المذهب الذي اعتنقته فتمذهبهم ليس هو تمذهب عمل واكتساب ثواب بل اعتقاد واقرار، ونزاع وجدال ، وتحاذل وافتراق ، وضياح ونفاق ، وبلاء وشقاق ، وكان نتيجة هذا التقليد ان شوهوا وجه الشريعة القراء حتى ظن من ضعف ادراكه وعدم إحساسه ان الشريعة ليست سوى ما بأيدي هؤلاء المقلدة، ولم يسمع قول الشاعر

وكل يدعي وصلا لليلى * وليلى لا تدين لهم بذاكا

ما درى هؤلاء السلاطين والعامة المساكين ان الشريعة وراء ما خدعوا به من آراء الرجال وانما هي الكتاب والسنة وما عليه الرعيل الاول والخلفاء الراشدون وهي السهلة السمحة والرحمة التي لا يزيغ عنها الا ظالم وهي في اعلار تب المصالح وما ذكره المقلدة من الاحراج والتضييق لا تأتي به لان الشريعة مبناه واساسها على الحكم ومصالح العباد ، في المعاش والمعاد ، وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها فما خرج الى ضد ذلك فليس منها

وبالجمل فليس اضر على الامة من هؤلاء المتفهمة المقلدة الذين هم قذو العيون وشجى الخلق وكره النفوس وحمى الارواح وغم الصدور ومرض القلوب ان استغنت بهم في لم شعث الامة لم يمينوك ، اودعوتهم الى الصاح والاصلاح لم يجيؤك . قد اتكست قلوبهم ، وعمي عليهم مظلومهم ، رضوا بالاماني وابتلوا بالخطوط ، وأتموا نفوسهم في غير ماضي ، وحيروا العامة واضاعوا الامة ،

وهل افسد الدين الا الملوك واجبار سوء ورهبانها

اللهم انا من هذين الطائفتين في عناء وشقاء وبلاء اللهم اصلحهم ووفقهم الى ما فيه صلاحهم وصلاح الامة ودلهم على التوبة والابوة الى الاخذ بالكتاب والسنة اللهم جنبنا واياهم البدع والضلالة والف بين قلوب المسلمين

وما ذكرناه هو التقليد المتأصل وما سواه فهو فرع عنه. ومن ذلك طوائف زادت الطين بلة بلية على بلية تلقبوا بالقاب واتسموا بسمات فمنهم القبوريون المحتالون على سلب الاموال افسدوا العامة بفتن القبور والاستغاثة بهم في كل ما قل وجل يوهمونهم انهم ينفعون ويضرون حتى في جلب الرزق ودفع الاعداء وقد كان تقليد المذاهب المار ذكره فرقهم طوائف وذرافات، وجلب عليهم الآفات، وسلب منهم صفة التعاون والتناصر وامات شعورهم عن المطالبات بحقوقهم. وقتلة القبوريين والمحتالين وتقليدهم اقدمهم عن اكتساب العلم والجد في رضى المولى وعبادته والاخلاص له واتكلموا على الاموات وشفاعتهم ولهم حكايات يطول شرحها وسعيت بمضهم يقول إن الولي الفلاني يرمي المدافع من قبره على الاعداء والعامة اذا سمعت مثل هذه الخرافات آمنوا بها ووطنوا أنفسهم على ذلك حتى في الدفاع عن حرمهم ووطنهم فما بالك يا أخى تظن أنه مع هذه الفواقر يبقى للامة الشعور والحياة القومية فان بقي لك أمل بعد ما عرفت ما هم فيه من جناية التقليد عليهم فكيف يحقق ويثبت هذا الرجاء وقد أتت الطائفة الثالثة أعني المتصوفة تدعو الى تقليدها واتباع سبيلها، تدعو الى الخمول والفقر والانطراح والاتكال على القدر مع رفض الأسباب واعتقاد وحدة الوجود بالاذواق والكشوفات التي لم يشموا رائحتها ولم ينصوروها لاجدها ولا برسمها ولكن يحكى ويروى أنها حصلت لاسلافهم ونحن لانذكر أموات المسلمين الانخير فإنهم قدموا على ما قدموا عليه وانما كلامنا في الاحياء بقصد اصلاح الامة وعسى ان الله يلقي في قلوبهم نورا ويصاح شأنهم

وبينا نحن نصيح بالويل والثبور، وتلمل تلمل الممرور، من مصائب تراكت علينا ونحن وراء حجب التقليد التي هي كظلمات في بحر لجي يشناه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض، نترجى وتعلل بلعل وعسى منتظرين بارقة لطف ونجاة تكون على أيدي شبابنا المتخرجين في المدارس الغربية والتعاليم الاوربية اذ عاد الينا اكثرهم بصفقة المغبون فأبوا الينا ونحن على ما ترى وتشاهد من

الضعف والخلال الروابط الاجتماعية والفقر المدقع احوج ما نكون الى العلوم الحديثة
الفريية النافعة ولم يبق فينا من الخلال القومية الا التمسك بلبقتنا واللباس السوري
الظاهري وبعض رسوم عادية فرجع اولادنا وشباننا من هناك وقد بدلوهما تقليداً
للغربيين ولم يستفيدوا غير هذا التبديل ولم يفيدوا قومهم الا انهم شرعوا يطالبونهم
بمحو هذا الشعار الظاهري وبعمده تحتجب الأمة وراء حجاب العدم بالكلية! يا ربنا
يا غياث المستغيثين! إنا مسنا الضر وانت ارحم الراحمين

ايها الشبان ان من ذهبتم اليهم ودخلتم مدارسهم يعدون شعار امهم الظاهري
انفس الاشياء واهمها يسترخضون في المحافظة عليه الانفس والاموال، فهم الرجال
والله هم الرجال، فهلا قلتموهم في هذا الشعور والغيرة وهلا شعرتهم وعرفتم ماعرفوه
وشعروا به من منافع هذا الشعار واسرارته!! اني وكلت التفصيل في هذا المقام الى عقولكم
آه آه واحرك كبداء من هذا العدو القاسي العشوم لقد افترسنا هذا التقليد في كل مكان
وزمان اعدمه الله ومحار رسومه. فيا أمة الاسلام هل من نهضة تنتصفون بها من هذا
العدو وتبيدونه فالتجاء التجاء مادام فينا رجاء

الى هنا ما اردته من بيان اسباب سقوط الامة الاسلامية وعلة تقهقرهم عن
مجاراة الامم المتقدمة في هذا الزمان والاخ رفيق غفل عن ذلك. وقوله ان العرب
خلطوا الدين بكل شيء من شئون الحياة الخ خلاف الواقع وانما اصابهم ما اصابهم بحديثهم
عن الدين واهلهم لتعاليمه خصوصاً ما يتعلق منه بالملك وحياة الامم واغرب من ذلك
تمنيه لو ان العرب سلكوا بالخلافة والملك مسلك من جاورهم في تلك الازمنة من
الامم المتقدمة بزعمه كالرومان وغيرهم وهذه ايضا غفلة منه حفظه الله. بيانه ان تلك
الامم لا توجد لديها قوانين سياسية كافية مهذبة متكفلة بكبح كل متعبد وردع كل
طاغ بمحكم المساواة بين الكبير والصغير، والمأمور والأمير، وطريقة ملك العرب
الاسلاميين مع احتلالها، ومخالفتها الدين في كثير من احكامها واعمالها، هي اقوم واعدل
مما كان بأيدي تلك الامم. يؤيد ذلك ما نقله الينا التاريخ من مهاجرة كثير من تلك
الطوائف ورغبة الآخرين ورضاهم عن ملوك العرب اكثر من رضاهم عن ملوك
بلادهم. غاية ما ينقل عن اولئك الاقوام والامم الغابرة انه كان بعد كل فترة من الزمان يقوم

بين أظهرهم بعض حكام بوالون الخطب والمواظب ويهيجونهم الى الحماسة الدفاعية والهجومية ومن وراء ذلك تفرقهم الى ايلات وامارات صغيرة اكثرها غير معترف بسيادة او تابعة لملك تلك الامة وبعض يعترف له ببعض السيادة والتابعة مع عدم الانتظام وكال العدل بل كان استبداد السلاطين والامراء هو السائد وليس لأممهم ورعاياهم الاتسليم وعليهم الطاعة العمياء حتى ان الواحد من تلك السلاطين كان يلقي بامته الى التلف والحروب لينال بعض شهواته الحيوانية من امرأة كحرب كسرى وحشده جنده على بني شيان. وأسوأ حالا منهم ملوك النصارى وتلاعب البابوات والاحبار والربان بهم أشهر من ان يذكر فما بالك بالهند وملوكهم الاوثار او النائب عنه وتقسيمهم الى تلك الطبقات المشهورة لديهم. اما ملوك الصين فهم في معتقدهم ابنا السماء هذه هي الامم المعروفة بالملك في الزمان القديم وانما يسميهم بعض الناس مهذبين لما لهم من الاجتماع على ملك بالنسبة الى ايام الجاهلية اما بالنسبة الى ملوك الاسلام فلا. برهانه ان تلك الامم لم تثبت امام المسلمين في كل شئون الحياة وذلك ببركة بعض القواعد الدينية التي عملوا بها حيناً وتركوها حيناً. اما سياسة اوربا الحديثة الاجتماعية الملكية فاكثرها مأخوذة من دين الاسلام وموافقة له ولذلك كانت نسبة نظام من تقدم ذكره بالنسبة الى النظام الحديث اشبه بنسبة التوحش الى التمدن

وكأنني بمكابرو وحسود لدود او من عذره الجاهل يستبعد اقتباس النصارى هذه المعارف عن دين الاسلام واقول يا هذا ان سابقة النصارى في الملك وعراقبتهم فيه قبل الاسلام حتى الآن امر مسلم والتاريخ شاهد بأنه ملك عضوض مشوه بالاستبداد ومكدر بالفتن والاختلاف ومختل بالجهل والظلم ولم يكن لديهم شيء مما يبيدهم الآن وانظر كيف حصل لهم ما هم فيه وما سببه ومتى كان بدئه فلقد ثبت وتقرر لدى كل ذي لب بالبدية ومن اقوال كبار النصارى انهم لم يحصل لهم هذه المعارف والتقدم في السياسة الا بعد الحروب الصليبية ومخالطتهم المسلمين واخذ افراد منهم العلوم عن علماء الاسلام وحكامه وحينئذ ترجوا القرآن وكثيرا من الكتب العربية وغيرها وهذبوا وقاموا يعلمون اقوامهم وصبروا على المحن والتكال والشدائد والاهوال، محبة لاطنائهم وبني جلدتهم واهل ملتهم وبذلك نالوا امرادهم وبلغوا ما بلغوا حتى الآن

تري كثيرا من فلاسفتهم وحكائهم الممتازين بالعقل ومعرفة التاريخ لا يزالون يحبون العرب ويعترفون لهم بمئة عليهم مع اختلاف الدين وبالعكس ذلك بعض طوائف الاسلام ليس للعربي لديهم قيمة. وقد يقال اذا كان دين الاسلام قد اتى باكمل التعاليم السياسية والاجتماعية وان السلاطين المسلمين تركوها لعدم مناسبتها لطبائعهم الشهوانية فما بال الخلفاء الراشدين لم يجمعوها ويرتبوها ويفرعوها عليها وهل عملوا بها ام لا؟ ويقال في الجواب ان مثل هذا الاعتراض يمكن ان يقال في اشياء كثيرة والجواب عن بعضها هو الجواب بعينه عن باقيها كان يقال ايضا ولم يجمعوا احاديث النبي صلعم ولم يشرحوها ولم يفسروا القرآن ولم لم يرتبوا اصول الفقه الى غير ذلك مما اعتنى بجمعه وتدوينه المتأخرون وذكر الجواب عن ذلك العلماء في شروح الحديث عند ذكر البدع وجوابهم هناك هو جوابنا عن هذا الاعتراض ولنا اجوبة اخرى ايس هذا محل ذكرها اما الشق الثاني وهو ان الخلفاء هل عملوا ام لا فيقال لعمري الله عملوا وأرشدوا فجازاهم عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء وسيأتي لنا نقل بعض سيرتهم (لها بقية)

بَابُ التَّوْبَةِ لِتَعْلِيمِ

شذرات من يومية الدكتور أراسم (*)

في التربية بسفر البحر

يوم ١٤ مارس سنة ١٨٦٠

اضطرتنا الريح الى ان نجتاز خليج بسكاي (١) وقد اكدي الربان انه وامثاله يحامون ما استطاعوا التورط في هذا المجاز الذي يهاب اسمه الملاحون انفسهم وهو على شدة تلاطم الامواج فيه لم يعق السفينة عن المسير وربما حدا بي ذلك الى اعتقاد

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب اميل القرن التاسع عشر.

(١) خليج بسكاي ويسمى ايضا خليج قسقوني هو خليج في المحيط الاطلسي واقع غربي فرنسا وشمالى اسبانيا

ان من البحار ما هو كعوض الناس في كونها امثل مما اشتهرت به

منذ بضعة ايام أتى لي فراغ من عملي فشغلته بدرس سفيتنا فاذا هي دنيا صغيرة تطفو على الماء جعلتها جميع العلوم والصنائع ميقاتا لاجتماعها . ترى الملاح فيها يلجئه عوزه الى استئناف التمدن كل يوم فكأنه روينسن (٢) في جزيرته يخترع معظم الفنون النافعة ليستفيد منها. ذلك انه لخلوه من الصاحبة يتولى بنفسه غسل ثيابه وفرشه واصلاحها وتلك نظافة حجرته دلالة كافية على ما سيكون عليه يده الخلوي في مستقبله فقد أوتي هذا الليث البحري من غرائز العناية بالبيت ما أوتيته الخلة

من مزاي السقينة ايضا انها تؤدي الى كل من ترتاح نفسه للعمل من ركابها عملا يشغله فقد عاود قويدون الاشتغال بالطهارة التي سبق له ان شرف باجادتها في أسفار سالفه وجعلت زوجته قهرمانة (٣) واختصت هيلانه بمساعدتي في التريض والعزف على البيانو تسرية للسامة عن المسافرين وتقوية لقلوبهم وقلوب الملاحين أنفسهم الذين يجتمعون كل ليلة على السطاح لاستماعه

جاز هامل « الترينات الاولى وصارت قدمه قدم بحار وأنشأ تسليق سلام الحبال التي على جانبي السفينة وهو يؤدي الاعمال التي يعلمه الملاحون تأديتها بما يكفي من الخلق المنتظر من غرته مثله . ومعيشة المتعلمين البحريين أمثاله في سفينة تجارية على ما فيها من النصب والعناء معيشة صحية فان تعرضه لنسيم البحر يشهي اليه الطعام حتى انه ليكاد يلتم حوتا من الحيتان المسماة بالكلاب البحرية لوقدم اليه ولله خفته ونضارته في قبضه الازرق ذي الطوق المتكسر الذي يبين نحره . جاني غدوة اليوم أثر عمل شاق بالنسبة لطفل مثله وألقى برأسه بين ركبتني وهي يتصب عرقا فاحببت ان أشجعه لأن أطريه لأن الاطراء هو سم النفوس يفرط فيه الآباء لانبائهم بما يبعثهم عليه من الرحمة العمياء فهم بذلك يعودونهم على ارضاء غيرهم وكان حقاعليهم في رأيي ان يعلموهم ارضاء وجدانهم . من أجل هذا اقتصرت على ضم ولدي الى صديري وتقبيله غير اني أحسست حينئذ بالعبرة في عيني وهو على كل حال قد اعتبر هذه الملاحظة

(٢) يومي الى روينسن كروز وصاحب القصة المشهورة الذي كان في سفينة مفقرة يخترع كل ما يحتاج اليه من أمر المعيشة (٣) القهرمانة الوكيله

في مدحاله لانه انصرف من عندي للمضي على عمله مملوء القلب بالفرح ولا اخلا
أحدا ينكر استحقاقه لهذا المدح أي لتلك الملاحظة
ليس في السفينة أحد الا وهو يهتم بان يكون نافعا من جهته حتى «لولا» فقد
فاجأتها بالامس ويدها كتاب كانت تطلع عليه طفلة في الخامسة من عمرها اتخذتها
صديقة وتعلمها فيه الهجاء اه

يوم ١٩ مارس سنة ١٨٦٠

نحن الان نجاء جزيرة ماديرا تجري بنا السفينة بريح طيبة كانت من بداية سفرنا
تهب من الشمال الشرقي وقد أهدت بنا في هذا المكان قطمان عديدة من الخنازير
البحرية وأنشأت تـمرح في الماء وتلهو بالزبد المتخلف على غوارب الامواج من
انشقاقها بحيزوم السفينة في مسيرها فبادر جميع الركاب الى السطاح لمشاهدتها وكان من
«لولا» عند ما رأتها ان قالت: ويكأن هذه الحيوانات مقبضة بمعيشتها وكأنها لم تصب
بمرض البحر في حياتها

استعد ضباط السفينة لصيدها فوقف أحدهم عند الساري المقدم ورمى خطافا كان
معه على واحد منها ظن ان أصابته أيسر وحينئذ جر الملاحون الجبل المعلق به الخفاف
وهم في هذه الحالة يجب ان يكونوا خفاف الايدي أشداء السواعد ولا يوجد الخنزير
المصاب وسيلة للرجوع الى الماء والانقلات من أيديهم وقد نجحوا في الرمية الثانية
فاستظادوا أحدها ومما شاهدته فيه ان كبده يشبه كبدة الخنزير البري ولحمه أقل جودة
من لحم الثور على انه يحضره في الدهن ان لم يكن بطعمه فبلونه لانه أحمر ضارب الى
السواد ويستخرج من لحمه زيت جيد للاستصباح يستعمل في السفينة اه

يوم ٢٢ مارس سنة ١٨٦٠

نحن الان مارون امام الجزائر الخالدات وان كنا لم نرها وهي مرسمة على سطح
الماء المتسع الا كرؤيا الحالم وقد اضطرتنا الرياح المتعارضة الى التوغل في المحيط
اتنا منذ سفرنا نشعر بارتفاع الحرارة ارتفاعا عظيما غير ان هذا اليوم هو أخص
يوم أحسنا فيه بدخولنا اقليما غير اقليمنا حتى ان «لولا» نفسها على ما بها من شدة
التأثر بالبرد خلعت ثياب الشتاء وارتدت ثوبا وريدا

كان غروب الشمس بالامس من أجل المناظر وأبهاها وكان الليل نخبيا والقبه السابوة المظلمة تزهو بلألاء النجوم التي هي كالرمل عدا ومالي وذكر أسبائها فلا فائدة في ذلك ويكفي ان أسميها بالنور وما ميزناه منها الزهرة التي مع كفها عن دعوى الالوهية واقتناعها بان تكون في مصف الكواكب لم يضل عنها ميلها الى التفنيج الأسوي فلا تزال تحب ان ترى نفسها في مرآة البحر

في نحو الساعة الرابعة أو الخامسة من الغداة انشق النطاق الاسود الذي كان مشدودا حول الافق يلام السماء بالماء رويدا رويدا ثم بدامن بين حافتيه ضوء مخضر بحاكي ماء البحر في لونه فانتشر على الامواج وهو ضوء الفجر وساعة طلوع الفجر في العروض التي نحن فيها الآن من الساعات المشهورة على قصرها وقصر مدة الشفق أيضا فإنه يحيل للرائي فيها ان العالم بأسره مضاء بالكهرباء وربما كان قصر مدة الشفقين سببا في ذلك

مما حملناه معنا في السفينة ديك صغير وضعناه مع دواجن اخرى في أحد أقفاصها اسمعنا صياح التنبيه والايقاظ ثلاث مرات فكان لصوته الشبيه بصوت البوق في نفوسنا تأثير محزن قابض بسبب احوال الغربة التي نحن فيها وكان يسري الى القلوب بلا عائق لانه كان يذكر المسافرين باوربا هم القديمة وأراضيها ومعيشة المزارع وما يعالجه المزارعون من الاعمال الشاقة ثم تابع انحاء الكواكب من السماء فأخذت تنطوي في أعاليها وتصلبغ باللون الأزدرختي

ثم اشرقت الشمس فاذا الامواج أنقسطها وقد ملكها الاجلال وتولاها الاعظام بخيل أنها خشعت لهذا الينبوع الذي هو مصدر الضياء والحياة وصارت السماء كلها جنوة نار وترقرقت سبجات من النور الذهبي على صدر المحيط الذي برزت منه الارض بالتدرج تلالاً بهاء ونضرة

لم يقع بصري على «أميل» و«لولا» معا الا في هذه الساعة وحدها من النهار رأيتهما جاثين جنبية عبادة واستغراق في المشاهدة فليت شعري هل اقترب كلاهما في تلك الساعة من ادراك معنى الالوهية بمراقبة جمال الكون وبهائه ؟ اه

أشار على البرية

التقريظ

أرسل الينا التقريظ الآتي للمنار، أحد علماء الشيعة في بعض الاقطار، فنشرناه اعترافاً
بفضله، وشكراً له على حسن ظنه، قال حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

عريضي بحمد الله، والصلوة على مصطفىاه، وعلى آله وصحبه الذين اهتدوا بهداه،
هي اني صوبت الانظار في مباني المنار، وان يكن يعشي الابصار، فخدمته بما قدمت
والمأمول القبول، اذ لم يكلف الانسان، بما فوق الامكان،

قل للاولى عميت جهلا بصائرهم	ولم يروا في سما العرفان اقارا
بحرمة الله هبوا من سباتكم	هذا المنار على الدنيا لقد نارا
لم يبق مافيه من عذر لمشتبه	ولم يدع في ديار الجهل ديارا
ان ينتصر لقويم الدين منشئه	فالله قبض للاديان انصارا
كم اطلعت مصر في اوج العلي قرا	وكم تحدث وايم الله اقطارا
من قبل موسى عصاه طالما التفتت	إفكا وكم ابرزت للناس اسرارا
يراعه كمعي موسى ومقوله	قد صاغه مبدع الاكوان بتارا
هذا الرشيد بمصر طالما التفتت	اقلامه من يد الايام سجارا

فله ابو من رجل اداخ البلقاء، وأخاف العرفاء، وأجال مشاقص اقواله في
المشارق والمغارب، وقتل ولله دره في الذروة والغارب، فقاد الشرود والشاسة، واشتمل
السياسة، وكان كالحيلة، يطلع كل جملة، وكل مندل الرطب، والمنهل العذب، ياتيه التاهل،
ويروده القاحل، ألقت اليه المعارف افلاذ كدها، وبرزت له مخباها، وشقت له معاه،
وامطرته بما أسال الشعاب، وسقى الوطاب، وتدفع في الاودية، وملاً حياض الاندية،
نخاض الغمر، ومشى على الضحضاح، وعب حتى امتلاً، لا استطاع احواله، ولا
يتحل مقاله،

(اذا ما قال قافية شرودا * تحلها ابن حمراء العجنان)

فقل لمن جاره، أو ساجل علاه، ابتعد عنها، لقد حن قدح ليس منها، ولا تكون

امته براعية ثلة

ليس هو الساعي في تكوين الامة من طريق التربية، والتعليم النافع حيث لا نعمة، ألم يضرب بعصا صفاة العرفان، في هذا الزمان، كما ضرب ابن عمران الحجر يوم كان، فانجست منه تلك العيون، ولها شئون، ومن حجر الكليم مشارب، ولها مسارب، ولكل اعجاز، جهة امتياز،

الم يزد على باقي الهرم في القدم اقام للتذكار صخورا واحجارا وهي اشباح بلا ارواح، وباقي المنار اطلع الصباح وصاح حي على الفلاح ، وأثبت البناء، على ما شاء، واعمل المعيار ، ومد المظمار، واحكم القوالب والصور، وافاض عليهما من الارواح مابه حيوة البشر، فهو اذن قلب العرفان يغذوه الحيوه، ولولاه لمات، وينبوع غريزته بلا اشتباه، وكبده القائم بغذاه، ولذلك سرت ارواح مناره في عالم الانسان ، وستسري مدى الزمان ، واستقام ما بناء، واعتدل ما سواه، ولكم اتاح الله من علماء، للقلوب اطباء، والفخر لمصر على الامصار، بما اختصها الله على الافطار، من الابدال وعرفاء الرجال كباني المنار، اطال الله ايام مجده، وشد عري الدين بهديه ورشده. وبلغه المآرب، يوم العرض على الواجب، جلت قدرته، وعلت كلمته
الداعي خادم العلم والعلماء
مهدي بن علي المشتهر بشمس الدين
٢٠ ربيع الآخر سنة ١٣٢٢

(رفع اللبس والشبهات . عن ثبوت الشرف من قبل الامهات)

اسم هذا الكتاب يدل على موضوعه وهو لمؤلفه السيد عابدين أحمد بن سوده أحد الفقهاء والمحدثين في فاس وخطيب الحرم الادريسي هناك وقد طبع الكتاب على نفقته في مصر وتفضل حفظه الله باهدائنا نسخة منه منذ أشهر ولم نوفق لمطالعة لكثرة الشواغل مع رغبتنا في الاطلاع على أثر رجل فاضل يحبنا ونحبه في الغيب ولذلك رأينا ان نعلن شكره ونكتفي بتبنيه الباحثين في الانساب الى مؤلفه وصفحات الكتاب ١٤٤ صفحة

﴿ كتاب الاملاء ﴾

كتاب جديد في فن الرسم اي رسم الحروف والكلم المفرد الذي يسمونه فن الاملاء وهو فرع من فن الصرف كما ان الصرف فرع من النحو ولكنه فرع لم يستقل في موضوعه ومسائله دون آييه كما استقل ابوه دون جده. وقد كان علماء اللغة يعنون بالرسم حتى لا يتقون بعلم من يخطئ فيه ومن المأثور عنهم في ذلك أن احدهم رحل للتلقي عن عالم اشتهر فضله فلما باغ بلده رأى قبل ان يلقاه صحيفة بخطه فقرأها فاذا فيها لفظ (بايع) مرسومة هكذا بالياء فقال ان هذا لا يوثق بعلمه وعاد أدراجة اسفا ان ضيع زمنه في الرحلة اليه. وقد انتهينا الى زمان نرى فيه كتابة المنقطعين لدراسة العلوم العربية في مثل الازهر ملاءى بالغلط في الرسم كغيره ولا تستثن من كبار مدرسيهم الا نفر لا يعدون جمع القلة. وللمدارس النظامية عناية بفن الرسم لم يكن لها نظير في الازهر وما على شاكلته وهم يعلمونه بطريق الاملاء بملي الاستاذ على التلامذة جملا من الكلام ثم يصحح لهم ما يكتبون مع البيان. وقد نظر الاستاذ الامام بعين الاهتمام الى هذا النقص في الازهر فاقترح في مجلس ادارته ان يعهد الى الشيخ حسين والي احد العلماء المدرسين فيه بان يدرس الاملاء على طريقة المدارس النظامية وكان ذلك ولما شرع هذا في التدريس توجهت عزيمته الى وضع كتاب مطول في فن الرسم يكون غاية الغاي في موضوعه ففعل وهذا هو (كتاب الاملاء)

الشيخ حسين والي تعلم في مدارس الحكومة قبل المجاورة في الازهر فهو عالم بأساليب التعليم والتأليف الجديدة وقد اشتغل في الازهر بفنون الادب بعناية لا تعرف من مجاوري هذا العهد فهو واسع الاطلاع في اللغة وأدبياتها لذلك جاء كتابه هذا احسن كتاب وضع في هذا الفن اسلوبا واوسعه مادة

بداه بمقدمة في تاريخ الخط والكتابة عند الامم تكلم فيها على ابي جاد والحروف المفردة وصفاتها والحركات والرقم والخط واقسامه الثلاثة وفيها فوائد كثيرة وبلي المقدمة (الباب الاول في الحروف التي تبدل) وقد افاض فيه القول في مباحث الهمنة والالف وفيه قصيدة ابن مالك في الافعال التي وردت بالواو والياء وايات اخرى فيما زيد عليه من ذلك، وارجوزة في الافعال الواردة بالواو اطرادا وغالبا واخرى في

الأفعال الواردة بالياء اطرادا وغالبا. ويليه (الباب الثاني في الحروف التي تزداد) يقفوه (الباب الثالث في الحروف التي تنقص) وفيه الكلام على رموز الكتب العلمية ورموز القراء والمحدثين وكتبة الدواوين والكلام في التاريخ. وبعده (الباب الرابع في الكلمات الواجب فصلها والكلمات الواجب وصلها) وهو واسع وفيه الكلام على الشكل العام والخاص والقطعة والمدة والعلامات التي هي في معنى الشكل كعلامة الاشمام والروم فانت ترى ان احوج الناس الى هذا الكتاب الاساتذة والكتاب وهو مما ينبغي ان يقتنيه كل اديب بل كل متعلم. وقد طبع في مطبعة المنار على ورق جيد جدا بكيفية من الاتقان وتسهيل المطالعة لم تر مثلها في كتاب آخر وبلغت صفحاته ٢٥٦ صفحة وثمان النسخة منه عشرة قروش صحيحة وهو يطلب من مطبعة المنار بشارع درب الجمازير بمصر

﴿ الهدية السعيدية . في الحكمة الطبيعية ﴾

ولع المسلمون بالفلسفة في أيام مدينتهم ولوعا عظيما ومن جوها بعلم العقائد الدينية حتى صار فهم كتب الكلام متوقفا على الوقوف على تلك الفلسفة خصوصا الكتب الكبيرة الشهيرة التي يعدونها حصون العقائد الإسلامية كالمواقف والمقاصد بل الفلسفة أكثر ما في هذه الكتب ومباحث العقائد أقل ما فيها ولكن هذا الأقل هو المقصود بالذات ولقد ضعف علم الكلام وضعفت معه الفلسفة والمنطق في جميع البلاد الإسلامية تبعا لتدلي العمران والحضارة حتى كادت تدرس هذه العلوم في مصر لولا أن وفد السيد جمال الدين الأفغاني رحمه الله تعالى على هذه البلاد فنفخ فيها روحا علميا جديدا ومازال علماء الاعاجم لاسيا الهنديون منهم يدارسونها ويطبعون كتبها القديمة ويؤلفون فيها كتباً جديدة فهي حية عندهم وهم فيها أمثل من المصريين الا من شذ من هؤلاء فلم يكتب بالفلسفة القديمة بل أضاف اليها الجديدة الأوروبية فآخذها بلسان أهلها كالاستاذ الامام . واثنا رى في هذا العهد الاخير أذكيا المجاورين في الازهر يكسرون مقاطر التقليد لاشيوخهم المتأخرين ويوجهون أفكارهم الى تناول كثير من العلوم والفنون القديمة والحديثة التي أهملها أكثر شيوخ الازهر حتى كادت تمحى منه. وقد اتدب بعض محبي الفلسفة منهم وهو الشيخ عبد الرحمن البرقوقي الى طبع كتاب في الفلسفة القديمة

والسبي في حمل أحد الشيوخ على تدريسه في الأزهر فاختار كتاب (الهدية السعيدية)
الذي ألفه في هذا العصر (ملا محمد فضل الحق) من علماء خير آباد في الهند (المتوفى سنة
١٢٧٨) وأهداه إلى أمير بلاده محمد سعيد خان بهادر ونسبه إليه . ويقول الشيخ
عبد الرحمن انه رأى هذا الكتاب خير كتاب في الفلسفة القديمة وضعا وسهولة .
وقد طبع الكتاب في مطبعة المنار على ورق جيد كدلائل الاعجاز مع تمة لولد المؤلف
فكانت صفحاته زهاء مئتين وثمانين صفحة وقد جعل ثمنه مع ذلك ثمانية قروش
صحيحة وهو يطلب من مكتبة المنار ومن المكتبات الشهيرة في مصر فتحث محبي الفلسفة
والراغبين في دراسة الكتب الكبيرة في الكلام على مطالعته

المنتخبات العربية

أقرب الطرق إلى تحصيل ملكة الكتابة في المنثور والمنظوم كثرة مطالعة كلام
البغايا وأشعارهم ولو أن طالب البلاغة حفظ بعد قراءة النحو والصرف مختصر
السعد ومطوله وحواشيهما ولم يزاول كلام البغايا لما ازداد الابتعاد عن البلاغة كما بين
ذلك الحكم العربي ابن خلدون رحمه الله تعالى . وبما يدلنا على ان النهضة العربية
الحديثة ستكون منتجة أحسن نتاج تصدي المشتغلين لإحياء آثار البغايا وإقبال الناس
على هذه الآثار وتفضيلها على سواها والاعتماد عليها في تحصيل ملكة البلاغة سواء
كانت كتباً فنية كآسرار البلاغة ودلائل الاعجاز أو كتباً تمرين ككتب الادب الشهيرة
ولكن أكثر المشتغلين بطلب الادب تقصر همهم عن مطالعة الكتب الكبيرة المفيدة
للبلاغة كالآغاني والبيان والتبيين والكمال والعقد الفريد . وقد فطن الناس لذلك
فأنشأوا يختارون من هذه الكتب وما يشابهها الفصول والنبد المختصرة من المنثور
والمقاطيع من الشعر ويراعون فيها السهولة والاختصار وقد سبق اليسوعيون إلى هذا العمل
فراجت مختاراتهم العربية على ما فيها من الدسائس الدينية والتحرير المعنوي واللفظي
وقد عني محمد أفندي حسن محمود وأمين أفندي عمر الباجوري الكاتبان في
نظارة المعارف باختيار نبد من كلام المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين ومقاطيع من
أشعارهم فكان لهما من ذلك كتاب سمي (المنتخبات العربية) وطبعاه طبعاً جميلاً
يناسب ما فيه من حسن الاختيار فتحث محبي الادب عامة وطلاب العلم خاصة على
مطالعة وثمان النسخة منه سبعة قروش صحيحة وصفحاته ٢٥٦

الامتيازات الاجنبية

يعرف الخاصة والعامة أن للاجانب امتيازات في البلاد العثمانية ليس لهم مثلها في غيرها من الممالك وأن هذه الامتيازات من أركان الجور والظلم واختلال النظام واضطراب القضاء وأن اسمعيل باشا خديوي مصر قد زاد للاجانب في هذه الامتيازات فأعطاهم منها ما ليس لهم في البلاد العثمانية نزلاً اليهم وطمعاً في مساعدتهم له على ما كان يكبده في سياسته مع الدولة حتى صار أحقر يوناني في مصر اعز من أمرائها وعلمائها وكبرائها. وقد بحث الاوربيون في أصل هذه الامتيازات وجاءوا فيها بالذم والرجم ولم نر أحداً من الملسوعين بمحمته في مصر من كتب فيها شيئاً حتى أنحفنا اليوم عمر بك لطفى وكيل مدرسة الحقوق في مصر بكتاب خاص فيها فذ فيه مزاعم الزاعمين في بيان سببها وقال « والحقيقة ان الامتيازات مصدرها الشريعة الاسلامية التي تسمح لغير المسلمين ان يرفعوا منازعاتهم لجهة ملتهم ولا تلزمهم بقبول حكومة القاضي الشرعي الا برضاهم عملاً بقوله تعالى : « فان جأوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم » ثم استدل بتفويض الدولة العثمانية أمر الذميين الى أنفسهم قبل ارتباطها بالمعاهدات الاوربية ثم بسماع السلطان سليمان بهذه المنحة للاجانب وانشأ بعد ذلك يسرد

المعاهدات بين الدولة العثمانية والدول الاجنبية

وقد أحسن المؤلف في رد أوهام الافرنج في سبب الامتيازات وأشدها ضعفا وأظهرها سخفا زعم بعضهم ان الدولة الاسلامية تأبى معاملة غسير المسلمين بأحكام شريعتها لانها مقدسة لا تسري على غير المؤمنين ، وقول بعضهم ان القرآن هو قانون ديني وسياسي ولما كان منزلاً تعين ان تكون المدينة الاسلامية غير قابلة للترقي والشريعة غير قابلة لتقرير الحقوق والتسليم بمعتقدات الذين لا يؤمنون بالدين الاسلامي فكان من الواجب إيجاد طريقة تمكن المسلمين من الاختلاط بالاجانب!! وهذا قول جهول بالدين الاسلامي والقرآن والتاريخ ولم يفهم من مثله أو أشد منه يسمون فلاسفة حكماء وقد نقل المؤلف الاستدلال بالآية على ما ذكره من سبب الامتيازات عن رسالة للشيخ محمد بن حنيت ونقول أولان الآية قد نزلت في واقعة معينة ونزل بعدها في تلك السورة (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) فذهب أكثر علماء السلف الى أن هذه

نسخة للتخيير في تلك وعليه الشافعية في أصح الاقوال والحنابلة وبعضهم أنها قصرت الآية الاولى على ذلك الحكم الخاص الذي خير الله نبيه فيه أي فهي مخصصة لانسحة أو ان الاولى مخصصة فيمن لم يعقد له ذمة والثانية في أهل الذمة . وأما مذهب الحنفية الذي عليه الدولة العثمانية فهو أن أهل الذمة محمولون على أحكام الاسلام في جميع العقود وفي الموارث ويستثنى من البيوع بيع الخمر والخنزير فانهم يقررون عليه فيما بينهم في تفصيل معروف في الفقه . والاجاب ليسوا ذميين وانما هم حريون أو معاهدون ولا تجوز معاهدتهم على شيء يخالف أحكام الشريعة ومصلحة المسلمين ثم انهم اذا عقدوا معنا عهدا فيجب أن نستقيم لهم ما استقاموا لنا فان نكثوا شيئا من العهد فقد بطل عهدهم والامتيازات الحاضرة جلها او كلها باطلة شرعا فيما يظهر لنا وهي قائمة على أصابن ضعفنا وجهل حكامنا وقوتهم وأثرهم

هذا وان في الكتاب فوائد كثيرة كنصوص المعاهدات وإنشاء المحاكم المختلطة في مصر ومكاتها وكون كثير من الامتيازات ليس لها أصل في المعاهدات وبيان المفاسد والمشكلات في التحاكم الى المحاكم القنصلية ، وناهيك بدقة المؤلف وطول بابه في علم الحقوق والقوانين . والكتاب مطبوع طبعا متقنا على ورق جيد وصفحاته ٦٨ ومجلد بنسج أحمر جميل ويطلب من مكتبة الشعب بمصر

﴿ الفلاكة والمفلوكين ﴾

الفلاكة البؤس أو التعس والمفلوكون البائسون العاثرو الجدد . والكتاب لاحد بن علي الدلجبي من أهل العلم والادب ولا نعرف له تاريخا الا إن كتابه هذا يدل على علم وأدب وحسن اختيار يعرف ذلك من مثل الفصل الذي عقده لمسألة خلق الأفعال وبيان انه لا حاجة للمفلوك في التعاقب بالقضاء والقدر والفصل الذي عقده لبيان أن التوكل لا ينافي التعاقب بالاسباب والزهد لا ينافي كون المال في اليدين وما أحسن الفصل الذي بين فيه الآفات التي تنشأ من الفلاكة أو تستلزمها الفلاكة وتقتضيها ومنها الكيمياء الباطية والنجوم والمطالب ، ثم ان أكثر الكتاب في تراجم العلماء والادباء المفلوكين وفيه عبر وأدب وفكاهة . وجملة القول ان الكتاب من الكتب المفيدة الفكرة التي تلذ قراءتها وقد طبع في مطبعة الشعب وصفحاته ١٤٥ وهو يطلب من مكتبة الشعب

بقية الحكمة من بناء ومن بركات الحكمة تقديراً وتوفيراً كثيراً وما يذكر إلا أوّل الألباب

المسحاة

فيشر عبادي الذين يستمعون القول فيتمنون أحسنه أو تلك الذين هدامهم الله وأولئك هم أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق)

(مصر — الاثنين غرة شعبان سنة ١٣٢٢ — ١٠ أكتوبر (ت) سنة ١٩٠٤)

القسم الديني

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ - الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ
وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى . فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْهُ بِالْمَعْرُوفِ
وَأَدِّهِ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ، ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ، فَمَنْ أَعْتَدَى بِعَدَا
ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ
لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ *

ذكر المفسر وغيره ان القصاص على القتل كان محتماً عند الله ودواً للدية
كانت محتمة عند النصارى وان القرآن جاء وسطاً يفرض القصاص اذا اصر

عليه أولياء المقتول ويحيز الدية اذا عفوا وقد أفرم الاستاذ الامام على قولهم ان القتل قصاصا كان حتما عند اليهود كما في الفصل التاسع عشر من سفر الخروج والعشرين من التثنية. وأنكر عليهم قولهم ان الدية كانت حتما عند النصارى فانه ليس في كتبهم شيء يحتم عليهم ذلك إلا ان يقال ان ذلك مأخوذ من وصايا التساهل في الانجيل ولكن يعارض ذلك قول عيسى عليه السلام في هذه الانجيل « ما جئت لأنقض الناموس وانما جئت لأتمم » وهذا من الرواية الصحيحة عنه لانه مؤيد بقوله تعالى حكاية عنه « ومصدقا لما بين يدي من التوراة »

واذا نظرنا في معاملة الأولين والآخرين وشرائعهم في القتل نجد القرآن وسطا حقيقيا لا بين ما نقل عن اليهود والنصارى فقط بل بين مجموع آراء البشر من أهل الشرائع السماوية والقوانين الوضعية فقد كانت العرب تتحكم في ذلك على قدر قوة القبائل وضمفها فرب حر كان يقتل من قبيلة فلا ترضى قبيلته بأخذ القاتل به بل تطلب به رئيسها وأحيانا كانوا يطلبون بالواحد عشرة وبالاثنى ذكرا وبالعبد حراً فان أجبيوا والافاتلوا قبيلة القاتل وسفكوا دماء كثيرة وهذا افراط وظلم عظيم تقتضيه طبيعة البداوة الخشنة وفرض التوراة قتل القاتل إصلاح في هذا الظلم ولكن يوجد في الناس لاسيما أهل القوانين في زماننا هذا من ينكر المعاقبة بالقتل ويقولون انه من القسوة وحب الانتقام في البشر ويرون ان الجرم الذي يسفك الدم يجب ان تكون عقوبته تربية لا انتقاما وذلك يكون بما دون القتل ويشددون النكير على من يحكم بالقتل اذا لم تثبت الجريمة على القاتل بالاقرار بأن ثبتت بالقرائن أو بشهادة شهود يجوز عليهم الكذب

ويرون ان الحكومة اذا علمت الناس التراحم في العقوبات فذلك أحسن تربية لهم . واذا دققنا النظر في أقوال هؤلاء نرى أنهم يريدون ان يشرعوا أحكاما موقفة لقوم تعلموا وتربوا على الطرق الحديثة وأخذوا بالنظام والحكم حتى لا سبيل لاولياء المقتول ان يثأروا له من القاتل ويسفكوا لاجله دماء بريئة وحتى يؤمن من استمرار المداوة والبغضاء بين بيوت القاتلين وبيوت المقتولين . ومع هذا نرى كثيرا من الناس حتى المنتسبين الى الاسلام يفترون بآرائهم ويرونها شبهة على الاسلام (١) واما النافذ البصيرة العارف بمصالح الامم الذي يزن الامور العامة بميزان المصلحة العامة لا بميزان الوجدان الشخصي الخاص بنفسه أو ببلده فانه يرى ان القصاص بالعدل والمساواة هو الاصل الذي يربي الامم والشعوب وان تركه بالمرة يفري الاشقياء بالجراحة على سفك الدماء وأن الخوف من الحبس والاشغال الشاقة اذا أمكن ان يكون مانعا من الاقدام على الانتقام بالقتل في البلاد التي غلب على أهلها التراحم والترف والانغماس في النعيم كعض بلاد أوربا فانه لا يكون كذلك في كل البلاد وكل الشعوب بل ان من الناس في هذه البلاد وفي غيرها من يجب اليه الجرائم أو يسلمها عليه كون عقوبتها السجن الذي يراه

(١) نشر في عدد ١٤٩٩ من جريدة اللواء الصادر في ١٥ ج ٢ سنة ١٣٢٢ مقالة من مقالات في الانتصار لجندي قتل ضابطه عمدا جاء في أولها أن الانسان اذا أطلق نظره وفكره الغنان في مسألة القتل وشخصها تشخيصا حقيقيا فانه ينادي بوجوب ابطاله من بين الامم والشعوب رحمة بالانسان وخدمة للانسانية (قال): وقتل القاتل أقطع وابشع من قتل المقتول : ثم قال: الانسان يستهجن الحكم بالاعدام وينفر منه ويمده بقية من بقايا الهمجية ويقول فيه ما قال ملاك في الخمر: اه فتأمل كيف يصدر هذا من مسلم وينشر بين المسلمين

خيرا من بيته وان في مصر من الاشقياء من يسمي السجن نزلا أو فندقا
 وتسمت أنا غير واحد في سوريا يقول اذا فعل فلان كذا فاني أقتله وأقيم
 في القلعة عشر سنين وذلك ان القاتل هناك يحكم عليه غالبا بالسجن خمس عشرة
 سنة في قلعة طرابلس الشام ويعفو السلطان في عيد جلوسه عن تم له ثلثا المدة
 المحكوم بها عليه في السجن . فقتل القاتل هو الذي يربي الناس في كل زمان
 ومكان ويمنعهم عن القتل وقد بالغ في الاعتراف بذلك معدل القانون المصري
 حيث أجاز الحكم بالاعدام اذا وجدت القرائن القاطعة على ثبوت التهمة بعد ان
 كان لا يميزه الا بالاعتراف أو شهادة شهود الرؤية . وقد تقع في كل بلاد صور
 من جرائم القتل يكون فيها الحكم بقتل القاتل ضاراً وتركه لا مفسدة فيه
 كأن يقتل الانسان أخاه أو أحد أقاربه لعارض دفعه الى ذلك ويكون هذا
 القاتل هو العاقل لذلك البيت واذا قتل يفقدون بقتله المين والظهير بل
 قد تكون في قتل القاتل أحيانا مفسد ومضار وان كان أجنبيا من المقتول
 ويكون الخير لاولياء المقتول عدم قتله لدفع المفسدة أو لاث الدية أنفع لهم
 فأمثال هذه الصور توجب أن لا يكون الحكم بقتل القاتل حتما لازما في
 كل حال بل يكون هو الاصل ويكون تركه جائزا برضاء اولياء المقتول
 وعفوهم فاذا ارتقت عاطفة الرحمة في شعب أو قبيل أو بلد الى ان صار
 يستنكر القتل منهم اولياء القاتل ويرون العفو أفضل وأنفع فذلك اليهم
 والشريعة لا تمنعهم منه بل ترغبهم فيه وهذا الاصلاح الكامل في القصاص
 هو ما جاء به القرآن ، وما كان ليرتقي اليه بنفسه علم الانسان ، قال تعالى
 (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتل) القصاص
 في اصل اللغة يفيد المساواة فعنى القصاص هنا ان يقتل القاتل لانه في

نظر الشريعة مساو للمقتول فيؤخذ به فالغرض من الآية مشروعية
 القصاص بالعدل والمساواة وابطال ذلك الامتياز الذي كان للاقوياء
 على الضعفاء ولذلك قال (الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى) أي ان
 هذا القصاص لاهوادة فيه ولا جور فاذا قتل حر حرا يقتل هو به لا غيره
 من سادات القبيلة ولا اكثر من واحد واذا قتل عبد عبدا يقتل هو به
 لاسيده ولا أحد الاحرار من قبيلته وكذلك المرأة اذا قتلت تقتل هي ولا
 يقتل أحد فداء عنها خلافا لما كانت عليه الجاهلية في ذلك فالقصاص على
 القاتل نفسه أيًا كان لا على أحد من قبيلته : فما كانت عليه العرب في الثأر
 بين هذا المعنى من الآية ولكن مفهوم اللفظ بمحمد ذاته وسياق مقابلة
 الاصناف بالاصناف يفهم انه لا يقتل فريق بفريق آخر وهو غير مراد
 على اطلاقه فقد جرى العمل من زمن الرسول عليه الصلاة والسلام الى
 الآن على قتل الرجل بالمرأة واختلفوا في قتل الحر بالعبد فذهب ابو حنيفة
 وابن ابي ليلى وداود الى انه يقتل به اذا لم يكن سيده وذهب الجمهور الى
 انه لا يقتل به مطلقا والاختلاف في قتل الرجل بالمرأة أضعف ولهذه
 الخلافات زعم بعضهم ان في الآية نسخا . وانما منشأ الخلاف أدلة أخرى
 من السنة وغيرها والاعتبار بمفهوم المخالفة في الآية والقرآن فوق كل خلاف
 فنطوق الآية لا مجال للخلاف فيه وهو ان الحر يقتل بالحر الخ وأما كون
 الحر يقتل بالعبد والرجل بالمرأة فهذا يؤخذ من لفظ القصاص ولا يمارضه
 مفهوم التفصيل فان بعض أهل الأصول لا يعتبر المفهوم المخالف للمنطوق
 وبعضهم يعتبره بشرط لا يتحقق هنا لما ذكره في سبب النزول منطبقا على
 ما ذكرناه عن العرب قال البيضاوي في تفسير الآية

« كان في الجاهلية بين حيين من أحياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتل الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى الرسول صلى الله عليه وسلم فنزلت وأمرهم ان يتبارؤا. ولا تدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا تدل على عكسه فان المفهوم يعتبر حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم» والبيضاوي من الشافعية القائلين بمفهوم المخالفة . وما ذكره في سبب النزول أخرجه ابن ابي حاتم

ويدخل في عموم الآية الكافر وبه قال الكوفيون والثوري وقال الجمهور لا يقتل به المسلم لما ورد في ذلك من الحديث المبين لاجمال الآية . واستثنى من عمومها السيد يقتل عبده قالوا لا يقتل به ولكن يعزر ولا يعرف في ذلك خلاف الا عن النخعي . قال الاستاذ الامام وللحاكم ان يقرر هذا التمييز بشدة تمنع الاعتداء والاستهانة بالدم ولا يخفى ان التعزير قد يكون بالقتل فاذا عهد في قوم من القسوة ما يقتلون به عبيدهم فللامام ان يقتل السيد بعبده تعزيرا لاحدا اذا رأى المصلحة العامة في ذلك . واستثنوا ايضا الوالدين فقالوا لا يقتل الوالد بولده وعلمه الاستاذ الامام بأن الحدود توضع حيث تتحرك النفوس للجناية لتكون رادعة عن الاستمرار فيها . وقد مضت السنة الالهية في الفطرة بأن قلوب الأصول مجبولة من طينة الشفقة والحنو على الفروع حتى ليندلون أموالهم وأرواحهم في سبيلهم وكثيرا ما يقسو الولد على والده وقلمما يقسو والد على ولده الا لسبب قوي كعقوق شديد أو فساد في أخلاق الوالد جنى على أصل الفطرة كالافراط في حب الذات ولكن هذه القسوة لا تقضي الى القتل الا لأمر يكاد يكون فوق

الطبيعة كعارض جنون من الوالد او ايذاء لا يطاق من الولد ولما كان هذا شاذاً بالمرة جعل كالمعدم فلم يلاحظ في وضع الحد لان الاحكام تناط بالمظنة لا بالشواذ التي يندر ان تقع ومع هذا يعزّر من يقتل ولده بما يراه الحاكم لائقاً بحاله ومرئياً لامثاله

وقد اضطربوا في تعيين المخاطب بهذا القصاص اذ لا يصح ان يكون القاتل ولا المقتول ولا ولي الدم ولا عصابة القاتل ولا سائر الناس الاجانب ولا يظهر أيضاً ان المخاطب بقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص » الحكام خاصة . قال الاستاذ الامام بعد ما أورد هذا المعنى عن بعضهم وهذه مشاغبة وتشكيك كمشاغبات الرازي وشكوكه والمخاطب مفهوم بالبداهة والآية جارية على أسلوب القرآن في مخاطبة جماعة المؤمنين في الشؤون العامة والمصالح لا اعتبار الامة متكافلة ومطالبة بتنفيذ الشريعة وحفظها وبالخضوع لاحكامها كما تقدم بيانه في مخاطبة اليهود باسناد ما كان من آباءهم اليهم اذ قلنا ان الامة في نظر القرآن كالشخص الواحد يخاطب البعض منها بالكل والكل بالبعض كما يقال للشخص جنيت وجنت يدك وأخطأت وأخطأ سمعك أو رأيك . ففي هذا الخطاب بالقصاص يدخل القاتل لانه مأمور بالخضوع لحكم الله ويدخل الحاكم لانه مأمور بالتنفيذ ويدخل سائر المسلمين لانهم مأمورون بمساعدة الشرع وتأنيده ، ومراقبة من يخارونه للحكم به وتنفيذه ،

بعد ان بين تعالى وجوب القصاص وهو أصل العدل ، ذكر أمر العفو وهو مقتضى التراحم والفضل ، فقال (فمن عني له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف) وانما يعفو من له حق طلب القصاص وقد جعل الله هذا

الحق لأولياء المقتول وهم عصبته الذين يعتزون بوجوده ويهانون بفقدته ،
ويحرمون من عونه ورفده ، فمن أزهق روحه كان لهم ان يطلبوا إزهاق
روحه لما تستفزهم اليه نعمة القرابة وطبيعة المصلحة . فإذا لم يجب طلبهم ،
ولم يقتص الحاكم لهم ، فانهم ربما يحتالون للانتقام ، ويفشو بينهم وبين
القاتل وقومه التشاحن والخصام ، وإذا جاء العفو من جانبهم أمن المحذور
والفتنة ، لاسيما إذا كان من أسباب العفو استعطاف القاتل وقومه لهم ،
واستمتاعهم بإيهم ، بأثرة عاطفة الاخوة الدينية ، وأريحية المروءة والانسانية ،
ففي مثل هذه الحالة يوجب الله تعالى حجب الدم وليس للحكومة ان تمتنع
من العفو إذا رضوا به ولا أن تستقل بالعفو إذا طلبوا القصاص فتحفظ
قلوبهم وتخرج أضغانهم وتحملهم على محاولة الانتقام بأيديهم إذا قدروا
فيزيد البلاء ، ويكثر الاعتداء ، أو يعيش الناس في تباغض وعداء ، وعبرة
الآية تشعر بأن الله تعالى يحب من عباده العفو ولذلك فرض اتباع العفو
وان لم يكن تاما متفقا عليه من جميع أولياء الدم كالأباء والابناء والاخوة
فان عفا بعضهم برجع جانبه على الآخرين كما يدل عليه تنكير شيء في
قوله (فمن عفي له من أخيه شيء) فقد ذهب جمهور المفسرين على ان
« شيء » هنا نائب عن المصدر أي عفي له شيء من العفو بأن ناله بعضه ممن
لهم المطالبة به . ويؤيد هذا ويؤكد التعبير عن العافي بلفظ الاخ الذي يحرك
عاطفة الرحمة والحنان ، وهو كما قال المفسرون يؤذن بأن القتل لا يقطع
أخوة الايمان ،

ومن مباحث اللفظ هنا ان بعض المفسرين أشكل عليهم استعمال
« في متعدي باللام وزعموا انها بمعنى ترك قال البيضاوي تبعا للكشاف

إذ لم يثبت عفا الشيء بمعنى تركه بل أعفاه وعفا يمدى بمن إلى الجاني وإلى الذنب قال الله تعالى «عفا الله عنك» وقال «عفا الله عنها» فإذا عدي به إلى الذنب عدي إلى الجاني باللام وعليه ما في الآية كأنه قيل : فمن عفي له عن جانيته من جهة أخيه يعني ولي الدم :

ولما كان العفو عن القصاص يتضمن الرضى بأخذ الدية قال تعالى (فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان) أي فاتباع العفو واجب على العافي وغيره ف عليه أن لا يرهق القاتل من أمره عسرا بل يطلب منه الدية بالرفق والمعروف كما أن قوله (وأداء إليه بإحسان) خطاب للقاتل أي أن الأداء بالإحسان واجب عليه بأن لا يمتل ولا ينقص ولا يسيء في كيفية الأداء : ويجوز العفو عن الدية أيضا كما في قوله تعالى في سورة النساء «ودية مسأمة إلى أهلها إلا أن يصدقوا» هذا هو الظاهر في الآية فلا حاجة إلى ذكر ما قالوه من احتمال غيره

ويؤكد رغبة الشارع في العفو امتنانه علينا بإجازته ووعيده على من اعتدى بعمده إذ قال (ذلك تخفيف من ربكم ورحمة) وإي تخفيف ورخصة أفضل من حجب الدم بتجوز العفو والاكتفاء عنه بقدر معلوم من المال فهذه رحمة منه سبحانه بهذه الأمة إذ رغبها في التراحم والتعاطف والعفو والإحسان (فمن اعتدى بعد ذلك) أي بعد العفو عن الدم والرضى بالدية بأن انتقم من القاتل (فله عذاب أليم) قيل معناه أنه يتحتم قتل الولي العافي أو غيره إذا قتل القاتل بعد العفو ولا يجوز العفو عنه بل يقتله الحاكم وإن عفا عنه ولي المقتول وبه قال جماعة من المفسرين كمكرمة والسدي والجمهور على أن حكمه كحكم القاتل ابتداء وعليه مالك والشافعي والمراد بالعذاب

الأيام عذاب الآخرة قال الاستاذ الامام وهو الصحيح . وفي الحديث المرفوع عند أحمد وابن أبي شيبة ما يؤيده

ثم قال تعالى (ولكم في القصص حيو) وهو تعليل لمشروعية القصص وبيان لحكمته وقد قدم عليه تعليل العفو والترغيب فيه والوعيد على الغدر بعده مع تأخره في الذكر عناية به . وبيان الأسباب والحكم لموضع الاحكام العملية ، كإقامة البراهين والدلائل للمطالب العقلية ، بهذه يعرف الحق من الباطل ، وبتلك يعرف العدل وما يتفق مع المصالح ، وبذلك يكون الحكم اوقع في النفس وأبعث على المحافظة عليه ، وأدعى للرغبة في العمل به ، وقد بينت هذه الآيات حكمة القصص بأسلوب لا يسامى ، وعبرة لا تحاكي ، واشتهر أنها من أبلغ آي القرآن ، التي تعجز في التحدي فرسان البيان ، ومن دقائق البلاغة فيها ان جعل فيها الضد متضمنا لضده وهو الحياة في الامانة التي هي القصص وعرف القصص ونكر الحياة للاشعار بأن في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحياة عظيما لا يقدر قدره ، ولا يحمل سره ، ثم انها في إيجازها قد ارتقت أعلا سماء الإعجاز وكانوا ينقلون كلمة في معناها عن بعض بلغاء العرب يعجبون من إيجازها في بلاغتها ، ويحبون أن الطاقة لاتصل الى أبعد من غايتها ، وهي قولهم : القتل أننى للقتل : وإنما فتنوا بهذه الكلمة وظنوا أنها نهاية ما يمكن ان يبلغه البيان ، ويفصح به اللسان ، لأنها قيلت مباراة لكلمات أخرى في معناها لبلغاتهم كقولهم : قتل البعض إحياء للجميع : وقولهم : أكثر والقتل يقل القتل : وأجمعوا على أن كلمة : القتل أننى للقتل : أبلغها وابن هي من كلمة الله العليا ، وحكمته المثلى ، قال الامام الرازي : وبيان التفاوت من وجوه (أحدها) ان قوله «ولكم

في القصاص حيوة « أخصر من الكل لأن قوله « ولكم » لا يدخل في هذا الباب اذ لا بد في الجميع من تقدير ذلك واذا تأملت علمت ان قوله : في القصاص حيوة : أشد اختصارا من قولهم : القتل أننى للقتل - اي لان حروفه أقل - و (ثانيا) ان قولهم القتل أننى للقتل ظاهره يقتضي كون الشيء سببا لانتفاء نفسه وهو محال وقوله : في القصاص حيوة : ليس كذلك لأن المذكور هو نوع من القتل وهو القصاص ثم ما جعله سببا لمطلق الحياة لأنه ذكر الحياة منكرا بل جعله سببا لنوع من أنواع الحياة و (ثالثا) ان قولهم فيه تكرير للفظ القتل وليس في الآية تكرير . و (رابعا) ان قولهم لا يفيد الا الردع عن القتل والآية تفيد الردع عن القتل وعن الجرح وغيرهما فهي أجمع للفوائد و (خامسا) ان نفي القتل في قولهم مطلوب تبعا من حيث أنه يتضمن حصول الحياة وأما الآية فانها دالة على حصول الحياة وهو مقصود أصلي فكان هذا أولى . و (سادسا) ان القتل ظلما قتل مع أنه لا يكون نافيا للقتل بل هو سبب لزيادة القتل وانما النافي لوقوع القتل هو القتل المخصوص وهو القصاص فظاهر قولهم باطل اما الآية فهي صحيحة ظاهرا وتقديرها فظهر التفاوت بين الآية وبين كلام العرب :
اه باختصار وتصرف يسيرين

وذكر السيد الألويسي هذه الوجوه باختصار أدق وزاد عليها نحوها فقال (الاول) قلة الحروف فان الملفوظ هنا (اي في الآية) عشرة أحرف اذ لم يعتبر التنوين حرفا على حدة وهناك أربعة عشر حرفا (الثاني) الاطراد اذ في كل قصاص حياة وليس كل قتل أننى للقتل فان القتل ظلما ادعى للقتل (الثالث) ما في تنوين حياة من النوعية او التعظيم (الرابع) صنعة

الطباق بين القصاص والحياة فإن القصاص تفويت الحياة فهو مقابلها
 (الخامس) النص على ما هو المطلوب بالذات أعني الحياة فإن نفي القتل إنما
 يطلب لها لالذاته (السادس) الغرابة من حيث جعل الشيء فيه حاصلًا
 في ضده ومن جهة أن المظروف إذا حواه الظرف صانه عن التفرق فكأن
 القصاص فيما نحن فيه يحمي الحياة من الآفات (السابع) الخلوع عن التكرار
 مع التقارب فإنه لا يخلو عن استبشاع ولا يمد رد العجز على الصدر حتى
 يكون محسنا (الثامن) عذوبة اللفظ وسلاسته حيث لم يكن فيه ما في قولهم
 من توالي الأَسباب الخفيفة إذ ليس في قولهم حرفان متحركان على التوالي
 إلا في موضع واحد ولا شك أنه ينقص من سلاسة اللفظ وجريانه على
 اللسان ، وأيضا الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى
 الهمزة لبعدها الهمزة من اللام وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل
 من الخروج من الألف إلى اللام (التاسع) عدم الاحتياج إلى الحيثية
 وقولهم يحتاج إليها (العاشر) تعريف القصاص بلام الجنس الدالة على حقيقة
 هذا الحكم المشتملة على الضرب والجرح والقتل وغير ذلك وقولهم لا يشمله
 (الحادي عشر) خلوه من أفعل الموهوم أن في الترك نفيًا للقتل أيضا
 (الثاني عشر) اشتماله على ما يصلح للقتال وهو الحياة بخلاف قولهم فإنه
 يشتمل على نفي اكتنفه قتلان وإنه لما يليق بهم (الثالث عشر) خلوه مما
 يوهمه ظاهر قولهم من كون الشيء سببا لا انتفاء نفسه وهو محال - إلى غير
 ذلك فسبحان من علت كلمته ، وبهرت آيته ، : اه

وجملة القول أن الآية على كونها أبلغ وكلمتها أوجز قد أفادت حكما
 لم تكن عليه العرب قبلها ولم يطلبه أحد من عقلائهم وبلغائهم وهو المساواة

في العقوبة وبيان ان فيه الحياة الطيبة وصيانة الناس من اعتداء بعضهم على بعض. وأمرهم بالقتل ليقل القتل او ينتفي يصدق باعتداء قبيلة على قبيلة والاسراف في قتل رجالها لتضعف فلا تقدر على أخذ الثأر فيكون المعنى ان قتلنا لعدونا إحياء لنا وتقليل او نفي لقتله إيانا وأين هذا الظلم من ذلك العدل. فالآية الحكيمة قررت أن الحياة هي المطلوبة بالذات وان القصاص وسيلة من وسائلها لأن من علم أنه اذا قتل نفسا يقتل بها يرتدع عن القتل فيحفظ الحياة على من أراد قتله وعلى نفسه . والاكتفاء بالدية لا يردع كل أحد عن سفك دم خصمه ان استطاع فان من الناس من يبذل المال الكثير لأجل الايقاع بعدوه. وفي الآية من براءة العبارة وبلاغة القول ما يذهب باستبشاع إزهاق الروح في العقوبة ويوطن النفوس على قبول حكم المساواة إذ لم يسم العقوبة قتلًا او إعدامًا بل سماها مساواة بين الناس تنطوي على حياة سعيدة لهم .

ثم قال بعد هذا البيان ، المتضمن للحكمة والبرهان، (يا أولي الألباب)
فخص بالنداء أصحاب العقول الكاملة مع ان الخطاب عام للتنبيه على ان ذا
اللب هو الذي يعرف قيمة الحياة والمحافظة عليها ، ويعرف ما تقوم به المصلحة
العامة وما يتوصل به اليها ، كأنه يقول ان ذا اللب هو الذي يفقه سر هذا
الحكم وما اشتمل عليه من الحكمة والمصلحة ، فعلى كل مكلف أن يستعمل
عقله في فهم دقائق الاحكام ، وما فيها من المنفعة للأنام ، وهو فيدان من
ينكر منفعة القصاص بعد هذا البيان ، فهو بلا لب ولا جنان ، ثم قال (لعلكم
تتقون) جعله المفسر تعليلًا لشرع القصاص وقدرله (شرع) اي لما كان في
القصاص حياة لكم كتبناه عليكم وشرعناه لكم لعلكم تتقون الاعتداء ،

وتكفون عن سفك الدماء، وقال الاستاذ الامام ان هذا لا بأس به والمشروعية مفهومة من الآية وإيجاز القرآن يقتضي عدم التصريح بها لأجل التعليل كما صرح به في الآية التي قبلها « كتب عليكم » ويمكن ان يستغنى عن تقدير « شرع » ويتعلق الرجاء بالظرف في قوله « ولكم في القصاص حيوة » اي ثبتت لكم الحياة في القصاص لتعدكم وتهيبكم للتعوى والاحتراس من سفك الدماء، وسائر ضروب الاعتداء، اذ العاقل حريص على الحياة ولوع بالآخذ بوسائلها، والاحتراس من غوائلها،

فَتَسْأَلُ الْمَلِكُ

فتتناه هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسمع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا ورمقادما متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورعا لأجنا غير مشترك لثقل هذا. ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

❦ أسئلة هندية ❦

وردت هذه الاسئلة الستة من الهند على الاستاذ الامام مفتي الاسلام في مصر فأرسلها اليها لتجيب عنها لكثرة الشواغل عنده ولتقلته بخري تلميذه الصواب

❦ تلقيح للجدرى والطاعون وغيرهما ❦

(س ٧٣) الطيب المولوي نور الدين المفتي في بنجاب (الهند) : يجوز التلقيح

للجدرى والطاعون والهواء الأصفر (أي الهیضة البوابية) والافرنجي مثلا

(ج) لاوجه لتحريم التلقيح هذه الامراض ولغيرها فان التلقيح ضرب من ضروب الوقاية الثابتة بالتجربة الصحيحة المتواترة وتوقي المضار واجب شرعا بالاجماع فما آمين سببا للوقاية وجب الاخذ به عند ظن التعرض للضرر وما جاز ان يكون سببا تجوز تجربته اذا لم يكن في التجربة محذور آخر كضرر محقق أو مظنون اذ لايجوز ارتكاب الضرر لتوهم المنفعة . وهذه المسائل ترجع الى قاعدة وجوب

دفع المضار وجلب المنافع وقاعدة تعارض المعلوم والموهوم وقاعدة ارتكاب أخف الضررين وعلماء هذه الديار متفقون على جواز التلقيح لاجل الوقاية من الجدري حتى انه لا يقبل في الجامع الازهر تلميذ الا اذا لقح بلقاح الجدري

التداوي بالادوية الافرنجية

(س ٧٤) ومنه يجوز التداوي بالادوية الافرنجية وفيها الكحول وأنواع من الرطوبات المحرمة

(ج) يجوز التداوي بكل مائت للطييب فائده في إزالة المرض أو تخفيفه عملاً بموم ما أجمعوا عليه من جواز التداوي ولا يستثنى الا ما حرم بالنص كالخمر ولحم الخنزير اذا كان غديره يقوم مقامه ويستغنى به في التداوي عنه وأما اذا تعين دواء فانه يصير مضطراً اليه فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه، وأما الكحول فليس محرماً بالنص ولا وجه لتحريم كل ما كان جزءاً طبيعياً أو كيمياوياً من الخمر وانما يحرم كل مسكر وكل ضار والدواء نافع غير مسكر فلا وجه للقول بتحريمه الا من يستحل التشريع بفلسفته فيحرم برأيه ما جعله الله سبباً لمنفعة الناس . وقد سئلنا من قبل عن طهارة هذا الكحول أو الغول ونجاسته فينا بالدلائل الواضحة أنه طاهر فليراجع ذلك في المجلد الرابع من المنار

الشهادة بالتلغراف

(س ٧٥) ومنه : يجوز الشهادة بالتلغراف وعليه المجوس والنصارى (ج) خبر التلغراف لا يسمى شهادة عند الفقهاء فلا يعملون به فيما يتوقف إنباته على شهادة الشهود وإنما هو خبر كالكتابة فينبغي أن يعمل به حيث يعمل بالكتابة بشرطها وهو الامن من التزوير فاذا لم يكن هناك ثقة بأن هذا التلغراف من فلان فكيف يوثق بمضمونه وأما إذا كان هناك ثقة بأن هذا التلغراف من فلان فحكمه حكم خبره ولا يخفى أن خبر المجوسي والنصراني يعمل به في إقراره وفي شهادته على مثله اتفاقاً . هذا ما يظهر من نصوص الفقه وأقيسته . وإذا رجعنا الى أصل الكتاب والسنة وحكم التشريع يتجلى لنا أن البينة في الشرع هي كل ما يتبين به الحق بحيث يثق الحاكم أو غير الحاكم بان هذا الشيء صحيح أو غير صحيح فمن التلغرافات

ماترسله الحكومة الى عمالها فلا يشكون في صحة مضمونه وكونه من الحكومة، ومنها ما يرسله تاجر الى آخر فلا يشك في كونه منه، ومنها ما يشك في مرسله أو في مضمونه أو فيهما معا ولكن خبر حكمه . وما ذكرناه في معنى البيضة قد أوضحه ابن القيم في كتابه (أعلام الموقعين) واستدل عليه بالكتاب والسنة والعقل فراجع ذلك فيه أو في ص ١٧٠ من مجلد المنار الخامس

الزكاة والضرائب على الارض في دار الحرب

(س ٧٥) ومنه : النصارى يأخذون من الاراضي في الهند قريبا من النصف أو الربع (أي من ريعها) فهل يعد ذلك من أصل ما يجب إخراجه من العشر أو نصف العشر (وفي أصل السؤال ربع العشر وهو زكاة التقدين)

(ج) أن ما يجب من العشر أو نصف العشر من غلات الارض هو من مال الزكاة التي يجب صرفها في مصارفها الثمانية المنصوصة أو ما يوجد منها فاذا أخذها عامل الامام في دار الاسلام برئت منها ذمة صاحب الارض ووجب على الامام أو عامله صرفها لمستحقها وإذا لم يأخذها العامل وجب على المالك وضعها حيث أمر الله . وما يأخذه النصارى وغيرهم على الأرض التي تغلبوا عليها يعد من الضرائب ولا تسقط به الزكاة فيجب على المسلم أن يخرجها عما بقي له من الغلة حتما بشرطها

انتفاع المرتين بالمرهون

(س ٧٦) ومنه : هل يجوز انتفاع المرتين بالمرهون

(ج) جمهور العلماء ومنهم أبو حنيفة ومالك والشافعي على أنه لا يجوز للمرتين أن ينتفعا بالرهن لأنهم يعدون ذلك من الربا هذا هو دليلهم ومارووه في الاحتجاج له من حديث أبي هريرة عند الشافعي والدارقطني والحاكم والبيهقي وابن حبان . لا يفاق الرهن من صاحبه الذي رهنه له غنمه وعليه غرمه ، لا يصح له سند موصول يحتاج به وهو معارض بما احتج به مجيزو الانتفاع ومنهم أحمد واسحق والليث والحسن وهو حديث أبي هريرة عند البخاري وأبي داود والترمذي وابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : «الظهر يركب بنفقته اذا كان مرهونا ولبن الدر يشرب بنفقته اذا كان مرهونا وعلى الذي يركب ويشرب النفقة» فهذا

الحديث يدل على أن الاتفاق بالرهن مشروع في الجملة وأنه ليس من الربا فن أراد الحق بدليله فهو جواز الاتفاق ما لم يكن هناك احتيال على الربا أو شرط عدم الاتفاق برضى المرتهن ثم غدر وخالف الشرط والله أعلم

الحكم بالقوانين الانكليزية في الهند

(س ٧٧) ومنه: أيجوز للمسلم المستخدم عند الانكليز الحكم بالقوانين الانكليزية

وفيها الحكم بغير ما أنزل الله

(ج) أن هذا السؤال يتضمن مسائل من كبر مشكلات هذا العصر كحكم المؤلفين للقوانين وواضعيها لحكوماتهم وحكم الحاكمين بها والفرق بين دار الحرب ودار الاسلام فيها . واتنا نرى كثيرين من المسلمين المتدينين يعتقدون أن قضاة المحاكم الاهلية الذين يحكمون بالقانون كفار أخذاً بظاهر قوله تعالى « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ويستلزم الحكم بتكفير القاضي الحاكم بالقانون تكفير الأئمراء والسلاطين الواضعين للقوانين فانهم وان لم يكونوا ألفوها بمعارفهم فانها وضعت بإذنهم وهم الذين يولون الحكم ليحكموا بها ويقول الحاكم من هؤلاء أحكم باسم الأمير فلان لأنني نائب عنه باذنه ويطلقون على الأمير لفظ (الشارع)

أما ظاهر الآية فلم يقل به أحد من أئمة الفقه المشهورين بل لم يقل به أحد قط فان ظاهرها يتناول من لم يحكم بما أنزل الله مطلقاً سواء حكم بغير ما أنزل الله تعالى أم لا وهذا لا يكفره أحد من المسلمين حتى الخوارج الذين يكفرون الفساق بالمعاصي ومنها الحكم بغير ما أنزل الله . واختاف أهل السنة في الآية فذهب بعضهم الى أنها خاصة باليهود وهو ما رواه سعيد بن منصور وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس قال : إنما أنزل الله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون في اليهود خاصة : وأخرج ابن جرير عن أبي صالح قال الثلاث الآيات التي في المائدة « ومن لم يحكم بما أنزل الله » الخ ليس في أهل الاسلام منها شيء هي في الكفار وذهب بعضهم الى أن الآية الأولى التي فيها الحكم بالكفر للمسلمين والثانية التي فيها الحكم بالظلم لليهود والثالثة التي فيها الحكم بالفسق للنصارى وهو ظاهر السياق . وذهب آخرون الى العموم فيها كلها ويؤيده

قول حذيفة لمن قال إنها كلها في بني إسرائيل : نعم الاخوة لكم بنو إسرائيل ان كان لكم كل حلوة ولهم كل مرة كلا والله لتسلكن سبيلهم قد الشراك : رواه عبد الرزاق وابن جرير والحاكم وصححه وأول هذا الفريق الآية بتأويلين

فذهب بعضهم الى أن الكفر هنا ورد بمعناه اللغوي للتغليظ لامعناه الشرعي الذي هو الخروج من الملة واستدلوا بما رواه ابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في السنن عن ابن عباس (رض) أنه قال في الكفر الواقع في احدي الآيات الثلاث : إنه ليس بالكفر الذي تذهبون اليه إنه ليس كفرا ينقل عن الملة ككفرون كفر : وذهب بعضهم الى ان الكفر مشروط بشرط معروف من القواعد العامة وهو ان من لم يحكم بما أنزل الله منكرا له أو راغبا عنه لا اعتقاده بأنه ظلم مع علمه بأنه حكم الله أو نحو ذلك مما لا يجمع الايمان والاذعان . ولم يري أن الشبهة في الامراء الواضعين للقوانين أشد والجواب عنهم أعسر ، وهذا التأويل في حقهم لا يظهر ، وان العقل ليسر عليه ان يتصور ان مؤمنا مدعنا لدين الله يعتقد ان كتابه يفرض عليه حكما ثم هو يغيره باختياره ويستبدل به حكما آخر بارادته اعراضا عنه وتفضيلا لغيره عليه ويعتد مع ذلك بإيمانه واسلامه . والظاهر ان الواجب على المسلمين في مثل هذه الحال مع مثل هذا الحاكم ان يلزموه بابطال ما وضعه مخالفا لحكم الله ولا يكتفوا بعدم مساعدته عليه ومشايعته فيه فان لم يقدروا فالدار لا تعتبر دار اسلام فيما يظهر ، وللحكام فيها حكم آخر ، وههنا يحجى سؤال السائل وقبل الجواب عنه لابد من ذكر مسألة يشبه الصواب فيها على كثير من المسلمين وهي

اذا غلب العدو على بعض بلاد المسلمين وامتنعت عليهم الهجرة فهل الصواب ان يتركوا له جميع الأحكام ولا يتولوا له عملا أم لا ؟ يظن بعض الناس ان العمل للكافر لا يحل بحال والظاهر لنا ان المسلم الذي يعتقد انه لا ينبغي ان يحكم المسلم إلا المسلم وان جميع الاحكام يجب ان تكون موافقة لشرعته وقائمة على أصولها المعادلة ينبغي له أن يسمى في كل مكان باقامة ما يستطيع اقامته من هذه الاحكام وان يحول دون تحكم غير المسلمين بالمسلمين بقدر الامكان . وبهذا القصد يجوز له أو يجب عليه ان يقبل العمل في دار الحرب الا اذا علم أن عمله يضر المسلمين ولا ينفعهم بل يكون

نعمه محصورا في غيرهم ومعيينا للمتغلب على الاجهاز عليهم واذا هو تولى لهم العمل
وكلف بالحكم بقوانينهم فاذا يفعل وهو مأمور بأن يحكم بما أنزل الله
أقول ان الاحكام المنزلة من الله تعالى منها ما يتعلق بالدين نفسه كاحكام العبادات
وما في معناها كالنكاح والطلاق وهي لا تخل مخالفتها بحال ومنها ما يتعلق بأمر الدنيا كالعقوبات
والحدود والمعاملات المدنية والمنزل من الله تعالى في هذه قليل وأكثرها موكول الى
الاجتهاد وأهم المنزل وآ كده الحدود في العقوبات وسائر العقوبات تعزيز مفوض الى
الى اجتهاد الحاكم والربا في الاحكام المدنية . وقد ورد في السنة النبي عن اقامة الحدود
في أرض العدو وأجاز بعض الائمة الربا فيها بل مذهب أبي حنيفة أن جميع العقود
الفاسدة جائزة في دار الحرب واستدل له بمنحابة (مراهنه) أبي بكر (رض) لابي بن
خلف على ان الروم يغلبون الفرس في بضع سنين وإجازة النبي (ص) ذلك وصرحوا
بعدم اقامة الحدود فيها روي ذلك عن عمر وأبي الدرداء وحذيفة وغيرهم . وبه
قال أبو حنيفة قال في أعلام الموقعين : « وقد نص أحمد واسحق بن راهويه والاوزاعي
وغيرهم من علماء الاسلام على ان الحدود لا تقام في أرض العدو وذكرها أبو القاسم
الحرقي في مختصره فقال لا يقام الحد على مسلم في أرض العدو وقد أثبت بسير بن أرطاة
رجل من الفزاة قد سرق مجنة فقال لولا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول « لا تقطع الايدي في الفزولة قطعتك » : رواه أبو داود وقال أبو محمد المقدسي وهو
اجماع الصحابة . روى سعيد بن منصور في سننه باسناده عن الاحوص بن حكيم عن
أبيه ان عمر كتب الى الناس ان لا يجلدوا أمير جيش ولا سرية ولا رجلا من المسلمين
حدا وهو غاز حتى يقطع الدرب قافلا لثلاث تلحقه حمية الشيطان فيلحق بالكفار وعن
أبي الدرداء مثل ذلك : ثم ذكر ترك سعد إقامة حد السكر على أبي محجن في وقعة
القادسية وذكر أنه قد يحتج به من يقول لاحد على مسلم في دار الحرب كما يقول أبو حنيفة
ولكنه علله تعليلا آخر ليس هذا محل ذكره وانظر تعليل عمر بن عبد المجيد في بلاد الحرب
فلم مما تقدم أن الاحكام القضائية التي أنزلها الله تعالى قليلة جدا وقد علمت
ما قيل في اقامتها في دار الحرب لاسيا عند الحنفية فاذا كانت الحدود لا تقام هناك فقد
عادت أحكام العقوبات كلها الى التعزير الذي يفوض الى اجتهاد الحاكم والاحكام

المدنية أولى بذلك لأنها اجتهادية أيضاً والنصوص القطعية فيها عن الشارع قليلة جداً وإذا رجعت الأحكام هناك إلى الرأي والاجتهاد في تحري العدل والمصلحة وأجزنا للمسلم أن يكون حاكماً عند الحربي في بلاده لأجل مصلحة المسلمين فالذي يظهر أنه لا بأس من الحكم بقانونه لأجل منفعة المسلمين ومصلحتهم - فإن كان ذلك القانون ضاراً بالمسلمين ظالمًا لهم فليس له أن يحكم به ولأن يتولى العمل لو اضطر إعادته له وجلة القول أن دار الحرب ليست محل إقامة أحكام الإسلام ولذلك تجب الهجرة منها إلا لعذر أو مصلحة للمسلمين يؤمن معها من الفتنة في الدين وعلى من أقام أن يخدم المسلمين بقدر طاقته ويقوي أحكام الإسلام بقدر استطاعته ولا وسيلة لتقوية نفوذ الإسلام وحفظ مصلحة المسلمين مثل تقلد أعمال الحكومة لاسيما إذا كانت الحكومة متساهلة قريبة من العدل بين جميع الأمم والمثل كالحكومة الانكليزية. والمعروف أن قوانين هذه الدولة أقرب إلى الشريعة الإسلامية من غيرها لأنها تفوض أكثر الأمور إلى اجتهاد القضاة فمن كان أهلاً للقضاء في الإسلام وتولى القضاء في الهند بصحة قصد وحسن نية يتيسر له أن يخدم المسلمين خدمة جليلة. وظاهر أن ترك أمثاله من أهل العلم والغيرة للقضاء وغيره من أعمال الحكومة تأثماً من العمل بقوانينها يضيع على المسلمين معظم مصالحهم في دينهم ودنياهم ومانكب المسلمون في الهند ونحوها وتأخروا عن الوثنيين إلا بسبب الحرمان من أعمال الحكومة. ولنا العبرة في ذلك بما يجري عليه الأوروبيون في بلاد المسلمين إذ يتوسلون بكل وسيلة إلى تقلد الأحكام ومتى تقلدوها حافظوا على مصالح أبناء ملتهم وجنسهم حتى كان من أمرهم في بعض البلاد أن صاروا أصحاب السيادة الحقيقية فيها وصار حكامها الأولون آلات في أيديهم والظاهر مع هذا كله أن قبول المسلم للعمل في الحكومة الانكليزية في الهند (ومثلها ما هو في معناها) وحكمه بقانونها هو رخصة تدخل في قاعدة ارتكاب أخف الضررين إن لم يكن عزيمة يقصدها تأييد الإسلام وحفظ مصلحة المسلمين. ذلك أن تعدد من باب الضرورة التي نفذها حكم الامام الذي فقد أكثر شروط الامامة والقاضي الذي فقد أهم شروط القضاء ونحو ذلك فجميع حكم المسلمين في أرض الإسلام اليوم حكم ضرورية. وعلم مما تقدم أن من تقلد العمل للحربي لأجل أن يعيش براتبه فهو ليس عن أهل هذه الرخصة فضلاً عن أن يكون من أصحاب العزيمة والله أعلم

القسم العمومي

﴿ أسباب ضعف المسلمين وعلاجه ﴾ - تمة

وحيث أنه وضح مما تقدم سبب سقوط المسلمين ثم خولهم وتأخرهم في حلبة الترقى والسياسة فما لا يخفى على كل عاقل أنه إذا عرف المرض سهل الدواء إذا بقي من الاستعداد الطبيعي بقية يمكن معه الحياة وغير خاف أيضا أنه لا يمكن حياة الأمة الإسلامية إلا بعود المسلمين إلى دينهم الذي به سعادتهم في الدنيا والآخرة أما ما ذكره الاخ رفیق من دعوة المسلمين إلى ترك الدين جانباً والسياسة جانباً فهو أبعد كل بعيد ودونه خطر القتاد ومن المحقق أن من دعا المسلمين إلى ذلك لا يجاب ، ولو أقام على دعوته إلى يوم الحساب ، كما أن دعوته في نفسها غير صواب ، والحقيقة بخلاف ذلك فإن دعوته إلى دينهم الخالص أنفع لمرضهم ومن البين الذي حقه التجارب أن تأثر المسلمين ونشاطهم إلى اجابة دعوة دينهم أسهل كل سهل وذلك كما جابهم لدعوة فلان وفلان وفلان في كل مكان وزمان فلا حاجة إلى الاطالة بالتفصيل والبيان ودين الاسلام كما انه أكمل الاديان وأعد لها سياسته أعدل كل سياسة يمكن البشران ينضموا اليها الا وهي وضع كل شيء في الموضع الذي يناسبه والاخذ بالاصح والسعي في أسهل الطرق وأقربها إلى نيل المراد وأن ينتخب من كل شيء أزكاه ، لتكميل وجوده وبقائه ، ويصطفى لكل شيء كفوه وهذه هي سنة الله في أمره الشرعي والكوني ومقتضى حكمته الكاملة ودلت على حسنه ووجوبه الفطر والعقول ايضاً وهو علامة الكمال والاستواء في الامور الكونية الطبيعية والانتظام البشري

اما كونه سنة الله وحكمته في الخلق والتكوين فذلك بين لمن تفكر في نفسه وفي الآفاق ودونك مثالا واحداً لتقديس عليه وهو انتخاب موضع البصر في الرأس ثم وضعه في الوجه لا في القفا لأن الإنسان ذو إرادة للفعل والترك والاخير عدم وفعله الطبيعي اتجاه وجهه ، وتعيين مراده المحسوس موقوف على رؤيته ، فكانت الحكمة انتخاب الباصرة في هذا الموضع وهناك حكم وأسرار كثيرة للمتبصرين . وكذلك الانسان والشجر عند كاله واستوائه ينتخب منه لبقاء نوعه خلاصته فيلد ويشمر والله ينتخب ويصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس وهو يعلم حيث يجمل رسالته ومن يصلح لها وكلام الحكماء

والعقلاء في الانتخاب للرأي والمشورة لا يمكن استقصاؤه وقد فطر بنو آدم على التعاون في أفعالهم وأقوالهم فالله جل شأنه كما اختار نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم رسولاً إلى الناس كافة وختم به الرسالة واختار أمته وجعلها خير أمة أخرجت للناس يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يقرون ظالماً على ظلمه أي ينبغي أن يكون هذا شأنهم أمراً أن يتخلقوا باخلاقه تعالى التي يليق أن يتخلقوا بها كما يروى تتخلقوا باخلاق الله ومعنى هذا الحديث صحيح في الدين ودلت الشريعة على أن مارآه المؤمنون حسناً فهو عند الله حسن

فمن تلك السياسة الاجتماعية أن الله فوض إلى الأمة الإسلامية انتخاب الخليفة وتعيينه من عائلة الخلافة وأعظم دليل على ذلك مفارقه (ص) هذه الدار ولم يعمد في أمر الخلافة بشيء ولما كان بديها ومعلوما لديهم ذلك من دينهم لم يوصهم (ص) بغير الكتاب والسنة كما تقدم وإيضاً من الأدلة القطعية المعلومة من الدين بالضرورة أن الخلافة الشرعية لا تثبت لأحد إلا بعد البيعة الاختيارية من أهل الحل والمقد ثم عامة المسلمين في سائر البلاد بواسطة أمراء الإسلام يدل على ذلك قول أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه : إنها فلتة وفي الله شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه : وتأمل قوله فاقتلوه إلى من يعود الضمير ويدل على ذلك قوله تعالى الذي هو أصل كل دليل في ذلك وهو « وأمرهم شورى بينهم » أي شأنهم ذلك أو كما تقول المسال بين فلان وفلان أي مشترك بينهما والخبر يكون للأمر بل هو أكد من مجرد الأمر كما ذكر ذلك في موضعه وقد جاء الأمر في الآية الأخرى صريحاً إذ قال لنيه « وشاورهم في الأمر » ودخول الأمة من باب أولى إذ أنه (ص) غني عن رأيهم بالوحي وذلك ليس لهم ومن أدلة ما ذكرناه ما قد تواترت به الأحاديث والآثار من تسمية أموال الملك بيت مال المسلمين ولم يرد أنها مال السلطان أو خزينته

ومنها انتخاب سائر الأمراء والعمال فقد ورد عنه (ص) أنه قال من ولي على قوم أو جماعة أميراً وهو يرى فيهم أفضل منه فعليه لعنة الله ومنها وجوب العمل بالمشورة على الإمام غير النبي (ص) وتعيين الصالحين والعقلاء

لها للآيات المتقدمة التي عمل بمقتضاها الخلفاء الراشدون. ذكر في كنز العمال ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كان اذا نزل به امر دعا رجلا من المهاجرين والانصار ودعا عمر وعثمان وعلياً وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت. ثم ولي عمر رضي الله عنه فكان يدعو هؤلاء ووصح ان اهل مجلس شورى عمر رضي الله عنه اهل الصفة وليس وجوب العمل بالمشورة مقصورة على الخليفة فقط بل هي واجبة على سائر الامراء والعمال فقد صح انهم كانوا يوصونهم بأخذ رأي من يحضرهم من عقلاء المسلمين بل كانوا يعينون لهم افراداً للرأي والمشورة ذكر في كنز العمال ان الصديق رضي الله عنه اوصى شرحبيل بن حسنة وكان أحد الامراء اذا نزل بك الامر يحتاج فيه الى رأي التقي الناصح فليكن اول من تبدأ به ابو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل واليك ثالثا خالد بن سعيد واياك واستبداد الرأي عنهم او نقوي عنهم بعض الخبر وكانوا يسألون الأمة عن سيرة أمراءهم ويتفقدون رضا الامنة اولئك الامراء وهذا هو الانتخاب اليوم عند اهل القرب او مثله ولا اختلاف الا في العبارات واللفظ

ومن تلك السياسة الاجتماعية الشرعية ان المسلمين يسعى بدمتهم ادناهم ومن خفروه في ذمته فعليه لعنة الله كما صح عنه ذلك صلى الله عليه وسلم

ومنها ايجاب الزكاة على اغنيائهم لترد على فقرائهم ومنافعهم الاجتماعية ومنها ايجاب الاستعداد الجندي على كل فرد فرد وحرّم القمار عليهم الا في ذلك وهل يجوز القمار مع غير اهل ملتنا فيه خلاف يذكر وفي تفسير «الم غلبت الروم» ومنها تحريم الرباء فيما بينهم مطلقا وامام غير اهل ملتهم فمحله اجتهاد وفي ذلك خلاف. ومنها وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى غير ذلك مما لا يتسع المقام لبيسطه فتركنا ذلك وأضعا ف أضعا ف مما يدل عليه الشرع ويسلم به كل عقل سليم صرنا الى ما صرنا اليه وقد اوصى عليه الصلاة والسلام امته باهل الذمة وأكد وكان الخلفاء الراشدون اذا أقاموا اميراً من المسلمين في ناحية يكون بها أحد من اهل الذمة أقاموا من تحته اميراً من اهل الذمة على قومه وشدد رسول الله (ص) في الوصية بالقبض وقال واستوصوا بهم خيراً فان لهم رحماً وقرباً «ولو أن المحل يحتمل الاطالة لا تبتنا بما لم

يكن في حساب من تأكيده (ص) الوصية بحيراتنا واخواتنا الوطنيين الذين تأدت
بيننا وبينهم عهد الله وذمته

وقد يعترض بأنه اذا لم تعزل السياسة جانبا عن الدين فاي فائدة في الشورى وان تقدم
اهل القرب انما ثبت واستقر لهم بمنعهم كل تدخل ديني في امور السياسة والملك وقد
يقال ايضا ان كثيرا من احكام الدين وعقوباته غير مناسبة لازمان ومصالحته والجواب
عن الاعتراض الاول ان فائدة مجلس الشورى هي النظر في جميع المسائل الاجتهادية أعني
غير المنصوصة في الكتاب والسنة كالنظر في اصلاح البلاد والعباد بالعلوم والتجارة والصنائع
المختلفة وحفظ الامة عن الاختلافات ووضع القوانين لذلك واصلاح اهل الذمة الى غير
ذلك من الفوائد التي يعسر حصرها ومن تلك الفوائد ما يأخذه السلاطين عشورا من
تجار المسلمين وهو محرم في دين الاسلام فيمكن اذا كان اركان مجلس الشورى منتخبيين من
سائر بلاد المسلمين برضاهم ووكلاء عنهم كل عن جهته وبلادهم فيتطوع عن اهل جهته
بذلك المقدار او اكثر منه وحيث انه وكيل عنهم في ذلك الشئ وغيره فلا يبعد ان يحل ذلك لدى
كل منصف من اهل العلم لا التقاليد محل القبول الى غير ذلك من فوائد ياله من فوائد . وكثير
من المسائل الشرعية قد تتبدل تبديلا وقتيا تبعا لمصلحة الازمنة والامكنة ولكنها تعود الى
اصلها بانتفاء المقتضي وهذه ايضا تفوض الى رأي المسلمين ومشورتهم وقد ذكر ذلك
علماء الاسلام

أما الاعتراض الثاني فيقال في جوابه انه لم يعرف في دين التصيرية ذكر للسياسة
فضلا عن أن يقال انهم تركوها جانبا أو يقال لعل سياسة دينهم غير موافقة لمصلحة
الزمان وعرفوا ذلك بعقولهم كما هي منسوخة لدينا لتلك العلة
واذا عرفت بهذا صلاح السياسة الدينية الاسلامية وان اهل الغرب لم يستطيعوا
أن يأتوا باحسن منها ولا أنسب للزمان منها بل سياستهم انما هي مستفادة من الاسلام
والمسلمين أفلا نكون أولى منهم بها لدلالة العقل على حسنيتها ولكونها حكما دينيا
شرعه الله لنا ثواب عليه ونسعد به في دنيانا وبعد موتنا

بقي الجواب عن الاعتراض الثالث وقد ذكر هذا الاعتراض صاحب المنار لبعض
أهواء مصر وهو انه كان يقول : لا يمكن أن تعمل الامة في هذا القرن بما وضع للعرب

من نحو ثلاثة عشر قرناً تقريباً: وقول بعضهم خلاف مصلحة الزمان ونعوذ بالرحمن من الكفر والخذلان، وما مرادهم بمصلحة الزمان وليس الزمان إلا تعاقب الليل والنهار ولا تنسب إليه مصلحة ولا مفسدة، فيتمين أن يكون المراد أهل الزمان الذين منهم الكافر والمسلم فإن كان مراد هذا المعارض الخذول أن شريعة الإسلام خلاف مصلحة المسلمين فقد كذب وافترى فإن مخالفة المصلحة لأبد من بيانه فاما أن يقول أن شريعة الإسلام مانعة عن الترقى للمسلمين وقد عرفت فيما مضى أن كل رقى ظهر على وجه الأرض بعدها أنه من بركة الإسلام وشعاع من مشكاته وإما أن يقول إن المسلمين يستنقلون الأحكام الشرعية وينزعون إلى مخالفة سلطانهم إذا أجراها عليهم وهذا أبعد كل بعيد فإن جميع المسلمين في جميع أقطار الأرض لا يسيرهم إلا إقامة شريعتهم وكل سلطان يخالفها فهو محقوت لديهم لا يمنحونه ودأ ولا يرون له طاعة وإذا كانت شريعة الإسلام بهذه المنزلة في اعتقاد أمة الإسلام فما بال المتخذلقين يضمون قوانين على المسلمين لا يرضون بها وترى الأمة أنها مخالفة لمصلحتها؟ ما لتلك القوانين أن كان أهل أوروبا رضوا بها فلا أنفسهم على أنهم ما اختاروها إلا لأن قومهم رضوا بها هذا ما يقال في سد النزاع من أصله أما لو تشعبت المسائل الشرعية والقانونية مع بيان عللها وأسرارها وغاياتها ومصلحتها ودفع المفساد ثم المعادلة بين الجرم وعقابه بعد تنزيل الجرم منزلته مع بيان ما ينتج عنه من المفساد فمن آمن النظر لم يبق له شك ولا التباس في أن شريعة دين الإسلام هي الأوفق بمصلحة كل زمان وأنها الموافقة للمقول وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها ومن غير الفطرة فإنه عليه اللهم أحبنا مؤمنين وأمتنا مؤمنين

وفي الحقيقة مثل هؤلاء المعارضين لا يقولون عن معرفة وعقل ولا يرمون لغاية وإصلاح فقولهم هذر لا يعبأ به إذ ليس اعتراضاتهم إلا عن دهشة وعجز وجبن يرمون به إرضاء أعدائهم الذين لا غرض لهم إلا اغتصاب بلادنا ودحرنا عنها فالمعارضون لن يرضى عنهم هؤلاء المغتصبون أبداً وقد أغضبوا ربهم ونبيهم وأمتهم فباؤا بغضب على غضب وسيصبرون إلى عذاب اليم إن لم يقلعوا ويفثوا

فيا أمراء المسلمين إن الغربيين لا يتقربون إليكم بتودد المخادعة محبة لذواتكم الشخصية

فلا تتخذوا لهم ما ذلك بل تطلقا لئلا تفرأوا وتنبأوا عنهم . ألامنا
هي مزاحمة عدو حاذق ليسلبوا منكم كل سعادة يسعون لذلك سعيًا حثيثًا واتم لا تشعرون ،
كمثل الظال يرى واقفا وهو يسير أسرع سير إلى أن يفتش كل شيء ثم يشتد ظلمهم فيعطل
كل تمييز وادراك ، أو كمن رآك بمجلس فارغا فجعل يمازحك بقاية الخدق ويزاحك
فإن رآك انكرته لاطفك قائلا : إن من ورأني من يدفعني ويدفعك ومضايقتي لك إنما
هي سبب مدافعتي عنك : ولا يزال كذلك حتى يخرجك وقد تمسك في موضعك فيدعي
انه حقه وأنه مستحقه فإن شئت فقف حيث توضع النعال ، فليس لك من هذا الصاحب
المهذب الا الاذلال ،

يا أمراء المسلمين راقبوا الله في قومكم وأبناء وطنكم أن تروثكم ورغد عيشكم ونيلكم
هذه المناصب إنما هو بهم والنصح والاخلاص لكم محال من سواهم فلا تبطروا ولا
يقرنكم ركوب العربات مع اهل القرب ونسائهم تلکم مصانعة مؤقتة للحصول على
مطالبهم ومداهنات مخفوفة بغايات والا فإما هي العلة ؟ ألرحم قرابة أم لاتحاد وطن
أم لرابطة دين ؟ (١) فراقبوا الله فينا وفي بلادكم واولادكم والغيرة الغيرة على شرفكم
وحرمتكم ، اتعجزون عن خداع من خادعكم ، اليس يقال : رب حيلة خير من قبيلة :
والعاقل قد يتحيل بالزمان والمصلحة ، ويتعلل بخوف الفساد والامة ، ومن يوم ليوم
الى ان تتوفر لديه العدة ويستكمل القوة وينشأ في قومه الاكفاء ، ماهذا الخوف والحين
فان احدا لا يستطيع ان يسأل السيف وإنما هي مخادعة في السياسة وترهيات ان قاومها
نبات أصبحت أضغاث أحلام والسعيد من اعتبر بغيره

ثم لينظر العاقل الى اهل الهند وبأي الحيل خدعت سلاطينهم ثم الى أي حالة انقلبت
حالة اولاد اولئك السلاطين والامراء المترفين تراهم في أنحاء البلاد يتكففون الناس مع
الفقراء والمساكين . تلك جنابة آباؤهم على بلادهم وقومهم احلت الثقمة باولادهم أكثر منها
بالرعية لان الرعايا لا يزالون كما كانوا سابقا يتكسبون لمعاشهم بل هم الآن يتكسبون أكثر
ولا يحق المكر السيء الا بأهله

ويا معشر المسلمين يا إخواني يا أولياء الغيرة يا معشر المصريين بشر فكم الا ما قلتم ليك
(١) حدثنا من هنا نبذة في عزير مصر ونظار حكومتها إذ لم نر لنصحه فيها فائدة

ليك إجابة مستغثت تقطعت احشاؤه غما وكآبة عليكم فأتتم قومه وأمه ورأس ماله وربحه بل اعز عليه من روحه. ان لي فيكم ايها المصريون املا وطيداً امنيتي اليكم ان تألفوا لجنة تسمونها مجلس الاسلام او ما شئتم ان تسموها يشترك فيها كل من اخاص اقومه ومملكه حبه وغرق في عشقهم اولئك الذين لا يهابون الخطوب ولا تعوقهم المصائب عن السعي في فلاح قومهم ونجاتهم وأشركوا فيها كل من يصلح للاشتراك من سائر طوائف المسلمين. وعلى اهل هذه اللجنة ان يبنوا الوعاظ الأمناء العقلاء في سائر انحاء بلاد المسلمين يدعونهم الى الوفاق وترك التقليد الذي فرقهم واضاع عليهم دينهم وبلادهم. وواقعهم فيما هم فيه من الجهد وعدم مجارة الامم المتقدمة. واهل هذه اللجنة يؤلفون وفداً من كبارهم وعقلائهم يوجهونه الى حضرة السلطان الخليفة الاعظم رأساً واذا لاقوه يبينون له حالة المسلمين وأسباب وهنهم وكذلك يبينون له كل اختلال واقع في بلاده ويلتمسون ان يوافقهم على اقامة مجلس شورى للمسلمين يرأسه السلطان نفسه شبهه بامبراطورية الجرمان او برلمان انكلترا. مجلس شورى المسلمين تتألف اركانه من جميع طوائف المسلمين وكل امير من امراء المسلمين يكون له نائب في ذلك المجلس من عرب نجد وحضرموت واليمن والحيجاز والعراق ومصر الى غير ذلك ومن أكراد وترك وغيرهم واهل هذه اللجنة اثناء عملهم يتناوبون في اقامة جماعة منهم في الاستانة. ويكون مقر لجنة الاسلام في مصر ومن مصر يبعثون الوفود الى سائر بلاد الاسلام وكذلك الدعاة والوعاظ ليسود الأمن والامان ، للاحرب والطمان ، بل لاشاعة العلوم واقفاذ المظلوم . ثم ان كل امير يبق امير أعلى امارته ويمقد بها مجلس شورى ايضا وكل هذه الاشياء بانتخاب الامة كشان اهل الغرب لكن على طريق الشرع

ومجلس الشورى يقنن القوانين في المسائل غير المتصورة شرعا ويمقد المعاهدة بين جميع الامراء وبين الخليفة الاعظم ويتعاهد بلادهم ويرسل اليها العلماء والحكماء والمهندسين والتفقات في ذلك عليهم بالمعروف ويحماهم على إنشاء المدارس وتأمين الطرق ومنع الظلم وفتح ابواب التجارة وليصلحوا من شأنهم وجنودهم بكل قوة وعدة يستطيعون بها دفع هجوم قطاع الطريق وكل فساد . وهم تبع لخليفةهم امام العدل والامان وجندهم مع جند سلطنة واحدة

هذا ما دعواكم إليه وهو لا ينقص فائدة عن المدارس التي تصرفون فيها الألف من الدنانير بل لانسبة بين ذا وذا وابن الثريا من الثرى. انكم ان فعلتم ذلك فقد بؤتم بالشرف وسدتم جميع المسلمين وكنتم السبب في نجاتهم والله كفيل بكم بالنصر والفلاح والتأييد واعلموا انكم ان رمت ذلك الاصلاح لتجدن في طريقه مقاومات ودسائس وعراقيل ولكن من صبر ظفر ومن سار على الدرب وصل ولا حين يطول عمرا ولا شجاعة تقصره وان تم لكم هذا المرام فن ذا الذي يمكنه ان يطمع في بلادكم او يتجرأ عليكم بالتهديد واثارة الفتن وهل يمكن اي طماع ان يتصور في ذهنه تقسيم بلادكم واحتلالها والحق لا يعدم نصيرا فان في اهل اوربا الحكماء والعقلاء المولعين بحب النوع الانساني بغير تعيين بلاد وقوم فهم بلا شك يساعدون في فعل هذا الخبر العميم

وقد اثبت في هذه الرسالة سبب سقوط المسلمين ثم سبب خلودهم في هذه الفترة واعقبت ذلك بالدواء النافع لهذا المرض وهو ايسر بالشديد ولا بالصعب المتعذر في جانب المضار المترتبة المقبلة على سائر الامة والبلاد انما ذلك يستدعي تديرا وسياسة ومعبرا وتجديد أمل بعد أمل من غير يأس وقوط وفي مدة قريبة تبين الفائدة يانا واضحا وتسمعن من بدوا الحيلال فضلا عن اهل المدن والقرى ما يسر قلوبكم وخواطركم من الطاعة والحمية والتقدم في المعارف وبذل الأنفس والاموال في محبة القوم والوطن ولتذهبن الاحقاد والضغائن التي ملأت اسباعنا من اقوال كثيرين من المسلمين من ان الاتراك يعاملون رعاياهم معاملة الفاتح لامة اجنبية وان الترك تفتخر وتعتقد ان السلطان انما هو سلطانهم وانهم اولى من سائر المسلمين بكل سلطة وامارة الى غير ذلك من الخيالات فبما ذكرناه يذهب ذلك كله ويعود المسلمون اخوانا كما واخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول الاسلام ولنا الرجاء الاوفر بمبادرة اخواننا المصريين الى هذه الامنية العالية ولا ترجو ذلك من غيرهم الا ان يكون ذلك غير قياس عقولنا وكل ميسر لما خلق له وآخردعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

(صالح بن علي الياضي)

١٤ ج ٢ سنة ١٣٢٢

(المنار) صفوة كلام الكاتب ان مرض المسلمين في أمرين هما الأصل في جميع الاعراض المؤلمة التي تتوحد منها أهل الشعوب منهم وهما استبداد الحكام والتقليد في

الدين الذي استلزم التقليد في كل شيء وكل من الأمرين مخالف الإسلام . ويلم قراء المنار ان هذا موافق لرأينا واننا لا نقاوم شيئا مقاومتنا لهذين المرضين الحبيثين واتما طريقنا في ذلك محاولة اقناع عقلاء الأمة وفضلائها بذلك تدريجا حتى اذا ما كثر المقتحمون بشيء نهض بتعميم الإصلاح فيه من يقضيه الله تعالى من الزعماء الذين بظهورون في الامم عند استعدادها للانقلابات الكبرى كما يظهر قبلهم المعدون لها لقبول الانقلاب .

أما أمانة الكاتب فهي من جملة ما يصح ان يعرض على المسلمين ليتفكر فيها اهل الفكر منهم وقد سبق لنا نشر مثلها في المنار وأعجبنا منه ان سهاها أمانة ولكنه حث عليها بعد ذلك بما يفهم منه انه له رجاء قويا في إنقاذ المصريين لها ، ولكن المصريين يعرفون من أنفسهم أنهم قد استعدوا للقول ولم يستعدوا للعمل لانفسهم فضلا عن العمل للجميع المسلمين . وان الاقوال التي تنشر في الجرائد المصرية قد غشت مسلمي الاقطار الاسلامية البعيدة عن مصر بالمصريين ولكنها لم تغش المصريين بأنفسهم وغاية ما كان من تأثيرها فيهم أن بغضت إليهم الاحتلال الانكليزي زمنا وعلقت آمالهم بفرنسا لا بأنفسهم وقد اقطع جبل هذا الامل بالوافق الفرنسي الانكليزي بل بحادثة نشوده قبله وثبت للمصريين بالاختبار ان جرائدهم كانت تغشهم لاجل سلب المال منهم وإحراز الجاه عندهم وان الانكليز خير لهم من أمراءهم السابقين ويحكمهم ان يرتقوا في ايامهم اذا عملوا وكان ذلك محالا عليهم من قبلهم وان الاحتلال المتنافي للاستقلال لا يمكن ان يقاوم بالقبيل والقال ، والانتكال على من لا يصح عليه الانتكال ، فزال من نفوسهم فكرة مقاومة الانكليز بالمرة ولكن العقلاء يعرفون ما لا ينكره الدهاء أن الاستقلال هو سعادة الامم ويتمنونه لبلادهم ولكن لا يوجد فيهم عاملون لاجل الاستقلال

ماذا رأى مسلمو الهند وغيرهم من الثائين الذين ينظرون الى المصريين بالمنابر المكبرة فتتمثل لهم صورة كل مصري في شكل ابي الهول؟ هل رأوا في هذا الهيكل العظيم آيات الحياة الاجتماعية الحقيقية وما هي هذه الآيات؟

يذكر كاتب هذه المقالة المدارس وبذل الالوف من الدنانير في سبيل إنشائها وبافضحية مصر اذا ذكر إنشاء المدارس وبذل المال لها . ان في سوريا ولبنان عدة مدارس كلية وليس في القطر المصري مدرسة كلية فالقطر المصري لم يصل في

الارتقاء بالتعليم وهو أغنى قطر إسلامي الى مساواة قرية زحلة من قرى لبنان بل تقول جريدة المؤيد إن المصريين لم يستعدوا ويرتقوا الى الدرجة التي تمكنهم من إنشاء مدرسة كلية . فلا تفرنك أيها الكاتب الغيور جمعية الجرائد المصرية . عند ما تذكر إنشاء مدرسة ابتدائية ، لاسيما اذا كانت منتسبة الى جمعية ، فليس ههنا مدارس حقيقة ولا تعاليم حقيقي ، ولا تفرنك شقشقة بعض الكتاتين فانما هم قوم يبيعون الكلام للعوام وللأمراء العظام والدليل على ذلك أنك لا تجد واحداً منهم يحارب الاستبداد والتقليد اللذين هما أقتل أمراض الأمة بل هما أصل جميع مصائبها ورزاياها ، ذلك أن محاربة التقليد تنفر منهم العوام تبعاً لرؤساء الدين ، ومحاربة استبداد الملوك والأمراء يحرمهم من الرتب والنياشين ،

انظر كيف ظهر بعد رجائك بالمصريين ولرجاؤك بالملوك والأمراء أبعد ، ولم يبق للإصلاح الا شيء واحد وهو السمي في تربية رجال مستقلين في أفكارهم وإرادتهم مقتنعين بوجوب السمي في إبطال التقليد والاستبداد والقيام بالأعمال العامة التي ترتقي بها الأمة والله الموفق والمعين

باب التربية بالتعليم

شذرات من يومية الدكتور أراسم (*)

يوم ٢٨ و ٣١ مارس سنة ١٨٦١

نحن الآن سائرون تحت خط السرطان ويرى على « لولا » أنها لغراتها قلب وجهها في السماء تفتيشاً عن ذلك الحيوان البشع الشبيه بالسرطان البحري في شكل أرجله كما هو مرسوم في التقاويم التي جعل فيها من علامات منطقة فلك البروج وهي بذلك تستهدف لسخرية « أميل » وزيارته

تجري بنا السفينة بأقصى سرعة لها تزجها رياح شديدة وقد مدت جميع شرعها فجمعت حبالها تنصر صريراً . ذلك أننا أردنا اغتنام هذه الرياح الانقلابية (١) التي يسميها

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب أميل القرن التاسع عشر .

(١) الرياح الانقلابية هي التي تهب بين دائرتي الانقلابيين من قطعة فلك البروج

الانكليز وياح الشمال الشرقي التجارية

يتدرج النهار في النقص ويكاد الآن يساوي الليل

تنفذ من باطن المياه أسراب كالغيوم من السمك الطيار وتسف سفيف الخطاف
فيما كان أحد الملاحين البسلاء يوقد مدخنته (عود دخان التبغ) البارحة اذ
اطمه جناح بارد مندى على خذّه فتولاه من ذلك دهش عظيم ثم التفت حوله فاذا
هو بسكة من ذلك الصنف تحت قدميه على ظهر السفينة ويندر ان تصل أمثالها في
اقدافها الى هذا الارتفاع وانما جذبها اليه ضوء المدخنة

أخوف سكان البحر الاخرى التي لم يرها (أميل) حتى الآن وأهيها بلانزاع
كلاب البحر ولاملاحين في صيدها نوع من الحماسة والنخوة وقد اصطادوا غدوة اليوم
واحدا من هذه العفاريث (كما يقولون لانهم أطلقوا عليها أبشع الاسماء كلها) وذلك
واسطة هبرة من لحم الخنزير زنتها نحو خمسة أرطال ألقتها اليه وكان منظر صيده
مؤثراً فاسترعى أبصار جميع المسافرين وبعثهم على الصعود الى ظهر السفينة لمشاهدته
وكان أول عمل لهم بعد صيده ان بتروا ذنبه بفأس وهو احتياط أراه ضروريا على
مافيه من القسوة لانه شوهد غير مرة ان إغفاله كان سببا في ان يكسر بذلك الطرف
المرن ساق بعض القرابين منه أثناء معالجته التقلت من أيدي صائديه ويا كل الملاحون
أحيانا صغار كلاب البحر غير انهم يقرون بالسنتهم ان لحمها غير جيد وهم اذا قتلوا
هذه الحيوانات فأنما يعيهم على قتلها مجرد بغضهم لها ولشدهما يؤذونها بسبب هذا البغض
وحجتهم فيه ان ما يصطادونه ويقتلونه منها التقم فلانا أو فلانا من أصحابهم فان لم يكن هو
الذي التقمه كان أخوه أو أحد أقاربه ولقد حاولت صدهم عن ممارسة هذه الألعاب
الوحشية مبينا لهم ان الانسان لا ينبغي له ان يعذب عدوه بعد غلبه فذهب نصحي أدراج
الرياح ولكني آمل ان لاتفوت « أميل » هذه العبرة

تبقى لكلا ب البحر بعد موتها في السفينة راحة خبيثة لاتزول الا بعد بضعة أيام
وهكذا الاشرار يؤذون حتى بعد موتهم من يسعون لخلاص الناس من شرهم

فلما يفهم الاطفال من القوانين شيئا الاقانون القصاص ذلك ان الملاحين اصطادوا
دلفينا (١) عشية اليوم الذي اصطادوا فيه كلب البحر فما كان من « لولا » إلا ان قالت

(١) الدلفين صنف من خنازير البحر

وهي تنظر اليه نظراً يشف عن الرحمة « لقد استحق هذا فاني رأيتهم كثير آمن من الاسماك الطيارة الجميلة » ولقد صدقت فان ما التهمه منها لم يكن الا لقمة واحدة من لقمه وان سنة الله في خلقه ان من أكل أكل وقد أثبتنا الملاحون لها بعمله عشاء لهم ولحم هذا الحيوان اذا غلي في الماء كان فيه شيء من الجودة الا انه يكون ناشفا

في نحو الدرجة السادسة عشرة والدقيقة الثلاثين من العرض الشمالي أنشأنا نرى في السماء برجاً جديداً يسميه الملاحون صليب الجنوب وهو مؤلف من خمسة نجوم وعجيبة أخرى أبصرناها في ذلك المكان وهي ان المياه تضيء ليلا وقد راع منظرها « أميل » و« لولا » فلم يستطيعا ان يفهما من التلذذ بجماله وان كان قد بعث فيهما شيئاً من الخوف فان كليهما سألاني من ذا الذي أوقد النار في البحر ففسرت لهما بما في وسمي ما أعلمه من أسباب هذه الحادثة التي لم تعلم تمام العلم وقد علل العلماء وجود هذا الضوء في الماء بوجود حيوانات مضيئة تشبه النباتات فيه

كان ذلك النور من شدة سطوعه بحيث ان « أميل » تناول كتاباً من جيبه وقرأ فيه على انعكاس ضوءه عن الامواج الملتفة هذا البيت من قصيدة لشكسبير وهو:

خير جزء في روعي وهي بالتحقيق روحك

نعم ان الله سبحانه لم يفيض علينا جميع روحه وما أقل ما أفيض علينا منه غير ان هذا القليل الذي يهبه لنا يتصل بروحنا اتصالاً حقيقياً (١)

الذي يدعيني من حادثة ظهور الضوء في البحار انها تقع عادة في أحلك الليالي. اهـ

يوم ٣ أبريل سنة ١٨٦٦

قد صرنا تجاه الرأس الاخضر ولما رأى الملاحون سكون الريح في هذا المكان أدلوا قواربهم وسبحوا لصيد السلاحف البحرية وهذه السلاحف من عادتها ان تظهر قريباً من سطح الماء فتكون كأنها نائمة فوقه فتصطاد بنوع من السهام له أربعة أسنان يسميها ملاحو الانكليز بالحبوب وكل ما يصاب منها بتلك السهام يجذب بعد صيده الى القوارب بواسطة حبال تكون في أيدي الرماة وقد رأيتهم اصطادوا

(١) يعني بالروح الالهى مابه حياة الخير والفضيلة والحق وهذا شيء من الله ليس

لغيره صنع فيه فأضيف اليه

منها في ساعتين ثمانية زنة كل منها من خمسة عشر الى خمسة وأربعين رطلا انكليزيا. اهـ

يوم ٤ ابريل سنة ١٨٦٦

أعوزتنا الرياح الانقلابية التي كانت مواتية لنا أحسن المواتاة على جريتنا في فضاء المحيط وعوضنا عنها الآن رياحا خفيفة متناوذة تهب على التعاقب من جهات مختلفة للافق واتقتب السماء في مواضع متفرقات منها بسحب يضاء وسفرت في مواضع أخرى برقة شاحبة جميلة وللشمس في هذا المكان شروق يخطف الابصار ضياؤه فلا تقوى على احتماله واما غروبها ففخيم جليل. اهـ

يوم ٩ ابريل سنة ١٨٦٦

نظرنا السماء شأيب ووابلا حارا. وكل ما زراه يؤذن باقترابنا من خط الاستواء فزى الملاحين على ظهر مقدم السفينة مشغولين بوضع لحي كاذبة لهم وتغطية رؤسهم بعوار من الشعر وارتداء ثياب بشعة حتى انه ليخيل للرائي انهم في أمس عيد المرافع وبشده أميل. هذه الضروب من الاستعداد شهادة الخائف لعلمه حق العلم بما سبلاقيه فان كل تلميذ بحري لم يجتز خط الاستواء لا بد أن يقتحم صنوف بلائه ومحنة كما هي العادة فلا تزال شعائر الملاحين القديمة متبعة وان كانت قد فقدت كثيرا من مظاهرها الصيبانية الوحشية التي كانت تجملها مخوفة جدا في قلب المبتدي في الملاحه وعلى كل حال فالملاح طفل ولولا ذلك لما لعب بالمخاطر ملاعبة الباسل المقدام. اهـ

يوم ١٣ ابريل سنة ١٨٦٦

اصطبغ. أميل. بالمعمودية البحرية فصار الآن من أولاد اله البحر. حالة الجو في اختلاف وتغير فن رياح شديدة الى سكون عام ومن مطر هتان الى شمس محرقة ترمي رؤسنا بسهام أشعتها العمودية

لقتنا الربان الى إعصار من الاعاصير المائية التي يخشاها الملاحون بحق فرأيناه من مسافة بعيدة وأكثر ما تنور هذه الاعاصير في جهة خط الاستواء. اهـ

يوم ١٥ ابريل سنة ١٨٦٦

صادقتنا سفينة قافلة من الهند أو من الصين الى بريطانيا العظمى وأذنتنا بإشاراتها أنها مستعدة لحمل ما نحملها من الكتب ولما كان تبادل صنائع المعروف مما تحفظ

به المودة في البحر أرسلنا لها بعض صحف انكليزية مضى على نشرها ستة أسابيع
ولكن أخبارها يكون لها من الجدة عند ركاها بالصباح عند سكان لوندريه
وقد كتبت وكتب وأميل، كلتين لصديقنا الدكتور وارنجتون . اهـ

أنا في مصر

الى مصر

حطمت البراع فلا تعجبي وعفت اليان فلا تعني
فأنت يا مصر دار الاديب ولا أنت بالبلد الطيب
وكم فيك يا مصر من كاتب أقال البراع ولم يكتب
فلا تعذلي لهذا السكوت فقد ضاق بي منك ما ضاق بي
ايعجبي منك يوم الوفاق سكوت الجماد ولعب الصبي
وكم غضب الناس من قبلنا لسلب الحقوق ولم نغضب
أنا في العصر إن الفريد بيجد بمصر فلا تلعي
يقولون في النثر خير لنا وللنثر شر من الاجني
افي الازيكية مثوى البنين وبين المساجد مثوى الاب
وكم ذا بمصر من المضحكات كما قال فيها أبو الطيب
أمور تمر وعيش يمر ونحن من اللهو في ملعب
وشعب يفر من الصالحات فرار السليم من الاجرب
وصحف تعطن طنين الذباب وأخرى تشن على الاقرب
وهذا يلوذ بقصر الامير ويدعو الى ظله الارحب
وهذا يلوذ بقصر السفير ويطلب في ورده الاعذب
وهذا يصيح مع الصائحين على غير قصد ولا مأرب
وقالوا دخیل عليه الفاء ونم الدخیل على مذهبي
رأنا نياماً ولنا نفق فشمروا للسمي والمكسب

وماذا عليه اذا قاتبا ونحن على العيش لم ندأب
 الفنا الجول ويا ليتنا الفنا الجول ولم نكذب
 وقالوا المؤيد في غمرة رماه بها الطمع الاشعي
 دعاه الفسرام بسن الكهول فجن جنونا بينت النسي
 فضج لها العرش والحاملوه وضع لها القبر في يثرب
 ونادى رجال باسقاطه وقالوا تلون في المشرب
 وعدوا عليه من السيئات الوفاً تدور مع الاحقب
 وقالوا لصيق بيت الرسول اثار على النسب الانجب
 وزكى أبو خطوة قولهم بحكم أحد من المضرب
 فا لتهاني على داره تساقط كالطير الصيب
 وما للوفود على بابه تزف البشائر في موكب
 وما للخليفة أسدى اليه وساماً يليق بصدر الابي
 فإمة ضاق عن وصفها جنان المفوء والاختط
 تضيع الحقيقة ما بيننا ويصلي البري مع المذنب
 ويهضم فينا الامام الحكيم ويكرم فينا الجول الغي
 على الشرق في سلام الودود وان طأطأ الشرق للمغرب
 لقد كان خصباً يجذب الزمان فأجذب في الزمن المنصب

القصيدة اشاعر مصر حافظ أفندي ابراهيم ويعني بقوله (يوم الوفاق) الوفاق الفرنسي
 الانكليزي على مسائلتي مصر ومرا كش وبقوله السفير الورد كرومر عميد الدولة
 المحتلة في مصر . ويعني بقوله « دخيل » ما يانط به بعض الاحداث هنا اذ يسمون
 السوريين المقيمين في مصر « دخلاء » حتى من اعتبره القانون مصرياً ويعني بقوله
 : فا لتهاني على داره : الخ ما ذكر في المؤيد من ان السلطان أنعم على الشيخ على
 يوسف صاحبه بمداليا الامتياز الذهبية والفضية وما نشر فيه من اسماء المهنيين بهذا الانعام .
 وقوله « وما للوفود على داره » البيت غير صحيح فلا وفود ولا وفد ولكنه من باب
 المبالغة الشعرية . ثم ان خبر هذا الانعام لما تحقق وقد كذبه جريدة الاهرام وسكت

لها المؤيد فلم يؤكده الخبر . والذي يقصده من الآيات في حادثة زوجية صاحب المؤيد أن المصريين لا يثبت لهم ولا اتفاق على شيء . فقد قامت قيامتهم على الشيخ علي يوسف عند ما شاع خبر عقده على بنت السادات في بيت البكري بدون حضور أبيها ولا إذنه وسلقته بألسنة حداد ، في كل سامر وناد ، ثم لم يلبثوا أن سمعوا إشاعة إمام السلطان عليه حتى انبرى كثيرون لهنته ، وقد كتبنا هذه الكلمات لتزيل اشتباه من اختلفوا في القصيدة أتضمن الانتصار للمؤيد أم لخصومه وليعتبر بما قال شاعر مصر في قصيدته وما وصف به قومه وجرائدهم كاتب المقالة في ضعف المسلمين وأمثاله من البعداء عن هذه الديار .

(التقرير)

(مقدمة ابن خلدون مع رحلته)

مقدمة ابن خلدون غنية عن التعريف والتقرير لا ينكر عارف مكانتها في فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع ولا فائدتها في ترقية العقل واللسان . وقد طبعت على حداثها مرات كثيرة وطبعها اخير السيد عمر الحشاش الكتيبي الشهير وطبع على هامشها رحلة المؤلف وجعل ثمنها مع ذلك خمسة قروش . ولو طبع الرحلة وحدها وباع النسخة منها بخمسة قروش لما شككنا في رواجها لما فيها من الفوائد العلمية والأدبية والتاريخية والقصائد والتراجم والحوادث المحررة بذلك القلم البليغ . وهذه الطبعة بحروف استانبولية جميلة لا كطبعة العقد الفريد وهي تطلب من مكتبة الطابع الشهيرة ولا شك أن استلاقي رواجاً عظيماً

✽ كتاب تطبيق الاجراءات القانونية . على مواد قوانين المحاكم الاهلية ✽

لا يستغني من يقيم في بلاد عن معرفة قوانينها التي يعامل بها في الادارة والقضاء فان الحاجة اليها لتعرض للانسان في أوقات يعوزه فيها المحامي وغيره من العارفين فيحار ولا يدري ماهو صانع . وقد أحسن بهذه الحاجة أحمد أفندي حسن رئيس المحضرين في محكمة الاستئناف الاهلية فألف كتاباً في ذلك أرشد فيه محتاج معرفة القانون الى ما ينبغي له عمله عند عروض الحاجة فينبه له حق إقامة الدعوى وكيفية ورسمها ومواعيدها وطرق استئنافها وتنفيذ الاحكام وغير ذلك . وأودع كتابه هذا مجموعة المواعيد القانونية وقانون القرعة العسكرية والقانون النظامي ولائحة التنظيم ولائحة المحاكم الشرعية وغير ذلك من القوانين واللوائح والاوامر العالية النسخة والمخصصة . وقد طبع الكتاب في مطبعة الشعب فزادت صفحاته على الخمس مئة وجعل ثمن النسخة منه عشرين قرشاً وهو يطلب من مكتبة الشعب بمصر

صحة المرأة في أدوار حياتها

« وهو مختصر في القواعد الصحية التي ينبغي أن تتبعها الفتاة حال البلوغ والزواج والمرأة في الحمل والولادة والنفس والرضاع ووظيفتها نحو أطفالها » تأليف الدكتور أحمد أفندي عيسى الذي كان طبيباً في مستشفى المجاذيب . وقد قال المؤلف انه اعتمد في تأليفه هذا على أشهر المؤلفات الفرنسية والانكليزية الحديثة والكتاب مؤلف من ١٩ باباً في المرأة جسمها وعقلها وبلوغها وفي الزواج سنه وموانعه وفي العقم والحمل والوضع والاحماض والرضاعة والاطفال وما يمرض للنساء في جميع الاطوار من الامراض وما يمرض كذلك للأطفال وكيفية المعالجة ومدارة الصحة وكيفية التربية الجسدية بالتفصيل . وفي هذه الابواب فصول كثيرة ، وفوائد غزيرة ، لا يستغني أحد عن مطالعتها ولا مطالع الا ويستفيد منها على ما فيها من الاصطلاحات الطبية . واتنا نذكر للقارئ نموذجاً من الفصل الثالث من الباب الاول ليرى الفرق بين الاشارة الى هذه الابواب وبين ما يدخل فيها من الفوائد . وهذا الفصل قد عقده المؤلف لبيان الوقاية الصحية في الزواج قال :

« للمدينة الحاضرة سيئات بقدر ما لها من الحسنات فمن سيئاتها انها سهلت انتشار كثير من الادواء العفنة المعدية التي تنتقل بالوراثة من السلف للخلف فلكل شيء آفة من جنسه . وهذه الادواء تفعل بالامم خفية ما كانت تفعله الاويثة ظاهراً في سالف الازمان فتتخر في جسم الامة نخر السوس في عيدان الخشب من تصرم حبالها وتقطع او صالها فتوردها موارد الهدم والفناء ، كل ذلك والامة لاهية كأنها في حالة خدر عام فلا تكاد تستيقظ الا والبلاء محيط بها إحاطة السوار بالمعصم » : ثم بين ان اتقاء هذه الادواء يكون باتقاء الامراض التي تنتقل بالزواج والوراثة وقال :

« وبما ان الوراثة هي انتقال الطباع والصفات والخواص من الاسلاف للأعقاب لزم قبل الزواج ان يلاحظ خلو الزوجين من الامراض الوراثية او المعدية او المسببة لهلاك احدهما اذا تزوج وأهم ما يجب الالتفات اليه والتبصر فيه عند الزواج الاحوال الآتية وهي (١) القرابة (٢) السيلان الصيدي (٣) الزهري (٤) السل الرئوي (٥) الادمان على السكر (٦) الامراض العصبية (٧) تشوه اعضاء التناسل (٨) ضيق الحوض (٩) التشوهات الخلقية (١٠) امراض القلب والكبد والكلية (١١) الامراض البديارية (١٢) اي المتعلقة بالبنية (١٣) الاورام السرطانية » :

وقد ذكر في الكلام على السيلان والزهرى ما يجب ان ينظر فيه الشبان المصريون الذين اعتادوا الفواحش غير مباين بأرواحهم ولا بأجسادهم ولا ببلادهم وامتهم وقال في الادمان على السكر الذي فشا فيهم ما نصه:

«الادمان على السكر او التسمم الفولي هو نتيجة الاستمرار على شرب الخمر سواء كان متابعا او متقطعا وليس هو التأثير الوقى الناتج عن شرب كمية عظيمة منها في آن واحد المعبر عنه بالسكر الذي تزول أعراضه بمجرد توزيع المشروب في البنية وللادمان على السكر تأثير واضح في الشخص وفي سلالة فأما تأثيره على الشخص فمعلوم للمدمنين عليه وغيرهم وأما تأثيره على النسل فان الشخص المتسمم به ينتقل سمه وعلمه الى ذريته من بعده فهو خطر عليه وعلى عائلته وذريته مما وعلى الامم والنوع الانساني بالتالي ونقد عرف بالبحث ان الفول (الكؤول) يسكن في اعماق العناصر التشرىحية للجسم وعلى الخصوص في الخلايا العصبية التي تضطرب اذ ذاك تفذيها ووظائفها ويأخذ هذا الاضطراب والاستحالة في وظائف الخلايا في الانتشار بطريق التلقيح واذا كان الفول يندي اخلاط الجسم وانسجته وينها الحصى والميضين فلا غرابة بعد ذلك ان تكون الحيوانات المتوية والبويضات نفسها قد غشها من الفساد ما غشها او تكون ذرية المدمنين قد اصبحت بالسقوط العصبي الذي بدل عليه سرعة التهييج والتشنجات العصبية التي تحدث في سن الصغر والصرع والبله وضمف القوى العصبية المضلية التي تحدث في سن الشيخوخة

ومما يزيد الادمان على السكر خطرا أنه بعد أن يقرر الشخص يتبعه في نسله وذريته ومن يولد من أبوين مدمنين وليس هو بمدمن فانه يحمل آثار الضعف البني ويكون عرضة للاصابات باضطرابات قد تنتهي بالعتة أو الشلل أو العمى وقد أثبت بالتجارب هذه الوراثة كل من توميف ومارسيه وكرونز ولازيج وديجيرين وجرينه وفورنه ولانسروه وفيريه وكثيرون غيرهم

ومما أن تأثير الخمر يكون بالاختصاص على المجموع العصبي فأولاد المدمنين عليها يكونون في الغالب عصبيين فيصابون إما بأفات كبيرة في المراكز العصبية ، وإما باضطرابات في الوظائف العصبية فقط وكذلك يصابون بملل وراثية شاذة شبيهة

بالملل الوراثية الزهرية أو الدرقية العديدة القياس كالعلل الناشئة عن فساد التغذية (الديستروفيات) ووقوف النمو وغرابة الحلقة

وللوراثة هنا كذلك تأثير قاتل على الجنين وعلى الطفل بعد ولادته حتى انه قد تلاشت بذلك عائلات بأجمعها في عقبين أو ثلاثة أعقاب وزيادة على ما تقدم من العلل قد تصاب ذرية المدمنين بتشوهات متضاعفة كعدم تساوي وتمائل الجمجمة أو صفرها أو استسقاء الدماغ أو قصر القامة أو تأخير أو انحراف في نمو القوى العقلية كضعف الذاكرة والعبط والبله أو تحفظ الحالة الصيانية أو أن تكون سريعة التهيج والفضب وكثيرا ما تصاب كذلك بالهستيريا وما يتبعها من العلل الحاسية والنفسانية كخلل التوازن في القوى العقلية وعدم الاكتراث وضعف الارادة وشدة الانفعال وتارة بحسن الاخلاق أو فسادها (١)

فيعلم من ذلك ومن كثرة التجارب التي عملت أن وراثته الادمان على السكر هي حقيقة لا ريب فيها وعلى ذلك يجب منع زواج المدمنين على السكر في حالة الخوف من رجوع الداء اذا لم يتمتع صاحبه عن الاستمرار فيه وكذلك متى كانت النتائج الناجمة عنه ذات خطر، اهـ وثمن الكتاب عشرون قرشاً فنحن كل قارئ على مطالعته

﴿ قصة الاخ الغادر وما يتبعها ﴾

لقد أحسن صاحب (مسامرات الشعب) في اختيار قصصها هذه الكرة مالم يحسنه من قبل إذ اهتمنى الى قصص متعددة في الصورة متحدة في الحقيقة فيها روح من الأدب والفضيلة - اولها قصة الاخ الغادر والثانية قصة (لو تعارفوا ماتوا) والثالثة قصة (الأمريكية الحسنة) والرابعة قصة (برح الحفاء) وقد صدرت الثلاث الاول وموضوعها نبيل فاضل من الفرنسيين عشق فتاة مهيبة خياطة زكية الطينة فتعجب اليها بالمجاملة وحسن المعاملة فأحبته على تكره وجهها به فخطبها الى جدتها الكافلة لها فرفضت به فأودعها حملا قبل تسجيل عقد الزوجة فانقطع عنها فظنت هي وجدتها انه خانها وهجرها فاشتد

(١) ومن التجارب التي عملت بمناسبة ذلك ان جيء بكلبة تسمت بالغول ثم أطلق عليها كلب سليم فولدت منه ١٢ كلبا مات جميعها في ظرف ٦٧ يوما وكان سبب وفاتها آفات في الخلايا سببها الاستحالة الغولية اهـ من هامش الاصل

حزنها وما كان حجره لهما بل للحياة الدنيا فانه كان يلاعب صديقا له بالسيف فسبقت اليه ضربة
ففقأت عينه وفاضت بها روحه وكان حدث صديقه القاتل بفاتحة حديثه مع الفتاة وبما عهد الى
المسجل من تسجيل عقد الزوجية وإرجائه الافصاح باسم الفتاة له وللمسجل فترك المسجل
في ورقة العقد ياضا ليكتب فيه الاسم

هذه فاتحة القصة او القصص وهي ليست بشيء والحديث المفيد يتبدىء بعدها عند
ما أراد الصديق القاتل والمسجل البحث عن الزوجة المستودعة وارث بيت ذلك النيل ولقبه
(مركيز) وكان له اخ خليع فاسد الاخلاق وهو الاخ الغادر حال دون ذلك ليكون هو وارث
أخيه فاستولى على أوراقه وأحرق منها كل ماله تعلق بذلك المرأة وعرف مكانها فخادعها
حتى أخرجهما من باريس الى الريف ليخفيها عن الصديق والمسجل وذلك مفصل في القصة
الاولى وترى في الثانية شابين التقيا وتحبا في حرب فرنسا لتونكيين وهما ابن المركيز المقتول
الذي لا يعرف له أبا وابن المركيز الوارث بالباطل تحت قيادة الضابط القاتل وعودته ما الى
باريس معه وكانت والدته اليتيم قد أثرت ووالد الآخر قد أعدم حتى أشرف على بيع
دارهم القديمة للدائنين - تلك أثرت بالعمل مع الفضيلة والاستقامة، وذلك أملق بالمقامرة
وسوء السيرة ثم علم الاخ الغادر بأن صديق ابنه هو ابن عمه خافول الايقاع بينهما بمد
ما أحب ابن أخيه ابنته وأحبته ورجوا ان يكونا زوجين فكلف أبوها الخاطب بأن يتعرف
بنسبه تمجيزا له . وكان الضابط بمد عودته عاود السمي في معرفة زوج صديقه المقتول
وكان وعد والدته بذلك فظهرت له بوادر النجاح وكل هذا من مباحث القصة الثانية

واما الثالثة فموضوعها ان غانية أمريكية غنية جاءت مع والدتها الى باريس وبنت
لها فيها قصرا مشيدا وأظهرت من دلائل البذخ والترف ما ألقت اليها اعناق شبان باريس
وكانت من اصل وضعيع وقد جاءت تحتال بذلك على اصطياد زوج من النبلاء فأثقت الحيلة
وكاد ابن المركيز ان يقع في فخها

وفي القصص الثلاث من تقبيح الحلال الفاسدة والاخلاق القبيحة والتفكير من
القمار والترغيب في الفضائل لاسيما الوفاء وحسن الاخاء والشجاعة وكرم الاصل ما فيه
عبرة للقارئ ولذلك اطلنا من الكلام عليها وستكون القصة الرابعة كاشفة لقطاء او
مدينة لالتهاء ، ولذلك سميت (برج الحفاء)

بقية الحكمة من بناء ومن يوت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

بشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للسلام صوى «منارا» كمنار الطريق)

(مصر — اثنا عشر ١٦ شعبان سنة ١٣٢٢ — ١٢٥ أكتوبر (ت) سنة ١٩٠٤)

❖ القسم الديني ❖

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ
لِلَّذِينَ وَالِ الَّذِينَ وَالِ الْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ * فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ
مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * فَمَنْ خَافَ
مِنْ مَوْصٍ جُنْفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *
بعد ما ذكر في الآيات السابقة حكم القصاص في القتل وهو ضرب
من ضروب الموت ذكر ما يطالب ممن يحضره الموت وهو الوصية. والخطاب
فيه موجه الى الناس كلهم بأن يوصوا بشي من الخير لاسيما في حال حضور

الموت لتكون خاتمة أعمالهم خيرا وهو على نسق ما تقدم في الخطاب
بالقصاص من اعتبار الأمة متكافلة يخاطب المجموع منها بما يطلب من
الأفراد وقيام الأفراد بحقوق الشريعة لا يتم إلا بالتعاون والتكافل والائتمار
والتناهي فلولم يأمر البعض وجب على الباقي حمله على الائتمار وفسروا الخير
بالمال وقيده إلا كثرون بالكثير أخذوا من التشكيك ولم يقيده الجلال بذلك . قال
الاستاذ الامام : لم يقتصر أحد من المفسرين على ذكر المال فقط الا مفسرنا
وقوله صادق فيمن ذكره وجهها وذكر وامعه قول من قيده بالكثير كاليضاوي
وجزم المفسر بان الآية منسوخة بآية المواريث وحديث الترمذي : لا وصية
لوارث : ورده بعضهم فكلام الجلالين في المسألتين غير مسلم

اما الاول فقد قالوا ان المال لا يسمى في العرف خيرا الا اذا كان
كثيرا كما لا يقال فلان ذو مال الا اذا كان ماله كثيرا وان تناول اللفظ صاحب
المال القليل وأيدوا هذا بما رواه ابن أبي شيبة عن عائشة (رض) قال لها
رجل أريد أن أوصي قالت كم مالك قال ثلاثة آلاف قالت كم عيالك قال
أربعة قالت قال الله تعالى «إن ترك خيرا» وهذا شيء يسير فتركه لعيالك
فهو أفضل . وروى البيهقي وغيره ان عليا دخل على مولى له في الموت وله
سبع مئة درهم أو ست مئة درهم فقال ألا أوصي قال لا إنما قال الله تعالى
«ان ترك خيرا» وليس لك كثير مال فدع مالك لورثتك فعبارتهما تدل
على أنهم ما كانوا يفهمون من الخير الا المال الكثير . واختلفوا في تقدير
الكثير فروى عبد بن حميد عن ابن عباس أنه قال : من لم يترك ستين
دينارا لم يترك خيرا . واختار الاستاذ الامام عدم تقديره لاختلافه باختلاف
العرف فهو موكل عندنا الى اعتقاد الشخص وحاله ولا يخفى ان العرف

يختلف باختلاف الزمان والاشخاص والبيوت فمن يترك سبعين دينارا في منزل فقير ، وبلد فقير ، وهو من الدهماء فقد ترك خيرا . ولكن العامل أو الوزير ، اذا تركا مثل ذلك في المصر الكبير ، فهما لم يتركا الا العدم والفقير ، ومالا يفي بتجهيزهما الى القبر ،

وأما الثانية فهي خلافة والجمهور على أن الآية منسوخة بآية الموارث أو بحديث : لا وصية لوارث : أو بهما جميعا على أن الحديث مبين للآية . قال البيضاوي . وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ بآية الموارث وبقوله عليه السلام « ان الله أعطى كل ذي حق حقه ألا لا وصية لوارث » وفيه نظر لأن آية الموارث لا تعارضه بل تؤكد من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الآحاد وتلقي الأمة له بالقبول لا يحققه بالتواتر : اه أي والظني من الحديث لا ينسخ القطعي منه فكيف ينسخ القرآن وكله قطعي وقد زاد الاستاذ الامام عليه أنه لا دليل على أن آية الموارث نزلت بعد آية الوصية هنا وبأن السياق ينافي النسخ فان الله تعالى اذا شرع للناس حكما وعلم أنه مؤقت وانه سينسخه بعد زمن قريب فانه لا يؤكد ويوثقه بمثل ما أكد به أمر الوصية هنا من كونه حقا على المتقين ومن وعيد من بدله ، وبامكان الجمع بين الآيتين اذا قلنا إن الوصية في آية الموارث مخصوصة بغير الوارث بأن يخص القريب هنا بالمنوع من الإرث ولو بسبب اختلاف الدين فاذا أسلم الكافر وحضرته الوفاة والداد كافرين فله أن يوصي لهما بما يؤلف به قلبهما وقد أوصى الله تعالى بحسن معاملة الوالدين وان كانا كافرين « ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهدك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما » الآية (العنكبوت) وفي آية لقمان

بعد الأمر بالشكر لله ولهما « وان جامداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروف وا تتبع سبيل من أناب إلي » الآية . أفلا يحسن أن يختم هذه المصاحبة بالمعروف بالوصية لهما بشيء من ماله الكثير . (قال) وجوز بعض السلف الوصية للوارث نفسه بأن يخص بها من يراه أحوج من الورثة كأن يكون بعضهم غنيا والبعض الآخر فقيرا . مثال ذلك أن يطلق أبوه أمه وهو غني وهي لا عائل لها الا ولدها ويرى أن ما يصيبها من التركة لا يكفيها . ومثله أن يكون بعض ولده أو إخوته - ان لم يكن له ولد - عاجزا عن الكسب فنحن نرى ان الحكيم الخبير اللطيف بعباده الذي وضع الشريعة والأحكام لمصلحة خلقه لا يحتم ان يساوي الغني الفقير والقادر على الكسب من يعجز عنه فاذا كان قد وضع أحكام الموارث العادلة على أساس التساوي بين الطبقات باعتبار أنهم سواسية في الحاجة كما أنهم سواء في القرابة فلا غرو أن يجعل أمر الوصية مقدما على أمر الارث أو يجعل نفاذ هذا مشروطا بنفاذ ذلك قبله ويجعل الوالدين والأقربين في آية أخرى أولى بالوصية لهما من غيرهم لعلهم سبحانه وتعالى بما يكون من التفاوت بينهم في الحاجة أحيانا فقد قال في آيات الارث من سورة النساء « من بعد وصية يوصي بها أو دين » فأطلق أمر الوصية وقال في آية الوصية هنا ما هو تفصيل لتلك .

ورأيت الألويسي نقل عن بعض فقهاء الحنفية أن آية الارث نزلت بعد آية الوصية بالاتفاق وأن الله تعالى رتب الميراث على وصية منكرة والوصية الأولى كانت معهودة فلو كانت تلك الوصية باقية لوجب ترتيبه على المعهود فإلم يترتب عليه ورتب على المطلق دل على نسخ الوصية المقيدة

لان الاطلاق بعد التقييد نسخ كما ان التقييد بعد الاطلاق نسخ: فاما دعواه
الانفاق في التقدم والتأخر فلا دليل عليها وأما تأويله فظاهر البطلان وقاعدة
الاطلاق والتقييد إن سلمت لا تؤخذ علي إطلاقها لان شرع الوصية على
الاطلاق لا ينافي شرع الوصية لصنف مخصوص ونظير هذا الأمر بمواساة
الفقراء مطلقا والأمر بمواساة الضعفاء والمرضى منهم لا يتعارضان ولا يصح
ان يكون الثاني منهما مبطلا للأول الا اذا وجد في العبارة ما ينفي ذلك.
وما في الآيتين ليس من قبيل تعارض المطلق والمقيّد وانما آية الوصية
خاصة وذكر الوصية منكورة في آية الإرث يفيد الاطلاق الذي يشمل
ذلك الخاص وغيره. فاذا سلمنا لذلك الحنفي بأن آية الميراث متأخرة فلا
نسلم له أنه كان يجب أن تذكر فيها الوصية بالتعريف لتدل على الوصية
المعروفة اذ لو رتب الإرث على الوصية المعهودة لما جازت الوصية لغير
الوالدين والأقربين. ولو كان الأسلوب العربي يقتضي ما قاله لما قال
علي وابن عباس وغيرهما من السلف بالوصية للوالدين والأقربين على
ما تقدم وقد نقل ذلك الألوسي نفسه بعد ما تقدم عنه ولكنه سمي
التخصيص نسخا فنقل عن ابن عباس أنها خاصة بمن لا يرث من الوالدين
والأقربين كأن يكون الوالدان كافرين قال ودروي عن علي كرم الله تعالى
وجهه: من لم يوص عند موته لدوي قرابته - ممن لم يرث - فقد ختم عمله
بمعصية: ثم ذكر ان الأكثرين قالوا بأن هذه الوصية مستحبة لا واجبة
وسمى هذا كغيره نسخا للوجوب. ولنا أن نقول إن أكثر علماء الأمة
وأئمة السلف يقولون ان هذه الوصية المذكورة في الآية مشروعة ولكن
منهم من يقول بعمومها ومنهم من يقول إنها خاصة بغير الوارث فحكمها اذا

لم يبطل فهاذا الحرص على اثبات نسخها مع تأكيد الله تعالى إياها والوعيد على تبديلها ؟ ان هذا الا تأثير التقليد

فقد علم مما تقدم ان آية المواريث لا تعارض آية الوصية فيقال بأنها ناسخة لها اذا علم أنها بعدها واما الحديث فقد أرادوا ان يجعلوا له حكم المتواتر أو يلصقوه به بتلقي الامة له بالقبول ليصلح ناسخا على أنه لم يصل الى درجة ثقة الشيخين به فلم يروه أحد منهما مسندا ورواية أصحاب السنن محصورة في عمرو بن خارجة وأبي أمامة وابن عباس وفي إسناد الثاني اسماعيل بن عياش تكلموا فيه وانما حسنه الترمذي لأن اسماعيل يرويه عن الشاميين وقد قوى بعض الأئمة روايته عنهم خاصة . وحديث ابن عباس معلول اذ هو من رواية عطاء عنه وقد قيل إنه عطاء الخراساني وهو لم يسمع من ابن عباس وقيل عطاء بن أبي رباح فان أبا داود أخرجه في مراسيله عنه وما أخرجه البخاري من طريق عطاء بن أبي رباح موقوف على ابن عباس . وما روي غير ذلك فلا نزاع في ضعفه فعلم أنه ليس لنا رواية للحديث صححت الا رواية عمرو بن خارجة والذي صححها الترمذي وقد علمت ان البخاري ومسلم لم يرضياها فهل يقال أن حديثا كهذا تلقته الامة بالقبول ؟ وقد توسع الاستاذ الامام هنا في الكلام على النسخ وملخص ما قاله ان النسخ في الشرائع جائز موافق للحكمة وواقع فان شرع موسى نسخ بعض الاحكام التي كان عليها ابراهيم وشرع عيسى نسخ بعض احكام التوراة وشريعة الاسلام نسخت جميع الشرائع السابقة لان الاحكام العملية التي تقبل النسخ انما تشرع لمصلحة البشر والمصلحة تختلف باختلاف الزمان فالحكيم العليم يشرع لكل زمن ما يناسبه وكما تنسخ شريعة بأخرى يجوز

ان نسخ بعض أحكام شريعة بأحكام أخرى في تلك الشريعة فالمسلمون كانوا يتوجهون الى بيت المقدس في صلاتهم فنسخ ذلك بالتوجه الى الكعبة وهذا لا خلاف فيه بين المسلمين ولكن هناك خلافا في نسخ أحكام القرآن ولو بالقرآن فقد قال أبو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني المفسر الشهير ليس في القرآن آية منسوخة وهو يخرج كل ما قالوا انه منسوخ على وجه صحيح بضرب من التخصيص أو التأويل وظاهر ان مسألة القبلة ليس فيها نسخ للقرآن وإنما هي نسخ لحكم لا ندرى هل فعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم باجتهاده أم بأمر من الله تعالى غير القرآن فان الوحي غير محصور في القرآن ولكن الجمهور على ان القرآن ينسخ بالقرآن بناء على انه لا مانع من نسخ حكم آية مع بقائها في الكتاب يعبد الله تعالى بتلاوتها وتذكر نعمته بالانتقال من حكم كان موافقا للمصلحة وحال المسلمين في أول الاسلام الى حكم يوافق المصلحة في كل زمان ومكان فانه لا ينسخ حكم الا بأمر منه كالتهفيف في تكليف المؤمنين بقتال عشرة أمثالهم والاكتفاء بمقاتلة الضعف بأن تقاتل المئة مثتين . واتفقوا على انه لا يقال بالنسخ الا إذا عذر الجمع بين الآيتين من آيات الأحكام العملية وعلم تاريخهما فعند ذلك يقال ان الثانية ناسخة للأولى . اما آيات العقائد والفضائل والاخبار فلا نسخ فيها . ونسخ السنة بالسنة كنسخ الكتاب بالكتاب بل هو أولى وأظهر وكذلك نسخ السنة بالكتاب كما في مسألة القبلة ولا خلاف فيهما . ومن قبيل هذا نسخ الحديث المتواتر لحديث الآحاد

اما الخلاف القوي فهو في نسخ القرآن بالحديث ولو متواترا والحديث المتواتر باخبار الآحاد والذي عليه المحققون الأولون ان الظني (وهو خبر

(الآحاد) لا ينسخ القطعي كالقرآن ولا الحديث المتواتر والحنفية وكثير من
 محققي الشافعية صرحوا بجواز نسخ الكتاب بالسنة المتواترة لأن النبي صلى
 الله عليه وآله وسلم معصوم في تبليغ الأحكام فمضى أيقنا بالرواية عنه واستوفت
 شروط النسخ تعتبر ناسخة للكتاب كما إذا نسخت آية وآية وذهب آخرون ومنهم
 الإمام الشافعي كما في رسالته المشهورة في الأصول بأنه لا يجوز نسخ حكم من
 كتاب الله بحديث مهما كانت درجته لأن للقرآن منزلة لا يشاركه فيها غيره
 وقد أورد الشافعي كثيرا من الأحاديث التي زعموا أنها ناسخة لأحكام
 القرآن وبين أنها غير ناسخة بل بين أنها مفسرة ومبينة (قال الاستاذ)
 ولا أعرف لأبي حنيفة قولاً في هذه المسائل . والأصوليون المتقدمون
 من الحنفية والشافعية لا يقولون بنسخ القرآن بغير المتواتر من الأحاديث
 وإن اشتهر بنحو رواية الشيخين وأصحاب السنن له والدليل ظاهر فإن
 القرآن منقول بالتواتر فهو قطعي وأحاديث الآحاد ظنية يحتمل أن تكون
 مكذوبة من بعض رجال السند المتظاهرين بالصالح خداع الناس أقول
 وهناك تمييز آخر وهو أن كل ما في القرآن وحي من الله تعالى قطعاً وأما
 الأحاديث فإن فيها ما هو من اجتهاد النبي عليه الصلاة والسلام وهو
 دون الوحي وإن كان قد تقرر أن النبي ماذا أخطأ في اجتهاده لا يقر على
 الخطأ بل يبين له كما في قوله تعالى « ما كان لنبي أن يكون له أسرى » الآية
 وقوله « عفا الله عنك لم أذن لهم » الآية . وقال بعضهم ينسخ الكتاب
 بالسنة ولو خبر آحاد لأن دلالة الآية على الحكم ظنية فكأن الحديث لم ينسخ
 إلا حكماً ظنياً وفاتهم أن دلالة الحديث أيضاً ظنية فكأننا ننسخ حكماً
 ظنياً إسناداً إلى الشارع قطعي بحكم ظني إسناداً إليه غير قطعي بل يحتمل

أنهم لم يقل به. ولما كان الخلاف هنا ضعيفا جدا احتاج القائلون بنسخ حديث
:لا وصية لوارث: لآية الوصية الى زعم تواتره بتلقي الامة له بالقبول وقد
علمت ان هذا غير صحيح. وقد صرح بعض الشافعية بأن الخلاف في
نسخ الكتاب بالسنة انما هو في الجواز وأنه غير واقع قطعا

وقالوا ايضا أن السنة لا تنسخ الكتاب الا ومعهما كتاب يؤيدها والظاهر
في مثل هذه الحال ان يقال ان الكتاب نسخ الكتاب لأنه الأصل
وكانهم أرادوا تصحيح قول من قال بالنسخ تعظيما له أن يرد قوله، وتعظيم
الله تعالى أولى ثم تعظيم رسوله يتلو تعظيمه ولا يبلغه وانما يطاع الرسول
ويتبع بأذن الله تعالى

ومن أغرب مباحث النسخ ان الشافعية الذين يبالغ امامهم في الاتباع
فيمنع نسخ الكتاب بالسنة ثم هو يبالغ في تعظيم السنة واتباعها ولا يبالي
برأي أحد يخالفها يقول بعضهم ان القياس الجلي ينسخ السنة مع ان
البحث في العلة أمر عقلي يجوز ان يخطئ فيه كل أحد ويجوز أن يكون
ما فهمناه من عموم العلة غير مراد للشارع فاذا جاء حديث يناقض هذا العموم
وصح عندنا فالواجب أن نجعله مخصصا لعموم الحكم ولا نقول رجما
بالغيب انه منسوخ لمخالفته للعلة التي ظانها. فاذا كانت المجازفة في القياس
قد وصلت الى هذا الحد وقد تجرأ الناس على القول بنسخ ثبات من الآيات
والى إبطال اليقين بالظن وترجيح الاجتهاد على النص فعلينا ان لا نخجل
بكل ما قيل وان نعتصم بكتاب الله قبل كل شيء ثم بسنة رسوله التي جرى
عليها أصحابه والسلف الصالحون وليس في ذلك شيء يخالف الكتاب العزيز.
وصفة القول أن الآية غير منسوخة بآية الموارث لأنها لا تناقضها ولا

دليل على أنها بعدها بل تؤيدها ولا بالحديث لانه لا يصلح لنسخ الكتاب
وان حكمها باق ولك أن تجعله خاصا بمن لا يرث من الوالدين والاقرين
كما روي عن بعض الصحابة وان تجعله على اطلاقه . ولا تكن من المجازفين
الذين يخاطرون بدعوى النسخ فتنبذ ما كتبه الله عليك بغير عذر لا سيما بعد
ما كده بقوله (حقا على المتقين) وبقوله : (من بدله) أي ما أوصى به
الموصي (بعد ما سمعه) وعلم به (فانما إثمهم على الذين يبدلونه) من ولي
ووصي وشاهد وقد برئت منه ذمة الموصي (ان الله سميع) لما يقوله
المبدلون في ذلك (عليم) بأعمالهم فيه فيجازيهم عليه . والضمير في المواضع
الثلاثة راجع الى الحق أو الايصاء أي أثره . وقوله سميع عليم يتضمن
تأكيد الوعيد

ثم قال (من خاف من موص جنفا أو إثما فأصلح بينهم فلا إثم عليه)
الجنف بالتحريك الخطأ والاثم يراد به تعمد الاجحاف والظلم كأنه قال
ان خرج الموصي في وصيته عن المعروف والعدل خطأ أو عمد افتتاز الموصي
لهم فينبغي ان يتوسط بينهم من يعلم بذلك ويصلح بينهم ففسروا الخوف
ههنا بالعلم . قال الاستاذ الامام الآية استثناء ممن قبلها أي ان المبدل
للوصية آثم الا من رأى إجحافاً وجنفاً في الوصية فبدل فيها لاجل الاصلاح
وإزالة التخاصم والتنازع والتعادي بين الموصي لهم فغير بخاف بدلا عن
رأى أو علم تبرئة للموصي من القطع بجنسه وإثمه وتحميا من تقييد
التصدي للاصلاح بالعلم بذلك يقينا يعني ان من يتوقع النزاع للجنف أو
الاثم فله أن يتصدي للاصلاح وان لم يكن موقنا بذلك وللتعبير عن مثل
هذا العلم بالخوف شواهد في كلام العرب . والمصلح مثاب مأجور ونفي

الاثم عن تبديل الوصية المحرم تبديلها يشعر بذلك اذ لو لم يكن التبديل
للاصلاح مطلوباً لم ينف الاثم عنه . وختم الكلام بقوله (إن الله غفور رحيم)
للاشعار بما في هذه الاحكام من المصلحة والمنفعة وبأن من خالف لاجل
المصلحة مع الاخلاص فهو مغفور له

فَتَاوَى الْمَبْتَلَى

فتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا
اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة
بالترجيح غالباً وربما قد منامتأخراً السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لثقل هذا . ولمن
ينضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان عندنا سبب صحيح لا غفاله

الناسخ والمنسوخ في القرآن

(س ٧٨) السيد احمد منصور الباز في (طوخ القراموص) : ثبت أن في القرآن
ناسخاً ومنسوخاً وان من المنسوخ ما نسخ حكمه وبقي رسمه ومنه العكس كقوله
والشيخ والشيخة اذا زنيا فارجوهما البتة نكالا من الله ، فقد ثبت في الصحيح أن
هذا كان قرآناً يتلى . ومما نسخ حكمه وبقي رسمه ولا يعلم له ناسخ كما في الصحيح
لو كان لابن آدم واديان من ذهب لمتى لهما ثالثا ، الخ فهل من حكمة ترشدنا اليها
بناركم وضاح السبل في إبقاء رسم المنسوخ ورفع رسم الناسخ مع بقاء حكمه وفي نسخ
لفظ مع بقاء حكمه وعدم وجود ناسخ له

(ج) قد تقدم في التفسير المنشور في هذا الجزء أهم أحكام النسخ وحكمته
ومنها الاشارة الى أن حكمة بقاء الآية التي نسخ حكمها التذكير بنعمة النسخ والتعبد
بتلاوتها اما نسخ لفظ الآية مع بقاء حكمها أو نسخ لفظها وحكمها معا فما لا يجب علينا
اعتقاده وإن قال به القائلون ورواه الراوون وقد علمه القائلون به والنسوا له من الحكمة
ما هو أضعف من القول به وأبعد عن المعقول

واعلم أن القرآن كلام الله المنزل على نبيه محمد (ص) وهو أصل الدين وأساسه

أحكمت آياته فلا تفاوت فيها ولا اختلاف ولا تناقض ولا تعارض وما ذكره من
الجل التي قالوا إنها كانت من القرآن ونسخ لفظها لاتضاهي أسلوب القرآن ولا
تحاكيه في بلاغته والتصديق بذلك مدعاة لتشكيك المالحدين في القرآن . وقد
ثبت أن بعض الزنادقة كانوا في زمن الرواية وتلقي الحديث من الرجال يلبسون
لباس الصالحين ويضعون الحديث وكان يروج على الناس لاستيفائهم شروط الرواة
الظاهرة من العدالة وحسن الحفظ وغير ذلك حتى إن بعضهم تنب ورجع عما كان
وضعه ولولا اعترافه به لم يعرف فما يدرينا أن بعضهم مات ولم يتب ولم تعرف حقيقة
حاله وبقي ماوضعه رائجا مقبولا لم يطعن في سنده أهل النقد . لأجل هذا لا يعتمد
على الحديث الا اذا كان مع صحة سنده موافقا لأصول الدين الثابتة بالقطع ولغير ذلك
من الحقائق القطعية ككون الشمس لا تغيب عن الارض كلها عند ما تغيب عنا كل يوم
وانما تغيب عنا وتشرق على غيرنا الا اذا أمكن الجمع ، ولا يؤخذ بأحاديث الآحاد
الصحيحة السند في العقائد لأنها ظنية بانفاق العلماء والعقلاء والله تعالى يقول « وان
الظن لا يغني من الحق شيئا » ومثلها آيات في التنبيه على الكافرين باتباع الظن .
واذا كان القرآن لا يثبت الا بالتواتر المفيد للقطع وكان كون الآية منسوخة فرع
كونها آية كان لنا بل علينا أن لا نصدق بأن كون هذا القول آية منسوخة الا إذا
روي ذلك بالتواتر من أول الاسلام كما روي القرآن . وليس فيما زعموا أنه قرآن
نسخت تلاوته شيئا متواترا . وهذا الذي روي من حديث « الشيخ والشيخة اذا
زنيا » مروي عن أبي بن كعب وروي أيضا من حديث أبي أمامة عن خاتمه العجماء
وعن عمر (رض) وليس هذا من التواتر في شيء وكذلك الآخر الذي فيه
« لو كان لابن آدم واد لاتبى اليه ثانيا » الخ وفي رواية « لو كان لابن آدم واديان » الخ
فهو موقوف على أبي فان سلمنا أن السند اليه صحيح فابن التواتر الذي لا يكون إلا
برواية جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب . وجملة القول انه لم يرو في هذا المقام
حديث صحيح السند الا قول عمر في الشيخ والشيخة اذا زنيا وهو من رواية الآحاد
ولذلك خائف الخوارج وبعض المعتزلة في الرجم ولم يكفرهم أحد بذلك . وأنا لا اعتقد
صحته وان روي في الصحيحين فمن أنكر علي من المقلدين ذلك فليكتب الي لا سرده عشرات

من أحاديث الصحيحين لم يأخذ بها أئمة وفقهاء مذهبه وسائر المذاهب الذين لا ينكر على أحد منهم شيئا وحجتي واضحة وهو أن المقام مقام إثبات القرآن وطريق إثباته التواتر بالاجماع فلو تواترت الرواية عن عمر أو غيره وأجمع عليها لقلت بأن عمر قال ذلك والأحاديث الصحيحة الصريحة المسندة المرفوعة إلى النبي (ص) التي خالفها الفقهاء كثيرة وهي في الأعمال التي يجب أخذها من أحاديث الآحاد بالاجماع وعدم اعتقاد صحة هذا الحديث لا يترتب عليه ترك مشروع ولا إثبات خلافه فلا ضرر فيه وإنما الضرر في ترك ما تركه وأملك تقول ما هو جواب منبني هذا الضرب من النسخ فأقول قال السيوطي في الاتقان مانصه :

«الضرب الثالث نسخ تلاوته دون حكمه وقد أورد بعضهم فيه سؤالاً وهو: ما الحكمة في رفع التلاوة مع بقاء الحكم وهلا أقيمت التلاوة ليحتمل العمل بحكمها وتواب تلاوتها؟ وأجاب صاحب الفنون بأن ذلك ليظهر به مقدار طاعة هذه الأمة في المسارعة إلى بذل النفوس بطريق الظن من غير استيفصال لطلب طريق مقطوع به فيمرعون بأيسر شيء كما سارع الخليل إلى ذبح ولده ببنام والمنام أدنى طريق الوحي له وهو كما ترى لقيمة له فإن الوحي للأنبيا كاه قطعي وبذل النفوس هنا لا معنى له. والأحكام التي رويت لنا عن الآحاد فأفادت الظن كانت يقينية عند الذين سمعوها من النبي (ص) فإذا كانوا سمعوا الآية من النبي ثم فرضنا أنه أمرهم بتركها وعدم قرائتها مع بقاء العمل بها أفلا يقال ما هي حكمة ذلك بالنسبة إليهم وإلى من بعدهم

﴿ مذهب العامي واتباعه الرخص ﴾

(س ٧٩) ومنه : يقال العامي لامذهب له فهل يجوز له أن يقلد كل مذهب في

رخصه ولو بسبب عذر ضعيف

(ج) قولهم العامي لامذهب له صحيح لانزاع فيه فإن ذا المذهب هو من له طريق في معرفة الأحكام بدلائلها والواجب على العامي أن يسأل أهل الذكر أي العارفين بالكتاب والسنة عن كل مسألة تعرض له قائل ما هو حكم الله تعالى في هذه المسألة فما أخبروه به عن الله وعن رسوله وجب عليه الأخذ به إذا اعتقد أن المسؤول ثقة عارف ولا يجوز له أن يتبع رأي أحد يخالف ذلك فإذا بلغه عن الشارع في أمر عزيمة ورخصة فله أن يعمل بالرخصة عند الحاجة ويحمل العزيمة هي الأصل . ومن يسأل عن رخص المذاهب وآراء العلماء ويتبع أسرارهم عليه وأقربهم من هو هو متلاعب بدينه .

❦ الوصية المنامية المنسوبة الى النبي (ص) ❦

(س ٨٠) أرسل إلينا السيد صالح السرجاني بمصر صورة هذه الوصية وسألنا بيان رأيان فيها لقراء النار وهي:

❦ بسم الله الرحمن الرحيم ❦

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم قال الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام في ليلة الجمعة وهو يقرأ القرآن العظيم فقال لي يا شيخ أحمد المؤمنین حالهم تعبان من شدة معصيتهم فاني سمعت الملائكة وهم يقولون تركوا ذكر الله سبحانه وتعالى فأراد ربك أن يغضب عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يارب ارحم أمي فانك أنت الغفور الرحيم وأنا أعلمهم بذلك يتوبوا وان لم يتوبوا الامر اليك وهم قد ارتكبوا المعاصي والكبائر وتركوا الدعاء واتبعوا الزنا ونقصوا الكيل وشربوا الخمر واشتغلوا بالغبية والنميمة واحتقروا الفقير والمسكين ولا يعطوا الفقير حقه وتركوا الصلاة ومنعوا الزكاة فأخبرهم يا شيخ أحمد بذلك وقول لهم لا تتركوا الصلاة وأتوا الزكاة واذا مر عليكم تارك الصلاة لا تسلموا عليه واذا مات لا تمشوا في جنازته وانتبهوا واستيقظوا واجتنبوا الفواحش مظهر منها وما بطن وقل لهم الساعة قد قربت ولا يبقى من الدنيا الا القليل وتظهر الشمس من مغربها فأرسلت اليهم وصية بعد وصية فلم يزدادوا الا طغياناً وكفراً ونفاقاً وهذه آخر وصية فقال الشيخ أحمد قد استيقظت من منامي فوجدت الوصية مكتوبة بجانب الحجرة النبوية بخط أخضر فقال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأها ولم ينقلها كنت خصمه يوم القيامة ومن قرأها ونقلها من بلد الى بلد كنت شفيعه يوم القيامة فقال الشيخ أحمد والله العظيم قسما بالله ثلاثا ان كنت كاذبا فخرج من الدنيا على غير الاسلام فمن بدله بعد ما سمعه فاني ائمه على الذين يدلونه ان الله سميع عليم ومن شك في ذلك فقد كفر وعليكم بتقوى الله نخو من المهالك وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تمت بالتام والكمال والحمد لله على كل حال وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم اه بنصها المطبوع المنشور

(النار) اتنا تذكر أننا رأينا مثل هذه الوصية منذ كنا نتعلم الخط والتهجي

الى الآن مرارا كثيرة وكلها معزوة كهذه الى رجل اسمه الشيخ أحمد خادم الحجره النبوية والوصية مكذوبة قطعاً لا يختلف في ذلك أحد شم رائحة العلم والدين وانما يصدقها البداء من العوام الأميين ولا شك أن الواضع لها من العوام الذين لم يتعلموا اللغة العربية ولذلك وضعها بعبارة عامية سخيفة لاحاجة الى بيان أغلاطها بالتفصيل. فهذا الاحق المقتري ينسب هذا الكلام السخيف الى أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء صلى الله عليه وآله وسلم ويزعم أنه وجدته بجانب الحجره النبوية مكتوباً بخط أخضر يريد أن النبي الانمي هو الذي كتبه ثم يجزأ بعد هذا على تكفير من أنكره. فهذه المعصية هي أعظم من جميع المعاصي التي يقول انها فشت في الامة وهي الكذب على الرسول عليه الصلاة والسلام وتكفير علماء أمته والعارفين بدينه فان كل واحد منهم يكذب واضع هذه الوصية بها وقد قال المحدثون ان قوله (ص): من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار: قد نقل بالتواتر ولا شك ان واضع هذه الوصية متعمد لكذبها ولا ندري أهنالك رجل يسمى الشيخ أحمد أم لا

اما تهاون المسلمين في دينهم وتركهم الفرائض والسنن وانهما كهم في المعاصي فهو شاهد وآثار ذلك فيهم مشاهدة فقد صاروا وراء جميع الامم بعد ان كانوا بدينهم فوق جميع الأئمة وللعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون، الا ان يتوبوا ولا حاجة لمن يريد نصيحتهم بالكذب على الرسول ووضع الرؤى التي لا يجب على من رآها ان يعتمد عليها شرعاً بل لا يجوز له ذلك الا اذا كان ماراً موافقاً للشرع فالكتاب والسنة الثابتة بين أيدينا وهما مملوآن بالعظات والعبر، والآيات والنذر،

❦ كيفية فرض الصلاة والمراجعة فيه ❦

(س ٨١) عوض افندي محمد الكفراوي في (زفتي): أحقيقة ما يقال او يروى من ان الصلاة كانت اول ما فرضت خمسين صلاة وان النبي (ص) راجع فيها ربه بارشاد موسى عليه السلام حتى جعلها الله خمسا في الفعل وخمسين في الاجر؟ أفيدونا ولكم الاجر من الله ولا زال مناركم هاديا للمسلمين

(ج) إن ما ذكر مروي في حديث المعراج وقد اختلف فيه المسلمون على صحة سنده والمتنبون له وهم الجمهور وقد اختلفوا في كونه وقع يقظة أم مناما واستدل القائلون

بانه منام برواية شريك عند البخاري إذ يقول النبي (ص) في آخرها « ثم استيقظت » وفي رواية له أنه رأى ما رأى وهو بين النائم واليقظان . ومسألة المراجعة على كل حال من المشابهات او من الشؤون الغيبية الروحية وقالوا ان من حكمها تكرار المناجاة وما يتبعها من منة التخفيف والله أعلم

صححة الرؤى والاحلام

(س ٨٢) ومنه : هل من سند صحيح الاعتقاد بصحة الرؤى والاحلام فقد فشت بين عامة المسلمين

(ج) إنما يحتاج الى صحة السند في اثبات الاخبار المنقولة عن الآحاد ولا حاجة الى ذلك هنا فان صدق الرؤيا واقع بالتجربة وثابت بالكتاب ولكن ما يصدق منها قليل جدا ولا يقع الا الاقل من الناس وهو لا يعلم الا بعد ظهور تأويله بالفعل كما وقع لمن رأى في شهر يوليوس سنة ١٩٠٣ تلك الرؤيا للشيخ علي يوسف وكتب بها اليه وكان في باريس وهي أنه تزوج فكان لزواجه نبأ ولفظ وحكم القاضي بطلان العقد وطفق الشيخ علي يسمي ويتخذ الوسائل لدى الحكومة وبعض النظار . وقد أجاب الشيخ علي يوسف صاحب الرؤيا بكتاب من باريس يذكر فيه تأويلا لها يصرفها عن ظاهرها ولكنها وقعت بعد سنة كما رآها الرائي وكتابه محفوظ عند الشيخ علي وكتاب الشيخ علي في تأويلها محفوظ عنده . وقد قال الصوفية ان الرؤيا الصالحة تسر ولا تنفر فلا يجوز لاحد الاعتماد عليها واثقة بها وقال أهل الشرع ان الرؤيا لا تعتبر شرعا في اثبات الاحكام أو نفيها فلا يجوز لمن سمع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام شيئا أن يعتقد به على أنه من الدين وذلك لعدم الثقة بضبط الرائي وحفظه لما رأى ولان الشريعة قد كملت في حياته (ص) فلا تحتاج الى زيادة كما قال تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم »

كتاب إصابة السهام والعادات المتبعة في الجمعة

(س ٨٣) السيد محمد البسيوني بكفر الباجور :

إني كنت بمجلس يحتوي أناسا من أهل العلم وكنا نقرأ في كتب دينية منها (كتاب إصابة السهام ، فؤاد من حاد عن سنة خير الانام) تأليف حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ محمود محمد أحمد خطاب السبكي أحد علماء الازهر الشريف حالا وهذا الكتاب

يحتوي على أحكام دينية ومبطل لبعض العادات الموجودة بالمساجد مثل قراءة سورة الكهف في يوم الجمعة بصوت عال والترقي فيه بين يدي الخطيب والافتح في الجنائز فأنا بعض سادتنا العلماء يعترضون على المؤلف وقد ألفت كتب ضد الكتاب المذكور حتى صار الآن بعض البلاد بمركزنا وهو مركز منوف (المنوفية) ينقسم الى قسمين أحدهما تبع خطة الشيخ محمود خطاب المذكور والآخر غير موافق له حتى يؤل الامر أحيانا الى نزاع رسمي بين الفريقين وحيث اننا لم نعرف المصيب من الخطي فقد حررنا هذا راجين من حضرتكم أن تفيدونا بمجلتكم العلمية حتى نهدي الى الصواب ولحضرتمكم الفضل

(ج) ان الشيخ محمود خطاب قد أهدى إلينا كتابه المذكور في السؤال وقرظناه في الجزء الاول من مجلد المنار السادس ونقلنا عنه ما ذكره في بدع الجمعة وكان الشيخ محمد نجيت ألف رسالة في ذلك قرظناها في الجزء الرابع والعشرين من المجلد الخامس وفي الاول والرابع من المجلد السادس وبينا في هذا التقرير خطأ من يزعم أن الترقية وقراءة الكهف من الامور المشروعة في يوم الجمعة كمؤلف الرسالة فالسبكي هو المصيب وقراءة مؤلفاته نافعة ان شاء الله تعالى واذا أردت زيادة الايضاح فارجع الى الاجزاء التي ذكرناها .

وجوب الحتان أوسنتيه

(س ٨٤) من الشيخ مصطفى الحنبلي في (حلوان) : حصل بيننا وبين بعض النباه خلاف في مسألة فقهية دينية موجودة في كتب الفقه وهي (الحتان واجب على الذكر والانثى) وردت هذه القاعدة الفقهية في شرح الدليل وشرح الزاد للإمام احمد بن حنبل وعليكم بعد ذلك بكتاب المنتهى للإمام احمد أيضا فأقنونا ودام فضلكم

(ج) اننا نطبع في هذه الايام كتاب (المقنع) في الفقه الحنبلي وهو من المتون المعتمدة وعاليه حاشية جلية وفيها عند قول اتين « ويجب الحتان ما لم يخفه على نفسه » مانصه « وهو شامل للذكور والانثى وعنه لا يجب على النساء وصححها بعضهم وعنه يستحب » اهـ المقصود ومنه يعلم أن في المسألة روايات أشهرها الوجوب وهو مذهب

الشافعي والرجال والنساء فيه سواء. والمشهور أنه سنة قال النووي وعليه أكثر العلماء ومنهم الحنفية والمالكية وقد جرى عليه العمل ولكن لا يوجد حديث يحتج به في الأمر به فحديث «ألقى عنك شعر الكافر واختن» عند أحمد وأبي داود والطبراني وابن عدي والبيهقي قال الحافظ بن حجر فيه انقطاع وعظيم وأبوه (كليب راويه) مجهولان. وقال ابن المنذر: ليس في الحتان خبر يرجع إليه ولا سنة تتبع: واحتج القائلون بأنه سنة بحديث اسامة عند أحمد والبيهقي «الحتان سنة في الرجال مكرمة في النساء» ورواه الحجاج بن أرطاة مدلس. والذي لا نزاع فيه هو ما قلناه من أنه سنة عملية كان في العرب وأقره النبي (ص) وعده من خصال الفطرة وهو من ذرائع النظافة والسلامة من بعض الأمراض الخطرة.

نقض الوضوء بمس الذكر

(س ٨٥) السيد محمد بن عبد الله بن محمد البار الحسيني في (عدن): نروم من حضر تكم الاعراب عما تروونه في الحديثين الواردين في انتقاض الوضوء وعدمه حديث «من مس ذكره فليتوضأ» وحديث «هل هو الا بضعة منك» هل الحديثان صحيحان وهل بينهما تعارض وما الذي بان لكم الحق فيه وما الذي يجب ان نعمل به؟

(ج) الحديث الاول فيه روايات أحسنها وأشهرها حديث بسرة مرفوعاً «من مس ذكره فلا يصلي حتى يتوضأ» رواه مالك والشافعي وأحمد وأصحاب السنن الاربعة وغيرهم وصححه غير واحد منهم وقد احتج البخاري ومسلم بجميع رجال سنده ولم يخرجاه في صحيحهما لاختلاف وقع في سماع عروة من بسرة قال البخاري ان مروان حدث به عروة فاستراب فارسل مروان رجلاً من حرمه الى بسرة فعاد اليه باثبات الخبر عنها ومروان مطعون في عدالته وحرسه مجهول ولكن ثبت عن غير واحد من الأئمة ان عروة سمع من بسرة بعد ذلك كافي صحيح ابن خزيمة وابن حبان قال عروة فذهبت الى بسرة فسلتها فصدته. قال في المنتقى: وقال البخاري هو أصح شيء في هذا الباب: ووردت أحاديث أخرى بمناه.

واما حديث «هل هو الا بضعة الامنك» فقد رواه أحمد وأصحاب السنن والدارقطني من حديث طلق بن علي بلفظ: الرجل يمس ذكره أعليه وضوء: فقال (ص)

«هل هو الابضة منك» صححه عمرو بن القلاس ورجحه على حديث بسرة هو وعلي بن المدني والطحاوي وصححه أيضا ابن حبان والطبراني وابن حزم ولكن ضعفه الشافعي وأبو حاتم وأبو زرعة والدارقطني والبيهقي وابن الجوزي وقال قوم أنه منسوخ منهم ابن حبان والطبراني وابن العربي والحازمي لتأخر إسلام بسرة عن إسلام طلق ولما كان عليه الناس من العمل بحديث بسرة لأنها حدثت به في دار المهاجرين والانصار ولأن من شواهد حديث بسرة ما رواه طلق نفسه وصححه الطبراني عنه بلفظ «من مس فرجه فليتوضأ»

وجملة القول ان حديث بسرة أصح سندا لأن رجاله رجال الصحيحين وحديث طلق لم يحتج الشيخان برجال سنده وهو من رواية ابنه قيس عنه وقال الشافعي سألنا عن قيس بن طلق فلم نجد من يعرفه وقال أبو حاتم وأبو زرعة أنه ممن لا تقوم به حجة فالأول أصح سندا ومن رأى عند المصحيحين لحديث طلق ما في ما طعنوا به على سنده ولم يثبت عنده النسخ فله ان يحمله على الرخصة كما قال الشمراني في ميزانه ويحمل حديث بسرة على الزينة . أما ترجيح حديث طلق على حديث بسرة فلا وجه له البتة والله أعلم

(س ٨٦) ومنه : ثم نروم الافادة عما كان صلى الله عليه وسلم يلبسه من الثياب في غالب أوقاته وعما حث على لبسه (ص) وما نهى عنه ، وهل تتبع الثياب الفاخرة محمود أو مذموم ؟ لازتم من أحيا السنة وأمات البدعة

(ج) كان صلى الله عليه وآله وسلم يلبس في غالب أوقاته لباس قومه من الازار والرداء ولبس أيضا من لباس الروم والفرس وحث على لبس الثياب البيض وكان أحب الثياب اليه ان يلبسها الحبرة كافي حديث أنس عند الشيخين وغيرهم وهي (كفتية) برد يثاني من القطن أو الكتان سمي بذلك لانه محبر أي مزين بالخطوط والالوان وكان من أحبها اليه كذلك القميص كافي حديث أم سلمة عند أحمد وأصحاب السنن ما عدا ابن ماجه وكان يعم ويسدل عمامته . ولم يتسروا ولكنه قال : ائتروا وتسروا : ونهى عن ايس الحرير المصمت الا الحاجة كعرض وعن المنسوج بالذهب وتقدم تفصيل ذلك في المنار وعن لباس الشهرة وعن جبر اثوب خيلاء وقالوا ان المراد بثوب الشهرة ما يخالف

به اللابس الناس ليرفعوا اليه أبصارهم فيثبه عليهم ويفتخر بلبوسه وهذا من السخف
والصفار فان عالي الهمة لا يفتخر بثيابه . ولم يثبه عن اللبوس الفاخر مع حسن القصد
بل لبس ثيابا غالية الثمن . وفي حديث ابن مسعود عند أحمد ومسلم قال قال رسول
الله (ص) : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » فقال رجل ان
الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا فقال (ص) : « ان الله جميل يحب الجمال
الكبر بطر الحق وغمص الناس » أي احتقارهم . وجملة القول ان اللبس من الأمور
العادية والثابت لا يذم لباسا الا اذا كان في لبسه ضرر في الاخلاق أو غيرها كالاسراف

باب الترتيب والتعظيم

نابذة العصر ، ومستقبل مصر

(أو الترتيب الحديثة)

أن للألفاظ دولا كدول الاشخاص يعز بعضها في زمن وبذل في زمن آخر
اذتدول العزة الى غيره وان لفظ الترتيب الحديثة هو في هذا العصر أقوى الالفاظ دولة
وأعز نفراً حتى يوشك أن يكون له الظهور والاستعلاء على لفظ (بيك) ولفظ (باشا)
الذي طفق يتدحرج من قنة عزه بابتذال لرتب التي يقرن بها اذ صارت تباع بالدرهم
والعروض وصار سباسة البيع يتباخسون ويتناجشون فيها ويدبج بعضهم على بيع بض
بالوكس ، والتمن البخس ، حتى رفع الوضع ، وتبرم الرفيع ، وأما لفظ الترتيب وما اشتق منه
كالمرتبي والمتربي فلم يسجل صريه ، ولم يهن نصيره ، ولم يخرج عن نصابه ، ولم يعد من شبابه ،
ذا كان لفظ (بيك) او (باشا) قد احترم ولا يزال يحترم لانه عنوان الجاه والنزوة ،
والقرب من رجال الدولة ، فان لفظ (المتربي) يحترم اشد الاحترام لانه عنوان العام والادب ،
والسياسة والسكاسة ، وصاحبه ، وضع الامل والرجاء بخدمة الامة ، والارتقاء بالوطن الى
القمة ، والمستحق لاعمال الحكومة ، وانقاد على القيام بالمشروعات العظيمة ، ويقولون ان
اكثر الذين تحلوا بالرتب ، التي تقرر بذلك الاقب ، قد تدلوا بغرور ، ولبسوا ثوبي زور ، لان
رتبهم من المواضع الرسمية ، التي تخط بسوء حال الحكومة والمعية ، (المعية في العرف حاشية
الامير الحاكم) ولقب المتربي من اصطلاح اهل العلم ، ومواضع اهل الذكاء والفهم ، فهم يطلقونه

على صاحبه بحق ، ويجرون فيه على عرق ، واني لا انكر قولهم الاول ، ولا اعترف باطلاق القول الثاني ، فانه ان صح انهم لا يطلقون كلمة مترب على غير من اخذ بسهم من الفنون الحديثة على الطريقة الاوربية ، واصطغ بشئ من ألوان المعيشة الافرنجية ، فلن يصح ان من كان له هذا السهم ، فهو مثال الفضيلة والعلم ، والقادر على النهوض بالامة والبلاد ، الى ذرى السيادة والاسعاد ، واليك البيان

ترى جرائد الدهان تملأ ماضيها فخرا بأن محمد علي باشا وخلفه هم الذين أسعدوا البلاد المصرية بادخال هذه الترية الحديثة فيها فأحيوها بها بعد موتها ولكن ما بال هذه الحياة التي نفخ روحها في الامة منذ قرن كامل لم تصدر عنها آثار الاحياء في الاخلاق الفاضلة والاعمال النافعة ونظام البيوت ووحدة الامة واستقلال الحكومة ومنعتها الواقية من التحيز الى الاجنبي والاستنصار به والاستدلال له وتمكينه من ناصيتها ألم ترتق أمة اليابان بعد الاخذ بعلوم اوربا بخمس وعشرين ؟ ؟ فابال الامة المصرية لم ترتق بعد مئة من السنين ،

اذا كان ترقى الامة هو استقلالها ، ونهوضها بأحكامها وأعمالها ، وكان أمراء مصر قد نهضوا بأهلها وجذبوهم الى الرقي والكمال ، فما بال الامير عند أول نبأ من الامة في طلب الاستقلال ، ومشاركة السرا كسة في الاعمال ، قد استغاث بدولة انكلترا لتنقذه من الامة وتؤيد سلطته عليها وتمكن له في أرضها وقد كان من أمرها في تمكين هذه السلطة ان اخذت من السرا كسة والترك أكثر مما كان المصريون يطلبونه لانفسهم بل استولت على كل شئ ، حتى لا يبرم بغير يديها شئ ،

احتلت انكلترا أرض النيل فقيدت الحكومة وأطلقت الاهالي وكان من هذا الاطلاق حرية للمطبوعات كثرت بها الجرائد وكثر اللفظ في السياسة ، والسياسة هي الفتنة الكبرى للناس فتن بها المصريون حتى شغلهم عن الانفعال بالحربة التي منحوها واغتر بفتنتهم كثير من الناس فظنوا ان وراء ثروة الجرائد المصرية وتبجحها بدم الانكليز ومعارضتهم حياة طيبة واستقلالاً كاملاً حاجته القوة فأنشأ يوائها ويناصبها ولا يلبث ان يغلبها . ولم تلبث الحرب أن فثأت وانجلي الغبار عن أفراد استغفرتهم المنفعة الشخصية ففروا ، واستنزمهم طلب الجاه ففزوا وطفروا ، وقد سكنت الآن الزعازع ،

وسكت المنازع ، وأقصى ما كان من تأثير هذه السياسة أن غرت الامة بغيرها ، ولم تحاول ان تغرها بنفسها ، ودعتها الى حياة سياسية ، ولم تدعها الى حياة اجتماعية ، وفقد الشيء لا يعطيه ، ولا ينضح الاناء الا بما فيه ،

نعم ان المصريين لم يغتروا بأنفسهم فاتنا منذ جئنا هذه البلاد نسمع من شكوى خاصتهم وعامتهم ما يدل على عدم ثقتهم بأنفسهم وعدم رضاهم عن حالهم في التعلم والترية والعمل والاقتصاد وكل مقومات الحياة . ووجدنا الشعوب التي مازجتها تشكو من أخلاقهم وحالهم أشد مما يشكون ، وكنا نظن ان الجميع مبالغون فيما يقولون ، لان رجاءنا في مصر والمصريين كان عظيما وقد ضعف الآن ولكنه لم يذهب بالمرة وانا لنعلم أن كل المسلمين البعداء عن مصر يرجون من المصريين مالا يرجوه المصريون لانفسهم من أنفسهم . ولا يفرنك ما يتشدد به ويتفهبق به بعض الأحداث الذين اتخذوا المدح حرفة يكتسبون بها المال وقليل ما هم وانظر مآلاته جريدة المؤيد في هذا الشهر وفاقا لجريده الاجبشيان غازيت الانكليزية المصرية في مستقبل المصري بعد الاشتغال بموم أوروبا مئة سنة وبعد عشرين سنة في الحرية الحقيقية التي وهبها الاحتلال الانكليزي لمصر

تقول الجريدة الانكليزية في مقالة عنوانها (مستقبل المصري) ان مستقبل مصر أي حسنه مضمون ولسكن مستقبل المصري بين اليأس والرجاء فان ترقى هذه البلاد المستمر في التجارة والزراعة والصناعة وجميع مرافق الحياة انما هو من الاجانب والاجانب وان المصري لم يشترك فيه على أنه استفاد منه قليلا . وان التاريخ ثبت بالبراهين الكثيرة ان المصري فطر على الدعة والسكون والقناعة بالوجود في العالم متى حظي بما يكفل له الحياة وحاجاتها الضرورية فلا مطمع له ولا أمل في تحسين أموره . وتقول ان المصري لا عذر له الان في هذا فان هذا الزمان ليس كالزمان الذي كان فيه طلب التقدم والارتقاء خطرا عظيما أي من الامراء المستبدين . ثم جزمتم بأن المصري ما استفاد ولا هو يستفيد من تقدم بلاده ولا يسير مع الارتقاء ولا يأخذ نصيبه من نمو الثروة في بلاده بل كل ذلك عائد على الاجانب والغرباء الذين ترقى البلاد بهم لهم

وقد ترجم المؤيد المقالة في (ع ٣٨٩ ٤٣) الصادر في ٦ شعبان ووصفها بقوله وكلها

آيات بديئات وحقائق ساطعات واضحات تدل على استقلال الغازيت وحريةها فيما تنشره من المقالات النافعة المفيدة، ثم نشر في تلك الجريدة مقالة أخرى لكتاب انكليزي في منهاها ينجي فيها على المصريين إلقاء شديد فمر بها جريدة المؤيد مقرة لها وبعد ذلك نشر في المؤيد مقالة لاحد المحررين فيها في موضوع مقالتي الجريدة الانكليزية قال في فاتحتها « اطلع انقراء على ما عربه المؤيد عن جريدة (الاجبشيان غازيت) تحت عنوان (مستقبل المصري) وما أظن أن أحدا ممن وقع نظره على تينك الرسالتين لم يعترف في نفسه ولمن معه بصديق ماجاء فيهما من الحقائق المرة إذ كون المصري مخذولا في بلده مهملا لشؤونه الحيوية مفصوم العروة القومية - الى آخر ما يمكن أن يوصف به من الاهمال والحول والتراخي وعدم النظر الى المستقبل - قضية لا تحتاج الى إقامة برهان أو بيان ولكن الذي يجب أن يتساءل عنه هو اسباب هذا الخذلان وهل ثمة واسطة لاصلاح الحال »

ثم ذكر من المقالة الثانية الانكليزية التي نشر تعريبها في (٩ ش) مانصه : « ان الاخلاق الفطرية للأمة المصرية بل وكل ماضي تاريخها تدل على أن الوصول الى الرقي الأدبي والحياة الاجتماعية القومية يعد من قبيل المستحيلات فانه منذ فجر التاريخ والفلاح المصري على ما هو عليه تاركا أموره وحياته ووجوده في أيدي غيره واكلا الى الاغنياء عنه تأدية الواجب الذي كان من الحتم عليه القيام به » اهـ ثم سأل محرر المؤيد نفسه وقراء الجريدة عن سبب ذلك على أنه أطال الفكر فيه فلم يهتد قال : « ان قلنا إن التعليم والترية ناقصان وإن الجهل سبب كل هذا أجابونا فما بال هؤلاء المصريين المتعلمين الذين حازوا من علوم أوربا أسماها وأغلاها وعاشروا المتمدين منها والعاملين المجدين فيها لا يعملون ولا يفكرون ؟ وما بالك تراهم مثل أمثالهم من إخوانهم المصريين مشغولين جل أوقاتهم بالسفاسف والصفاثر ؟ وأين هي الاخلاق القوية التي يوجدها التعليم والترية في النفوس وهم كما تراهم وتعرفهم » ثم قال انه لا يصح أن يكون السبب جو البلاد ، ولا كون الامة عريقة بحكم الاستبداد ؛ ولادين الاسلام لان الاجانب يعملون في هذا الجو ويرتقون ولان غير المصريين حكموا بالاستبداد ثم نجحوا وارتقوا ولان الاسلام قد نهض بالامة العربية أو نهضت به وهؤلاء

القط في مصر كالمسلمين ولأن اليابان وأوروبا ما ارتقيا بالدين . وغرضنا من قول هذا
المحرر شهادته في المصريين الذين تعلموا وتربوا (كما يقال) فانها شهادة المؤيد بأشهر جراند هم
وقد كان قال من عهد قريب ان الامة المصرية لم ترتق الى درجة تؤهلها لإنشاء مدرسة كلية
أما سبب هذه الحيرة في عللة انحطاط المصريين فهو الجهل بمعنى التربية الصحيحة
النافعة التي ترتقي بها الامم والتي لا يفيد التعليم بدونها الفائدة المطلوبة وقد بينا الفرق
بين التعليم والتربية غير مرة وقلنا ان في مصر شيئا من التعليم الناقص ولكن ليس فيها
تربية قط بل التربية فيها متعسرة أو متعذرة أو محال بين الناشئين الذين يربون وبين الناس
لثلاث سبب عمل المربي هذه البيئة الوبيئة بفساد الأخلاق والأعمال ولكن أين المربي وأين
يربى ؟ واذا هو وجد فمن يسمع له ومن يعينه على تربية ولده ؟ وبيننا أيضا ان هذا التعليم
الناقص قد زاد في إفساد أخلاق الامة وفتح لها خروقا من السرف والترف والافعال في
اللذة والاستمتاع ما فتحت في أمة قوية الا وأضعفها وجعلتها من الهالكين
وليعلم القارئ ان حياة الامم الميته تتوقف على الاستعداد في الامة كأوضحنا
في مقالة (الاصلاح والاسعاد ، على قدر الاستعداد) فاذا لم تستعد الامة في ان أمراضها
وطرق علاجها لا ينفعها لانها كالمريض الاحق يأبى كل دواء لانه دواء بل لا يسهل
على غير المستعد أن يفهم أسباب الضعف وكيفية معالجته . فاذا أقمت البراهين والحجج
القيمة على أن رغبة الامة المصرية في الرتب والنياشين من أسباب الفساد لا يفهم قولك الا
الاقول ومن فهمه يكابر فيه وينكره بلسانه وان اعتقده في قلبه ومنهم أكثر أصحاب الجرائد
فما بالك اذا ذكرت لهم الادواء الفتاكة التي يعد حب الرتب والنياشين من أعراضها
وسنذكر في الجزء الآتي طريقة تعلم انثابة المصرية والروح الذي به تحيا الامم
ولا ينفع مع فقده علم ولا تعاليم ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

شذرات من يومية الدكتور أراهم (*)

يوم ٣٠ إبريل سنة ١٨٦

تناقص الحرارة ويتدرج الهواء في البرودة لاتا صرنا في خط الجدي

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب أميل القرن التاسع عشر .

منذ يومين آلم نفوسنا فقد واحد من رجالنا

ذلك أن قطعة من قطاع الاخشاب المنحرفة الوضع المستعملة في السفينة لشد جالها لم يكن ربطها وثيقا فأنت عليها نفحة من الريح فهوت بها على السطح فصادمت في هوبها رأس ذلك الملاح وهو قائم على الحراسة فلم آل جهدا في تجريب جميع الوسائل الفنية لابقاظه وتذنيه ولكنني لم أفجح لانه لم يبق فيه أدنى علامة على الادراك فسرى الوجوم في السفينة لان هذا الملاح الباسل كان محبوبا عند رفاقه وصاح الربان بصوت أجش وقد بدت على وجهه آثار الحزن مع اتقابه بالتجلد بأن تقل الجنة الى غرفته

استولى سكون الحداد على السفينة فما كنت ترى على ظهرها الا انظارا شقت عن الامي ووجوها نكرتها الاشجان وأسدل الليل على البحر بالتدرج حجب ظلماته كلها وأرخى عليه سدول احزانه فما رأيته قبل تلك الليلة بهذا المقدار من العظم والكآبة وكانت الامواج باصطخاها تشكو شكوى الاحياء من مضع المصيبة حتى خيل لي انها نفوس تناجي نفوسنا

وارباه ما كان أشأم هذا الصخب المتقطع الناشئ من ملاطمة الامواج للالواح

سفينة تقل ميتا

أقبل النهار وأدبر الليل بيد أن أضواء الشمس في إشرافها لم تقو على قشع ما غشي النفوس من سحب الا كدار الليلية فبقيت جميع القلوب مثلوحة متبلدة بضرب من الهول ذلك أن وجود الميت في بيت يبيت فيه على الدوام الحزن مشوبا بالاجلال والرعب والسفينة بيت مضطرب فما يسهل انفصامه من عري المودة بين من تطاوت بهم النوي من العائشين في البريتا كدين العائشين في السفينة بسبب اشتراكهم في الحاجات والمخاطر

تخاف يعقوب في ذلك الصباح عن إجابة داعي الشمس المشرقة وعهدنا به أنه كان على الدوام أول من يسمع دى صوته الشديد على ظهر السفينة فأصبح وقد قضى عليه أن لا يكون هو الصائح بكلمة «تمام»

كان من أسباب اشتغال قلوب المسافرين والملاحين بالحزن أيضا ارتقابهم لما كان قريب الوقوع من دفن الميت ومع كون أعمال التجهيز كلها كانت تؤدي في سكون

كانها من وراء حجاب كنا نجلس الملاحين في بهض الاماكن روحات وحيات خفية وقد احدث السفينة بتكيس الاعلام التي تزهر دروتها عادة بارتفاعها فوقها فخرا بالامة المنتسبة اليها وفي نحو الساعة العاشرة برز الربان على ظهرها ثم أقبل على ملاحيه وقال بصوت منخفض قد حلت ساعة التحس فعلي بالربان الثاني وأخبروه بأننا مستعدون ويعلم الله مقدار ما يشق علي من تأدية هذا الفرض ولكن من الواجب القيام بالواجب

رتب الملاحون الكوام الحبال التي كانت تميق السير ببقعتها على سطح السفينة ورفعوا أحد الاجزاء التي تتألف منها جدران السفينة فكان من ذلك نافذة شديدة بالكوة كنا نرى منها البحر يتراوح بين الصعود والهبوط كان ناقوس السفينة يطن فيحدث عن طنينه المألوم اذا انتشر على وجه الامواج أثر محزن يغادر جميع القلوب واجفة

لما كانت السفينة خلوا من القسيسين كان من العادات المضطردة في مثل هذه الحالة بأنكلترا أن يمهّد بصلاة الجنازة الى ربانها من أجل ذلك أخذ الربان مجلسه وهو مكشوف الرأس وبين يديه كتاب مفتوح والتفت عليه حلقة من المسافرين والملاحين يحفهم الوقار والحشية على تشوش هيأتهم وأوضاعهم ينتظرون البدأ في الشعائر الدينية

أشار الربان الى رجلين من الملاحين بان يهبطا من أحد سلالم السفينة الضيقة فلم يلبثا أن صعدا يحملان الميت على نعش كبير مثقب وقد لف في قطعة من نسيج الشراع خيطة عليه وكان من الميسور تقدير ثقله بما كانا يمانيانه من الجهد في حمله ذلك أن العادة تقتضي في مثل هذا المقام أن يوضع في الكفن مع الجثة قذيفا مدفع (القذيفة الكرة التي تقذف من المدفع) احدهما عند رجلها والاخرى عند رأسها

ما برزت هذه الصورة المشؤمة من سدة السلالم (السدة الظلمة المختلطة بالضوء) حيث كانت تبدو منها ببطئ حتى اقشعرت لمرآها أبدان الحاضرين وقد بسط على صدر المتوفي علم من أعلام السفينة عليه ألوان البحرية الانكليزية انشأ الربان يتلو صلاة الجنازة بصوت شديد معتاد على الأمر والنهي تشير أنه

كان يمتوره الذين حينما فتتحالاه نعمات ضعيفة مهتزة كأنها تنبعث من القلب
وكان ما يحصل في نفسه من التنازع بين التمسالك والسكينة التي يراها لازمة لكرامته
من حيث هو رجل وبين عاطفة الرحمة التي كان يكاد يبدي بها يكسو وجهه هيئة
غريبة جمعت بين القسوة والرحمة وكان كاتب السفينة يتلو في ذلك الكتاب عينه الحكيم
الإنجيلية وما كان يسع أحدا من السامعين أن لا يعترف بشيء من الجلال لهذا الضرب
من التجاور في معنى الموت بين رجلين مستهدفين في كل يوم لآلاف من المعاطب قد
شهد كلالها كثيرا من اخوانهم ما يخرجون من حولهما ويثوون في ظلمات البحر السرمدية
هذا الذي كانا يتناوبان تلاوته لم يك يشبه الصلوات بحال (فالكنيسة الانكليزية
لا يصلي فيها قط على المتوفين) بل كان عبارة عن فكر مأخوذة من التوراة في معنى قصر
الاجل ومصوغة في قوالب تشبيهات شعرية كتشبيه الحياة بعشب البوادي يخضر في
الصباح ويذبل في المساء أو بالظل يسري على الماء وتشبيه جمال الرجل والمرأة شوته
السنون شوب أكلته الارضة وكان جميع الحاضرين يفهمون نص هذه العبارات العبرية
لانه كان مترجما الى الانكليزية

على أن الساعة الاخيرة قد اقتربت فكشف الربان عن التلاوة وأخذ يقرب عظم
اتساع السماء والماء ثم صوب بصره آخر مرة الى ذلك الشيء وهو مدرج في نسيج يعرف
الناسر اليه من خلاله شكل آدمي معرفة مهمة وقد وضع على شفا الفوهة التي صنمت في
جدار السفينة لياقي منها في البحر ولم تكن الا اشار من الربان أن سمع صوت غليظ
رخو لسقوط رجل ميت في البحر فشوهه للامواج فوراً شديداً فترجرج خفيف
فدوائر من الماء متداخل بعضها في بعض فلا شيء

التأم الآذي على الجنة كما يلتئم بلاط اللحد . وقال الربان بصوت خنقته العبرة
والانفعال « أنت في وديعة البحر »

كنت في كل المدة التي استقرقها أداء هذه الشمائر أرقب «أميل» حينما فحينما
فأجده شديد التأثير وأما «لولا» فكنت اراها باكية

يرجع تأثر هذين الغلامين الى سببين اولهما ان تجهيز الميت كان مقرونا من الوقار
والهوية بما يميز القلوب ثانياً ما انهما لم يكونا شهداء الدفن قبل هذه المرة لجهلتهما الموت

حتى هذه الساعة نعم انهما كانا يعرفان بالتحقيق ان كل شيء صائر الى الفناء فقد شهدنا حيوانات تزول واخوانا يتخطفون من حولهم غير اني في شك قوي من كثرة اشتغالهم بهذه الطوارى الطبيعية ووقوفهما بالفكر عندها والانسان لا يعرف الامور معرفة صحيحة الا اذا فكر فيها بنفسه ولا اعدم واحدا ياتي علي تبعة هذا الجهل لاني اعلم انه كان ينبغي من اجل إنشاء «أمل» على الاصول القويمة التي يحجبها ذلك الواهم ان يريه على الخوف وان أحيط له الحياة في مواعظي بوعيد القبر ومخاوف الخلود ولكن ما حيلتي اذا كنت لم أجهد من نفسي إقداما على ذلك فأني رأيت كثير الاغتراب بالحياة فصرفت جل عنايتي في تحييد الواجبات الى نفسه لافي دناءة التخويف من عقوبات الآخرة أو التأميل في منوباتها الغيبية

المواعظ المحزنة لاني لربني الوجدان بل تكدر صفاءه وتزعجه فواشوقاه الى الساعة التي يتأثر فيها اليافع بمشهد الموت فيأنس من نفسه الحاجة الى سبر غور ما قدر له في أخراه . (١) اه

(يوم ٦ مايو سنة - ١٨٦٦)

الرياح باردة والسماء كدراء وتزعج «لولا» أن سفرنا استغرق الربيع والصيف والخريف وانا داخلون في الشتاء وحقيقة الامر هي ان اقاليم البلاد فصول ثابتة كما ان فصول السنة اقاليم مرئحة صارت الامواج من الثقل والضمخامة بحيث اصبح مسير السفينة شاقا وقد هبت علينا ريح خبيثة فهي ترفنا الى الشرق نحو جزائر فوقلند . (٢) اه

يوم ٨ مايو سنة - ١٨٦٦

اقتحمنا مدخل بونغاز ماجلان (٣) وهو مجاز وعمر خطر ورأينا هناك طيوراً

(١) ما كرهه المرئي لولده من إنشائه على الخوف من العقاب والرجاء في الثواب غير مكروه ووصفه هذين الامرين بالدناءة غير صحيح وامله في أن ولده يسبر غور ما قدر له في أخراه وهم ظاهر وخدعة زينها له شك في اليوم الآخر (٢) جزائر فوقلند هي ارخيل في المحيط الاطلنطي شرقي بونغاز ماجلان مملوك للإنكليز (٣) بونغاز ماجلان واقع بين بتاغونيا ويكردو (أرض النار) اكتشفه رحالة بورتغالي اسمه ماجلان وهو أول من بدأ بالطواف حول الارض

يسمى الملاحون حمام الراس الواحدة منها في حجم البطة البرية أحد نصفها أبيض والثاني أسود وكانت تحوم حولنا اسرابا وتصطاد بشباك تمد على كوئل السفينة (مؤخرها) فنشب فيها اجنحتها في غدوها ورواحها عليهم وتتورط فلا تستطيع انفكاكا وشاهدنا طيرا آخر أثار العجب في نفس «أميل» بملو قامته وارتفاع طبرانه وهو للسمي بالبطروس (١) اه

يوم ١٠ مايو سنة ١٨٦٠

راس القرن حقيق بان يسمى رأس الزوابع فقد هاجت علينا فيه هيجة خلنا فيها أن المحيط بأجمعه ينسخ بكلكله على سفيتنا الضئيلة على أنها تقاوم وتجري مع مابلطها من الامواج ويتقاذفها من المهاوي لا يقدها عن ذلك زججرة البحر فهو بهيمة كبرى وجدت من يروضها .

باب الخبيرة في الآراء

﴿ خلاصة تاريخ حرب اليابان وروسيا ﴾

في هذه الحرب عبر كثيرة منها أن مظهر من ارتقاء اليابان العلمي والصناعي والادبي قد أبطل ما كانوا يزعمون من تفاوت استعداد أجناس البشر ككون الجنس الاصفر أضعف استعدادا من الابيض فقد اعترف الاوريون بأن ارتقاء اليابانيين لا يملوه ارتقاء في أوربا وهذه الامة الشرقية الصفراء قد ارتقت في مدة ربع قرن وأوربا لم ترتق إلا بعدة قرون وما كلها في الارتقاء سوا

ومنها أنه لا يوثق بأحد في نقل جزئيات التاريخ ولا يوثق منه إلا بالأموال الكلية التي تستنبط من مجموع الحوادث بعد تمحيصها والاطلاع على اختلاف الرواة فيها فان نقل التاريخ لم يكن في عصر من الاعصار أيسر وأقرب الى الضبط منه في هذا العصر لان كل واقعة من الوقائع العظيمة يشهدها عدد من أصحاب الشركات البرقية وأصحاب الصحف ومندوبي الدول وكلهم مؤرخون وانا مع هذا نرى ما ينقلون من أخبار هذه الحرب تختلف جزئياته وتتناقض ويكذب بعضها بعضا . ونرى مؤرخي العصر

(١) البطروس طير من فصيلة الطيور الراحية الأجل يعيش في بحار استرا

وهم أرباب الصحف يرجحون بأهوائهم لذلك كان الموثوق به حقيقة هو النتائج التي اتفق عليها جميع الناقلين وهي أن اليابانيين هم الظافرون في جميع المواقع البرية والبحرية وأنهم أخف حركة وأعلم بالحرب وأحسن نظاماً مع الشجاعة الكاملة وهاك ذكر أهم الحوادث والوقائع بتاريخها ملخصاً مما عر به بعض الرصفاء عن جريدة التيمس:

في ٥ فبراير انذر المعتمد الياباني في بطرسبرج حكومة القيصر بقطع العلاقات السياسية بين الدولتين بأمر حكومته ٥ وفي ٧ منه نشر التلغراف الذي أرسله الكونت لمسدروف الى سفراء روسيا ووكلائها السياسيين في أنحاء السلطنة الروسية ٥ وفي ٨ منه وصل أسطول ياباني يخفر نقلات يابانية بقيادة الاميرال اوريو الى ميناء شملبو واطلقت البارجة كوريتز الروسية القنبلة الاولى في هذه الحرب ٥ وفي ٨ منه أيضاً هاجم الاميرال توجو الاسطول الياباني الذي في بورت آرثر في منتصف الليل ونسف ثلاثة بوارج منه وهي الدارعتان زارويتش ورتقيزان والطراد بوييدا ٥ وفي ٩ منه أعاد توجو الكرة على الاسطول الروسي في الصباح فتعطلت الدراعة الروسية بولتافا وثلاثة طرادات وهي نوفيك واسكولد وديانا. وفيه أيضاً وقعت معركة بحرية في شملبو قدمر اليابانيون الطراد فارياج والمدفعية كوريتز ٥ وفي ١٠ منه أعلنت اليابان الحرب رسمياً وأصدر القيصر منشوراً الى الشعب الروسي أعلنه به بنشوب الحرب وقال انه سينقم من اليابان مئة ضعف ويقتل هذا الطفل قبل ان يشب. وفي ١١ منه مست البارجة الروسية نيسي لغماً فانسفها في تاليان وان واغرق أسطول فلاديفوستوك باخرة يابانية وأتقذر كابها ٥ وفي ١٢ منه أعلنت الصين الحياد وخرج المسيو بافلوف معتمد روسيا في كوريا من سيول. وفي ١٤ منه اغتصمت النساكات اليابانية حدوث عاصفة فهاجمت اسطول بورت آرثر ونسفت الطراد بويارين ٥ وفي ١٧ منه تعين الاميرال مكاروف قائداً لاسطول بورت آرثر محل الاميرال ستارك ٥ وفي ٢١ منه صدرت ارادة قيصرية بتعيين الجنرال كوروبتسكين ناظر الحربية قائداً عاماً للجنود الروسية في منشوريا فسافر الى منشويا في ١٢ مارس ٥ وفي ٢٣ منه عقد اتفاق بين كوريا واليابان ووقع في سيول ٥ وفي ٢٤ منه ايضاً حاول اليابانيون ان يسدوا مدخل بورت آرثر عند بزوغ الفجر وفي ٢٥ منه تجدد القتال في بورت آرثر

بحراً. وفي ٢٩ منه احتل اليابانيون جزيرة هي بون تومن جزر الیوت شرقي بورت آرثر
وفي ٢ مارس انكرت اليابان اتهم التي وجهتها روسيا اليها في البلاغات التي
نشرت في ١٨ و ٢٠ الماضي. وفي ٦ منه أطلق الاميرال كيمورا المدافع على فلادفستوك. وفي
٩ منه نشرت اليابان ردها على المنشور الذي اصدره الكونت لسدروف في ٢٢ الماضي.
وفي ١٠ منه هاجمت السفافات اليابانية اسطول بورت آرثر بعد منتصف الليل بقليل ففرقت
سافة روسية وضرب الاسطول الياباني بورت آرثر في الصباح فدمر مباني سان شان
تاو. وفي ١٧ منه وصل المركبزايتوالى سيول موفداً من عاهل اليابان الى عاهل كوريا.
وفي ٢١ و ٢٢ منه أطلق الاسطول الياباني المدافع على بورت آرثر وجعل الاسطول
الروسي موقفه عند مدخل الميناء. وفي ٦ منه احتل اليابانيون ويجو وبدأ الروس يعبرون
نهر يالو متقهقرين. وفي ٨ و ٩ منه حدثت مناوشات على نهر يالو. وفي ١٢ منه استعانت
البارجة كوريو مارو اليابانية بالسفافات ونصبت الانغام عند مدخل بورت آرثر.
وفي ١٣ منه قطعت المدمرات اليابانية الطريق على مدمرة روسية في جوار بورت
آرثر فاغرقها وفيه جرت الطردات اليابانية أسطول الاميرال مكاروف خارج الميناء
فاصابت البارجة بترابولسك لغما عند رجوعها ففرقت وغرق الاميرال مكاروف.
وفي ٢٣ منه عبرت طلائع اليابانيين نهر يالو. وفي ٢٥ منه نهض أسطول فلاد فستوك الى
جنسان فجأة وأغرق فيها الباخرة اليابانية جويومارو. وفي ٢٦ منه أغرقت سافتان
روسيان النقالة اليابانية كنشين مارو. وفي ٢٧ منه حاول اليابانيون سد مدخل
بورت آرثر فلم يفلحوا وفيه بدأ القتال على نهر يالو. وفي ٢٩ و ٣٠ منه وأول مايو عبر
الجنرال كووركي نهر يالو بجوار ويجو وكسر الروس وكانوا بقيادة الجنرال ساسولتش
وغنم منهم ٣٨ مدفعا واستولى على كيوليان شنج وهي المعركة المعروفة باسم معركة يالو
في أول مايو حاول الاميرال توجو ان يسد مدخل بورت آرثر بتقريق البواخر
والاخشاب فيه. وفي ٣ منه سد اليابانيون المدخل على المدرعات والطرادات فقط.
وفي ٤ منه أبحر الجيش الياباني الثاني من شنمبو صباحا. ووصل الاميرال هوسايا
ومعه أسطول من النقلات الي «تزي هو» شرقي بورت آرثر في شبه جزيرة لياوتونج
مساء. وفي ٥ منه أنزل الاميرال هوسايا لواء بحريا وفرقة من الجيش البري الى

بتري هو . وفي ٦ منه احتل الجنرال كوروكي فنج هوانج شنج . وفي ٨ منه قطع
الجنرال او كو خط السكة الحديدية عند بولان تيان شمالي بورت آرثر . وفي ١٠ منه
هاجم القوزاق انجو في كوريا على غير جدوى . وفي ١٢ منه أطلق الاميرال كاتاوكا
القنابل على تالين وان ومست نسافة يابانية لغما ففرقت في خليج كر . وفي ١٤ منه
غرقت ثقالة يابانية في خليج كر ايضا واحتل اليابانيون بولان تيان . وفي ١٥ منه
اصطدم الطرادان اليابانيان يوشينو وكاسوجا ففرق الاول . وفيه مست الدراعة اليابانية
هاتسوسي لغما ففرقت بجوار بورت آرثر . وفي ١٦ منه زحف الجيش الياباني الثاني
على كانشاو شمالي بورت آرثر . وفي ١٧ منه تمين الجنرال كيلر قائد للفرقة السديرية
الثانية بدلا من الجنرال ساسوليتش . وفي ١٩ منه نزل الجيش الياباني الثالث الى تاكوشان
وفي ٢٠ منه قذفت العاصفة بالطراد الروسي بوغاتير على الصخور فتحطم بجوار
فلاديفوستوك . وفي ٢٧ منه ألقى الاميرال توجو نطاق الحصار على شبه جزيرة
لياوتونج جنوبا وفيه جرت معركة كانشاو فاخذ اليابانيون تل تان شان عنوة وغنموا
٧٨ مدفعا من الروس . وفي ٣٠ منه احتل اليابانيون داني وبدأ الاحتكاك بين اليابانيين
وطلائع الجنرال سكلبرج المنفذ لانقاذ بورت آرثر في واقفج كاو .

وفي ٤ يونيو مست مدفعية روسية لغما ففرقت بجوار بورت آرثر . وفي ٧ منه أخذ اليابانيون
يطلقون المدافع على بورت آرثر واستمروا على ذلك في الايام التالية وفيه بدأ كوروكي
بالزحف على جيش منشوريا . وفي ٨ منه احتل اليابانيون سيوين وساي . وفي ١١
منه وضع اليابانيون الحصار على نيوشوانج . وفي ١٤ منه خرجت المدرعات الروسية
من بورت آرثر فردها الاميرال توجو على الاعقاب . وفي ١٤ و ١٥ منه وقعت
معركة واقفج كاو نفسم الروس فيها ٧٠٠٠ رجل و ١٦ مدفعا وارتدوا الى كاي بنج
وكان الجنرال سكلبرج يقودهم وتعرف هذه المعركة عند الانكليز بمعركة تليسو . وفي
١٥ منه أغرق أسطول فلاديفستوك ثقلتين يابانيتين وهما هيتاشي مارو وسادو مارو .
وفي ٢١ منه احتل الجنرال او كوهسيونج ياوشنج على بعد ٣٠ ميلا من تليسو شمالا .
وفي ٢٣ منه خرج الاسطول الروسي من بورت آرثر فرده الاميرال توجو الى الميناء
وفيه استلم الجنرال كوروتسكين قيادة الجنود المقاتلة بنفسه . وفي ٢٦ منه تقابل

لفريقان في جوار كاي بنج وكان الروس نازلين في كاي بنج وتايشي كياو ولياوينج واليابانيون في جنوب كاي بنج وساي متسي وليان شان كوان . وفيه ضرب اليابانيون بورت آرثر برا واستولوا على استحكامات في الجهة الشرقية . وفي ٢٧ منه استولى اليابانيون على مضيق فن شوى لنج ومضيق تالنج ومضيق موتيان لنج وهذه المضائق تعد مفتاح وادي لياو . وفيه أغرق اليابانيون باخرتين في مدخل بورت آرثر لسهدها . وفي ٢٨ منه نزلت الفرقة السادسة اليابانية في خليج كره . وفي ٣٠ منه أطلق أسطول فلادفستوك المدافع على ثغر جنسان .

وفي أول يوليو وصل أسطول فلادفستوك الى بوغاز كوريا فمحي خبره الى الاميرال كيمورا فهب لمقاتلته ولكنه لم يدركه . وفي ٣ و ٤ و ٥ منه دار قتال شديد في بورت آرثر برأوبجرا ومس الطراد كيمون الياباني لغما في تاليان وان فغرق . وفي ٤ و ٦ منه اجتازت النفلتان بطرس ريج وسمولنسك من الاسطول الروسي المتطوع بوغاز الاردنيل رافعتين العلم التجاري . وفي ٦ منه غادر المارشال اوياماتو كيو قاصدا ميدان القتال لاستلام القيادة العامة . وفيه استولى اليابانيون على الحصن نمرة ١٦ في بورت آرثر . وفي ٩ منه احتل الجنرال اوكو (كاي بنج) . وفي ١٩ منه نصف الروس بالخرة هبسانج في خليج بنشيلي . وفي ٢٠ منه اجتاز أسطول فلادفستوك بوغاز تسوغارو فدخل الاوقيانوس الباسفيكي وفي اثره نسافات يابانية . وفي ٢٤ منه نصف اليابانيون ثلاث مدمرات روسية خارج بورت آرثر . وفي ٢٥ منه كسر الجنرال اوكو الروس في (تايشي كياو) بعد قتال شديد وفيه احتل اليابانيون (نيوشوانج) . وفي ٢٦ منه بدأ قتال شديد حول بورت آرثر ودام حتى ٣٠ منه فاستولى اليابانيون في اثنتائه على هلف هلف اي تل الذئب . وفي ٣١ منه زحف اليابانيون زحفا عمويا على الروس فاجلوهم من واقعههم على طول الخط الى هاي شنج وبنشيلو وينج زولنج

في ١ اغسطس استولى اليابانيون على شان تاي كاو وهو حصن مهم بجوار بورت آرثر وفي ٣ منه احتل الجنرال اوكو هاي شنج ونيوشوانج وفيه رد الروس الى خط الدفاع الداخلي في بورت آرثر وفيه خرج الاسطول الروسي من بورت آرثر ولكنه رد اليها . وفي ١٠ منه خرج الاسطول الروسي من بورت آرثر بقيادة الاميرال ويتهوفت

بناء على الاوامر التي وردت اليه فقابله الاميرال توجو ودار القتال بين الاسطولين فقتل الاميرال ويتهوفت وخلفه الاميرال اوختمسكي وانهمز الاسطول الروسي فرجع قسم منه الى بورت آرثر ولجأت بوارج أخرى الى الموانئ المحاذية في كياوشو وتسنيج تاو وشنغاي. وفي ١١ منه جنحت مدمرة روسية على بعد ٢٠ ميلا من واي هاي واي. وفي ١٢ منه ولد الفراندوق الكسيس ولي العهد في روسيا وفيه قبض اليابانيون على المدمرة الروسية ريسهيتلني في ميناء شيفو وأخذوها الى اليابان. وفي ١٣ منه قتل الاميرال روجستفسكي قيادة أسطول البلطيق. وفي ١٤ منه قاتل الاميرال كيمورا أسطول فلاديفستوك على بعد اربعين ميلا من تسوشيا شمالا بشرق فاغرق الطراد روريك وفيه أطلق اليابانيون المدافع على بورت آرثر. وفي ١٦ حاول الاسطول الروسي الخروج من بورت آرثر ثانية وفيه أرسل اليابانيون مندوباً الى الروس رافعا الراية البيضاء دعوهم الى تسليم المدينة واخراج غير المقاتلين حقنا للدماء فأبوا. وفي ١٨ منه حمل اليابانيون حملة جديدة على بورت آرثر وفيه مست المدفعية الروسية أوتفاجني افعاء ففرقت بجوار رأس لياوتشي شان. وفي ١٩ منه احتج اليابانيون على اقامة الطرادين الروسيين اسكولد وجروذوفوي في ميناء شنغاي بعد انتهاء الاجل القانوني. وفي ٢٠ منه جنح الطراد الروسي نوفيكي الى شاطئ كورسا كوفسك فرارا من الطرادين اليابانيين كيتوزي وتسوشيا. وفي ٢٣ منه مست الدارعة الروسية سفستبول افعاء في بورت آرثر فاصابها تلف وفيه أيضا بدأ كوروكي بالحركات التي انتهت بمعركة لياوينج. وفي ٢٤ منه أمر القيصر الطرادين أسكولد وجروذوفوي بنزع السلاح في ميناء شنغاي وفي ٢٥ و ٢٦ منه استولى كوروكي على كونج شنج انج عنوة وحمل جيش اوكوندزو على آن شان شان. وفي ٢٧ منه طرد اليابانيون الروس عن ضفة نهر تونج هو النجني. وفي ٢٨ منه ارتد الروس الى لياونج بعد ما خسروا كل مواقعهم الامامية في أول سبتمبر انجلى الى الروس عن حسن لي تون وشوشان وارتدوا الى النهر وفيه استولى الجنرال كوروكي على سيكواتون عنوة وفي ٢ و ٣ منه استرد الروس سيكواتون ولكن اليابانيين نزعوها منهم عند المساء وفيه واصل اوكوندزو الهجوم على لياوينج. وفي ٣ منه رأى كور بكي ان الجنرال اورلوف أتى هفوة أفسدت خطه وكشفت ميسرته للعدو وخشي الهلاك اذا تمكن اوكوندزو من كسر ميمته فامر جيشه بالتقهقر الى يان تاي ومكدن. وفي ٤ منه انجلى ساقفة الروس عن لياوينج

بعد أن قاومت اليابانيين مقاومة شديدة لتسهيل التمهقر على كوربتكين . وفيه دخل اليابانيون لياوينج في الساعة الثالثة بعد الظهر . وكان الجيشان متقاربين في العدد ويقال إن عدد الروس كان أكثر . وفي ٤ و ٥ منه تواصل القتال بين الروس المتقهقرين وجيش الجنرال كوروكي وكان قد احتل مناجم يان تاي . وفي ٥ منه عين المسيو ستفس مستشار الوكالة السياسية اليابانية في واشنطن مستشارا سياسياً في كوريا وعين المسيو ميچانا مستشاراً مالياً بناء على المعاهدة التي أبرمت مع كوريا في ٢٢ الجاري . وفيه كانت ساقا الروس هدفاً لمدافع العدو وخسرت ١٠٠ رجل على طريق مكدن . وفي ٦ منه تعين الكبتن فيرن قائداً لاسطول بورت آرثر خلفا للاميرال أوختمسكي وكان قبلاً قومنداناً للدارع بايان . وفي ١١ منه استدعى القيصر الجيش الاحتياطي في ٢٢ مقاطعة وطبقة واحدة من ضباط الاحتياطي في كل الساطنة وفي ١٤ منه نشر تقدير الجنرال كوروبتكين لخسارة الروس بين ٢٨ أغسطس و ٥ سبتمبر فباغ ٤ آلاف قتل و ١٢ ألف جريح وفيه ضربت الولايات المتحدة ميعاداً تنزع النقالة لينا الروسية التي لجأت الى سان فرنسكو سلاحها فيه أو تغادر الميناء فأجاب الربان انه عاجز على نزع السلاح . وفي ١٦ منه شرع اليابانيون بتضييق سكة حديد منشوريا وفقاً لمقاس مركباتهم . وفي ١٨ منه هنا القيصر الجنرال كوروبتكين بحسن تقهقره كاهنا الميكادو جيشه في ٧ منه باتصاره . وفي ٢٠ منه حاول اليابانيون اكتشاف ميسرة كوروبتكين القصوى في مضيق دالنج فلم يفلحوا وفيه وصات نجدات جديدة و ١٧٠ مدفعاً الى كوروبتكين . وفي ٢٤ منه استدعى الجنرال أورلوف بناءً على قرار الجنرال كوروبتكين وحى اسمه من الجيش بلا محاكمة . وفي ٢٥ منه قسمت الجنود في منشوريا قسمين قسماً بقي بقيادة كوروبتكين وقسماً سلمت قيادته الى الجنرال جريبن برج . وفي ٢٦ منه احتفل بافتتاح السكة الحديدية حول بحيرة يكال . وفيه أقرت اليابان على عقد قرص داخلي قدره ٨ ملايين جنيه وعزمت على تعديل لائحة القرعة العسكرية وجعل مدة الخدمة ١٧ سنة

باب الاتقاد على المنار

وعدنا بان نذكر ما ينتقد به علينا ونبين رأينا فيه اما تسليماً واما تفنيدياً وقد أرسلت الينا قصيدة من السكوت يزعم ناظمها أنه رد على المنار وما هي الا سب وشتم لا يليق بالموثمن أن يرد على صاحبها الا بكلمة « سلام... » وكذلك تصدت بعض الجرائد الجديدة في تونس التي هي أدنى من جرائدنا الاسبوعية للخوض في موضوعات المنار فلم نرفها شبهة تستحق الرد وقد نصحت لها أم الجرائد التونسية « الحاضرة الغراء » قبل النصيحة حسن القصد وكاتب فردت عليه بالنبذة الآتية :

﴿ واذا مروا باللغو مروا كراما ﴾

نصحت الحاضرة لرصيفها الفاضلين صاحبي جريدة الصواب وجريدة اظهار الحق إثر تحريرات شديدة اللهجة نشرها ضد بعضهما في صحيفتهما ودعتهما بلسان الصدق في خدمة المصلحة العامة ان يقلعا عن مثل تلك المطاعن سبها وان بعضهما المدرج في ثانيتهما به تعريض مذموم بأكبر وأشهر مجلة علمية أدبية إسلامية بالشرق واثني بها جريدة المنار الاغر التي يكتب بها فضيلة مفتي الاسلام مولانا الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وقلنا لهما برفق ولين ان موضوع مجادتهما من فضيلة المجلات العلمية لامن علة الجرائد الاخبارية وعليه فلا ينتج عنها في نظرنا القاصر بما لدينا من التجربة الصحافية ثمرة مثافة نحو عشرين سنة الا تضليل بسطاء العقول والتلبيس على أهل النهى بسرد النصوص المتناقضة تارة وبتعقيد عبارة المحررين أخرى فتوفقت جريدة الصواب بإسلامة ذوقها لسماع النصيحة وتطاولت خصيمتها عن الاقتداء بصنيعها الممدوح فاستأنفت القول بمباراة أكثر قحة وأبلغ شدة مما كانت نشرته وذلك بقلم محرر غير محرر ما سبق بها نشره أمضى مقالته باسمه (بو بكر العروسي) عرف بنفسه في آخر مقاله بمد تعريض ممقوت بجريدتنا فقال « اما الذين تعلموا نبذة من الكتابة بكثرة مناوله الجرائد او موضوع مخصوص بصعب عليهم فهم مدارك الكتاب (يقصد المحرر بذلك نفسه للاحالة) الذين أخذوا فهم من قواعد وآداب عظيمة كالمخرجين من الجامع الاعظم الخ ٠٠٠ »

هذه خلاصة ما كننا كتبناه في عدد ٨١٢ من جريدتنا وزبدة ما كتبه الشاب المتخرج من الجامع الأعظم في عدد ٢٢ من جريدة اظهار الحق ونحن لا نجد بنا ان نجاري هذا الشاب في تيار أهوائه بل نتصح من جديد لرصيفنا الفاضل مدير اظهار الحق ان ينزه جريدته عن الخوض في تلك المواضيع البعيدة عن خدمة المصلحة العامة وينتبه الى ان مثل هاته التحريرات التي لا تستفيد منها جريدته ولا قراؤها سيما اذا كان محررها صاحب طيش ويرى نفسه من كتاب « الصف الاول في التحرير » الذين لا يخشون ردود محرري الشرق لانه من أولئك الذين قيل فيهم « ان بني عمك فيهم رماح » كما صرح بذلك

واذا قدر الله على جريدة اظهار الحق بعدم ادراك هاته الحقيقة فان صاحبها للاحالة يسلك بجريدته طريقا عوجاء لا يسلم من عاقبتها ويعلم بعد حين ان حجة مثل هذا

الحرر ساقطة وان قلمه لا قبل له على رد سيل العرم الذي ربما يجرفه يوما ما فلا يجد نفسه وليا ولا نصيرا اذ لا يخفى على صاحب اظهار الحق ان خدمة الامة الاسلامية عموما وخدمة الوطن خصوصا لا تكون الا بالتعاقد والتكاتف لا بالتشاتم والتنافر بين افرادها وخصوصا حملة اقلامها ثم مالنا وللجرائد الشرقية التي بحررها كتيبة اقلامهم من البلاغة بمكان ولها قراء تقدمونا بمراحل في ميادين الترياق الفكرية والعرفان فسمحت لهم معارفهم بولوج باب المجادلات الدينية والفلسفية بصورة يقصر دونها فهم الطالب المشار اليه ومن جاء على شاكلته فان لوائك العلماء والكتاتيب الشرقيين من المبادئ الراسخة والآراء الثابتة مالا ترحزه عوارض طيش التخيل والغرور مثل التي شاهدناها من أحد متخرجي الجامع الاعظم زمامة تارة يطعن بشيوخه وبنظام الجامع مما نكفه عليه وآونة يزعم انهم مصدر الفضائل وركن البراعة مما سبقناه الا اعلان به ولكن لله في خلقه أسرار اه كلام الحاضرة الذي تدفق إخلاصا وصوابا وعسى أن يفيد المختصين

اثار علي بن أبي طالب عليه السلام

﴿ كمال العناية ، بتوجيه مافي « ليس كمثل شيء » من الكناية ﴾

وبحث علم النبي بالغيب

مؤلف هذه الرسالة السيد احمد رافع الطهطاوي أحد علماء الأزهر وقد قرظها وبالغ في الثناء عليها الشيخ حسونه النواوي الحنفي شيخ الأزهر السابق والسيد علي البيلوي شيخ الأزهر لهذا العهد والشيخ عبد الرحمن الشربيني أعلم علماء الشافعية بلا خلاف وغيرهم من أكابر علماء الأزهر كالمرحوم الشيخ حسن الطويل والشيخ حمزة فتح الله مفتش العربية في نظارة المعارف والشيخ محمد نجيب وغيرهم ولما نشرنا مسألة علم النبي بالغيب في المسائل الزنجارية كتب الينا مؤلف هذه الرسالة كتابا يؤيد فيه رأينا ويقول إنه سبق له تنفيذ زعم من يقول إن النبي صلى الله عليه وسلم قد اطلع على علم الغيب كله في رسالته هذه وأهدانا نسخة منها فاذا هو يقول في أول هذا المبحث ما نصه :

(تنبيه مهم) قد عانت أنه لا صفة لغيره تعالى تمائل صفة من صفاته جل وعلا فليس لغيره علم محيط بجميع المعلومات كما قال تعالى « ولا يحيطون بشيء من علمه الا

بما شاء، أي لا يعلم أحد كنه شيء من معلوماته تعالى إلا ما شاء أن يعلم وقال تعالى لا أعلم الخلق «وقل رب زدني علماً» وقد ذكر بعضهم أنه مأمر عليه الصلاة والسلام بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم وأخرج الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول «اللهم انفعني بما علمتني وعلمي ما ينفعني وزدني علماً والحمد لله على كل حال» قال العلامة المالوي في شرحه الكبير على السلم (قلت) وهذا صريح في الرد على من ادعى أن علم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مساو لعلم الله تعالى محيط بكل شيء من كل وجه إحاطة كاحاطة علم الله تعالى وأنه ماتوفي حتى أعلمه الله تعالى كل شيء علم إحاطة وقد ألف شيخ شيخنا العلامة البوسني تأليفاً في الرد على من زعم ذلك وتكفيره واستدل على ذلك بأدلة عقلية ونقلية كيف وهو مصادم لقوله تعالى «وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو» وقوله تعالى «وقل رب زدني علماً» وقوله تعالى «ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء» الآية وقوله تعالى «إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت» وعلى القول بأنه تعالى أعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم مفاتيح الغيب فليس علم إحاطة كعلمه تعالى وهو مصادم أيضاً للإجماع

«على أن سر القدر لم يعلمه ولا يعلمه نبي مرسل ولا ملك ولا غيرهما بل هو من «وأنف العقول ويلزم أن يكون علمه صلى الله تعالى عليه وسلم مساوياً لعلم الله وبما ناله في الإحاطة والحقيقة فيلزم حدوث علمه تعالى للمائلة لأنه يجب لأحد المتئين ماوجب للآخر بل ويلزم سائر لوازم العلم الحادث من العرضية والافتقار وغيرهما ولا يجب بالاختلاف بالقدم والحدوث لأن القدم والحدوث خارجان عن حقيقة العلم والحقيقة لا تختلف بالعوارض وأما مع عدم ادعاء المساواة لعلم الله تعالى كأن يقال إن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علم الأولين والآخرين فلا يتم لأن ذلك ليس مستلزماً لمساواته لعلم الله تعالى والإحاطة من كل وجه ومن أقوى ما يرد على هذا ماورد في الحديث من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم يعلمهم في الآخرة محامد يحمدها الله عز وجل لم يكن أهمها قبل لكن شيخ شيخنا بالغ في القول بتكفيره والذي يظهر عدم التكفير لأن هذه اللوازم بعيدة لا يقول بها هذا القائل ولازم المذهب ليس بمذهب خصوصاً إذا كان اللازم بعيداً اه بعض اختصار وإنما كانت هذه اللوازم بعيدة لأنها مأخوذة من مقدمة

أجنبية وهي أنه يجب لا أحد المثلين ماوجب للآخر فلا يلزم من تصور مساواة علم النبي صلى الله عليه وسلم لعلم الله تعالى في الاحاطة تصورها كما ذكرته في كتابي (الطراز المعلم) وقد عرفوا اللازم البعيد بأنه ما لا يلزم من تصور ملزومه تصويره والقريب بأنه ما يلزم من تصور ملزومه تصويره والتحقيق الذي نعتقده أنه صلى الله عليه وسلم لم يفارق الحياة الدنيا حتى أعلمه الله تعالى بالمغيبات التي يمكن البشر علمها وعلمه بها لا أعلم الله كما سترى فلا يجوز القول بأنه مساو له فاعرف ذلك وفي كلام العلامة أبي محمد الأمير موافقة لكلام اليوسى حيث قال عند بيان ان علمه تعالى محيط بما هو غير متناه كالاعداد ونعيم الجنان أي فإنه لا يتناهي بمعنى أنه لا ينقطع أبداً مانصه: وكون العلم بالكمية يقتضي التناهي انما هو في حق الحوادث لضيق دائرة العلم الحادث وقصر تعلقه واما العلم القديم فتعلقه عام لا يتناهي فيتعلق تفصيلاً بما لا يتناهي اهـ

ووراء هذا مباحث طويلة في حقيقة علم الغيب ومفاتيح الغيب والخلاف فيما يجوز ان يعلمه غير الله تعالى وأكثرها مبنية على ما اعتاده المتأخرون من التعليل والتأويل والتقييد والتخصيص والاحتمالات مما لا حاجة لذكره ولا يترتب على الخلاف فيه فائدة أما عندنا الاصل اليقيني المتفق عليه المنصوص في كتاب الله تعالى وهو انه لا يعلم الغيب إلا الله وأن الله تعالى يظهر من ارتضى من رسول على ما شاء من غيبه ليلغو ارسالات ربه ويحوز أن يطلع من شاء على ما شاء ولكن لا يجوز لنا ان نتحكم برأينا فنقول إنه أطلع فلانا على مفاتيح الغيب أو على علم الساعة ونحو ذلك الا بنص قطعي يخص نص القرآن القطعي والله أعلم

تأسيس النظر وأصول الكرخي

سبق لنا تقرير هذا الكتاب ورسالة أصول الكرخي المطبوعة معه في المجلد الخامس وانا تنقل منه الآن ما ذكره الديوبسي مؤلف الكتاب في الفرق بين دار الاسلام ودار الحرب لتوضيح ما تقدم في بحث الحكم بالقوانين الذي سزيده بيانا بعد قال :

دار الاسلام ودار الحرب

الأصل عندنا أن الدنيا كلها داران دار الاسلام ودار الحرب وعند الامام الشافعي الدنيا كلها دار واحدة وعلى هذا مسائل - منها - اذا خرج أحد الزوجين الى دار الاسلام مسلماً مهاجراً أو ذمياً وتحلف الآخر في دار الحرب وقمت الفرقة عندنا فيما بينهما وعند الامام أبي عبد الله الشافعي لاتقع الفرقة بنفس الخروج - ومنها -

إذا أخذوا أموالنا وأحرزوها بدار الحرب ملكوها عندنا وعند الامام الشافعي لا يملكونها - ومنها - إذا اغتتم أهل الحرب أموالنا وأحرزوها بدار الحرب ثم أسلموا عليها وهي في أيديهم كانت لهم ملكا وعند الامام أبي عبد الله الشافعي لا يملكونها وكان عليهم ردها الى أربابها - ومنها - ما قال أصحابنا أن المسلمين إذا استقذوا من أيدي المشركين ما أخذوا من أموالنا لا يأخذها أصحابها الا بالقيمة اذا وجدوها بعد القسمة عندنا وعند الامام الشافعي يأخذونها بغير شيء - ومنها - أن أهل الحرب لو أخذوا من أموالنا عبدا ثم دخل اليهم مسلم بامان فاشتراه منهم واخرجه الى دار الاسلام فإنه لا يأخذه صاحبه الا بالثمن وان وهب له منهم يأخذه بالقيمة وعند الامام الشافعي يأخذه بغير شيء - ومنها - أن الحربي اذا أسلم في دار الحرب ثم خرج اليها وترك ماله ثم ظهر المسلمون على دارهم كان جميع ماله غنيمة عندنا لانه وقع بينه وبين ماله مباينة الدارين وعند الامام أبي عبد الله الشافعي لا يكون غنيمة ولو أسلم ولم يخرج اليها حتى ظهر المسلمون عليهم كان عقاره غنيمة لنا وعند الامام الشافعي لا يكون غنيمة وعلى هذا قال أبو حنيفة رضي الله عنه في الآبق اليهم انهم لا يملكونه بالاخذ لانه لما بق صار في يد نفسه في دار الحرب لأنهم لا يملكون قهره وعارض يد قهر مولاة قهر نفسه وعصيانه وعند صاحبه ملكوه - ومنها - ما قال أصحابنا ان دار الحرب تمنع وجوب ما يندرى بالشبهة لان أحكامنا لا تجري في دارهم وحكم دارهم يخالف لحكم دارنا وعند الامام أبي عبد الله الشافعي بقعة الحرب لا تمنع وجوب ما يندرى بالشبهة ويان هذا: حربي أسلم في دار الحرب ثم دخل رجل مسلم دارهم بامان فقتله لا قصاص عليه ولا دية عندنا وعند الامام أبي عبد الله الشافعي عليه اقصاص وعلى هذا قال أصحابنا لو دخل مسلمان مستأمنان في دار الحرب فقتل أحدهما صاحبه لا قصاص عليه وعند الامام أبي عبد الله الشافعي عليه اقصاص وكذلك قال أصحابنا في أسيرين مسلمين في دار الحرب قتل أحدهما صاحبه لا قصاص على القاتل عندنا وعند الامام الشافعي على القاتل اقصاص وعلى هذا قال أصحابنا لو شرب المسلم الخمر أوزنا أو قذف في دار الحرب لاحد عليه عندنا ويجب عند الامام الشافعي عليه الحداء وفيه التصريح بأن أحكامنا لا تجري في دارهم فباقي على المسلم الذي يرى من المصلحة للاسلام العمل في حكومة الحربي إلا أن يراعي مصلحة المسلمين اذا هو حكم بالقوانين

في الحاشية من بيننا، ومن وثقنا الحاشية، قد أوتى
خير أكبرها وما يذكر إلا أول الأبيات

المسحاة

١٣١٥

أولئك الذين هداهم الله لئلا يكونوا من الخاسرين
أولئك الذين هداهم الله لئلا يكونوا من الخاسرين

(قال عليه الصلاة والسلام: إن الإسلام صوى و«منارا» كنار الطريق)

(مصر — الاربعاء غرة رمضان سنة ١٣٢٢ — ٩ نوفمبر (٢) سنة ١٩٠٤)

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس لاسمذ لامة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
سَقَرُ فَعِدَّةٍ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ، وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ، وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ *
شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ، فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ، وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٍ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ، يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ، وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ *

الكلام في سرد الاحكام فلا حاجة الى التناسب بين كل حكم وما يليه والصيام في اللغة الامساك والكف عن الشيء وفي الشرع الامساك عن الأكل والشرب وغشيان النساء من الفجر الى المغرب احتساباً لله واعداداً للنفس وتهيئة لها لتقوى الله بالمراقبة وتربية الارادة. وقد كتب على أهل الملل السابقة فكان ركننا من كل دين لانه من أقوى العبادات وأعظم ذرائع التهذيب وفي إعلام الله تعالى لنا بأنه فرضه علينا كإفرضه على الذين من قبلنا إشعار بوحدة الدين في أصوله ومقصده وتأكيده لا مراً هذه الفرضية وترغيب فيها. قال الاستاذ الامام أبهم الله هؤلاء الذين من قبلنا والمعروف ان الصوم مشروع في جميع الملل حتى الوثنية فهو معروف عن المصريين في أيام وثنتهم وانتقل منهم الى اليونان فكانوا يفرضونه لاسماعيلى النساء وكذلك الرومانيون كانوا يعنون بالصيام ولا يزال وثنيو الهند وغيرهم يصومون الى الآن. وليس في أسفار التوراة التي بين أيدينا ما يدل على فرضية الصوم وانما فيها مدحه ومدح الصائمين وثبت ان موسى صام أربعين يوماً وهو يدل على ان الصوم كان معروفاً مشروعاً ومعدوداً من العبادات واليهود في هذه الازمنة يصومون أسبوعاً تذكر الخراب اورشليم وأخذها ويصومون يوماً من شهر آب أقول وينقل أن التوراة فرضت عليهم صوم اليوم العاشر من الشهر السابع وأنهم يصومونه بليته ولعلمهم كانوا يصومونه عاشوراء ولهم أيام آخر يصومونها نهاراً. واما النصراني فليس في أنجيلهم المعروفة نص في فرضية الصوم وانما فيه ذكره ومدحه واعتباره عبادة كالنهى عن الرياء واظهار الكفاية فيه بل يأمر الصائم بدهن الرأس وغسل الوجه حتى لا تظهر عليه أماراة الصيام فيكون مرئياً كالفرسيين وأشهر

صومهم وأقدمه الصوم الكبير الذي قبل عيد الفصح وهو الذي صامه موسى
 وكان يصومه عيسى عليهما السلام والحواريون رضي الله عنهم ثم وضع
 رؤساء الكنيسة ضروبا أخرى من الصيام وفيها خلاف بين المذاهب والطوائف
 ومنها صوم عن اللحم وصوم عن السمك وصوم عن البيض واللبن. وكان
 الصوم المشروع عند الأولين منهم كصوم اليهود يأكلون في اليوم واليلة
 مرة واحدة فغيروه وصاروا يصومون من نصف الليل الى نصف النهار
 ولا نطيل في تفصيل صيامهم بل نكتفي بهذا في فهم قوله تعالى (كتب
 عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) فهو تشبيه الفرضية بالفرضية
 ولا تدخل فيه الكيفية والكمية ،

ثم ذكر تعالى حكمة ايجاب الصيام علينا فقال (لعلكم تتقون) وبيان
 ان الوثنيين كانوا يصومون لتسكين غضب آلهتهم اذا عملوا ما يغيظهم أو
 لارضائهم واستمالتهم الى مساعدتهم في بعض الشؤون والاعراض وكانوا
 يعتقدون ان ارضاء الآلهة والتزلف اليها يكون بتهذيب النفس وإماتة
 الجسد وانتشر هذا الاعتقاد في أهل الكتاب حتى جاء الاسلام يعلمنا ان
 الصوم ونحوه انما فرض لانه يعدنا للسعادة بالتقوى وان الله غني عنا وعن عملنا
 وما كتب علينا الصيام الا لمنفعتنا ،

قلنا ان معنى « لعل » الاعداد والتهيئة ، وإعداد الصيام نفوس الصائمين
 لتقوى الله تعالى يظهر من وجوه كثيرة أعظمها شانا ، وأنصعها برهانا ،
 وأظهرها أثرا ، وأعلاها خطرا ، (شرفا) أنه أمر موكول الى نفس الصائم
 لارقيب عليه فيه الا الله تعالى ، وسر بين العبد ورب لا يشرف عليه أحد
 غيره سبحانه ، فاذا ترك الانسان شهواته ولذاته التي تعرض له في عامة

الأوقات لجرد الامتنال لأمر ربه والخضوع لارشاد دينه مدة شهر كامل في السنة ملاحظا عند عروض كل رغبة له من أكل نفيس وشراب عذب بارد وفاكهة يانعة وغير ذلك انه لولا اطلاع الله تعالى عليه ومراقبته له لما صبر عن تناولها وهو في أشد التوق لها لاجرم انه يحصل له من تكرار هذه الملاحظة المصاحبة للعمل ملكة المراقبة لله تعالى والحياء منه سبحانه وتعالى ان يراه حيث نهاه. وفي هذه المراقبة من كمال الايمان بالله تعالى والاستغراق في تعظيمه وتقديسه أكبر معد للنفوس ومؤهل لها لسعادة الروح في الآخرة

كما تؤهل هذه المراقبة النفوس المتحلية بها لسعادة الآخرة تؤهلها لسعادة الدنيا أيضا. انظر هل يقدم من تلبس هذه المراقبة قلبه على غش الناس ومخادعتهم؟ هل يسهل عليه ان يراه الله آكلا لا مؤالها بالباطل؟ هل يحتال على الله تعالى في منع الزكاة وهدم هذا الركن الركين من أركان دينه؟ هل يحتال على أكل الربا؟ هل يقترب المنكرات جهارا؟ هل يجترح السيئات ويسدل بينه وبين الله ستارا؟ كلا ان صاحب هذه المراقبة لا يسترسل في المعاصي اذ لا يطول أمد غفلته عن الله تعالى. واذا نسي وألم بشيء منها يكون سريع التذكر قريب الفاء والجوع بالتوبة الصحيحة «ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون» فالصيام أعظم مرب للارادة وكالج لجاج الالهواء فأجدر بالصائم ان يكون حرا يعمل ما يعتقد انه خير لا عبد للشهوات

انما روح الصوم وسره في هذا القصد والملاحظة التي تحدث هذه المراقبة وهذا هو معنى كون العمل لوجه الله تعالى وقد لاحظته من أوجب

من الأئمة تبين النية في كل ليلة ويؤيد هذا ما ورد من الأحاديث المتفق عليها كقوله صلى الله عليه وسلم : من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه : رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن : قالوا أي من الصغائر وقد يكون الغفران للكبائر لأن الصائم احتساباً وإيماناً على ما ينبتا يكون من التأثمين عما اقترفه فيما قبل الصوم وقوله في الحديث القدسي «يدع طعامه وشرابه وطعامه وشهوته من أجلي» رواه البخاري وغيره

وقد شرح الأستاذ الامام في هذا المقام حال أولئك الغافلين عن الله وعن أنفسهم الذين يفطرون في رمضان عمداً وذكر بعض حيل الذين يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله كالأذنياء الذين يأكلون ولو في بيوت الأخلية حيث تأكل الجرذ والذين يغطسون في الجداول والأنهار ويشربون في أثناء ذلك . وما قذف بهؤلاء وأمثالهم ومن هم شر منهم كالمجاهرين بالفطر الاتقيينهم العبادة جافة خالية من الروح الذي ذكرناه ، والسر الذي أفشيناه ، فحسبوا عقوبة كما كان يحسبها الوثنيون من قبل وما كل إنسان يتحمل العقوبة راضياً مختاراً ثم قال مأماله :

وهنا شيء ذكره بعضهم ويشتمز الإنسان من شره وبيانه وهو أن الصوم يكسر الشهوة بطبعه فتضعف النفوس ويعجز الإنسان عن الشهوات والمعاصي . وفيه من معنى العقوبة والاعنات ما كان يفهمه الكثيرون من جميع مطالب الدين ورائقة عن آباءهم الأولين من أهل الديانات الأخرى . وإذا طبقنا هذا القول على ما نعهد وجوداً ووقوعاً لانجده واقماً لأن المعروف أن الإنسان إذا جاع يضرب بالشهوات وتقوى نهمة ويشتمد قومه وآثار هذا ظاهرة في صوم أكثر المسلمين فانهم في

رمضان أكثر تمتعا بالشهوات منهم في عامة السنة فاسبب هذا وما مثاره ؟
 أليس هو الضراوة بالشهوات ؟ بلى ولا ينافي ما ذكره الاستاذ الامام تشبيه
 الشارع الصوم بالوجاء في كسر سورة الشهوة لأن المراد أن تأثيره في تربية
 النفس وتقوية الايمان يجعل صاحبه مالكا لنفسه يصرفها حسب الشرع
 لا حسب الشهوة

ومن وجوه إعداد الصوم للتقوى ان الصائم عند ما يجوع يتذكر من
 لا يجد قوتا فيحمله التذكر على الرأفة والرحمة الداعيتين الى البذل والصدقة
 وقد وصف الله تعالى نبيه بأنه رؤوف رحيم ويرتضي لعباده المؤمنين ما
 ارتضاه لنبيه صلى الله عليه وسلم ولذلك أمرهم بالتأسي به بل وصف
 المؤمنين بقوله «رحماء بينهم»

مهما تعددت وجوه فائدة الصوم فلا يبلغ شي منها مبلغ الوجه الاول
 وهو انما يكون لمن يصوم لوجه الله تعالى كما هو الملاحظ في النية على ما
 قدمنا ويؤيده مع الاحاديث التي أشرنا اليها ما يدكرونه في صيغة النية
 وهو : نويت صوم غد عن أداء فرض رمضان هذه السنة ايمانا واحتسابا
 لوجه الله الكريم : وآية الصيام بهذه النية والملاحظة التحلي بتقوي الله تعالى
 وما يتبعها من أحاسن الصفات والخلال ، وفضائل الاعمال ، قال الاستاذ
 لأشك في ان من يصوم على هذا الوجه يكون راضيا مرضيا مطمئنا بحيث
 لا تجدد في نفسه اضطرابا ولا انزعاجا . نعم ربما يوجد عنده شيء من الفتور
 الجسماني وأما الروحاني فلا أعرف رجلا لا يفضب في رمضان مما يفضب
 له في غيره ولا يمل من حديث الناس ما كان يمل في أيام الفطر وذلك لانه
 صائم لوجه الله تعالى ، والظاهر انه يعني نفسه ويؤيد قوله ماورد في علامات

الصائم من ترك المعاصي والآثم ومنها حديث احمد والبخاري مرفوعا « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه »

أين هذا كله من الصوم الذي عليه أكثر الناس وهو ما تراهم متفقيين على ان من آثاره السخط والحق وشدة الغضب لادنى سبب واشهر هذا بينهم وأخذوه بالتسليم حتى صاروا يعتقدون انه أثر طبيعي للصوم حتى اذا أخش أحدهم قال للآخر لا عتب عليه فانه صائم وهو وهم استحوذ على النفوس فحل منها محل الحقيقة وكان له أثرها. ومتى رسخ الوهم في النفس يصعب انتزاعه على العقلاء الذين يتعاهدون أنفسهم بالتربية الحقيقية دائما فكيف حال الغافلين عن أنفسهم المنحدرين في تيار الماديات والتقاليد الشائعة لا يتفكرون في مصيرهم ولا يشعرون في أية لجة يقذفون

(قال الاستاذ) إن وهما من أوهام الصوم يغالبني في أوائل رمضان وانني لعلمي به اجتهد في مصارعته ولا اقدر على صرعه وازالته الا بعد مضي أيام من أول رمضان. منشأ ذلك الوهم ان من عادتي ان لا أعمل شيئا في صبيحة كل يوم الا بعد تناول طعام الفطور فاذا كان رمضان آخذ القلم في الصباح لا كتب مثلا فلا أدري ماذا أكتب ويتعاصى القلم أن يجري بسهولة حتى انني لولا معرفة السبب لتركته ولكنني لا أزال اعالجه حتى يجري ويغلب سلطان الحقيقة على سلطان الوهم

ان أكثر الناس يلاحظون في صومهم حفظ رسم الدين الظاهر وموافقة الناس فيما هم فيه حتى ان الحائض تصوم وترى الفطر في نهار رمضان عارا ومأثما. ولا بأس بهذا الصوم من غير الحائض لحفظ ظاهر الاسلام واقامة هيكل شعائره ولكنه لا يفيد المسلمين شيئا في دينهم ولا

في دنياهم خلوة من الروح الذي يعدمهم للتقوى ويؤهلهم لسمعة الآخرة
والدنيا. وقد شرح الاستاذ الامام في الدرس ما عليه الناس من الاستعداد
لأن كل رمضان وشر به بحيث ينفقون فيه على ذلك ما يكاد يساوي نفقة سائر
السنة. حتى كأنه موسم أكل وكأن الامساك عن الطعام في النهار إنما هو
لأجل الاستكثار منه في الليل. وهذا هو الصوم المراد بقوله صلى الله عليه
وسلم «كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش» رواه النسائي
وابن ماجه ولا تطيل بشرح ما عليه الناس فهم يعلمونه علما تاما وفيما
كتب كفاية لمن يريد معرفة حقه من باطله

ثم بين تعالى ان الصيام الذي كتبه علينا معين محدود فقال (اياما
معدودات) أي معينات بالعدد أو قليات وهي أيام رمضان كما روي عن
ابن عباس وغيره قال المفسرون وعليه أكثر المحققين وزعم بعض الناس
ان هذه الأيام غير رمضان وهي يوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر
وعينها بعضهم بأنها الأيام البيض أي الثالث عشر وما بعده ثم نسخت بآية
«شهر رمضان» الآية ولم يثبت في السنة أن الصوم كان واجبا على المسلمين
قبل فرض رمضان ولو وقع لنقل بالتواتر لأنه من العبادات العملية العامة.
نعم ورد في الصحيح الأحادي طلب صوم يوم عاشوراء استحبابا ولكن
لادليل على انه كان قبل فرض رمضان ولا على أنه كان عاما في المسلمين
ولا على أنه نسخ فهم لا يزالون يصومونه استحبابا من شاء منهم بل يدل
حديث «أثن بقيت الى قابل لأصومن التاسع» مع ما ورد من انه مات
من سنته تلك على أن الأمر بصوم عاشوراء كان في آخر زمن البعثة.
ولكن كان لبعض العلماء ولع بتكثير استخراج النسخ والمنسوخ من القرآن لما

فيه من الدلالة على سعة العلم بالقرآن وان كان علما بابطال القرآن بادي الرأي من غير حجة تضاهي حجة القرآن في القطع والقوة . ولا ينبغي للدؤمن أن يحسب هذا هينا وهو عند الله عظيم

ولما كان فرض الصيام بما ذكر يفيد العموم استثنى منه من يشق عليهم أدؤه ومن هم عرضة للمشقة فقال (فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من أيام أخر) أي فالواجب عليه القضاء بمدد الايام التي لم يصمها وكل من المريض والمسافر عرضة لاحتمال المشقة بالصيام . وإطلاق كلمة مريضا يدل على أن الرخصة لا تقتيد بالمرض الشديد الذي يعسر معه الصوم وروى هذا عن عطاء وابن سيرين وعليه البخاري لأن أمثال هذه الأحكام تقرر بمظنة المشقة تحقيقا للرخصة قرب مرض لا يشق معه الصوم ولكنه يكون ضارا بالمريض وسببا في زيادة مرضه وطول مدته وتحقيق المشقة عسر وعرفان الضرر أعسر . واستدل الجمهور على تقييده بالمرض الذي يعسر الصوم معه بقوله في الآية الأخرى « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ولادليل فيه فانه تعليل لأصل الرخصة وكما لها ان لا يكون فيها تضيق . وكذلك السفر مطلق يشمل الطويل والقصير وسفر المعصية . وقد جاء في السنة ما يؤيد هذا الاطلاق في السفر القصير فقد روى أحمد ومسلم وأبو داود عن أنس انه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ صلى ركعتين : ويرجع كون الرواية ثلاثة أميال حديث أبي سعيد عند سعيد بن منصور قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر فرسنا يقصر الصلاة : والفرس خ ثلاثة أميال . بل روى ابن أبي شيبة باسناد صحيح عن ابن عمر انه كان يقصر في الميل الواحد .

وماروي في قصره (ص) في مسافة أطول لا ينافي هذا فان القصر فيها أولى .
 ولا خلاف بين المسلمين في أن السفر الذي يباح فيه القصر يباح فيه الفطر . وأما
 العاصي بالسفر فهو على دخوله في الاطلاق من جملة المكافين المخاطبين بالشرعية
 كلها كغيرهم كما تقدم بيانه في تفسير « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم
 عليه » . وزعم بعض المفسرين المقلدين أن قوله تعالى « أو على سفر » يوصل الى
 أن من سافر في أثناء اليوم لا يجوز له أن يفطر فيه بل يفطر في اليوم الثاني لأن
 الكلمة تدل على التمكن من السفر بمجمله كالمر كوب ولكن السنة جرت بخلاف
 ذلك فقد روى البخاري وغيره عن ابن عباس قال : خرج رسول الله صلى
 الله عليه وسلم الى حنين (١) والناس مختلفون فصائم ومفطر فلما استوى على
 راحلته دعا بإناء من لبن أو ماء فوضعه على راحته أو راحلته ثم نظر الى
 الناس فقال المفطرون للصوام أفطروا : وفي حديث أنس وأبي بصرة الامر
 بذلك وتسميته سنة . وقوله تعالى « فعدة من أيام أخر » من إيجاز القرآن
 البديع لانه يتضمن شرطا ومضافين حذفنا لفهما من العبارة والتقدير فعليه
 صوم عدة أيام المرض والسفر من أيام أخر اذا هو افطر ولا حاجة الى
 التعليل فان العبارة فصيحة بنفسها مفهومة لما قدروه ابتداء . وذهب الظاهرية
 إلى وجوب الافطار في المرض والسفر والآية لا تقتضيه وقد مضت السنة
 العملية بخلافه . وذهب قوم الى وجوب هذه العدة عليهما وان صاما
 ومقتضاها ان الله تعالى ضيق على المريض والمسافر وشدد عليهما ما لم يشدد
 (١) استشكلوا هذه الرواية لما علم من ان خروجه الى حنين كان في شوال
 فقال بعضهم ان الصواب خرج الى مكة اولى خيبر وقال بعضهم المراد انه قصد السفر الى
 حنين في رمضان وشرع فيه ثم ارجأه

علي غيرهما وهو كما ترى . والصواب أن من صام فقد أدى فرضه ومن أفطر
وجب عليه القضاء وبذلك مضت السنة العملية فقد ورد في الصحيح أنهم
كانوا يسافرون مع النبي (ص) منهم المفطر ومنهم الصائم لا يعيب أحد على
الآخر وأنه كان يأمرهم بالافطار عند توقع المشقة فيفطرون جميعا كما جاء في
حديث أبي سعيد عند أحمد ومسلم وأبي داود قال : سافرنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى مكة ونحن صيام فنزلنا منزلا فقال رسول الله (ص)
« إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم » فكانت رخصة فنامن
صام ومنا من أفطر ، ثم نزلنا منزلا آخر فقال « انكم مصبحو عدوكم
والفطر أقوى لكم فأفطروا » فكانت عزيمة فأفطرننا : الحديث

ثم قال تعالى (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) وهذا هو
القسم الثاني من المستثنى وهو من لا يستطيع الصوم إلا بمشقة شديدة
قال الاستاذ الامام الاطاقة أدنى درجات المكنة والقدرة على الشيء فلا
تقول العرب أطاق الشيء الا اذا كانت قدرته عليه في نهاية الضعف بحيث
يتحمل به مشقة شديدة . فالمراد بالذين يطيقونه هنا الشيوخ والضعفاء
والحوامل والمرضع يخففن على الأجنة والأطفال ونحوهم كالفعله الذين
جعل الله معاشهم الدائم بالاشتغال الشاقة كاستخراج الفحم الحجري من
مناجمه : وروى البخاري ان ابن عباس حمل الآية على الشيخ والشيخة وفي
حديث أنس بن مالك الكعبي عند أحمد وأصحاب السنن ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال « ان الله عز وجل وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة
وعن الجبل والمرضع الصوم . وقد روى الدارقطني والحاكم وصحاحه عن
ابن عباس أنه قال رخص للشيخ الكبير ان يفطر ويطعم ولا قضاء عليه :

وهذا ظاهر في معنى الآية وهو مذهب الشافعية في الشيوخ والمجاز
ومن في حكمهم . وذهب كثيرون الى أن الآية منسوخة اذ فهموا أن
الاطاقة بمعنى الاستطاعة وقدر بعض المفسرين كالجلال حرف نفي فقال
وعلى الذين لا يطيقونه فدية ليوافق مذهبه والآية موافقة له من غير حاجة
الى جعل الاثبات نفيًا كما قلنا آنفاً وقال بعضهم ان الهزة في الاطاقة
للسلب فمنعها الذين لا يطيقونه من غير تقدير حرف النفي . وجملة القول
ان في الآية أقوالاً كثيرة أقواها ما اختاره الاستاذ الامام في الدرس من
ان أطاق الفعل بمعنى بلغ غاية طوقه أو فرغ طوقه فيه . وهو قول منقول
معقول والقاعدة انه لا يحكم بالنسخ اذا أمكن حمل القول على الأحكام

وجملة القول ان المؤمنين على أقسام في الصوم - الأول المقيم الصحيح
القادر على الصوم بلا ضرر ياحقه ولا مشقة ترهقه والصوم واجب عليه
حتمًا . الثاني المريض والمسافر ويباح لهما الافطار مع وجوب القضاء لأن
من شأن المرض والسفر التعرض للمشقة العارضة فاذا تعرضا للضرر بالفعل
بأن علما أو ظنا ظنا قويا بأن الصوم يضرهما وجب الافطار . الثالث من يشق
عليه الصوم لسبب لا يرجي زواله كالهرم والمرض المزمن الذي لا يرجى
برئه وكذلك الحامل والمرضع وهؤلاء لهم ان يفطروا ويطعموا بدلا
عن كل يوم مسكينا مدًا من الطعام على الأقل

ثم قال تعالى بعد بيان الواجب الحتم والرخص فيه (فمن تطوع خيرا)
بأن زاد على تلك الأيام المعدودات (فهو خير له) لأن فائدته وثوابه له
وايفاء في قوله فمن تطوع تدل على هذا لانها تفريع على حصر الفرضية في الايام
المعدودات فزاد تطوع ولا تصلح تفريعا على قوله « وعلى الذين » الخ كما لا يخفى

على عارف باللغة (وان تصوموا خير لكم) أي والصيام خير لكم لما فيه من رياضة الجسد وتربية الارادة وتغذية الايمان وتقويته بمراقبة الله تعالى (ان كنتم تعلمون) وجه الخيرية فيه لان كنتم تصومون تقليدا من غير فقه ولا علم بسر الحكم وحكمة التشريع وكونه لمصلحة المكافين ، لأن الله غني عن العالمين ، أو اتباعا لعادات الخلطاء والمعاشرين ، هذا ما يظهر من الآية وقد ذكر المفسرون أن الخطاب فيها لأهل الرخص وأن الصيام في رمضان خير لهم من الترخص بالافطار وهذا غير متفق عليه وتنافيه أحاديث وردت ويبيده التفريع بالفاء كما قدمنا وجهه ل (الجلال) التطوع متعلقا بالكفارة بأن يزيد على اطعام المسكين وهو أبعد

ثم قال تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) الخ فين أن تلك الايام المعدودات هي أيام شهر رمضان وأن الحكمة في تخصيص هذا الشهر بهذه العبادة هي أنه الشهر الذي نزل فيه القرآن ، وأفيضت على البشرية هداية الرحمن ، فحق أن يعبد الله تعالى فيه ما لا يعبد في غيره تذكر الانعام بهذه الهداية وشكرا عليها . والحكمة في ذكر الايام مبهمه أولا وتعيينها بعد ذلك أن ذلك الابهام الذي يشعر بالقلّة يخفف وقع التكليف بالصيام الشاق على النفوس وهو الاصل اذ ليس رمضان عاما في الأرض كما سيأتي بيانه قريبا . ثم ان هذا التعيين والبيان جاء بعد ذكر حكمة الصيام وفائده وذكر الرخص لمن يشق عليه وذكر خيرية الصيام واستحباب التطوع فيه وكل ذلك مما يعد النفس لان تتلقى بالقبول والرضى جعل تلك الايام شهرا كاملا . وانظر كيف ابتداء هنا بذكر شهر رمضان وإنزال القرآن فيه ووصف القرآن بما وصفه به حتى

كأنه يحكي عنه لذاته بعد الانتهاء من حكم الصوم ثم ثنى بالامر بصومه
 فلم يفاجئ النفوس به مع ذلك التمهيد له حتى قدم العلة على المعلول . ولعل
 هذا من حكمة حذف خبر المبتدأ اذا قلنا ان كلمة « شهر رمضان » مبتدأ
 أو حذف المبتدأ اذا قلنا أنها خبر لمحدوف . وقال الاستاذ الامام : إن حذف
 الخبر جار على ما نعهد من إيجاز القرآن بحذف ما لا يقع الاشتباه بحذفه
 وإن البيان بعد الإبهام جاء على أسلوبه من ذكر الاشياء ثم ذكر علمها
 وحكمها وهي هنا إنزال القرآن الذي هدانا الله تعالى به وجعله آيات بينات
 من الهدى أي من الكتب المنزلة والفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل
 فوصفه بأنه هدى في نفسه لجميع الناس وأنه من جنس الكتب الالهية
 ولكنه الجنس العالي على جميع الاجناس فانه آيات بينات من ذلك الهدى
 السماوي وكتب الله كلها هدى ولكنها ليست في بيانها كالقرآن ، واضرب
 مثلاً كتاب دانيال النبي فان الله ما أنزله عليه الا ليهتدي به من يقرأه عليهم
 ولكنه لم يكن آيات بينات بل هو كالانغاز والرموز لا يفهم الا بعناء ،
 وكذلك التوراة التي سماها الله تعالى نورا وهدى فيها غوامض ومشكلات
 وقع الاشتباه فيها فلم يكن ضياء الحق والهداية متبلجا وساطعا من سطورها
 سطوعه من القرآن . والذي نراه في هذه الاناجيل أن تلامذة المسيح
 أنفسهم ما كانوا يفهمون كل ما يخاطبهم به من المواعظ والاحكام وهي
 الانجيل الحقيقي في اعتقادنا ولم ينقل اليها أن الصحابة عي عليهم شيء من
 آيات القرآن فلم يفهموها فالقرآن يمتاز على سائر الكتب السماوية بأنه
 آيات بينات من الهدى الذي توصف به كلها وبينات من الامر
 الالهي الفارق بين الحق والباطل ، ولكن المسلمين لم يرضوا كافة

بأن يمتاز القرآن بالبيان الذي ليس بعده بيان والهدى لجميع الناس كما وصف نفسه فحاولوا تغميضه والتسليم بأنه غامض لا يفهمه الا أفراد من الناس أوتوا علما جها وفاقوا سائر البشر بمقولهم وأفهامهم كما فاقوهم بعلومهم ومعارفهم . ثم زعموا أن هؤلاء الأفراد كانوا في بعض القرون الأولى وهم المجتهدون وانهم قد انقرضوا ولم يأت بعدهم ولن يأتي من يسهل عليه أن يفهم القرآن ولو أحكامه فقط . وتجد هذا القول المناقض للقرآن والنافض له مسلما بين جماهير المسلمين ، حتى الذين يدعون بأنهم علماء الدين ، ومن نبذه اهتداء بالقرآن ، ربما نبزوه بالكفر والطفليات ، فأبي الفريقين أحق بصدق الايمان ؟ أما وصر الحق لولا أن المسلمين ألبسوا القرآن ثوبا غير الثوب الذي ينبغي أن يلبس لكان نور بيانه مشرقا عليهم وعلى سائر الناس كالشمس ليس دونها سحاب ولكنهم أبوا الا أن يتبعوا سنن من قبلهم شبرا بشبر وذراعا بذراع ويضعوا كتبنا في الدين يزعمون أن بيانها أجلى ، والاهتداء بها أولى ، لأنها بزعمهم أبين حكما ، وأقرب الى الاذهان فهما ،

قلنا ان الله تعالى فرض علينا صيام هذا الشهر بخصوصه تذكرا للنعمته علينا بانزال القرآن فيه وشكرا له عليها ومن الشكر ان تكون هدايتنا بالقرآن في مثل وقت نزوله أكمل ومنها ان يكون الصيام موصلا الى حقيقة التقوى فاذا لم ننتفع بالصيام في أخلاقنا وأعمالنا ، ولم نهتد بالقرآن في عامة أحوالنا ، فأين الانتفاع بالنعمة وأين الشكر عليها ؟ كان جبريل يدارس النبي القرآن في رمضان ولذلك كان السلف يتدارسون فيه ويقومون ليله به لزيادة الاهتداء والاعتبار فاذا كان من اقتداء الخلف بهم ؟ كان أن بعض

الوجهاء والاعنياء يستحضرون في رمضان من القراء من كان حسن الصوت
يتغنى لهم بالقرآن في حجرات الخدم وهم في الغرفات مع أمثالهم وأمثالهم
لا هون لآعبون ومن عساه يصنع منهم أحيانا للقاريء فأنما يريد التلذذ
بسماع صوته الحسن وتوقيعه الغنائي فقد جعلوا القرآن إما مهجورا وإما لذة
جسدية فصدق عليهم قوله « اتخذوا دينهم هزوا ولعبا »

أما معنى إنزال القرآن في رمضان مع أن المعروف باليقين أن القرآن
نزل منجما متفرقا في مدة البعثة كلها فهو أن ابتداء نزوله كان في رمضان
وذلك في ليلة منه سميت ليلة القدر أي الشرف واليلة المباركة كما في آيات
أخرى وهذا المعنى ظاهر لا إشكال فيه على أن لفظ القرآن يطلق على
هذا الكتاب كله ويطلق على بعضه . وقد ظن الذين تصدوا للتفسير
منذ عصر الرواية أن الآية مشكلة ورووا في حلها أن القرآن نزل في ليلة
القدر من رمضان إلى سماء الدنيا وكان في اللوح المحفوظ فوق سبع سموات
ثم نزل على النبي منجما بالتدرج وظاهر قولهم هذا أنه لم ينزل على النبي
في رمضان خلافا لظاهر الآيات ولا تظهر المنة علينا ولا الحكمة في جعل
رمضان شهر الصوم على قولهم هذا لأن وجود القرآن في سماء الدنيا كوجوده
في غيرها من السموات أو اللوح المحفوظ من حيث أنه لم يكن هداية لنا
ولا تظهر لنا فائدة في هذا الانزال ولا في اخبار به الا زادوا على هذا روايات
في كون جميع الكتب السماوية أنزلت في رمضان كما قالوا إن الأمم السابقة
كلت بصيام رمضان قال الاستاذ الامام ولم يصح من هذه الأقوال
والروايات شيء وإنما هي حواشي أضافوها لتعظيم رمضان ولا حاجة لنا
بها إذ يكفي أن الله تعالى أنزل فيه هدايتنا وجعله من شعائر ديننا ومواسم

عبادتنا، ولم يقل تعالى إنه أنزل القرآن جملة واحدة في رمضان ولا أنه أنزله من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا بل قال بعد انزاله «هو قرآن مجيد في لوح محفوظ» فهو محفوظ في لوح بعد نزوله قطما . وأما اللوح المحفوظ الذي ذكروا أنه فوق السموات السبع وان مساحته كذا وأنه كتب فيه كل ما علم الله تعالى فلا ذكر له في القرآن . على أن اللوح المحفوظ الذي يذكرونه من عالم الغيب فالإيمان به إيمان بالغيب يجب أن يوقف فيه عند النصوص الثابتة بلا زيادة ولا نقص ولا تفصيل وليس عندنا في هذا المقام نص يجب الإيمان به، ومن خصه الله بشيء من علم الغيب التفصيلي فذلك فضله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

ثم قال تعالى بعد بيان فضيلة شهر رمضان بإنزال القرآن فيه (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) قال بعض المفسرين ان المراد بالشهر هنا الهلال وكانت العرب تعبر عن الهلال بالشهر ويرده أنهم لا يقولون شهد الهلال وإنما يقولون رآه ومعنى شهد حضر ، وقال بعضهم ان المعنى فمن كان حاضرا منكم حلول الشهر فليصمه . قال الاستاذ الامام وإنما عبر بهذه العبارة ولم يقل «فصومه» لمثل الحكمة التي لم يحدد فيها القرآن مواقيت الصلاة وذلك ان القرآن خطاب الله العام لجميع البشر وهو يعلم أن من المواقع ما لا شهور فيها ولا أيام معتدلة بل السنة كلها قد تكون فيها يوما وليلة تقريبا كالبلاد القطبية فالمدّة التي يكون فيها القطب الشمالي في ليل وهي نصف السنة يكون القطب الجنوبي في نهار وبالعكس ويقصر الليل والنهار ويطولان على نسبة القرب والبعد عن القطبين رأيت هل يكلف الله تعالى من يقيم في جهة القطبين وما يقرب منهما بأن يصلي في يومه (وهو

سنة) خمس صلوات احدهما حين يطلع الفجر والثانية بعد زوال الشمس الخ
ويكافئه بأن يصوم شهر رمضان بالتعيين ولا رمضان له ؟ كلا إن من الآيات
الكبرى على كون هذا القرآن من عند الله المحيط علمه بكل شيء لا من تأليف
البشر ما نراه فيه من الاكتفاء بالخطاب العام الذي لا يتقيد بزمان من جاء به
ولا مكانه ولو كان من عند النبي صلى الله عليه وسلم لكان كل ما فيه مناسبا لحال
زمانه وبلاده وما يليها من البلاد التي يعرفها اذ لم تكن العرب تعرف ان في
الارض بلاد انهارها كمدة انهره أو أشهر من أنهر تنالها ليها أو أشهرنا كذلك .
فنزّل القرآن وهو علام الغيوب وخالق جميع البلاد والافلاك خاطب الناس
كافة بما يمكن ان يمثلوه فأطلق الأمر بالصلاة والرسول بين أوقاتها بما
يناسب حال البلاد المعتدلة التي هي القسم الأعظم من الارض واذ وصل
الاسلام الى أهل البلاد التي أشرنا اليها يمكنهم ان يقدروا للصلوات باجتهادهم
والقياس على ما بينه النبي (ص) من أمر الله المطلق . وكذلك الصيام ماوجب
رمضان الاعلى من شهد الشهر وحضره والذين ليس لهم شهر مثله يسهل
عليهم أن يقدروا له قدره . وقد ذكر الفقهاء مسألة التقدير بعد ما عرفوا بعض
البلاد التي يطول ليها ويقصر نهارها والبلاد التي يطول نهارها ويقصر ليها
واختلفوا في التقدير على أي بلاد يكون فقبل على البلاد المعتدلة التي وقع
فيها التشريع كمكة والمدينة وقيل على أقرب بلاد معتدلة اليهم
ثم أعاد ذكر الرخصة فقال (فمن كان منكم مريضا أو على سفر
فعدة من أيام أخر) ثلاثونهم - بعد تعظيم أمر الصوم في نفسه وأنه
خير ويندب التطوع به وبعد تحديده بشهر رمضان الذي له من الفضل والشرف
ماله - أن صوم هذا الشهر حتم لا تتناوله الرخصة أو تتناوله ولكن لا تحمد

فيه ولم يري ان تأكيد الصوم بمثل ما أكده الله تعالى به يقتضي تأكيد أمر الرخصة ولولا ذلك ما أتاهم تقبل اننا نرى الصحابة عليهم الرضوان كانوا على تأكيد أمر الرخصة في القرآن يتحاهون الفطر في السفر ولا حتى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمرهم به في بعض الاسفار فلا يمتثلون حتى يفطروا بالفعل ثم قال تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) فيما شرعه ويشرعه لكم من الاحكام قال الاستاذ زكّاء في هذا ضربا من التعريض والترغيب في إتيان الرخصة ولا غرو فالله يحب ان تؤتي رخصه كما تؤتي عزائمهم وقد اختلف العلماء في الافضل للمريض والمسافر على أقوال ثلثها التخيير . أقول والآية تشعر بأن الافضل ان يصوم اذا لم تلحقه مشقة أو عسر والا كان الافضل ان يفطر لأن الله لا يريد إعناء الناس بأحكامه وانما يريد اليسر بهم وخيرهم ومنفعتهم .

ثم قال (ولتكمّلوا العدة) اختلف في إعرابه ف قيل إن اللام للتعليل وهي معطوفة على التعليل المستفاد من قوله « يريد الله بكم اليسر » كأنه قال رخص لكم لأنه يريد بكم اليسر وان تكملوا العدة فمن لم يكملها أداء لعذر أكلها قضاء وقيل إنها لتقوية الفعل كما في قوله « يريدون ليطفئوا نور الله » أي يريد الله بكم اليسر وأن تكملوا العدة وهو يجري في كلام البلاء كمشيرا ورجحه الاستاذ الامام (ولتكبروا الله على ما هداكم) اليه من الاحكام النافعة لكم بأن تذكروا عظمته وجلاله وأنه القاهر فوق عباده يريهم بما يشاء من الاحكام ويؤدبهم بما يختار من التكاليف والمنعم المتفضل عليهم عند ضعفهم بالرخص اللاتفة بحالهم (ولعلمكم تشكرون) له هذه النعم بالقيام بها على وجهها فتكونون من الكاملين

وذهب جمهور المفسرين الى أن في الكلام ثلاثة تعليلات مرتبة على سبيل اللف لفعل محذوف عامل في جملة الاحكام الماضية أي شرع لكم ماذكر من صيام أيام معدودات هي شهر رمضان من شهده سالما صحيحا تكملوا العدة (والتعبير بالعدة دون عدة الشهر يشعر بما قاله الاستاذ الامام من أن الاصل في التكليف العام بالصوم هو الايام المعدودات وكونها رمضان بعينه خاص بمن شهده ممن لم تتناوله الرخصة وهذا من دقة القرآن الغريبة وبلاغته التي لا يخطر مثاها على قلب بشر) - وشرع لكم القضاء على من أفطر في مرض يرجى برؤه أو سفر لتكبروه وتعظموا شأنه على ما هذا كم اليه من الجمع بين الرخصة بالفطر والتكليف بالقضاء - وشرع لكم الفدية في حال المشقة المستمرة بالصوم وأراد بكم اليسر دون العسر لعلكم تشكرون هذه النعمة . وقد صورنا ترتيب التعليل الذي ذكره ، بما نراه أوضح مما صوروه ،

القسم العمومي

﴿ ضعف المسلمين ، بمزج السياسة بالدين ﴾

(مراجعة رفيق بك العظم للشيخ صالح بن علي اليافعي)

كتبت في المنار الانغر فصلا تحت عنوان (هذا أوان العبر) بحث فيه عن تقهقر المسلمين وسببه ورأيت بعد مقدمات سررتها ان استبداد الحكومة هو علة هذا الضعف الشامل الذي ألم بالمسلمين وجعلهم في أخريات الأمم وقلت انما أنا منهم لاستبداد الامراء، وأضعف بحياتهم السياسية الرجاء، مزج السياسة بالدين مزجا أدى الى استئثار الخلفاء بالسلطة واستبدادهم بكل شؤون الملك حتى أخذت الحكومة الاسلامية شكل الحكومات المطلقة التي هي نار تأكل المعالك وتذهب بحياة الشعوب . ولو تنبه العرب في بدء نشوء الدولة الى أن الحياة السياسية غير الحياة الدينية وأسسوا هذا

الملك الكبير على أساس الحكومات الديموقراطية التي كانت عند مجاورتهم من الرومان لما استفحل داء الاستبداد المطاق في الدولة الاسلامية الى آخر ما ورد في ذلك الفصل .
وبما أن أكثر المقدمات كانت اجمالية أردت بها الإشارة الى نتائج الحكم المطلق قد التبتت على حضرة الفاضل الهندي صاحب مقالة (ضعف المسلمين وعلاجه) فحمل قولي على غير ما أردت وكتب في المنار المنير مقالته المسهبة في الرد علي فذهب فيها مذاهب من يان الداء والدواء تدل على وقوف على أحوال المسلمين وعلم لا ينكر على مثله الا أنه آخذني على بعض المقدمات مؤاخذه من التبس عليه فهم المراد منها فطفق يسرد الأدلة على فضائل الدين الاسلامي وانه صالح لترقي المسلمين كأنه ظن أنني بقولي إن السياسة غير الدين أدعو المسلمين الى ترك الدين أو أن الاسلام غير صالح لترقي الامة ومعاذ الله أن يقول بهذا مسلم عنده ذرة من العلم بحقيقة الاسلام ووقوف على تاريخ المسلمين ولكي أرفع ما ورد على ذهنه من الشبه وماتبادر الى فهمه من ظاهر كلامي أريد مع احترامي لغيرته العظيمة ونيته السليمة مناقشته في بعض المقدمات التي أوردتها في مقالته (ضعف المسلمين وعلاجه) تمحيصا للحق وبياناً للحقيقة فاقول

جاء في مقدمته الاولى عن أسباب تهقر المسلمين ان أعظم تلك الاسباب وأولها نقلب من لا يستحق الخلافة على من يستحقها وجعلها ملكاً عضوضاً قائماً بقوة السيف . وثانيهما نبذ المسلمين للكتاب والسنة وافتراقهم شيعا في الدين فاما السبب الثاني فلا مشاحة فيه وقد بسطه حضرته بسطاً وافياً أعرب فيه عما يحتاج ضمائر العقلاء من الامة وهو سبب مهم من أسباب تدلي المسلمين لا ينكره الا مكابر أو جاهل فلا تناقشه فيه بل نوافقه عليه ولي فيه كلام طويل وفصول كثيرة في كتي (أشهر مشاهير الاسلام) (وتنبية الافهام) فليراجعهما إن أحب

وأما السبب الثاني فقد جعله أخونا الفاضل أساساً وهو في الحقيقة نتيجة مقدمات وأسباب لو تتبعها لما خالفني في رأيي ويانه أنني بنيت قولي بتهقر المسلمين على ثلاثة أمور (الأول) الاستبداد و(الثاني) طرز الحكومة و(الثالث) مزج المسلمين الحياة الدينية بالحياة السياسية وهذا الأخير ينقسم الى قسمين وهما : طرز الحكومة . والاستبداد : فالاستبداد منشؤه الحكومة المطلقة وهذه منشؤها استئثار الخلفاء

بالسلطة العامة باسم الدين لجعلهم حياة الامة السياسية حياة دينية وأخونا الفاضل الهندي وافقني في بيانه للسبب الاول على الثاني وهو الاستبداد وانما انكر علي كونه ناشئاً عن مزج السياسة بالدين ورأى أن منشأ استبداد الامراء تغلب النازعين الى الملك ممن كانوا غير أهل للخلافة على من كانوا اهلها وتشريدهم لهم في كل صقع وواد وأخذ الخلافة بالقلبة دون اختيار أهل الحل والعقد وجعلها بعد أخذهم لها بقوة السيف ملكاً عضواً ذهبوا فيه مذاهب أهل الاثرة والكبرياء وحادوا به عن طريق الشرع وآثروا الجهلة والفساق الخ ما قل . والذي يستنتج من رأيه هذا أن الخلافة لو بقيت باختيار أهل الحل والعقد ووسدت الى أهلها ممن عناهم حضرته لما حل بالامة من مصائب الاستبداد ما حل ولما طرأ على الدول الاسلامية من الضعف ما طرأ وما دام مسلماً معنا بهذا المقدمة فقد كان يلزمه أن يبحث عن السبب الذي افضى بالخلافة الى غير أهلها ويبين الوجه الذي يضمن بقاءها على ماتركها عليه الخلفاء الاولون سائرة على نهج الحق والعدل لاسيما لاولئك النازعين الى الملك المتوثبين على الخلافة الى خرق حرمتها والتغلب على من كانوا اهلها وأحق بها ويرى ما الذي ادخل على مركز الخلافة الاضطراب من عهد الخليفة الثالث رضي الله عنه حتى زعزعه عواصف الفتن وغلب عليه المتغلبون فكانت من ثم أول حلقة من سلسلة الانقسام والتغالب الذي جر على الامة من البلاء وأذاقها من استبداد الامراء ما انتهى بها الى الغاية الشنعاء التي نشاهدها الآن بالبيان

لو نظر حضرته الى السبب ودقق النظر في هذا البحث لعلم اني لم اخرج في بحثي عن هذه الوجهة ولم اتعرض في كلامي لاصل الشريعة التي قال فيها لو عمل بها الخلفاء لما اصاب الامة ما اصابها من الجور اذ هذا حق لا ريب فيه ولم يكن كلامي دائراً عليه بل على الاساس الذي ينبغي ان تقام عليه دعائم الدولة ويتكفل بسير الامراء على نهج العدل وعملهم بأوامر الشريعة ويقف بهم مرعفين عند حد القانون . وهذا الاساس هو الذي يعرف هذا العهد بالنظام الاساسي الذي عليه تقدم الدول الشورية والحكومات النيابية ولا بقاء للحكم النيابي بدون قط هذا النظام هو الذي يتكفل بتنفيذ القوانين الشرعية والوضعية ويعطي الشعوب

حق السيطرة على الحكومة والمشاركة لها في الرأي ويحدد سلطة الامراء والملوك تحديداً يمنعهم من الذهاب في سياسة الأمم مذاهب الشهوات وان يكونوا ارباباً والرعية مريوبين . وهذا الظلم هو الذي نهض بدول الغرب الى اوج القوة والمجد والسيادة على الارض وخرج باليابان من وهدة الهوان الى مقام الدول العظيمة ذات القوة والسلطان والى هذا المعنى اشترت بحياة الامم السياسية وانها غير الحياة الدينية وقت ان العرب يجعلهم الحياة السياسية حياة دينية مهدوا للامراء سبيل الاستئثار بالسلطة باسم الدين والحكم بالهوى وبما تشتهي نفوسهم لا بما ينطبق على مصلحة الامة والشرع فاذا توهم اخوانا الفاضل ان هذه الحياة لا تكون حياة طيبة سعيدة الا اذا انصبغت بصبغة الدين فما رأيه في اليابانيين وهم من الوثنيين

استغرب الفاضل الهندي قولي ان العرب فاتهم ان يجاروا في وضع قواعد الدولة وتأسيس اصول الحكومات ذات الصبغة الدستورية كالجمهورية والقيصرية والحكومة المقيدة اقرب الامم جوارا لهم وهم الرومان واستعظم قولي بترك الدين جانبا والسياسة جانبا وبالغ في الاستعظام حتى خيل للقارى اني ادعو الى نحلة جديدة بعيدة عن الدين والصواب، لا اجاب اليها ولو ناديت قومي الى يوم الحساب، يؤيد هذا قوله بعد كلام طويل . فان دعوتهم (يعني المسلمين) الي دينهم الخالص انفع لمرضهم . الخ الجملة التي تدل على مبلغ ظنه بي واني ارجو الله ان يغفر له ولي مادامت وجهة كلنا الى الحق وغرضنا محض النصيحة وانما التمس على مناظري فهم المدار من كلامي فحمله على غير ما اردت وعسى ان ايضا حي له الآن وتصريحه بانه انما كان دائراً على النظام الاساسي للدولة يقنع حضرته بأنني لم ارد بفصل السياسة عن الدين ترك احكام الدين وتعاليمه بل اريد ان النظمات الاساسية للدول تابعة للمصلحة نوعة بالاجتهاد وليست هي جزءاً من الدين لا ينفصل عنه وبياننا للحقيقة التي يشهد بها الشرع والعقل الخ حص هنا ما كتبته في صدر الجزء الاول من اشهر مشاهير الاسلام عند الكلام على خلافة ابي بكر رضي الله عنه وازيد عليه بعض الشيء ايضا لما اهم في هذه المسئلة الكبرى فاقول

ان وظيفة الرسل هي تبليغ الشرائع ووضع اصول الدعوة وتقريرها على وجه

يتكفل بسعادة الناس ولما كان لا بد بعد الرسول من بقاء هذه الشرائع في قومه
للمحكم بها بين الناس انيط ذلك بالضرورة بمن يخلفه في قومه فكانت وظيفته دينية
يتعلق بها تنفيذ احكام الشريعة التي تتكفل بحفظ الامن والراحة والحقوق ووظيفة
الرسول دينية يتعلق بها تبليغ الدين وتقرير اصول الشريعة لهذا لم يعهد نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم قبل مفارقه الدنيا الى الملاء الاعلى بالخلافة الى احد سوى انه
استخلف ابا بكر رضي الله عنه بالصلاة التي هي ركن من ارکان الدين فرضيه بعد
ذلك الصحابة الكرام رئيسا للدنيا بدليل قول علي رضي الله عنه (قد ارتضاه رسول
الله لدينا افلا ترتضيه لدينا) وهذا صريح في ان الدولة غير الدين . ومعلوم بالبدهة
ان الشرائع سواء كانت دينية او وضعية تحتاج الى منفذ وهذا المنفذ هو الدولة فأول
رئيس لهذه الدولة في الاسلام هو ابو بكر (رض) وانما كان ابو بكر رئيسا للدولة بالضرورة
لان الاسلام له شرائع يقتضي تنفيذها والرسول صلى الله عليه وسلم لم يؤسس دولة
بل شرع شرعاً وجمع الناس على دين فلهم ان يختاروا في حماية ذلك الشرع وتنفيذه
الوجه الذي يتكفل بقيامه ويعزز جانب أهله وليس هناك نص بعينه يبين كيفية تأسيس
الدولة فهم اذا أحسنوا في الاختيار التأسيس فلا أنفسهم واذا أخطأوا فعلوها والشرع
لا يطالبهم بحكومة جمهورية ولا مطلقة ولا مقيدة بل يطالبهم بالعمل باحكامه وقصد العمل
بتلك الاحكام وصونها عن العبث والضياع وهو الذي يطالبهم باختيار طرز الحكومة
التي تضمن بقاء العمل بالشرع وأي حكومة أفضل للمسلمين بل لكل البشر من
الحكومة النيابية التي يتكافل بها الشعب برمته على سلامة القانون أو الشرع

هذه مقدمة ومقدمة أخرى وهي ان الشرع ينقسم الى قسمين قسم يتعلق بالدين
وهو قسم العبادات وقسم يتعلق بالدنيا وهو قسم المعاملات فالقسم المتعلق بالدين
نصوصه قطعية لا اجتهاد فيها ويتلقاه الناس من الكتاب والسنة فخالقه يعاقب
والعامل به يثاب

والقسم المتعلق بالدنيا هو قسم المعاملات ويشتمل على أحكام الحقوق والعقوبات
وفيه القصاص والحدود فأحكام هذا القسم منها قطعي ومنها ما هو موكول للاجتهاد وهو
الاكثر والاجتهاد كما هو معلوم بالبدهة معناه وضع الاحكام بازاء الحوادث التي تجدد

تجدد الزمان وتعدد بتعدد المصالح فإذا أجاز الشارع الاجتهاد في هذا القسم لاعتباره دينوي تتعلق به مصالح الامة الاجتماعية فامضى اعتبار حياة المسلمين السياسية التي تتعلق بها حاجات الدولة والملك الدينية في بدء انشاء الدولة وسداجتها حياة دينية لا يجوز فيها الاجتهاد بتأسيس الدولة على أصول الدول العريقة في الملك

ومقدمة ثالثة وهي انه قد ثبت عند الأصوليين أن الانبياء عليهم السلام قد يخطئون في اجتهادهم والعرب في صدر الاسلام لما لم يكن لديهم تاريخ في ترتيب الحكومات يرجعون اليه لم يحسنوا تأسيس الدولة على أصول الشوري الثابتة فلو فرضنا أنهم اجتهدوا وأخطأوا فهل في هذا ما يدعو الى استكبار ذكر هذا الخطأ والحال انهم اسوة بالرسول عليهم السلام ولماذا استكبر حضرة المناظر الفاضل قولي ان العرب لم يحسنوا تأسيس الدولة والملك

ومقدمة رابعة اذا كانت حياة المسلمين السياسية حياة دينية والسياسة لا تنفصل عن الدين ومعلوم بالضرورة ان الدين لا يناسب اليه نقص في بيان وجود المصالح المتعلقة بعبادة المسلمين فما هو سبب الاضطراب الذي دخل على الخلاف من الصدر الاول وجرت على الامة من الفتن والارزاء ما يعلمه كل واقف على التاريخ؟ أهو نقص الدين أم جهل الصحابة بأحكامه التي ترتبط بها مصلحة دولة المسلمين وتتوحد المشارب السياسية بين المؤمنين؟ وإذا لم يكن هذا ولا ذلك فهل يبقى الالتصيص بما ذكرنا

هذه المقدمات تنتج على ما أعتقد انه الحق ان السياسة غير الدين وان تأسيس الدولة منوط بالمصلحة التي تقتضيها حاجة المسلمين وان الصحابة رضوان الله عليهم لم يتوصلوا الى جمع كلمة الامة السياسية كما جمع النبي صلى الله عليه وسلم كلمتها الدينية لانه فاتهم تأسيس الدولة على أصول الحكم النبائي الثابت الذي تحديه مصالح الشعوب مهما افرقوا في المشارب والاحزاب وكان مبلغ اجتهادهم رضوان الله عليهم ان حاولوا جمع كلمة الامة على امارة المؤمنين باسم الدين على ان الامة لم تكن وقتئذ مفترقة في الدين بل في السياسة وانما حصل هذا لانفرق لما رسيخ في أذهان العامة من ان السياسة هي الدين وان فلانا أو فلانا أحق دينا بأمر المؤمنين والصحابة إنما أرادوا جمع كلمة الامة باسم الدين اعتقاداً منهم بأن الدين أنفذ الى القلوب وأملك للضمائر فهم على كل حال مثابون مأجورون لانهم لم يريدوا للامة الا الخير ولكن تعذر عليهم الوصول

الى جمع كلمة المسلمين السياسية التي لا تجتمع الا اذا كان النظام الاساسي لكل دولة في كفالة الامة باسرها لا كفالة الامير وحده والى هذا أشرت في مقالتي الماضية بقولي ان العرب فاتهم ان يجاروا أقرب الامم جواراً لهم وهم الرومان في تأسيس الحكومات ذات الصبغة الدستورية ولم أشر الى غير الرومان من الدول القديمة ولا الحديثة كما اتهمني مناظري الفاضل ذلك لان الحكم النيابي الذي يعطي الامة حق المشاركة للحكومة في الرأي وتقوم به الدول بالتكافل بين الاحزاب انما هو من وضع الرومان ولم يعرف عن الفرس ولا الهنود وغيرهم والدولة الرومانية وان كانت في أيام الفتح وظهور دولة الاسلام قد صارت الى ماصارت اليه من الضعف والهرم وفقدان أصول الشورى الا ان الحكوماتها تاريخاً معروفاً يرجع اليه لذا تأصلت في المغرب دون الشرق روح الشورى والحكم النيابي فكانت تظهر نارة وتختفي أخرى حتى كانت الثورة الفرنسية الشهيرة ونسفت قواعد الحكم المطلق من المملكة الفرنسية وتبعها بعد ذلك بقية الممالك الاوربية وكان من آثار الحكومات النيابية في اوربا ما لا يحتاج الى بيان بعد ان شهد به العيان

والخلفاء الراشدون أخذوا كثيراً من أمور الدولة عن الاعاجم كالديوان ونحوه فاذا يضر قولنا انهم لو أخذوا عن الرومان اصول الحكومة النيابية لكان أنفع للمسلمين أجل إن الله تعالى مدح في كتابه الكريم قوماً كان امرهم شورى بينهم وأمرهم به على الله عليه وسلم بالمشاورة فنجح الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم الى الاستشارة في بعض أمور الدولة عملاً بأمر الله وذلك لمكانتهم من التقوى والصلاح والعدل لكن هذا المبدأ الشوري السامي صدر عنهم بمحض الارادة وادبا مع الشارع ولم يضعوه موضع المبدأ الاساسي العام ويشيدوا عليه ببيان الدولة بطريقة تشعر ان لكل فرد من أفراد الامة حقاً بمكانة الحكومة ومشاركتها كما هو شأن الحكومات النيابية الصحيحة بل اعتبروا الخليفة مصدر كل شؤون الدولة وكل ما يتعلق بأمور الامة السياسية والدينية منوط به وموكل اليه لذا لما مضى عصرهم الذي هو خير العصور الاسلامية قلب الخلفاء للمسلمين ظهر المجن واستأثروا بكل مصالح الدولة واتخذوا اسم الامامة والخلافة سلاحاً يضر بون به وجوه المسلمين واستعبدوا به الامة أي استعبدوا لما أوجسده في نفوس

الناس من الاعتقاد بأن الامامة ركن من اركان الدين والامام خليفة الله ورسوله على المؤمنين وبلغ غلوهم في الاستبداد والترفع عن عامة الامة ان خطب عبد الملك بن مروان (من الامويين) يوما خطبة قال في آخرها (والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا الاضربت عنقه) • واحتجب الخلفاء العباسيون عن انظار الناس داخل القصور فكانوا في أواخر دولتهم وسائل للتبرك وآلات للتعظيم مع أنه ليس لهم من الامر شيء • وادعى الخلفاء الفاطميون في مصر الألوهية ووجبوا تعظيمهم على الناس تعظيم عبادة لسيادة ولما زالت سطوة الخلافة وتقلص ظلها عن الناس وآل الملك الى أهل العصبيات الجديدة من الملوك والسلاطين وكانت الامة راضخة للاستعباد واستنامت لعوامل الاستبداد استمر أوامر عي السطان المطلق على الامة وبسطوا عليها يد القوة والقهر حتى أنست لهذا المهد بالضعف واستسلمت لحكم السلطنة الاستبدادية حتى ما تطبق الحرية وتأتي التخلص من هذا الاسر وهي ترى بعينها نتائج الحرية والعدل في الامم الاخرى وتشاهد تفاني الشعوب واستهلاكمهم في سبيل التخلص من جبال الاستبداد ولا ينبض لفردهم أفرادها عرق او تحرك منها ساكن واذا نادى مناد من المسلمين بالاصلاح ودعا داع الى قد قيود الاسر والانطلاق من سجن العبودية والقهر عدوه من المارقين وأقاموا في وجهه الفاسد باسم الدين حتى جعلوا الدين مضفة في أفواه الفريين ووسيلة من وسائل الحجر على العقول والله يشهد والملائكة والرسول ان الاسلام ادعى الى الخير واهدى الى سعادة الامم بما يقتضون وانما إصاقتهم كل شيء بالدين وتكليفهم للدين كما يريدون جعلنا تخبط في ظلام هذه الخيرة التي اودت بنا الى الدم دون كل الامم وقد اشار الى هذا اخونا الهندي في مقالته بما يقينا عن اطالة البحث والاسترسال في الآلام لافي الكلام وحسبنا شاهد على ذلك ما وصل اليه المسلمون والاسلام والله يتولى هدايتنا جميعا وهو خير المرشدين (رفيق)

(المنار) قراء المنار يعرفون رأيه في هذه المسائل التي تناظر فيها هذان الكاتبان الفيوران على ملتها وأمتها الامثلة نصب الخليفة فأن المناظرة تشمر بأنه أصل من أصول الدين وليس كذلك وانما هو من الاحكام الشرعية العملية الاجتهادية والقرآن قد وضع أساس الشورى وعمل بها النبي لينبئ عليه المسلمون هيكل حكومتهم وترك التفاصيل لاجتهادهم فالسياسة دينية من جهة اجتهادية من جهة أخرى وسنوضح ذلك في مقال مخصوص يكون فصل الخطاب ان شاء الله تعالى

باب التربية بالتعليم

(التربية بسفر البحر)

شذرات من يومية الدكتور أراسم (*)

يوم ١٤ مايو سنة ١٨٦٦

انتهينا من الطواف بالرأس ولكن ما أعظم ما بذلنا في سبيل ذلك من الجهد وما أشد ما عانينا من المشاق فقد كانت الريح ترفرف ثلاثة أيام وثلاث ليال زفرقة بلغت من الشدة إلى حد أن ساري سفينتنا الأكبر كان فيها يتنوّد تنوّد القصد من يبس الحشيش لم يكن يؤمننا على ظهر السفينة سوى أيدي البحارين في ممارسة أعمالهم وما كان أشدني إعجابا في نفسي بسيرتهم في تلك الساعات التي قضيناها في مكافحة البحر ومقاولة الخطر فليست بسالة الملاح من قبيل بسالة الجندي ولكنها تفضلها في رأيي لأن الملاح بماله من الجرأة على الموجودات والفواعل الكونية يكافح الموت ومواجهة فلا يحول بينهما إلا سمك لوح من الخشب وليس غرضه من الكفاح إبادة نظرائه بل هو في مدافعة عن حياته يعمل لتنجيتهم من الهلاك ونأهيك بالبحر عدوا أوتي من العدد ما هو أشدها رهبة في العالم بأسره فأنك ترى السفينة على وهنها وكونها ليست إلا دولا با من الخشب تطاردها الريح والبرد والبرق وجبال من الموج فهي في الحقيقة تقاوم قوى كون من الأكوان برمتها

ولامشابهة أيضا بين قدر الملاح وبين ما يفاخر به السفسطي من اجترائه على معاندة القدر باستدلالاته الدقيقة اجتراء باردا خاليا من العمل هيئات فإن قدر الملاح هو ما يتجلى في عمله من قوة نفسه وحميتها فتراه مع استعائته بربه لاستمسكه بدينه لا يعتمد بعد ذلك إلا على نفسه أعني على صحة بصره وضبط حركاته وقوة أعصابه فإن قهره عدوه سلم إليه ولكن هذا لا يكون إلا بعد أن يرى آخر سلاح له قد انحطم تلك البسالة تكتسب بالتعلم وهذه الثقة بالنفس تسري بالمعايشة، بذلك على ذلك

(*) مغرب من باب تربية اليافع من كتاب أميل القرن التاسع عشر.

ان «أميل» كان في أول عهده بالملاحة شديد الروع فإلث ان ذهب عنه روعه بالتأني برفقائه لانه كان يرى من «الماران» يرتجف فؤاده وتترنزل قدماء امام هؤلاء الابطال وهم ثابتون في مواطنهم كانوا يشغلون حيناً بعد حين بإدارة المصصات (الطللمبات) ومعالجة الحبال فلا شيء كالمعمل البدني في تقوية القلب فبطالة المسافرين هي التي عند أدنى هبة تملأ قلوبهم بالخوف وأدمغتهم بالخيالات واما الملاح فايس للخوف متسع في وقته .

من مزايا الملاحة أيضاً ان ماقها من مكافحة الخطر ينمي في قلوب الملاحين حب الحياة فمن ذا الذي كان يحسب ان الاتحار لا يكاد يكون معروفاً بينهم .

الضجر من الحياة من مميزات العصور الحديثة وهو أخوفها عندي على الشبان وأشدّها إبلاماً لنفسي فاني أرى الاطفال يولدون غير مباليين بشيء سائمين من كل شيء خامدي الاحساس بقي القلوب فكهم من فتاة اذا انكشف لها وهمها لأول مرة فيما كانت تمتددة واقفاً تمت لو أنها ماتت قبل انكشافه وكم من فتى كسول لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره ولم يعامله الجد الا معاملة الغلام العارم يصيح قائلاً «ما فائدة الحياة» وليس من غرضي هنا ان أبحث عن أسباب هذه المصيبة الملمة بالنفوس والاخلاق وانما غرضي أن أقول اشكل هؤلاء المتبرمين : «انظروا الى الملاح تجدوا انه هو الذي عرف قيمة الحياة لانه في كل يوم يذود عنها اخطاراً حقيقية لغاية نافعة وبذلك صار أهلاً لان يقدرها حق قدرها»

من أجل هذه الاسباب كلها ارى ان «أميل» الآن في ولاية معلمين حاذقين واما «هولاء» فانها والحق يقال لم تبد من البسالة شيئاً يذكر لانها لبثت مخنبة في إحدى زوايا حجرتها فكانت كالنعامة التي يؤكد العارفون باخلاقتها انها تنوهم ان غمر رأسها في الظلام منجاة لها من الخطر الملم بها وذلك ما اضطر هيلانة الى ان تكون قدوة لها في الاقدام تسكيناً لروعها وكان هذا موجياً للعجاب بها بحق

شجاعة النساء المحموده

من الخطأ ان يتوهم متوهم ان لافائدة في الشجاعة للنساء فانه ان كان يريد بها الشجاعة الحربية فاني قليل الاعتماد بها في الرجال فاكون أقل اعتماداً بها في

المرأة المترجلة ولكن لا يعزب عن ذهنه انه يوجد من ضروب الاقدار غير واحد فان النساء مستهدفات للمخاطر التي نحن عرضة لها ومضطرات لمغالبة ماغالبه من حوادث الكون الخارجي وقد يوجد من الاحوال ما تتوقف حياتهن فيها بل وحياة أطفالهن على سكينتهن ورباطة جأشهن ففوة العزيمة وثبات الجنان هما من الاخلاق اللازمة للمرأة لزومهما للرجل .

من المصائب ان تسوء تربية الفتيات الى حسد ان يتوهمن ان تكلف ضروب الفزع القاتل عند كل مناسبة خصوصا بحضرة الشبان مما يلفت الانظار اليهن فيقول من يراهن في هذه الحالة انهن يقصدن ان يظهرن في شكل الحثائم المروعة ويحملن ان يوعظن بأن الخوف لاحسن فيه مطلقا وانه يجب عليهن لانفسهن اذا حادق بهن الخطر ان يجتهدن في استئثار الاطمئنان والسكينة ان كن يردن ان يصرن مثارا للعجاب والاستحسان . ولا صحة لما يعتقدنه على ما يظهر من ان ثبات جنان المرأة سيء خلقها بل اني اجد جمالا وشرفا فائقين في تلك الذات اذا كانت مع تجردها من القدرة على المهاجمة بل ومن قوة المدافعة تقترحم الخطر بقوة جاش تكافي قوة الرجل . انا اعلم ان من الاوهام السخيفة اعتقاد ان جفاء الطبع من لوازم الشجاعة ولكنني اود لو ادري متى شوه . ان الشجاعة الحقيقية غيرت من رقة المرأة ورحمتها وغير ذلك من فضائلها حاشاها من هذا وان الجبن والاثرة لهما اللذان يوجبان قسوة القلب وغلظه

سل أما جيانا ان تشهد عملا جراحيا يعمل في جسم ولدها لتسليه وتسري من ألمه نجيبك بانها شديدة الاحساس كثيره التأثير وبأس العذر عذرها فما مرادها الا الاحتماء من كلفة التسخير . ثم لا يتخيلن احد ان قوة العزيمة والسلطان على النفس أو الشجاعة الحقيقية هي من الاخلاق التي لا ينتفع بها الا في طائفتين من الاعمال هما الحرب والملاحاة فاني ارى ان منفعتها تنعدي الى كثير من الامور الاخرى لان الرجل والمرأة مهردان كل يوم في القوم الذين يعيشان بينهم بالاف من الاعداء والمعاطب ولان البحر لا يقصد الا ازهاق ارواحنا وما اكثر ما يعرض لنا من الاحوال الخطرة التي يقصد فيها نقص اعراضنا والذهاب بجرماتنا . اه

يوم ٣٠ مايو سنة ١٨٨٠

تسببت الموجات الخطرة على سفن البحر المحيطة بها في البحر المتوسط
سبباً وفقدت (١٠٠) سفينة من خطر إلى ما كان عليه من الأمان والسرور
فخرج ونعدو على ظهر السفينة مع ما من أحوال خطيرة نوازتها ولم يبق منها
سفن في خيها من تحت حطبها كلها فربما ١٠

يوم ٢٥ مايو سنة ١٨٨٠

رسوا غداة اليوم في جوف فرانس ضغط مقياس الزلزال (السكر و١٠٠) من
وهذه البقعة مركبة في الحقيقة من ثلاث جزر تسمى مجموع متلاصق لأجزاء
وتسمى الأولى ماسانير والثانية ماسفور والثالثة سلاووبوس وهي صخرة تكاد
تكون جرداء أكثر الثلاثة تصوحا نحو الجنوب ويقسم الأجزاء بحفرة قبض (بحر)
البحر الآن قبض تأتي إليها صبا لراحة ولف،

الجزر تسمى الأولى ماسانير وماسفور معشوشة شجر وازرع أحقاد حكومة
التي تسمى لها في أعينها لا تزال قفرا لا يعمهم إلا الغزل الوحشية وهي كثيرة فيها وبذلك
لها كانت تزيد عن ذلك ولم تلبث عليها كلاب وحشية منها تغالبها وتقتربها وبذلك
تعمري في أي حافة تغير هذه الكلاب إذا بدت جميع ما هناك من الغزل لا بد أن
يأكل بعضها بعضها .

والجزر جوف فرانس تذكروا بقعة عظيمة جرت فيها وهي :

أنه في سنة ١٧٠٤ رسا الملاح الانكليزي داميير على ماسانير فبقى فيها وكبته على
قوارب المدعو إسكندر شاكرك أنزمت جرة احتدمت بينهما نزل هذا التمس في هذه
الجزيرة قفرا غير مزودا به لا شيء يسير من الغذاء والعدده ش هذا ربع سنين وأربعة
أشهر من صيده وصناعته وفي سنة ١٧٠٩ اتفق لاثين من صيادي نيران الوحشية أنزلا
بالجزيرة فعمرا على ذلك أنزل فرقا لحاله وحاله معهم إلى أوربا

وكان شاكرك قد قد بعض مذكرات في طريقة عيشته على تلك الجزيرة البقعة فاستمر
بها دانيال روفويه فيها بعد على تأليف كتابه العجيب الذي عرفه الناس جميعا وأشد ما يبدى به
الآن «أميل» «دولولا» من الاهتمام بتطاعمة وقنوع روفوس كرو زويه ١٠

يوم ٥ يونيه سنة ١٨٦٦

يا بشرى هذه أرض هذه أرض

بعد ان سافرنا تسعين يوما دخلنا خليج قلاو وهو من اسمى مناظر الدنيا وأبصرنا جزيرة لورنز وترفع حيائنا اقول ترتفع واقل ما في هذا اللفظ انه حقيقة في استعماله هنا فقد نتج من حساب أحد العلماء أن سواحل سان لورنزو كسوا حل الشاطئ المجاور لها ارتفعت عن سطح البحر خمسا وثمانين قدما انكليزية من عهد العصور التي يعرفها التاريخ صخور هذه الجزيرة يقرها آلاف مؤلفة من الطيور اخض بالذكر منها طيرا رأسه اسمر الى السنجابية وبطنه أبيض ناصع وذنبه اسود يقال انه هو الذي يحصل منه أهل الجزيرة على السماد المعروف بالغوانو وهو ثروتهم الكبرى لان الذهب والفضة كادا ينضب ان من معادن بلاد البيرو وفي تنسلي عن الحرمان منهم ما يبيع القذرو لا غرو فالذهب مذهب ومفسد والقذر موجد ومخصب . اه

يوم ٦ يونيه سنة ١٨٦٦

وسونا في مينا سيودال دولوس ريس

اخض ما ادعش «أميل» و«لولا» عندهما طهما على البر كثرة العقبان التي تسكن سواحل هذه الجهة فانها ترى عند كل خطوة في الشوارع وعلى سطوح المساكن وقدرأنا منها طائفة تباع الستين أو الثمانين نائمة وهي جاثمة على جدار ورؤسها مخبئة تحت اجنحتها ذلك انها ليس من خلقها الجفلان ولا تخشى من السكان شيئا لانهم يحملونها هذه الطيور في غاية الشره وشرها نفسها نعمة من نعم الله على اهل تلك البلاد لانه يساعده على حفظ الصحة في المدن وكان «لاميل» فيما أرى اخطاء غريبة في شأنها فانه لما سمع الزراية عليها من درسوا الاخلاقها في الكتب كان يخيّلها اسلاية تسكن الهوائ كالة دنيئة لارم فلم يمض الا ساعات قلائل حتى زال الوهم وتبين له خلاف ما كان يتوهمه انه محتسبة غير الخالق سبحانه في البلاد الحارة لاقبام على تنظيف الطرق العامة فهي تقيمها بما ياتي على الابواب من القمام والاحجوم الفاسدة وما يطرح فيها من الحيف ويدل ما تبديه هذه الطيور من الاطمئنان الى الانسان والثقة به حق الدلالة على شعورها بنفعها له.

المسافة بين قلاو وليمافر سخان اسبانوليان وسنبلفها غدا . اه

مدرسة الجمعية الخيرية في المحلة الكبرى

(الاحتفال بافتتاحها والغرض من تعليمها)

ذكرنا في الجزء الخامس من هذه السنة خبر الاحتفال بتأسيس هذه المدرسة وقد تم والله الحمد بناؤها وأهلت بالتلامذة وانتظمت عقود الدروس فيها واحتفل بافتتاحها رسميا أول أمس بحضور رئيس الجمعية الاستاذ الامام و ابراهيم بك اهل باوي من أعضاء مجلس ادارتها ومنشئ هذه المحلة من أعضاء الجمعية وحضور وجهاء المحلة وعمال الحكومة فيها وبدئ الاحتفال بتلاوة أحد التلامذة لآيات من الكتاب العزيز ثم وقف الرئيس فيسمل وحمد الله تعالى وصلى وسلم على رسوله وشكر للحاضرين غنايتهم بحضور الاحتفال الدالة على رغبتهم في نشر العلم ومساعدة الجمعية الخيرية على عملها وذكر الغرض من هذا التعليم الابتدائي فقال ما خلاصته:

المدرسة تعلم المبتدئين القراءة والخط والحساب ومبادئ العربية وتربهم على الاعمال الدينية والادبية تعدهم بذلك للمعيشة الصالحة في أنفسهم ومع الناس الذين يعيشون معهم وهذه المبادئ لا يستغني عنها انسان فقيرا كان أو غنيا فالصلاح يحتاج الى مكانة بعض الناس فاذا كتب بيده أو قرأ ما يكتب اليه وحسب ما يبيعه ويشتره بنفسه فهو خير له من الاستعانة بغيره على ذلك ولهذا التعليم فائدة أعلى من الاستعانة على المعيشة وهي ارتقاء العقل واستعداده لفهم المصاحبة وتمييزها عن المفسدة فالتأثر كثير من الناس يقع التنازع بينهم فيعتدي بعضهم على بعض حتى تفنى ثروة الفريقين في التنازع واذا حاولت اقناعهم بأن هذا ضار وأن الخير والصواب في خلافه لايسهل عليك ذلك لأنهم لا يفهمون. وأهم ما تقصده الجمعية من التربية في مدارسها تنشئة المتعلمين على الفضائل كالصدق والأمانة اللذين عليهما مدار السعادة، مانجحت أمة الابهما ولا هلكت الابفقداهما وقد حث الاسلام وجميع الأديان على هذين الحاقين ونهى عن الكذب والخيانة أشد النهي وانما مع ذلك نرى الكذب والخيانة فاشين في الناس الى حد سلبت معه ثقة الناس بعضهم ببعض وفقد الثقة مؤذن بالحرب والدمار. هذا التعليم لم يرتقي عنه الغني الى التعليم العالي ويجعل الفقير على مقربة من الغني في الفكر والخلق فإما أن يجد فيحققه واما أن يحسن الاستفادة منه بخدمته ومساعدته في أعماله بالصدق والأمانة فهذا التعليم لا يستغني عنه أحد حتى الحمار والحمار

وتعلم المدرسة أيضا مبادئ العلوم ولغة أجنبية لاعداد من يريد خدمة الحكومة

لها وهذا ما لا ترغب فيه الجمعية نفسها لكنه من حاجة الناس وانما رغبها في الاستعانة به على تعلم الصناعة لمن يريد لها ولها الرجاء بهمة وجهاء المحلة وأهل الغيرة من أغنيائها في تأسيس قسم صناعي في هذه المدرسة فان المحلة بلدة كانت معروفة بالصناعة وقد وعد صاحب السعادة أحمد باشا المنشاوي بأنه مستعد لمساعدة الجمعية على إنشاء القسم الصناعي فلم يبق الا اهتمام الوجهاء الحاضرين بالا ككتاب في جميع المركز وجمع المال الذي يمكن من إتمام العمل .

وقال قد علمت بأن أهل المحلة الكبرى ثلاثون ألفا أو يزيدون وهي قاعدة مركز عدده كثير وليس فيها الامدرسة للقبط وأخرى للامريكان واني قد رأيت في بعض سياحاتي في البلاد الاجنبية مدينة عدد سكانها ستة عشر ألف نسمة وقد أنشأ الاهالي فيها مدرسة كلية تعلم فيها جميع العلوم العالية بمساعدة أهل المركز الذي هي قاعدته أنفقوا عليها كذا من ملايين الفرنكات (نسبت العدد) على ان فيها عدة مدارس ابتدائية وفي كل قرية من قرى ذلك المركز مدرسة ابتدائية فترجو ان نبليغ من بحارة أمثال هؤلاء الاحياء أن ترتقي مدرستنا هذه ويكون فيها قسم صناعي وان يكون لنا في القاهرة مدرسة كلية فان القطر المصري كله لم يبالغ من التقدم في العلم ان كانت فيه مدرسة كلية تعلم فيها العلوم العالية

ثم دعي كاتب هذه السطور الى ان يخطب فيهم فلي وقام فقال بعد الافتتاح بذكر الله - رغبتم الي في الكلام، بعد ما سمعتم من حكم الاستاذ الامام، وان مثل الذي يمرض ما عنده من ذلك في حضرة الاستاذ اذا هو أحسن كمثل ذلك الوزير العجمي في الاستانة اذ كانت له منطقة مرصعة بالجواهر يتمنطق بها فوق ثيابه يتراءى أمام الناس ويفتخر فعلم الساطان بذلك فأمر بعض وزرائه ويقال انه مصطفى فاضل باشا المصري بأن يدعوه الى داره ويريه ما يصغر منطقته في عينه فدعاه الى العشاء والسمير فرأى من الانية والماعون والآثا المرصعة بالجواهر ما خطف بصره حتي قيل انه رأى الشباشب (كلمة مصرية مفردة ششب وهو الكوث او القفش في العربية) وسيور القبقاب في المرحاض مرصعة بالجواهر فصار بعد ذلك يخفي منطقته تحت كسائه - ولكنتا نقول شيئا تلبية للطلاب

جرت العادة بأن يكون الكلام في مقام الاحتفال بافتتاح مدرسة محصورا في مدح العلم والتعليم على ان العلم غني عن المدح باتفاق الناس على فضله فلا يوجد جاهل ينكر شرف العلم وشدة الحاجة اليه ولكن الناس في امتنا كانوا يعتقدون ان العلم

محصور في أمور مخصوصة يكفي ان يقوم بها بعض الناس فيسقط الطلب عن الآخرين وكان يصعب إقناع الجمهور بوجود تعميم العلم وبأنه يحتاج اليه في كل شيء ولكن قد تغيرت الآن الاحوال في هذه البلاد وصرنا نرى جميع طبقات الناس حتى الطهارة (الطباخين) يقذفون أولادهم ذكرانا واناثا في المدارس لاحساسهم بأن التعليم لا بد منه ولكن هذا الاحساس عند الاكثرين منهم لا يعرفون حقيقة ولا سببه ولا فائدة التعليم الحقيقية. والسبب الحقيقي فيه التأثير بحال الاجانب الذين انتشروا في هذه البلاد فهو سبب من الخارج لامن النفس فهذه البلاد الآن في طور الانقلاب من حال الى حال إذ حدثت فيها مجاز جديدة للحياة او تيارات تجرف في طريقها الناس من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون ومنها تيار تعميم التعليم فالناس يرغبون في تعليم أولادهم وهم لا يدرون ماذا يتعلمون ولا ماهي فائدة التعليم ولذلك لا يميزون بين مدرسة وأخرى . وقد سألت بعض المتعلمين التعليم الثاني في المدرسة الحديثة عن رأي التلامذة في فائدة التعليم مع العلم بأن أعمال الحكومة لا تفي بجميع المتعلمين فقال لهم يرون ان المتعلم يقدر على أعمال شريفة يستغني بها لا يقدر عليها غيره فقلت له ان الذي يتعلم يعيش بعلمه لا غرض له الا نفسه فهو محترف كالصانع والزارع وقد رأينا كثيرا من العوام حصلوا من الثروة بالزراعة والتجارة ما لم يقاربهم فيه متعلم كزعزوع بك وفلان وفلان . والذين ارتقوا بالتعام في مصر قليلون كفلان وفلان من القضاة وغيرهم ولم نجد فيهم من حصل بعلمه ثروة كبيرة كأوائلك العامة فالتعليم في مصر لم يرتق الى درجة يسهل معها تحصيل الثروة الواسعة على ان نفقات المتعلمين تكون أكثر فاذا طلبوا الثروة ولم يجدوها كانوا أشقى من غيرهم في المعيشة . فقال هذا صحيح . ثم قلت له ألا يوجد في اخوانك المتعلمين من يفكر في التوسل بالعلم الى خدمة أمته وبلاده خدمة عامة فيكون أفضل من التجار والحداد والفلاح الذين لا يعملون الا لاجل بطونهم وان كان عملهم الجزئي نافعا للناس ؟ فقال يوجد قليل منهم يفكر في انشاء جريدة لخدمة الوطن . قلت وماذا رأوا من خدمة الجرائد للناس ؟ أي شيء ضار كانت عليه الامة فتحولت عنه بارشاد الجرائد وأي شيء نافع كانت منصرفة عنه فتوجهت اليه بحثها وترغيبها ؟ وهل تعرف أنت للجريدة الفلانية والجريدة الفلانية مذهبا ورأيا نافعا تمتاز بالدعوة اليه لترقية البلاد ؟ فقال لا وكان قصارى الحديث معه أنه ليس لاحد غاية مقصودة من التعلم وراء خدمة الحكومة (أقول ويلحق بها الطب والحمامة عند فقر قليل)

لهذا التعليم الناقص في مصر سيئات ومضار فان الفتن والمعاصي الضارة التي آلت بالبلاد بواسطة الاجانب لم تنتشر فيها الا بسعي هؤلاء المتعلمين وقد قال الاستاذ الامام ان من مقاصد المدارس إفادة المتعلمين الصدق والامانة فسلوه وسلوا غيره من العقلاء المختبرين ألهم ثقة بصدق أكثر المتعلمين وأمتهم بحبيوكم لالاء والسبب في عدم إفادة التعليم أمثال هذه الصفات هو أن القائمين بأمر التعليم لا يقصدون ذلك فان الحكومة إنما تقصد بمدارسها إيجاد خدم لها يقدرّون على أعمال مخصوصة وليس لها عناية بتربية الارواح وترقية الأمة هذا وان مدارس الحكومة خير المدارس وأرقاها تعلّماً ونظاماً. واما المدارس الاهلية فالمقصود منها التجارة والكسب وأكثر أصحابها لا يعرفون طريق الجمع بين الافادة المطلوبة والاستفادة وقد دخلت مرة إحدى هذه المدارس وسألت احد المدرسين عن الكتب التي يقرأها في الدين — والدين كما لا يخفى أساس التهذيب — فقال اني كنت بدأت بقراءة شيء من السيرة النبوية وبمناسبة ذكر المعراج ذكرت لهم فرضية الصلاة وأردت ان أذكر شيئاً من أحكامها فرأيت على وجوه التلاميذ ما يدل على عدم الارتياح فتركت درس الدين : يعني ان هؤلاء لا يعلمون الا ما تراتح اليه نفوس التلامذة وتتلذذ به أي يريدون ان يكون التلامذة هم نظار المدارس

ولا نعرف في البلاد مدارس غرضها تهذيب النفوس غير مدارس الجمعية الخيرية وذلك ان رئيس هذه الجمعية ومساعديه في ادارتها هم خيرة رجال هذه البلاد معرفة وغيره وأقربهم على إيجاد التعليم النافع والتربية لصحيحة ولا تنتج الامم الضعيفة أمثالهم الا بعد محض الزمان لها في قرون طويلة فيجب أن تقتنم فرصة وجودهم بمساعدة الجمعية على نشر التعليم والتربية على الوجه الصحيح النافع فانه ما قصر بها الا قلة المال . وقد أحسن وجهاء الحلة صنعا بتقويض أمر مدرستهم الى الجمعية وانني أدعو كل واحد من السامعين الى مساعدة هذه الجمعية بنفسه وبدعوة غيره الى ذلك فان الامور العامة لا تحيا وتبلغ كمالها الا بالدعوة فينبغي لكل واحد أن يدعو نفسه وكل من يظن فيه الخير الى مساعدتها على قدر الاستطاعة من غير تفرقة بين غني وفقير فان الله تعالى يقول «لَيُنْفِقَنَّ دُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا اَلَا مَا آتَاهَا» أي من كان رزقه ضيقاً فينفق بقدر حاله . والقليل من الكثير كثير فلو أن كل واحد من أهالي القطر بذل للجمعية قرشاً واحداً في السنة لكان لها من ذلك

ملايين تمكنها من تعميم التعليم في القطر
 ولعلم كل من يبذل شيئاً للجمعية ولو قليلاً أنه شريك في الاجر وفي الشرف لمن بذل
 الكثير من حيث أن كل واحد بذل ما في وسعه ومن حيث أن العمل العام لم يقم ولا
 يقوم به واحد وإنما يتم بالتعاون والمساعدة وبذل القليل ركن من أركان التعاون
 ثم دعي إلى الخطابة إبراهيم بك الهلباوي فقام وذكراً ملخص تاريخ هذه الجمعية وبين
 أنها جمعية عمل لجمعية قول وأنه أحسن من نفسه بالعجز عن الخطابة في احتفال مدرسة
 للجمعية على تمرنه على الخطابة . قال انني دخلت في هذه الجمعية في أول تأسيسها منذ اثني
 عشرة سنة ولم أخطب فيها قط وقد عرضت مناسبات للخطابة فكنت استأذن مولانا
 الرئيس بالتلويح ووكيل الجمعية وبعض أعضاء الإدارة بالتصریح فكانوا يعضون أصابعهم
 على أفواههم إشارة إلى وجوب السكوت وقد قامت في هذه المدة جمعيات قولية
 كثيرة فذهب بها ودرس رسوما القول والخطابة على أنها لم تصادف من المقاومة
 ما لقيت الجمعية الخيرية الإسلامية . وذكر أسماء هذه الجمعيات التي كانت محترمة في اوقات
 كان فيها ذكر الجمعية الخيرية مخيفاً ومزدرى به حتى كان الداعي إلى مساعدتها لا يتوقع
 الا الحيلة وحتى ان بعض الباشوات هدد بمحاصلة امره بالضرب بعد ان اهانته بالقول . وقد ثبت
 رجالها مع هذه الصعوبات على علمهم ليثبتوا للناس ان الساعي بالخير مع الصدق والاخلاص
 لا بد ان يظفر بالنجاح اذا هو ثبت وصبر وكذلك كان ونالت هذه الجمعية الثقة في نفوس
 الناس بعد ما تولى رئاستها مولانا الرئيس الحاضر حتى أحس كثير من العقلاء بوجوب
 كفالتهم للمدارس الأهلية التي ينشئها الأهالي اترية اولادهم وكان السابق لذلك وجهاء المنيا
 فقد أنشأوا مدرسة في بني مزار وعهدوا بإدارتها إلى الجمعية رجاء بقاءها وثباتها والارتفاع
 بتعليمها وكذلك فعلتم يا وجهاء أهل المحلة فانكم طلبتم من الجمعية أن تدير لكم هذه
 المدرسة التي أنشأتموها بأموالكم لمثل ذلك الغرض بمحض الاحساس بالثقة بالجمعية .
 وبعد ما أتم خطاب المقيّد ختم الاحتفال كما بدىء بتلاوة القرآن الكريم ولاصحة لما ذكر في
 المؤيد أس من ان بعض المدعوين تصدوا للخطابة فمنهم ما مور المراكز الخ . فثنى على وجهاء
 المحلة أطيب الثناء . ونرجو لهم كمال الارتقاء ،

(إرجاء وعد)

وعدا في الجزء الماضي بأن نكتب في هذا الجزء مقالا في طريق تعام النابتة المصرية
 والروح الذي تحيا به الامم وقد حال دون ذلك ما عرض من الكلام في احتفال مدرسة
 المحلة وفي خطبتنا فيه شيء من الموضوع الموعود به وسنعود اليه في جزء آخر ان شاء الله تعالى

التقريظ

(كتاب الاقتصاد في الاعتقاد • لحجة الاسلام ابي حامد الغزالي)

أبو حامد من اكبر أئمة الاشاعرة في الكلام وكتبه أسهل عبارة وأحسن بسطا وتقسما وتحقيقا من سائر الكتب فكتابه الاقتصاد من أنفع كتب الكلام وأفيدها وفيه مباحث كثيرة لا توجد في كل كتب هذا العلم المعتبرة وينتقد عليه ما ينتقد على جميع كتب الاشاعرة من الفلسفة التي لا معنى لها في عقائد الدين وان كان هو أبعد من غيره عن الجلود على المذهب لانه خالف اصحابه الاشاعرة في بعض المسائل . وذلك كالبحث في صفات الله تعالى من حيث انها زائدة على الذات فان الذي ساقه وأمثاله الى ذلك الجدل مع المعتزلة وما غنى المسلمين عن المذهبيين والاكتفاء بالوقوف عند ما ورد به الشرع وقطع به العقل من غير فلسفة فيه . مثال هذا ان العقل والشرع علمانا ان الله تعالى خالق العالمين عالم بما خلق لا يزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء فأى حاجة بنا مع هذا الى ان نبحث عن هذا العلم الالهي هل هو عين الذات الالهية ام غيرها ام لا عينا ولا غيرها ، هل عرفنا حقيقة ذات الله وحقيقة علم الله فننسب هذا الى تلك ونحكم بأن النسبة بينهما كذا . كلا انها فتنة ابتلي بها علماء المسلمين الامن لازم طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين الى عهد الأئمة الاربعة وقد نجا منها الامام الغزالي بعد ما تصوف . وجملة القول ان هذا الكتاب لا يستغني عنه المشتغل بتحصيل علم الكلام لانه من أوضح الكتب وأحسنها وهو يطلب من الشيخ مصطفى القبانى الدمشقي طابعه في مصر

كتاب حكمة المخلوقات للغزالي

التفكر من أفضل العبادات بل هو عبادة النبيين والصدّيقين والعلماء الراسخين والتفكر في حكم المخلوقات يرقى العقل بزيادة العلم والروح بقوة الايمان وهذا الكتاب يفتح لقارئه أبواب التفكير في الخلق بما ينبيهه الى حكمها فمنها حكم الله في السموات والنباتات ومنها حكمه في الارض والبحار والماء والهواء والنار ومنها حكمه في خلق الانسان وأنواع الحيوان وحكمه في خلق النبات فرحم الله أبا حامد ما عرفه بطرق

النفع وما أحسن بيانه • والكتاب يطلب من الشيخ مصطفى القباني الذي تولى طبعه
وتصحيحه جزاء الله خيرا

﴿ كتاب أبناء نجباء الابناء ﴾

مؤلف هذا الكتاب أبو هاشم محمد بن محمد بن ظفر الصقلي المتوفى سنة ٥٦٥
وهو مبتدأ نبذة من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونبذة أخرى في أخبار بعض
كبار الصحابة ثم في أخبار بعض الملوك الكبراء وبعض الصالحين وأخبار الكتاب كلها
ترية مفيدة وفكاهات مستطابة وإني قد فتحت الآلآن لأقل منه نبذة من غير اختيار
فإذا أنا قد فتحت على هذه الحكاية قال

(درتازين، لقرتي عين)

قال الشيخ رحمه الله ورضي عنه بلغني أن محمد بن عبد الرحمن الهاشمي قال
كانت عنابة أم جعفر بن يحيى تزور أمي وكانت ليبة من النساء حازمة فصيحة برزة
يعجبني أن أجدها عند أمي فاستكثر من حديثها فقلت لها يوما يأم جعفر أن بعض
الناس يفضل جعفرا على الفضل وبعضهم يفضل الفضل على جعفر فأخبرني • فقالت
مازلنا نعرف الفضل للفضل: فقلت إن أكثر الناس على خلاف هذا فقالت ها أنا أحدثك
واقض أنت وذلك الذي أردت منها • فقالت كانا يوما يلعبان في داري فدخل أبوها
فرعا بالعداء وأحضرهما فطعما معه ثم أنسهما بحديثه ثم قال لهما أتلعبان بالشطرنج ؟
فقال جعفر وكان أجراهما نعم قال فهل لاعبت أخاك بها ؟ قال جعفر لا قال فالعبا
بها بين يدي لاري لمن الغلب فقال جعفر نعم وكان الفضل أبصر منه بها فجني
بالشطرنج فصفت بينهما وأقبل عليها جعفر وأعرض عنها الفضل فقال له أبوه
مالك لا تلاعب أخاك ؟ فقال لأحب ذلك فقال جعفر أنه يرى أنه أعلم بها فيأنف من
ملاعبتي وأنا ألاعبه مخاطرة فقال الفضل لا أفعل فقال أبوه لآعبه وأنا معك • فقال
جعفر رضيت وأبي الفضل واستعفى إياه فاعفاه • ثم قالت لي قد حدثتك فاقض • فقلت قد
قضيت للفضل بالفضل على أخيه فقالت لو علمت أنك لا تحسن القضاء لما حكمتك أفلا
ترى أن جعفرا قد سقط أربع سقطات نزه الفضل عنهن • فسقط حين اعترف على نفسه
بأنه يلعب بالشطرنج وكان أبوه صاحب جد • وسقط على التزام ملاحظة أخيه وإظهار الشهوة

اغلبه والتعرض انفضيه • وسقط في طاب المقامرة واطهار الحرص على مال اخيه • والرابعة
 قاصمة الظهر حين قال ابوه لـ اخيه لـ اعبه وانا معك فقال اخوه لا وقال هو نعم فناصر
 صفا فيه ابوه واخوه • فقلت احسنت والله وانك لا تضى من الشعبي ثم قلت لها عزمت
 عليك اخبريني هل خفي مثل هذا على جعفر وقد فطن له اخوه ؟ فقالت لولا العزيمة
 لما اخبرتك ان اباهما لما خرج قات للفضل خالية به • ما منعك من ادخال السرور على
 ابيك بملاعبة اخيك ؟ فقال امران : احدهما لو اني لـ اعبته لـ اعبته فاحججته والثاني قول
 ابي لـ اعبه وانا معك فما يسرني ان يكون ابي معي على اخي • ثم خلوت بجعفر فقلت له يسأل
 ابوك عن الالعاب بالشرط نخرج فيصمت اخوك وتعترف وابوك صاحب جده • فقال سمعت
 ابي يقول نعم هو البال المكدود وقد علم ما تلقاه من كد التعلم والتأدب ولم آمن ان
 يكون بلغه انا ناعب بها ولان يبادر فينكر فبادرت بالاقرار اشفاقا على نفسي • عليه •
 وقلت ان كان توبيخ فديته من المواجهة به فقلت له يا بني فلما تقول لـ اعبه مخاطرة كأنك
 تقامر اخاك وتستكثر ماله فقال كلا ولكنه يستحسن الدواة التي وهبها لي امير المؤمنين
 فمرضتها عليه فاني قبولها وطعمت ان يلاعبي فاخاطره عليها وهو يغلبني فتطيب نفسه
 بأخذها • فقلت لها يا امام ما كانت هذه الدواة ؟ فقالت ان جعفر أدخل على امير المؤمنين
 فرأى بين يديه دواة من العقيق الأحمر محلاة بالياقوت الأزرق والأصفر فرآه ينظر
 اليها فوهبها له • فقلت ايه فقالت ثم قلت لجعفر هبك اعتذرت بما سمعت فما عذرك من
 الرضا بمناسبة ابيك حين قال لـ اعبه وانا معك فقلت انت نعم وقال هو لا فقال عرفت انه
 غالي ولو فتر اعبه لتغالب له مع ماله من الشرف والسرور تجيزا به اليه • قال محمد بن عبد الرحمن
 فقلت بخ هذه والله السيادة • ثم قلت لها يا امام اكان منهم ما من بلغ الحلم ! فقالت يا بني اين يذهب
 بك اخبرك عن صبيين يلعبان فتقول كان منهما ما من بلغ الحلم لقد كنتهمي الصبي اذا بلغ العشر
 وحضر من يستحي منه ان يتبسم

(المنار) فليتأمل هذه التربية العالية الذين يتبحرون بلفظ اتربة اليوم ويقولون ان
 المسلمين في أيام مدينتهم لم يكن لهم عناية بالتربية اذ لم نجد في كتبهم لهجاءها (اي بلفظها)
 فآين يوجد مثل هذه التربية عند معاصرنا اللاهجين بالكلمة الشريفة وما اشتق منها •

بوقى الحكمة من يشاء ومن بوقى الحكمة فقد أوتي
خبيرا كبيرا وما يذكر إلا أولو الالباب

المسحاة

١٣١٥

قشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و« منارا » كمنار الطريق)

(مصر — الخميس ١٦ رمضان سنة ١٣٢٢ — ٢٤ نوفمبر (٢) سنة ١٩٠٤)

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
فَلْيَسْتَجِيبُوا إِلَيَّ وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ * أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ
الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ، هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ
كُنْتُمْ تُخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا
مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ
الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ، وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ
عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ، تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا، كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ
آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ *

روى ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما في سبب نزول قوله تعالى
 (واذا سألك عبادي عني فإني قريب) الآية أن أعرايا جاء إلى النبي صلى
 الله عليه وسلم فقال: أقریب ربنا فنناجیه أم بعید فننادیه؟ فسكت عنه
 فانزل الله الآية. وأخرج عبد الرزاق عن الحسن قال سأل أصحاب رسول
 الله صلى الله عليه وسلم النبي (ص) أين ربنا فنزلت ورووا في سببه غير ذلك
 مما هو أضعف سندا، وأقل ناصرا وعددا، وقال الاستاذ الامام عند ذكر
 السبب الأول هذا السؤال ليس ببعيد من العرب والأعراب الذين اعتادوا أن
 يتخذوا وسائل بينهم وبين إلههم يقربونهم إلى الله خالق السموات والأرض
 وهؤلاء الوسائل والوسائط إما أشخاص وإما أمثلة أشخاص كالتماثيل والأصنام
 ولم يهتدوا بأنفسهم إلى التجرد لمعرفة ذلك الآله العظيم بأنه لا يتقيد بشيء حتى
 هداهم إليه القرآن بآياته البينات فكانوا أهل التوحيد الخالص. ولكن
 الآية جاءت بين آيات الصيام فهي ليست بأجنبية منها وإنما هي متصلة بما
 قبلها من الأحكام فقد طاب لنا في الآية السابقة بإكمال عدة الصيام وتكبير الله تعالى
 وذكر أن ذلك يعدنا لشكره تعالى والتكبير والشكر يكونان بالقول والعمل
 نحو الحمد لله والله أكبر: وما كان بالقول يأتي فيه السؤال هل يكون برفع
 الصوت والمناداة، أم بالخافتة والمناجاة، فجاءت هذه الآية جوابا عن
 هذا السؤال الذي يتوقع إن لم يقع فهي في محلها سواء صح ما روي في سببها
 أم لا (قال) ويروى في نزولها سبب آخر وهو أن النبي (ص) سمع المسلمين يدعون
 الله تعالى بصوت رفيع في غزوة خيبر فقال لهم: أربعوا على أنفسكم فانكم
 لا تدعون أصم ولا غائبا: وعلى كل حال تفيدنا الآية حكما شرعيا وهو
 أنه لا ينبغي رفع الصوت في عبادة من العبادات إلا بالمقدار الذي حدده

الشرع في الصلاة الجهرية وهو أن يسمع من بالقرب منه ومن بالغ في رفع صوته ربما بطأت صلاته ومن تعمداً بالمبالغة في الصياح في دعائه أو الصلاة على نبيه كان إلى عبادة الشيطان أقرب منه إلى عبادة الرحمن . أما الحديث فتدروا ما أحمد والشيخان وأصحاب السنن من طرق إلى أبي عثمان النهدي عن أبي موسى قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال النبي (ص) : أيها الناس أربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائباً انكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم . وفي رواية أنهم كانوا يرفعون أصواتهم بالتهليل والتكبير إذا علوا عقبة أو ثنية . وليس في هذه الروايات ذكر الآية ولكن الحديث في المقام فأنهم كانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير المأمور به في الآية السابقة فدلّت الآية على ما صرح به الحديث من النهي فكان الحديث تفسير لها بل هو عمل بها وذكره ابن المادل في تفسيره من أسباب نزولها . وقال البيضاوي في وجه الاتصال : واعلم أنه تعالى لما أمرهم بضوم الجهر ومرعاة العدة وحشهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على أنه خير بأحوالهم ، سميع لأقوالهم ، مجيب لدعائهم ، مجاز على أعمالهم ، تأكيداً له ، وحشاً عليه ، : اهـ

ونحن نعلم أن الأحكام العملية إنما تشرع لتقوية الإيمان وإصلاح النفس ولذلك كان من سنة القرآن الحكيم أن يبين مع كل حكم حكمته تشريعه وفائدته في تقوية الإيمان ويمزج الكلام فيه بما يذكر بعظمة الله تعالى ويعين على مراقبته والتوجه إليه ويثبت الإيمان به كهذه الآية ويأبى فقهاءنا اقتدوا بهدي القرآن فلم يجمعوا كتب الأحكام جافة قاصرة على ذكر الأعمال البدنية كأن الدين دين مادي جسماني لا غرض للقلوب

والأرواح فيه

أما معنى قرب الله تعالى فقد قالوا انه القرب بالعلم بمعنى أن علمه محيط بكل شيء فهو يسمع أقوال العباد ويرى أعمالهم وعبارة البيضاوي: وهو تمثيل لكمال علمه تعالى بأفعال العباد وأقوالهم وإطلاعهم على أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم: وإنما جعلوا الكلام تمثيلاً لأن القرب والبعد الحقيقي إنما يكونان باعتبار المكان وهو منزله عن الانحصار في المكان. وقال الأستاذ الامام يصح أن يكون من قرب الوجود فإن الذي لا يتحيز ولا يتحدد تكون نسب الامكنة وما فيها اليه واحدة فهو تعالى قريب بذاته من كل شيء إذ منه كل شيء إيجاداً وإمداداً واليه المصير. وهذا الذي قاله من الحقائق العالية وعليه السادة الصوفية فقد قال أحد العلماء في قوله تعالى «ونحن أقرب اليه منكم» أي إذا بلغت روحه الخلقوم انه القرب بالعلم وكان أحد كبار الصوفية حاضراً فقال لو كان هذا هو المراد لقال تعالى في تمة الآية ولكن لا تعلمون ولكنه لم ينف العلم عنهم وإنما قال «ولكن لا تبصرون» وليس من شأن العلم أن يبصر فينفي هنا إبصاره وإنما ذلك شأن الذات اه بالمعنى وهو المذكور بنصه في كتاب اليواقيت والجواهر للشعراني. وعلى كل حال لازم القرب مقصود وهو عدم الحاجة الى رفع الصوت ولا الى الوساطة بينه وبين عبادته في الدعاء وطلب الحاجات كما كان عليه المشركون في التوسل بالشفعاء والوسطاء الى الله تعالى كأنه قال فأخبرهم بأنني قريب منهم وأنني أغرب اليهم من جبل الوريد (أجيب دعوة الداع) منهم بنفسي من غير واسطة (إذا) هو (دعان) وتوجه الي وحدي في طلب حاجته. أي يجب أن يدعى وحده بدون واسطة لأنه هو الذي خلق الانسان ويعلم ما

توسوس به نفسه وهو الذي يجيب دعوته وحده بدون واسطة تعينه أو تساعد
أو تكون نائباً عنه في الإجابة وقضاء الحاجة

وقد فسروا الدعوة بطلب الحاجات وقالوا إن ظاهر الآية أن الإجابة
وصف لازم لله تعالى وأنه يجيب كل داع وليس الأمر كذلك كما هو ثابت
بالمشاهدة وأجابوا بأن المراد أن من شأنه الإجابة فهو يجيب أن شاء كما
قال في آية أخرى « فيكشف ما تدعون إليه أن شاء » فهو على حد قولك
فلان يعطي الكثير فاطلب منه أي أن من شأنه ذلك ولا يلزم منه أن يعطي
كل طالب . وأجاب بعضهم بأن الإجابة أعم من إعطاء السؤال وقد ورد
في الحديث الصحيح أن الإجابة تكون بأحدى ثلاث إما أن يعجل له
دعوته وإما أن يدخر له وإما أن يكف عنه من السوء مثلاً . ولا حاجة إلى
التأويل إذ لا محل للاشكال فإن الآية سميقت لبيان أن الله تعالى قريب من عباده
المتوجهين إليه فلا حاجة بهم إلى صياحهم بتكبيره ودعائه ولا إلى أن يتخذوا
وسطاء بينهم وبينه في التوجه إليه وسؤال رحمته وفضله بل يجب أن يصمدوا
إليه وحده فإنه هو الذي يجيب دعاءهم وحده . وأما كيفية إجابته إياهم
فليس من موضوع الآية ولا شك أن العارف بالله تعالى وبسننه في خلقه
لا يقصد بدعائه ربه إلا هدايته إلى الطرق والأسباب التي قضت سننه تعالى
بأن تحصل الرغائب بها وتوفيقه ومعاونته فيها فهو إذا سأل الله تعالى أن
يزيد في علمه أو في رزقه فلا يقصد أن يكون العلم وحياً يوحى ولا أن
تطر له السماء ذهباً وفضة ، وكذلك إذا سأل الله شفاء مرضه أو مريضه
الذي أعياه علاجه فإنه لا يريد بذلك أن يخرق الله العادات أو يجعله مؤيداً
بالمعجزات والآيات ، وإنما يريد المؤمن العارف بالدعاء ما ذكرنا من توفيق

الله إياه الى العلاج أو العمل الذي يكون سبب الشفاء سواء كان ذلك
 بارشاد مرشد أو بالهام إلهي فكم لله من عناية بالمتوجهين اليه الداعين له
 بعد ما اجتهدوا في الاخذ بالاسباب فلم يفلحوا . ومن عنايته الهداية الى
 سبب جديد ، وإلهام النفس العمل المفيد ، ولا دليل في الآية على ان كل دعاء
 يحجب بل هي نفسها دليل على انه لا يجب الدعاء الا الله ، فيجب ان لا
 يدعى سواه « وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » فمضى أن يهتدي
 بهذا الموسومون بسمه الايمان ، الذين يدعون عند الضيق يا فلان يا فلان ،
 وانظر كيف لم يقل انه يجب دعوة الداعي حتى قيدها بقوله « اذا
 دعاني » قال الاستاذ الامام ان الداعي شخص يطلب شيئا وهو يصدق
 على أكثر الناس الذين يطلبون كل يوم أشياء كثيرة وليس كل واحد منهم
 متحققا بدعاء الله تعالى وحده كما يجب أن يدعى فهو يقول أجيب دعوة
 الداعي اذا خصني بالدعاء والتجأ اليّ التجاء حقيقيا بحيث ذهب عن نفسه
 الى ، وشعر قلبه بأنه لا ملجأ له الا الي ، ومثل هذا لا يطعم في غير مطعم ،
 ولا يطلب مالا يصح أن يطلب ، وانما يمثل أمر الله تعالى باتخاذ جميع الوسائل
 من طرقها الصحيحة المعروفة وهي لا تتحقق الا بالعلم والعزيمة والعمل فان
 تم للعبد ما يريد بذلك فقد أعطاه الله تعالى من خزائنه التي يفيض منها
 على جميع متبعي سننه في الخلق وان بذل جهده ولم يظفر بسؤله فما عليه الا
 ان يلجأ الى مسبب الاسباب وهادي القلوب الى ما غاب عنها وخفي عليها
 ويطلب المعونة والتوفيق ممن بيده ملكوت كل شيء . وقد قال بعض
 السلف ان مثل هذا يحجب لأمالة وقالت الصوفية الدعاء المحجب هو الدعاء
 بلسان الاستعداد وقد استعاذ النبي عليه الصلاة والسلام من الطمع في غير

مطمع فمن يترك السعي والكسب ويقول : يا رب ألف جنيه : فهو غير داع
وانما هو جاهل يشبه ان يكون ساخرا ومستهنئا . ومثل ذلك المريض لا يراعي
الحمية ولا يتخذ الدواء ويقول رب آشفني وعافني كأنه يقول اللهم أبطل
سذنتك التي قلت انها لا تبدل ولا تحول لأجلي (*) . سأل سائل في الدرس :
اذا كان الرزق مقدرا فعلام السؤال ؟ فقال الاستاذ اذا كانت إجابتي أو
عدمها مقدرا فلم السؤال ؟ هذا لا يقال وانما ينبغي أن يقال ما الحكمة في
طلب الدعاء منافي هذه الآية وغيرها من الآيات والأحاديث كحديث
« الدعاء مخ العبادة » والله تعالى يعلم ما في أنفسنا وما تنطوي عليه سرائرنا ؟
قالت الصوفية إن المراد بالدعاء فزع القلب الى الله وشعوره بالحاجة
الى معونته والتجأؤه اليه ويحتجون بما روي في قصة ابراهيم صلى الله عليه
 وآله وسلم من أن جبريل سأله قبل ان يلقى في النار ألك حاجة قال أما اليك فلا
قال فادع الله قال حسبي من سؤالي علمه بحالي . ولكن ظاهر الآيات
والأحاديث يدل على أن الدعاء مطلوب بالقول أيضاً ومنه الأدعية الماثورة في
الكتاب والسنة وذلك أن الدعاء باللسان هو أثر الشعور بالحاجة الى الله تعالى
وفزع القلب اليه فان لم يكن أثره فهو مذكور به وهو أعظم مظاهر الايمان ولذلك
سماه النبي (ص) مخ العبادة فهو يطلب لذلك وإجابة الله الدعاء تقبله ممن أخلص له
وفزع اليه بروحه ورضاؤه عنه سواء أ وصل اليه ما طلبه في ظاهر الامر أم لم يصل
قال تعالى (فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي) استجاب له واستجابه وأجابه
الى الشيء واحد أي فليجيبوا دعوتي الى الايمان والاعمال النافعة لهم كالصيام
 وغيره مما أدعواهم اليه كما أجيب دعوتهم بقبول عبادتهم ، وتولى إعانتهم ، فالآية

(*) راجع مقالة الدعاء في المجلد السادس من المنار (ص ٤٠٦)

تفيد أن المنفرد بأجابة الدعاء هو الذي يطاع طاعة العبادة فإذا دعانا غيره إلى عبادة اخترعها باجتهاده لا دليل عليها فيما أوحاه الله إلى نبيه لأنجيئه إليها كما أننا لا ندعو غيره تعالى . وقال المفسرون في الأمر بالايان هنا إنه أمر بالمداومة عليه لأن الخطاب للمؤمنين وذهب الاستاذ الامام إلى أن الخطاب عام وأن حظ من استجاب لله وللرسول منه أن يحاسب نفسه ويطلبها بأن تكون أعماله الظاهرة التي عد بها مسلما صادرة عن الايمان اليقيني والاحتساب لله تعالى في ذكر الايمان بعد الاستجابة إشارة إلى أن من الناس من يستجيب إلى الأعمال ويقوم بها وهو خلو من روح الايمان « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولم يدخل الايمان في قلوبكم » . ثم قال (لعلهم يرشدون) فعلمنا أن الأعمال إذا لم تكن صادرة بروح الايمان لا يرجح أن يكون صاحبها راشدا مهديا فن يصوم اتباعا للعادة وموافقة للمعاشرين فان الصيام لا يعمده للتقوى ولا للرشاد وربما زاده فسادا في الاخلاق وضرارة بالشهوات . لذلك يذكرنا تعالى في أثناء سرد الاحكام بأن الايمان هو المقصود الاول في إصلاح النفوس وانما تقع الأعمال في صدورها عنه وتمكينها إياه

بعد هذا عاد إلى سرد بقية أحكام الصيام فقال (أحل لكم ليلة الصيام الرقت إلى نسائكم) روي في سبب نزول هذه الآية أن الصحابة كانوا إذا أفطروا يأكلون ويشربون ويتغشون النساء إلى وقت النوم فإذا نام أحدهم ثم استيقظ من الليل صام ولو كان في أول الليل وروي أن أهل الكتاب كانوا يصومون كذلك وأن الصحابة فهموا من قوله تعالى « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » أن التشبيه يتناول كيفية الصوم فوقع لبعضهم أن واقع على أمراته في الليل بعد النوم فشكا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم

ولبعضهم أن نام قبل أن يفطروا ثم استيقظ فواصل الصوم إلى اليوم الثاني وكان عاملاً فأضواه الجوع حتى غشي عليه فذكر خبره للنبي (ص) فنزلت قال بعض المفسرين هذه الآية ناسخة لقوله «ما كتب على الذين من قبلكم» وقال بعضهم لا نسخ هنا فإن التشبيه هنا ليس من كل وجه وإنما هو في الفرضية لا في الكيفية وهذه الآية متصلة بما قبلها متممة لأحكام الصوم مبينة لما امتاز به صومنا من الرخصة التي لم تكن لمن قبلنا. وهذا ما اختاره الاستاذ الامام وقال اذا صح ما ورد في سبب النزول فهو يدل على شيء واحد وهو انه عند ما فرض الصيام كان كل انسان يذهب في فهمه مذهبا كما يؤديه اليه اجتهاده ويراه أحوط وأقرب إلى التقوى. ولذلك قالوا فيما روي عنه من اتيان عمر أهله بعد النوم ان النبي (ص) قال له : لم تكن حقيقا بذلك يا عمر : أقول اما الرواية فعند أحمد وأبي داود والحاكم من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل قال كانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا فاذا ناموا امتنعوا ثم ان رجلا من الانصار يقال له قيس بن صرمة (بكسر الصاد) صلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح فاصبح مجهودا وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام فأثنى النبي (ص) فذكر له ذلك فأنزل الله «أحل لكم» إلى قوله «ثم اتموا الصيام إلى الليل» قال في لباب النقول هذا الحديث مشهور عن ابن أبي ليلى لكنه لم يسمع من معاذ وله شواهد وذكر حديث قيس بن صرمة عن البراء عند البخاري - وأخرجه أبو داود أيضا في الصوم والترمذي في التفسير - وقول البراء عند البخاري لما نزل صوم شهر رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله فكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله «علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم» الآية

وحديث عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه عند أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم قال: كان الناس في رمضان إذا صام الرجل فأُمسى فنام حرم عليه الطعام والشراب والنساء حتى يفطر من الغد فراجع عمر من عند النبي (ص) وقد سمر عنده فأراد امرأته فقالت إني قد نمت قال مانت ووقع عليها وصنع كعب مثل ذلك فغدا عمر إلى النبي (ص) فأخبره فنزلت: اه فأنت ترى في رواية البخاري - وهي أصح هذه الروايات - اضطرابا في بعضها أنهم كانوا يرون مقاربة النساء محرمة في ليالي رمضان كأنه رتبه على الإطلاق وفي الأخرى أنهم كانوا يمدونها كالأكل والشرب لا تحرم إلا بعد النوم في الليل وأقرب ما يمكن أن يخرج عليه الجمع بين الروايتين اختلاف اجتهاد الصحابة في ذلك بحمل كل رواية على طائفة والا تعارضا وسقط الاحتجاج بهما. وهذا الجمع يوافق ما قاله الاستاذ الامام فتعين ان اجتهادهم لم يكن حكما قرآنيا فيقال إنه نسخ بالآية وإنما هو اجتهاد أوقعهم فيه الاجمال فجاءت هذه الآية بالبيان قال وقوله «أحل لكم» لا يقتضي أنه كان محرما بل يكفي فيه ان يتوهم ان من كمال الصيام أو من شروطه عدم الأكل بعد النوم وعدم مقاربة النساء بعده أو مطلقا. وهو كقوله تعالى «أحل لكم صيد البحر» ولم يكن قد سبق نص في تحريمه.

أما ليلة الصيام فهي الليلة التي يصبح منها المرء صائما وأما الرفث إلى النساء فهو الافضاء اليهن واصله الافصاح بما ينبغي ان يكتفى عنه يقال رفته في كلامه إذا خش وأفصح بذكر الوقاع وشئونه أو حادث النساء في ذلك وقال الازهري الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة وقد علمنا القرآن النزاهة في التعبير عن هذا الامر عند الحاجة إلى الكلام

فيه بما ذكره من الكنايات اللطيفة كقوله: لامستم النساء: أفضى بعضكم إلى بعض: دخاتم بهن: فلما تفشاهما حملت: وقال المفسرون قد ذكر هنا اللفظ الصريح والسبب في ذلك استهجان ما وقع منهم. والذي أفهمه من الكلمة أنها بمعنى ما لا يصح التصريح به من شأن الرجل مع المرأة وليست هي من الالفاظ الصريحة في ذلك فالمعنى أحل لكم ذلك الامر الذي لا ينبغي التصريح به. قال الاستاذ الامام والصواب انه جيء باللفظ على خلاف ما جرت عليه سنة الكتاب للإشارة إلى استهجانه في شهر الصوم وان حل فهو من الحلال المكروه على الجملة وقوله (هن لباس لكم وأتم لباس لهن) قول مستأنف سيق ليان سبب الحكم أي اذا كان يمشيكم ويدينهن هذه الملابس والمخالطة فان اجتنابهن عسر عليكم فهذا رخص لكم في مباشرتهن ليلة الصيام قاله صاحب الكشف فهو يرى ان لفظ لباس هنا مصدر لا بسه بمعنى خالطه وعرف دخائله لا بمعنى ما ورد من اطلاق اللباس والازار على المرأة اذ لا معنى لهذا هنا. وقال ابن عباس معناه هن سكن لكم وأتم سكن لهن. وذهب كثير من المفسرين إلى أنه كناية عن المعانقة وقال بعضهم انه كناية عن الستر وقول الكشف هو الظاهر الذي اختاره الاستاذ الامام

ثم قال (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم) أي تنتقصونها بعض ما أحل الله لها من اللذات توها أن من قبلكم كان كذلك فيكون بمعنى التخون أي النقص من الشيء أو معناه تخونون أنفسكم اذ تمتقدون شيئاً ثم لا تلتزمون العمل به فهو مبالغة من الخيانة، التي هي مخالفة مقتضى الأمانة، ولم يقل تختانون الله كما قال «لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم» للإشعار بأن الله تعالى لم يحرم عليهم بعد النوم في الليل ما حرمه على الصائم

في النهار وإنما ذهب بهم اجتهادهم الى ذلك فهم قد خاؤا أنفسهم في اعتقادها فكانوا كمن يتقشى أمراته ظاناً انها أجنبية فعصياناً بحسب اعتقاده لا بحسب الواقع فهم على أي حال كانوا عاصين بما فعلوا محتاجين الى التوبة والعفو ولذلك قال (فتاب عليكم وعفا عنكم) فان كان ذنبهم تحريم ما أباح الله لهم في ليالي الصوم أو التورع عنه ليوافق صيامهم صيام أهل الكتاب من كل وجه فتفسر التوبة بالرجوع عليهم ببيان الرخصة بعد ذكر فرض الصيام مجملًا والتشبيه فيه مبهمًا ويكون العفو عن الخطأ في الاجتهاد الذي أدى الى التضيق على النفس وإيقاعها في الحرج . وان كان الذنب هو مخالفة الاعتقاد بأن كان فيهم من يعتقد أن قوله تعالى « كما كتب على الذين من قبلكم » يفيد تحريم ملازمة النساء ليلاً مطلقاً أو تحريمه كالأكل والشرب بعد النوم في الليل فالتوبة على ظاهر معناها أي أن الله قبل توبتكم، وعفا عن خيانتكم أنفسكم، وأذن لكم الآن إذا صريحاً بأن تباشروا النساء بالنية الصالحة وأن تأكلوا وتشربوا في أي وقت شئتم من الليل وذلك قوله (فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم) أي ما حده لكم في نظام الفطرة من جمل المباشرة سبباً للنسل فلتكن مباشرة بكم بقصد إحياء سنة الله تعالى في الخلقة لا لمحض شهوة النفس واللذة التي يشارككم فيها البهائم . وقيل ان العبارة تتضمن النهي عن المباشرة المحرمة فانها لا يقصد بها الولد سواء كانت بالزنا أو غيره وليس ببعيد (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) أي يباح لكم الأكل والشرب كالمباشرة عامة الليل حتى يتبين لكم الفجر فتبين وجب الصيام وما أحسن التعبير عن أول طلوع النهار بالخيطين والخيط الأبيض هو أول ما يبدو

من الفجر الصادق حتى اسفر لا يظهر وجهه لتسميته خيطا فاذهب اليه بعض السلف كالأعمش من ان ابتداء الصوم من وقت الاسفر تنافيه عبارة القرآن (ثم أتموا الصيام الى الليل) فهم من غاية وقت إباحة الاكل والشرب مبدأ الصيام ولم يبق الا ذكر غايته وهي ابتداء الليل بغروب الشمس . وأنت ترى ان هذا التحديد جاء بأسلوب الاطناب لانه بيان للاجمال بعد وقوع الخطأ فيه وإنما أخر البيان الى وقت الحاجة اليه ليكون أوقع في النفس وأظهر في رحمة الشارع الحكيم وقوله (ولا تباشروهن) وأتم ما كفون في المساجد) بمنزلة الاستثناء من عموم إباحة المباشرة والمقام مقام بيان وإيضاح لا يبقى معه للابهام ولا للايهام مجال

ثم قال (تلك حدود الله) الاشارة الى الاحكام التي تقدمت وسميت حدودا لأنها حددت الاعمال وبينت أطرافها وغاياتها حتى اذا تجاوزها العامل خرج عن حد الصحة وكان عمله باطلا والحد طرف الشيء وما يفصل بين شيئين وقوله (فلا تقربوها) هو أبلغ في التحذير من قوله في آية أخرى « فلا تمتدوها » لأنه يرشد الى الاحتياط فنقرب من الحد أو شك أن يعتديه كالشباب يداعب أمراته في النهار لا يثق بالوقوف عند حد المباح له وقال بعضهم معناه لا تقربوها بالتأويل والتحريف ولا بالهوى والرأي بل اقبلوها كما هي . وهذا يشير الى تخطئة الصحابة بما كان من اجتهادهم واتباع آراء أنفسهم في أمر ديني يجب فيه الاتباع المحض كأنه قال لا ينبغي لكم أن تتجاوزوا المنصوص في العبادات لأنها مما لا مجال للرأي فيه بل عليكم فيها بالاتباع المحض فأمروهم فخذوا وماسكت عنه فذرؤا ، وفي هذا المعنى حديث : ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحرم حرمات فلا تنتهكوها وحد

حدودا فلا تمتدوها وسكت عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها »
 رواه ابو داود والترمذي والنسائي والدارقطني من حديث أبي ثعلبة الخشني .
 وفي رواية زيادة «رحمة بكم من غير نسيان» قال (كذلك يبين الله آياته للناس
 لعلمهم يتقون) أي على هذا النحو من البيان يبين لهم آياته ليعدهم للتقوى ،
 والتباعد عن الوهم والهوى ،

﴿ باب الفقه في أحكام الدين ﴾

(مواقيت العبادة من الصلاة والصيام والحج)

بسم الله خاتم النبيين للناس كافة ومنهم البدو والحضر والأيمن والمتعلمون والمنفردون
 والمجتمعون وقد ساوى سبحانه في هذا الدين الأخير بين الناس في التكليف فلم يجعل فيه
 رؤساء ومرءوسين يكلف بعضهم بما لا يكلف به الآخر ولم يجعل عبادة أحد متعلقة
 بعبادة الآخر حتى إن إمام الصلاة إذا عرض له ما أبطل صلاته كان للمأمومين أن
 يتجملوا صلاتهم فرادى وإذا تقدم واحد منهم قائم لهم الصلاة جماعة جاز وكل من صحت صلاته
 صحت إمامته فليس في الاسلام طوائف ولا بيوت ممتازة بالرياسة الدينية كما في الديانات
 الأخرى حتى اليهودية والنصرانية ولهذا جعل الله تعالى مواقيت العبادة في الاسلام متعلقة
 بالمشاهدة التي يستوي فيها العالم والجاهل والبدوي والحضري لا بحساب الحاسين والفلكيين
 ولا بأرادة الرؤساء والحاكمين فوق صلاة الفجر يدخل بطول الفجر الصادق ووقت
 الظهر بزوال الشمس الذي يعرف بالظل ووقت العصر حين يكون ظل كل شيء مثله ووقت
 المغرب بالغروب ووقت العشاء بذهاب الشفق الأحمر ويعرف شهر الصيام برؤية الهلال
 فإن لم ير فباتمام شعبان ثلاثين يوما وكذلك شهر الفطر وأشهر الحج ولذلك قال تعالى
 « يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج »

وقد مضت السنة بأن يرقب المؤذن في البلد المواقيت للصلاة ويؤذن بها في الناس
 أي يعلمهم بها فيعملون بأعلامه ويصلون لكيلا يتكلف كل واحد من المجتمعين في البلد
 مراقبة الأوقات وكذلك وقت الصيام إذا رأى بعض المسلمين الهلال يذاع خبر رؤيته
 إليهم في البلد ويصوم الناس تصديقا له كما يصدق الواحد في مواقيت الصلاة التي تكون

مواقيت الصيام في أيامه ولياليه إذ انتمد على أذان الواحد في الامساك صباحا والفطر مساء لافرق بين ثبوت شهر الصيام وثبوت وقت الصوم ووقت الفطر في كل يوم من أيام الشهر . ولا عبرة باحتمال كذب المخبر عقلا اذا لم يكن ثم شبهة أو دليل على كذبه كأن يؤذن للمغرب وأنت ترى شعاع الشمس على الحدران . ويدل على عدم الفرق بين ثبوت شهر الصيام وثبوت أوائل أيامه ولياليه لأجل الامساك والفطر ما ذكرناه في جزء المنار الذي صدر في غرة رمضان من العام الماضي ومنها حديث ابن عباس عند الشيخين وأصحاب السنن وهو : جاء أعرابي الى النبي (ص) فقال إني رأيت الهلال يعني رمضان فقال : أتشهدان لإله الا الله ، قال نعم قال : أتشهد أن محمدا رسول الله ، قال نعم قال : يا بلال اذن في الناس فليصوموا غداً ، وغير ذلك من أحاديث الرؤية أو إكمال العدة

طريقة إثبات رمضان في أمصار المسلمين

لو جرى المسلمون على السنة لاستهل بعض المعروفين بالعدالة منهم ليلة الثلاثين من شعبان كما يستهلون في البوادي فاذا رأى المستهل الهلال أمر الامام أو نائبه المؤذنين باعلام الناس بذلك وأن يصوموا ولكنهم أبوا الا أن يجعلوا إثبات رمضان بالرؤية منوطا بالحكم وأن يتدعوا طريقة لم تعرف في السنة وهي أن يزوروا دعوى ويحكم القاضي فيها بإثبات الشهر ويبلغ الناس حكمه ولا يرون العلم بأن الدعوى مزورة والرضى بها والحكم فيها طعنا في عدالة القاضي والشهود حتى لا يقبل قولهم في إثبات رمضان ولا في غيره . بل قضت قواعدهم الفقهية بأنه لا طريقة لإلزام الناس بالصيام الا هذا لأن حكم القاضي يرفع الخلاف في المسائل الاجتهادية فلا يجوز بعده لأحد ان يعمل باجتهاده في المسألة التي حكم فيها . ويرون أن شهادة الشهود امام القاضي برؤية الهلال لا تكفي لإعلام الناس وأمرهم بالصوم كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون وأصحابه الهداة المهديون وشبهتهم أن الاخبار برؤية الهلال لا إلزام فيها وإنما يجب فيها الصوم على من صدق الخبر وأما الحكم فيجب على كل أحد الخضوع له . وكشف هذه الشبهة أن السنة دلت على أن من سمع خبر رؤية الهلال وجب عليه الصيام كما لو رآه فالأخبار بالرؤية كالأخبار بالحكم المبني عليها يجب العمل به على من صدق الخبر ولا يجب على من لم يصدق فاذا كان

المؤذن أو المؤذنون أو الحكم هم المخبرون بأن بعض الناس رأوا الهلال فإن كل الناس يصدقون الخبر بشهادتهم وكل من لا دليل عنده على كون الشهادة كاذبة فهو يصدق الشهود أيضا ومن قام عنده الدليل على كذب الشهادة فإنه لا يصدقها ولا يعتبر الحكم الذي بني عليها لأن المبني على الفاسد فاسد . والحكم بوجوب الصوم لا إلزام فيه لأن الصوم معاملة بين العبد وربّه والعمدة فيها الاعتقاد فإذا حكم كل قضاة لأرض بأن الشمس غربت وأنا أراها أو أرى شعاعها فلا يجوز لي أن أفطر ولا أرأعي المغرب . وأنا أصلي كل يوم اعتماد على إخبار المؤذن وأفطر في كل يوم من رمضان عند سماع مدفع المغرب أو أذان المؤذن وكذلك يفعل جميع المسلمين في المدن والأمصار . فإي دليل في الشرع على التفرقة بين الإخبار بأول يوم من رمضان والإخبار بمواقيت الإمساك والأفطار في سائر أيامه ومواقيت الصلاة والحج ، وما هو المسوغ لتزوير دعوى لإثبات العبادة

إذا قالوا يجب العمل بما مضت به سنة الشارع نقول إن كتب السنة الصحيحة بين أيدينا ناطقة بأن رؤية الهلال كانت عندهم كروية الفجر من رأى يخبر والمؤذن يبلغ الناس دخول رمضان كما يبلغهم دخول وقت الصلاة بمعرفته أو بإخبار بعض المؤمنين له وفي الحديث الصحيح « إن بلا لا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم » وكان رجلا أعمى لا يؤذن حتى يقال له أصبحت أصبحت . وفي لفظ ينادي بدل يؤذن وهو متفق عليه من حديث ابن عمر صرفوا وروى مسلم والترمذي واللفظ له وغيرهما من حديث سمرة بن جندب قال قال رسول الله (ص) « لا يمنعكم من سحوركم أذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الأفق » وإذا قالوا إن إخبار المؤذن ليس بشرط وفي معناه كل إعلام كالدافع في هذا الزمان وإنما الأذان سنة متبعة في الإعلام بمواقيت الصلاة فقط وإن شارك الصوم الصلاة في بعضها فبالسبع : نقول إن هذا كلام معقول مقبول ولقد كان إخبار المؤذن بدخول رمضان على عهد النبي (ص) عن شهادة بعض المؤمنين بروية فلتكن المدافع وما في معناها من طرق الإعلام عن شهادة الشهود أمام القاضي ودعوا هذه البدعة التي جرت عليها . وليعلم أن الشهادة عند القاضي لأجل الضبط والثقة بالإخبار ولو شهد الشهود عند الوالي (كخديوي مصر) أو نائبه الإداري كناظر الداخلية أو المحافظ وأمر بإعلام الناس حصل المقصود

العمل بنحبر التلغراف والتلفون

وإذا جاز العمل بصوت المدفع أو بإيقاد القناديل في المآذن ونحوها وإطفاؤها إذا جرت العادة بمجمل ذلك علامة على الصوم والفطر فلا شك أنه يجوز العمل بنحبر التلغراف والتلفون لاسيما إذا كانا من عمال الحكومة حيث يؤمن التزوير ويفلب على الضن الصدق لان الحكومة تعاقب عامل التلغراف اذا كذب أو زور عقوبة شديدة فحبره يوجب العلم الراجح الذي يعمل به في الاحكام كخبر المؤذن وصوت المدفع ونحو ذلك وقد تعدد طرقه فيوجب العلم اليقين كالتواتر الحقيقي بل ان التلغرافات الرسمية لا يرتاب أحد في صدقها كما هي حتى في الأمور السياسية وان جاز الخطأ فيها عقلا كالكتابة وغيرها من ضروب الخبر والتبليغ

إثبات رمضان هذا في مصر

اجتمع في ليلة الاثنين من شعبان وهي ليلة الثلاثاء قاضي مصر وأعضاء المحكمة الشرعية وبعض العلماء لسماع شهادة المستهلين حسب العادة فلم يشهد أحد بأنه رأى الهلال على كثرة المستهلين، وانتظار الجائزة للشاهدين، وذلك أن رؤيته كانت مستحيلة كما علم من الحساب الفلكي القطعي ولقد كان جميع العارفين بتعذر رؤية الهلال يعتقدون اعتقاداً جازماً بأن من يشهد برؤيته يكون كاذباً في شهادته ومنهم بعض أعضاء المحكمة الشرعية. وفي نهار تلك الليلة ورد على قاضي مصر تلغراف من قاضي الفيوم الشرعي يقول فيه انه شهد عنده شاهدان بروؤية الهلال ليلة الثلاثاء وحكم بذلك ويعهد اليه بأن يبلغ الحكومة ذلك لتبلغ الناس فقال قاضي مصر ان خبر التلغراف لا يعمل به شرعاً وهو لا يشك في ان التلغراف الذي جاء هو من قاضي الفيوم الشرعي ولذلك خاطبه بالتلغراف وهو لا يشك في وصوله اليه وتصديقه إياه بأن يرسل اليه الشهود الذين شهدوا هناك ليشهدوا أمامه هنا فحضرُوا وشهدوا ولفقت الدعوى المعتادة وحكم قاضي مصر وبلغ الحكومة بأنه ثبت عنده أن هذا اليوم (الثلاثاء) أول رمضان وعهد اليها ان تحبر الناس بذلك فأمرت بإطلاق المدافع في القاهرة فأطلقت وبلغت سائر البلاد بالتلغراف فن بلغه الخبر في النهار وصدق الشهادة والحكم أمسك نهاره وقليل ما هم وأصبح المسلمون يوم الاربعاء صائمين معتقداً أكثرهم انهم أفطروا يوماً يجب عليهم قضاؤه ووفق اهل العلم والفهم من الخواص

يتحدثون متعجبين مما حصل لاعتقادهم بأن رؤية الهلال كانت من المحال وإن خبر قاضي الفيوم بنبوت الشهر هو كخبر قاضي مصر لافرق بينهما شرعا فلماذا أعلن إثبات الشهر بالنظراف والمدفع عند ما شهد الشهود أمام قاضي مصر ولم يعلن عند ما شهدوا أمام قاضي الفيوم - كلاهما قاض شرعي وطريقة الإثبات واحدة وطريقة إعلانه واحدة فهل صارت العبادة الإسلامية متوقفة على رئيس مخصوص يصحح على يده مالا يصحح على يد غيره ونحن نعلم أنه لم ينطق الكتاب الإلهي ولم تمض السنة النبوية ولا عمل السلف الصالح ولا قال الأئمة المجتهدون بأن عبادة الصيام أو غيرها تتوقف على حكم شرعي أو على أمر رئيس ولا حاكم ولهذا لا يجوز القضية لأنفسهم الحكم بإثبات شهر رمضان ابتداء بل يحملون إثباته تبعاً للحكم بقضية من المعاملات أعلمهم بأن العبادة لا تتوقف على حكم الحاكم إجماعاً وإنما جرت العادة بأن يشهد المستهلون بروؤية الهلال عند الحكم لأنهم هم الذين يتيسر لهم إعلام الناس بذلك حتى لا يكلف كل واحد بتأني الروية كما يستغنون بأذان المؤذن عن تعرف الاوقات بأنفسهم ولا فرق بين الاعلام بمواقيت الصلاة ووقت الصيام إلا من جهة واحدة وهي أن الشرع تعبدنا بأن يكون الاعلام بمواقيت الصلاة بألفاظ مخصوصة هي كلمات الاذان أي انه جعل هذه الكلمات عبادة وشعاراً دينياً لانه جعلها شرطاً للصلاة وللعلم بوقتها

العمل بحساب الحاسبين في العبادة

اختلف الفقهاء في العمل بحساب الحاسب في إثبات رمضان فقال بعضهم لا عبرة به مطلقاً وقال آخرون ان الحاسب يعمل هو بما ثبت عنده ولا يعمل غيره بخبره وقال بعضهم يعمل به من صدقه . حجة المانعين أن الشرع ورد بحصر إثبات دخول شهر الصيام بروية الهلال والا فبإكمال عدة شعبان ومن ذلك حديث ابن عمر (رض) عند البخاري ومسلم وإبي داود والنسائي مرفوعاً : « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا » يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين . والحكمة في ذلك ظاهرة وهي أن تكون طريقة إثبات العبادة واحدة تسهل على كل مكلف وأن لا يكون لبعض الناس من الرؤساء أو العلماء أو الحكام سلطة دينية تتوقف عليها العبادة على أن حسابهم يخطئ أحياناً بدليل اختلافهم فيه . وحجة المجوزين ان المقصود

العلم بدخول الشهر كالم بدخول وقت الصلاة والاحاديث الواردة بالرواية واكمال
العدة لاتتفي طرق العلم الاخرى كما أن الاحاديث الواردة بمعرفة وقت الظهر ووقت
العصر بالنظر لاتتفي معرفة ذلك بالحساب . ويمكن منع جعل اثبات العبادة خاصا
ببعض الحاسبين الذي هو ساعنة ورياسة دينية متنوعة في الاسلام بأن لا يعمل بقولهم
الا في بلد كثر فيه احاسبون الموثوق بعلمهم بحيث ثبت عند الناس صدقهم اذا اتفقت
تقاويمهم . وأما الخطأ الذي نراه في التقاويم المصرية اذ يقول بعضها ان أول الشهر
يوم كذا ويقول الآخر بل يوم كذا فهو عن جهل بعضهم بهذا الحساب أو بأن الشهر الشرعي
هو غير الشهر الملكي فان أول الشهر الشرعي هو الليلة التي يمكن ان يرى فيها الهلال
كل معتدل البصر اذا لم يحجبه سحاب أو غيره وانه يكون ثاني الشهر الفلكي في
الاعظم وانما انزاهم يكتفون بامكان رؤية أي راء أو بامكان الرواية في نفسها ولومن
حديد البصر كان النبي (ص) قال فان غم على مثل زرقاء اليمامة فأكلوا عدة شعبان
ولكنه قال : فان غم عليكم أي يا معشر المسلمين

رأي مشايخ العصر في ذلك

نحن نعلم ان المؤذنين في جميع الامصار الاسلامية يعتمدون في معرفة الاوقات
على تقاويم الحاسبين وآلة الساعة لاعلى ماورد في الشرع من مراقبة الفجر وظل
الشمس وغروبها وذهاب الشفق الأحمر وينكرون على من يخالف هذه التقاويم
حتى ان العلماء ليكادون يوافقون العامة على الانكار في ذلك وقد كنا مرة مع بعض
أكابر علماء الازهر في الريف فأبصر مفتي الديار المصرية ان الشفق قد زال فقام
الى صلاة العشاء فقال له بعض العلماء قد بقي الى وقت العشاء خمس دقائق قال المفتي
قد زال الشفق ولم يبق شيء فوافق الآخرون بعد كلام وصلينا جميعا ولكنني رأيتهم
بعد السلام قد فتحوا ساعاتهم وقال بعضهم: الآن قد دخل الوقت : انهم صلوا على
علم بأن صلاتهم صحيحة ولكن مع تأثر نفوسهم بمخالفة العادة التي جروا عليها ولا يخفى
عليهم ان الشفق يختلف في بعض البلاد وفي بعض الاحوال عن بعض فاذا كان في
في الافق رطوبة شديدة يخلف بقاؤه عن وقت الجفاف والتقاويم تنبى على الاحتياط
كنا عند مخار باشا الغازي مع طائفة من المشايخ في دعوة رمضان فجرى حديث

اثبات رمضان والعمل بالحساب ونحو التلغراف فقالوا ان العمل بهما غير جائز شرعا لانهما ليسا من اليات الشرعية فقال الباشا ان الله عظيم الشأن عليم ما كان يتلاعب به رؤساء الاديان السابقة في عبادات الناس فجعل عبادة هذه الأمة متعلقة بالمشاهدة وهي رؤية الهلال في اثبات الصيام وبذلك يتساوى جميع الناس اذ لا يوجد في كل مكان حاسبون متقنون يوثق بهم ولكن اذا وجد في بعض البلاد الحاسبون الذين يؤمن تزويرهم وخطأهم كأن وضعت الحكومة لهم مرصدا يصدر التقاويم ويعين المواقيت تسهلا على الناس فأني مانع من العمل به وهو يقين ؟ فقال بعض المشايخ لا يجوز العمل بقول الحاسب لأنه غير شرعي وقال بعضهم لا يجوز لأنه لا يوثق به فالتا نرى الحاسبين دائما يغلطون فالحساب لا يوثق به وقال بعضهم ان للحاسب ان يعمل بحسابه ولمن صدقه ان يعمل بقوله عندنا معشر الشافعية فقال الباشا ان الحساب قطعي لا يمكن ان يخطئ وذكروا لهم أمثلة حساية فلكية وقال ان من ذلك استحالة رؤية الهلال في الليلة التي شهدهم والقيوم بأنهم رأوه فيها لانه كان تحت الافق قطعاً. وذكروا كاتب هذه السطور سبب خطأ بعض الحاسبين على نحو ما تقدم وذكر من قال من أئمة العلماء بكون حساب الشمس والقمر قطعيا لا ظنيا كالامام الغزالي وقلت اذا كان يجب على من يصدق الحاسب ان يعمل بحسابه فالتا نرى جميع الناس يصدقونهم في مواقيت الصلاة التي هي مواقيت الصيام في كل يوم من أيامه فأني فرق بين اثبات أول يوم من أيام الصيام وبين سائر الأيام من حيث بدايتها التي يجب فيها الامساك والشروع في الصوم ونهايتها التي يحل فيها الافطار قال بعضهم : ان الشرع جعل اثبات أول الشهر برؤية الهلال والافبا كمال العدة : قلت وان الشرع جعل اثبات أول النهار برؤية الفجر والمؤذن الآن يؤذن في الوقت الذي يمينه الحاسب ففي الحديث الصحيح عند البخاري وغيره : « ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم » وكان رجلا أعمى لا يؤذن حتى يقال له أصبحت أصبحت : فقال بعض المشايخ وهو من أعضاء المحكمة لشرعية ان هذا خلاف الشرع : ووافقه من في جانبه قال لا لأنه يفيد ان الانسان يأكل الى وقت الفجر فقلت اي شرع يخالف قول الرسول ؟ أقول ان صاحب الشرع قال هذا في أصح الروايات عنه ويقال ان قوله يخالف للشرع ؟ وأزيد هنا ان الحديث رواه أحمد والبخاري ومسلم

وأصحاب السنن ما عدا الترمذي من حديث ابن مسعود مرفوعاً وأحمد ومسلم والترمذي من حديث سمرة ابن جندب وتقدم لفظه وأحمد والشيخان من حديث عائشة وابن عمر ولفظه ما تقدم آنفاً وفي رواية للبخاري وأحمد زيادة: فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر: وجلة القول هنا أنني أطالب الفقهاء بالتفرقة بين إثبات أول رمضان وإثبات سائر موافيقه ومواقيت الصلاة وأقول يجب العمل بما ورد في السنة في الجميع ومنع العمل بالحساب أو إجازته في الجميع الآن يبينوا فرقاً صحيحاً

ثم انتقلنا عند الباشا إلى الكلام في العمل بخبر التلغراف قال بعض الشيوخ لا يجوز العمل به لأنه ليس بينة شرعية ولأنه يجوز فيه الكذب فقلت إن الشهود يجوز عليهم الكذب أيضاً وشهادة الزور شائعة في هذا العصر ولم يعمد الكذب في خبر التلغراف الرسمي الذي يرد إلى الحكومة ولا في غيره إلا نادراً. وأما كونه غير بينة فممنوع لأن الشرع لم يحصر البينة بشهادة الشهود فهذا العلامة ابن القيم قد حقق أن البينة في الشرع كل ما تبين به الحق على أن الكلام في الخبر بأن كذا قد ثبت عند القاضي مثلاً وأخبار التلغراف أصدق من أخبار الآحاد لأن عماله المخبرين مسؤولون يعاقبون على الكذب. وقال الباشا إن التلغراف يعمل به في الحرب التي تسفك فيها دماء الأتوف من الناس وتخرب البلاد فكيف لا يعمل به في الأخبار بإثبات العبادة التي لا ترتب عليها ضرر: وقال بعض المشايخ المالكية إن الشيخ عليشا أفق بجواز العمل بالتلغراف وقال الشيخ عبد الحالق المهدي العباسي إن والذي قد أفق بجواز العمل به لمن صدقه لكن لا يبنى على خبره الزام ولا يصح للقاضي أن يحكم استناداً على خبره فشهادة الشهود لأجل الحكم المزمع: قلت إن الصيام لا يتأتى فيه الإلزام، وإن العبادة لا تحتاج في ثبوتها إلى حكم الحكماء؛ فهذه القضية التي يلققونها ويحكمون فيها بدخول الشهر ليثبت وقت العبادة تبعاً لها لا يعرف لها أصل في الكتاب والسنة ولا حاجة إليها للإلزام وإنما يكفي إعلام الناس بأن الشهود شهدوا برؤية الهلال وإن يكون هذا الإعلام بحيث يثق به الناس وأكثر أهل القطر المصري يعلمون بإثبات الشهر بخبر التلغراف ولا يشكون فيه وأهل القاهرة يعرفون ذلك بسماع المدافع وإيقاد القناديل في المنائر وهي بمعنى التلغراف. اهـ الحديث بإيضاح في بعض المسائل واختصار في بعض آخر فمن أنكر مما كتبنا شيئاً أو كان عنده بيان آخر للحق فليرسله إلينا ننشره شاكرين

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة. اذ لا يسمع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، وانا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا ورمعا قد منأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورمعا أجنبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان عندنا سبب صحيح لا غفاله

﴿ حقيقة الجن والشياطين ﴾

(س ٨٧) من أحد فضلاء القراء في (تونس) :

من رجال العلم والتقوى في بلادنا العلامة المقدس الشيخ محمد بن علي قويسم المتوفى سنة ١١١٤ وله فضائل مانورة وتأليف مشهورة أحسنها وأكملها الكتاب المسمى (سمط اللآل في معرفة الرجال) في أحد عشر جزءا في القالب النصف الكبير ترجم فيه لنخبة أهل الاسلام وخصوصا لرجال الشفا للقاضي عياض وقد جاء فيه بالجزء الرابع عند تعرضه للكلام على الجن والشياطين ما يستفاد منه اختلاف علماء الاسلام في ماهية هاته العناصر التي نسمع بها ولا نراها فن قائل انها اجسام هوائية قابلة للتشكل ومن قائل إنها اجسام غير متحركة ولا حالة في متحيز ومن قائل إن الشيطان هو عبارة عن القوة الغضبية التي في الانسان وإلى هذا الرأي ذهب جماعة من الفضلاء منهم حجة الاسلام الغزالي وقد نقل الشيخ قويسم المذكور آفا في جملة أخذه وردة في هذا الموضوع حديثا عزاه للنصير الطوسي نقله في شرح كتاب الاشارات هذه عبارته « مامن مولود ولد في بني آدم الا ولد معه قرينه من الشيطان » فهل لكم معرفة بصحة هذا الحديث وعلى تقدير صحته نطلب الافادة بتأويله لانه اذا أخذ على ظاهر عبارته يبقى الفكر معه متحيرا إذ تعلمون أن علماء الإحصاء يقدرون سكان المعمورة بألف وخمسمائة مليون من الأنفس فاذا كان لكل واحد منهم قرين من الشياطين فلا مشاحة في أن إحصاء الجفرا فيبين كاذب لانهم أغفلوا منه النصف ثم إنه على فرض صحة وجود شيطان لكل إنسان فهل اذا مات الانسان تبعه شيطانه للقبور أو بقي عالمة على اخوانه الشياطين وفي هذه الحال يمكن الجزم بأن أكثر

بلاد الله شياطينا في هذا اليوم هي بلاد الشرق الأقصى حيث نيران الحرب محتدمة بين روسيا والجاون لانه في كل يوم تزهق أرواح الالوف من البشر ولم نسمع بموت شيطان واحد من الشياطين المولودة مع المسافر التي اقتطفها بد الفناء من شجرة الشباب - أفيدونا بما عندكم من العلم عن ماهية الشياطين وخصوصاً عن القول الذي توفق لفهمه الامام الغزالي ولكم الشكر سابقاً ولا حقاً اه

(ج) الجن والجان والجنة بالكسر مأخوذة من مادة جنن وهذه المادة تدل على الستر والخفاء قال في القاموس: وكل ما ستر عنك فقد جنّ عنك، بضم الجيم ويقال أيضاً أجن عنه واستجن ومنه الجنين الولد مادام في البطن، وأطلق لفظ الجان على ضرب من الحيات قالوا هي الحية البيضاء الى صفرة التي توجد في الدور، والشيطان في اللغة كل عات متعبد حتى من الدواب والشايطن الخبيث، والشيطان الحية الخبيثة قال جرير

أيام يدعوني الشيطان من غزل وهن يهوينني إذ كنت شيطاناً

وقال الراغب: كل قوة ذميمة للانسان شيطان: أقول ومنه قولهم ركب شيطانه اذا غضب ونزع شيطانه أي كبره، ومادة شطن تدل على البعد والايغال في الشيء، ومنها شطن البر وهو الجبل الذي يسي به وبرثشون بعيدة القعر وشطن في الارض شطونا دخل إما واسخاً وإما واغلا وتدل على المخالفة والمواربة يقال شطن صاحبه اذا خالفه عن نيته ووجهه وكذلك يفعل العتاة الحبث، وقيل إن الشيطان مشتق من شاط يشيط أي احترق غضبا فهذه اللغة تدل على أن اللفظين (جن وشيطان) وضما لأشياء معروفة، وكانت العرب تعتقد كسائر الامم أن في الكون عالماً خفياً عاقلاً سموه الجن وقالوا إن منه الخييار الصالحين والشرار الشياطين وجاء الوحي بخاطبهم بما يعتقدون في الجملة لا في التفصيل قال تعالى في سورة الانعام: «وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً» وقد ورد لفظ الشيطان والشياطين كثيراً في القرآن ومنه ما فسروه بالأشرار الخبيثاء كقوله تعالى: «وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم» وكانوا يعتقدون أن من هذا العالم ما يلبس النفوس فيلقي فيها الخواطر ومنه الهاجس الذي يلقي الشعر الشعراء الشعر

إن هذا الاعتقاد قديم في البشر لا يعرف تاريخه وفي أناجيل النصارى ان الشياطين

كانت تدخل في الناس فتؤذيهم وان المسيح عليه السلام كان يخرجها منهم وكانت اليونان تعد الجن والشياطين من عالم الأرواح وكذلك الروم (الرومانيون) وجعلوهم على ثلاث طبقات طبقة الآلهة ورئيسهم الخالق الاكبر وطبقة توابع الامم والشعوب والممالك والبلاد وكان لجن رومية تمثال من الذهب والطبقة الثالثة توابع الاشخاص . وكان الهنود القدماء يقسمونهم الى جن أخيار وجن أشرار . ولبقية الامم والشعوب عقائد متقاربة فيهم . وكان الناس يأخذون كل ما يسمعون من ذلك بالتسليم الا بعض الفلاسفة الذين حكموا الدليل والتعليل في ذلك فانكر بعضهم الجن وبعضهم سلم بأن الجن من العالم الروحاني أو الهوائي حتى اذا ما انتشرت العلوم المادية في أوروبا صار يضعف هذا الاعتقاد في الناس المشتغلين بهذه العلوم والمقلدين لهم والمتأثرين بحالهم . على ان أخبار رؤية الجن أو سماع أصواتهم والاحساس بهم كثيرة في كل أمة ولكن أكثرها باطل وزور وبعضها صحيح رواية ولكن لا يعسر على المنكر أن يحمله على ضروب من التأويل ترجع في الغالب الى أن الوهم يري صاحبه التخيل حقيقة محسوسة . ولا يزال الكثيرون من علماء أوروبا وعقلائها يعتقدون بالجن وعلاقهم بالانس وقد حدثني واحد من كبار عمال الحكومة منهم هنا بأن رجلا كان يستحضر الشياطين في لوندريه وقد حضر مجلسه هناك بعض الكبراء والعلماء فأحضر لهم شيطانا سمعوا كلامه ولكن لم يفهموه فقالوا له ما هذه اللغة التي ينطق بها قال انها الافغانية أما إنكار شيء ونفيه اعدم الاحساس به فما يمنعه العقل ولو أنكرنا كل ما لم نطلع عليه ونذكره بالحواس لما توجهت نفوسنا الى اكتشاف هذه المجهولات الكثيرة كالكمه ربائية وغيرها مما نرى آثاره اعجب مما يعزى الى الجن . والقاعدة العقلية ان عدم وجدان الشيء لا يقتضي عدم وجوده فتكذيب جميع أصناف البشر في الاعتقاد بوجود عالم خفي لا تظهر آثاره الا نادرا لبعض الناس بناء على أن المكذب لم يدرك ذلك بحواسه غير سديد ويعجبني قول الدكتور فاندريك في كلامه على الحواس الخمس : لو كانت لنا حواس آخر فوق الخمس التي لنا لربما توصلنا بها الى معرفة أشياء كثيرة لا نقدر على إدراكها بالحواس الخمس التي نملكها ولو كانت حواسنا الموجودة أحد مما هي لربما افادتنا أكثر مما تفيدنا وهي على حالتها الحاضرة : وما ذكره من الامثلة لهذا قوله : ولو كان سمعنا

أحد أربما سمعنا أصواتا تأتينا من عالم غير العالم الذي نحن فيه: الخ ولم يقل هذا وحده بل قاله غيره ويقول كل عاقل وقد أعجبنا منه أنه جملة في المسألة الأولى من الجزء الأول من كتابه (النقش في الحجر) الذي ألفه للمبتدئين . فان قيل نسلم أن العاقل لا ينكر وجود شيء لعدم علمه أو إحساسه به ولكنه أيضا لا يثبت بغير دليل وما يذكر من أخبار الجن عند جميع الأمم لم يقم عليه دليل بل يجزم العقل في بعضه أنه كذب وزور : نقول هذا قول حق والدليل منه عقلي ومنه حسي ومنه الخبر الصادق الذي عرفنا به تاريخ الأولين والآخرين وما في العالم من الأمور التي شاهدها غيرنا وأخبر فصدقنا وان علم أكثر الناس بالخبر أكثر من علمهم بالاختبار فإذا كان أكثر ما ينقل عن الناس من أخبار الجن ظاهر البطلان فان بعضه ليس كذلك وعندنا الخبر اليقين فيه وهو خبر الوحي الذي دلت الآيات البينات على صدق من جاء به وهو لم يخبر بشيء محال في نظر العقل أو مجربات العلم وأعني بالوحي هنا القرآن وأما أخبار الأناجيل في إخراج الشياطين من الناس فانه ليس لها سند متصل وانما وجدت بعد المسيح زمن طويل وهي منقطعة الاسناد اليه وان اشتهرت بعد ذلك . وكذلك الأحاديث النبوية عند من صحت عنده فصديق الرواية . وجملة ما في القرآن ان في الكون علما عاقلا خفيا يقال له الجن وان منه المؤمن والكافر والصالح والقاسط وانه يرى الناس ولا يرونه وان شياطين الجن منارات للوساوس الضارة التي تسوق للانسان الشر وتزين له الشهوات القبيحة ، ولم يرد فيه شيء ينفي بعدد الجن ولا بحقيقتهم وقوله تعالى « وخلق الجن من مارح من نار » لا يدل على الحقيقة كما ان خلق الانسان من تراب ومن حاء مسنون لا يدل على حقيقة . ويحتمل ان يكون ذلك على حد قوله تعالى « خلق الانسان من عجل » واذا كان هذا العالم لا يرى فلا يرد علينا إهمال الاحصائيين له ولا سكوتهم عن يموت ويولد من أفراد

أما حديث القرن فقد أخرجه أحمد ومسلم عن ابن مسعود بلفظ « ما منكم أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة » قالوا وإياك يا رسول الله قال « وإياي الا أن الله أعاني فأسلم » ومسلم من حديث عائشة بلفظ « ما منكم أحد الا ومعه شيطان » قالوا وأنت يا رسول الله قال « وانا الا ان الله أعاني عليه فأسلم »

ضبط الجمهور فأسلم بالفتح على أنه فعل ماض من الاسلام وقيل هو مضارع للمتكلم من السلامة أي فأسلم من وسوسته . ورواه الطبراني من حديث المغيرة وابن حبان والبقوي وابن قانع والطبراني عن شريك بن طارق وليس له غيره بخو حديث عائشة ولم أجدا حسدا من المحدثين رواه باللفظ الذي نقله صاحب سمط اللآل عن شرح الاشارات وفي حديث ابن مسعود عند الترمذي والنسائي وابن حبان إن للشيطان لمة بآدم وللملك لمة فألمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق وألمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد لا أخرى فليتعوذ بالله من الشيطان »

واللمة بالفتح الإيلاء بالشيء . ولغزالي في كتاب شرح عجائب القلب من الاحياء كلام فيها يعبر فيه عن الملك بسبب إلهام الخير وعن الشيطان بسبب خاطر الشر . ولو سمي الشيطان هنا قوة الشر وداعيته لكان له من اللغة شاهد ودليل كما علمت بما ذكرناه في أول الجواب عن الراغب ولكن لا يمكن أن ينطبق هذا القول على كل ما ورد في الجن . على أن القوى العامة أمور مجهولة لم يصل البشر الى اكتناها أمرها وكشف سرها . ولا فرق بين أن يكون معنى الحديث إن لكل امرئ في نفسه داعية الى الشر تسمى الشيطان وهي قوة من القوى المدبرة للنفس وبين أن يكون معناه ان بعض العوالم الخفية التي لا تحس تتصل بالنفوس المتوجهة الى الشر فتزين لها خواطره ودواعيه فان داعية الشر تجدها في أنفسنا لا تسكرها ولكننا لانعرف حقيقة سببها هل هو قوة أم هو شيء خارجي يتصل بالنفس المستعدة له فيؤثر فيها كما تؤثر العوالم الخفية المسماة بلسان الطب (ميكروبات) بالمستعدين للمرض فتحدثه فيهم ولا تحدثه في غير المستعدين وان أملت بهم . ولو قيل لنا قبل اكتشاف هذه الاحياء (الميكروبات) إن السل والطاعون وغيرهما من الامراض والاوبئة يحدث بسبب عوالم مادية صغيرة سريعة النمو في بدن المستعد للمرض لعددها من الحفارات أو الحيات . وقد تقدم لنا في المنار ان هذه الميكروبات من الجن

أما كون التأثير في النفوس كالتأثير في الاجسام بحسب الاستعداد فيدل عليه قوله تعالى : « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين » أي من يعرض على القرآن وهدايته الى مخالفته تكون له داعية الشر المعبر عنها بالشيطان قرينا ملازما . وهذا هو الظاهر ولكن ورد في سبب نزول هذه الآية ان المراد بالشيطان شيطان الانس . أخرج

ابن أبي حاتم عن محمد بن عثمان الخزومي ان قريشا قالت قبيصوا لكل رجل من أصحاب محمد (ص) رجلاً يأخذه قبيصوا لأبي بكر طلحة بن عبيد الله الخ وكذلك زى لكل شرير شيطاناً أو أكثر من قرناء السوء

وجملة القول ان الوحي نطق بأن في الكون جنا لا نراهم وكل ما قيل في حقيقتهم فهو رجم بالغيب وما ورد في ذلك ممكن فيجب الايمان به من غير تأويل ولا بسد ناعن ذلك خرافات الناس في الجن فانها أشياء يتوارثونها ما أنزل الله بها من سلطان

﴿ مشاركة الشيطان للناس في الاموال والأولاد ﴾

(س ٨٨) الشيخ مصطفى محمد السيد في (طما)

المرجو من حضرة السيد إفادتنا عن معنى قوله تعالى في سورة الاسراء (واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والأولاد) لأنني اطلعت في تفسير الخازن فوجدته يفسر المشاركة في الاولاد - وهو غرضنا من السؤال - بجملة أقوال منهااتها الموءودة وأولاد الزنا والتسمية بعبد العزى ونحوه ومنها أيضاً - وهو موضع الريب - ان الشيطان يشارك الرجل في مباشرة زوجته اذا لم لم يقل بسم الله عند المباشرة ويقع منه كل ما يقع من الرجل فيأتي الولد من ماء الرجل وما الشيطان ثم عزى الى ابن عباس ان رجلاً سأل عن امرأته قائلاً إنها استيقظت وفي ... شملة نار فقال هذا من وطء الجن فيعلم من هذا أن الشيطان قد ينفرد بالمباشرة وحيث ان هذا كان من أكبر مواضع الجدل هنا وأن أناساً غير قليلين يؤكدون زعمهم أن أحد التوأمين يتشكل في صورة القط حتى يبلغ وما ذلك إلا لكونه من نسل الشيطان في الاصل لم أر حلاً لهذا المشكل الا رفع هذا الموضوع الى حضرتكم راجياً الافادة عن المعتمد الصحيح وما عليّ الا رفع أ كف الضراعة الى الله تعالى أن يديكم ملجأً للسائلين

(ج) الاستفزاز الاستخفاف والاجلاب بالخيال والرجل تمثيل لتسلط الشيطان على من يفويه كارجحه الامام الرازي وذكره من قبله من المفسرين وجهاً وأما المشاركة في الاموال والأولاد فجماهير المفسرين على أن المراد بها الإغواء بالحمل على كسب الحرام والتصرف والإففاق في الحرام وهذه الكلية التي ذكرها البيضاوي وغيره تشمل كل

﴿ عَقُوبَةُ تَرْكِ الصَّيَامِ وَالصَّلَاةِ ﴾

(س ٨٩) جاءنا كتاب في أثناء كتابة جواب السؤال الماضي من حمزة أفندي الزهيري من وجهاء شرمساح فاذا هو في الظاهر باسمنا وفي الباطن باسم مفتي الديار المصرية (ولعله أرسل غيره باسمنا وكتب عليه عنوان المفتي) واذا هو سؤال عن عقاب تارك الصوم والصلاة سببه مناظرة بين السائل وبين رجل ادعى انه لا عقاب على تارك هاتين الفريضتين لان القرآن لم يذكر لهما عقابا كما ذكر للزاني والسارق وغيرهما فرد عليه حمزة أفندي بأن الالتزام بالصيام يدل على انه لا بد من عقاب تاركو وكذا الصلاة وذكر له قوله تعالى «ومن يهمل الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين» فزعم الرجل ان ترك الصلاة والصيام لا يدخل في العصيان وتعمدي الحدود لانهما من حقوق الله التي يتسامح فيها. وطلب السائل كشف هذا الغامض. واننا نرجل بالجواب لأن السؤال يتعلق بالصوم فنقول :

(ج) لا غموض في المسألة ولا شبهة لذلك المجادل فتد وانما هو مكابر يجادل في دين الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير فان العصيان مخالفة الامر والصلاة والصيام مما أمر الله به بل هما من أركان الاسلام التي ينهدم بهدمها وهي من حدود الله تعالى أيضا فانه تعالى قال بعد بيان أحكام الصيام • تلك حدود فلا تقربوها • وتقدم تفسيرها في هذا الجزء • ولا خلاف بين المسلمين في أن الفرض هو ما يثاب على فعله ويماقب على تركه فمن أنكر فرضية الصلاة والصيام فليس بمؤمن ومن اعترف بالفرضية فقد اعترف بالعقوبة على الترك

ثم ماذا يقول المجادل في قوله تعالى «فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون» أليس الويل هو الهلاك أو واد في جهنم؟ وقوله مخبراً من أصحاب النار «ما سلككم في سقر» قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين» أليست صريحة في أن العذاب مرتب على أمور أولها ترك الصلاة وثانيها منع حقوق المساكين بترك الزكاة • روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال ليس معنى أضاعوها تركوها بالكيفية ولكن أخرجوها عن أوقاتها وروى مثله عن سعيد بن المسيب وفي حديث أحمد ومسلم «بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة» وقد ورد من الأحاديث في الوعيد على ترك الصلاة والصيام ما لا محل لنشره هنا وهو لا يفيد المجادل اذا لم يفده التذكير بما تقدم من معنى الفرض وبمكانة أركان الاسلام الخمس من سائر الفرائض ويكون وعيد الآية التي احتج بها عليه حجة افندي يشمل ذلك كله قطعاً فحبنا هذا من الحجة الثقيلة ان كان مجتهداً ، واذا كان مقلداً لاحد الأئمة الأربعة فليعلم انه مامن مذهب منها الا وهو يجزم بعقاب تارك الصلاة والصيام في الدنيا ويدين بعقابه في الآخرة وتفصيل مذاهبهم في ذلك معروف مشهور وأما التفرقة بين حقوق الله تعالى وحقوق العباد فليس معناها ان الله تعالى يطلب من عباده حقوقاً لنفسه لاحتفاظ لهم فيها الا بمجرد الطاعة له وبناءها على المسامحة فسواء ظلمهم فعلموها أم لم يفعلوها وحقوقاً أخرى لبعضهم على بعض رتب على الاخلال بها العقوبات لانها مبنية على المشاحة • كلا ان هذا نقض لدين الله تعالى من أساسه وانما شرعت التكليف كلها لمصالح المكلفين وسعادتهم في الدنيا والآخرة والله غني عن العالمين وبيان ذلك بالتفصيل يطول جداً وما زال المنار يشرحه في أبوابه لاسيما باب تفسير القرآن الحكيم

وملخصه أن الله تعالى شرع الدين لعباده لأجل صلاح أرواحهم وقلوبهم بالعبادة لأجل صلاح حالهم في الدنيا وسعادتهم في الآخرة فالفرائض كالصلاة والصيام الذي يقوي الدم والعصب والعضل ومنع المحرمات كالحمية فإن الذي يربي روحه بالصلاة لكي يكون كريماً شجاعاً صبوراً بمعرفة الله وثقته به منتهياً عن الفحشاء والمنكر لذكائه نفسه وطهارة قلبه - وبالزكاة ليكون عوناً لأخوانه على مصالحهم رحياً بالمحتاجين شاعراً بفضيلة الحياة الاجتماعية - وبالصيام ليتقي ربه ولتقوى إرادته ويتعود على ضبط نفسه بمراقبة ربه كما تقدم شرح ذلك في الجزء الماضي - . وبالحج لما ذكرناه قبل من فوائده - ألا يجب أن يمنع في أثناء هذه المعالجة النفسية من اتیان ما ينافيها كالتمدي على حقوق الناس الذين يطلب منهم أن يكون عوناً لهم ونصيراً وعن الشهوات المضارة التي تفسد القلب وتستعبد الإرادة ؟ بلى وإذا كان من فوائد العبادة أن يتمتع من قيمها على وجهها عن جميع المحرمات بارادته واختياره وارتياح نفسه لا يجب أن يمنع عن هذه المحرمات (كالقتل والسرقة والزنا) بوضع العقوبة البدنية على ارتكابها حتى يتم له ذلك بالاختيار ؟ بلى فمن قبل الاسلام فقد قبل أن يعالج روحه ويربها بعبادته وأركانها خمسة منها الصيام فإذا رفض مع ذلك الحمية عن المعاصي التي لا تتم المعالجة إلا بتركها ألزم بذلك إلزاماً وأما إذا ادعى الاسلام ورفض القيام بأركانه فإنه يعاقب عقاب المرتد كما حارب الصحابة ما نبي الزكاة لأنهم مرتدون وسميت تلك الحرب حرب الردة. وكذلك يجب على إمام المسلمين أن يحارب كل قوم يتركون شعيرة من شعائر الاسلام حتى يعودوا إليها . وأما إذا ترك بعض الأفراد ذلك فعقوبة الفرد تختلف باختلاف حاله ولذلك جعلت من التمزير الذي يفوض تعيينه إلى رأي الحاكم

وأما المسامحة والمشاحة التي قالوها وتمسك بها المجادل مع أنها لم تذكر في القرآن فيتضح معناها في الأمر الذي فيه حق للناس وحق لله تعالى كالقتل فمن قتل يقتل ولكن إذا عفا عنه وليّ الدم فإنه لا يقتل لمجرد المخالفة لأمر الله بحفظ الدم لأن الله تعالى لا ينتفع بقتله ولا يضر باستحيائه وإنما حرم عليه القتل لأنه يضره إذ يجعله شريراً في نفسه وفي نظر الناس ولأنه يفسد الأمن ويفري الناس بالاعتداء والتسافك فإذا امتنع الفتنة المتعلقة بحقوق الناس امتنع القتل لأن ما يريد الله بحرمه من صلاح

الفس قد يتم بالبقاء بأن يتوب القاتل ويصلح العمل . وقد بينا غير مرة أن عذاب الآخرة على ترك الفرائض أو ارتكاب المحرمات ليس من قبيل عقوبة الحكم في الدنيا وإنما هو على حسب ارتقاء الروح ونزكها ، أو تدسيتها وتدليها ، وإنما ترتقي الروح بالعقائد الصحيحة التي لاخرافات ولا أوهاام فيها وتزكي بالعبادة والتهذيب وتفسد وتدلى باعتقاد الخرافات وارتكاب السيئات . أفيقول المجادل إن الذي يدعي الإيمان بالله وكتابه لا يضر روحه ولا يديسها ترك الفرائض التي حث عليها كتاب الله وجعلها أركان دينه وبين أنها تزكي النفوس وتعددها لرضوانه وقربه؟ ما أظن أنه يقول بذلك فارجو أن يتوب عن الاستهانة بأركان الاسلام والسلام

﴿ الجرائد الاسلامية والبورصة ﴾

(س ٨٩) م . ج . في سوربة : كثيراً ما أرى الجرائد الاسلامية في سوريا ومصر تنشر أخباراً عن أحوال (البورصة) وتقلباتها في صعود وهبوط فهل ذلك محرم شرعاً أم لا ؟ أرجوا افادتنا في المنار الاغر جزا كم الله عن الاسلام خيراً

(ج) القاعدة في معرفة المحرم الذي لم ينطق الشارع بتحريمه ان كل ضار محرم فاذا كان خبر البورصة ينشر بإيعاز من المتلاعبين فيها لأجل غش الناس وحلهم على بيع ما عندهم من العروض والحاصلات كالقطن وغيره توها أن المبادرة الى البيع خير لهم والحقيقة غير ذلك فلا شك أن نشره محرم وكثيراً ما يحصل هذا كما يحصل ضده وهو إيقاف الناس على ما يجري هناك من المساومات والعقود ليكونوا على بصيرة من أمرهم والأمور بمقاصدها . ولا يقال إن أعمال البورصة وعقودها مخالفة للشرع فالأخبار بها محرم على كل حال : إذ العلم ببعض المخالفات والمحرمات ينفع أحياناً كما إذا تواطأ قوم على السرقة في بعض الامكنة في اعلام الناس بخبرهم ينبههم الى توقي شرهم . هذا وان بعض الجرائد التي تسمى اسلامية لان أصحابها من صنف المسلمين لا تلتزم فيما تنشر احكام الاسلام ، ولا حدود الحلال والحرام ، فتنشر (اعلانات) الخمر والقمار الخس الذي يضر ولا ينفع وهو محرم بالاجماع ولهم اعمال من دون ذلك هم لها طمولون ، فان غشهم للناس في السياسة أعظم من غشهم في المعاملة



باب التربة التي تتعلم

شذرات من يومية الدكتور أراسم (*)

التربة بالمعينة

يوم ١٢ يونيه سنة ١٨٦

مدينة ليا في نظري كثيرة الشبه جدا باحدى مدن أوربا وان الاوربي الذي يسافر من بلده الى الجانب الآخر من الدنيا فيقطع في ذلك خمسة آلاف وخمس مئة وتسعة وثمانين ميلا انكليزيا ليستحق ان يلاقي بعده هذا السفر من تركهم هناك من اليسوعيين والمحتالين والبقايا والراهبات ومعاهد الفجور

في تلك المدينة شوارعها من الرونق ما يناسبها وفيها ميدان انيق يدعي «باللاز امير» في وسطه بركة ضخمة من البرنز ينبثق منها الماء في ثلاثة أحواض على أن هناك جدولا يخترق المدينة أفضله كثيرا على ذلك العمل الفني وهذا الجدول المسمى بالريماق ياخذ مياهه من منالج جبال القورديرو بعد ان يجري ثلاثين فرسخا يصل الى ليا فيقسمها الى قسمين متساويين تقريبا ولست أدري اضلال أم حق ان احس ببرودة مياهه اذا غمست أصبعي فيها كأن ماء الثلوج لم يمهله اندفاعه ان يسخن بحرارة الشمس .

ليست الحرارة في تلك الجهة من الشدة بالمقدار الذي قد يتوهم مع كونها لا تبعد عن خط الاستواء الا عشر درجات وتمل هذه الحالة بملل مختلفة غير ان أخصها وضع المدينة فان المحيط الهادي يكتنفها من أحد جانبيها ويكتنفها من الجانب الآخر جبال القوردير القائمة شرقها مكللة بالثلوج الدائمة وفي ذلك ما يساعد بلاريب على ترطيب الجو وبينها وبين البحر فرسخان اسبانيوليان ولا تبعد الجبال عنها الا ثمانية وعشرين فرسخا فكان البحر والجبال منطقة مزدوجة تمنطق بها الساحل لتقيه شدة الحرارة .

الذي يدهش «أميل» «دولولا» كثيرا هو اتنا بحسب منزلة الشمس الآن في فصل الشتاء مع اتنا في شهر يونيه على ان الحق ان لاشاء في بلاد البيرو فان السنة فيها تنقسم الى فصلين فصل الرطوبة وفصل الجفاف ففصل الرطوبة يبتدىء من شهر ابريل ويستمر

(*) معرب من باب تربة اليافع من كتاب أميل القرن التاسع عشر .

الى اكور وفيه يقضى المدينة ضباب ثقيل فأتى يسميه أهل البلاد بالفروي وقديبلغ
أحياناً من الكثافة والاسفاف (الدنو من الارض) خصوصاً في الغداة حدا لانكاد
ترى فيه ماهو شديد لقرب منا من الاشياء. ويقال إن هذا الحجاب يتمزق في شهر اكتوبر
أو نوفمبر فتتفتح فيه السماء سنجية اللون ولا يلبث الطل ان يتلاشى بحرارة اشعة
الشمس النفاذة وحينئذ يتبدى فصل الجفاف أي الصيف

لا ينبغي أن يفهم من قولنا فصل الرطوبة الفصل الممطر فانه قد يمضي قرن ولا
نسقط على طول هذا الساحل كله قطرة من مطر عرفت ذلك لاني منذ بضعة أيام
كنت أسأل شيخاً من هذه البلاد هل تذكر انك شهدت مطراً في حياتك فكان
جوابه لي «قط» فسألته عن عمره فقال انه ثمانون سنة .

الضباب ندى يحيل التراب الى وحل ويكفي لاختصاب الارض هنا اختصاباً
متوسطاً على انه يوجد في أماكن أخرى من بلاد البيرووديان وربي قرية من الجبال
يزل فيها من السماء سيول حقيقية اذا أصابت الرمال القحلة أصبحت عما قليل حافلة
بالنبات فالارض لاتسأل السماء الا أن تتصدق عليها بالماء

فصل الجفاف بالضرورة اشد الفصلين حرارة على أن الناس هنا يؤكدون لي
أنهم يجدون مبرداً بما يهب من نسيم البر والبحر فكان هذين النسيمين يقسمان
اليوم بينهما فهب نسيم البحر في الجملة حوالي الساعة العاشرة من الغداة ويستمر على
هبوبه متراوحاً بين الشدة واللين الى غروب الشمس ثم يركد ويستتب السكون فاذا
كانت الساعة الثامنة أو التاسعة من العشي جاء دور نسيم البر الذي يهب من الجبال
فيفيق على هبوبه الى الغداة

سكان ليا في رأيي اشد ما فيها غرابة وأدعاه الى المراقبة فلا أظن انه يوجد في
سكان بقعة أخرى من بتاع الارض ما يوجد في ملاح وجوهم من الاختلاف العظيم
وفي ألوان جلودهم من الفروق الدقيقة الواضحة ذلك بأنهم اخلاط من سلاله
المستعمرين (وأعني بهم الاشخاص المولودين في أمريكا ممن هاجروا اليها من الدنيا
القديمة خصوصاً أعقاب البيوت الاسانبوليه المتبقية) ومن الهنود والزنج والخلاسيين (١)
وغيرهم من الاصناف فترى من ألوان وجوههم كلما تقفهم الأبيض الشاحب والاصفر
النجاسي والاسود الكهرمي وما يخللها من ضروب الاختلاف الصغيرة المتولدة من

(١) الخلاسي هو الذي يولد بين ابوين احدهما ابيض والثاني اسود

اشتباك الارحام واختلاط الانساب وإني اذا اعتبرت في الحكم عليهم مقام نفسي من آثار الافعال برؤيتهم لأول مرة حكمت بانهم متشابهون بالارواح كما تشابهوا بالأشباح تمتاز النساء البيض والخلاصات عن غيرهن بعينين نحلاوين سوداوين تتوقدان ذكاء وشعور طويلة غداثرها الثقيلة مرسلة ولون تقاوم وضاحته الفطرية حدة الشمس وانف مع خلوه من شبه الانوف اليوانية لا يعوزه شيء من ألقنا (١) وفم مزدان بالثنايا الجميلة على ما قد يكون فيه من السعة أحيانا وقامة وسيطة معتدلة وقد مان بلغا من الصغر حدا يدعو الى العجب ويدين صيفتا صياغة دقيقة وجملة القول في وصفهن ان صورتهن هي صورة لولا اذا كبرت انا لا اعلم الى الآن شيئا من اخلاقهن اللهم الا ما يظهر لي من انهن (اعني الغنيات منهن) يقضين اوقاتهن بين الزهور والعطور والاقراص المطرية والمربيات والحلاوى ولئن اعتمدت في الحكم عليهن على ما أسمعه عنهن ممن يحتفون بي لقلت انهن يقسمن وقتهن بين دسائس العشق وشعائر العبادة ولا إخال أحدا لا يدعش اذا علم ان الاديار والكنائس تشغل من المدينة ربعها مما أكده لي أهل لها ان الرجال منهم شديدو الغيرة على نسايتهم ولكني لأعتقد في شيء مما يقولون فانهم لو كانوا كذلك حقيقة لما أباحوا لمن الذهاب للاعتراف في أغلب الاوقات . اهـ

يوم ٣٠ يونيو سنة ١٨٦٠

مالبت منذ وصلنا الى ليا ان انترمت الاشتغال بمصالح دولوريس وأول شيء رأيت من الواجب البداءة به في هذا السبيل ان اجمع تفاصيل ما يعلمه الناس من الاخبار الموثوق بها في شأن مولدها والديها ودونك بالابحاز نتيجة ما هدتني اليه ابحتي :

اما والدها فهو من بيت اسبانيولي كان رحل الى بلاد البيرو واستوطنها بعد الفتح بزمان يسير واما والدتها فكانت من النساء ذوات اللون ويعني بهن الخلاصات بحسب اصطلاح الناس هنا وكانت مع احتواء عروقها على شيء من الدم الهندي لا يتأثر امين غدير عين المستعمر الخالص القيوران تكتشف فيها بقايا سمات صنفها التي انجحى اكثر من ثلاثه ارباعها فانه لا قدرة لعير المستعمرين على ان يميزوا في الذات الجملة لأول نظرة اليها ما يسميه الانكليز بأثر ظلف الشيطان المشقوق فهي يتمسكون هذا الاثر حق في شكل الاظافر

وبحق ان تعلم انه مع حضوع هذه البلاد للحكومة الجمهرية مع تمامك لاجيال فيها لا يزال بعض الميولات الاسمانية لبرون من الامتياز ان تمت اصرارحة اسماهم

(١) القنا مصدر قني الانف اي ارتفع اعلا وادوب وسطه وسبغ في طال طرفه

وقارنها من الاحتلاط وان يحرموا على بها، كذا قال هذا في أهم شارة من شارات الشرف وفي رأي غيرهم والحق يقال نعمة يحسدونهم عليها يدلك عليه ان الخلاسين في الطبقة الخامسة بل في الطبقة السادسة يدعواهم عجبهم الى التآلم من أن يعرفهم الناس بهذه الصفة حتى أنهم لا يذكرون كل ما يملكون لوضمن لهم الانفساك من أماراتها التي مع نهايتها في الخفاء وقرب تلاشيها تنم على خسة أصلهم كما تقرر في الآراء والافكار ذلك ما حدا بي الى ان احدث نفسي غالبا بان معيشة الناس مجتمعين ربما كانت في بدايتها مؤسسة على حاجتهم الى احتقار بعضهم بعضا

ومهما يكن من هذا الامر فقد كان زواج ذلك الاسبانيولي الحر بتلك الخلاسية مغبرا عند كل اهل بيته من سوء الحظ لانهم كان قد عاق باذهانهم خزعبلات متعلقة بالليل الاحمر ورسخت فيها شذوذا الرسوخ وكانوا يرفعون عقيرتهم اقتخارا بانهم لا ينفكون عن نحر الامهات ولا ادري ان كان هذا من أسباب الفرقة التي حصلت بين الزوجين فيما بعد غير انه قد عرف ان اقترانهم الم يقرن بالهناء والغبطة فقد مات الفتاة الخلاسية في السابعة عشرة من عمرها بعد ان وضعت بنتا

لم يطوح والدولاء بنفسه في الاعمال البحرية تطويحا كليا الا من بعد تأيمه وكانت السفينة التي غرقت به حيا لا يزال يترانس ملكا له وقد اجمع الناس على انه كان كثير الفخر ببنته وانه لعزمه على تربيتها رتبة اعلى من التربية التي ينشأ عليها اغلب النساء في ليا حملها معه ليضعها في احدى مدارس لوندرو الداخلية

كان يحب هذه الطفلة وفي هذا أقوى موجب للظن بانه هو الذي علقها بمنزلة الاحتراس والغاية في أدوات السفينة قبل ان تغتاله الامواج

بلغ خبر الفرق ما وراء البحار غير انه شاع ايضا في ليا ان هذه المصيبة شملت الرجل وبنته فلا شك ان ما أرسله انا وهيلانة من الرسائل اعلاما بجهة دولاء ومطالبة بحقوقها قد حجزها من لهم مصلحة في اعدادها

ما حجانم الفرق الا ملاح واحد لم يرجع بعده الى ليا قط اسبب لا اعلمه فلم يتيسر له ان يكذب ما ذيع هناك عمدا من الروايات الموضوعه

لما وصلت الى ليا عرفت دولاء بلادها ان لم اكن واهما من خلال ما حفظته ذاكرتها من آثارها في الصغر غير ان هذه البلاد لم تعرفها قط فقد كان من عرفهم بها من آل بيتها يتظاهرون بالريية فيها فيقولون نعم انهم كانوا سمعوا بسفان غرق في البحر وبأنه عمهم او ابن عمهم ولكن ما الدليل على ان تلك الفتاة التي عرفهم بها بنته فانهم كانوا

محققين كل الحق ان يمتقدوا موتها واماما قدمه لهم من الاوراق الدالة على ثبوت نسبها له فكانوا يتمثلون عليها بانها مكتوبة بالانكليزية وهم لا يفهمونها بل انهم ما كانوا يريدون ان يكلفوا قراءتها

ذلك ما اضطرني الى ان افصد العارفين بالقانون فكان رأيهم في القضية انها من القضايا المعضلة المرتبكة وانها تقتضي فراغا واسلاف تقودوعثا كثيرا من عبث المحاماة وانت اتم حالة القضاء في بلادنا وهو في بلاد البيرواني منه أيضا الى العفولية عمال الحكومة الذين سألهم في هذا الموضوع وان كان اغلبهم ينتمي الى بيت والد الفتاة متفقون على انه ترك بعض المال غير انهم يقولون وفي قولهم أمارات الريبة ان جل هذا المال ضاع في سداد ديون المتوفى والذي ظهر لي اشد الظهور ان الماضي في هذه القضية يحجر الى تشويش كثير من المصالح الخاصة التي لاشك في انها اتسعت بمصيبة السفان تلك هي حالة الأمور . اهـ

﴿ مكافأة امتحان التلامذة في الأزهر ﴾

لقد كان فيما حدث من الاصلاح في الأزهر بسعي الشيخ محمد عبده تعيين ست مئة جنيه من الأوقاف كمكافأة للطلاب الذين يجتهدون في الامتحان السنوي الذي جعل اختيارياً لأن الشيوخ المدرسين أبوا أن يمتحن طلاب العلم في الأزهر إلزاماً لتعرف درجات تحصيلهم . وقد كان الأمير مساعداً للشيخ على هذا التمهيد لامتحان الإلزامي بالرضى والتنشيط للمجاورين الذين يغيب عنهم الفقر على الجد والتحصيل ولكن الشيوخ الذين يفضون النظام كانوا كارهين لهذا العمل وطامعين في جمل مكافأة الطلاب زيادة في رواتبهم وسعوا لهذا الأمر سعيه عند الأمير فلم يفلحوا لانه على علم واختبار بفوائد الامتحان وفوائد المكافأة . وقد انبرى بعض هؤلاء لاطعن في العمل قولا وكتابة فزعموا أولاً أن هذه المكافأة ترغب المجاورين في العلوم الحديثة أي التي قضى الاصلاح باحيائها في الأزهر حديثاً كالجساب والهندسة وتعليم المدن والتاريخ . الاخلاق الدينية والانشاء وتضيق همهم عن تحصيل العلوم الدينية كما كتبهم جداول الامتحان وطريقته . ظهر ان المكافأة على العلوم القديمة أكثر مقدراً وأن الناجحين في العلوم الحديثة أتجبح في العلوم القديمة من سواهم . ثم انبرى بعضهم لاطعن في نفس هذه العلوم

الحديثة لاسيما الحساب العملي . تقويم البلدان فزعموا أنها ضارة مفسدة لا مقول ومن ذلك ما نشره المؤيد بمضاء الشيخ محمد راضي البحر اوي الصغير وثابت ابن منصور الذي يقال انه الشيخ محمد نجيت فرددنا عليهم نحن وغيرنا ولم يفد سعي الشيوخ شيئا حتى قضت حوادث الزمان بأن بتقرب منذ عاين بعضهم من الامير ويحملوه على تحويل المكافاة على الامتحان الى بعض الاشياخ وكذلك كان وحرّم الازهر من هذا الضرب من الاصلاح وظهر لكثير من شيوخي المنصفين ضرر هذا الحرمان وتحدثوا به فتحرّكت اريحة الشيخ عبد الرحيم المدرّش الى اعادة لامتحان وكتب لمشيخة الازهر ما يأتي بمدرّس الخطّاب

• بلغني من طرق متعددة ومن مشايخ وطلبة لأحصي عددهم ان الامتحان الذي كان يجري في الازهر لئيل المكافاة في كل سنة كان قد افاد الطلبة وبعث في كثير منهم روح النشاط والاجتهاد في طلب العلوم التي تقرأ في الازهر من قديم الزمان نفسها فضلا عن اكتساب فنون اخر لم تكن من الدروس المقررة فيه من زمن طويل وان جمهورا عظيما من الطلبة خدمت نفوسهم بعد إلغاء ذلك الامتحان وانه قد ضاع على الازهر شيء كثير بذلك الالفاء كما اكدي ذلك من لأحصي عدده من اهله ولما تأكدت ذلك واثقت ان إعادة مثل هذا الامتحان اصبح مما لا بد منه في زمن كثرت فيه حاجات الطلبة وانه يسوقهم الى الطلب امثال المكافآت التي كانوا ينالونها عقب الامتحان وكنت ممن يحب العلم واهله ويسمى الى ترقّيته رأيت أن أقدم من مالي الخاص مبلغ مائتي جنيه انكليزي يصرف مكافآت سنوية لمن يمتحن وتقرر لجنة الامتحان انه من التاجحين المبرزين على من سواهم في العلوم الالية

(١) علم التوحيد على شرط أن يقيم الطالب الادلة على العقائد التي يسئل عنها من نفسه لأن يسرد ما يحفظه من عبارات المؤلفين بلا تعقل وبذلك تعرف درجته في علم المنطق بالضرورة (٢) علم الاخلاق الدينية الباحث عن الفضائل والردائل من جهة ما يسعد ويشقي بها في المعاش والمعاد (٣) تفسير القرآن الكريم من حيث هو كتاب سماوي انزل ليهجي النفوس بكارم لاخلق ويشير فيها العبر بمن مضى ومن حضر وكذلك الحديث الشريف (٤) علوم البلاغة قواعد وعمال بحيث يدخل فيها الانشاء وفن الكتابة ويندج في ذلك النحو والطبع (٥) الفقه واسوله مما بحيث يمتحن الطالب في مسألة فقهية يردها الى اصله المعروف في اصول الفقه (٦) الحساب (٧) الجبر (٨) تقويم البلدان (٩) التاريخ واعرّض على مولانا أني أحب أن لا يدخل في هذا الامتحان من مضى عليه اقل من ثمان سنين في الجامع الازهر على حسب سجلاته • اما بقية ما يلزم لضبط الامتحان

ليكون كافلا يا عطاء المكافاة لمن يستحقه افذلك وكول لي رأي مولانا الاستاذ ذور أيه الموفق
 ان شاء الله تعالى . وارجو ان تفضلوا لي بالجواب هل قبل طابيه . لله تعالى لا كرم عاقبه . اه
 فكتب اليه شيخ الازهر كتابا رسميا بقبول طلبه مع لشكر على أريجته وغيره
 ونحن نشكر له ايضا هذه المبرة وزجوان يقتدي غيره من الاغنياء في احيا العلم والدين

﴿ قصيدة في الحرب لحافظ افندي ابراهيم من باب الآثار الادبية ﴾

ومورد الموت أم الكوثر	أساحة للحرب أم محشر
أربابهم أم نعم تنحر	وهذه جند أطاعوا هوى
قاموا بأمر الملك واستأثروا	لله ما أقسى قلوب الأولى
فأمعنوا في الأرض واستعمروا	غرهم في الدهر سلطانهم
لا يهجرون الموت أو ينصروا	قد أقسم البيض بصلبانهم
لا يعمدون السيف أو يظفروا	وأقسم الصفر باوثانهم
حين التقى الأبيض والأصفر	فأدت الأرض باوتادها
يلهو بها الميكادو والقيصر	وأغلتها خمرة من دم
اذ لاح فيها الشفق الأحمر	وأشبهت يوم الوغى اختها
لعلها من رجسها تطهر	(وأصبحت تشناق طوفانها
وغصت العقبان والانس	أشبهت يا حرب ذئاب الفلا
ومطمع الإنسان لا يقدر	وميرت الحيتان في بحرها
وذلك الرئبال لا يقهر	ان كان هذا الدب لا ينثني
والصفر بعد اليوم لا تكسر	والبيض لا ترضي بخذلانها
عن ساقها حتى قضى المسكر	فما لتلك الحرب قد شمرت
فسالت البطحاء والانس	سالت نفوس القوم فوق الظبا
يفار منها الدر والجوهر	وأصبحت (مكدن) يا قوته
بانفس كالقطر لا تنحصر	يا قوته قد قومت بينهم
حيران لا يدري بما يؤمر	أضحى رسول الموت ما يئنها
وانت ذاك الكيس الامهر	عزير هل أبصرت فيما مضى
اذا تعالى صوته المنكر	كذلك المدفع في بطله

تراه ان اوفى على مهجة لا الدرع يثنيه ولا المففر

امسي كرو باتكين في غمرة وبات اويا ما له ينظر
وظلت الروس على جرة والمجد يدعوهم الا فاصبروا
وذلك الاسطول ما خطبه حتى عراء الفزع الا كبر
اكلما لاح له ساح تحت الدجى او قارب يمحى
ظن به (توجو) فاهدى له تحية (توجو) بها اخبر
تحية من واجد شيق انفاسه من حرها تزفر
فهل درى القيصر في قصره ماتملن الحرب وما تضرر
فكم قتيل بات فوق الثرى ينتابه الاظفور والمنسر
وكم جريح باسط كفه يدعو اخاء وهو لا يبصر
وكم غريق راح في لجة يهوي بها الطود فلا يظهر
وكم اسير بات في امره تدعو رجال الشرق ان يفغروا
ان لم تروا في الصالح خير لكم فالدهر من اطماعكم اقصر
تسوفنا الحرب وان اصبحت تدعو رجال الشرق ان يفغروا
اتى على الشرقي حين اذا ماذكر الاحياء لا يذكروا
ومر بالشرق زمان وما يمر بالبال وما يخطر
حق اعاد الصفر ايامه فاتصف الاسود والاسمر
فرحة الله على امة يروي لها التاريخ مايؤثر

﴿ أهم مايؤرخ من الانباء . في باب الاخبار والآراء ﴾

الدولة العلية والانكليز . الخلاف الوفاق والاسطول والمالية

نقرأ في الجرائد ان ابدي آياتهم الدولة بانشاء أسطول عظيم وتدع لنا ان انكثرا هي التي تحت الدولة وتدعنا اليه ولما زار اميرال أسطول البحر المتوسط الانكليزي سلطاننا بالغ السلطان في اكرامه كأنه من بيت الملك وتكلم في ذلك وأكد الاميرال للسلطان الوعد بان انكثرا تساعد على تقوية البحرية حتى المال بشرط ان يهتم باصلاح المايل فيعمل ما طارها لدى فان يومئذ يولي ملكه الناظر الحاضر ويؤلف لجنة لاصلاح المالي . ويعد ان سمعنا هذا رأينا السلطان فعل ذلك . ومع هذا نرى الدولتين مختلفتين على حدود عدن وري انكثرا لاتفك تسمى في تقوية قودها في الكويت

وبلاد العرب والسبب في هذا وذاك الخوف على زقاق البوسفور من روسيا وعلى الخليج الفارسي منها ومن المانيا وتتنى لو تقدر الدولة بقوتها على حفظ الخليجين

(المانيا في شرقي افريقية وتنصيرها المسلمين)

كتب الينا ان المانيا تلزم الناس في مستعمرتها هناك بالتعلم وبالتنصر إلزاما وتعنى بالابقاع بين العرب المقيمين في المستعمرة وبين الاهالي الاصليين لأن العرب أنور وأشد تمكسا بالاسلام وجذبا اليه وإن كانوا جاهلين. والاكرام على الدين لم يعرف في تاريخ البشر الا عن الأوربيين ومن العجب أن تجترحه دولة كالمانيا في علمها ومدنييتها اتباعا للأثرة والافراط في حب الذات اللذين رباها بسمك عليهما. وهذه الجريمة السوءى ترشد الشرق والاسلام الى تفضيل الانكليز على جميع الشعوب الأوربية في كل صلة من صلاتهم بأوربا الظالمة المتعصبة

(الدولة العلية وفتنة نجد)

تواترت الاخبار بانتصار ابن سعود الذي اجتمعت عليه كلمة القبائل على ابن الرشيد وقد علمنا من الاخبار الخصوصية التي جاءتنا من بلاد العرب ان ابن سعود يتننى الخضوع للدولة وأنه حاول أو يحاول إرسال الوفود لمخاطبتها بذلك ولكن دسائس ابن الرشيد وأعوانه لدى الحكام في الحجاز والشام والعراق تحول دون وصول هذه الوفود وعسى ان تظهر الحقيقة للدولة لتعلم ان استمرار انتصارها لابن الرشيد خطر عظيم وان السياسة المثلى في إعادة نجد الى آل سعود كما كانت فهم اقدر على حفظها تحت رايها وحمايتها وبذلك تأمن على الكويت أيضا ولعلها تفعل ان شاء الله تعالى

(إحياء جزيرة العراق)

دعت الدولة العلية السرويل كوكس المهندس الانكليزي الشهير صاحب مشروع خزان النيل لاختبار جزيرة العراق ووضع تقرير لكيفية احيائها بمياه الدجلة والفرات فلي الدعوة وزار قبل سفره من هنا مختار باشا الغازي فأرشدته هذا الى الوديان التي يمكن ان توضع فيها السدود وتنشأ الخزانات لاجل الري الصبي فان المياه تقل هناك في الصيف حيث الحاجة اليها شديدة بعكس مياه النيل في مصر فسر المهندس بهذا الارشاد وعند السفر كتب الى الغازي كتابا يشكر له فيه ذلك

(القضاء الشرعي والحكومة المصرية)

انذر قاضي مصر الحكومة بتوقيف الاحكام الشرعية اذا لم ينفذ القرار الذي صدر من المحكمة الكبرى بالحلولة بين الشيخ علي يوسف وصفية السادات في القضية المملومة فلم تنفذه ولكن جاملت القاضي ووقعت الحلولة بالرضى. ثم ان القاضي نشر اعلانا في الجريدة الرسمية يطلب فيه محاسبة نظار الاوقاف الخيرية لأن ذلك من حقوقه الشرعية فاتفق النظار مع الامير بعد استشارة عميد الاحتلال على منع القاضي من هذا الحق وجعله للأمر وكان صدر أمر عال لديوان الاوقاف بهذه المحاسبة فألزمت الحكومة القاضي بالغاء اعلانه والتسليم بعمل ديوان الاوقاف على أنه حق للخدويوي. وقد تم هذا بكل سكون ولولم يكن الامير راضيا قامت قيادة الجرائد والعلماء بدعوى الفيرة على الشرع وحقوق السلطان ... وقد عزل الشيخ بنحيت من المحكمة العليا تمهيدا للاصلاح

المسحاة

١٣١٥

أولئك الذين هداهم الله فليؤمنوا ولا يبالوا

بأنفسهم ولا يبالوا بالآيات التي تأتيهم

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوي و«منارا» كنار الطريق)

(مصر — الخميس غرة شوال سنة ١٣٢٢ — ٨ دسمبر (ك) سنة ١٩٠٤)

القسم الديني

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

(١٨٤: ١٨٨) * وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ
الكلام كما تقدم في سرد الاحكام العملية ولما فرغ من حكم الصوم وفيه حكم
أكل الانسان مال نفسه في وقت دون وقت مهد لحكم أكل مال غيره بذكر
الحدود العامة والنهي عن قربها ثم قال (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل)
الخطاب لعامة المكلفين والمراد لا يأكل بعضكم مال بعض واختار لفظ أموالكم
وهو يصدق بأكل الانسان مال نفسه للاشعار بوحدة لامة وتكافلهما والتنبيه على
ان احترام مال غيرك وحفظه هو عين الاحترام والحفظ للمالك لأن استحلال
النهي وأخذ المال بغير حق يعرض كل مال للضياع والذهاب ففي هذه الاضافة
البليغة تعليل للنهي وبيان لحكمة الحكم كأنه قال لا يأكل بعضكم مال بعض

بالباطل لأن ذلك جنابة على نفس الآكل من حيث هو جنابة على الأمة التي
أحد أعضائها لا بد أن يصيبه سهم من كل جنابة تقع عليها فهو باستحلاله مال غير
يجزئي، وغيره على استحلال آكل ماله عند الاستطاعة في أبلغ هذا لا يجاز، وإن
أجدر هذه الكلمة بوصف العجز، وفي الإضافة معنى آخر قاله بعضهم وهو التنبيه
على أنه يجب على الإنسان أن ينفق ماله نفسه في سبيل الحق وأن لا يضيعه في سبيل
الباطل المحرمة ونظر فيه بعضهم بما روي عن الاستاذ الإمام فقال إنه صحيح في
ذاته ولكن فهمه من الآية بعيد لقوله «بينكم» فهو صريح بأن المراد ما يقع
التعامل بين اثنين فأكثر. والمراد بالآكل مطلق الأخذ والتعبير عن الأخذ
بالآكل معروف في اللغة تجوزوا فيه قبل نزول القرآن ومنشؤه أن الآكل كل
الحاجات من المال وأكثرها وإن كان بعض الناس يفضل غير الآكل من الأهل
ينفق فيه المال فإن هذا لا ينفي أن الحاجة إلى الآكل وتقويم البنية أعظم وأعم
وأكثر ما يستعمل المال في مقام أخذه بالباطل وقد يستعمل في غيره .
أما الباطل فهو ما لم يكن في مقابلة شيء حقيقي وهو من البطل والبطال
أي الضياع والخسار فقد حرمت الشريعة أخذ المال بدون مقابلة حقيقي
يعتمد بها ورضاء من يؤخذ منه وكذلك إنفاقه في غير وجه حقيقي نافذ
قال الاستاذ الإمام ومن ذلك تحريم الصدقة على القادر على كسب يكفيه وإن ترأ
حتى نزل به الفقراء اعتمادا على السؤل ونقول إنها كما حرمت إعطائه حرمت عليه
الأخذ إذا هو أعطاه معط فلا يحل لمسلم أن يقبل صدقة وهو غير مضطر إليه
ولا عاجز عن إزالة اضطرابه بسعيه وكسبه، وأبلغ من هذا وذاك ما ذكر
الفقهاء من أنه لا يجب على العاري الذي يجد ما يستر عورته في الصلاة أن
يستعير ثوبا يصلي فيه أو يقبله صدقة ممن يبذله له لما في ذلك من المنفعة التي لا

كانه لا سلام باحتمالها وله أن يصلي عاريا - قال ومنه تحريم الربا لأنه أكل
 لأموال الناس بدون عمل من صاحب المال المعطي وممثل لذلك بما يقع
 في الناس كثيرا من أكل الربا أضعافا مضاعفة وفرق بينه وبين السلم وقال
 أن روح الشريعة تعلمنا بمثل هذه الآية أنه يطلب من الإنسان أن يكتسب
 مال من الطرق الصحيحة المشروعة التي لا تضر بأحد وإنما أجل وأوجز
 القرآن في الباطل لأنه من الأمور المعروفة للناس بوجوهه الكثيرة
 وحسب المسلم أن يكف عن كل ما يعتقد أنه باطل على أنه بين هذا والجمال
 في أمور قد تخفى على الناس كالدلاء إلى الأحكام الآتية وكتحريم الربا

ويدخل في هذا الباب التعدي على الناس بغصب المنفعة بأن يسخر
 بعضهم بعضا في عمل لا يعطيه عليه أجرا أو ينقصه من الأجر المسمى أو أجر
 مثل ، ويدخل فيه سائر ضروب التعدي والغش والاحتيال كما يقع من
 السامرة فيما يذهبون فيه من مذاهب التلبيس والتدليس اذ يزينون للناس
 السلع الرديئة والبضائع المزجاة ويسولون لهم فيورطونهم ، وكل من باع أو
 اشترى مستعينا بآيهم الآخر مالا حقيقة له ولا صحة بحيث لو عرف الخفايا
 وانقلب وهمه علما لما باع أو لما اشترى فهو آكل لماله بالباطل. ومن هؤلاء
 الوهمين باعة التولات والتناجيس (*) والتمائم وكذا العزائم وختمات القرآن
 والعدد المعلوم من سورة (يس) أو بعض الاذكار وقد بلغ من هزو
 هؤلاء بالدين أن كان بعض المشهورين منهم يبيع سورة (يس) لقضاء
 الحاجات أو لرحمة الاموات يقرأها مرات كثيرة ويعقد لكل مرة

(*) التولات جمع تولة كقبة من حمله المرأة ليحبها زوجها والسحر والتناجيس
 ما يعمل ليعوذ ذلك أول العين من الخرز والمغصم التي يعاقونها على الاطفال

عقدة في خيط يحمله حتى اذا ماجاء طالب اتباع القراءة وأخذ منه الثمن بعد المساومة يحل له من تلك العقد ، بقدر ما يطلب من العدد ، ذكر هذه الواقعة الاستاذ الامام في الدرس وقد كنا نسمع عن رؤساء بعض الملل نحو هذا في بيع العبادة التي يسمونها القداديس فنسخر منهم حتى علمنا اننا قد اتبعنا سننهم شبرا بشبر حتى دخلنا في جحر الضب الذي دخلوه . قال الاستاذ إن كل أجر يؤخذ على عبادة فهو كمال لا أموال الناس بالباطل وقد مضى الصدر الاول ولم يكن أخذ الأجر على عبادة ما معروفا ولا يوجد في كلام أهل القرن الأول والثاني كلمة تشعر بذلك ثم لا يعقل أن تحقق العبادة وتحصل بالاجرة لأن تحققها انما يكون بالنية وإرادة وجه الله تعالى وابتغاء مرضاته بامتثال أمره ومتى شاب هذه النية شائبة من حظ الدنيا خرج العمل عن كونه عبادة خالصة لله والله تعالى لا يقبل إلا ما كان خالصا من الحظوظ والشوائب . أقول وقد ورد على لسان الشارع تسمية مثل هذا العمل شركا في حديث مسلم وغيره : « قال الله تعالى : أنا أغني الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه : اذا كان يوم القيامة أتى بصحف مخطمة فتنصب بين يدي الله تعالى فيقول الله للملائكة اقبلوا هذا وألقوا هذا فتقول الملائكة وعزتك ما رأينا الا خيرا فيقول نعم لكن كان لغيري ولا أقبل اليوم الا ما ابتغي به وجهي » وفي رواية : يقولون ما كتبنا لا ما عمل : الخ وفي حديث أحمد والترمذي وابن ماجه « اذا جمع الله الاولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان أشرك في عمل عمله الله أحد افل يطالب ثوابه من عنده فان الله أغنى الشركاء عن الشرك » وإنما يظهر تأويل مثل هذا فيمن قصد العبادة والاجرة معا بحيث لو لم يستأجر للقراءة لقرأ وأما من لا يتصد الا بالاجرة فاذا

لم تكن لا يقرأ تلك الختمة أو العدد من السورة أو الذكر فأمره أقبح وذنبه أكبر وعمله باطل لا يعتمد به شر عافد افع الأجر عليه خاسر لماله، وأخذه منه خاسر لماله. ومثل قصد الاجرة المالية الرياء فانه منفعة معنوية

وقد فرق بعض الفقهاء بين قراءة القرآن وتعليمه فأجاز أخذ الاجرة على تعليمه كتعليم العلم لان الاشتغال بالتعليم يصد عن التفرغ للكسب من الوجوه الاخرى فاذا لم تجزه يمتسر علينا أن نجد من يتصدى لتعليم الاولاد وليس زماننا كزمان السلف يتفرغ فيه الناس لنشر العلم وإفادته تعبد الله وتقربا اليه . قال الاستاذ الامام من علم العلم والدين بالاجرة فهو كسائر الصنائع والاجراء لا ثواب له في أصل العمل بل على إتقانه والاخلاص فيه والنصح لمن يعلمهم . وأذكر أنني سمعته في وقت آخر يقول ينبغي للمعلم الذي يعطى راتباً من الاوقاف الخيرية أن يأخذ اذا كان محتاجاً لاجل سد الحاجة لا بقصد الاجرة على التعليم وبذلك يكون عابداً لله تعالى بالتعليم نفسه وعلامته أن يستعفف اذا هو استغنى فلا يأخذ من الوقف شيئاً . وقالوا في المؤذن مثل ما قالوا في معلم القرآن ويأتي فيه من القصد والنية ما ذكر في المعلم . ولا خلاف في عدم جواز أخذ الاجرة على جواب السائل عن مسألة دينية تعرض له اذا لاجابة فريضة على العارفين وكتمان العلم محرم عليهم ولبسط هذه الاحكام موضع آخر . وجملة القول إن أكل أموال الناس بالباطل يتحقق في كل أخذ للمال بغير رضى من المأخوذ منه لا شائبة للجهل أو الوهم أو الغش أو الضرر فيه كالغش بايهاً أن قراءة القرآن بالاجرة تنفع المقروء لا جسه حياً وميتاً مع انها معصية كما تقدم وكالضرر العام في الاخلاق والمعاوضات كضرر الربا

بعد ما ذكر الاكل مجملاً عاماً بين نوعاً منه خصه بالنهاي عنه مع دخوله

في العام لما يقع من الشبهة فيه لبعض الناس ذى يعتقد بعضهم أن الحاكم الذى هو نائب الشارع فى بيان الحق ومنفذ الشرع اذ حكم لا انسان بشي، ولو بغير حق فانه يحل له ولا يكون من الباطل فنزل قوله تعالى (وتدلو بها الى الحكم لتأكلوا فريقتا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون) إبطالا لهذا الاعتقاد ليعلم أن الحق لا يتغير بحكم الحاكم بل هو ثابت فى نفسه وليس على الحاكم الا بيانه وإيصاله الى مستحقه بالعدل بل قال الاستاذ الامام «إن الحاكم عبارة عن شخص العدل الناطق بما لكل أحد منه» فاذا نطق بغير الحق خطأ أو اتباعا لهواه، فقد خرج عن حقيقته ومعناه، وتعريفه للمحكوم له غير ما يعرفه لا يفتي عنه شيئا وكذلك إلزام خصمه بالتنفيذ. نعم ان كان المحكوم له بالباطل فى الواقع يعتقد أنه صاحب الحق لشبهة عرضت له وحكم له الحاكم يكون معذورا فيما يأكله بحكمه ولا يعذر اذا كان عالما بأنه غير محق لأن حكم القاضي على الظاهر فقط. قال الاستاذ الامام قد نقت الآية الاشتباه وبينت ان الاستعانة بالحكام على كل المال بالباطل محرم لان الحكم لا يتغير الحق فى نفسه ولا يحله للمحكوم له به ومع هذا قد اختلف علماء ونافى حكم القاضي هل هو على الظاهر فقط أم ينفذ ظاهراً وباطناً ويكون لاثم على القاضي وحده ان تعمد الجور دون المحكوم له فالجور على أن حكم القاضي ينفذ ظاهراً فقط وأبو حنيفة على أن حكم القاضي بنحو الطلاق وعقد النكاح أو فسخه ينفذ ظاهراً وباطناً وان كان الشهود زوراً وحكمه بالمال لا ينفذ الا ظاهراً فلا يحل للمحكوم له تناوله اذ لم يكن له. وأزيد المسألة وضوحاً بالتمثيل فأقول يعنى أن القاضي اذا حكم بفسخ النكاح أو التفريق بين الزوجين بشهادة زور حرم عليهما أن يعيشا معاً عيشة الأزواج واذا شهد شهود لزور بأن فلانا عقد على فلانة

وحكم القاضي بصحة العقد حل للرجل المحكوم له أن يدخل بها بغير عقد اكتفاء
بحكم القاضي الذي يعلم أنه بغير حق . وقد نزل النووي في شرح مسلم أن الشافعي
حكى الاجماع على أن حكم الحاكم لا يحال الحرام وقد علمت ان عليه الجمهور
ومنه صاحب أبي حنيفة فلم يخالفه الا لانه ظاهر لهم قوة دليل الجمهور ومنه حديث
أم سلمة عند الجماعة أي الامام أحمد والشيخين وأصحاب السنن وهو أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال: « إنما أنا بشر وانكم تختصمون اليّ ولعل بعضكم أن يكون
ألحن بحجته من بعض فأقضي له بغير ما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا
يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار » والمتصرون لابي حنيفة يقصرون الامر
على الاموال لانها الموضوع الذي وردت فيه الآية والحديث كما تراه في لفظ
الحديث ولبعضهم فيهما من التحريف ما لا ينبغي أن يحكى ورد الجمهور ذلك
بالقاعدة المجمع عليها وهي أن الأ بضاع أولى بالاحتياط من الاموال فان لم
يتناولها النص بلفظه تناولها بعلته بالأولى . وفي الآية والحديث عبرة لوكلاء
الدعوى الذين يدعون بالحمايين فلا يجوز لمن يؤمن منهم بالله واليوم الآخر أن
يقبل الوكالة في دعوى يعتقد أن صاحبها مبطل ولا أن يستمر في محاولة إثباتها
إذا ظهر له بطلانها في أثناء التقاضي . واننا لنراهم يعتمدون علي خلافتهم في القول
ولهم في الخطاب ، وما يذكر الا أولو الألباب ،

ومن مباحث اللفظ في الآية أن الإ دلاء بمعنى الإلقاء وقالوا انه في الاصل
إلقاء الدلو واختير هذا التعبير لانه يشعر بعدم الروية هذا ما اقتصر عليه الاستاذ
الامام وفي التفسير الكبير للامام الرازي إلقاء لدلو يراد به إخراج الماء وإلقاء
المال الى الحكم يراد به الحكم للملّقي وذكر وجه آخر بعيداً والضمير في قوله
تعالى بها قيل إنه يرجع الى الاموال والمعنى لا تلقوها اليهم بالرشوة وقالوا إن

الرشوة رشاء الحكم وقيل ان المراد ولا تلقوا بحكومة الاموال الى الحكم .
والفريق من الشيء الجملة والطائفة منه . والاثم فسرهم بعضهم بشهادة الزور
وبعضهم باليمين الفاجرة وهو اعم من ذلك وان صح ما ذكروه في سبب نزول
الآية وهو ما أخرجه ابن أبي حاتم من مراسيل سعيد بن جبير أن عبد الله بن
أشوع الحضرمي وامراً القيس بن عابس اختصم في أرض ولم تكن بينة فحكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يحلف أمرؤ القيس فيهم به فنزلت والمراد
بالعلم في قوله تعلمون ما يشمل الظن وهو احتراش عن يأكل معتقدا انه حقه
ولذلك أمثلة وفروع لا تحصى ذكر الاستاذ الامام منها في الدرس مثل ما اذا علم
زيد ان أباه أودع له وديعة كذا عند فلان الذي مات فطالب ولد الميت بذلك
وكان هذا يعتقد ان أباه تركه تراثا فمن حكم له به منهما لا يقال إنه أكله بالاثم
وذكر الاستاذ الامام في تفسير الآية ما عليه المسلمون في هذا العصر ،
لا سيما في بلاد مصر ، من كثرة التقاضي والخصام ، والإدلاء الى الحكم ،
حتى ان منهم من لا يطالب غريمه بحقه الا بواسطة المحكمة ولعله لو طالبه لما
احتاج الى التقاضي ومنهم من يحاكم الآخر لمحض الانتقام واليذاء وان أضر
بنفسه . وكم من ثروة فقدت ، وبيوت خربت ، ونفوس أهينت ، وجماعة
فرقت ، وما كان لذلك من سبب الا الخصام ، والإدلاء الى الحكم ، ولو تأدب
هؤلاء الناس بأداب الكتاب الذي ينتسبون اليه لكان لهم من هدايته ما يحفظ
حقوقهم ، ويمنع تقاطعهم وعقوقهم ، ويحل فيهم التراحم والتلاحم ، محل التراحم
والتلاحم ، وانك لترى من أذكياهم من يزعم أنهم عن هدي الدين أغنياء ، وقد
عموا عما أصابهم بتركه من الأرزاء ، فهم بالقسق عنه يتنابدون ويتحاسدون ،
ويتنافدون ويتنافدون ، ويحسبون أنهم على شيء الا إنهم هم الكاذبون ،

﴿ باب الفقه في أحكام الدين ﴾

صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة

جرت عادة الشافعية في الامصار التي تعدد مساجدها بأن يصلوا الظهر جماعة بعد أداء صلاة الجمعة وقد نشأ صاحب هذه المجلة شافعيًا وقد دينه من تربي بينهم من المنتسبين الى هذا المذهب من أفكان يعيد الظهر معهم كما يعيدون معتقدًا أن هذا هو مذهب الشافعي ولما قرأت فقه الشافعية علمت أن الاعادة مبنية على قول الامام بوجود التجميع (إقامة الجمعة) في مسجد واحد وعدم جواز التعدد في الاختيار وان التعدد اذا كان لحاجة بأن عسر اجتماع الناس في مسجد واحد جاز . وانه في حال عدم جواز التعدد تكون الجمعة الصحيحة للسابق وعلى غيره إعادة الظهر . وقد ظهر لي بالاختبار أن التجميع في مسجد واحد يعذر في مثل مصر لأن أكبر مسجد فيها مسجد عمرو وإنا لك لآراء في آخر جمعة من رمضان مزدحمًا بالمصلين والجمعة تصلى في سائر المساجد ومنها ما يكون مزدحمًا مثله على أن كثيرًا من المكلفين بالجمعة لا يصلون ، ومع هذا ترى الشافعية يعيدون صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة في الأزهر وغيره فدلنا هذا على أن إعادة الظهر صار عادة للشافعية وأنهم لبسوا فيها على بينة ولا علم بححيح

وقد وصلت إلينا في أواخر رمضان رسالة مطبوعة في بيروت منسوبة الى الشيخ نور الدين الشبرايمسي الشافعي المتوفى سنة ١٠٨٧ يقول مؤلفها في أولها إنه قد ذكر بعضهم لحسين باشا حاكم الديار المصرية أن صلاة الشافعية الظهر جماعة يوم الجمعة لا أصل لها قال « فنفع أهل أزمهرنا منها ظنا منه صدق القائل ، وفضيلة الناقل ، والحال أنه إما كاذب أو جاهل ، وتحرير المسألة عندنا أن فيها أربعة أوجه الأول وهو الصحيح انه لا يجوز تعدد الجمعة ما لم يشق الاجتماع بمحل واحد ولو غير مسجد مشقة لا تحتل عادة أي يقينا كقيد به الشهاب ابن حجر الخ ثم ذكر ان العبرة فيمن يعسر اجتماعهم بالذين تلزمهم على المعتمد لا من يصلون بالفعل او من تصح عنهم ، من يغلب حضورهم . والوجه الثاني لا يجوز التعدد مطلقا وذكر أن السبكي انتصر له نقلا ودليلا وصنف فيه أربعة مصنفات وقال انه لا يحفظ عن محابي ولا تابعي جواز تعددها . ولكنه لم يذكر هل يحفظ عنهم القول بمنع التعدد مطلقا ؟ كلا انه لم يقل به احد منهم . والثالث ان حال نهر عظيم بين شقي البلد كانا كبكين

يقام في كل منهما جمعة . والرابع ان كانت قرى وانصلت تعددت الجمعة بعدها
ثم ذكر ان سبب الخلاف عدم انكار الامام الشافعي على اهل بغداد تعدد الجمعة وكانوا
حين دخلها يجمعون بمحامين أو ثلاثة (قال) واجاب عنه جمهور اصحابه بأنه لمشقة الاجتماع
لكثرة اهلها وتبعهم الشيخان الى ان نقل عن بعضهم ان مذهب الشافعي لا يحتمل غيره
وانا تنظر في هذه المسألة من جهة مذهب الامام الشافعي ومنه تعلم انه حجة على مؤلف
الرسالة في زعمه وجوب اظهار على اهل مصر وعلى من يحتج بها مثل احتجاجه ومن
جهة الدليل فقط ومنه تعلم ان سائر المذاهب الاسلامية ارجح من مذهب الشافعية
ومن وانهم في هذه المسألة

اما النص عن الشافعي فقد جاء في مختصر المزني مانصه :

« ولا يجمع في مصر وان عظم وكثر مساجده الا في مسجد واحد منها وايها
جمع فيه فيدأها بعد الزوال فهي الجمعة وما بعدها فانما هي ظهر يصلونها اربعا لأن
النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده صلوا في مسجده وحول المدينة مساجد لا تعلم احدا
منهم جمع الا فيه ولو جاز في مسجدين لجاز في مسجد العشار »

وجاء في كتاب الام بعد نحو ما تقدم مانصه : وانها جمع فيه اولا بعد الزوال فهي الجمعة
وان جمع في آخر ساعة بعد الجمعة كان عليهم ان يعيدوا ظهراً اربعا :

ثم قال : وهكذا ان جمع من المصير الواحد في مواضع ، الجمعة الاولى وما سواها
لا تجزيه الا ظهرا (قال الشافعي) وان اشكل على الذين جمعوا ايهم جمع اولا اعادوا
كلهم ظهرا اربعا (قال الشافعي) ولو اشكل ذلك عليهم فعادوا فجمعت منهم طائفة ثانية
في وقت الجمعة أجزأهم ذلك لان جمعهم الاولى لم تجز عنهم وهم اولا حين جمعوا افسدوا ثم
عادوا فجمعوا في وقت الجمعة : قال الربيع وفيه قول آخر ان يصلوا ظهرا

فهذا نص كتب المذهب الاصلية فأما قول المختصر : لأن النبي (ص) ومن بعده
صلوا في مسجده الخ فهو لا يأتي في مسائلنا لان ما حول المدينة ليس منها واذا صح
الاستدلال بوقائع الاعيان امكن ان يحتج بهذا على اشتراط التجميع في المصير وجهاير
الاصوليين لا يستدلون بها . وما في المختصر مفروض في قوم ارادوا ضلاة الجمعة فعلموا بأن
غيرهم قد سبقهم فيجب عليهم الظاهر عنده ولا نعرف الآن في البلاد الاسلامية ان قوما

يجمعون بعد العلم بأن غيرهم سبقهم بالجمعة ولو في مسجد آخر وإنما يقيمون الصلاة عند
الاذان في عدة مساجد أنشئت للحاجة إليها في الأغلب ولا نص لهذه المسألة في المختصر
وعبارة الأئم على بسطها لا تخرج عن معنى ما اختصرها به المزي في قوله
الجمعة الاولى وما سواها لا تجزئ الا ظهراً لا يستقيم الا في صورة العلم بأن الجمعة
أقيمت فيشرع في الظهر ويوضحها قوله قبلها: وان جمعوا في آخر ساعة بعد الجمعة
كان عليهم أن يمدوا ظهراً أرباعاً: فقوله في آخر ساعة بعد الجمعة تصوير لا إقامة الجمعة
بعد العلم بأنها أقيمت. وأما مسألة الاشكال فهي تظهر اذا اجتمعوا وتحدثوا فظهر
لكل فريق منهم ما شكك في صحة صلاته ولذلك قال إنهم يصلون الظهر وانهم اذا صلوا
الجمعة ثانية أجزأتهم لظهور فساد الاولى. فاذا لم يفرض أن كل فريق من الجمعيتين
اجتمع بالآخر واففقوا على فساد صلاتهم كلهم لا يمكن أن نجيز التجميع لطائفة بعد
العلم اليقين بأن الجمعة أقيمت اذلو أجزأنا هذا لكان المذهب أن الجمعة تصح لاهل
المسجد الذين علموا أن جميع المساجد قد جمعت قبلهم فتكون الجمعة للمتأخرين
للمتقدمين فيتناقض هذا مع قوله: الجمعة الاولى:

فقرر معنا ان الامام الشافعي يمنع تعدد الجمعة في البلد الواحد فيجب على من
اخذوا بقوله ان يجتمعوا في محل واحد اذا امكن ومن علم منهم بان الجمعة اقيمت
ليس له أن يجمع بل يصلي الظهر واذا اجتمعوا واشكل عليهم الامر جمعوا ثانية او صلوا
الظهر. ولم يرد نص في حال عدم العلم بالتأخر وعدم الاشكال بأن صلى كل فريق ظناً
انه السابق لان الاصل عدم صلاة غيره قبله ولم تطر له شبهة تعارض الاصل والظاهر انه
لا يجب عليه اعادة الظهر ولا الجمعة. وربما يستبعد بعض الشافعية قولنا هذا لانه مخالف
لما عليه العمل عندهم اذ يصلون الجمعة وهم يعتقدون عدم إجزائها وينوون اعادة الظهر
بعدها ولا يوجد نص عن الشافعي ولا عن اصحابه المجتهدين يميز لاحد ان يشرع في
صلاة وهو يعتقد انها لا تجزئ وكلام المصنفين المقلدين في اجزاة ذلك لا يعتمد به بل
ظاهر منع الشافعي لتعدد الجمعة يؤذن بأن الشروع فيها لا يجوز على مذهبه الا لمن
يعلم او يظن انه السابق الذي له الجمعة فان شك بطل احرامه بصلاتها كما هو ظاهر
فن كان مقلداً للشافعي فلي تأمل هذا بانصاف ولا يفرقه كلام المصنفين كالشبرا الملمي

ومن فوقه أو تحته فإن أكثرهم ينقلون من كتب المشايخ المقلدين ولم يطلعوا على نص الشافعي وهو ما ذكرناه لك عن المختصر والام الذين هما اصل المذهب ثم ان ما تقدم من نص المذهب صريح في تعدد الجمعة بالاختيار، ولم يقل الشافعي شيئاً في حال الاضطراب، وهي ما اذا اتسع المصير وتعذر أو تعسر اجتماع الناس في مكان واحد منه ولكن الاصول العامة عنده وعند سائر الأئمة من دفع الحرج والعسر وإجازته تعدد الجمعة في بغداد - إذ اقام فيها سنتين ولم ينقل أنه انكر على أهلها التعدد ولا أنه كان يصلي الجمعة ثم يصلي عقيب الظهر - تدل على أنه يجز التعدد لحاجة وقد علمنا من مختصر صاحبه المزي أن دليلاً على وجوب التجميع في مكان واحد هو فعل النبي وأصحابه وهو على القول بنهوض الوقائع العينية الاجالية دليلاً محمول على عدم الحاجة للتعدد فقد كان مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسع الناس ومن حكم التجميع اجتناب التفرق فأبي مسلم يرغب عن الصلاة معه عليه السلام وعن سماع خطبته ويجمع بالناس في مسجد غير مسجده ؟ فالتجميع في مسجد واحد على عهد صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا حرص على الصلاة معه والتأقي عنه ولموافقة حكمة مشروعية الجمعة وهو الاجتماع وتقي المواعظ على طريقة واحدة فإنه مما يزيد في الوحدة الاسلامية فهو الاصل ولم يعرض من الضرورة والحرج فيه ما يقضي بالتحويل عنه . وقد علم مما تقدم أنه لا دليل من نص الشافعي ولا من فعله على أنه يجب على من يصلي الجمعة في أمصار المسلمين التي تعددت فيها المساجد للحاجة أن يعيد الظهر بعد صلاة الجمعة في وطن نفسه على أداء فريضتين في وقت واحد وأن ما قاله في الاعادة هو من قبيل من تبين له بعد الصلاة أنه لم يستكمل شروطها فوجبت عليه إعادتها . وأما ما في كتب الشافعية ومنها رسالة الشبرايمسي مما يخالف ذلك أو يزيد عليه فهو من فلسفة أوائل المصنفين الذين لا يجوز أحد تقليدهم

وأما النظر في المسألة من جهة الدليل فقد علم بالجملة مما تقدم وإيضاحه أن كلام الامام الشافعي رحمه الله تعالى يؤذن بان الاجتماع في مكان واحد شرط لصحة صلاة الجمعة والظاهر أنه حكمة من حكمها التي تراعى بقدر الامكان ولا دليل على الشرطية فيما نص عليه في المختصر من فعل النبي (ص) والصحابة . ولو كان فعلهم يدل على الشرطية لوجب القول بأن صلاة العيد في الصحراء خارج البلد شرط لصحتها إذ ثبت ان النبي (ص) كان يخرج بأصحابه نساء ورجالا فيصلونها فيها . وكذلك كان أصحابه بعده يفعلون والاصل

أن تمام الصلوات في المساجد فالمدول عن المسجد في العيد يدل على أنه مقصود لذاته فلماذا لم يقل الشافعية باشتراط الخروج الى الصحراء لصحة صلاة العيد ؟

ومثل ما ذكر من الاستدلال بالفعل على وحدة المكان استدلالهم على عدد من تعتقد بهم الجملة فالشافعية والحنابلة على أن أقل عدد تعتقد به الجملة أربعون واستدلوا بأن المسلمين كانوا في أول جمعة جمعوها أربعين ولم ينقل أنهم جمعوا بأقل من هذا ويرد عليهم حديث الذين انفضوا الى التجارة وتركوا النبي قائماً يخطب وقد صلاها بمن بقي وهم اثنا عشر والحديث في الصحيح عند البخاري ومسلم وغيرهما . وفي الواقعة نزلت آية وإذا راوا نجارة أولهواً انفضوا اليها وتركوك قائماً . ومارواه الطبراني من أنهم انفضوا الأبرين رجلاً ضعيفاً فرد به علي بن عاصم من الضعفاء فهذه الواقعة علمتنا أن العدد الكثير إنما كان لكثرة الناس . وما يدرينا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر بتعدد الجمعة لو رأى أمصاراً كبيرة يتعذر أو يتعسر على الناس الاجتماع فيها على إمام واحد في مسجد واحد كصروا لستة وبيروت . وليس سكوت أئمة القرن الثاني ومنهم الامام الشافعي على تعدد الجمعة في بغداد دليلاً على أنهم ما كانوا يرون بذلك بأساً عند الحاجة . على أن بغداد كانت عند تعدد الجمعة فيها على عهد المنصور حديثة النشأة ولم تكن تكسر على عهد الشرازمشي في الاتساع وكثرة الناس ولا كيروت الآن . وهي قد تم بناؤها سنة ٤٩٠ أي قبل ولادة الشافعي بسنة واحدة والنتيجة أن إعادة الظاهر بعد الجمعة في هذه الأمصار لا ينطبق على قول الشافعي ولا دلائل عليه من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا قياس صحيح وان موافقة سائر المذاهب فيها هو المتعين إن يحب الوحدة الإسلامية والله الموفق

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

فتعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل أن يبين لنا اسمه ونقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالباً ورماعاً من تأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورماعاً أجنبياً غير مشترك لئلا هذا . ولمن يضي على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكره مرة واحدة فإن لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لا غفاله

عرض أعمال الامة على النبي (ص) —

(س ٩١) عبد الحميد أفندي السوسي بالاسكندرية : أرفع لفضيلتكم هذا السؤال وهو أنني سمعت فقيهاً يقول إن أعمال الامة المحمدية تعرض على الحضرة المصطفوية

كل أسبوع وبالسؤال منه عن الكيفية أجبني بأنها تعرض عليه مقيدة في كشف فلم ارتع لجوابه وطالبته بزيادة الايضاح بكل احترام فما كان منه الا أن رمني بالكفر ونهرني (وأنا السائل) وشتني وصاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام يقول : ما بعثت سبأاً ولكن بعثت رحمة للعالمين : حصل يني وبينه ما حصل ولم استفد منه شيئاً غير ما تقدم . ولما كنتم فضيلتكم من الذين يجب علينا أن نأخذ الدين عنهم لا عن سواهم عولت على أن استفهم من سيادتكم عن صحة ماسمعه من الفقيه راجياً إجابتي بجواب مؤيد بالدليل كما هي عادتكم مع بسط الكلام عن حكمة العرض وكيفيته ولكم من الله الأجر ومن المؤمنين الشكر

(ج) ان هذا الذي قاله لك من سميته فقهياً غير صحيح على انه من أمور الآخرة أي من عالم الغيب الذي لا يبيح الدين لأحد أن يقول فيه برأيه واجتهاده وإنما يجب الوقوف فيه عند النصوص ائمانية عن الشارع فإذا كانت هذه النصوص قطعية كآيات القرآن العظيم كان الايمان بما ورد فيها حكاية عن عالم الغيب واجباً وتكذيبها كفراً وإذا لم تكن قطعية كاحاديث الآحاد ولو صحيحة السند لا يكون التسليم بها واجباً بل تعد من أركان الايمان التي يكفر منكرها فكيف يكفر من يسأل عن كيفيتها وبيانها . نعم إن من ثبت عنده حديث في ذلك لا بد أن يصدقه ويسلم بمضمونه إذا كان ممكناً شرعاً وعقلاً أو يحمله على وجه ممكن . ثم إن ما ثبت من النصوص عن عالم الغيب يجب أن تؤخذ على ظاهرها أي من غير اجتهاد فيها ولا بحث عن كيفية مالم يرد في النصوص ولا بيان كيفيته فإذا فرضنا أن عندنا آية على أن الأعمال تعرض عن النبي (ص) بعد موته لم يكن لنا أن نسأل عن كيفية العرض لانه من عالم الغيب الذي لا نعرفه وإنما تؤمن بما جاء فيه عن الله تعالى لانه جاء عن الله تعالى ؛ وهذا لا يمنعنا عن البحث في فائدة اخبار الله تعالى به اذ ليس في الدين شيء الا وهو لمنفعة الناس واصلاح حالهم . ولو كانت مسألة عرض الاعمال على النبي (ص) بعد موته من قواعد الايمان التي يكفر منكرها لما خلت كتب العقائد من ذكرها ولكن هؤلاء الشيوخ قد تعودوا على تكفير كل من يعارضهم في مسألة دينية كأن الدين من مقتنياتهم يهونون لمن شاؤا ويمنعونه من أرادوا وقد يكون بعضهم أجدر بالكفر لمكذبه على الله وتكفير المؤمنين

هذه المسألة لم ترد في كتاب الله تعالى ولا في أحاديث الصحيحين أو السنن أو
السايد وإنما ورد فيها خبر آحادي مرسل عن بكر بن عبد الله المزني عند ابن سعد
وهو «حياتي خير لكم ووفاتي خير لكم تحدثون فيحدث لكم فإذا أنا مت عرضت
على أعمالكم فإن رأيت خيراً حمدت الله تعالى وإن رأيت شراً استغفرت الله لكم»
وورد بلفظ آخر وقد اختلف العلماء في الاحتجاج بالحديث المرسل في الاحكام
عملية فذهب بعضهم كالشافعية الى انه لا يحتج به فكيف يجعل حجة في العقائد وأصول
الايان على أن هذا معارض بمثل حديث عائشة عند البخاري اذ قالت واراأاه فقال
النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ذلك لو كان وانا حي فاستغفرك وأدعوك» الحديث
وهو أصح سنداً ومسنداً لخلاف في الاحتجاج به . ثم ان الرواية المرسلة ليس فيها
بيان للكيفية التي ذكرها فقيه السؤال ولا للتوقيت بالاسبوع فهو مفتات على الدين
وعلى عالم الغيب . أما حكمة الاخبار بعرض الاعمال على تقدير سلامته من المعارضة
وما يمنع الاحتجاج به فهي أن المؤمن بذلك اذا تذكره يكون من أسباب احجابه
عن السيئات حياة من الرسول مع الحياء من الله تعالى

حكم حلق اللحية

(س ٩٢) أحد القراء في (الجزائر) ما قولكم خلدت افادتكم في حكم حلق اللحية

(ج) هو مكروه والاصل فيه التحنث بالنسب

حكم تعليق الوسامات في الصدور

(س ٩٣) ومنه: وما قولكم في حكم تعليق النياشين والوسامات في الصدور خصوصاً

المهدة من الدول الأوروبية

(ج) ينظر في التحلي بهذه الاوسمة المعروفة بالنياشين من وجهين احدهما

مادتها فاذا كانت ذهباً أو فضة فالمذاهب الاربعة متفقة على تحريم تعليقها على الرجال

وقد تقدم في حواب السؤال السابع والخمسين من الجزء الحادي عشر من هذا ماورد في ذلك

وحكمته . وثانيهما معناها وطريق الوصول اليها وما أنشئت لاجله وتأثير ذلك في

حامنها وفي الناس وهذا لم يرد فيه شيء في السنة لانه من المحدثات بعد التشريع فالحكم

فيه راجع الى قاعدة تحريم كل ضار واباحة كل نافع ونعني بالمباح هنا مايقابل المحرم

والمكروه . وانا نعلم ان هذه الاوسمة قد وضعت في الاصل لتكون سمة وعلامة
تميز من يخدم دولته وأمة خدمة جليلة ليرغب غيره في مثل تلك الخدمة حبا بالامتياز
الذي هو ركن للشرف ركين وهذا شيء يختلف باختلاف البلاد والاشخاص وانا
نرى ان نيل هذه الاوسمة وكذلك رتب التشريف التي تقارنها غالباً قد خرجت في
هذه البلاد وفي الدولة العثمانية عن وضعها وصار الناس يتوسلون الى نيلها بالمال
وبسيئات الاعمال حتى عرف الخاص والعام ان لها سيطرة في مصر والاستانة وان
لها اثمانا معينة تختلف باختلاف درجاتها وأسمائها وأن بعض الاعمال السيئة كالتيجس
والسعاية قد تنفي عن المال في ذلك . ولا شك أن ابتغاء هذه الوسائل الخسيسة الى مثل
هذا الشرف الوهمي من الاعمال المحرمة في الدين القبيحة في نظر العقل . وللا حكومة
المصرية اصطلاح في اعطاء الرتب والاوسمة للمستخدمين فيها وهي أنهم يعطون على
حسب درجات وظائفهم وأنواعها ويطلبها لهم رؤسائهم فلا يبذلون في ذلك مالا .
ولا يقدمون للقصور أعمالا .

ثم انا نشاهد لها في هذه البلاد مضرات اخرى في الاخلاق والاقتصاد فان
بعض محبي الفخفة يبيع ما يملك ليشترى رتبة او وساماً حتى افقر بعضهم ونرى
من ينال منها شيئاً يدخل غالباً في طور جديد من السرف والخيلاء ومنافسة القرناء
بالباطل حتى يحملهم على السعي في مساواته او مساوماته . وكثيراً ما يقع التنازع والتعادي
في النسب والصهر للفتاوت العارض بينهم يأخذ بعضهم رتبة او وساماً دون عشيرته
وكل هذه مفسد محرمة وقد بلغتنا وقائع منها لاسيما بين نساء العشيرة فان المرأة التي
ينال أبوها او أخوها وساماً او رتبة أو لقب (بك) يسرع اليها الصلف والتكبر على
زوجها ويتلو الشقاق والفراق او يسمى الزوج في مساواة ايها في ذلك . ومن هذه
المضرات تعالي الوضيع برتبة او وسامه على الرفيع بفضله وعلمه او مجده وشرفه حتى
تبرم الفضلاء . وتبظرم السفهاء . وصرنا نرى في الناس من يلجج بذم هذه الزينة الباطلة
وذم باعها ومشتريها وسامرتها . وعندي انه لم يبق لهذه الرتب والاوسمة من
الشرف في الشرق الاذن البقية في رؤساء الجند وما كان من جمعيات أو بالعلمية
أما حكم هذه الأوسمة من الدول الأوروبية فهو تابع لسبب إعطائها فان كان من

ببطاها قد خدم الدولة الأجنبية خدمة جائزة شرعاً بان كانت نافعة غير ضارة بأمته ولا بلادها فلا يحظر حمله الوسام من هذا الوجه إلا إذا كان مرغبا في خدمة الاجنبي ولو بغير حق وسبياً للاعتزاز به من دون الحق . وان كانت الخدمة غير جائزة شرعاً فلا شك ان حمل الوسام يكون آية على الاصرار ودوام الرضى بالذنب وان المعصية الصغيرة لشكون بالاصرار عليها كثيرة

(اللباس الرسمي وكساوي التشریف)

(س ٩٤) ومنه : وما قولكم في اتخاذ الولاة والحكام لباساً رسمياً خصوصاً كالبرنس الأحمر عندنا، وتحلي العلماء والوجهاء بالكساوي التشريفية أفيدونا مأجورين (ج) ان الاسلام لم يشرع للناس لباساً خاصاً ولم يحظر عليهم زياً من الازياء فلكل فرد ولكل صنف أن يلبس ما أحب واختار إلا ما ورد في لبس الحرير والذهب والفضة وقد تقدم شرحه في الجزء الحادي عشر، وما ورد من النهي عن لباس الشهرة وتقدم أيضاً . وأنت تعلم أن هذا اللباس تابع للرتب بل هو مظهرها ومجلاها وقد علمت ما فيها . وتزيد هنا التذكير بما ألعنا به من قبل من أن الدولة العثمانية قد أخذت ملابسها الرسمية عن الروم وأقدمها ملابس العلماء وهي مرتبة على نحو ترتيب الروم في أزياء البطارقة والقسيسين وهو ما يسمونه ملابس الكهنوت لطرزة أو الموشاة بالذهب والفضة وأعلاها الحلة البيضاء التي يلبسها بطريق القسطنطينية في المواسم والأعياد وهي في الدولة لشيخ الاسلام وقد أشرك السلطان معه الشيخ أبالهدى في السنة الماضية . ومن مفاصد السياسة أن العلماء صاروا يتنافسون في هذه الملابس مع اتفاق مذاهبهم على تحريم التحلي بالذهب والفضة في اللباس وغيره وتحريم التشبه بغير المسلمين في الشماثر الدينية ونحوها وهم مع ذلك يحرمون لبس القانسوة المعروفة بالبرنيطة مطلقاً على أنها ليست لبوساً دينياً وقصارى ما قال فقهاؤهم في فساد التشبه بالكافر في غير أمور الدين إنه مكروه ولم يقولوا إنه محرم فليحظروا على أنفسهم ما يسمونه كساوي التشریف (الكسوة بالغم ويكسر اللباس ج كسى) أولاً لیسمع قولهم فيما هو دونها والبرنس الأحمر المعروف عندكم خير من الحجب المفضضة والمذهبة عندنا إذا لم يكن مثلها أو من الحرير المعصمت والله أعلم

القسم العمومي

فرنسا والازهر

نشرت جريدة الاجيب الفرنسية التي تصدر في القاهرة مقالة عنوانها (فرنسا والازهر) في العدد الصادر في ٢٤ نوفمبر الماضي فأحبنا نشر ترجمتها في المنار ليعرف أهل الازهر ما يقول فيهم كتاب الافرنج ويعتبر بما فيها سائر المسلمين وهي

حدث في الازهر أخيراً أن رجلاً متوها أطلق الرصاص على شيخ رواق المغاربة فقتلته لهذا الحادث صحف فرنسا واهتمت بالبحث في شؤون ذلك الفريق الخصوص الذي يعيش وراء الجدران الصامتة في تلك الكلية الإسلامية الجامعة . ونحن نغار على كل ما يمر جاء فرنسا ونفوذها في تصديدها لإدخال الحضارة في ربوع المشرق ونهت بكامل ماله علاقة بالوظيفة التي أخذت على عاتقها القيام بها في تلك الاقطار فلذلك لم يكن يسوغ لنا أن نترك هذا الحادث الحزن من غير أن نخوض في موضوعه وتكلم في عواقبه فانه مرتبط بعلائق فرنسا بالمشرق أشد الارتباط

لا يصح لمن يعيشون بقرب هذه المدرسة أن لا يعبأوا بأي أمر يتعلق بها فان في وسعهم أن يعرفوا مقدار تأثيرها في العالم الاسلامي . هذه المدرسة في نظر الباحث المدقق كسياج للافكار الاسلامية لكونها في القاهرة أعظم عواصم الاسلام مدينة وحضارة وبالقرب من ضريح الامام محمد بن إدريس الشافعي أحد أصحاب المذاهب الاربعة . بل نقول تقريباً للحقيقة من أفهام الغربيين ان للازهر في بلاد المشرق تلك المكانة التي أحرزتها في الزمن الغابر مدرسة بولونيا الكلية حينما ورث عواهل المانيا صولجان قياصرة الرومان، وسيف الامبراطور شارلمان، بل هي كمدرسة السوربون في فرنسا أيام رفع افاضل العلماء فيها نبراس الافكار، فأضاء تلك الاقطار، بما جددوا من معارف اللاتينيين ومحو من تلك الظلمات المتركة التي أحدثتها غارات البرابرة . اذا كان جميع المسلمين يولون وجوههم شطر المسجد الحرام فكذلك الفيورون على مصالحة المسلمين في الاستقبال قد جعلوا الازهر قبلة الاماني وكعبة للآمال نعم ان الذي يمر بالازهر اليوم ولم يكن قد أوتي شيئاً من العلم والفطنة ، أو البصيرة والرزانة لا يرى في هذا البناء الذي علمته الشرفات العربية، وازدان بالحجرات المغربية، الا آثار مدينة قديمة غادرها الزمان في سبات عميق فليست في الاموات ولا

في الاحياء كما كانت بز فطية عاصمة الدولة الرومانية الشرقية حين ضرب عليها التصوف رداه واحاط بها التقشف من كل مكان، فان ما يدور فيها من المجادلات العتيقة العقيمة في العلوم التي يسمونها الوسائل والعلوم التي يسمونها المقاصد لا تسفر عن وجه يشعر بجدد الحياة. ولكن من يسر الاشياء بمسبار الروية، وينظر الى الامور بعين البصيرة، يرى في هذا الجمع المتكاثف وبين اولئك الطلبة الذين يدرسون ويشغلون كمناسهم في كليات امريكا اهتزازات تدل على حياة جديدة ويجد في نفسه انتماشا يشعر بنشأة أخرى ولكن هذه الاهتزازات الحيوية مستورة بالسكينة والوقار مغطاة بما امتاز به الشرق من التجرد وعدم المبالاة. ذلك أن بعض سروات المسلمين الذين لا بسوا أهل أوربا وعلّموا أن مدينتهم قائمة على أساس العلم والتربية تبرعوا بأموال طائلة ونصبوا لاولئك الطلاب المنطمعين للرياضات وأنوار التجلي أساندة من الذين نبغوا في مدارس أوربا لينشأ بينهم علومنا المصرية ومعارفنا الحديثة بحيث قد جنحت المدينة الاسلامية جنوباً ظاهراً للاستقاء من معارفنا والامتزاج بنا بدلا من أخذ الالهة وحمل السلاح لمكافحة المدينة النصرانية فهي لنا بمثابة الاخت الصغرى ونهضتها هذه تشابه نهضة تجددت اعرف اللاتينية في أوربا مشابهة تامة تدعو الى العجب والدهشة ولكنها متأخرة عنا بستة قرون هي المدة بين نهضة المسلمين (الاولى) ونهضتنا وليس يخشى عليها غير خطر واحد هو أن تتبلور عقول أهلها تبلورا صوفيا تجر يدنا والدافع لهذا الخطر والواقعي منه هو الازهر فان حركته الذاتية تسير ببطء في طريق كافل نيسل المرام وان يخلف الازهر عن الوفاء بما نيظ به مادام المهيمن عليه من أولئك الذين انفتحت أذهانهم بالافكار المصرية

أسهبنا في شرح مقدمة الموضوع الذي تتوخى الخوض فيه وما ذلك الا لانه كان من الضروري بيان درجة الازهر ومكانته العليا في عالم الاسلام وماله من الشأن الكبير في مزج المدينتين وهو أمر واقع بلا شك في يوم من الايام على سواحل البحر الايض المتوسط. ومن المعلوم أن فرنسا وانكلترا هما الدولتان العظيمتان اللتان لهما السيطرة على كثير من بلاد الاسلام ولذلك أوجبت هذه المكانة على تينك الامتين الكريمتين فرضاً لا يمكن سقوطه بمرور الزمان ألا وهو السعي المتواصل في دوام تحسين العلاقات الفكرية

والعلمية التي وصلت بنفسها عالم الشرق بعالم الغرب وأخص فرنسا التي قد اكتسبت من عهد قريب مكانة راجحة في مراكش فانها لا تكتفى لها بل زاء الامم الاسلامية ترك ماهو يحتم عليها بمقتضى الروح الساري في جنباتها وما هو مدون في تاريخها أعني وظيفتها التي هي حاية الامم المستضعفة ونشر ألوية الحرية والاخاء في ربوعها

فاذا نظرنا الى فرنسا وجدناها على رأس مملكة إسلامية فسيحة لها شأن عظيم وقيمة غالية وهذه المملكة تمتد من تونس الى سنغامبيا على سواحل البحر الأبيض والمحيط الاطلسي وقد ازدادت هذه المملكة بدخول مراكش في دائرتها فليس لفرنسا إذن ان تحتقر اية وسيلة لرفع شأن الحضارة الاسلامية في مملكتها الشاسعة الاكتاف البعيدة الاطراف بل عليها أن تبذل كل ما في وسعها لتجعل لها على العالم الاسلامي نفوذاً عقلياً يكون لها من ورائه فوائد يالها من فوائد لا تذكر بجانبها مزايا مآثره من التودد لها في بطانة ساحبي تونس وفاس فيعود ذلك عليها بالنفع أمام ذلك المجتمع العظيم الممتد على سواحل أفريقيا المنالفة من قبائل متغايرة وشعوب متنافرة

وليس الازهر بأقل ضمانه أو أقل فعلا من غيره من الوسائل التي يجب على فرنسا استخدامها لزيادة نشر نفوذها الأدبي والتدني في العالم الاسلامي المستقر في مملكتها الافريقية . فينبذ نرى أن فرنسا قد نيطت بها بطبيعة الحال وظيفة يجب عليها أن لا تخل عنها وذلك أنها بصفتها وارثة لملوك تونس فليس لحكومتها الجمهورية أن تنسى أن الباي محمد صاحب تونس هو الذي أسس في حدود سنة ٨٠٠ للهجرة رواق المغاربة في الازهر وما يتبعه من الاوقاف وخصمه لاقامة ومهيشة رعاياه من أبناء المغاربة الذين يرحلون من بلادهم لطلب العلم بالازهر مجنوبين الى هذه المدرسة التي هي كنبراس للعلوم الاسلامية قد أرسل أشعته وأتواره على الاقطار والأصقاع كافة

ثم جاء عبد الرحمن باي تونس (يقول المترجم هذا خلط مع المرحوم عبد الرحمن بك كتخذا اذ ليس في بايات تونس عبد الرحمن المذكور) وجم غفير من أبناء الغرب مثله زادوا على توالي الزمان في الأوقاف المخصصة لرواق المغاربة بالازهر فلما انحلت عرى الجامعة وتضعفت اركان الدولة الاسلامية انجمت الآثار وضاعت الرسوم وانسدل على أمور الازهر حجاب من النسيان فغار أبناء طرابلس على رواق المغاربة وجعلوا

أنفسهم أصحاب الاستحقاق حتى ارتفع بعدان لم يكن شيئاً مذكوراً عدد الطلبة منهم في أيامنا هذه الى ٥٠ مجاوراً من ١١٨ مغريباً وربما كان السبب في زيادة نسبتهم كون بلادهم ملاصقة لديار مصر أو زيادة العناية من المشايخ الطرابلسيين فاذا كان هذا الأمر مضرراً بمصالح الرعايا المستظلين بالالواء الفرنسي من الراكشين والجزائريين والتونسيين الذين يجاورون بالازهر أو يترشحون لذلك، فلا ريب في أنه مضر أيضاً ضرراً بليفاً بصالح فرنسا إذ يجرها من وسيلة فعالة في نشر نفوذها الادبي والتهذيبي بين الامم الاسلامية العائشة في مملكتها الافريقية

ولا يصح لنا ان نفعل عن كون السلطان عبد العزيز سلطان مراکش بصفته مالكي المذهب يعتبر في قسم عظيم من افريقية الشمالية انه هو النائب الشرعي الاكبر للجماعة اي جماعة اهل السنة من المسلمين وليس لنا ان ننسى ايضاً من جهة اخرى اننا اذا صرفنا النظر عن الشافعية وهم السواد الاعظم من المجاورين وليكنهم كلهم من اهل هذه الديار نجد ان الحنفية المتبعين للمذهب السائد في المشرق والمالكية اي المتتمين لمذهب امام دار الهجرة وهو الشافعية في المغرب يبلغ عددهم ٧٢ و ٧٧ (في المئة) وفي ذلك دليل على ان اواصر القرابة الروحية بين الازهر والامة الاسلامية بأفريقية الفرنسية هي كثيرة الالتئام متينة الاحكام بحيث لا يجوز التغاضي عنها لمن اراد ان يقوم بسياسة الدخول والامتزاج في افريقية الشمالية الغربية وجعل المهارة قائدهم والاحتراس رائدهم ليفوز من عمله بالقسط الاوفر ويتكفل مسعاه بالنجاح الاوفى . ليس من نيتنا ان نتدخل بأي وجه كان في امور الازهر الداخلية فالتناغم مقدار تعلقه بماله من الاستقلال وحفاظته على كيانه مع خراب سائر النظمات الاهلية الاخرى ولذلك نعلم انه ينظر شزراً وغضباً الى كل تدخل اجنبي في شؤونه الخصوصية

نحن نظن ان الاستاذ الاكبر في الازهر لا يخطئنا في زعمنا الذي نراه وفي دعوانا التي ندعها وذلك انه طالما جاهر الناس ونادوا على رؤوس الاشهاد ان فرنسا لها وظيفة مقدسة في المشرق وهي حماية طائفة الكاثوليك وهم لا يتجاوزون بضعة الآلاف عدداً فن باب أولى يجوز لنا أن نقول ان على الجمهورية في البلاد الاسلامية واجباً أقدس وفرضاً ألزم الا وهو حماية المسلمين ايضاً وعددهم يتجاوز الملايين .

ان حكومة الجمهورية الفرنسية تنفق الاموال الطائلة لاستمرار المدارس النصرانية في بلاد المشرق فهل تكون مخطئة اذا طلبت من الاستاذ الاكبر ومفتي الديار المصرية الاذن في الجري على سنة الملوك والاغنياء المغاربة الذين آلت اليها محالهم واملاكهم وذلك بأن نجعل في ميزانيتها اعانة سنوية لتكون بمثابة وقف على رواق المغاربة في الازهر

لاريب ان مشايخ الازهر لا يرفضون الوسائل التي يكون من ورائها اقبال الطلاب على دروسهم وزيادة من يتلقى العلم عنهم فتنتشر تعاليمهم بفضل عناية الجمهورية الحرة الكريمة الشيم فتزيد نفوذ فرنسا الادبي في شمال افريقية العربي

وبذلك ينتهي ايضا الخلاف القائم الآن بين طلبة الرواق وشيوخهم الحالي الذي يهتمونه بتوزيع النصيب الاعظم من الابرار على ابناء وطنه ومن اخص المزاي التي تنتج عن هذا العمل تسهيل الامتزاج بين مسلمي سواحل بحر الروم الجنوبية وبين المدنية الغربية وبذلك الامتزاج يمكن تحقيق تلك الاماني الجسام وتجديد مارآه التاريخ في سالف الايام من مآثر المفاخر وآثار الفخار التي تولدت في العالم بأسره واضاءت الكون كله حينما افتادت ازمة الاحكام بأيدي العرب الاجداد في اسبانيا وصقلية فادهشوا الدنيا بما ابتكرته قرايحهم الصافية من عجائب الغرائب وروائع البدائع اه

(المنار) لقد بالغ الكاتب في بعض ما كتب وكان دقيق النظر في بعضه والروح الذي كان مستحوذاً أعياه هو روح الفيرة على دولته ودلائها على طريق لما تحاوله من استقرار السلطان في امالك الاسلامية المغربية . وقد تجاوز كتاب الفرنسي في هذا الصدد حداً الكثرة في الآراء والافكار ولا نكاد نرى فيهم من يحز في المفصل ولو اهتموا الى استشارة أهل الرأي الصحيح من المسلمين المخلصين للإسلام دون تحيز الى أمرائه وسلاطينه واطمائوا لهم لكان لهم من رأيهم نبراس يهتدون به الى الجادة . يتوهم هؤلاء الكتاب البلقاء والساسة الاذكياء ان خلاصة القول وزخرف الدعاوى يؤثران في نفوس المسلمين حتى يبلغ القائل منها ما يريد من التأثير العقلي والأدبي ولعمري لو نصحت لهم استيفيد الظنة وتكون مجلتي في مستعمراتهم تحت المراقبة على الاقل ولكنني استأذنيهم في كلمة مبنية على الاحتياط الصحيح بعيدة من نزغات السياسة ومفاسيدها وخدايعها وخلايقها

وهي انه لا سبيل لفرنسا الى الوفاق الصحيح مع المسلمين الا بمساعدتهم في مستعمراتها على التعليم الاسلامي ثم المصري وإطلاق الحرية لهم في الدين والفكر، دون الفحش والفساد، وليعتبروا بسيرة انكلترا في مستعمراتها ويعلموا انه يتسنى لهم ان يزدادوا عليها نفوذاً معوياً في العالم الاسلامي اذ اهم زادوا عليها في حرية التربية والتعليم ومن لوازمها حرية المطبوعات والجلائد

نقول هذا حباً بأبناء ملتنا اولا وحباً بالاحرار النافعين للبشر ثانياً واعتقاداً منا بأن وفاق الحكومة الفرنسية مع اهل الجزائر وتونس ظاهر أو باطناً خير للفريقين من الخضوع لجبروت القوة والسيطرة الذي يفسد القوي الحاكم ابتداءً والضعيف المحكوم اخيراً اذ الشدة هي اعظم مرب للامم والشعوب، وانما كان خيراً لهما مما لا يجمع بين منفعة الفريقين في الحال والاستقبال . وقد لاح لنا ان فرنسا انشأت تشمر بأن هذا هو الرأي انصواب وانما نحن نذكرها بأن الاقتناع به يجب ان يكون بالعمل دون القول ومدح الحكومة الجمهورية بالانتصار للضعفاء والتحرير للمستعبدين . ويجب ان يكون العمل في الجزائر ثم في تونس لاني مصر فائتاق الف دينار على التعليم في الجزائر مع الحرية الدينية التامة هو اقوى تأثيراً من اعطاء مليون دينار للازهر واشد اقناعاً حتى لاهل الازهر يحسن نية فرنسا واتقاء الخطر على الاسلام نفسه في تسلطها على المسلمين

أما النظر في المقالة من الجهة السياسية فقد كتبت مقالة في المؤيد الصادر في ٣٠ رمضان جاء فيها بعد ذكر أمهات مسائل المقالة ما خلاصة ما نصه:

وفي هذه المقالة وجوه من العبر اهمها المقابلة بين فرنسا وانكلترا التي اعترف الكاتب بأنها ضريبة فرنسا في نشر الحضارة في المشرق والنفوذ في العالم الاسلامي أما انكلترا فقد احتلت مصر منذ نحو ربع قرن وعظم نفوذها فيها مع عدم اعتراف أوروبا لها بذلك حتى كان الوفاق الفرنسي الانكليزي وأذنت أوروبا للاحتلال تبعاً لفرنسا ووعدت بعدم التعرض له ومع ذلك لم تر من انكلترا تعرضاً للازهر ولا ميلاً لنشر نفوذها فيه كما نشرته في جميع مصالح الحكومة المصرية ولم يقم من ساسة الانكليز وكابهم من يطالب حكومته باستعمال الازهر للتأثير في العالم الاسلامي

وأما فرنسا التي كانت تعارض الاحتلال خوفاً منه على ضياع مصالحها ونفوذها في مصر فأنها ما أمنت على هذه المصالح بالوفاق الأخير مع انكلترا حتى قدح ساسنها زناد الفكر في استنباط الوسائل لبث نفوذها في أعظم معهد للتعليم الاسلامي وجعله آلة لنشر نفوذها العقلي والأدبي في المسلمين والشرق ولعلها تريد أن تؤيد العلم والحضارة فيه كما أيدهما في الجزائر ولو كانت هي المحتلة في مصر فماذا كانت فاعلة بالازهر؟

إذا كان كاتب تلك المقالة لا يشك في قبول مساعدة مشايخ الازهر لفرنسا فانما نحن نقطع ونحزم بعدم قبولها بالقصد الذي اقترحه . وأما اذا قدمت الاعانة المالية للازهر على أن تتصرف فيها ادارة الازهر كما تشاء من غير أن يكون لفرنسا حق في كيفية صرفها ولا في السؤال عن حالة مجاوري المغاربة وملاحظة احوالهم أو تعليمهم فيحتمل ان يقللها فضيلة شيخ الجامع كما يقبل سائر الاعانات والمساعدات من المتبرعين . واذا كانت فرنسا تحب أن يكون لها نفوذ عقلي أدبي في مسلمي مملكتها الافريقية المتحققة والمأمولة فلتطلق للمسلمين في الجزائر حرية العلم والتعلم من غير مراقبة ولتساعدهم على ذلك بالفعل ليظهر له اثر في الوجود يوثق به لبعده عن نزغات السياسة والا كانت هذه الاقوال والاقتراحات مثاراً لسوء ظن المسلمين بفرنسا وحزمهم بأنه لا توجد دولة اوروبية ناصرة للحرية الدينية والعلمية غير انكلترا فالأقوال والدعاوى لا تقنع أحداً وإنما العبرة بالأعمال (م. ر)

أنا على البرية

﴿تفسير ابن جرير الطبري - انتقاد شواهد في الطبعة الاولى﴾

الى السيد المحترم مني . مجلة المنار الغراء

السلام عليكم ورحمة الله أما بعد فقد كاد يركز في الطابع ان نقد المطبوعات من دلائل الحياة في الامم وشعر كل من أقدم على نشر كتاب ان إظهار أخطائه من دلائل العناية به بعد أن كان ذلك قبلاً على النفوس والاسماع شأن الحق عند من لا يريد له ولما كنت ممن يرون وجوب النقد وإصلاح الخطأ ليجتنب كل طابع فيما ينشر وكل مؤلف فيما يكتب جئتكم راجياً نشر كلتي هذه

ظهر في عالم المطبوعات كتاب جليل لامام عظيم ذلك تفسير محمد بن جرير الطبري كتاب طالما استشرفت الانفس الى قراءته واقتباس فوائده

اقتضت هذا الكتاب وشغفت ببطائعه فوجدت له كثيرا من الامتياز علم غيره من كتب التأويل ومن ذلك انه جمع فيه ما يقرب من ألف وتسعمائة شاهد من منظوم العرب الذين يحتاج بهم في اللغة العربية فزادني ذلك فيه جيا •

ولكن كانت تدخلي الريبة في كثير من الشواهد لاستغلاق معانيها واعوجاج مبانيها فغيت بجمعها وترتيبها على حروف المعجم ثم شرعت اقبالها على أصولها في كتب اللغة ودواوين العرب فهالني ان وجدت ما يقارب النصف محررا على أصله في ذلك نجرافاً يخل باللفظ والمعنى ومنه ما يخل بالوزن وكنت رأيت على أول صفحة من الكتاب ان الكتاب صحح بعناية جمع من أفاضل العلماء وروجت شواهد على مظانها ولكن كذب الخبر الخبر فعمدت الى نسختي فصحيحها ثم رأيت من الواجب على ان أعلن ذلك على صفحات مجلتكم القراء لا من أولها أن يصحح مقتو الكتاب ما عندهم من نسخه ثانياً ما أن يعرف الطابعون أن وراءهم من ينقب عن أغلاطهم لعلهم يهتمون بالتصحيح فعلا أقولا وهاتذا أبدأ اليوم باربعة وثلاثين شاهداً وسأوافيك بما بقي ان شاء الله • (محمد الحضري)

الشواهد من معلقة طرفة

- (١) تبارى عناقاً ناحيات وأتبعت وظيفا وظيفا فوق مور معية
جاء في الجزء الاول (ص ٥٢) وكتب هكذا : تبارى عنان الناحيات : الخ
- (٢) كأن كنانى ضالة يكتفانها وأطرقسى تحت صلب مؤيد
ورد في الجزء الثلاثين (ص ٤٢) وكتب الشطر الثاني هكذا : واظرف شيء الخ
- (٣) الانهذ الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلى
ورد في ثلاثة مواضع آخرها في الجزء الثلاثين (ص) وكتب بدل الزاجري - الراجزى -
- (٤) أرى الموت يعتام الكرام ويصعفى عقيلة مال الفاحش المتشدد
ورد في الجزء الثلاثين (ص ١٥٤) وكتب بدل يعتام - يقتام - بالفين المعجمة والمتشدد كتب بدلهما المتشدد بالذال المعجمة آخر الحروف ووضع كلمة النفوس بدل الكرام في الشطر الاول

(٥) لعمرك إن الموت ما أخطأ الفقى لكالطول المرخى وثنياء باليد
في الجزء الاول (ص ٣٦٠) ووضع بدل كلمة وثنياء - وتذساء - ولذلك استعمل
المعنى على المصحح فأحال على عدد (٧) وباليته أحال على المعلقة فيعرف ماخفى عليه

﴿ من دالية النافعة ﴾

(٦) وقفت فيها أصيلاً لأسائلها عيت جواباً وما بالربع من أحد
الا أوارى لاياً ما أينها والنوى كالحوض بالملوومة الجلد
جاء البيتان في خمسة مواضع الا انهما جاء في بعضها تامين وفي بعضها مقتصر أفيهما
على ماله الحاجة ففي الجزء الاول (ص ٦٠) كتب الشطر الأول من البيت الثاني هكذا :
* الا أوارى لاياً ما أينها * وكتبوا أسفل الصفحة: هكذا يت بالاصل وهو
كما لا يخفى لا معنى له فلينظر :

وفي الجزء الاول (ص ١٨٠) كتب هذا الشطر بعينه : * الا أوارى لاياً ما أينها *
ولم يعقب عليه هنا ولعله فهمه
وفي الجزء الخامس (ص ١٦٤) وضع الشطر ولكن المصحح لم يفهمه فوضع
وسطه عدد (٧)

وفي الجزء الحادي عشر (ص ١٠٩) وضع بدل كلمة لاياً - لا بأبوحدة ولعله
فهم هنا المعنى فترك البيت من غير تعقب
وفي الجزء الثلاثين (ص ١٢٦) كتب الشطر الثاني من البيت الاول والأول من
الثاني هكذا :

وما بالربع من أحد الا أواروي لاياً ما أينها - (فتموذبلة)
(٧) من وحش وجرة موشى أكارعه طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد
ورد في الجزء السابع (ص ١٦٩) والشطر الاول هكذا :
* من وحش وجوه موسى أكارعه *

ولا ندرى كيف فهمه المصحح وأين غاب عنه عدد (٧)

(٨) الا سليمان اذ قال للمليك له قم في البرية فأحدد هاعن الفند
وخيس الجن انى قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد

البيت الاول ورد في الجزء الاول (ص ٢٢١) وكتب في آخره: على الفند: وهو خطأ
وجاء الثاني في الجزء الثالث عشر (ص ٥٤) وكتب الشطر الثاني هكذا - يبنون تدمي الخ
واشبه المعنى على المصحح فاحال على عدد (٧)

(٩) لا تقذفني بركن لا كفاء له وان تأففك الاعداء بالرقد

ورد في الجزء الثلاثين (ص ١٩٨) وكتب الشطر الثاني هكذا: ولو تؤففك الخ وهو
غلط في الرسم يحرف المعنى

(١٠) أزف الترحل غير ان ركابنا لما نزل برحالتنا وكان قد

في الجزء السابع والعشرين (ص ٤٣) وكتب أول الشطر الثاني هكذا (لما نزل)

(١١) غيت بذلك اذهم لي جيرة منها بعطف رسالة وتودد

في الحادي عشر (ص ٦٥) وورد الشطر الثاني هكذا - منها تعطف وتناله وتودد -

واحيل على عدد ٧

(١٢) والبطن ذو عكن خميص لين والنحر تفججه بشدى مقعد

في السادس (ص ٤٨) وكتب الشطر الثاني هكذا - والبحر منفحة يدي

مقعد - (نعوذ بالله)

(١٣) نجلو بقادمتي حماة أيكة برد أسف لثانه بالأمم

في التاسع عشر (ص ٦٠) وكتب هكذا

نجلوا بقادمتي جماعة أيكة بردا أسف لثانه بالأمم

(١٤) تحب إلى النعمان حتى تناله فدى لك من رب طريقي وتالدي

في الاول (ص ٤٧) وقد كتب الشطر الثاني * فدى لك من رب تليدي وطارفي *

وهو تحريف لان القصيدة دالية وقبل البيت

فلا بد من عوجاه تهوى براكب الى ابن الجلاح سيرها ليل قاصد

(١٥) اربني جوادا مات هزلا لعاني أرى ماترين أو بنجيلا مغلداً

في الاول (ص ٤١٣) وهو من كلمة لحاتم وقد وضع في آخر الشطر الاول كلمة: لانني:

بدل لعاني وهو تحريف

- (١٦) تسمى اذا العيس أدركتنا نكاتها خرقاً يمتادها الطوفان والزود
في التاسع (ص ٢٠) وهو الراعي يصف ناقته وتأمل كيف حرفوه
يضحي اذا العيش أدركنا حرفاً يمتادها الطوفان والرواد
(١٧) فقلت لهم ظنوا بالفي مدحج سراتهم في الفارسي الممرّد
من كلمة لدريد بن الصمة يرثي بها أخاه وقد جاء في موضعين في الثالث عشر
(ص ٥١) وكتب الشطر الاول هكذا - فظنوا بالفي فارس مثث -
وجاء في الخامس والعشرين (ص ٧٦) وكتب الشطر الاول فيه هكذا
• فقلت لهم ظنوا بالفي مدحج •
- (١٨) صادياً يستغيث غير مغاث ولقد كان عصرة المنجود
لابي زيد الطائي وورد في الثاني عشر (ص ١٢٩) ووضع فيه كلمة - عصرة -
بها بدل عصرة بناء
- (١٩) أتيت حزيناً زائراً عن جنابة فكان حريث عن عطائي جامداً
للأعشى يذكر الحرث بن وعلة وهوذة بن علي وكان قصداً الاول فلم يحمدوه وعرج
عنه الى الثاني وورد البيت في موضعين أولهما في الخامس (ص ٤٨) هكذا
أتيت حزيناً زائراً عن جنابة فكان حريث عن عطائي جامداً
الثاني في العشرين (ص ٢٤) هكذا
- أتيت حزيناً زائراً عن جنابة فكان حريث عن عطائي جامداً
(٢٠) تضيفته يوماً فقرب مجامى واصفدني على الزمانة قائداً
من الكلمة السابقة يشير الى هوذة بن علي وكتبت الكلمة الأخيرة هكذا - فائداً -
بناء وصوابها بقاف
- (٢١) فبات يمد النجم في مستجيرة سريع بأيدي الآكلين جودها
في السابع والعشرين (ص ٢٢) هكذا
فبات بعد النجم في سحيرة - (نعوذ بالله)
- (٢٢) فلا انا بدع من حوادث أعتري رجالا عرت من بعد بؤس وأسعد
لعدي بن زيد وورد في السادس والعشرين (ص ٤) ووضع فيه كلمة موس بدل بؤس

- (٢٣) شاقك ظعن الحى حين تحملوا فتكسبوا قطنا يصير خيامها
من معلقة ليبد ورد في الجزء السابع والعشرين (ص ٨٣) وكتب هكذا
سابقك ظعن الحى يوم تحملوا فتكسبوا قطبا يصير خيامها
(٢٤) من كل محفوف يظل عصيه زوج عليه كلة وقوامها
من معلقة ليبد ورد في الجزء الثامن (ص ٤٥) وكتب هكذا
من كل محفوف نطيل غصيه زوج عليه كلة وقوامها
وفزع المصحح الى عدد ٧ ولوفزع الى نسخة من المعلقات لامكنه تصحيح البيت
(٢٥) ففى وقدمها وكانت عادة منه اذا هي عرّدت إقدامها
من معلقة ليبد ورد في الجزء السابع (ص ٩٨) وكتب فيه بدل عرّدت عرب ولا معنى لها
(٢٦) فتوسطا عرض السرى وصدا مسجورة متجاوزا قلامها
من معلقة ليبد ورد في ثلاثة مواضع (١) في الجزء السادس عشر (ص ٤٧) وهنا استبدلت
مسجورة بمسجورة • ومتجاوزا بمتجاوزاً (٢) في السابع والعشرين (ص ١١) وهنا
محمت الغلطة الاولى لان فيها الشاهد وبقيت الثانية على حالها (٣) في الثلاثين (ص ٣٨)
وهنا أنشد البيت صحيحاً •
(٢٧) لمعفر فهد تنازع شلوه غبس كواسب لاين طعامها
من معلقة ليبد في الاول (ص ٢٨٨) وقد حرف اقبح تحريف فكتب هكذا
لمعفر فهد تنازع سلوة غبس كواسب لاين طعامها
(٢٨) حتى اذا يئس الرماة أرسلوا غصفا دواجن قافلا أعصامها
في الثالث عشر (ص ٩١) وكتب بدل الشطر الثاني • عصفاء دواجن ناقلاً أعصامها •
(٢٩) تراك أمكنة اذا لم أرضها أو يعتاق بعض النفوس حمامها
في الخامس والعشرين (ص ٥٥) وكتب بدل تراك: انزال: ويعتاق بالناء وهو غلط
• • •
(٣٠) بها العين والآرام بعشرين خلفه وإطلاؤها ينهضن من كل مجثم
من معلقة زهير في الثاني (ص ٣٧) ووضع فيه بدل خلفه خلفه وبديل مجثم مجثم
وجه أيضاً في التاسع عشر (ص ١٩) وأنشد صحيحاً
(٣١) أنافى سغماً في معرض مرجل ونؤيا كجندم الحوض لم يتسلم •

ورد في الاول (ص ٢٨٥) وفيه شفعا بدل سفعاً وكجرم بدل كجذم

(٣٢) فلما وردن الماء زرقاً جامه وضعن عصي الحاضر المتخيم

في الثلاثين (ص ١٠١) وفيه درقا بدل زرقاً

(٣٣) وقد قلنا أن ندرك السلم واسعاً بمال ومعروف من الامر نسلم

في الثاني (ص ١٨١) وفيه جعل ندرك ونسلم بناء التكلم وهو غلط وإنما هما بالنون

(٣٤) فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كآحمر عاد ثم ترضع ففطم - م

في الثاني (ص ٥٦) وفيه جعل الافعال الثلاثة تنتج وترضع وتفظم بالياء وإنما

هي بالياء لان الحديث عن الحرب المذكورة في قوله

وما الحرب الا ما علمتم وذقم وما هو عنها بالحديث المرحم

(المنار) قدر كنا طريقتنا هنا في نقط الياء المتطرفة لأن الطبعة المنتقدة لا نقط للياء فيها

وهو ما عليه كاتب النقد وتساهلتا في مثل لفظ (الثاني وفي)

(تفسير جزء عم يتساءلون)

تلاميذ المدارس الأميرية وكثير من المدارس الأهلية يحفظون الجزئين الآخرين من القرآن ولكنهم لا يفهمون معاني سورهما التي تلي عادة في الصلاة وقد توجهت عزيمتي الاستاذ الامام رئيس الجمعية الخيرية الى تفسيرهما لأجل قراءة تفسيرهما في مدارس الجمعية إلزاماً وليتفع بهما من شاء من المسلمين في المدارس وغيرها وقد تم تفسيره لجزء « عم يتساءلون » وقال في مقدمته انه كتب « ليكون مرجعاً للأستاذة لمدارس الجمعية في تفهيم التلامذة معاني ما يحفظون من الجزئين لينشئوا متعودين على فهم ما يحفظون . وتدبر ما يقرءون ، وليكون ما في تلك السور ، من دلائل التوحيد والعظات والعبر ، مشرفاً للمعاند السليمة في نفوسهم ، وعاملاً للإصلاح في أعمالهم وأخلاقهم ، » وقد تبرع بحفظه الله بالتفسير للجمعية فطبع على نفقتها

أما الجزء فان أكثر سورته مكية وهي من أول القرآن نزولاً لذلك رآها تقرر أساس الدين وأصوله الكلية بالاجمال وهي توحيد الله تعالى والحياة الآخرة وعمل الخير وترك الشر وهذا ما يحتاج كل ناسي من البشر الى الاهتداء به ولو من غير المسلمين . وأما التفسير فحسبنا ان نقول انه للشيخ محمد عبده ، وان كان لابد من التنبيه على بعض المسائل التي انفرد بتحريرها فيه دون من نعرف من المفسرين فليكن

ذلك ما روي من أن النبي صلى الله عليه وسلم سحر وان سورة الفلق نزلت في ذلك .
ولا تغفل فيه عن الدقة في تجلية المعاني بما يطابق العلم الحديث مع المحافظة على مذهب السلف
كقوله في معنى بنا السماء : والبناء ضم الاجزاء المنفرقة بعضها الى بعض مع ربطها بما يمسكها
حتى يكون عنها بنية واحدة وهكذا صنع الله بالكواكب وضع كلامها على نسبة من الآ خر مع
ما يمسك كلا في مداره حتى كان عنها عالم واحد في النظر سمي باسم واحد وهو السما
التي تعلونا ، الخ

ثم النسخة من الجزء خمسة قروش محيطة فهي على قاتها في مقابلة الكتاب إعانة للجمعية
الخيرية وأجرة البريد قرش واحد وهو يطلب من مكتبة الجمعية ومن ادارة مجلة المنار بمصر

﴿ كتاب الصنائع - الكتابة والشعر ﴾

سبق أهل القرون الثلاثة الأولى للإسلام ببلاغة القول ، وفصاحة المنطق ، وحسن
الاسلوب ، وكال البيان ، وكان ما طرأ على اللغة من العجمة ، وما اختاره الضعفاء من
الصنعة والكلفة ، مغلوبا صاحبه على أمره ، فمغولا في أهل عصره . ثم قوي في القرن
الرابع والخامس سلطان التكلفة ، وكثر عدد الكتاب الاعجميين ، فانبرى أهل الذوق
السليم ، والنقد الصحيح ، من فرسان الآداب ، وأئمة الكتاب ، الى كشف عوارهم ،
وهتك أستارهم ، وكان من السابقين في هذا المضمار أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل
العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ و اشهر ما كتبه في البلاغة كتاب الصنائع . وقد بين سبب
تأليفه في المقدمة ، فأورد امثلة من الكلام الفج الغليظ ، والوخم الثقيل ، مما قاله الاعراب ،
واختاره محبو الغريب والاعراب ، من علماء الاعراب ، ثم قال : فلما رأيت تخليط
هؤلاء الاعلام ، فيما راموا من اختيار الكلام ، ووقفت على موقع هذا العلم من الفضل ،
ومكانه من الشرف والنبيل ، ووجدت الحاجة اليه ماسة ، والكتب المصنفة فيه قليلة .
ـ وذاكران اكبرها واحسنها كتاب البيان والتبيين وقال بعد وصفه وعدم كفايته ـ
فرايت ان أعمل كتابي هذا مشتملا على جميع ما يحتاج اليه في صنعة الكلام نثره ونظمه ،
ويستعمل في محلوله ومعقوده ، من تفسير وإخلال ، وإسهاب وإهذار ،

ثم ذكر ابوابه وما فيها من المسائل كموضوع البلاغة وحدودها ووجوهها وتبين
جيد الكلام من رديئه ومعرفة الصنعة فيه وبيان حسن السبك وجودة الوصف

وذكر الایجاز والاطناب وحسن الاخذ والتضمن وقبحه والقول في التشبيه والسجع والازدواج وانواع البديع ومقاطع الكلام ومبادئه . وفي كل باب وفصل منه من الامثلة المختارة ما يطبع مملكة البلاغة في النفوس المستعدة . وقد طبع الكتاب طبعاً جميلاً في الاسنانة على نفقة احمد فندي ناجي الجملي ومحمد امين افندي الخانجي الكتبي ويطلب منهما ومن إدارة مجلة المنار وثمان النسخة منه غير مجلدة عشرة قروش صحيحة والمجلدة تجلید افرنجی ١٥٥ وأجرة البريد قرشان

تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب

(وفكتور هوکو)

وهو كما قال ناشره «يشتمل على مقدمات تاريخية واجتماعية في علم الادب عند الافرنج وما يقابله من ذلك عند العرب من ابان تمدنهم الى عصورهم الوسطى وما اقتبسه الافرنج عنهم من الادب والشعر في نهضتهم الاخيرة وخصوصاً على يد فيكتور هوکو . ويلحق بذلك ترجمة هذا الشاعر الفيلسوف ووصف مناقبه ومواهبه ومؤلفاته ومنظوماته وغير ذلك » طبع الكتاب في مطبعة الهلال بنفقته وكان نشر في الهلال وقد عزي الى المقدسي (ونظن انه محمد روجي افندي الخالدي الشهير) والكتاب مما يقرأ ويشكر لمؤلفه العناية بصنيفه لما فيه من الفوائد التي تذكر أبناء هذه اللغة بما يجب عليهم لا حياء لغتهم وما يفتح لمدادها من الابواب الجديدة للفكر والشعر . ولولا ضيق في الوقت وكثرة في الكتب المهداة الجديرة بالنظر فيها لوفيته حقه من النقد وقد فتحته عند كتابة هذه الكلمات فوقع نظري في الصفحة (٥١) على ذكر اشهر الشعراء المولدين فاذا هو يقول في ابي تمام : هو ميا لالتصنع والتكلف والتعويض في المعاني : ولم يصفه ولا شعره باكثر من هذا وقد ظلمه فهو ولا تكرر الصنعة والتفاوت في كلامه في مقدمة الطبعة العليا وله من المحاسن ما لم يدرك فيه شأواً احد ممن حاول مجاراته . وذكر ابانواس فقال : وله سبك جيد وحلاوة ورقة : وهو ما وصفه به المتقدمون ولكن كان يجب ان يوفيه حقه فهو اشعر المولدين على الاطلاق حاشا لبشار ابن برده والكتاب يطلب من مكتبة الهلال وثمان عشرة قروش

(إرشاد المقاصد * الى أسنى المقاصد)

رسالة نفيسة لشيخ شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري السنجاري من علماء القرن الثامن (توفي سنة ٧٤٩) ذكر فيها أنواع العلوم وأصنافها وموضوعاتها ومنافعها ومراتبها فذكر ستين علماً وأرشد في كل علم الى كتب من أحسن ما صنف فيه ومنها علم النوايس وعلم البيطرة والبيزرة وعلم المرايا المحرقة وعلم عقود الابنية وعلم مراكز الانتقال وعلم حير الانتقال وعلم انبساط المياه وعلم البنكومات وعلم الآلات الحربية . ومن هذه الرسالة يتبين لمن لم يطلع حق الاطلاع على تاريخ المسلمين أن سلفنا رحمهم الله لم يتركوا علماً من علوم العمران وغيرها الا واشتغلوا به وحصلوه وألّفوا فيه وقد اخترنا ذكر بعض العلوم التي صارت غريبة عندنا حتى ان علماء الازهر لا يدرون موضوعاتها ولا أن سلفهم الصالح اشتغل بها فلما ذكره من سائر العلوم الرياضية والطبيعية والاجتماعية كعلم السياسة وعلم تسطيع الكرة وعلم الآلات الظلية وعلم حساب التخت والميل ، ولو اقترح على علماء الازهر إدخال شيء من هذه العلوم فيه لما حوا صيحة منكروة وقالوا: إن هذا الا إزهاق لروح الدين ، وإبطال لعلومه من المسلمين ، فهل نصدق أنهم أغرق في الدين من آباءهم الاولين ، وسلفهم الصالحين ؟ وقد أحيا هذه الرسالة بمد ما قبرت في المكاتب القديمة الشيخ طاهر المغربي الشهير بغيرته وعلمه وأصلح بالمقابلة على ما عثر عليه من نسخها ما أقصد النساخ فيها وطبعت على نفقة أسعد بك حيدر احد وجهاء قضاء بعلبك وصاحبها سليم أفندي البخاري من علماء دمشق فجزى الله الاستاذين واليك الجزاء الحسن على ما أحسنالينا بهذه النصيحة والموعظة الحسنة

— الزهرة السوداء —

قصة لاسكندر دوماس الكبير ، الكاتب الفرنسي الشهير ، نقلها الى اللغة العربية سامي أفندي نوار وموضوعها ان أحد علماء النبات كان مشغولاً باتخاذ الوسائل الصناعية لاجاد زهرة سوداء من « الطوليب » وأن حاسداً كسولاً من جيرانه كان يراقبه يسرق الزهرة اذا هي وجدت ليفوز بشرف الاختراع وبالجائزة التي عينتها لجنة معرض الزهور لمن يجي بالزهرة وهي مئة ألف جنيه . ثم سجن العالم بذنوب سياسي أنهم به فعشق ابنة السجان وعشقه وساعدته على تربية الزهرة بعد ما وجد

بصلة نباتها، وهياماً بالصناعة لانياتها، حتى اذا ما ظهرت سرقتها المراقب وقدمها للجنة الزراعة وكاد يفوز بالجائزة لولا أن تأثرته البذت وأثبتت سرقة إياها بوجهه كان مبرئاً لعاشقها من الذنب السياسي وانتهت القصة بتزوجه بها

هذا هو الموضوع كله ولكنه مبسوط في ٢٤٠ صفحة بسطاً يروق ويفيد بما فيه من تصوير سلامة القلب وكرم الاخلاق والتوله في حب العلم والعشق الجميل بالعفة والنزاهة . كما يفيد الكتاب ، بأسلوب الاسهاب ، وقد أودعها المترجم من التذنيه على مواضع الاستفادة بما وضعه في خلال الكلام بين الاقواس ما يزيد في فائدتها الادبية . وقد طبع القصة صاحب مكتبة الشعب في مطبعته وهي تطالب منها ونمها خمسة قروش صحيحة

﴿ برج الخفاء ﴾

سبق ذكر هذه القصة في تقرير سوابقها وقد صدرت بعد صدورهن وفيها من الفوائد تصوير الصدق والوفاء في الصحبة وتمثيل الروابط الطيعية بين الاهل والاقربين وكيف تناخ كها في بيوت المجد ويان . و عاقبة فاسدي الاخلاق في أنفسهم وأهلهم ولاتنس مامهدت له القصة التي قبلها من بيان طريق اختيار الازواج وما للافرنج من الخيل في ذلك فمسي أن يذنبه قراء هذه القصص لهذه العبر ولا يكون حظهم منها محض التفكه كالجاهلين الذين يرون العبر بأعينهم في الخليفة كل يوم ولا يفقهون (الأرجوزة المصرية)

نظم أخنوخ أفندي فانوس المحامي المشهور بمصر أرجوزة سماها بهذا الاسم . نجحت في تاريخ اليابان وأسباب تقدمها وفي أن كثيراً من الشرائع الدينية جاءت بحسب الظروف والمكان ، ونصائح للأمة المصرية ، وتحرير المرأة ، وأضرار تعدد الزوجات ، وأضرار الطلاق والتسري ، وغير ذلك من المباحث الهامة . بهذا عرفها وقدمها الى الأمة المصرية سلالة أولئك الفراغة ورعاياهم الذين تنطق آثارهم بمدنيهم والى الانسانية . ولما نورد منها أمثلة قال في فاعمتها

ماللياني عن خباء مالا فزلزل السهول والحيالا
وذكره صبح في الآذان يشجي نفوس القوم كاللحان

وبطشه قد سار في الركبان أحد وثة الفرسان والشجمان
وحبه للموت والجهاد في خدمة الاوطان والبلاد
أضحى نشيد القوم في (النوادي) لم نخل منه بقعة أو وادي
قد حير الالباب والعقولا اذ خالف المعقول والمنقولا
فيلا شبلا نراه أسدا في لحظة معفراً ومرعدا
قد ازبأر الشبل والناب بدا فاندعر الدب فولى وعدا
وكل يوم يكشف الستار عن آية فيها النهي تحار
لكن هذى آية الزمان هادية الشيوخ والشبان

ثم ذكر أن لكل شيء سبباً وأن سبب ارتقاء اليابان ما وجهها لها الميكادو الحاضر من الحرية في الرأي والدين والروية وانتقل من هنا الى ذم التعصب الذميمة الذي يخرب البلاد ويهلك الامم ومنه الى اختلاف الشرائع والاديان باختلاف الزمان والمكان وذكر الامثلة من لدن آدم حتى انتهى الى كلمة المسيح «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» فنظمها هكذا

أما ترى المسيح ابن مريم إذ قال قولاً صائباً ومحكماً
لما به احتاطوا وقالوا مكرأ العشر أعطي قيصر أم نمرى
قال لهم وقوله حكم سرى لله أعطوا ماله وقيصرأ
ثم زعم أن اليابان أدركوا هذه الحكمة فانطلقوا من يؤسهم للنعمة وذلك أن كتاب النصارى يأخذون من هذه الكلمة أكثر مما تعطي والناظم حسن القصد وان كان يعلم انه لم يكن في اليابان اديان متنازعة وأن تنازعها كان سبب ضعفها السابق وان الحرية التي منحها الميكادو للامة التي هي أزال التعصب حتى تسنى لها النهوض والارتقاء .
ويعلم أن الديانة البوذية لانهصب فيها ولذلك سهل على القوم اقتباس العلوم والصنائع الاوروبية عند ما أحسوا بالحاجة اليها بعد ما أرسلت اليهم حكومة الولايات المتحدة سفينة الحربية ونكلت بهم تكيلا . فن هذه الجهة يصح ان نعتبر بمضرة الجمود الذي يحول بيننا وبين اقتباس العلوم والصنائع النافعة لاسيما الحربية من الامم القوية وان هذا الجمود الذي نسميه ديناً هو خلاف أمر الدين وسبب لضعفه وإذلال أهله .
ثم ذكر ما يقصد من النصيحة بنظم الارجوزة وهو

وهذه نصيحتي الصفية اليكم من خالص الطوية
 أن تجملوا المسائل الدينية في حيز عن صالح الأرضية
 وتقفوا في وجه كل مفسد وقفة من لا ينتفي كالأسد
 وتجملوا المصرية الاخاء وكل شيء دونها هباء
 ومن هنا استطرد الى ذكر النصائح في النساء والتعالم وختمها بنصيحة الأمير فقال
 اليك يا مليكنا المعظما تبسط كفا سائلا مسترحما
 رعاية للامة الحزينة قبل فوات الفرص الثمينة
 فلو سمن للفضلا المجالا تحط في رحابك الرحالا
 واقصين الكاذب الخديسا وأبعدن الخائن الدسيسة
 واجعل لديك الرتب السنية جوهرة ثمينة عليه
 ينالها التوابغ المعظام أهل العلا الافاضل الاعلام
 فزدهي في ملكك الآداب ويختفي من أرضك المعاب
 وامسك بحسن الرأي والمشورة من خبرة وخسكة مشهورة
 ونظم سائر الارجوزة كما ترى ولعل نصائحها تنفع المستعمل لقبولها

(كتاب حافظ ابراهيم الى الشيخ محمد عبده)

لما قدم حافظ أفندي ابراهيم الجزء الاول من ترجمة البؤساء الى الاستاذ الامام
 كتب اليه الاستاذ كتاب شكر نشرناه في الجزء السابع من المجلد السادس (ص ٢٧٨)
 وقد جاء فيه : « فان كان البؤس قد هبط على صاحبه (أي مؤلف الكتاب) بتلك
 الحكمة ، تم كان سبباً في امتيازك من بين المترفين بتلك النعمة ، (الترجمة) سألت الله
 أن يزيد وفرك من هذا البؤس حتى يتم الكتاب على عوفا ابتداءً لخو قد كتب حافظ
 في هذه الايام بهذا الكتاب الى الاستاذ يذكره بملك الدعوة وبذكر من تأثيرها
 قال : مولاي الاستاذ الامام

دار القللك دورته ، وضرب الدهر ضربه ، فشابت ناصية الامل ، ونبت عذار الملل ،
 وجاشت إلى النفس أول مرة فردت على مكروهما فاستقرت
 ولولا يقين أخذته عنك ، وخوف لله لمسته منك ، لنعاني الأدب في ناديك ،

وخرجت منها وأنا أناديك، أيها المحب لأعدائه، الرحيم البر بأوليائه،

إني رجوتك للدنيا وعاجلها كما رجوتك يوم الدين للدين

فإن فاتني ذلك منك في دار الفناء، فلن يفوتني ان شاء الله في دار البقاء، ولكنني ذكرت عزمك فشدمني، ونظرت في ماثور قولك فرقه عني، فبت استغفر، ما كنت استغر، وجمعت أتمز من تلك الصباية الباقية، وآتدم بالصبر على تكاليف هذه الثانية، نصبت الأولى، وعزني الصبر على الثانية، فعمدت الى التماس ما فوق الصبر ان كان فوقه فوق. فما زلت انظر الى الدنيا من بعيد، وأتمثل فيها بقول مسلم بن الوليد: دلت على نفسها الدنيا وصدقها ما استرجع الدهر مما كان أعطاني

حتى ذكرت تلك الدعوة التي دعوت علي في ذلك الكتاب الذي تقدمت به الي، فيها أيها الحكيم الذي لا يفاجا في دهره، ولا يبادر في شيء من أمره، لم يكن فاك من فلاسفة الهند (١)، فيتجمل بالصبر عن لمس النقود، ولا بالساكن في عين شمس. (٢) فيصرع الاماني بقوة النفس، ولكنه ذلك المخلوق الذي عقى نفسه، وتوات الكواكب نحسه ونكسه، كلما وقت لامر وقتا ضحك من المقدار، أو حسب لشي، حساباً أفسده عليه الليل والنهار، فهو في خفض الا من العيش، وفي عزلة الاعن الدهش والطلش، فأنفحه أيها الامام بنفحة من نفحاتك، وأدركه أيها الخاص بدعوة من دعواتك، فإني رأيتها الى السماء أقرب منها الى فيك، والى استجابة الله أسرع منك الى من يناديك، ولا تنزل أمري على الجراءة عليك، اذا نفقت في هذا الكتاب جملة حالي اليك، فإني صاحب الدعوة الأولى، ولك في محوها اليد الطولى، فكن صاحب الثانية، والافهي القاضية، اه

(١) يشير الكاتب الى فيلسوف من صوفية الهند البراهمة وفد على مصر في الشهر الماضي وهو ممن لم يمض في عمره نقداً وإنما يعيش ويسافر على التوكل وقد زار الاستاذ الامام وتكلم في مسألة القدر وغيرها من معضلات المسائل الدينية والصوفية والفلسفية فقال الاستاذ انه صوفي قح قد اتحد عقله وقلبه فيما هو عليه من علم واعتقاد، ولا يخفى أن المسلمين أخذوا التصوف الذي أساسه الوحدة والزهادة عن الهند (٢) يريد الكاتب بالساكن في عين شمس الاستاذ الامام نفسه

حسن باشا عاصم

ليس من شأن المنابر أن يذكر من الاخبار، الا ما هو محل العظة والاعتبار، وليس في الاتعاظ بالحوادث أبغ من حوادث رجال الاستقلال والاستقامة وقد شهد كل من عرف حسن باشا عاصم من وطني وأجنبي أنه في مقدمة رجال العلم والعمل والاستقلال والاستقامة والادارة والنظام عرفوا ذلك منه بالمشاهدة والاختبار اذ كان رئيساً للنيابة ثم قاضياً أهلياً ثم رئيساً للتشريفات الحديوية ثم رئيساً للديوان الحديوي - وقد أخذ الامير من كرسي القضاء الى قصر الامارة لما عرف عنه من الجِد والنظام وكانت دائرة التشريفات قبله مختلة فأقامها على نظام ثابت خضع له حتى الاجانب ثم رقاها الى أكبر وظيفة في القصر وهي رئاسة الديوان الحديوي فكان صاحب المؤيد يومئذ يفتخر بحسن اختيار الامير للرجال تفضيلاً له على اختيار الحكومة التي تخرج مثل حشمت باشا من المديرين وتقر فيها مثل فلان وفلان

وقد حدث في أواخر رمضان أن أحال الأمير هذا الرجل على المعاش من غير سبب ذكر في أمر الاحالة فدهش الناس لذلك وما فتشوا يلهمجون به. وقد انفقت الجرائد المنتشرة التي لها رأي على الثناء على حسن باشا والاعتراف بفضله واستقامته ومن أصحابها من اكتفى بالشهادة له بالاستقامة والصدق في خدمة الامة وخدمة الامير كصاحب المؤيد والاهرام ومنها ما ذكر مع الثناء تعليلاً للاحالة على المعاش كالمقطع فانه ذكر ان حسن باشا في عدله واستقامته قد خلق لان يكون قاضياً لا لان يكون في بلاط الامراء... واما اللواء فانه رجح أن سبب الاحالة غضب الامير على رئيس ديوانه منذ حدثت مسألة استبدال مزرعة الأمير المعروفة بمشتهر بأرض لديوان الاوقاف في الجزيرة والمسألة مشهورة وملخصها أن طالب الاستبدال كان طلب من ديوان الاوقاف ثلاثين الف جنيه زيادة فما رضي الديوان حتى أخذ منه عشرين الف جنيه فكانت الحسارة بالنسبة الى طلبه الاول حسين ألف جنيه وكان ذلك بموافقة حسن باشا اذ كان عضواً نائباً عن الامير في مجلس ديوان الاوقاف الاعلى الذي تجري أمثال هذه الاعمال بموافقة والتفصيل معروف للناس فلا يطيل به

ومهما كان من السبب في ذلك فان أهل العقل والفضل آسفون لحرمان حكومة

البلاد من خدمة هذا الرجل النافعة وجازمون بأن هذا من دلائل الانحطاط .
ونحن جازمون مع هذا بأن حرمان الحكومة من خدمته ربما يكون سبباً لزيادة حظ
الامة منها فقد كان على اشتغاله بأعمال الحكومة يخدم الجمعية الخيرية أجل خدمة وكذلك
جمعية إحياء العلوم العربية فكيف به وقد صار وقته أوسع وقد عرفناه لا يضيع شيئاً
من الوقت سدى باختيائه . وإنما كتبنا هذه الكلمات التي هي عند المصريين من قبيل
النساء ، فوقنا : نرغب من يقرأ ألتار في سائر البلاد ، في التأسي برجال الجهد والاجتهاد ،

﴿ استعراض الامير لجيش الاحتلال احتفالاً بجلوس ملك الانكليز ﴾
جرت عادة المحتلين بأن يستعرض عيدهم جيش الاحتلال في ميدان قصر
عابدين لما لا يخفى وقد سبق من توفيق باشا الحديو السابق الترامي للجيش من شرفة
القصر ولكن عباس باشا الحديو الحالي أعرض عن ذلك ، حتى كان في احتفال هذا
العام وكان في أول أيام الصيام أن خرج بملابسه العسكرية وحضر الاستعراض مع
الورد كرومر تحت العلم الانكليزي فكان لذلك تأثير عظيم في النفوس واحمى بهذا
مماسقه من قبيله ما كان يتوهمه الدهماء من أن الامير هو المعارض للمحتلين وان النظار
هم للشايون لهم وعلموا أنه أشد من نظاره وفاقامهم لان أوائلهم وافقونهم لمكان القوة فيما
يريدون ، وهو يمنحهم أكثر مما يطعمون ، ولا نقول الا ان مظهره وتبين نافع وان
خفاً الحقيقة قبله كان ضاراً لما فيه من غش الامة والقذف بها في معامي الغرور
والوهم ، فللا مير وفقه الله تعالى لكل ما يرضيه الشكر أن كذب بعمله أولئك المغررين
المخادعين الذين شغلوا قلوب الناس بمسألة وهمية وهي مقاومة المحتلين ونسأل الله
تعالى أن يوفق أهل هذه البلاد الى الاستفادة من هذه الحالة بالمحافظة على أرضهم
وتبنيها وعمارتها وبالغاية بتربية أولادهم وتعليمهم العلم النافع ليحيوا حياة اجتماعية
شريفة يرتقون بها الى أن يكونوا أمة عزيزة فان الحرية الهادئة لا يرتقي فيها
الا للهدب المقتصد ومن اتبع فيها هواه ، خسر دينه وديناه

— امارة نجد —

علم الواقفون على أخبار البلاد العربية أن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل
وارث امارة نجد قد اتصر على ابن الرشيد في ملحمة فاصلة في ١٧ رجب فانهمز الى طرف

الإمارة تاركاً كل مامعه من السلاح والذخائر والمال الناطق والصامت حتى قدروا خسارته بمبلغ ٢٢٠ ألف ليرة عثمانية على الأقل وقتل عن معه ٤٨٥ رجلاً ولم يقتل من جماعة ابن سعود الا خمسة عشر رجلاً ٢ من عنيزه و ٤ من الرس و ٣ من بريدة والباقي من اهل الجنوب . ولو شئنا لذكرنا عدد ماترك ابن الرشيد من الابل والغنم والحيل والمدافع ولكن لفائدة في التفصيل وانما الفائدة في بيان خطأ أشهر بواسطة الجرائد المكاذبة التي تكتب ما عليه الدينار أو الهوى فان بعض أغنياء العرب من انصار ابن الرشيد يوهمون الدولة بواسطة الجرائد وحكام العراق والحجاز والشام ان ابن سعود يريد ان يؤسس دولة مستقلة بضم الحجاز الى نجد بحماية الانكليز وانه لا وسيلة الى منع ذلك الا بنصر ابن الرشيد عليه وقد اتخذت الدولة اولاً فأمدت ابن الرشيد بالمال والسلاح والرجال ولكن لم يفي الممدد شيئاً ثم أشاعت الجرائد الكاذبة زعمها انتصار ابن الرشيد أن الدولة جهزت جيشاً آخر من الشام لمساعدته وظهر كذبها

والحقيقة التي علمناها من مصادر متعددة بريئة من السياسة وخداعها وأهوائها ان ابن مسعود يريد أن يكون تحت سيادة الدولة العثمانية وان يجعل لها من الحقوق والسلطة في نجد أكثر مما كان لها بشرط واحد وهو أن لا تدخل القوانين في تلك البلاد فان أهلها لا يقبلون الا حكم الكتاب والسنة. وقد اجتهد ابن سعود في عرض رغبته هذه على الدولة وإيصالها الى السلطان ولكن أعوان ابن الرشيد في العراق والحجاز حالوا دون ذلك حتى تكفل به نقيب الاشراف في البصرة ويظن انه أوصله الى السلطان ولكن لا ندري أظهر كل الحقيقة أم قصت سياسته باظهار بعضها وإخفاء بعض ولا حاجة لايهام الدولة بأن ابن سعود يلجأ الى الحماية الانكليزية اذا هي أصرت على امداد ابن الرشيد واسعاذه فاتنا نعلم أنه وقومه في مصيبتهم الدينية الشديدة يفضلون الفناء على الالتجاء الى الانكليز ونعلم ان أكثر البلاد العربية تخضع له وتبغض ابن الرشيد لظلمه ولو شاء أن يستجدها ليعن لا نجدوه فان بلاده متصلة ببلادهم وان الخير للدولة ان تعيد هذه الإمارة الى نصابها وان كانت في ريب من امره فلترسل اليه من اهل العلم والدين من تتق بهم ليقفوا على صحة ما قلنا والله الموفق

المسحاة

١٣١٥

فيشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

بوتني الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و«منارا» كنار الطريق)

(مصر - الجمعة ١٦ شوال سنة ١٣٢٢ - ٢٣ دسمبر (ك) سنة ١٩٠٤)

القسم الديني

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

(١٨٩: ١٨) يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْإِهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَلِحِجَّ،
وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأَتَى
الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

ذكر الله تعالى حكم الاموال عقيب ذكر أحكام الصيام لما تقدم من المناسبة،
والصيام عبادة موقوتة لا يتمدى فرضها شهر رمضان والاموال وسيلة لعبادة
الحج وهو يكون في الاشهر الحرم ولعبادة القتال مدافعة عن الملة والامة
وهي قد كانت ممنوعة في هذه الاشهر فناسب ان يعقب بعداً أحكام الصيام
والاموال بذكر ما يشرع في الاشهر الحرم من الحج ومن القتال عند الاعتداء
على المسلمين ويبدأ ذلك بذكر حكمة اختلاف الأهلة ولذلك قال (يسئلونك
عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج) أي مواقيت لهم في صيامهم وحجهم

(٩٦ - المنار)

من العبادات وفي نحو عدة النساء وآجال العقود من المعاملات، فإن التوقيت بها
يسهل على العالم بالحساب والجاهل به وعلى أهل البدو والحضر فهي مواقيت
لجميع الناس وأما السنة الشمسية فإن شهورها تعرف بالحساب فهي لا تصلح
مواقيت إلا للحاسبين ولم يقدروا على ضبطها إلا بعد ارتقاء العلوم الرياضية بزمان
طويل. وقد ورد في أسباب نزول الآية أن بعضهم سأل النبي عن الأهلة
مطلقا وإن بعضهم سأل لم خلقت؟ والروايتان عند ابن أبي حاتم. وأخرج
أبو نعيم وابن عساکر من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح
عن ابن عباس أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنيمه قالا يارسول الله ما بال
الهلال يبدو ودقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير ثم لا يزال
ينقص ويدق حتى يعود كما كان لا يكون على حال واحد فنزلت. وقد اشهر هذا
السبب لأن علماء البلاغة يذكرونه في مطابقة الجواب للسؤال وعدمها
وزعموا أن مراد السائلين بيان السبب الطبيعي لهذا الاختلاف وأن الجواب
انما جاء ببيان الحكمة دون بيان الملة لأنه موضوع الدين جريا على ما يسمى
في البلاغة أسلوب الحكيم أو الأسلوب الحكيم

قال الاستاذ الامام: كانه قال كان عليكم أن تسألوا عن الحكمة والفائدة
في اختلاف الأهلة ان لم تكونوا تعرفونها والا فعليكم الاكتفاء بها وعدم
مطالبة الشارع بما ليس من الشرع. ففي الكلام تعريض بأن سؤالهم في غير
محله ولو توجه هذا السؤال ممن يتعلم علم الفلك الى أستاذه فيه لما عُد قبيحا
ولا قيل إنه في غير محله ولكنه موجه من أمي الى نبي لا الى فلكي فهو قبيح
من هذا الوجه لا لذاته وإلا لكان النظر في السموات والأرض لأجل
الوقوف على أسرار الخليفة وأسباب ما فيها من الآيات والمعبر مذموما وكيف

بدم وقد أرشدنا الله تعالى إليه ، وحثنا في كتابه عليه ، « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج » والآيات في هذا المعنى كثيرة

هذا وإن الرواية عن ابن عباس ضعيفة بل قالوا إن رواية الكلبي عن أبي صالح هي أو هي الطرق عنه على أن السؤال غير صريح في طلب بيان العلة وحمله على طلب الحكمة والفائدة ولومع العلة غير بعيد فالحتم أن الجواب مطابق للسؤال وقد ذكر الأستاذ الامام بمناسبة القول المشهور في السؤال وأنه عن العلة ما بحث الانبياء لبياناه فهم يستلون عنه وما ليس كذلك فقال مأمثاله : العلوم التي نحتاج اليها في حياتنا على أقسام منها ما لا نحتاج فيه الى أستاذ كالحسوسات والوجدانات فهذا هو القسم الأول ، ومنها ما لا نجد له أستاذا لأنه مما لا مطمع للبشر في الوصول اليه ألبته وهو كيفية التكوين والايجاد الاول المعبر عنه بسر القدر . يمكن للنباتي أن يعرف ما يتكون منه النبات وكيف ينبت وينمو ويتغذى وللطبيب أن يعرف كيفية تولد الحيوان والاطوار التي يتدرج فيها من ذئكون نطفة الى ان يكون إنسانا مستقلا عاقلا ولكن لا يعرف نباتي ولا طبيب كيف وجدت أنواع النبات وأنواع الحيوان أو مادتهما لأول مرة ولا كيف وجد غيرهما من المخلوقات ومن هنا تعلمون ان العلاقة بين الخالق والمخلوق من هذه الجهة - جهة اليجاد والخلق - لا يمكن اكتناهما . وكذلك لا يمكن اكتناه ذات الله تعالى وصفاته . وهذا هو القسم الثاني . ومنها ما يتيسر للناس ان يعرفوه بالنظر والاستدلال والتجربة والبحث كالعلوم الرياضية والطبيعية والزراعية والصنائع والهيئة الفلكية ومنها أسباب أطوار الهلال ، ونقله من حال الى حال ، وهذا هو القسم الثالث

القسم الرابع ما يجب علينا للخالق العظيم الذي أودع في فطرنا الشعور
بسلطانه وهدى عقولنا الى الايمان به بما نراه من آياته في الآفاق وفي
أنفسنا . فان هذا الشعور وهذه الهداية مبهمان لا سبيل لنا الى تحديدهما
من حيث ما يجب اعتقاده في الله تعالى وفي حكمة خلقنا ومراده منا وما
يتبع ذلك من أمر مصيرنا ، ومن حيث ما يجب له من الشكر والعبادة -
وهذا مما لا سبيل الى معرفته بطريق صناعي أو كسبي بشري فقد وقعت
الامم في الحيرة والخطأ في مسائله لجهلهم بالصلة والنسبة بين المخلوق والخالق فهم
من وصفه تعالى بما لا يصح أن يوصف به ومنهم من توهم أن أعمالنا تفيده أو
تؤلمه وأنه ينعم علينا أو ينتقم منا بالمصائب لاجل ذلك . ومنهم من توهم
أن الحياة الأخرى تكون بهذه الاجساد ، والجزاء فيها يكون بهذا المتاع ،
فاخترعوا الادوية لحفظ أجسادهم ومتاعهم . وإذا كان الانسان عاجزا
عن تحديد ما يجب عليه ويحتاج اليه من الايمان بالله وبالحياة الأخرى
وما يجب عليه في الحياة الاولى شكرا لله واستعدادا لتلك الحياة لأن الحواس
والعقل لا يدركان ذلك فلا شك أنه محتاج الى عقل آخر يدرك به ما يعوز
أفراده من هذه الامور وهذا العقل هو النبي المرسل .

وبقي قسم خامس وهو ما يستطيع العقل البشري إدراك الفائدة منه
ولكنه عرضة للخطأ فيه دائماً لما يعرض له من الاهواء والشهوات التي
تلقى الغشاوة على الابصار والبصائر فتحول دون الوصول الى الحقيقة أو
تشبهه النافع بالضرار وتلبس الحق بالباطل . مثال ذلك السعاية والحل يدرك
العقل ما فيه من الضرر والقبح ولكنه اذا رأى لنفسه فائدة من السعاية
بشخص يزينها له هواه ويراها حسنة من حيث يخفى عليه ضررها لذاتها

وكذلك شرب الخمر والحشيش قد يعرف الانسان مضرتهما في غيره ولكن الشهوة تجببه عن إدراك ذلك في نفسه فيؤثر حكم لذته على حكم عقله الذي ينهيه عن كل ضار فصار محتاجا الى معلم آخر ينصر العقل على الهوى .
ووازع يكبح من جماع الشهوة ليكون على هدى ،

فما يمكن للانسان أن يصل اليه بنفسه لا يطالب الانبياء ببيانهم ومطالبهم به جهل بوظائفهم وإهمال للمواهب والقوى التي وهبها الله إياها ليصل بها الى ذلك . وكذلك لا يطالبون بما يستحيل على البشر الوصول اليه كقول بعض بني إسرائيل لموسى « لن تؤمن لك حتى ترى الله جهرة » وأما ما كان إدراكه ممكنا وكسبه بالحس والعقل متعذرا أو تحديده متعسرا فهو الذي نحتاج فيه الى هاد مخبر عن الله تعالى لنا أخذه عنه بالايان والتسليم ولذلك قلنا إن الرسول عقل للامة وهداية وراء هداية الحواس والوجدان والعقل

لو كان من وظيفة النبي أن يبين العلوم الطبيعية والفلكية لكان يجب أن تعطى مواهب الحس والعقل وينزع الاستقلال من الانسان ويلزم بأن يتلقى كل فرد من أفراد كل شيء بالتسليم ولوجب أن يكون عدد الرسل في كل أمة كافيا لتعليم أفرادها في كل زمن كل ما يحتاجون اليه من أمور معاشهم ومعادهم وإن شئت فقل لوجب أن لا يكون الانسان هذا النوع الذي نعرفه .
نعم إن الانبياء ينهون الناس بالاجمال الى استعمال حواسهم وعقولهم في كل ما يزيد منافعهم ومعارفهم التي ترتقي بها نفوسهم ولكن مع وصلها بالتنبيه على ما يقوي الايمان ويزيد في العبرة . وقد أرشدنا نبينا صلى الله عليه وسلم الى وجوب استقلالنا دونه في مسائل دنيانا في واقعة تأييد النخل اذ قال « أتم أعلم بأمور دنياكم » ومن ههنا كان السؤال عن حقيقة الروح في خطأ وقد أمر

الله نبيه أن يجيب السائلين بقوله « قل الروح من أمر ربي » أي إنها من المخلوقات التي لا يسئل النبي عنها كما كان السؤال عن علة اختلاف أطوار الألهة خطأ لا تصح مجازاة السائل عليه بل عده القرآن من قبيل إتيان البيوت من ظهورها كما في تمة الآية .

فإن قيل إن التاريخ من العلوم التي يسهل على البشر تدوينها والاستغناء بها عن الوحي فلماذا كثر سرد الأخبار التاريخية في القرآن وكانت في التوراة أكثر ؟ والجواب ليس في القرآن شيء من التاريخ من حيث هو قصص وأخبار وإنما هي الآيات والعبر تجلت في سياق الوقائع ولذلك لم تذكر قصة بترتيبها وتفصيلها وإنما يذكر موضع العبرة فيها « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب » - « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤداك » وكل ما تراها في هذه التوراة التي عند القوم من القصص المسببة والتاريخ المتصل من ذكر ولادة آدم وما بعدها فهي مما ألحق بالتوراة بعد موسى بقرون بل كتب أكثر تواريخ العهد القديم بعد السبي ورجوع بني إسرائيل من بابل . ومن أراد كمال البيان في وظائف الرسل فعليه برسالة التوحيد للاستاذ الامام

وإذا كان ماورد في السؤال عن الألهة لم يصح سنداً كما تقدم فلا ينفي ذلك أن السؤال قد وقع بالفعل ولا أن الرواية التي قالوها هي في نفسها صحيحة فما كل ما لم يصح سنده باطل ولا كل ما صح سنده واقع فرب سند قالوا إنه صحيح لأنهم لا يعرفون جارحاً في أحد من رجاله وهو غير صحيح لأن فيهم من خفي كذبه واستتر أمره . يدل على السؤال في الجملة قوله « يسئلونك » ويستأنس لقول من قال أن السؤال كان عن العلة

والسبب قوله (وليس البر بأن تأنوا البيوت من ظهورها) فإن فيه تعريضا بأن من يسأل النبي عما لم يبعث النبي لبيانها ولا يتوقف عرفانه على الوحي فهو في طلبه الشيء من غير مطلبه كمن يطلب دخول البيت من ظهره دون بابه . وبهذا التقرير يكون الاتصال والالتحام بين أجزاء الآية أحكم وأقوى . ولولا أن هذا مفيد لحكم من أحكام الحج الذي يعرف ميقاته بالأملة لكان لا معنى له إلا تأديب السائلين بتمثيل ذلك السؤال بمثال لا يرتضيه عاقل وهو إتيان البيوت من ظهورها وإرشادهم إلى ما ينبغي أن يستفيدوه وتحسينه لهم بحمله كإتيان البيوت من أبوابها

أما الحكم الذي أفادته الآية فهو إبطال ما كانوا يفعلونه في الجاهلية إذا هم أحرموا من إتيان البيت من ظهره وتحريم دخوله من بابه . روى البخاري وابن جرير عن البراء قال كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره فأنزل الله الآية . وأخرج ابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن جابر قال كانت قريش تدعي الحرس وكانوا يدخلون من الأبواب في الأحرام وكانت الانصار وسائر العرب لا يدخلون من باب في الأحرام فينبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في بستان إذ خرج من بابه وخرج معه قطبة بن عامر الانصاري فقالوا يا رسول الله إن قطبة بن عامر رجل فاجر وإنه خرج منك من الباب فقال له : ما حملك على ما فعلت ؟ قال رأيتك فعلته ففعلت كما فعلت قال : إني رجل أحمسي : قال له فإن ديني دينك فأنزل الله الآية . وأخرج ابن جرير عن ابن عباس نحوه وعبد ابن حميد ما هو بمعناه . وذكر ابن جرير عن الزهري في سبب ذلك أنهم كانوا يتخرجون من الدخول من الباب من أجل أن سقف الباب يحول بينهم وبين السماء . وبعد أن أعلمهم

الله تعالى بخطهم في ذلك بين لهم البر الحقيقي فقال (ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون) أي إن البر هو تقوى الله تعالى بالتخلي عن المعاصي والردائل، وعمل الخير والتجلي بالفضائل، واتباع الحق واجتناب الباطل، فأتوا البيوت من أبوابها وليكن باطنكم عنوانا لظاهرهم بطاب الامور كلها من مواضعها واتقوا الله رجاء ان تفلحوا في أعمالكم، وتبلغوا غاية آمالكم، فمن يتق الله يجعل له من أمره يسرا،

ومن مباحث اللفظ أن الأهلة جمع هلال وهو القمر في ليلتين أو ثلاث من أول الشهر على الأشهر وقيل حتى يحجر أي يستدير بخط دقيق وقيل حتى يهر ضوءه سواد الليل وقدروا ذلك بسبع. وقالوا إنه مأخوذ من استهل الصبي اذا صرخ حين الولادة وذلك أنهم كانوا يرفعون أصواتهم عند رؤيته للاعلام بها يقولون : الهلال والله : وأهل الرجل رفع صوته عند رؤيته وأهل بالحج رفع صوته بالتلبية وأهل بذكر الله وباسم الله . وأهل القوم واستهلوا رأوا الهلال . ثم قال تعالى

(١٨٦: ١٩٠) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٨٧: ١٩١) وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ، وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ، فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٨٩: ١٧٦) فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨٩: ١٩٣) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ، فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٠: ١٩٤) الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتِ قِصَاصٌ، فَمَنْ آعْتَدَى

عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٥: ١٩١) وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى
التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

وردت هذه الآيات في الاذن بالقتال للمحرمين في الأشهر الحرم
إذا فوجئوا بالقتال بغيا وعدوانا فهي متصلة بما قبلها أتم الاتصال لأن الآية
السابقة بينت أن الأهلة مواقيت للناس في عباداتهم ومعاملاتهم عامة وفي الحج
خاصة . وهو في أشهر هلالية مخصوصة كان القتال فيها محرما في الجاهلية
وأخرج الواحدي من طريق السكبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن هذه
الآية نزلت في صالح الحديبية وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مُدَّ عن البيت ثم صالحه المشركون فرضي على أن يرجع عامه القابل ويخلوا له
مكة ثلاثة أيام يطوف ويفعل ما يشاء فلما كان العام القابل تجهز هو وأصحابه
لعمره القضاء وخافوا أن لا تفي لهم قريش وأن يصدوهم عن المسجد الحرام
بالقوة ويقاتلوهم وكره أصحابه قتالهم في الحرم والشهر الحرام فأَنْزَلَ اللهُ تعالى
(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) يقول أيها المؤمنون الذين تخافون
أن يمنعكم مشركو مكة عن زيارة بيت الله والاعتماد فيه نكثا منهم للعهود فتنه
لكم في الدين وتكرهون أن تدافعوا عن أنفسكم بقتالهم في الأحرام والشهر
الحرام إني أذن لكم في القتال على أنه دفاع في سبيل الله للتمكن من
عبادته في بيته وتربية من يفتنكم عن دينكم وينكث عهدهم لا لحظوظ
النفس وأهوائها والضرارة بحب الترافك فقاتلوا في هذه السبيل الشريفة
من يقاتلكم (ولا تمتدوا) بالقتال فتبدءوهم - ولا في القتال فتقتلوا من
لا يقاتل كالنساء والصبيان والشيخوخ والمرضى أو من ألقى إليكم السلم وكف

عن حربكم - ولا بغير ذلك من أنواع الاعتداء كالتهريب وقطع الأشجار .
وقد قالوا إن الفعل المنفي يفيد العموم . علل الاذن بأنه مدافعة في سبيل
الله وسيأتي تفصيله في الآية التالية وعلل النهي بقوله (إن الله لا يحب
المعتدين) أي إن الاعتداء من السيئات المكروهة عند الله تعالى لذاتها فكيف
إذا كان في حال الاحرام ، وفي أرض الحرم والشهر الحرام ، ثم قال
(واقتلوهم حيث ثقتهم) أي إذا نشب القتال فاقتلوهم أينما أدركتموهم
وصادقتهم ولا يصدنكم عنهم أنكم في أرض الحرم إلا ما يستثنى في
الآية بشرطه (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أي من مكة فقد كان
المشركون أخرجوا النبي وأصحابه المهاجرين منها بما كانوا يقتنونهم في
دينهم ثم صدوهم عن دخولها لأجل العبادة فرضي النبي والمؤمنون على
شرط أن يسمحوا لهم في العام القابل بدخولها لأجل النسك والاقامة فيها
ثلاثة أيام كما تقدم فلم يكن من المشركين إلا أن نقضوا العهد . أليس من رحمة
الله تعالى بعباده أن يقوي هؤلاء المؤمنين ويأذن لهم بأن يعودوا إلى
وطنهم ناسكين مسالمين ، وأن يقاوموا من يصددهم عنه من أولئك المشركين
الخطائين ، وهل يصح أن يقال فيهم إنهم أقاموا دينهم بالسيف والقوة ،
دون الإرشاد والدعوة ، ؟ كلا لا يقول هذا إلا جاهل ، أو عدو
متجاهل ، ثم زاد التعليل بيانا فقال (والفتنة أشد من القتل) أي إن فتنة
إياكم في الحرم عن دينكم بالإيذاء والتعذيب والإخراج من الوطن
والمصادرة في المال أشد قبحا من القتل فيه إذ لا بلاء على الإنسان أشد من
إيذائه واضطهاده وتعذيبه على اعتقاده الذي تمكن من عقله ونفسه ، ورآه
معاذ له في عاقبة أمره ، والفتنة في الأصل مصدر فتن الصائغ الذهب

والفضة إذا أذا بها بالنار لا يستخرج الزغل منها ويسمى الحجر الذي يختبرهما به أيضا فتانه - كجبانة - ثم استعمات الفتنة في كل اختبار وأشدّه الفتنة في الدين وعن الدين ومنه قوله تعالى «أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون» وغير ذلك من الآيات . وما تقرر في هذه الآيات على هذا الوجه مطابق لقوله تعالى في آيات الحج «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير» الذين أُخْرِجُوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله» الآيات . وفسر بعضهم الفتنة هنا وفي الآية الآتية بالشرك وجرى عليه الجلال . وردّه الاستاذ الامام بأنه يخرج الآيات عن سياقها وذكره البيضاوي هنا بصيغة التضعيف «قيل» ورد قولهم أيضا أن هذه الآية ناسخة لما قبلها وذلك أنه كبر على هؤلاء أن يكون الاذن بالقتال مشروطا باعتداء المشركين ، ولا أجل أمن المؤمنين في الدين ، وأرادوا أن يجعلوه مطلوبا لذاته . وقال إن هذه الايات نزلت مرة واحدة في نسق واحد وقصة واحدة فلا معنى لكون أحدها ناسخا للآخر وأما ما يؤخذ من العمومات فيها بحكم أن القرآن شرع ثابت عام فذلك شيء آخر . ثم استثنى من الأُمر بقتل هؤلاء المحاربين في كل مكان أدر كوافيه المسجد الحرام فقال (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) أي إن من دخل منهم المسجد الحرام يكون آمنا إلا أن يقاتل فيه وينتهك حرمة فلا أمان له حينئذ . ولما كان القتل في المسجد الحرام أمرا عظيما يتخرج منه أكد الإذن فيه بشرطه ولم يكتف بما فهم من الغاية فقال (فإن قاتلوكم فاقتلوهم) ولا تستسلموا لهم فالباديء هو الظالم ، والمدافع غير آثم ، (كذلك جزاء الكافرين) أي إن من سنة الله تعالى أن يجازي الكافرين

مثل هذا الجزاء فيعذبهم في مقابلة تعرضهم للعذاب بتعدي حدوده فيكونوا هم الظالمين لأنفسهم وقرأ حمزة والكسائي: ولا تقتلوهم .. حتى يقتلوكم .. فان قتلوكم فاقتلوهم : من قتل الثلاثي وهو يخرج على أن قتل بعض الأمة كقتل جميعها لتكافلها والمراد حتى يقتلوا أحدا منكم فان قتلوا أحدا فاقتلوهم وهو أسلوب عربي بليغ . ثم قال

(فان اتهموا) عن القتال فكفوا عنهم ، أو عن الكفر فان الله يقبل منهم ، (فان الله غفور رحيم) يحو عن العبد ماسلف ، اذا هو تاب عما اترف ، ويرحمه فيما بقي ، اذا هو أحسن واتق ، « ان رحمة الله قريب من المحسنين » (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) عطف على قاتلوا في الآية الأولى فتلك بينت بداية القتال وهذه بينت غايته وهي انتفاء الفتنة في الدين واهذا قال الاستاذ الامام : أي حتى لا تكون لهم قوة يفتنونكم بها ويؤذونكم لأجل الدين ويعينونكم من إظهاره أو لدعوة اليه (ويكون الدين لله) أن يكون دين كل شخص خالصا لله لا أثر لحشية غيره فيه فلا يفتن عنه ولا يؤذى فيه ولا هو يحتاج فيه الى الدهان والمساراة ، أو الاستخفاء أو المحاباة . وقد كانت مكة الى ذلك المهد قرارا للشرك والكعبة مستودع الأصنام فالمشرك فيها حر في ضلالاته ، والمؤمن مغلوب على هدايته ، قال (فان اتهموا) أي في هذه المرة عما كانوا عليه (فلا عدوان الا على الظالمين) أي فلا عدوان عليهم لان العدوان إنما يكون على الظالمين تأديبا لهم ليرجعوا عن ظلمهم ففي الكلام إيجاز بالحذف واستغناء عن المحذوف بالتعليل الدال عليه . ويجوز أن يكون المعنى فان اتهموا عما كانوا عليه من القتال والفتنة فلا عدوان بهـ ذلك الا على من كان منهم ظالما بارتكابه

ماوجب القصاص . أي فلا يحاربون عامة وإنما يؤخذ الجرم بجريمته . ثم زاد
تعليل الاذن بالقتال بيانا بينائه على قاعدة عادلة معقولة فقال تعالى

(الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص) لما خرج المؤمنون
مع النبي (ص) للنسك عام الحديبية صدهم المشركون وقتلوهم رميا بالسهم
والجسارة وكان ذلك في ذي القعدة من الاشهر الحرم ولو قابلهم المسلمون
عامئذ بالمثل ولم يرض النبي بالصالح لا حتم القتال ، ولما خرجوا في العام الآخر
لعرة القضاء وكرهوا قتال المشركين وان اعتدوا ونكثوا العهد في الشهر الحرام
بين اهلهم أن المحذور في الاشهر الحرم إنما هو الاعتداء بالقتال دون المدافعة وأن
ما عليه المشركون من الاصرار على الفتنة وإيذاء المؤمنين لانهم مؤمنون أشد
فجاء من القتل لازالة الضرر العام وهو منعهم الحق وتأيدهم الشرك . ثم بين
قاعدة عظيمة معقولة وهي أن الحرمات أي مايجب احترامه والحفاظة عليه يجب
أن يجري فيه القصاص والمساواة - ذكر هذه القاعدة حجة لوجوب مقاصة
المشركين على انتهاك الشهر الحرام بمقابلتهم بالمثل ليكون شهر بشهر جزاء
وفاقا . وفي جملة : والحرمات قصاص : من الايجاز ما ترى حسنه وابداعه .
ثم صرح بالامر بالاعتداء على المعتدي مع مراعاة المماثلة وإن كان يفهم مما
قبله لمكان كراهتهم للقتال في الحرم والشهر الحرام فقال تقريرا على القاعدة
وتأييدا للحكم (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) وإنما
يتحقق هذا فيما تنأت في المماثلة وسعي الجزاء اعتداء للمشاكلة وقد استدل
الامام الشافعي بالآية على وجوب قتل القاتل بمثل ما قتل به بأن يدبح اذا
ذبح ويخنق اذا خنق ويغرق اذا أغرق وهكذا . وقال مثل ذلك في الغصب
والانلاف . والقصد أن يكون الجزاء على قدر الاعتداء بلا حيف ولا ظلم

ولذلك قال تعالى بعد شرع القصاص والممثلة (واتقوا الله) فلا تعمدوا على أحد ولا تبغوا وتظلموا في القصاص بأن تزيدوا في الايذاء . وأكّد الامر بالتقوى بما بين من مزيته وفائده فقال (واعلموا أن الله مع المتقين) بالمعونة والتأييد فان المتقي هو صاحب الحق وبقاؤه هو الاصلح والعاقبة له في كل ما ينازعه به الباطل .

ثم ذكر ما يتوقف عليه القتال فقال (واتقوا في سبيل الله) عطف على قاتلوا رابط لا يحكم القتال والحج بحكم الاموال السابق فهناك ذكر ما يحرم من أكل المال مجملا وههنا ذكر ما يجب من إنفاقه كذلك وسبيل الله هو طريق الخير والبر والدفاع عن الحق ثم ذكر علة هذا الامر وحكمته على ما هي سنته في ضمن حكم آخر فقال (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) بالامساك عن الاتفاق في الاستعداد للقتال فان ذلك يضعفكم ويمكن الأعداء من نواصيكم فهلكون . ويدخل في النهي التطوح في الحرب بغير علم بالطرق الحربية التي يعرفها العدو كما يدخل فيها كل مخاطرة غير مشروعة بأن تكون لاتباع الهوى لا لنصر الحق وتأيد حربه . وقال بعضهم يدخل فيه الاسراف الذي يقع صاحبه في الفقر المدقع فهو من قبيل « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » وفسر الجلال سبيل الله بطاعته الجهاد وغيره والتهلكة بالامساك عن النفقة وترك الجهاد قال لانه يقوي العدو عليكم . قال الاستاذ الامام : أصاب مفسرنا وأجاد في تفسير هذه الآية وقال بعضهم في تفسير النهي عن التهلكة أي لا تقاتلوا الا حيث يغلب على ظنكم النصر وعدم الهزيمة وهذا لا معنى له إذ لا يلتزم مع ما سبقه وقال بعضهم انه نهى عن الاسراف ولا يلتزم مع الاسلوب قبله وبعده ايضا وانما الذي يلتزم ويناسب هو ما قاله الجلال وآخرون .

فالمنى اذا لم تبذلوا في سبيل الله وتأيد دينه كل ما تستطيعون من مال واستعداد فقد أهلكم أنفسكم: وفي أسباب النزول عن أبي أيوب الانصاري قال نزلت هذه الآية فينا معشر الانصار لما أعز الله الاسلام وكثرنا صروه قال بعضنا لبعض سرا إن أموالنا قد ضاعت وإن الله قد أعز الاسلام فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها فأنزل الله يرد علينا ما قلنا «وأتقوا» الآية فكانت التهلكة الاقامة على الاموال وإصلاحها وتركنا الغزو: رواه أبو داود والترمذي وصححه وابن حبان والحاكم وغيرهم. وروي انه قاله لما خاطر رجل من المسلمين في القسطنطينية فدخل في صف الروم فقال الناس ألقى يديه الى التهلكة فقال أبو أيوب أيها الناس إنكم تؤولون هذه الآية وذكره. أقول وبيانه أن المشركين كانوا بالرصاد للمؤمنين فلو انصرفوا عن الاستعداد للجهاد الى تنمير الاموال لا غتالوهم. واصلاح الاموال واستثمارها في هذا الزمان هو أساس القوة فقوى الدول على قدر ثروتها فالأمة التي تقصر في توفير الثروة هي التي تلقي بأيديها الى التهلكة ولا ثروة مع الظلم ولا عدل مع الحكم المطاق الاستبدادي. ثم قال تعالى (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) الامر بالاحسان على عمومه أي أحسنوا كل أعمالكم وأتقوها فلا تهملوا إتقان شيء منها ويدخل فيه التطوع بالاتفاق

الاستاذ الامام: محصل تفسير الآيات ينطبق على ماورد من سبب نزولها وهو إباحة القتال للمسلمين في الاحرام بالبلد الحرام والشهر الحرام اذا بدأهم المشركون بذلك وأن لا يبقوا عليهم اذا كثروا عهدهم واعتدوا في هذه المرة وحكمها باق مستمر لا ناسخ فيها ولا منسوخ فالكلام فيها متصل ببعضه ببعض في واقعة واحدة فلا حاجة لتمزيقه ولا لإدخال آية

براءة فيه وقد نقل عن ابن عباس انه لا نسخ فيها ومن حمل الأثر بالقتال فيها على عمومها ولو مع انتفاء الشرط فقد أخرجها عن أسلوبها وحملها مالا تحمل . وآيات سورة آل عمران نزلت في غزوة أحد وكان المشركون هم المعتدين ، وآيات الانفال نزلت في غزوة بدر الكبرى وكان المشركون هم المعتدين أيضا وكذلك آيات سورة براءة نزلت في ناكثي العهد من المشركين ولذلك قال « فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم » وقال بعد ذكر نكثهم « ألا تقتاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة » الآيات . كان المشركون يبدءون المسلمين بالقتال لأجل إرجاعهم عن دينهم ولولم يبدءوا في كل واقعة لكان اعتداءهم بإخراج الرسول من بلده وفتنة المؤمنين وإيذاؤهم ومنع الدعوة - كل ذلك كافيا في اعتبارهم معتدين . فقتال النبي صلى الله عليه وسلم كله كان مدافعة عن الحق وأهله وحماية لدعوة الحق ولذلك كان تقديم الدعوة شرطا لجواز القتال وانما تكون الدعوة بالحجة والبرهان لا بالسيف والسنان فاذا منعتنا من الدعوة بالقوة بأن هدد الداعي أو قتل فعلينا ان نقاتل لحماية الدعاة ونشر الدعوة لا لالائهم على الدين فالله تعالى يقول « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » ويقول « أفأنت تكبره الناس حتى يكونوا مؤمنين » واذا لم يوجد من يمنع الدعوة ويؤذي الدعاة أو يقتلهم أو يهدد الأمان ويمتدي على المؤمنين فالله تعالى لا يفرض علينا القتال لأجل سفك الدماء وإزهاق الأرواح ولا لأجل الطمع في الكسب . ولقد كانت حروب الصحابة في الصدر لأجل حماية الدعوة ومنع المسلمين تغلب الظالمين لا لأجل العدوان فالروم كانوا يعتدون على حدود البلاد العربية التي دخلت في حوزة الاسلام ويؤذونهم وأولياؤهم

من العرب المنتصرة من يظفرون به من المسلمين . وكان الفرس أشد ايداء
للمؤمنين منهم فقد مزقوا كتاب النبي صلى الله تعالى عليه ورفضوا دعوته
وهددوا رسوله وكذلك كانوا يفعلون وما كان بعد ذلك من الفتوحات اقتضته
طبيعة الملك ولم يكن كله موافقا لأحكام الدين فان من طبيعة الكون ان يسيط
القوي يده على جاره الضعيف ولم تعرف أمة قوية أرحم في فتوحاتها بالضعفاء
من الامة العربية شهد لها علماء الافرنج بذلك

وجملة القول في القتال انه شرع للدفاع عن الحق وأهله وحماية الدعوة
ونشرها فعلى من يدعي من الملوك والامراء انه يحارب للدين ان يجي
الدعوة الاسلامية ويعد لها عدتها من العلم والحجة بحسب حال العصر وعلمومه
ويقرن ذلك بالاستعداد التام لحمايتها من العدوان ومن عرف حال الدعاة الى
الدين عند الامم الحية وطرق الاستعداد لحمايتهم يعرف ما يجب في ذلك وما
ينبغي في هذا العصر (١) . وبما قررناه بطل ما يهذي به أعداء الاسلام حتى من
المتمين اليه من زعمهم ان الاسلام قام بالسيف وقول الجاهلين والمتعصبين انه
ليس ديناً لهما لأن الآله الرحيم لا يأمر بسفك الدماء وأن العقائد الاسلامية
خطر على المدنية فكل ذلك باطل والاسلام هو الرحمة العامة للعالمين

تفسيه

يري القراء اتنا قد وضعنا عند كل آية في التفسير عدد من مفسرولا بينهما بقطعتين
هكذا : ونخبرهم ان الاول هو عدد الآية بحسب ما في المصحف العثماني المطبوع في الاستانة
والثاني هو عدد الآية في المصحف المطبوع بألمانيا الذي وضع له معجم كلمات القرآن

(١) قد كتبنا في المجلد الثالث من المناور مقالا عنوانه الدعوة حياة الاديان ومقالا آخر في
الدعوة وطريقها وآدابها فليرا جمعها من شاء في (ص ٤٥٧ و ٤٨١) منه

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

فتحت هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة. اذ لا يسمع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قد منامتأخرا السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لثقل هذا. ولمن يعرض على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان عندنا سبب صحيح لا غفاله

● أوقاف الزوايا والحرمين والأشراف - صرف ريعها في التعليم ●

(س ٩٥) م ٥ ب ٥ في (تونس) : ما قولكم اطال الله بقاءكم في الاوقاف الموقوفة على الزوايا والحرمين الشريفين والأشراف وغيرها مما لا يعود نفقه على مصلحة عامة شرعية هل يجوز جمعها وصرف ريعها في إقامة مدرسة او مدارس كلية خاصة بالمسلمين تراول بها العلوم المصرية ؟

(ج) الأصل في الاوقاف أن يصرف ريع الاعيان الموقوفة على ما وقفت لاجله من البر والخير وان لا يحول الى جهة بر أخرى الا اذا تعذر وضعه في موضعه وقد قال أكثر علمائنا إن شرط الواقف كنص الشارع اي لا يغير ولو لكن بعضهم أبطل هذا القول بالادلة القوية وجوز صرف ريع الموقوف على شيء غير محمود شرعاً الى ما هو خير منه فراجع تفصيل ذلك في (ص ٢١٠) من مجلد المنار الخامس ومنه تعلم حكم الموقوف على الزوايا والحرمين . وأما الموقوف على الأشراف فلا وجه لحرماتهم منه يدعوى انه ليس من المصالح الشرعية العامة إذ لم يقل أحد من المسلمين بأن الوقف لا يجوز الا على المصالح العامة

أما ما يحول في فكر السائل من وجوب انتفاع المسلمين من الاوقاف القديمة التي قصد بها الخير والنفع وهي الآن لا تنكاد تفيد بل منها ما هو ضار ومعين على الانسداد فانه يجوز في أفكار عقلاء الامة في كل مكان لاسباب الذين أحسوا بالحاجة الى العلم وهم يرون أن بعض التكايا والزوايا قد أمتست مأوى الفساق والكسالى الذين ينقطعون عن أعمال الدين والدنيا ويأبسون الى هذه التكايا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام ويشربون الخمر ولا يقصرون في سائر ضروب الفجور فلا شك أن اعانة أمثال هؤلاء على بطالتهم وجهالتهم وفسقهم من أكبر المعاصي والانفاق عليهم من ريع الاوقاف الحيرية مما يعلم بالضرورة أنه غير مقصود للواقفين رحمهم الله تعالى . ثم

ان هذه الاوقاف الخيرية على قسمين منها ما أوقف على جهة بر مخصوصة بشروط معروفة كالموقوف على زوايا وتكايا عامرة فيمكن للنظار أن يشترطوا لقبول الناس في هذه التكايا أن يتعلموا ما ينفعهم وينفع الناس بهم مع المحافظة على شروط الواقفين الموافقة للشرع . ومنها ما جهات شروطه أو تعذرت اقامتها كأن يدرس المكان أو يزول المبني فهذه هي التي ينبغي لعقلاء الامة أن يسعوا في الاستعانة بها على انشاء المدارس العالية التي تتعلم فيها الامة ما تميز به في دينها ودنياها معا وهي في كل قطر اسلامي كافية لذلك لولا أهواء الرؤساء الغاوين من الامراء والفقهاء الذين أذلوا هذه الامة وأفسدوا عليها أمر دينها ودنياها كما أذل أمثالهم كل أمة ذلت ، وأفسدوا كل ملة فسدت ، وان أمثال هذه الاماني لاتم لعقلاء المسلمين الا اذا كثروا وصار لهم من النفوذ والتأثير في نفوس العامة ، ما يمكنهم من الأمور العامة ، فان الرؤساء الغاوين ، لا يظهرون العقلاء المصلحين ، الا بقوة الرأي العام ، الذي أخضعته لهم التقاليد والاهام ، ولذلك تراهم يحاربون المصلحين بتبغيضهم الى العوام . ان لم يتمكنوا من الانتقام منهم بالنفي أو الاعدام ،

﴿ حكم اللواط وعقوبة اللذين يأتيناه ﴾

(س ٩٦) من عبد الفتاح أفندي هـو «بالاسكندرية» :

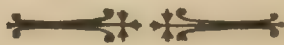
ما يقول حضرة الاستاذ الامام ، (أدام الله بقاء) في ما يجب على اللوطية من الاحكام الشرعية هل هو قتل الفاعل والمفعول مطلقاً كما ذهب اليه جماعة من العلماء أم حكم الفاعل حكم الزاني بخلاف المفعول كما ذهب الى ذلك جمع آخر ام لاحد على الفاعل والمفعول كما هو المشهور عن أبي حنيفة رضي الله عنه واذا كان الواجب قتل الفاعل والمفعول فهل في ذلك نص قاطع من الكتاب او من السنة المتواترة ام لا وهل في ذلك خبر آحاد أم لا وهل على تقدير ورود خبر آحاد فيه يجب العمل بمقتضاه ام لا ومن قال إن حكم الفاعل حكم الزاني هل له دليل من الكتاب او من السنة او دليله القياس واذا كان دليله القياس فما العلة وعلة تحريم الزنا معلومة ومفقودة في اللواط وهل ادعاء ان المشهور عن أبي حنيفة ما ذكر اعلاه صحيح ام لا واذا رأيتم ان لاحد على الفاعل والمفعول فهل ترون حرمة ذلك واذا رأيتموها فهل هي

من الكبائر وإذا كانت منها فهل هي أكبر من الزنا وهل إذا أنكر منكراً تحريم ذلك مطلقاً يحكم بكفره أم لا أفيدوا لا زلتم مهدين

(ج) ورد هذا السؤال على مفتي الديار المصرية فأرسله إلينا لنجيب عنه وقد كنا سألنا في السنة الماضية عن حد اللواط فأجبنا عن السؤال في الجزء الثالث عشر منها وما خص الجواب أن الله تعالى أمر بحبس النساء الثلاثي يأتين الفاحشة وبإيذاء اللذين يأتينها وذكر هذا باسم الموصول للمعنى المذكور والمتبادر أنه أراد الزاني واللائط وهو المروي عن مجاهد وأبي مسلم وبه أخذ الشافعي وقيل أن المراد بهما فاعلا اللواط أي الفاعل والمفعول. والإيذاء في الآية مجمل وقد ورد في بيانه من الحديث الأمر بقتل الفاعل والمفعول كما في حديث أحمد وأصحاب السنن وغيرهم. وورد حديث آخر في الأمر برجمهما وروى الطبراني أن عثمان بن عفان أتى برجل قد فجر بصبي فسأل عن إحصائه فقيل له أنه تزوج بامرأة ولم يدخل بها فقال علي لعثمان لو دخل بها لحل عليه الرجم فأما إذا لم يدخل بها فأجلده الحد فقال أبو أيوب أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الذي ذكر أبو الحسن. ونقل ابن حجر في الزواج عن بعض الصحابة الأمر بإحراق اللوطي ولم يصح ونقل عن بعض أئمة التابعين القول بأن حد اللواط هو حد الزنا قال وبه قال الثوري والأوزاعي وهو أظهر قول الشافعي ويحكي عن أبي يوسف ومحمد. وذكر مذاهب وأقوال أخرى تراجع في الجزء المذكور من منار السنة الماضية. وصفوة القول أن الله قد أمر بمقوبة اللذين يأتیان الفاحشة وهي تشمل اللواط قطعاً بدليل التعبير عنها بلفظ الفاحشة في الكلام على قوم لوط فإنكار ذلك إنكار لنص القرآن وكذلك إنكار كونه معصية إذ لا عقوبة في غير معصية وما يدل على كونها معصية كبيرة مع الإجماع تلك الآيات التي تقبح عمل قوم لوط أشد التقبيح مع قوله قد أنما حرم ربني الفواحش ما ظهر منها وما بطن « فليس لمؤمن أن يتردد في كون هذا العمل محرماً يجب عقاب مقترفه أما كون العقوبة تسمى حداً وكونها عين عقوبة الزنا فهو مما علم برواية الآحاد فلا حرج على من أنكره إذا لم يثبت عنده كما روي عن أبي حنيفة ولا مندوحة لمنكرها عن القول بوجوب العقاب على مرتكب هذه الفاحشة بما يظن

الحاكم انه يردعه عنها ويردع امثاله . والعمل بأخبار الآحاد الصحيحة المينة لاجال الكتاب في الاحكام العملية مما لا خلاف فيه بين علماء الاصول والمراد بالصحيح هنا ما يقابل الضعيف والمعلول . واما الرواية عن ابي حنيفة فهي في متون المذهب قال في البداية « ومن أتى امرأة في الموضع المكروه او عمل عمل قوم لوط فلاحده عليه عند ابي حنيفة ويعزروا في الجامع الصغير ويودع في السجن وقالوا هو كالزنا فيحده قال في الهداية بعد هذا : وهو احد قولي الشافعي وقال في قول يقتلان في كل حال لقوله عليه السلام « اقتلوا الفاعل والمفعول » ويروى فارجوا الاعلى والاسفل ولهما انه في معنى الزنا لانه قضاء الشهوة في محل مشتهى على سبيل الكمال على وجه تمحض حراما لقصد سفح الماء : اه المراد

ثم إننا نقول بأن القياس يتفق مع النص في تحريم هذه الفاحشة والعقاب عليها بعقاب الزنا او نحوه فان ضررها كبير وإفسادها عظيم فنه إضاعة النسل بالمرّة وهي اشدّ ضررا من وضعه في غير موضعه فالامة التي يفتش فيها اللواط يقل فيها النسل مالا يقل في نشو الزنا وان كان الزنا ايضا من اسباب قلة النسل وذلك أن في فتش اللواط اهلا للنساء بقدره ولا حاجة الى زيادة التفصيل في بيان هذه المفسدة وحسبك ما نسمع كل يوم عن فرنسا من اهتمام ساداتها وعلمائها بما علم من قلة النسل فيها . ومنه افساد السيوت فان البيت الذي يرتكب صاحبه هذه الفاحشة الدنيئة يسري فيه الفحش سريان السم في الجسم فلا تبقى فيه امرأة ولا ولد الا ويتسمم بفساده ومن بحث في سيرة الفساق بحث مستفيد معتبر يعرف صحة هذا القول . ومنه ان مرتكبي هذه الجريمة يغاب عليهم المهانة وفقد احساس الشرف والفيرة وغير ذلك من الاخلاق الذميمة حتى انهم يكونون محقرين مستذلين عند الاحداث والسفهاء . ومنه أن المفعول به يصاب بداء الاثبة ولا داء يذل صاحبه ويشينه ويحقره مثل هذا الداء الذميمة الذي يتعذر كتمانها لاسيما في الكبر وانك لتسمع في هذه المدينة الفاسقة بذكر رجال من يوتات الجاه الرفيع يوصمون بهذه الوصمة ، فيقترون ذكرهم باللعنة . ولم تبق لهم في نفوس الناس قيمة ، ولو لا دهان غلب على الناس لبصقوا في وجوههم في حضرتهم ، كما يعضفون لحومهم في غيبتهم .



﴿ الانتقام من الابناء بذنوب الآباء ﴾

(س ٩٧) أحمد افندي المشد المحامي في (ملوي): هل المولى عز وجل ينتقم من الابن بسبب الآب وما هو الدليل القرآني أو الحديث على صحة أي القولين (ج) يقول الله تعالى في سورة فاطر: «ولا تزر وازرة وزر أخرى وان تدع من حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى» أي لا تحمل نفس وازرة (مذنبه) وزر نفس أخرى وانما تحمل كل نفس وزر نفسها وإن تدع نفس مثقلة بالذنوب والاوزار نفسا أخرى الى حمل شيء من ذنوبها لا تجاب دعوتها ولا يحمل من تدعوه عنها شيئا ولو كان من الاقربين كالآباء والابناء وهذا المعنى مكرر في القرآن «ولا يظلم ربك أحدا» وأما قوله تعالى «وليحملن أثقالهن وثقالا مع أثقالهن» فهو في المسلمين الذين يحملون إثم الصلوات الذي وقع من الناس باغوائهم ويوضحه قوله تعالى «ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم»

﴿ تربية اللقطاء ﴾

(س ٩٨) ومنه: هل يجوز شرعا تربية الأطفال اللقطاء وهذا السؤال مفرع على ما قبله

(ج) التربية الصالحة من افضل الاعمال ولا شيء منها غير جائز ولو فرضنا ان الابناء يؤخذون بذنوب الآباء لما كان ذلك مانعا من جواز تربيتهم فان اهمال التربية الصالحة سبب لكثرة الشر والفساد في الارض

(عقيدة الدروز)

(س ٩٩) سعيد افندي قاسم حمود في كنتون أوهايو من (أمريكا الشمالية) دار بين جماعة منا معشر المسلمين وجماعة من الدروز اللبنانيين حديث أفضى الى ذكر الحشر والنشر والوقف العظيم فقال أحد الدروز هل تعتقدون ايها المسلمون بيوم القيامة وبالجنة والنار فقلت نعم قال فاتم اذن كالميسويين فاستوقفته حينئذ عن هذه الحاجة التي أدت به الى الكفر وجئتكم أنا وإخواني المسلمين سائلين عن هذه الشيعة الدرزية هل تؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيوم البعث أم ماذا يعبدون وبماذا يؤمنون؟ عرفونا انكون على حذر ونؤدبهم بمناركم المؤيد الى أبد الآبدين آمين

(ج) لا يضرنا معشر المسلمين أن نوافق النصارى في بعض عقائدهم فالاصل موافقة جميع الأديان في العقائد ولولا تحريف الأمم وإضاعتهم لما خالفت عقيدة نبي عقيدة من قبله من الأنبياء. وأما الدروز فانهم فرقة من فرق الباطنية الذين انشقوا من المسلمين وهم يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن ولكنهم يحرفون القرآن بالتأويل كائر الباطنية ويعتقدون بأن العلي والبار وأبو زكريا وعلي والمعل والثقات والمنصور والمز والميزي والحاكم اله واحد والحاكم هذا هو أعظمهم ويعبرون عنه بمولانا ويدينون بنوحه وهو الحاكم بأمر الله من الملوك العبيدين المعروفين بالخلفاء الفاطميين والحاكم هذا كان ظالماً وظلمه مشوب بغش من الجنون. ومبنى عقيدة الدروز على التناسخ وقد ذكرنا طرق الاستدلال عندهم وبعض عقائدهم في مقالات المصلح والمقلد في المجلدين الثالث والرابع من المنار ولا حاجة للإطالة بها والجدال معهم عبث فانه لا قانون في دينهم للاستدلال إذا العمدية فيه على الحروف وحساب الجمل على أن العارفين بالدين منهم قليلون وهم الذين يدعونهم العقلاء. وقد رأينا من المتعلمين على الطريقة العصرية ومن أهل البصيرة والنباهة من يتبنون نشر التعاليم الإسلامية في قومهم ولو وجد للمسلمين نهضة للتعليم ورفق في العلم والاجتماع لسهل عليهم جذب معظم هذه الطائفة في زمن يسير

القسم العمومي

كتاب المصالحة المنتظمة بين سلطان مراکش ولوي الخامس عشر ملك فرنسا

الحمد لله وحده. هذا ما صالح عليه مولانا الامام المظفر الهمام السلطان الاعظم الامجد المعظم سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله بن اسماعيل. الله وليه ومولاه ابن مولانا اسماعيل قدس الله سره سلطان مراکش وفاس ومكناسة وسوس وتافلات وغيرها طاغية جنس الفرنسيين ومن في حكمه لوي الخامس عشر من اسمه بواسطة الباشا دور المفوض اليه من قبله وهو كونه نط دبرنيون على شروط تذكر وتفصل بعدهم هذا الصلح وانهم في آخر ذي الحجة الحرام عام ثمانين ومئة والف الموافق لتاريخ الروم لثمانية وعشرين من شهر مايه عام سبع وستين وسبع مئة والف.

(الشرط الاول) يؤسس هذا الصلح وينبم على ما نبرمت عليه المصالحة بين السلطان الاعظم سيدنا ومولانا اسماعيل قدس الله سره وبين طاغية الفرنسيين في ذلك الوقت لوي الرابع عشر من اسمه والشروط المشار اليها هي هذه.

(الشرط الثاني) إن لرعيي الدولتين أن يذهبوا بتجاراتهم ومراكبهم حيث شاءوا براً وبحراً في أمن وأمان بحيث لا يتعدى أحدهما على الآخر ولا يمتنعهم أحد من ذلك

(الشرط الثالث) إذا التقت سفن سيدنا نصره الله الجهادية أو غيرها بقراصين الفرنسيين أو غيرها من سفنهم البازركانية حاملة لسنجق الفرنسيين وعندهم بصارط من قبل طاغيتهم على الوجه المصطلح عليه كما هو مرسوم آخر هذه الشروط فلا يتعرض لهم ولا يفتش فيهم ولا يطالبون بغير احضارها وإن احتاجوا لما يقضونه لبعضهم على وجه الخبر قضوه من الجانبين وكذلك السفن الفرنسية يفعلون مع سفن سيدنا أيده الله ما ذكر أعلاه إذا التقوا معهم ولا يطالبونهم بشيء إلا باظهار خط يد القونصوا الفرنسيين المستوطنين بالآلة سيدنا نصره الله على الوجه المصطلح عليه أيضاً كما هو مرسوم بآخر هذه الشروط.

ولا تطالب القراصين الفرنسية الكبيرة باحضار الباصارط إذا التقت بهم سفن سيدنا أيده الله إذ ليس من عادتهم حملها ويؤخر البحث عن الصغار لمضي ستة أشهر تأتي من تاريخه أولها يونيه وآخرها نومبر الآتي. وفي هذه المدة يعطي طاغيتهم امارة بالكتابة للسفن الصغار وتأتي نسخة منها على يد القنصوا لتصاحب قراصين سيدنا في سفرهم بحيث إذا التقوا بهم يستظهر كل واحد بما عنده من ذلك العمل في نزول الفلوكة على ما وقع الشرط فيه بينهم وبين الجزيريين

(الشرط الرابع) إذا دخلت سفينة من سفن سيدنا الجهادية أو غيرها لمرسى من مراسي الفرنسيين أو بالعكس فلا يمتنعون من حمل ما يحتاجون اليه من مأكول أو مشروب لهم ولمن معهم في سفنهم من الجانبين وكذلك إن احتاجوا إلى آلة من آلات سفنهم فلا يمتنعون من ذلك بالتمن الجاري بين الناس من غير أن يزداد عليهم شيء في جميع ذلك مراعاة للمصلح الذي بين الرعيتين .

(الشرط الخامس) لرعيي الدولتين الدخول لأي مرسى شاؤا من مراسي سيدنا أيده الله أو من مراسي بلاد الفرنسيين والخروج منها سالمين آمنين وأن يبيعوا ويشترخوا ماشاؤا على حسب ارادتهم وإن باعوا من سلعهم بعضاً وأرادوا رد الباقي لمراكبهم فلا يطالبون بوظيف آخر وإنما يطالبون بتعشير السلع أولاً عند نزولها فقط ولا يدفعون في التعشير زيادة على غيرهم من الاجناس ولتجار الفرنسيين التصرف في البيع والشراء

في جميع ايالة سيدنا نصره الله كغيرهم وان تفضل سيدنا أيده الله على جنس من أجناس
النصارى بنقص شيء من القمع أو من العساكة وغيرها فهم من جملتهم .

(الشرط السادس) اذا انتقض الصلح بين أهل تونس والجزائر وأهل طرابلس
وغيرهم وبين الفرنسيين ودخلت سفينة من سفن الفرنسيين أيا كانت المرسى من مراسي
سيدنا نصره الله وتبعها سفينة حربية من سفن عدوهم لتأخذها فعلى أهل تلك المرسى
منع سفينة الفرنسيين المذكورة من عدوهم المذكور ولو يرميه بالمدافع ليعمد عدوهم
عنها ويحبس المركب الطالب لها بالمرسى مدة حتى تبعد السفينة المطرودة عنها ثلاثا يتبعها
في الحال حسبها هي العادة واذا التقت مراكب سيدنا الجهادية بعدوهم بكوشطة الفرنسيين
فلا يأخذونهم الا بعد تجاوز ثلاثين ميلا .

(الشرط السابع) اذا دخلت سفينة من عدو الفرنسيين لمرسى من مراسي سيدنا
أيده الله وبها أسارى من الفرنسيين فان كانوا باقين بالمركب لم ينزل أحد منهم للبر فلا
كلام معهم فيهم وان نزلوا للبر فهم مسرحون ويتزعمون من يد الذي هم تحت أسرهم
وكذلك اذا دخلت سفينة من عدو سيدنا نصره الله لمراسي الفرنسيين وفيها أسارى
من الايالة المولوية يفعل بهم مثل ذلك وان دخل عدو للفرنسيين أيا كان لا يالة سيدنا
بنعمة أو دخل عدو سيدنا أعزه الله بنعمة لمراسي الفرنسيين فان الجميع يمتنعون من
بيع الفيتمين بالاياليتين . واذا وجد عدو احدى الدولتين تحت سنجق الاخرى فلا
يعرض له ولا لماله من الجهتين واذا اخذت سفينة سيدنا أيده الله غنيمة ووجد فيها
بعض الفرنسيين ركابا فانهم يسرحون بأموالهم وأثاثهم كله وكذلك اذا غم الفرنسيين
سفينة لعدوه أيا كان ووجد فيها ركابا من الايالة المولوية فانهم يفعل بهم مثل ذلك وأما
ان كانوا بحرية فلا يسرحون من الجانبين .

(الشرط الثامن) لا يلزم رؤساء المراكب البازركانية بحمل ما لم يريدوه في سفنهم
ولا ان يتوجهوا لمحل من غير اراقتهم

(الشرط التاسع) اذا انتقض الصلح بين وجاقات الجزائر ووجاقات تونس وطرابلس
وبين الفرنسيين فلا يأمر سيدنا نصره الله باعانة الوجاقات المذكورين بشيء أصلا ولا
يترك أحدا من رعيته يتسلح ويركب تحت سنجق أحد الوجاقات ليقاتل الفرنسيين

ولا يترك أحداً يخرج من مراسيه ليقاتلهم وإن فعل أحد من رعيته ذلك عاقبه وضمن ما أفسده وكذلك يفعلون مع من عادى الختاب المولوي اسمه الله لا يعينونه ولا يتركون من يعينونه من رعيته.

(الشرط العاشر) لا يكلف جنس الفرنسيين بدفع آلة الحرب من بارود ومدافع وغير ذلك مما يقاتل به

(الشرط الحادي عشر) لطاغبة الفرنسيين أن يجعل بلالة سيدنا نصره الله من القونصوات ما أراد وفي أي بلد شاء ليكونوا وكلاء له في مراسي سيدنا أيده الله ليعينوا التجار ورؤساء البحر والبحرية في جميع ما احتاجوا إليه ويسمع دعاويهم ويفصل بينهم فيما يقع بينهم من النزاع لئلا يتعرض لهم أحد من حكام البلد غيرهم وللقونصوات المذكورين أن يتخذوا بدورهم موضعاً لصلاتهم وقراءتهم ولا يمنعون من ذلك ومن أراد إثبات دار القونصوا للصلاة أو للقراءة من أجناس التصاريح أو كانوا فلا يتعرض لهم أحد ولا يمنعون من ذلك وكذلك رعية سيدنا أيده الله إذا دخلوا بلاد الفرنسيين لا يمنعهم أحد من اتخاذ مسجد لصلاتهم وقراءتهم بأي مدينة كانوا . ومن استخدمه القونصوات المذكورون من كتاب وترجمان وسماسير وغيرهم فإنه لا يتعرض لمن استخدموه بوجه ولا يكفون بشيء من التكاليف أي كانت في نفوسهم وبيوتهم ولا يمنعون من قضاء حاجة القونصوات والتجار في أي مكان كانوا ولا يدفع القونصوات ملزوماً ولا وظيفة عما اشتروه لأنفسهم من مأكول ومشروب وملبوس ولا يأخذ منهم العشر عما جاءهم من بلادهم من الحوائج المعدة لباسهم ومأكولهم ومشروباتهم وكيفما كانت وللقونصوات الفرنسيين التقدم والتصدر على ذيرهم من قونصوات الأجناس الآخرين ولهم أيضاً أن يذهبوا حيث شاءوا من إيالة سيدنا أيده الله برأ وبحراً من غير مانع لهم من ذلك ويذهبون أيضاً لسفن جنسهم إن أرادوا من غير مانع أيضاً ودورهم موقرة لا يتعدى فيها أحد على آخر .

(الشرط الثاني عشر) إذا وقع نزاع بين مسلم وفرنسي فإن امرهما يرفع للسلطان نصره الله أو لثأبه حاكم البلاد ولا يحكم بينهما القاضي في نازلهما .

(الشرط الثالث عشر) إذا ضرب فرنسي مسلماً فلا يحكم فيه إلا بمد حضار القونصوا

ليجب ويدافع عنه وبعد ذلك ينفذ فيه الحكم بالشرع وان هرب النصراني الضارب فلا يطالب به القونصوا لانه ليس بضامن له وكذلك اذا ضرب المسلم الفرنسي وهرب فلا يطالب باحضاره .

(الشرط الرابع عشر) اذا كان لأحد من التجار دين على أحد من رعية الفرنسي فلا يكلف القونصوا بخلافه إلا اذا ضمن المال وكتب في ذمته فينشد يكون الخلاص عليه وان توفي أحد من النصاري الفرنسي في جميع إيلة سيدنا نصره الله فتسلم أرزاقه وأمتعه ليد القونصوا ليزمها ويحتم عليها أو يتصرف فيها بما شاء ولا يمنه أحد من ذلك ولا يتعرض له أحد من القاسمين ولا من أهل بيت المال .

(الشرط الخامس عشر) اذا رمى الرمح مركباً من المراكب الفرنسية على سواحل إيلة سيدنا نصره الله اوجاء هارباً من سفن أعدائه فليعط سيدنا أمره لجميع أهل سواحله ان من وقع عنده مثل ذلك يعينونهم على قدر طاقتهم اباخراج المركب للبحر ان امكن وان حرث اعانواهم على تخلص الامتعة التي به وجميع آلاته وكل ما خرج من المركب يتصرف به القونصوا القريب من ذلك المكان او نائبه بما شاء ليخلص تلك السفينة بعد أن يعطي لمعينه اجرته ولا يؤخذ عن تلك السلع حال التحويل عشر الا ما بيع منها فيؤخذ عشره .

(الشرط السادس عشر) اذا دخلت مراكب الفرنسيين القرصانية لمرسى من مراسي سيدنا نصره الله فليقتوا بالبشر والبشاشة مراعاة للصالح الحاصل وروضاء هذه المراكب ان اشتروا بدرهمهم شيئاً من مأكول او مشروب لا يطالبون بصاكة ولا بغيرها وكذلك يفعل بمن دخل لمراسي الفرنسيين من سفن سيدنا أيده الله وهذا المأكول والمشروب المذكوران لا تقسم ولاهل مرا كبهم .

(الشرط السابع عشر) اذا دخل قرصان من قراصين الفرنسيين لمرسى من مراسي الإيلة المولوية فان القونصوا الحاضر في الوقت بالبلد يجرحا كما بذلك ليتحفظ على الاسارى الذين بالبلاد لئلا يهربوا للسفينة المذكورة فان هرب أسير وحصل المركب فلا يفتش عليه ولا يطالب به القونصوا ولا غيره لانه دخل تحت سنجق الفرنسيين ولاذ به وكذلك من فعل من أسارى المسلمين أيا كانوا اذلك بمراسي الفرنسيين لا يفتش عليه لان السنجق حرم .

(الشرط الثامن عشر) ما في من الشروط يفسر ويشرح على وجه مفيد مقبول
يحصل منها خير كثير ونفع عام لرعي الدولتين ولأن بواسطتهم ما تشد عقود الموالاة والمصافاة
(الشرط التاسع عشر) اذا حصل خلل في الشروط التي انعقد عليها الصلح فلا
يفسد الصلح بسبب ذلك وإنما يحث في المسألة ويرجع فيها للحق من أي إيالة كانت ولا
يتعرض لرعايا الدولتين الذين لا مدخل لهم في شيء من الاشياء ولا يباشر أحد من الرعيتين
الخصومة والجدال الا بعد مخالفة الشريعة والحق اعلاناً.

(الشرط المو في العشرين) إن قدر الله بنقض الصلح المنبرم فجميع من بإيالة سيدنا
نصره الله من جنس الفرنسيين يؤذن لهم في الذهاب لبلادهم بأموالهم وأمتعتهم لمضي
سنة أشهر.

(ذكر الباصارط المصطلح عليها)

لكل مركب من المراكب الفرنسية البازركانية من عند أمير البحر بكل
مرسى من مراسي الفرنسيين لويس جان مري دبربون ذلك دنتيور أمير البحر بإيالة
الفرنسيين السلام على كل من ينظر هذه الاسطرنامة انا دفعا ونفذنا إجازة
بالباصارط هذه لفلان رئيس المركب المسمى فلاناً فيه من الوسق كذا وأنه ذاهب
الى بلد كذا موسوق بكذا مكاحله ومدافعه كذا رجاله كذا وهذا بعد ما صار النظر
والاطلاع الشرعي بما فيه فتشادة على ذلك وضعا امضاءنا وطابعنا وكتب بخط يده
كاتب البحر فلان في مدينة باريز في شهر كذا سنة كذا

لوزجان مري دبربون وتحت ذلك من جانب حضرته السمية غرامبرك مختوم
(ذكر خط يد القونصو المصطلح عليه الذي يكون عند سفن سيدنا أيده الله)

صورته

كاتبه فلان قونصو الفرنسيين بإيالة سيدنا نصره الله بقر كذا أعلم كل من رأى
هذه الاحرف أن المركب المسمى كذا رئيسه فلان وفيه كذا وهو من ثمر كذا بأنه
هو ومن معه من إيالة السلطان المنصور بالله سيدنا محمد بن عبد الله سلطان مراکش
ومن انضاف اليه رجاله كذا مدافعه كذا وشهادة على ذلك وضعا اسمنا على هذه
الورقة التي حتمناها بخاتمنا في بلاد كذا في شهر كذا من سنة كذا

﴿ العبرة بحال مراکش ﴾

كانت مملكة مراکش منذ قرن أو قرنين عزيزة الجانب مرهوبة الشدى من ممالك أوربا ولكن غرور المسلمين ، واختيارهم الجهل بحجة الدين ، قد جعل شرأحوالهم عواقبها وخواتيمها (والعياذ بالله تعالى) فانظر أيها القاري، بعين العبرة في هذه المعاهدة أو المصالحة بين سلطان مراکش وملك فرنسا التي وقعت من نحو قرن ونصف تجد أن السلطان المسلم كان هو وقومه فرحين مغتبطين بالفخفخة والاطراء، والألقاب الضخمة ورسوم الدعا، والاعتزاز برضى ملك فرنسا بلقب الطاغية ولم يفقهوا أن هذه المصالحة التي توهموا أن لهم فيها العزة والشوكة والصولة والدولة ما هي إلا مبدأ الحية والانخزال، ومقدمات الاضمحلال والانحلال ، ولو وجد في ذلك الوقت رجل حكيم بصير بالعواقب وقال إن المزايا التي أعطيتموها لفرنسا على أن لكم منها مثلها ستكون وسيلة لاستيلائها على جيرانكم من إخوانكم ثم عليكم لانخذالكم وتفرقكم: لآفتي الفقهاء منهم بكفره، وحكم الحاكمون بقتله ، وأجمعت الأمة على لعنه ، لأنه خالف «مولانا الامام المطهر» واعترض أمره، ولكن من رأى فرنسا استولت على الجزائر ثم احتلت تونس ثم انضمت برائتها في مراکش التي خذلت جارتها الجزائر في محاربتها لفرنسا من قبل وسمع ساستها وكتائبها يفتخرون بانهم ورثوا ملك هذه البلاد وأملأوها من رأى وسمع ماذكر يسهل عليه أن يعرف درجة جهل مراکش من ذلك اليوم بقوتها ، وخطر استرسالها في جهاتها، وهل أفاق بعد هذا كله المراكشيون ، لعمر ك أنهم في سكرتهم يعمهون ،

لا تريد بهذه الذكرى إيقاظ أهل مراکش لأجل مقاومة نفوذ فرنسا فإنا نعلم أن الأرض يرثها من عباد الله الصالحون لعمارتها وإقامة النظام والعدل فيها وأهل مراکش كأهلهم من سائر المسلمين في هذه العصور أعداء العدل والنظام ، عشاق الخلل الاستبداد ، حرب العلم والصناعة، سلم مع التفريط والاضاعة ، لاهم لهم في عالم السياسة إلا في التزلف والاستخذاء لا تثير أوساطان منهم يسومهم سوء العذاب، ويجعل نفسه في مصاف الأرباب، وهم لا يخامون وصفه بصفات الألوهية ، ووسم أنفسهم بسمات العبودية ، ولقد كانوا ينزهون عن هذا اللفظ (العبودية والعبد) ثم صار يقال جهراً، وبحسب ديناً لا كفراً ، أو إقامة عدة زعماء ، وتمزيق الأمة بتفرقهم في الأهواء، وبإويل من أنكر عليهم ما يبرفون،

وأذهرهم مغبة ما يشكرون، إنني أكتب هذا وأفكر فيمن يألم له وأزن آلامي بكل ما تخيل من آلام فأراها ترجح في إحساسي واعتقادي وإن قلبي ليقطر حبراً أحمر وقلبي يقطر دماً أسود فليقل من شاء ما شاء فلا يستطيع أحد أن يؤلني بقوله بأشد مما أنا فيه. وأعود إلى ما أريد من الذكرى، أريد أن يتنبه من عنده استعداد للفهم من أعداء الإصلاح إلى حاجتهم إلى النذر والتأمل في كل قول ينتقد به حال أمتهم وملتهم وإن كان القائل ظنيماً عندهم في رأيه واعتقاده، وأن يعلموا أن ضعف الأمم وهلاكها بضاد رؤسائها وإن الذين يعظمون هؤلاء الرؤساء ويتقربون منهم ويتمنون بأموالهم وبجواهرهم ومنه رتب الشرف وأوسمته هم الجديرون بالاتهام بغش الأمة في كل زمان ومكان، كذلك كانوا وكذلك هم الآن، ولكن الرياسة تستعبد الطامعين، والسياسة فتنة للعالمين،

كانت دولة مراکش عند عقد هذه المصالحة لا تزال عزيزة قوية ولكنها جاهلة بأن دوام الدولة إنما يكون بقوة الأمة، وقوة الأمة في هذه الأزمنة لا تكون إلا بالعلم والصناعة والثروة، ولقد كانت دولة فرنسا لذلك العهد ملكية مطلقة كدولة مراکش فلماذا سقطت هذه الدولة الإسلامية حتى صارت لا تقوى على تأديب خارج عليها ونهضت تلك الدولة حتى صارت في مقدمة الدول العظمى؟ ولماذا صارت لا ترى مانعاً من الاستيلاء على مملكة مراکش المعارضة دول أوروبا فلما رضوا قالت أنا وارثة هذا الملك بعد أن كانت ترضى من صاحبه بتلك المصالحة التي يلقب فيها ملكها بالطاغية ويرضى بما دون المساواة لصاحب مراکش؟ ولقد كان الحال بين الدولتين على عهد لويس السادس عشر كما كان على عهد من قبله وكان محمد بن عبد الله بن إسماعيل يتعالى على لويس في الخطاب كما كان يتعالى على من قبله وآخر كتاب رأيته منه مؤرخ في سنة ١١٩١ على أن محمداً من خير من ولي مراکش عند أهلها ولويس السادس عشر من شر ملوك فرنسا عند أهلها إذ كانت الثورة الكبرى على عهده وقد أهانت الأمة دماء الملوك بسفك دمه فكيف نهضت فرنسا على ما كان من ضعف ملكها وسقطت مراکش على ما كان من عظمة سلطانها وفضله؟ الجواب عن هذه الأسئلة واحد وهو أن الأمة الفرنسية كانت تجدد في نشر العلم وجمع كلة أهل الرأي لتقييد السلطة المطلقة حتى ظفرت بها وسارت على سنة الله في ارتقاء البشر بالأسباب والأمة المراكشية كانت تتوهم أنها مؤيدة من السماء،

ومتعبدة بالخضوع للرؤساء، لا يخطر على بالها أنها في حاجة الى العلوم الكونية، والصناعات العملية، والقوة القومية، فكانت تزيد تفرقا من حيث يزيد الفرنسيين اجتماعا، وتوغل في فيافي الجهل. كلما وغل الفرنسيين في ربوع العلم، وتستخذي السلطة الرؤساء والحكام. إذ ساوهم الفرنسيين في الحقوق بالعوام، وتشكل على كرامات الاحياء والاموات، كما يتكل الفرنسيين على ما وهبهم الخالق من القوى والادوات، فأى الفريقين احق بالقوة والسيادة،

من المصائب الكبرى ان الامراء والسلاطين السكاري بخمرة السلطة المطلقة والاستبداد لا يسمعون النذر التي تصيح بجوارهم، ولا يبصرون العبر التي تنزل بديارهم، وان الاعوان الفارين الفاشين الامة بهم لا يكفون عن غشهم للمرءوس، وتلقهم للرئيس، مادام في يده لماج يا كلونه، أو وشل يشربونه، أو وسام يتحلون به أو يبيعونه، وإن العامة تقبل هذا الغش، وتدين لذلك القهر، مقتونة بقوة الغالب، وخلاصة الخائب،

جميع الممالك والبلاد الاسلامية على خطر السقوط في أيدي أوربا وجميع أهلها سادرون في غرورهم الا أفرادا من المملكة العثمانية يطلبون الاصلاح الواقعي بما يظنون نفعه والجاهل ينزونه بالانقلاب ويتهمونهم بسوء القصد أو بسوء العمل والجرائد الخاتلة الخادعة تفر العامة منهم - هذا والمملكة العثمانية أقدر الممالك على الاصلاح لكثرة المتعلمين القادرين على الادارة المنتظمة فيها. وهناك أفراد في المملكة الفارسية يقال ان الشاه نفسه يود معهم الاصلاح ولكن سلطة الشاه مقيدة بسلطة العلماء والمجاهدين، الذين لما يشعروا بالخطر المحيط بالمسلمين، وليس عندهم رجال يقومون بالأعمال، فإذا تقول في بلاد نجد وحضرموت وهم على بداوتهم يخضعون لرؤساء في عزلة عن الكون وما فيه من القوى الحربية والسياسية التي لا تبارى الا بمثلا. ولعلك اذا قات في البلاد العربية أو الفارسية انه يجب على الامة ان تعلم العلوم الرياضية والطبيعية والاجتماعية ترمى بالكفر ولا يبعد ان ترمى بعده بالرصاص

لايسهل تذكر المسلمين الا اذا سلبوا كل قوة وزالت من أيديهم كل سلطة وأنى لهم الذكرى حينئذ. ولو قات للعقلاء العائشين منهم في بلاد الجهل والاستبداد.

عليكم ان تفكروا عليكم ان تجتمعوا عليكم ان تتعلموا عليكم ان تعملوا عليكم ان تحاطروا ولا يفرنكم نبد الاكثر منكم لكلام النذير لكم وزعمهم انه ضد الرؤساء بل تمثلوا حال كل بلاد استولى عليها الاجانب نجدون أن الناصحين كانوا فيها على خطر ثم ظهر صدق قولهم وتأويل وعدهم: لاختلفوا في الجدل، مع الاتفاق على ترك العمل، الا من هداه الله من المتقين، وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين،

باب الخبير بالاناء

﴿ مصاب مصر بحسانها ومحسنها ﴾

وزنت الديار المصرية في هذا الشهر برجلين عظيمين لا خلف لهما فيما امتازا به وهما احسان الشعر وأديب القطر محمود سامي البارودي، ومحسن مصر الكبير أحمد المنشاوي فخرت الامة بفقد ههما خسارة عظيمة لا عوض لها الا فيما ترجوه من فضل الله تعالى بتوفيقه من شاء أن يكون مثل محمود في بلاغة اللسان وثبات الجنان وعلو الهمة ومكارم الاخلاق وحب الاصلاح ومثل أحمد في بسطة اليد وسخاء النفس وحب الخير للبشر والاعانة على الاصلاح. أما المصاب بالاول فقد كان موجماً لأهل الأدب لأنهم هم الذين يعرفون قيمة الفقيه والمعارفه من الوجهاء والفضلاء وقد نسي مقامه السيامي عند من كان على رأيه ومن كان مخالفاً له لان علو المناصب عرض يطرأ فيكون له حكمه، ويزول فيمحي رسمه، ولا يذكر الانسان الا بصفاته وأعماله. وأما المصاب بالثاني فقد أحست به جميع الطبقات في الامة قتالم له العالم والجاهل والمسلم والاسرائيلي والنصراني بل قتالم له كل عنصر يقيم في مصر حق الاجانب لان احسانه رحمه الله كان شاملاً عاماً وقد كان له لتشجيع جنازته مشهد ما رأينا مثله لا أمير ولا عالم أو وزير. وانا نذكر مجمل من سيرة الرجلين ليكون درسا في التاريخ يستفيد به المستبصرون

﴿ محمود سامي البارودي ﴾

(ترجمته عن صحيفة كانت عنده يقال بان الشيخ محمد عبده كتبها معه سنة ١٢٩٨)
هو محمود سامي بن حسن حسني بك البارودي ينتهي نسبه الى نوروز الانابكي

الملكي الاشرف في (١) والبارودي نسبة الى إيتاي البارود بلدة من مديرية البحيرة بمصر كان أحد أجداده ملتزماً لها فنسب اليها على عادة تلك الأيام . ولد المترجم لثلاث بقين من رجب سنة ١٢٥٥ . وبعد أن تاقى المبادي التعليمية دخل المدارس الحربية في سنة ١٢٦٧ في مبادي حكومة عباس باشا الاول وخرج منها في أواخر سنة ١٢٧١ في أوائل حكومة سعيد باشا . وكان في طبعه ميل غريزي الى الآداب العربية وفنون الانشاء والنظم فاشتغل بها حتى بلغ درجة عالية في النظم والنثر وفي شعره من السلاسة والمتانة وحسن التخيل ولطف الاداء وبهجة الديباجة ما لا ترى نظيره الا في شعر فحول الخضر مبن . ثم جنبحت نفسه الى تحصيل فنون الآداب التركية فرحل الى القسطنطينية وأقام هناك بآلم كتابة السر بنظارة الخارجية في الباب العالي فأنقش اللغة التركية قراءة وكتابة وله فيها من الأشعار والرسائل ما يعترف أدباء الترك ببلاغته، وتعلم هناك ايضاً اللغة الفارسية ولما انتهت اماره مصر الى اسماعيل باشا وسافر الى الاستانة لاجل القيام بالشكر للحضرة السلطانية على ولاية مصر عاد بصاحب الترجمة في حاشيته وكان ذلك في رمضان سنة ١٢٧٩ . وورقي الى رتبة البكباشي العسكرية في سبع بقين من المحرم سنة ١٢٨٠ وفيها سافر مع جماعة من ضباط العسكر المصري الى فرنسا لمشاهدة التمرينات العسكرية التي تكون هناك كل عام في العسكر المعروف باسم « قان دوسالون » وسافر بعد أن قضى لبنته من ذلك الى لندره عاصمة انكلترا لاختبار الاعمال العسكرية والآلات الحربية فيها ثم عاد الى مصر فارتقى الى رتبة القائمقام في الأتالي الثالث من الفرسان المعروف بلقب (الفارديا) وكان ذلك في ١١ ج سنة ١٣٨١ وفي غاية ذي القعدة من هذه السنة ارتقى الى رتبة أمير ألي فكان على الأتالي الرابع من عسكر الحرس المعروف بالفارديا . ولما خرج أهل جزيرة كريد عن طاعة الدولة في ربيع الاول سنة ١٢٨٣ وأرسلت الامارة المصرية جيشاً لاسعاد الدولة على تأديهم أرسل المترجم مع الجيش المصري بوظيفة رئيس الياوريه وبعد اخذ نار الفتنة في ٣ جمادى الثانية سنة ١٢٨٤

(١) وفي الاصل الى المقام العالي المولوي الاميري الكبير السيد الماسكي الخدمي العسدي الذخري المجاهدي السبي نوزور الاتابكي الخ فخذنا هذه النسب الاعجمية كما فخذنا القاب الامير والدعاء له كما ذكر كما هي سنة المنار السلفية

أنعم السلطان عبد العزيز عليه بالوسام العثماني من الدرجة الرابعة وعاد إلى مصر فكان من حجاب الخديو (ياور) ولما صدر الفرمان السلطاني بحصر الخديوية المصرية في ذرية اسماعيل باشا في ١٣ ربيع الأول سنة ١٢٩٠ وصار محمد توفيق باشا ولي العهد جعل صاحب الترجمة رئيس الحجاب (الياوران) وبعد ثلاث سنين جعله الخديو كاتب السر الخاص له (مكتوبي أو سكرتير) وبعد سنتين عاد إلى العسكرية. ولما خرجت بلاد الصرب على الدولة عقيب فتنة الهرسك وأرسلت الحكومة المصرية جيشاً لمساعدة الدولة على تدوينها أرسل هو إلى الاستانة برسالة خاصة بذلك فأقام فيها ثلاثة أشهر وعاد إلى مصر ثم أرسل إليها برسالة أخرى تخص بفتنة الباغار وخروج الجبل الأسود على الدولة. ولما اشتعلت نار الحرب بين الدولة وروسيا سافر بمسكوكه مع الجيش المصري الذي أرسل لمساعدة الدولة إلى وارنه ولم يعد إلا بعد عقد الهدنة الأخيرة وفي خلال ذلك رقي إلى رتبة أمير لواء ومنح الوسام المجيدي الثالث والمدايا.

وفي شهر ربيع الآخر سنة ١٢٩٥ عين مديراً للشرقية ثم عين رئيساً للشحنة (الضبطية) في مصر مدة سنة كاملة اهتم فيها بحفظ الأمن وكانت المخاوف تتناوش الناس من كل مكان لما كان فيها من الاصاب الحفية التي تتلاعب بإثارة الخواطر في ذلك الوقت أي أواخر حكم اسماعيل باشا بما كان من المناقشة بين الأمراء والكبراء ومن توجه كثير من الافكار لإثارة الشرور وإيقاف حركة الإدارة حتى إذا ماتم أمر الله بنزل اسماعيل باشا وأقيم وليّ عهده توفيق باشا أميراً لمصر جعل صاحب الترجمة عضواً في مجلس الوزارة وقلده نظارة عموم الاوقاف المصرية وكانت مختلة معتلة فأصاح خلالها وداوى عللها بما وضعه لها من القواعد والترتيب (وسمع منه صاحب هذه المجلة انه اجتهد يومئذ في جمع الكتب الموقوفة المتفرقة في المساجد وإنشاء دار للكتب (كتبخانه) تجمع فيها وكان ذلك مبدءاً للفكر في إنشاء المكتبة المصرية المعروفة بالكتبخانة الخديوية) ولما تم أمر التصفية المصرية على ما يرام رقي المترجم إلى رتبة فريق واعطى الوسام المجيدي من الدرجة الثانية وذلك في ٩ شعبان سنة ١٣٩٧

﴿الفتنة العراقية﴾

في غرة شهر ربيع الأول من سنة ١٢٩٨ كانت واقعة تألب الضباط المصريين

على ناظر الجهادية لأسباب أحفظهم عليه فاجتمعوا على طلب عزله من النظارة فأجيب طلبهم وعين الخديوي صاحب الترجمة ناظراً للجهادية جامعاً بينها وبين نظارة الاوقاف فاجتهد في إثلاج صدور الضباط واتخاذ الوسائل التي تكفل حفظ الامن فم له ذلك ولكن ظهر له ان ادارة العسكرية أشد اختلالاً من نظارة الاوقاف وأنها في حاجة الى إصلاح عظيم لا بد فيه من الروية وطلبه من أسبابه بالتدريج فوجه عناية لذلك واتقاً بحسن نيته ومضاء عزيمته وثقة الأمير والأمة به - قال كاتب الصحيفة التي نقلنا عنها ما تقدم بتصرف في العبارة دون المني : وفي هذه المدة القصيرة تيسر له إصلاح كثير من شؤونها ونحويل بعض أحوالها الى ما هو أحسن ومن المأمول أن يساعده التوفيق الالهي على إتمام مقاصده فيها أن شاء الله تعالى اهـ

وإنما تم ترجمته بحسب ما علمه من أصح الروايات وقد علم مما مر وهو ما كان يحفظه المرحوم مما كتب في أوائل أيام الفتنة أنه لم يكن للمترجم سابقة تقتضي استيائه من الأمير فإنه نشأ في حجر الامارة عزيزاً كريماً فينبه وبين رؤساء العسكرية الذين أثاروا الفتنة فرق وهم أحمد عرابي وعلي فهمي وعبد العال وأحمد عبدالغفار فإنهم كانوا كأكثر المصريين في العسكرية وغيرها مهضومي الحقوق والمهضوم يندفع عند الفرصة إلى إزالة الهضم وطلب الحقوق بشعور قوي من نفسه بالحاجة الى ذلك وكثيراً ما يقوى سلطان الشعور على الفكر فقد كان فكر زعماء الفتنة تابعاً لشعورهم بالأثم والخطر المتوقع من جرائمهم ما فعلوا لاسيما بعد على الظهور بمظهر القوة أمام قصر الامارة وإلزام الأمير باطناباً أجابهم اليه بالرضى ظاهراً . واما محمود باشا سامي فإنه كان يعمل بالفكر لمصلحة أميره وأمتة معاً ولا يبعد ان يكون شعوره بوجوب تأييد سلطة الأمير المطلقة وقتئذ أقوى من فكره بوجوب تأييد مطالب أهل البلاد وعدم تمييز الترك والجزا كسنة عليهم لأن الشعور دائماً يتبع المنفعة الخاصة والفكر يؤيد المصلحة العامة ، والذي نلناه انه كان معتدلاً جامعاً بين مقتضى الشعور ومقتضى الفكر

كان الرجل على ما بينا ولكنه في رمضان من السنة التي جملة الأمير فيها ناظراً للجهادية (سنة ١٢٩٨) أحس بسوء ظنه فيه واتهامه إياه بالاتفاق والاشتراك مع الضباط فيما كان يصدر عنهم من الاعمال المخالفة للنظام فاستغنى فأعفاه الأمير وعين داود باشا

يكن ناظر للجهادية . ولكن استغفاه زاد الفتنة احتداما في منتصف شوال حصلت المظاهرة المشهورة في ميدان قصر عابدين بعد ما اجتهد الامير في تسكين جاش الرؤساء المضطرين وكان ماكان في القصر من الكلام بين رئيس الفتنة أحمد عرابي وبين الامير أولا وقنصل الانكليز ثانياً وطلب عرابي إسقاط وزارة رياض باشا والتصديق على قانون العسكرية الجديد الذي ألفوه وعزل شيخ الارهر وبعد المراجعة رضي باسقاط الوزارة قبل نزوله من القصر الى حيشه المحرق به وتأجيل ماعداء فأجيب الى ذلك . ولما بلغ محمود سامي باشا خبر سقوط وزارة رياض باشا أسف أسفا شديدا لاعتقاده أن الحلال سيزيد والفوضى ستنتشر بعده وقد سئل عن رأيه في تأليف وزارة تحت رئاسة شريف باشا وهل يجيب الدعوة ليكون فيها ناظراً للجهادية كما كان فأجاب بأنه عقد التية على ان لا يدخل في خدمة الحكومة مادام لرجال العسكرية سلطان يملو سلطان النظام وصمم على ذلك مع الاخلاص وصدق المزينة ولما قبل شريف باشا تأليف الوزارة دعاه ليكون ناظر للجهادية فأبى ولكن الامير توفيق باشا نفسه دعاه وأكده القول بأنه لم يسيء به ظناً قط بل كان يمتد اخلاصه في جميع أعماله وان الذي أساء به الظن هو رياض باشا وذكر له أمورا أثرت في نفسه تأثيراً حملاً على قبول نظارة الجهادية لارغبة فيها ولكن خضوعاً للامير وتشفياء ممن كان سبباً في تسوئة سيرته وتشويه سمعته ووقع بحسن نيته في الشرك الذي كان يحامي الوقوع فيه . وفي أثناء هذه الوزارة تألف مجلس النواب المصري وعارض وكيلا دولتي فرنسا واسكترا في نظر النواب وتقريرهم لميزانية الحكومة لما للدولتين من الديون عند الحكومة التي تسمح لهم بمراقبة ماليتهما ولما أصر النواب على وجوب النظر في الميزانية كغيرها وعدم قبول تداخل الاجانب في ذلك ولم يقبلوا مناقحت الوزارة به لانحة مجلس النواب بل أرسلوا وفدا الى الامير يطلبون تنفيذ مقررهم واسقاط الوزارة فاختر الامير صاحب الترجمة لتأليف وزارة تحت رياسته ففعل وكان ذلك في منتصف ربيع الأول من سنة ١٢٩٩ وسارت الاعمال بعد ذلك سيراً مرضياً

ثم كانت المسألة التي سموها مسألة الجرا كسة وهي كيد ضبطهم لعرابي باشا وعزمهم على قتله وكان ناظر للجهادية فأمر بالقبض عليهم ومحاكمتهم في مجلس حربي والمشهور

أنهم قبضوا على أربعين منهم عثمان رفقي باشا الذي كان ناظر الجهادية من قبل وان رئيس المجلس الحربي الذي حكم عليهم كان راشد باشا الجركسي فحكم عليهم بالنفي الى اقاصي السودان ولكن مجلس النظار طلب من الامير تخفيف العقوبة فأصدر أمره بذلك ولكن خاطب به نظارة الداخلية لانظارة الجهادية خلافاً للمتبع يومئذ فوقع الخلاف يومئذ بين الامير ومجلس النظار ومن ثم وقع الخطر وما كان أغناه عنه

اجتهد النظار في استرضاء الامير بواسطة جماعة من النواب استقدموهم من بلادهم فكلموه وكله غيرهم فلم يجب طلبهم. وسأل حينئذ وكلاء الدول من النظار عن حال الاوربيين في مصر هل يخشى عليهم من خطر فأجابوهم بأنه لا خوف عليهم ولا خطر ولكن الامير قال عقيب ذلك لهؤلاء الوكلاء انه لم يبق آمناً على مسنده ولا على دماء الاوربيين وأموالهم في مصر فطلب فصل فرنسا وانكلترا من دولتيهما لإرسال اسطولين الفرنسي طلبه لتهديد والانكليزي طلبه للعمل ولما حضر الاسطولان قدم القنصلان لائحة يطلبان فيها اسقاط الوزارة واخراج عرابي من القطر المصري وغير ذلك وكان ذلك في ٧ رجب سنة ١٢٩٩ الموافق ٢٥ مايو (ايار) سنة ١٨٨٢ فقبلها الامير واستعفى المترجم من الوزارة وكان اعتماد الامير على انكلترا دون فرنسا ومن آية ذلك تصريح المستر غلادستون يومئذ بأن دولته تريد أن تؤيد كلمة الجانب الحديوي توفيق باشا لما أظهر من أدلة الصداقة والإخلاص ... وكان في أثناء ذلك ما كان من الفوضى والاضطراب وكتب عرابي الى قناصل الدول يضمن لهم الامن العام ويقترح رجوع الاسطولين من الاسكندرية ووضع قانون اساسي يحدد حقوق الامير والوزراء وجعل صلات الدول بمصر من حقوق الدولة العثمانية. وفي تلك الاثناء ارسلت الدولة درويش باشا مندوباً لينظر في تلافى الامور فكان للاعمال ظهور وبطن واشتبه الامر على الناس وحشر الاجانب الى الاسكندرية وهاجر الأنوف منهم فزاد الخوف وكثر الاعتداء في الاسكندرية وتفاقم الشر بهد ذلك بحريق الاسكندرية الذي كان بمعرفة محافظها عمر باشا الطفي بوجي خفي لا يخالف. وكان مرشد الامير في تلك الاطوار المسترملت فصل انكلترا الذي أمر رسمياً من دولته بأن يترك القاهرة بعد حصول الحديوي الى الاسكندرية ويلازمه فيها. ثم اتحل أمير الاسطول الانكليزي (سيمور) سبباً للمدوان فزعم ان الجهادية تحصن قلاع الاسكندرية لاجل

محاربه وفي سبع بقين من شعبان بلغ الانكليز الحديوي عزم سيمور على مباشرة القتال بعد يومين وأشاروا عليه بأن يترك قصر رأس التبن ويقم في قصر الرمل ففعل . وفي اليوم التالي لذلك سافر الاسطول الفرنسي ولم يترك غير سفينتين وفي اليوم الذي بعده أطلق الاسطول مدافعه على حصون الاسكندرية - الخ ما كان مما لعل هنالشرحه بل نكتفي بالمثل « دم أضعاه أهله » والمراد ان الفتنة قد بلغت أشدها والحرب وقعت والاحتلال حصل والمترجم معتزل لاعمال الحكومة جهادية وإدارية حتى اذا كانت الحرب البرية ألزمه عرابي إلزاما بقيادة فرقة الصالحية فاضطر للقبول . ولما تمكن الانكليز من البلاد وحاكوا رجال الثورة حكم عليه بالنفي الى سيلان كما هو معلوم . وبهذا انتهت سيرة حياة الرجل السياسية ومن عرف أخلاقه وأفكاره وأطواره يحزم معنا بأنه لم يكن في عمل عمله شيء القصد أو التصرف بل كان يريد الخير لبلاده تحت سلطة أميره الذي تغذى بنعمه ونعم أبيه وارتقى في قصرها ولذلك عفا أمير البلاد الحالي عباس حلمي باشا عنه عند التماس بعض أصحابه ذلك من سموه راضيا وقابله بعد حضوره وأعاد له جميع حقوقه المدنية مع شدة بغضه لغيره من زعماء الفتنة العرابية حتى انه ليتألم من ذكر أسماهم . وسندكر في الجزء الآتي نبذة من سيرة الفقيه الأديبة وترجمة محسن مصر أحمد باشا المنشاوي رحمه الله تعالى وأحسن عزاء أهلها ومحبيها

(سلطان زنجبار)

خلق الله سلطان زنجبار لهذا العهد مستعدا للخير والاصلاح ولقد تلقى العلوم في مدرسة بلندن فزادته بصيرة ولم تنقص من دينه ولا من فضائله الاسلامية شيئا فهو فاضل مبال الى منهج السلف كثير المذاكرة في القرآن والسؤال والبحث في تفسيره وقد أمر من عهد غير بعيد بابطال بدع أهل الطرق في اجتماعهم - للذكر وغيره فظنوا ان هذا من تأثير المنار ولم يعلموا بدرجة بغضه للابتداع وحبه للاتباع وقد توجهت عزيمته الصادقة الى انشاء مدرسة عظيمة في زنجبار والحكومة تجدد في بنائها الآن . وقد سررنا جدا لهذا النبا العظيم ولما كنا ننفق على قانون المدرسة ولا على برنامج التعليم فيها فنذكر رأينا فيه وانما وصلت اليها آراء عنها غير مقطوع بها

على اختلافها فقليل منهم فرضوا على كل تلميذ ٣٥ روبية في الشهر وقيل أنهم جعلوا التعليم فيها مجانا لأن العرب لم يتعودوا دفع الاجرة على التعليم والهنود يفضلون مدارسهم لتقربهم بها في التعليم وليكون الاجرة فيها أقل . وهذا هو القول الاخير ولعله الصحيح وقبل ان العناية ستكون فيها موجهة الى اللغتين الفرنسية والانكليزية ثم العربية لان زمامها سيكون بأيدي الافرنج وقيل لم يتحقق ذلك فعسى أن يفضل علينا بعض القراء بالخير اليقين لتبدي رأينا فيه

﴿ الشيخ حسين الجسر ﴾

وفد على القاهرة في هذه الأيام أستاذنا الاول الشيخ حسين الجسر الطرابلسي العلامة الشهير مؤلف الرسالة الحميدة فتلقي بالحفاوة من العلماء والفضلاء الممارفين بفضلته وهو الأستاذ الذي تلقينا عنه العلوم العقلية والنقلية ما عدا الحديث وفقه الشافعية فتنا أخذناهما عن شيخ الشيوخ محمود انشابه (رحمه الله) وعلى يد هذين الشيخين نخر جناهما منهما أخذنا الاجازة بالتدريس وسيقيم أستاذنا الجسر في القاهرة أياما ويسافر بعدها الى الحجاز لأداء الفريضة يصحبه محمد كامل بك البحيري صاحب جريدة طرابلس فنسأل الله لهما السلامة في السفر والاقامة

﴿ هدم الألمانين للمساجد وتعصبتهم على العرب ﴾

كتب الينا بعض من حضر المعرض الذي أقامته الحكومة الألمانية في دار السلام قاعدة مستعمرتها في شرقي أفريقية انه شاهد هناك المركبات المعروفة بالعربات يجرها الرجال منها الحسن وهم بمنعون العرب منه ومنها الرديء ويباح للعرب قال « ولكن بعد أن حرموهم من النوعين » . وقال كان لرجلين من اليونان لهما خدمة في الحكومة بيت قريب من المسجد الجامع فكانا يشتمان المؤذن ثم شكوا الى الحكومة فهدمت الجامع وأعطت المسلمين جزاء حقيرا عنه ثم منعتهم فماذا ترى ؟ وكان في بلد تافق جامع قريب من الساحل فاستأمنه الألمانيون وهدموه وأعطوا المسلمين بدله محلا آخر فماذا ترى ؟ اه رأيت أيها القاري لو أن حكومة اسلامية فعلت مثل هذا ماذا يكون من أثره السيء عند هؤلاء المتمدينين وعند جميع النصارى بل وعند المسلمين . أتذكر أن معاوية

ومن بعده من ملوك بني أمية قد اجتهدوا في ارضاء نصارى دمشق ببدل عن تلك الكنيسة التي أرادوا بها توسعة المسجد فلم يقبلوا لانهم في ظل الاسلام . رأيت كيف اغضبوا الوليد بن عبد الملك وأهانوه وهددوه حتى اغتصبها وادخلها في المسجد وكيف جاء عمر بن عبد العزيز بعد ذلك فحاول هدم المسجد وارجاع ما كان منه كنيسة الى ما كان عليه . لولا ان استرضى مسلمو دمشق النصارى كما ذكرنا في جزء سابق . رأيت كيف ان المسلمين متفقون على ان الوليد كان ظالماً وان اهانونه وهددوه لان الاسلام لا يجيز له ان ينتقم منهم لنفسه بذلك كما انهم متفقون على ان عمر بن عبد العزيز هو العادل الذي جرى في هذا العمل وغيره على منهج الراشدين . فانظر الفرق بين المسلمين يوم كانوا اقرب الى البداوة لمكان العمل بالدين وبين الافرنج وهم في اعلى درجة ارتقوا اليها في العلم والتربية والعدالة يظهر لك ان الاسلام هو الرحمة الكبرى للأنام ، وان هؤلاء الافرنج مهما ارتقوا فانهم اشد الناس تعصباً لانفسهم وايداء لغير ابناء جنسهم . وقد سلطهم الله على المسلمين الذين تركوا التمسك بفضائل دينهم لعلمهم يرجعون بظلمهم إياهم الى هذا الدين ، او يكونون من الهالكين .

مباشراً ولا مواءمة سيئات الانكليز في الاستعمار

قلنا في اجزاء مضت ان انكلترا اقرب دول اوربا الى الحرية والعدل وانهم اذا لم يساعدوا اهالي مستعمراتهم على الارتقاء لا يمتنعونهم منه بالقوة كهولندا وما كان على شاكلتها وقد كتب اليانا من زار بمباشراً ولا مواءمة من مستعمراتها ان الاموال هناك قد قلت والاهالي قد هلكوا المعجزهم عن مجاعة النصارى وقتك (ميكروبات) المدينة الاوربية فيهم اذ جرفت اليهم ماجرفت الى مصر من جند الشهوات الفتاكة على ما فيهم من الجهل العام ولو ارتقت الانكليز في الرحمة والانسانية درجة اخرى لمنعت هؤلاء المساكين او منعت عنهم هذه المضار وسارت في هذا الامر كما سارت في بعض الامور على منهج المسلمين الذين يشترط عليهم القرآن ان يأمرؤا في الأرض التي يتمكنون منها بالمعروف وينهوا عن المنكر . بل كتب اليانا من زنجبار انهم اخذوا اوقاف المساجد بحجة المحافظة عليها فهل فعل المسلمون مثل هذا العدوان في ايام تمسكهم بالاسلام ، وقوتهم التي دان لها الانام ؟ او في يوم ما من الايام ؟

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

بؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و«منارا» كتنا والطريق)

(مصر - السبت غرة ذى القعدة سنة ١٣٢٢ - ٧ يناير (ك) سنة ١٩٠٥)

القسم الديني

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

(١٩٦: ١٩٢) وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ، وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ، فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِصْيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ، ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * (١٩٧: ١٩٣) الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٍ فَمَنْ قَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفْتَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ، وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَلْمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى، وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ *

اتصال هذه الآيات بما قبلها جليّ جدا لا سيما لمن قرأ ما تقدم من التفسير
فإن آيات القتال السابقة نزلت في بيان أحكام الأشهر الحرم والأحرام والمسجد
الحرام فكان الغرض الأول من السياق بيان أحكام الحج بعد بيان أحكام
الصيام لأن شهره بعد شهره الذي هو رمضان ولما أراد النبي (ص) العمرة
وصده المشركون أول مرة بالحديبية وأراد القضاء في العام القابل وخاف
أصحابه غدر المشركين بهم واضطارهم إلى قتالهم إذا هم نقضوا العهد وبدأوا
بالقتال أنزل الله تعالى أحكام القتال بعد ذكر الحج في حكمة اختلاف الأهلّة
ثم قال (وأتموا الحج والعمرة لله) فالعطف والتعبير بالإنتماء ظاهران في أن
السياق في الكلام عن الحج ولذلك لم يقل هنا كتب عليكم الحج كما قال
في الصيام . وقد كان الحج معروفا في الجاهلية لأنه فرض على عهد
إبراهيم وإسماعيل فأقره الإسلام في الجملة ولكنه أزال ما أحدثوا فيه من الشرك
والمنكرات ، وزاد ما زاد فيه من المناسك والعبادات ، فالآية ليست في
فرضيته وفرضية العمرة بل هي في واقعة تتعلق بهما وبقاصديهما وقد كانوا
توجهوا إلى ذلك قبل نزولها بعام كما تقدم فدل ذلك على أن المشروعية سابقة
على نزول هذه الآيات . والمراد بإتمام الحج والعمرة الاتيان بهما تأمين
ظاهرا بأداء المناسك على وجهها وباطنا بالاخلاص لله تعالى وحده دون
قصد الكسب والتجارة أو الرياء والسمة . ولا ينافي الاخلاص البيع والشراء
في أثناء الحج إذا لم تكن التجارة هي المقصودة في الأصل . وسيأتي التفصيل
في حكم التجارة في الحج في تفسير « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا
من ربكم » وأما الرياء وحب السمة فإذا كان هو الباعث على الحج فالحج
ذنب للمرائي لاطاعة وإذا عرض الرياء في أثناءه فقليل إنه لا يقبل منه شيء

لما ورد من أن الله تعالى لا يقبل إلا ما كان خالصا لوجهه والاحاديث في ذلك كثيرة وإذا كان هذا قد بدأ بالنسك لوجه الله فإنه لم يتمه الله كما أمر وقيل بل يؤخذ بقدر قصده الطاعة والاخلاص وقدر قصده الرياء وكل شي عند الله تعالى بمقدار « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » وتجد انقول في هذه المسألة مفصلا في كتاب الرياء من الجزء الثالث من الاحياء فراجع . وقد نبه الاستاذ الامام في الدرس على عامة الحجاج في هذا الزمان فقال إن أكثرهم لا يخطر في بالهم مناسك الحج وأركانها وواجباتها ولا يقصدونها للجهل بها وإنما يقصدون زيارة (أبو ابراهيم) يعني النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ومنهم من لا يعرف للحج معنى سوى هذه الزيارة وهؤلاء هم الهائمون المغرمون بالحج . ومن الناس من يحج ليقال له الحاج فلان أو ليحتفل بقدمه وهذا من أخس ضروب الرياء وكثير منهم يقتضى بالربا ويحج فيريد أن يعبد الله بانكر المنكرات . وقد استدل بالآية القائلون بوجوب العمرة كالحج وهو المروي عن علي وابن عمر وابن عباس وجماعة من كبار التابعين وعليه الشافعي وأحمد وقيل إنها سنة ويروى عن ابن مسعود وجابر بن عبد الله وعليه مالك والحنفية وعن أبي حنيفة قول بالوجوب . وقد تقدم أن الآية ليست في وجوب الحج والعمرة فلا تصلح حجة على القائلين بالسنية لان الامر باتمام الحج والعمرة خطاب لمن شرع فيهما ويصدق وان كانت العمرة سنة . ويدل على فرضية الحج قوله تعالى « ولله على الناس جمع البيت من استطاع اليه سبيلا » والاحاديث الصريحة وأما الاحاديث في العمرة فتعارضه والصواب أن الاحاديث الناطقة بأن العمرة غير واجبة وبأنها تطوع ضعيفة وأقواها حديث الاعرابي الذي سأل

النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : أخبرني عن العمرة أواجبة هي ؟ فقال
« لا وأن تكثر خير لك » وهو عند أحمد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد
وصححه الترمذي وفي إسناده الحجاج بن أرطاة وقد ضعفه إلا كثرون وبالغ
ابن حزم فقال إن هذا الحديث مكذوب باطل ، والصواب ما قاله النووي
من اتفاق الحفاظ علي تضعيفه . وأقوى أحاديث القائلين بوجوب العمرة
حديث أبي رزين العقيلي قال يارسول الله إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج
ولا العمرة ولا الظمن فقال « حج عن أبيك واعتمر » رواه أحمد وأصحاب
السنن وصححه الترمذي بلا تكثير بل قال الامام أحمد لا أعلم في إيجاب العمرة
حديثاً أوجب من هذه ولا أصبح منه . فهو حجة على القائلين بأن الامر
للوجوب ما لم يصرفه صارف وقد يقال إن هذا السائل لم يقصد السؤال
عن مشروعية أصل الحج والعمرة فانه كان يعلم حكمهما وانما سأل هل
يصح أن يأتي بهما عن أبيه الذي يقعه عنهما العجز ولا ينافي هذا كون
العمرة سنة متبعة لا فرضاً لازماً ويؤيد هذا عدم ذكرها في الآية الناطقة
بالوجوب ولا في حديث أركان الاسلام فهي تطوع الناسك وإن لم يصح
الحديث الذي فيه لفظ التطوع . وقال بعضهم إن العمرة سنة فتي شرع فيها كان
إتمامها واجبا . وما تقدم في معنى الاتمام هو المتبادر والجامع بين الأقوال
المختلفة وما رواه ابن أبي حاتم عن صفوان بن أمية في سبب نزولها إن صح
لا ينافيه وهو أن رجلاً جاء النبي صلى الله عليه وسلم متضمخاً بالزعفران عليه جبة
فقال كيف تأمرني يارسول الله في عمري فأنزل الله الآية فقال « أين السائل
عن العمرة ؟ قال : ها أنا ذا : فقال له « ألق عنك ثيابك ثم اغتسل واستنشق
ما استطعت ثم ما كنت صانعا في حجك فاصنعه في عمرتك »

وأركان الحج الاحرام من الميقات وهو أول أرض الحرم والوقوف
بعرفة والطواف بالكعبة والسعي بين الصفا والمروة والخطأ أو التقصير للشعر
فمن أدى هذه الاعمال فقد أدى الفريضة التي هي ركن من أركان الاسلام،
وله أعمال أخرى واجبة من قصر في شيء منها كان عليه فدية . وأركان
العمرة هي ماعد الوقوف من أركان الحج . وفريضة الحج مجمع عليها معلومة
من الدين بالضرورة من أنكرها كان مرتدا . والراجح أنه فرض سنة تسع
من الهجرة وعليه الجمهور وهذه الآية نزلت سنة ست ولكن ليس فيها
ان الحج فرض على كل مستطيع من المؤمنين رجالا ونساء .

أمر بالانتهاء ثم ذكر حكم ما عساه يحول دونه فقال (فان أحصرتم
فما استيسر من الهدى) الحصر والاحصار في اللغة الحبس والتضييق يقال
حصره عن السفر وأحصره عنه اذا حبسه ومنعه وقال بعض أئمة اللغة
إن الاحصار هو المنع بسبب الناس والحصار بسبب المرض وقال بعضهم
بالعكس وقوله تعالى بمد « فاذا أمنتهم » يرجع ان المراد بالاحصار منع العدو
أي ان منعتهم من إتمام النفسك فعليكم ما تيسر لكم من الهدى وهو ما يهديه
الحاج والمعتبر الى البيت الحرام من النعم ليدبح ويفرق على فقرائه وذهب
الجمهور الى أن المراد بما استيسر الشاة وهي أذناه وقال ابن عمر وعائشة
وابن الزبير جل أو بقرة والمتبادر من الآية ان على كل أحد ما استيسر له من
بدنة أو بقرة أو شاة قال ابن عباس وماعظم فهو أفضل . والجمهور على انه يذبحه
حيث أحصر ولو في الحل ويتحلل لأنه عليه الصلاة والسلام ذبح عام الحديبية
بها وهي من الحل على الارجح . وقالت الحنفية يبعث به الى الحرم ويجعل
للمبعوث بيده يوم أماراة فاذا جاء اليوم وغلب على ظنه أنه ذبح تحلل

ثم قال (ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله) الدخول في الحج أو العمرة يكون بالاحرام وهو نية النسك عند الابتداء به بالتلبية ولبس غير المخيط والخروج منهما ويعبر عنه بالاحلال والتحلال يكون بحلق الرأس أو تقصير شعره فالنهي عن الحلق هنا عبارة عن النهي عن الاحلال قبل بلوغ الهدى الى المكان الذي يحل ذبحه فيه وهو في حال الاحصار حيث يحصر الحاج والا فالكعبة لقوله تعالى « هديا بالغ الكعبة » وقوله « ثم محلها الى البيت العتيق » واستدل الحنفية بهذا على عدم جواز نحر الهدى في محل الاحصار وحجة الجمهور فعل النبي صلى الله عليه وسلم في الحديبية وأن الاصل في الهدى أن يبلغ الكعبة لانه مهدي اليها وحال الاحصار حال ضرورة لاسيما في السنة التي أنزلت فيها الآية فقد كانت الكعبة في أيدي المشركين فلا يعقل أن يأمر الله تعالى بإرسال الهدى اليها فيكون غنيمة لهم على أن ابلاغه محله في حال الاحصار يكون متعذرا أو متعسرا فكيف يتوقف الاحلال عليه . على ان اكتفاءهم بذبحه في أدنى مكان من أرض الحرم لا ينطبق على الآيتين الناطقتين ببلوغ الكعبة والبيت العتيق وقولهم انه عليه السلام ذبح عام الحديبية في أول الحرم غير مسلم فجمهور أهل النقل على خلافه . ثم انهم احتاجوا في تصحيح قولهم الى تقدير العلم أي حتى تعلموا ان الهدى بلغ محله ولا حاجة الى تقدير على رأي الجمهور . واستدل الجمهور بالاقتصار على الهدى في مقام البيان على أن القضاء غير واجب على المحصر وقالت الحنفية يجب قضاء العمرة لان النبي قضاها بأصحابه وسميت عمرة القضاء وقال الشافعي سميت عمرة القضاء والقضية للمقاضاة التي وقعت بين النبي (ص) وبين قریش لا على أنه أوجب عليهم قضاء تلك العمرة . والهدى جمع هدية

كجدي وجدية والحل بكسر الحاء اسم لمكان من حل يحل
ثم ذكر حكم من يؤذيه عدم الحلق فقال (فمن كان منكم مريضا
مرضا ينفعه فيه الحلق ويضره عدمه (أو به أذى من رأسه) كقمل أو جرح
(فقديّة من صيام أو صدقة أو نسك) أي فعلية إن حلق فدية من هذه
الاجناس الثلاثة على التخيير . أخرج البخاري من حديث كعب بن عجرة
قال وقف عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحدبية ورأسي يتهافت قلنا
فقال « يؤذيك هو أمك؟ » قلت نعم قال « فاحلق رأسك » قال فنزلت هذه
الآية وذكرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم « صم ثلاثة أيام أو تصدق بفرق
بين ستة أو انسك بما تيسر » قال البخاري وعنه رضي الله عنه أنه قال : نزلت
في خاصة وهي لكم عامة : والفرق بالتحريك قيل وبالفتح مكيا بالمدنية
بسع ستة عشر رطلا . وقوله بين ستة أي من المساكين والنسك ههنا قال
ابن عبد البر لا خلاف بين العلماء في أنه شاة . ثم قال تعالى (فاذا أمنتكم) لا حصار
وذهب خوف العدو قال بعض الفقهاء ومثله المرض (فمن تمتع بالعمرة الى الحج
فما استيسر من الهدي) أي فمن تمتع بمحظورات الاحرام بسبب العمرة أي
أدائها بأن أتمها وتحلل وتقي متمعا الى زمن الحج ليجز من مكة فعليه
ما استيسر له من الهدي أي فعليه دم جبر لأنه أحرم بالحج من غير الميقات
يذبحه يوم النحر أو قبله جوازا عند بعضهم أو المعنى فمن قام بأعمال العمرة قبل
الحج منتهي اليه فعليه ذلك (فمن لم يجد) الهدي لعدمه أو عدم المال (فصيام ثلاثة
أيام في الحج) أي في أيام الاحرام بالحج وتمتد الى يوم النحر (وسبعة إذا رجعتم)
من الحج الى بلادكم ويصدق بالشرع في الرجوع وعليه الأئمة الثلاثة وغيرهم
من السلف قالوا يحجزه الصوم في الطريق ولا يتضيق عليه الا اذا وصل الى

وطنه وقال مالك اذا رجع من منى فلا بأس أن يصوم وقال أبو حنيفة معناه اذا فرغتم من أعمال الحج فيجوز الصوم عنده قبل الشرع بالرجوع الى الوطن وأخرج البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث ابن عمر في حجة الوداع انه صلى الله عليه وآله وسلم قال: فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجع الى أهله » ولهذا الحديث قال بعض العلماء انه لا يجوز صيامها قبل الوصول الى أهله لانه تقديم للعبادة البدنية على وقته ويجاب عنه بأن لفظ الرجوع يصدق بالشروع فيه ولا يخفى أن الاحتياط ان يصومها بعد الوصول الى أهله .

وقوله تعالى (تلك عشرة كاملة) إشارة الى الثلاثة والسبعة مبين لجملة العدد الواجب كما بين تفصيله ومزيل لوهم من عساه يتوهم ان الواو العاطفة لسبعة للتخيير كما عليه بعض العرب في مثل : جالس الحسن وابن سيرين : وروي ان بعض العرب كانوا يستعملون عدد السبعة للكثرة في الآحاد كما يستعملون عدد السبعين لغاية الكثرة فالفذلكة تزيل وهم هؤلاء ايضا ولذلك أكدها بقوله كاملة . قال الاستاذ الامام إن الله تعالى اذا أراد أن يقرر حكما وكان في التعبير المؤلف عنه ما يوهم خلاف المقصود ولو لبعض المخاطبين يأتي بما يؤكد الحكم وينفي أدنى وهم يعرض فيه ولذلك وصف كتابه بالمبين وبالتبيان . واذا كان هذا شأنه فيستحيل أن يطلق في مقام بيان الاحكام القول في نفي شيء بصيغة الاثبات كما قدر بعضهم النفي في قوله « وعلى الذين يطيقونه فدية »

ثم بين تعالى أن التمتع بالعمرة مضمومة الى الحج أو الى وقت الاحرام بالحج وما يتبعه من الاحكام خاص بالآفاقيين دون أهل الحرم فقال (ذلك لمن

لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) وذلك ان أهل الآفاق هم الذين يحتاجون الى هذا التمتع لما يلحقهم من المشقة بالسفر الى الحج وحده ثم السفر الى العمرة وحدها . هذا ما اختاره الاستاذ الامام وعليه الحنفية فلا متعة ولا قران عندهم لحاضري المسجد الحرام وقال غيرهم كالشافعية ان الاشارة الى أقرب مذکور وهو الجزء على التمتع من الهدي او بدله لأن الآفاقي اذا تمتع بحرم بالحج من مكة لا من الميقات فيكون حجة نافصاً يجبر بالهدي أو بدله اذا لم يجد ولعل وجه الاختيار التعبير باللام المفيدة ان التمتع رخصة دون «على» المفيدة للجزاء . وحضور الالهل المسجد الحرام كناية عن الإقامة في أرض الحرم قال الجلال : والالهل كناية عن النفس : وما قلناه في الكناية أظهر والعبارة تشمل من لا أهل له على كل حال والمتبادر ان أهل المسجد الحرام هم أهل مكة ومن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام غيرهم وعليه مالك وقال طاووس هم أهل الحل وأبو حنيفة هم من وراء الميقات والشافعي هم من كان على مرحلتين من مكة اي مسافة القصر عنده . ثم ختم الآية بالامر بتقوى الله المقصودة من كل أمر ونهي والاعلام بشدة عقوبته لمن لم يتقه فقال (واتقوا الله) بالمحافظة على امثال هذه الاوامر والنواهي وغيرها من ضروب الهداية التي فيها سعادتك (واعلموا ان الله شديد العقاب) بما جعل عاقبة التفريط والاضاعة شديدة على المفرطين في الدنيا والآخرة فاذا علمتم ذلك علما صحيحا رجي لكم الاستمساك بحبل التقوى وكنتم من المفلحين . وأما من لم يكن على علم بسروعيد الله تعالى بأن ظن انه تعالى يخلقه وان لم يتب ويتق صاحبه فهو من الخاسرين .

ذكر الله تعالى في هذه الآية حكم التمتع بالعمرة الى الحج وقد علم ان

الحرمي فيه ليس كالأقافي ويفهم منه ان هناك حجا واعتمارا على غير هذه الطريقة وقد ذكرنا ان الحج مع العمرة على ثلاثة ضروب نذكرها هنا لإفادة من لم يقرأ الفقه او لمن لا يعرف فيها الا ما قاله بعض الفقهاء وهي التمتع والافراد والقران وقد اختلفوا في أفضلها لتعارض الاحاديث في حجة الوداع أي الضروب كانت . فالتمتع أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج فيتمها ويتحلل ثم يحرم بالحج من مكة أو من قريب منها وقال بعضهم لا يشترط التحلل فتدخل في القران وقد أشرنا الى الوجهين في تفسير الآية . والافراد أن يحرم بالحج وحده ثم يمتنع بعد أدائه . والقران أن يحرم بهما جميعاً أو يحرم بالعمرة ثم يدخل الحج عليهما أو العكس كما تقدم .

وقد اختلفت الاحاديث الصحيحة في حجه صلى الله عليه وآله وسلم فمن بعض الصحابة أنه كان تمتعاً وعن بعضهم أنه كان إفراداً وعن بعضهم أنه كان قراناً وقد جمع المحدثون بين الروايات بوجود أقواها وأجمعها أنه أهل بالحج مفرداً ثم أدخل عليه العمرة فصار قراناً فيحمل قول القائلين بالافراد على ما أهل به وقول القائلين بالقران على ما انتهى اليه عمله من إدخال العمرة على الحج وقال شيخ الاسلام ابن تيمية: إن التمتع عند الصحابة يتناول القران: فتحمل عليه رواية من قال إنه حج تمتعاً فتصح جميع الروايات . وصفوة القول ان حجه صلى الله عليه وسلم كان قراناً ولذلك فضل كثير من العلماء القران وقال بعضهم التمتع أفضل واحتجوا له بحديث جابر عند البخاري وأبي داود قال دأب أهل النبي صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه بالحج وليس مع أحد منهم هدي غير النبي صلى الله عليه وسلم وطلحة وقدم علي من اليمن ومعه هدي فقال أهملت بما أهل به النبي صلى الله عليه وسلم فأمر النبي صلى الله عليه وسلم

أصحابه أن يجملوها عمرة ويطوفوا ثم يقصروا ويحلقوا إلا من كان معه الهدي وحكى استنكارهم وقول النبي (ص) ردا عليهم « لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت ولولا أن معي الهدي لأحلت ». وقال بعضهم وهو رواية عن أحمد إن الفضل التمتع لمن لم يسق الهدي لا مطلقا . وقال ابن القيم في اعلام الموقعين : أفتى صلى الله عليه وآله وسلم بجواز فسخهم الحج الى العمرة ثم أفتاهم بفعله حتما ولم ينسخه شيء بعده وهو الذي ندين الله به أن القول بجوابه أقوى وأصح من القول بالمنع منه وقد صح عنه صحة لاشك فيها انه قال « من لم يكن أهدي فليهل بعمرة ومن أهدي فليهل بحج مع عمرة »

ثم قال تعالى (الحج أشهر معلومات) أي الوقت الذي يؤدي فيه الحج أشهر يعلمها الناس وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة أي إنه يؤدي في هذه الأشهر ولا يلزم أن يكون من أول يوم منها الى آخر يوم بل معناه أنه يصح الاحرام به من غرة أولها وتنتهي أركانها وواجباتها في أثناء آخرها فالوقوف في التاسع من الحجة وبقية المناسك في أيام العيد وهي يوم النحر الذي فسر به قوله تعالى « يوم الحج الأكبر » وأيام التشريق وجوز بعض المفسرين تأخير طواف الزيارة الى آخر ذي الحجة . وقد اختلف العلماء في ذلك فقال بعضهم انها الأشهر الثلاثة من أولها الى آخرها ويروى عن ابن مسعود وابن عمر وعليه مالك وقال بعضهم انها الشهران وعشر من ذي الحجة ويروى عن ابن عباس وعليه أبو حنيفة والشافعي وأحمد ولا حجة في الآية لأحد على تحديده والمتبادر منها ما ذكرناه . وقد استدل بالآية على أنه لا يجوز الإحرام بالحج في غير هذه الأشهر لانه شروع في العبادة في غير وقتها كمن يصلي قبل

دخول الوقت ويروى عن بعض علماء التابعين وعليه الشافعي والاوزاعي وأبو ثور من أئمة الفقه وقال أبو حنيفة وأحمد إنه جائز مع الكراهة ومالك بلا كراهة . وقد بحث بعض العلماء في لفظ الأشهر وكونها جمع قلة وهل ورد في بيانها نص أو إجماع وأقول إنه بحث لا وجه له فالمراد بقوله تعالى معلومات أنها هي أشهر الحج المعروفة للعرب قبل الإسلام ولا خلاف في أنها الثلاثة التي ذكرناها ولذلك لم يؤثر عن الصحابة فيها إلا ما قيل في الثالث منها هل تكون أيامه كلها أيام حج أم تنتهي أعمال الحج في العاشر منها فالآية ظاهرة في أن الحج لا يكون إلا في هذه الأشهر ولعل هذا هو سر جعلها خبرا عنه ولما كان أعظم أركانها وهو الوقوف بعرفة يكون في التاسع من الثالث علم أن الحج لا يتكرر فيها فمن أحرم بالحج بعد هذا اليوم فلا حج له . قال تعالى (فمن فرض فيهن الحج) أي أوجبه وألزمه نفسه بالشروع فيه وقد مر بيان كلفيته (فلا رقت ولا فسوق ولا جدال في الحج) تقدم تفسير الرقت في آيات الصيام وفسروه هنا بالجماع والفسوق الخروج عن حدود الشرع بأي فعل محظور وقيل هو الذبح للأصنام خاصة وخصه بعضهم بالسباب والتنازع بالألقاب . والجدال قيل هو بمعنى الجدل من الجدال بمعنى القتل وقيل هو المراء بالقول وهو يكثر عادة بين الرفقة والخدم في السفر لأن مشقته تضيق الأخلاق . هذا هو المشهور وقال الاستاذ الإمام أن تفسير الكلمات الثلاث ينبغي أن يكون متناسبا وبموجب حال القوم في زمن التشريع فاما الرقت فهو كما قيل الجماع ومقدماته والكلام فيه وفيما هو بمعناه من الفحش . وأما الفسوق فهو الخروج عما يجب على المحرم إلى الأشياء التي كانت مباحة في الحل كالصيد والطيب والزينة باللباس الخيط .

والجدال هو ما كان يجري بين القبائل من التنازع والنفاخر في الموسم فهذا يكون التناسب بين الكلمات والاحتمات كلها على مدلولها اللغوي فجعل اللفظ قول الفحش والفسوق التنازع باللقاب على حد «ولا تنازعوا باللقاب بين الأمم الفسوق» والجدال المراء والخصام فتكون كلها آداباً لسانية والنسبة في منع هذه الأشياء على أنها آداب لسانية تعظيم شأن الحرم وتقليظ أمر الأمم فيه إذا الأعمال تختلف باختلاف الزمان والمكان فللأمم آداب غير آداب الخلوة مع الأهل ، ويقال في مجلس الإخوان ، ما يقال في مجلس السلطان ، ويجب أن يكون المرء في أوقات العبادة والحضور مع الله تعالى على أكمل الآداب وأفضل الأحوال وناعيمك بالحضور في البيت الذي نسبه إلى الله سبحانه إليه وقد بينا معنى هذه النسبة في تفسير «واجعلنا البيت مثابة للناس» الآيات

وأما السر فيها على أنها محرمات الاحرام فهو ان يمثل الحاج انه بزيارته لبيت الله تعالى مقبل على الله تعالى قاصد له فيتجرع عن عاداته ونعيمه وينسأخ من مفاخره ومميزاته على غيره بحث يساوي الغني الفقير ، ويمائل الصعلوك الأمير ، فيكون الناس من جميع الطبقات ، فيزي كزي الاموات ، وفي ذلك من تصفية النفس وتهذيبها وإشعارها بحقيقة المبودية لله ولاخوة للناس ما لا يقدر قدره ، وان كان لا يخفى أمره ، وفي حديث أبي هريرة في الصحيحين «من حج ولم يرفث ولم يفسق أخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» وذلك أن الإقبال على الله تعالى بتلك الهيئة والتقلب في تلك المناسك على الوجه المشروع يحو من النفوس آثار الذنوب وظلماتها ويدخلها في حياة جديدة لها فيها ما كسبت وعليها ما اكتسبت

ثم قال تعالى بعد النهي عن هذه المحظورات (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) وفيه التفات الى الخطاب ويشعر العطف بمحذوف تقديره ان اتركوا هذه الامور الممنوعة في الحرج لتخليقة نفوسكم وتصفيتها وحلها بعد ذلك بفعل الخير لستم لكم تزكيتها فان النفوس بعد ذلك تكون اشد استعداد للتأثر بالخير والله لا يضيع عليكم اقل شيء منه لانه عالم به وبأنكم وافقتم فيه سنته وشريعته (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) قالوا ان هذا نزل في ردع اهل اليمن عن ترك الزود زعماء انهم من مقتضى التوكل على الله فقد اخرج البخاري وأبو داود والنسائي وغيرهم عن ابن عباس انه قال كان اهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ثم يقدمون فيسألون الناس فنزلت فالمراد بالتقوى على هذا اتقاء السؤال وبذل ماء الوجه . قال الاستاذ الامام وهو غير ظاهر من العبارة بل المتبادر منها ان الزاد هو زاد الاعمال الصالحة وما يدخر من الخير والبر كما يرشد اليه التعليل في قوله فان خير الزاد التقوى والمعنى من التقوى معروف وهو ما به يتقى سخط الله وليس ذلك الا البر والتزود عن المنكر ولا يعمل بان التقوى خير زاد الا وهو يريد الزود منها اما المعنى الذي ذكره فلا يصلح مرادا من الآية لانه لو لا ما اوردوا من السبب لم يخطر ببال سامع اللفظ والسبب ليس مذكورا في الآية ولا مشار اليه فيها فلا يصلح قرينه على المراد من الفاظها . نعم ان السبب قد ينير السبيل في فهم الآية ولكن يجب ان تكون مفهومة بنفسها لان السبب ليس من القرآن ولذلك اتهمنا بقوله (واتقون يا اولي الابواب) يعني من كان له لب وعقل فليقتني فانه يكون على نور من فائدة التقوى وأهلا لا انتفاع بها : أقول ويدخل في فعل الخير والطاعة الاخذ بالاسباب كالزود وتحامي وسائل الحاجة الى السؤال المذموم والله اعلم

توضيح وكشف إبهام

حرف في بيان معنى وأما السائل فلا تهر من تفسير جزء عم مؤلفه قال أيده الله

كنت أمس ضائق الصدر لمرض صديق أفقد بفقدته معيناً على العلم يذكركني إذا
نسيت ، ويلومني لوم المحب إن أخطأت وأصررت

جاءني وأنا على تلك الحال صادق في مودتي وذكر ما يقول قائل في كلام جاء في
تفسير سورة الضحى مما وضعته على جزء عم وهو : « والسائل هو المستفهم عما لا يعلم
وليس هو طالب الصدقة فان هذا اللفظ لم يرد في كتاب الله عنواناً للفقير والمسكين
بل جرت سنة الكتاب المبين على ذكرهما بوصفهما » يقول القائل كيف هذا وقد
جاء (السائل) عنواناً للفقير أو المسكين في سورتي الذاريات والماعراج - في الأولى
« وفي أموالمهم حق للسائل والمحروم » وفي الثانية « والذين في أموالمهم حق معلوم للسائل
والمحروم » ذكر الصادق ذلك من قول القائل فكأنني ذكرت به ما كنت ناسياً
وبادرت الى نسخة الكتاب فأصلحت الخطأ وعولت على أن أعلن ذلك في الجرائد
حتى لا يضل ضال ، ولا يتناول جاهل ، وماذا علي في ذلك ولست أعلى كعباً في
استحضار الكتاب ، من الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، حين هم بمقاب من
يقول : إن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم قد مات : حتى ذكره الصديق رضي الله
عنه بقوله تعالى « إنك ميت وإنهم ميتون » فقال كأنني لم اسمعها من قبل أو كما قال -
وجبن شدد في أمر المغالاة في المهور وهو على المنبر فقالت له امرأة كيف ذلك والله
يقول « وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم أحداهن قطاراً فلا تأخذوا
منه شيئاً » فتنبه رضي الله عنه للصواب وقال : رجل أخطأ وامرأة أصابت : ومن أنا
من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في العلم بكتاب الله والإحاطة بما فيه
لكني رجعت الي بعد ذلك نفسي فراجعت الأصول التي كانت بين يدي يوم
كتبت ما كتبت فذكرت أنني قصدت من العنوان ما يدل على المعنى بنفسه بدون
قرينة تبينه منه وكنيت حققت معنى السائل خصوصاً في آية الذاريات وهو المستجدي
الذي يطلب من مال غيره ولا يلزم أن يكون فقيراً ومسكيناً وغاية أمره أن يظن فيه
الفقر إذا أحسن الظن فيه ولم يعلم أنه طلب لحاجة عارضة . ولم يفهم منه معنى الفقر
في الآيتين الإبراهيمية المسال واقترانه بالمحروم وقد أفادت القرينة مع ذلك أنه يملك
شئاً ولولا هذا ما عطف عليه المحروم الذي لا شيء عنده . وكذلك قوله تعالى في

سورة البقرة «وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنُ السَّبِيلِ
وَالسَّائِلِينَ» فإن قرينة اعضاء المال هي التي دللتنا على أن السائلين هنا هم طلابه والعطف
على المساكين دليل على أن السائل لا يلزم أن يكون مسكيناً . وقد نفى النبي صلى
الله عليه وسلم عنه المسكنة فيما روي من قوله «ليس المسكين الذي توده الأكلة والأكلتان»
واللقمة واللقمتان ولتمة ولتمتان» قالوا فما هو قال «الذي لا يجد ولا يتصدق عليه»
وقد روي عنه انه قال «للسائل حق وان جاء على فرس» وقالوا ان السائل هو الطالب
وقد يسمى في عرف الناس الفقير بالسائل ولكنه في الكتاب العزيز ليس عنوانا
للفقير والمسكين يفهمان منه بالنص كما تفهم المعاني الحقيقية من دواها الوضعية او الغالبة
فيها فاذا اطلق السؤال مفرداً عن القرائن المعينة لمعناه المراد منه لم يفهم منه الفقير على
ما جرت به سنة الكتاب العزيز في التعبير فان سنته جارية باستعمال السؤال في معنى
الطلب لافي معنى الفقر الذي هو من الاوازم البعيدة لضرب منه وهو طلب المال كما هي
جارية بأنه اذا اراد الخ على معاونة الفقراء والمساكين جاء في التعبير عنهم بما يحقق
اوصافهم ويعين المراد منهم ولهذا يبعد ان يراد من كلمة السائل في هذه السورة الفقير
لانها ليست عنواناً له كما ذكرنا ولا يفهم هذا المعنى منها الا بقرينة كما سبق
وأبعد من هذا أن يراد منها طالب المال مطاقاً فان السياق يأباه أشد الإباء لان
لفظ السائل لا بد أن يكون في الآية دالاً على معنى يلاقي شيئاً مما ذكر في الآيات
التي قبل «فَأَمَّا الْيَتِيمَ» الخ لان هذا التفصيل مفرع على ما قبله فلو أريد منه طالب الصدقة
لم يتوهم أن يكون ملاقياً إلا لمعنى العائل وهو الفقير والسائل ليس عنواناً له وقد
ينان الذي يقابل العائل فيها هو التخديث بالنعمة

واذا لم يصح ملاقياً شيء مما سبق الاجماله على المستفهم طالب البيان الذي هو عنوان له
يتبادر منه الى ذهن عند الاطلاق تعين حتمه عليه ويكون على ذلك ملاقياً لمعنى «ووجدك
ضالاً فهدى» ويؤيد هذا المعنى ماورد في أحوال الذين كانوا يسألونه عليه الصلاة
والسلام بيان ما يشبه عليهم فهم أهل الكتاب الممارون ومنهم الأعراب الجفاة ومنهم من
كان يسأل عما لا يسئل عنه الانبياء فلا غرو أن يأمره الله تعالى بالرفق بهم وبنهائه عن نهرهم
كما عاتبه على التولي عن الاعنى السائل في سورة عبس

وعبارة التفسير فيها اجمال جر الى تأليف حاشية كهذه فاستغفر الله مما صنعت
فيها وأرجو أن لا أعود الى مثلها. في ٢٢ شوال سنة ١٣٢٢ محمد عبد

فَتَاوَى الْمُبْتَنَانِ

فتعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة. اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمر الى اسمه بالخروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدرج غالباً ورمما قدمنا متأخراً السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان عندنا سبب صحيح لا غفاله

﴿ التعارض والترجيح في أدلة الأحكام - الخروج بالزوجة من بلدها ﴾

(س ١٠٠١٠١) رشيد أفندي غازي مدير ناحية نيرة الأجرد سابقاً (بالشام)
من المعلوم الذي لا يخفى فيه اثنان ان مراجعة الكتب الفقهية لا يستغني عنها أحد ولذلك أصبحت قرية المنايا شأن الأشياء المحتاج اليها الا أن المطالع بها يقف عند وجود الاختلاف في المسألة الواحدة ولا سيما عند وجود ترجيح أحد القولين على الآخر بلا دليل متحيراً تتوق نفسه الى الدليل ولم يكن ممن يتجلى له خصوصاً اذا كانت القضية من الواقعات ولم يسعه حينئذ الا مراجعة جهابذة الفن فلذلك أقدمت بعرض سؤال الى هذا على العلماء الاعلام طالباً منهم ترجيح أحد هذين القولين على الآخر مع بسط دليل كل منهما وترجيح أحد الدليلين على الآخر ليكون السؤال والجواب عامين تكميلاً للفائدة وهذه صورة المسألة

المرأة اذا أراد زوجها ان يخرجها الى بلدة أخرى وقد أوفى مهرها ليس له ذلك كذا اختاره الفقيه أبو الليث رحمه الله قال الامام ظهير الدين رحمه الله الأخذ بقول الله تعالى أولى من الأخذ بقول الفقيه قال الله تعالى (أسكنوهن من حيث سكنتم) خلاصة بزازية. ثم المرجو أيضاً بيان ماهو المقصود من أفعال التفضيل وهو قوله أولى هل هو على بابه أم لا. وأولى بالفضل والصواب من أجاب

(ج) التعارض والترجيح من أدق مباحث علم أصول الفقه ولكن قلما تجد الفقهاء يطبقون الأحكام في كتبهم على قواعد الالجدل في المذاهب ومحاولة كل ترجيح مذهبه. وأما الخلاف في روايات المذهب الواحد ووجوهه فللحنفية قواعد أخرى فيه مبنية على تقديم بعض الكتب على بعض وبعض الفقهاء على بعض ويسمون

هذا رسم المقتي فن عرف ما كتبوه في ذلك يسهل عليه ان يعرف القول الراجح بذكر قائله أو بعزوه الى الكتاب المنقول عنه وان لم يذكر الدليل اذ المرجح المعتمد هو العزو الى شخص أو كتاب ، دون نصوص السنة والكتاب ، لأن النظر في النصوص لا يفعله الا المجتهدون ، وقد أقفل الباب دونهم منذ قرون ، — هذا ما عليه الناس ولكن يوجد في كل عصر علماء نجباء أتقياء اذا ظهر لهم النص لا يقدمون عليه قول أحد من المجتهدين في المذهب ولا على الاطلاق . ومنهم من يحتاج بالنص اذا وافق قولاً في مذهبه ولا يحتاج به اذا وافق مذهبا آخر بل يأوله أو يكل فهمه الى المجتهدين الأولين في المذهب . وخير العلماء في كل زمان ومكان من لا يقدم على النص الثابت عن الله ورسوله كلام أحد

أما مسألة السكنى فالآية تدل على أنه يجب على الزوج أن يسكن امرأته في مكان يسكن هو فيه وورودها في المعتدة انما هو من حيث كونها زوجا فان لم تكن غير المطلقة مثلاً في ذلك فهي أولى منها . وهذا مما لا نزاع فيه . وما فهمه ظهير الدين من دلالتها على ان للزوج ان يسافر بامرأته ظاهر وأما اسم التفضيل فهو على غير بابه اذا قلنا ان ظهير الدين لا يميز الأخذ بقول أحد اذا ظهر له في الكتاب أو السنة ما يخالفه وهو أفضل الظن به وحجة القول الذي اختاره أبو الليث أن السفر مضارة والله يقول بعد الامر بالسكنى « ولا تضاروهن لتضييقوا عليهن » وهما قولان في المذهب قال في فتح القدير : واذا أوفاهما مهرها نقلها الى حيث شاء لقوله تعالى « أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم » وقيل لا يخرجها الى بلد غير بلدها لان الغريب يؤذى وفي قرى مصر القريسة لا تحقق الغربة : فأنت ترى أنه أورد القول بالمنع بصيغة التعمير ولكن المذهب في المذهب لان كثيراً من المشايخ أفتى باختيار أبي الليث . ولا شك ان دليل الجواز أقوى بشرط ان لا يعلم أن الزوج لا يقصد بالسفر مضرتها لاجل التضييق عليها ففي هذه الحالة يمنع من السفر بها دون سائر الاحوال والله أعلم

— نجاسة الكلب واتخاذها —

(س ١٠٢) محمد أفندي صدقي في (زفتي) : تزوجكم أن تبسطوا لنا رأيكم في نجاسة الكلب فقير خاف على حضرته ان في بعض المذاهب من قال بنجاسته بين لعابه

وجسمه اذا كان مبتلا وانه اذا ولغ في إناء وجب غسله سبع مرات إحداهن بالتراب وبعضهم قال بعدم نجاسة جسمه ولا لعابه فأبي الفريقين أقوى حجة وهل يجوز للمسلم اقتناؤه والاختلاط به أم لا . ولا يخفى على حضراتكم ماهو مشهور به هذا الحيوان من الأمانة وحرصه على صاحبه . تنتظر من حضراتكم القول الفصل والله المسؤول ان يقيقكم خير هاد الى سبيله القويم

(ج) ثبت في الاحاديث الصحيحة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم رخص الناس في اتخاذ الكلاب للصيد والزرع والماشية كما في صحيح مسلم وغيره لما له من المنفعة واذن يأكل الصيد اذا جاء به الكلب ميتا ولم يأكل منه . واما الخلاف في طهارة الكلب ونجاسته فالأصل فيه أحاديث في الصحيح تأمر بغسل الإناء اذا ولغ فيه الكلب سبع مرات وفي بعض هذه الروايات الاكتفاء بذلك وفي بعضها إحداهن بالتراب وفي رواية عند أحمد ومسلم وعفروه التامنة بالتراب ، وأحاديث الأذن باتخاذها مع العلم بتعذر الاحتراز من ملابسته عادة . ولا ترى مذهبا من الاربعة أخذ بأحاديث الولوغ كلها فالشافعية والحنابلة على وجوب الغسل من نجاسته سبع مرات إحداهن بالتراب وعلمائهم يعلمون ان الحديث صح بتعفيره التامنة بالتراب ومن أصولهم ان زيادة الثقة في الرواية مقبولة تخصص العام وتقييد المطلق . وصرحوا بأنه نجس العين وقالت المالكية بطهارة عينه وأوجبوا غسل الإناء الذي يبلغ فيه سبع مرات من غير ترتيب وقالت الحنفية بنجاسة لعابه لآعينه ويقسل عندهم منها مرة واحدة ومن قال بطهارته قال ان الأمر بغسل ما يبالغ فيه للتعبد وقيل غير ذلك مما ذكرناه في المنار من قبل ولعل العلة الحقيقية في ذلك الاحتياط لأنه يأكل النجاسات والحيف وأثرها ضار أو الحذر من الدودة الوحيدة وقد فصل هذا المعنى بعض المشتغلين بالطب في مقالة نشرت في المجلد السادس من المنار

وقد ورد في حديث أبي هريرة عند أحمد والشيخين وأصحاب السنن « من أخذ كلبا الاكلب صيد أو زرع أو ماشية انتقص من أجره كل يوم قيراط » فاستدلوا بهذا على كراهة الاتخاذ لغير حاجة مع الجواز اذ لو كان محرما لامتنع ولولم يكن فيه نقص الثواب . وقد اختلفوا في سبب الكراهة فقبل لانها تروع الناس الزارين والسائلين

والمارين وقيل لأن الملائكة لا تدخل البيوت التي فيها الكلاب وقيل لأن بعضها شياطين أي ضارة وقيل لأن الاحتراز عن ولوغها في الأواني متعسر فيترتب على ذلك عدم امتثال الأمر أحيانا نقول أو ينشأ عن ولوغها الضرر من غير أن يشعر به المتخذ وقيل لنجاستها وقيل لعدم الامتثال . قال الحافظ ابن عبد البر وجه الحديث عندي أن المعاني المتعبد بها في الكلاب من غسل الأتاء سبعا لا يكاد يقوم بها ولا يحفظ منها فرما دخل عليه باتخاذها ما ينقص أجره من ذلك . وروي أن المنصور بالله سأل عمرو بن عبيد عن سبب هذا الحديث فلم يعرفه فقال له المنصور لأنه ينبع الضيف ويروع السائل . وتجد تفصيل ذلك في فتح الباري وفي نيل الأوطار . والخيار عندنا أن الكلب طاهر العين وأنه ينبغي لمن يتخذ له حاجته إليه أن يحترز من ولوغه في الأواني بقدر الامكان فان علم أنه ولغ في إناء فليغسله كما وردوا إذا غسله بمحلول السابغاني فذلك توق من الدودة الوحيدة

❖ الحكمة في حرمان الاخ الشقيق في المسألة المشتركة ❖

(س ١٠٣) ومنه : قص علينا من لارتاب بصدقه إشكالا ميراثيا حصل في إحدى العائلات الكبيرة نفسه على حضر تكم وهو أنه مات عميد العائلة المذكورة عن تركة عظيمة وله من الورثة زوجة وولدان ذكر وأنثى وقد أخذ كل فريق ما خصه من الفريضة الشرعية ثم تزوجت البنت بعد وفاة أبيها ومكثت مع زوجها مدة وتوفيت ولم ترزق منه بأولاد وكانت أمها تزوجت بعد وفاة أبيها أيضا برجل آخر رزقت منه اولاداً بين ذكور وإناث ولما أراد شقيقها (من الأب والأم) أخذ نصيبه من تركة أخته المتوفاة منع بحكم شرعي حيث قيل له أن ورثتها هي أمها وزوجها وأخواتها من أمها فقط وذلك على مذهب أبي حنيفة فما هي الحكمة الشرعية في منع أخيها الشقيق من أمها وأبيها من الميراث الا يكون له اسوة بأخواتها الذين من أمها فقط نرجوكم ان تبينوا لنا (ان كان ذلك جائزا) ماهي الحكمة الشرعية في ذلك لازم مصدر الفضائل وعميد الترية الدينية والله المسؤول ان يبيحكم خير ناصر الدين والسلام

(ج) لم ترد هذه المسألة بنصها في الكتاب والسنة وانما هي من فروع قوله تعالى « وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فليكل واحد منهما السدس » فقد قالوا ان الكلالة من لا ولد له ولا والدان المراد بالاخ والاخوة هنا الاخوة لام فقط

لان الكلام في ميراثها وذلك ما نور فهم من أصحاب الفرائض وانتم تعلمون ان الوارثين على قسمين أصحاب فرض وهم الذين لهم حصص معينة بالنص وعصبات وهم الذين لهم ما يبق بعد تلك الحصص وفي الغالب يكون حظهم أوفر. فالسؤال ههنا ينبغي أن يكون عن حكمة كون الاخوة لأم أصحاب فرض اذا ورنوا دون الاخوة الاشقاء والاخوة لآب وهي انهم لبعدهم جعل لهم حصة معينة هي السدس للواحد والثالث للجمع مهما كثروا ولو كانوا عصبة لاخذوا التركة كلها أو جملها في بعض الاحوال كما يأخذها الاخ الشقيق فاذا اجتمع جمع كثير من الاخوة لأم مع أخ شقيق واحد كان لهم الثلث وله الثلثان وكذلك الاخ لآب عند عدم الشقيق فانت ترى أن العصبة أفضل ولذلك كان الاولاد عصبات وهم أقوى الوارثين ولما كانت القاعدة في الارث أن يأخذ أصحاب الفرائض فروضهم ويأخذ العصبات الباقي اتفق في هذه الصورة ان لا يبق لهم شيء والمسائل النادرة لا تبطل القواعد المطردة - هذا ما جرى عليه أصحاب هذا القول وهناك قول آخر وهو التشريك بين الاخ الشقيق والاخوة لأم وروي ان المسألة وقت على عهد عمر رضي الله عنه فقال : لم يزد لهم الاب الاقرباء وورث الجميع وعليه ابن مسعود وزيد أعلم الصحابة بالفرائض وشريح القاضي والشافعية وهو أقرب الى العدل على أنه اجتاهدي والله أعلم

أنا محمد بن عبد الله بن سفيان

تاريخ السودان القديم والحديث

كتاب ظهر حديثاً في هذه البلاد مؤلفه نعوم بك شقير رئيس قلم وكالة حكومة السودان في مصر . كتاب كبير يدخل في ثلاثة أجزاء تزيد صفحاتها على مئة وألف يقطع المنار وحروفه هذه وفيه كثير من الصور والرسوم . كتاب لم ينقله مؤلفه نقلاً من الكتب ولم يسلك فيه طريق القصص والفكاهة بل سلك فيه مسلك المؤرخ المطلع المختبر الراوي الممحض ووضعه على طريقة التواريخ الأوربية الحديثة فهو حسن الترتيب والتبويب حسن النقل والاختيار حسن التأليف والاستدلال حسن

الاستنباط والاستنتاج كأحسن مآلف الأفرنج في التاريخ . اعتمد في التاريخ القديم على ما كتب أشهر مؤرخي العرب وغيرهم من الأمم مع مراجعة معاجم العلم الأوروبية وفي الجديد على الكتب الحديثة للأفرنج والمصريين والسودانيين والسوريين وعلى الروايات القولية عن الرجال الذين لقيهم في مصر والسودان من العلماء والحكام وعلى المشاهدة والاختبار والكتابات الرسمية . وقد سهل له ذلك استخدام الإنكليز إياه في قلم الخبرات ومرافقته حملة اللورد ولسلي في السودان وتقلبه في هذه الأعمال ولا بد أن تكون هذه الصفة الرسمية التي مكنته من معرفة أخبار قننة السودان الأخيرة وحقائق أخبار الفتح المصري الإنكليزي له بعد الحكم بانفصاله من المملكة المصرية قد حكمت عليه بأن يكتم بعض الحقائق ويكتفي منها بالرسمي وهذا كل ما نظنه أو توهمه من النقص في هذا الكتاب والكمال لكتاب الله وحده

بدأ الجزء الأول وهو في جغرافية السودان بجغرافيته الطبيعية وفيها الكلام على حدوده ونيله وأراضيه ومعادنه وهوائه ونباته وحيوانه وسكانه . وثني بالجغرافية الإدارية وجعل الباب الثالث في حضارة السودان - لغات أهله وأديانهم ومعارفهم وزراعتهم وصناعاتهم وتجارتهم وحكومتهم ، والباب الرابع في عاداتهم وخرافاتهم وأخلاقهم . والجزء الثاني في تاريخ السودان القديم وفيه خمسة أبواب . وأما الجزء الثالث فهو في تاريخه الحديث وصفحاته سبع مئة ونيف وفيه خمسة أبواب الأول في تاريخ الفتح المصري وفيه ٤ فصول ، الثاني في تاريخ الثورة المهدية وفيه ٢٣ فصلاً ، الثالث في خلافة التعايشي وفيه ١٠ فصول ، الرابع في استرجاع السودان وفيه ٨ فصول ، الخامس في السودان المصري الإنكليزي وله ملحق في تاريخ السودان وجغرافيته يتبعه خريطة السودان والحبشة ومصر وسوريا وجنوب آسيا الصغرى وبلاد العرب . وقد جعل للكتاب كله فهرساً عاماً مرتباً على حروف المعجم على الطريقة الحديثة يذكر فيها البلاد والمواقع والأشخاص وغير ذلك وعبارة الكتاب في غاية السلاسة والانسجام ويقل فيها الخطأ جداً لا كما تراه في أكثر ما يكتب المعاصرون . وثمن الكتاب ستون قرشاً صحيحاً وأجرة البريد خمسة قروش . فنحث القارئ على قراءته والكاتبين على احتذاء مثاله

﴿ تنوير الاذهان . في علم حياة الحيوان والانسان ﴾

(وتفاوت الامم في المدنية والعمران)

يؤلف هذا الكتاب الذي يدل اسمه على فضله الدكتور بشاره زلزل ويصدره
 بالطبع أجزاء صغيرة وقد صدر الجزء الاول منه في ٦٤ صفحة وفيه من المباحث
 المفيدة ما يدل على قيمة ماوراءه وقد صدره بجملة يقدمه فيها الى السلطان عبد الحميد
 نصر الله دولته ويتلو ذلك صورة اللورد كرومر - فهو كالجامع بين الضب والنون -
 ففأتحته فقدمته التي يبين فيها أقسام العلم الطبيعي ومعني تسمية علم المولدات الطبيعية
 بالتاريخ الطبيعي ومنشأ هذا العلم وترقيه وقصور الشرقيين فيه وفيها بحث في الترجمة
 والنقل أنجي فيها على مترجمي هذا العصر ووصف من قصورهم وعاب عليهم نقل
 الالفاظ الافرنجية التي لها مرادف في العربية وذكر ان منها ما هو عربي الاصل كالصندل
 يكتبونه ساتال والقلقطار الذي يكتبونه كوالثار قال: وبعضهم لا يفهمون لاجراقة معنى
 الا اذا كتبت كراكة وانما هي عربية الاصل أخذها الافرنج عن العرب ولكنهم
 أبدلوا الحاء كافا لان لفظ الحاء غير مألوف عندهم : أي ليس في لغتهم . ثم عاب على فريق
 من المتأدبين إثارة نقل الالفاظ المصطلح عليها عند الافرنج على علاقتها وزعمهم ان
 تعريبها يخرجها عن الدلالة العلمية الموضوعه لها وذكر تحبطهم في طريقهم هذه مع بعض
 الامثلة فيها . ومن رأيه ان التعريب ينبغي أن يخص بالكلمات التي لا يوجد في الالفاظ
 العربية ما يدل عليها بوجه كاسماء العلماء وبعض الحيوانات الغريبة التي اكتشفت حديثا
 ووضعت لها أسماء جديدة ووعد بأنه سيجري في كتابه هذا على أسلوب جديد وهو
 البحث عن الكلمات العربية للتعبير عن المصطلحات العلمية وتحاشي النقل الاحيث
 اقضى التعريب قال : « وأزيد على ذلك انني أهملت بعض الكلمات المترجمة تما درج
 عليه الجمهور بتعديده بعض الذين استعملوها جزافا لخروجها عن حقيقة المعنى الموضوعه
 له كالزالال يريدون به يياض البيض وانما الزلال الماء البارد . والأح في لغة العرب
 يياض البيض الذي يؤكل فهو أصح دلالة على ما يسميه الافرنج بالالبومن . وقد سمي
 القدماء احدي رطوبات العين بالبيضية بالنسبة الى يياض البيض والمحدثون يسمونها
 بالزجاجية كاسموا الرطوبة الثانية من رطوبات العين بالجلدية بالنسبة الى الجليد وهو

الحمد ويسمونها أيضا بردة اما المحدثون فانهم ترجوا اللفظ الافرنجي فقالوا البلورية الخ ما أورد.

فأنت ترى ان هذا المؤلف يخدم العلم واللغة معا . وسيكون الكتاب مجلدين كل مجلد اثني عشر جزءا كل جزء كهذا الجزء وهو يطبع في مطبعة الجامعة طبعا نظيفا على ورق جيد والمباحث العلمية توضح بالرسوم والصور فتشفي على همة المؤلف وفضله ونحت محبي العلم على الاشتراك في الكتاب وعلى من اراده ان يكتب اليه في الاسكندرية

﴿ تولستوي والحرب الروسية اليابانية ﴾

هي مقالات للفيلسوف المتدين تولستوي الروسي شنع فيها على الحرب الحاضرة اقبح تشنيع وايد رأيه بالحجج العقلية والدينية ووصف غش الحكومات لرعاياها وسوقها اياهم الى ذبح بعضهم بعضاً بغير سبب صحيح ولا فائدة توازي خسائر الحروب ودم رجال الدين والكتاب والعلماء الذين يشايعون الحكومة الظالمة بنفوذهم المغفوي ويكونون عوناً لها على ذلك . وقد انتشرت هذه المقالات في العالم وهزي بكانتها المقتونون بالسياسة ومنهم من رد عليه ردا علميا بزعمه محتجين بأن الحرب سنة طبيعية في الاجتماع البشري وان فوائدها كثيرة ولكننا نقول ان هذه الآراء والافكار صحيحة في ذاتها واذا كان البشر لم يستمدوا لها الى الآن فالواجب على محبي السلام وخير البشر من حملة الاقلام ان يؤيدوها ليعمدوا الناس لها ولعله لولا الفلاسفة والكتاب الفرنسيون وغيرهم ممن سبقوا في بيان مضر الحروب لما خطر لهذا الكاتب ان يكتب ما كتبه بل لما كان الملوك ورؤساء الامم يتحدثون بوجوب فصل النزاع بين الدول بالتحكيم فخذ ما كتب الفيلسوف . وقد ترجم هذه المقالات بالعربية سيد افندي كامل احد طلبة الحقوق في مصر بعبارة واسلوب كنعو عبارة جريدة المؤيد واسلوبها وطبعها على ورق جيد فنشكر له هذه الهمة

﴿ سهل القريض ﴾

هو ديوان شعر لمحمود أفندي شكري سكرتير مديرية المنيشاوكله مدائح في الاحتفال بموالد الصالحين وفي السلطان والحدوي والحكام وغيرهم وتهان ومراث لوجهاء وكل هذه الضروب من المديح مما لانحبه ولذلك لم نقرأ منها غير أبيات متفرقة فعسى ان نرى بعد لناظم من الشعر في الموضوعات المفيدة ما هو خير من هذا

(محمود سامي باشا البارودي)

ذكرنا في الجزء الماضي تاريخ نشأة هذا الرجل وترجمته السياسية وهذا ما وعدنا به من سيرة الادبية ننشره في باب الآثار فهو أولى بها.

يقولون ان الترية هي التي تكون الرجال النابقين وليس وراث الترية الا الوراثه ونقول مع الاذعان لهذا القول ان الانسان ابن استعداده لا ابن أبيه وعشيرته التي يتربى فيها ويتكيف بصفتها وعاداتها فن كان العامل في الاستعداد هو الوراثه لأحد الآباء والجدود فذاك والا فان الاستعداد الذي يولد في بعض الناس بغير سمي منهم ولا ممن يربونهم هو الاصل في تكون الرجال النابقين في كل زمان ومكان والترية تساعد الاستعداد في تكميل الشخص أو تقاومه فيسقي ناقصاً وحوادث الزمان تساعد صاحبها فيظهر اثره او تعانده فلا يظهر له أثر . وقد ولد محمود سامي معتدلاً المزاج مستعداً للبلاغة والتأثير في القول واللاتقان مع الاعتدال في العمل وقد كان الزمن الذي نشأ فيه غير مساعد على تكوين ماسكة البلاغة وسجية الشاعر المنفلق ولم يعرف في آبائه وعشراته شاعر مطبوع ولا كاتب بليغ وكان المتأدبون لا يتنافسون إلا في مثل شعر البهاء زهير وابن الفارض فمن دونهما من المتأخرين المستكفين ولكن استعداده غلب وراثته الاعجمية وتربيته القومية فنشأ في المدرسة الحربية شاعراً ساحراً جامعاً بين السلاسة والمثانة وقد قال الشعر في شبابه فكان في بدايته خبيراً من جميع شعراء عصره في نهايتهم ولكن له ايماناً زعم فيها انه يجري في الشعر على عرق اذ ورث النظم عن نخله والمعدالي عن جده وهي مما يوحى معاني الشعر قال

أنا في الشعر عريق لم أرته عن كلاله
كان ابراهيم خالي فيه مشهور المقاله
وسما جدي علي يطلب النجم فقاله
فهولي إرث كريم سوف يبقى في السلاله

ولم يكن يحفظ لعله ما يصح له به الحكم ولكنه سمع انه كان ينظم وان نظمه ضاع فان صح انه كان بليفاً فالاستعداد مؤيد بالوراثه من جهة أمه او هو هي . ومن نظم المترجم في شبابه قوله في الحرب الروسية العثمانية

أدور بعيني لأرى غير أمة من الروس بالبلقان يخطئها العد
جوان على هام الحبال لقارة يطير بها ضوء الصباح اذا يبدو
اذا نحن سرنا صرّح الشر باسمه وصاح القنا بالموت واستقبل الجند
وقال معارض قصيدة اني فراس «ارك عصي الدمع»
طربت وعادني الخيلة والسكر واصبحت لايلوي بشمعي الزجر
كأنني مخور سرت بلسانه معتقة مما يضر بها التجر
ومنها في الفخر

من النفر الفراء الذين سيوفهم لها في حواشي كل داجية فجر
اذا استل منهم سيد غرب سيقه تفزعت الافلاك والتفت الدهر
وبالله ما راق حاشية قوله : لها في حواشي كل داجية فجر ، وما ادق غزل خياله
فيه . واما البيت الثاني فانه ليكاد يروع بيلاغته السامع حتى يخيل اليه ان الافلاك
تصدعت مما تزعزعت فيامس راسه مخافة ان يصيبه كسف منها ويمثل له الدهر رجلا
فجسه المعجب ، فالتفت الى السبب ، وليكاد يلقته ما يخيل من التفات الدهر ، ولم
به الدهش والذعر ، او يذهب به الوهم الى ان التفات الدهر هو التفات أهله فيحسب كل فرد
من الناس قد ألوى عنقه وشخص بصره مقطبا ينظر ما يكون من فعل ذلك السيف المستل في
يد ذلك البهمة الامثل ، وجملة ما يقال في البيتين انهما من السجر الذي يأخذ المرء عن نفسه .
ويحكم سلطان الخيال في عقله وحده ، ولكفي لا عرف صيغة (تفرع) في هذه المادة لغيره
ولو كان لي ان أحيز مثلها لأجزتها وقلت انها مما يشتق قياسا فاني لأرى لغيرها مثل روعتها
وله من قصيدة أخرى نحو هذا الفخر

وأصبحت محسود الجلال كأنني على كل نفس في الزمان أمير
اذا وصلت كفت الدهر من غلوائه وان قلت غصت بالقلوب صدور
وله قصيدة يعارض بها دالية النابغة الذبياني ومنها في وصف الحرب والفرس
ولقد شهدت الحرب في ابائها وابئس راعي الحمي ان لم اشهد
تقصف المران في حجراتها ويعود فيها السيف مثل الادر
عصفت بها ريح الودي قد فقت بدم الفوارس كالآني المزبد
مازلت اظمن بينها حتى انتفت عن مثل حاشية الرداء المجسد

ولقد هبطت الغيث يلمع نوره
تجري به الآرام بين مناهل
بمضمر أرين كأن سراته
خلفت له اليمنى وعم ثلاثة
فكانما انتزع الاصيل رداءه
زجل بردد في اللهات صهيله
متلقفا عن جانبيه يهزه
فاذا ثلثت له العنان رأته
يكفيك منه اذا استحسن بنبأه
صلب السنايك لا يمر بجلمد
نعم العناد اذا الشفاء تقلعت
في كل وضاح الاسرة اغيد
طابت مشاربها وظل ابرد
بعد الحميم سيكة من عسجد
منه البياض الى وظيف اجرد
سلبا وخاض من الضحي في مورد
دفعاً كزمزمة الحبي المرعد
مرح الصبا كالشارب المتورد
يعطوي المعاهد فدفا في فدفا
شدًا كألحوب الإباء الموقد
في الشد الا رض فيه بجلمد
يوم الكريمة في المعاج الاريد

وقال عند ما كان يصطلي بنار الحرب في جزيرة كريد يصفها

اخذ السكرى بمعاهد الأجفان
والليل منشور الذوائب ضارب
لاتستين العين في ارجائه
تسري به ما بين لجة فتنة
وهنا السرى بأعنة الفرسان
فوق المتالع والربى بجران
الا اشتعال اسنة المران
تسموا غواربها على الطوفان

الى ان قال

فالبدر اكدر والسماء مريضة
والخيل واقفة على ارسائها
وضعوا السلاح الى الصباح واقبلوا
حتى اذا ما الصبح اسفر وارتمت
فاذا الجيال اسنة واذا الوها
د اعنة والماء احمر قان

ونظم في عهد الصبا قصيدة في العلم قال في مطلعها

بقوة العلم تقوى شوكة الامم
كم بين ما تلفظ الاسياق من علق
والحكم في الدهر منسوب الى القلم
وبين ما تلفظ الاقلام من حكم
وهذا الذي قاله وهو من رجال الحرب يدل على مبلغ استعداده للعلم ومنها

شيد والمدارس فهي الغرس ان بسقت افئنه اثمرت غضا من النعم
مغنى علوم ترى الابناء عاكفة على الدروس به كالطير في الحرم
من كل كهل الحجا في سن طاشرة يكاد منطقه ينهل بالحكم
كانها فلك لاحت به شهب تغني بروتقها عن انجم الظلم
يحنون من كل علم زهرة عيقت بنفحة تبعث الاموات في الرمم
ثم وصف الشاعر منهم والكاتب والحاسب والمهندس والطبيب والخطيب والسياسي
والقانوني وذكر التهذيب والفضيلة وقال
أنى يفوز لنا قدح بفائدة ونحن في زاخر بالجهل ملتطم
لا تجملوا اليأس عذرافهو داعية الى المذلة بعد العز والشمم
لو كان يعلم حي ان خيبته من زلة الرأي لم يعتب على القسم
وقال بعد النفي يصف النوى ، ويذكر الهوى ، ويمثل أخلاقه ، ويشكو رفاقه ،
وقد سمعناها من انشاده بعد عودته

عالمين ما بقت عيون المهي مني فشبت ولم أقض الابانة من سني
عناء ويأس واشتياق وغربة ألا شد ما ألقاه في الدهر من غبن
فان أك فارقت الديار فلي بها فؤاد أضلته عيون المهي عني
بنت به يوم النوى إثر لحظة فاوقعه المقدار في شرك الحسن
فهل من فتى في الدهر يجمع بيننا فليس كالانا عن أخيه بمستغن
ولما وقفنا للوداع وأسبلت مدامنا فوق الترائب كالنزن
أهبت بصبري ان يعود فمزني وناديت حلمي ان يشوب فلم يغن
وما هي الا خطرة ثم أقلمت بنا عن شطوط الحي أجنحة السفن
فكم مهجة من زفرة الوجد في اظي وكم مقلة من غزرة الدمع في دجن
وما كنت جرّبت النوى قبل هذه فلما دهنتي كدت أقضي من الحزن
ولكنني راجعت حلمي وردني الى الحزم رأي لا يحوم على أفن
ولولا بنيات وشيب عواطل لما قرعت نفسي على فائت سني
فيا قلب صبراً ان جزعت فريما جرت سنجاً طير الحوادث باليمن

فقد تورق الاغصان بعد ذبولها
واي حسام لم تصبه كمامة
ومن شاغب الايام لان مريره
وما المرء في دنياه الا كسالك
فان تكن الدنيا تولت بخيرها
تحملت خوف المن كل رزينة
وعاشرت اخداناً فلما بلوتهم
اذا عرف المرء القلوب وما انطوت
يرى بهري من لا اود لقاءه
وقد نظم في منفاه بجزيرة سيلان قصيدة طويلة في السيرة النبوية على روي البردة
قال في فاتحتها

يارائد البرق يعم دارة العلم
وان مررت على الرواح فامر لها
من الغزار اللواتي في حوالها
اذا استهلت بأرض نمت يدها
ترى النبات بها خضراً سنابله
أدعو الى الدار بالسقيا وبني ظمأ
منازل لهاها بين جانحي
اذا تنسمت منها نفحة لعبت
ادر على السمع ذكرها فان لها
عهد تولى وابقى في القواد له
اذا تذكره لاحت مخايله
فما على الدهر لورقت شمالكه
تكاءدني خطوط لو رميت بها
في بلدة مثل جوف المير لست ارى

واحد الغمام الى حي بندي سلم
أخلاف سارية هتانة الديم
ري النواهل من زرع ومن نعم
برداً من النور يكسو عاري الاكم
يختال في حيلة موشية العلم
أحق بالري لكني أخو كرم
وديسة سرها لم يتصل بفمي
بي الصباية لعب الريح بالعلم
في القلب منزلة مرعية الذمم
شوقاً يفل شباة الراي والهمم
للمين حتى كأني منه في حلم
فما بالوصل او ألقى يد السلام
مناكب الارض لم تثبت على قدم
فيها سوى امم تمنحو على صنم

لا أستقرّ بها الا على قلق ولا ألدّها الا على ألم
 اذا تلفت حولي لم اجد اثراً الا خيالي ولم اسمع سوى كلي
 فن يرد على نفسي لباتها او من يحير فؤادي من يد السقم
 ليت القطاجين سارت غدوة حملت عني رسائل اشواقني الى لضم
 مرت علينا خفاصاً وهي قاربة مر العواصف لا تلوي على أرم
 لاتدرك العين منهما حين تلمحها الا مثلاً كلعج البرق في الظلم
 كأنها احرف برقية نبضت بالسلك فانشرت في السهل والعلم
 لاشي يسبقها الا اذا اعتقلت بناتي في مديح المصطفى قلبي
 محمد خاتم الرسل الذي خضعت له البرية من عرب ومن عجم
 سمير وحي ومجنى حكمة وندي سماحة وقرى عاف وري ظم
 قد ابلغ الوحي عنه قبل بعثته مسامع الرسل قولاً غير منكم
 قوله قاربة مؤنث قارب وهو طالب الماء ليلاً . وأرم بالتحريك ككتف بمعنى أحد
 لا يستعمل الا في النفي

ومر بقصر الجزيرة بعد عودته من سيلان فتذكري أيام إسماعيل ونظم مقبراً ومذكراً

هل بالحمى عن سرير الملك من يزع هيات قد ذهب المتبوع واتبع
 هذى الجزيرة فانظر هل ترى أحداً ينأى به الخوف أو يدنو به الطمع
 أضحت خلاء وكانت قبل منزلة للملك منها لوفد العز مرتبع
 فلا يجيب رد القول عن نبأ ولا سميع اذا ناديت يستمع
 كانت منازل أملاك اذا صدعوا بالامر كادت قلوب الناس تنصدع
 طابوا بها حقبة حتى اذا نهضت طير الحوادث من أوكارها وقعوا
 لو أنهم عاموا مقدار ما تقرت به الحوادث ما شادوا ولا رفعوا
 دارت عليهم راح الايام فانشعروا أيدي سبا وتحت عنهم الشيع
 كانت لهم عصب يستدفعون بها كيد العدو فاضروا ولا نفعوا
 أين المعادل بل أين الجحافل بل أين المناصل والخطية الشرع
 لاشي يدفع كيد الدهران عصفت أحداثه أو بقي من شر ما يقع

زلوا فبا بكت الدنيا لفرقةم - ولا تعطلت الاعياد والجمع
والدهر كالبحر لا ينفك ذا كدر - وانما صفوه بين الورى لمع
لو كان للمرء فكر في عواقبه - ما شان اخلاقه حرص ولا طمع
وكيف يدرك ما في الغيب من حدث - من لم يزل بغرور العيش يخدع
دهر يغتر وآمال تدر - واع - مار تمر - وايام لها خدع
يسمى الفقى لامور قد تضر به - وليس يعلم ما ياتي وما يدع
يا ايها السادر المزور من صنف مهلا فانك بالايام منخدع
دع ما يريب وخذ فيما خلقت له - لعل قلبك بالايام ينتفع
ان الحياة ثوب سوف تخلعه - وكل ثوب اذا مارت يتخلع
فهذه القصيدة من آخر ما نظم وفيها من آيات النذر ، للمغرورين بكثرة المال والدثر ،
ما يستعبر له صاحب القلب ، ويعتبر به من له اب ،
والطبع في قوله « ما شان اخلاقه حرص ولا طمع » بالتحريك الدنس والفساد والكسل
وأصله من طبع (كتمب) السيف اذا علاه الصدا . والسادر في الاخير المتحير والذاهب عن
الشيء ترفعا والذي لا يبالي ما صنع

﴿ أثره الادبي - منتخبات ثلاثين ديوانا ﴾

كان للفقيد في ذوق الشعر وملكة البيان ما يشعر به شعره ، واشتهر به دون السياسة
والرياسة امره ، فهو كما ترى قد ناهز الجاهليين في القوة والمتانة ، وخطر الخضرمين في
الفصاحة والبلاغة ؛ وبذا المولدين في الرقة والسلاسة ، فصحا ان يلقب برب السيف والقلم ،
وصاحب الحكم والحكم ، وفارس اليدان والبيان ، والصائل بالسنان واللسان ، وما زال
أهل الادب يعجبون بذوقه وحسن اختياره وقد رأى بعد عودته من سيلان ان يؤلف
ديوانا في الادب من مختار خفول الشعراء المولدين ليكون عونا للناشئين على طبع ملكة
البلاغة العربية في النفس وتقوية سليقة الشعر في الخيال فاختار دواوين ثلاثين شاعرا
ققرأها واختار منها فرائدها ورتبها في سبعة أبواب - الادب المديح الرثاء الصفات
النسيب الهجاء الزهد والحكم ، ورتب أسماء الشعراء على حسب أزمانهم لا على حسب
مكانهم وهم (١) بشار بن برد (٢) العباس بن الاخنف (٣) أبو نواس (٤) مسلم بن
الوليد (٥) أبو العتاهية (٦) محمد بن عبيد الملك الزيات (٧) أبو تمام (٨) البحتري

(٩) ابن الرومى (١٠) عبد الله بن المعتز (١١) أبو الطيب المتنبي (١٢) أبو فراس الحمداني (١٣) ابن هاني الاندلسي (١٤) السري الرفاء (١٥) ابن نباتة السعدي (١٦) الشريف الرضي (١٧) أبو الحسن التهامي (١٨) مهيار الديلمي (١٩) أبو العلاء المعرى (٢٠) صردر (٢١) ابن سنان الحفاجي (٢٢) ابن جوس (٢٣) الطغراني (٢٤) الغزي (٢٥) ابن الحياط (٢٦) الارجاني (٢٧) الايوردي (٢٨) عمارة البيني (٢٩) سبط التماويدي (٣٠) ابن عنين .

وقول ان بشار بن برد أولهم مات سنة ١٦٧ عن نحو تسعين سنة فهو من أهل القرن الأول والثاني وابن عنين (بالتصغير) توفي سنة ٦٣٠ وقيل سنة ٦٣٤ أي في أوائل القرن السابع فهو لاء نحول الشعراء المولدين في نحو سبعة قرون فأشعارهم هي تاريخ اللغة والادب في هذه القرون وقد تحامى الفقيه في اختياره المجون فانه كان يكرهه قولا فكيف يثبت كتابه . وقد وضع تعليقا لهذا الدبوان العظيم يفسر فيه الالفاظ الغريبة والمعاني المغة وسيشرح اهله في طبعه في زمن قريب ان شاء الله تعالى

هذا هو الاثر العظيم لفقيه الادب وأشعر الشعراء في هذا العصر ونلك مثل من شمره في الموضوعات المختلفة وكان أدبه النفسي أعلى من أدبه اللساني وقد خانه رحمه الله في نكته كل صلة بالناس ماعدا هذه الصلة الادبية فلم يف بمهده ويرعى حقوق وده ، من اتفقوا بجاهه ورفده ، ولكن وفي له الادباء والشعراء ، وواده الفضلاء والعلماء ، الذين تجمعهم بهم الصلة الروحية ، والمساكلة الطبيعية ، فكانوا يكتبونه في غيبته ، ويفشون ناديه بعد عودته ، وكان أشدهم له وفاء الاستاذ الامام ، ومثله من يقوم بحقوق الصداقه حق القيام ، وقد عرفناه وصحبناه في هذه المدة وكنا نذاكره في شؤون الإصلاح فزاه متفقا معنا في كل مانعقد ونكتب في وسائل اصلاح حال المسلمين وكان له ولوع بالنار حتى كان أحيانا يطلبه قبل صدوره بل قبل تمام طبعه فنرسل له الكراسة بعد الاخرى خالصة له من دون المحين

توفاه الله تعالى في يوم الاثنين خمس خلون من شهر شوال فشيعت جنازته باحتفال عظيم وصلى عليه الاستاذ الامام ولم أره صلى على ميت غيره الا مأموما وسيجتمع شعراء مصر وأدباؤها في اليوم التاسع والثلاثين لموته (الجمعة ١٤ ذى القعدة ٢٠ يناير) عند ضريحه ويؤنونه ويرثونه بما نظموه من القصائد ففسأل الله تعالى أن يرحمه رحمة واسعة ويحمله في ذريته خير خلف له آمين

باب الخبيرة

ترجمة أحمد باشا المنشاوي

هو ابن أحمد آغا المنشاوي بن الجوهري المنشاوي نسبة الى قرية المنشاة في مركز زفتى من مديرية الغربية بمصر ولد سنة ١٢٥٠ و قيل ١٢٥٦ ومات والداه عن ثمانية أولاد هو أصغرهم وترك لهم مئتي فدان فرباه أخوه الأكبر محمد بك المنشاوي وعلمه مبادي القراءة والكتابة بالعربية والتركية وفي اثمائة عشرة من عمره عين معاونا في عمال المزارع التي تسمى الدائرة السنية فعرف كيفية ادارة الزراعة وتسمير الارض بالطرق المنتظمة التي كان يجري عليها أمراء مصر . وقد خلقه الله كبير النفس فحدثه نفسه بالمعالي ولم تك المعالي يومئذ الا في قرب الحكام ووفرة المال فوجه نفسه الى جمع الثروة وكان مبدأ أمره فيها ان يشتري تبنا كثيرا من الدائرة السنية ثم يخرس فارتفع ثمنه جدا حتى بلغ ثمن الحمل جنبها فربح ربها عظيما ثم اشترى مقدارا عظيما من بزر البرسيم الاردب بجنيه فعلا ثمنه حتى بلغ ثمن الاردب اثني عشر جنيها ثم اشتغل بأعمال زراعية أخرى فتجح فيها نجاحا عظيما بكده وجده حتى وثق به اسماعيل باشا المفتش العام الذي كان يدير دفة الحكومة المصرية في عهد الحداد اسماعيل باشا ورقاد في عمله ومن أقدر على جمع الثروة ممن كان يثق به هذا ويؤليه الاعمال الزراعية ؟ نعم ماكل ما تيسر له الفرص يحسن استخدامها كما استخدمها المترجم بمهارته وحذقه الفطري وشجاعته وقد كانت قيمة الارض قليلة في ذلك العهد لكثرة الضرائب والمظالم من الحكومة حتى كأن الفلاحين كلهم عبيد الأمير لا يبالغون من تعبهم في استغلال الارض له الا ما يسد الرمق ويحفظ الذماء ولولا الحاجة اليهم للخدمة والاستعداد لبغلو عليهم بذلك الاماج . الذي كان بمثابة الدواء والعلاج ، ولكن أصحاب الجراءة والاقدام ، والزاني عند أوائك الحكام ، كان يسهل عليهم من جمع الثروة ما يعز على غيرهم وبلغنا ان المترجم لم يملك على عهد اسماعيل باشا أكثر من ألف فدان فان صح هذا كان دليلا على ان لم يستعن على تحصيل ثروته الواسعة باستبداد الحكام كما يزعم بعض الناس بل حصلها بمجده واجتهاده تدريجا . وليرجع القاري هنا الى ما قلناه

في مقدمة ترجمة محمود سامي باشا الأدبية من هذا الجزء ليتذكر أن نجاح الانسان في أعماله هو أثر استعداده وثمره خلائقه وقد جرى المترجم بحسب ميله واستعداده في طرق الأثرء وكانت براعته في عمارة الارض واستغلالها أشد من براعته في امتلاكها فقد ملك عشرة آلاف فدان كانت غلتها نحو مئة ألف جنيه في السنة ومن الناس من يملك في مصر أكثر من ذلك أرضا ولا ينال منه نصف ما كان ينال المنشاوي ريعا وأهل هذه الديار يعرفون كثيرا من معاصريهم الذين ترك لهم آباؤهم عشرات الألوف من الفدادين ، فأضاعوها وانقلبوا مساكين ، فلا يحسبن الجاهل أن الثروة تنال بما يسمونه البخت أو بمساعدة أصحاب السلطة والجاه أو سنوح الفرص بل يجب أن يعلم أن الوسيلة الأولى هي الاستعداد الفطري والأخلاق ثم العمل والجد عن علم بليل المناشي ، عن ذلك فالبخت اسم لمسمى وهمي والفرص تسنح لكثير من الناس وقليل منهم المستفيد منها ، والعلم بطرق الكسب لا يفي وحده فكم عن عالم خائب والجد والكند بغير مساعدة الأخلاق قليل الفناء فأكثر الناس كادح ناصب في تحصيل الرزق والناجح قليل من كثير . ومن يقول أن الحريص كالمهل المفرط ، والمقتصد كالمسرف المضيع ، والجريء كالحيان الهلوع ، والسخي كالبخيل المنوع ، والعزيز الكريم ، كالمهين اللئيم ، ومن دلائل حذق المنشاوي ومهارته في تدبير أمر الثروة أنه دائرة الواسعة لم يكن فيها من المال والكتاب عشر مافي أمثاله من دوائر أمراء مصر وأغنيائها الذين هم فوقه علما ودونه مهارة وعملا وكان ينظر كل شيء بنفسه ولا يتم في الدائرة عمل إلى يأذنه وتوقيعه

كان عزيز أنفوس أيها ولوعا بالشهرة بالمعالي مفرما بحب المدح والثناء وصاحب هذا الحلال وإن لم يقف بها عند الحد والمشرعة والموضوعة خير من المهين المغمول المستوانغ الذي لا يبالي أعداءه الناس مسيئا فذموه أو محسنا فمدحوه كما عليه كثير من أمرائنا وأغنيائنا الذين لا هم لهم إلا التمتع بالذات البهيمية . ولذلك كان يدخل في المآزق ويركب العصب لإحراز المسكينة في نفوس الناس . ومن ذلك توسطه بين عربان القطر المصري وعرباني باشا حين أراد هذا إلزامهم بقبول ضرب القرعة العسكرية في أبنائهم فأبوا وتألَّبوا يبقون الفتنة ولما أغرى شيطان السياسة المصريين بقتل الأفرنج ومن على

شاكرتهم من اليهود والنصارى الغرباء في الاسكندرية سرى سم الاعتداء منها الى طنطا وطفق الرعاع يقتلون ويضربون فانبرى الفقيد يومئذ الى اغاثتهم فنفر عنهم طائر الفتنة وحمل المئين منهم على قطارين الى بلدته القرشية فوضع كبارهم في قصره العظيم والباقيين في مزارعه هناك فكانت لهم حرماً آمناً يلجأ اليه الخائف، ويفر خروغ الواجف، وكان ينفق عليهم من سعيته وجهز كثيرين منهم فسافروا بحمايته ونفقته الى بورسعيد فأوربا. وزعم بعض المتقدمين أنه لم يفعل ذلك الا لما كان يتوقعه من ظفر الانكليز وانايتهم اياه على صنيعته وما كان الرجل بعيد النظر في الامور الاجتماعية والسياسية فيدرك ما لم يكن يحظر على بال أكثر المتعلمين والحكامين بل كان على غاية البساطة في غير الامور الزراعية والاقتصادية وما أرى السائق له الا الاربحية الفطرية وحب معالي الامور مع الاحساس بالقدرة على ذلك لما له من الاعوان والعصبة وقد آوى غيره من الوجهاء بعض الناس على جنبهم وخوفهم ولكن لم يشتهر أمرهم واما عمل المنشاوي فلعظمه قد طارذ كره في الآفاق فاهدبت اليه أوسمة الشرف من دول أوربا وجمعياتها. ولكن الذين تتوجه نفوسهم الى الشر دائماً لا يصدقون بأنه يوجد الدنيا من يعمل الخير لوجه الله تعالى أو لحب الخير. على أن الذي يطلب الخطوة عند الدول أو عظماء الناس بفعل الخير قليل في الناس وما كثر هذا الفريق في أمة الا وارتقت وعظم شأنها فللمنشاوي كان خيرا من منتقديه وان صدق سوء ظنهم فيه، وقد فعل مثل فعله في مصر الأمير عبدالقادر وغيره من علماء وعظماء المسلمين في الشام في ابان الفتنة التي حدثت سنة ١٨٦٠ م فهل كانوا يتوقعون ان يأخذ الفرنسيين الشام فيكافئوهم ويرفعوا شأنهم؟ كلا ثم كلا انهم كانوا يباعث الدين والمروءة ينبعثون

وقد كان من المتهمين في الفتنة العراقية وحوكم فلم يثبت عليه بما يحكم به عليه ولكنه في أعقاب الفتنة سافر الى بلاد الشام وأقام مدة في بيروت كان فيها عونا للمنفين المحتاجين من المصريين ولكنه لم يسلم من شرهم فسعوا فيه الى السلطان عندما سافر الى الاستانة سنة ١٣٠١ فكتبوا الى المايين إنه متفق مع اسماعيل باشا على تأسيس دولة عربية فلم تضره سعايتهم وأقام في الاستانة زمناً ثم سافر الى تونس فأكرم الباي ورجاله مثواه وأنعم عليه برتبة أمير الامراء ووسام الاقتضار ثم سافر الى نابولي فلقى من

رجال بعض الجمميات الانسانية حفاوة واكراما ثم عاد الى مصر سنة ١٣٠٥ وأقام في قصره بالقرشية وكان حب الكرامة والعلاء قد نما في نفسه فلم يكن يسهه ذلك القصر الفخيم والجنة التي أنشأها له وفيها من كل فاكهة وكل زهر ووريجان، ما لا يكاد يوجد في مكان، ولذلك كان كثير الشؤون مع الامير والحكومة ولا موضع في المنازل ذكر شيء من ذلك وإنما نشير الى الهضم الذي ناله من جراء ذلك فهب بياعث رد الفعل الى العلاء والكرامة من الطريق الحقيقي فقال لقب «محسن مصر الكبير» وهو أفضل من لقب باشا وأمير،

بعد المترجم عن أمير البلاد لهذا العهد زمنا ثم قرب منه وقيل انه قدم هدية لولي العهد يومئذ مزرعة تباع ألف فدان . واتفق في زمن هذا القرب أن سرق من مزارع الامير نور لم يهتد رجال الحكومة الى سارقه فتصدى لمساعدتهم ارضاء للامير وكان من أقدر الناس على ذلك لما اعتاده واسطة خدمه وأعوانه من التشكيل بالصوص من أيام الاستبداد فضرب بعض المتهمين الذين أحضرهم وكان عنده مأمور مركز طنطا يبغى التحقيق فقامت لذلك قيامة الحكومة لان المحتلين يشتدون في ازالة السلطة الشخصية من مصر ويعاقبون أشد العقوبة كل من يعمل عملا لا يجيزه له القانون لاجل ارضاء الامير أو بوحى من قصره فحوكم المترجم وحكم عليه بالحبس ثلاثة أشهر وعزل المأمور تأديبا وعزل مدير الغربية سعد الدين باشا بالاحالة على المعاش . فعضم الامر على الفقيد وذهب بمدخوجه من السجن الى أوروبا لينتقم من اللورد كرومر بما يكتب في الجرائد الاوربية ، سول له ذلك بعض الطامعين في ماله فقبله لبساطته ثم رجع يائسا وقد أراد بعد عودته ان يغيظ المحتلين بزيادة القرب من الأمير وتعظيم شأنه فلما أراد الأمير ان يسافر للاحتفال لقناطر زفتي التمس منه ان يمر على محطة القرشية فقبل فأعد هناك زينة واحتفالا لم يعرف لثلهما نظير في القطر المصري وقيل السفر كتب اليه من حاشية الامير بأن العزم قد تحول عن المرور من هناك فعظم عليه الامر جداً وانكمشت نفسه حيناً لتدفع الى العمل العظام الذي لا خيبة فيه ولا إصاعة به هو الشرف الرفيع الذي يحو كل غضاضة وما عثم ان أنشأ تلة الوقفية العظيمة التي نوهنا بها في السنة الماضية (المجلد السادس) فعم إحسانه العلماء والفقراء من جميع الملل

ولما توجهت نفسه للخير والبر بالسخاء الخاتمي صار يكثر معاشرته أهل الخير والعلم فوثق عرى وداده بالشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وصار يكثر زيارته ويستشير به في شؤونه وقد عرفناه في اثناء ذلك . وكنت كثيرا ما أحدث الشيخ فيما تتوق اليه نفسه من السعي في إنشاء مدرسة جامعة في مصر تكون في ضواحي القاهرة فكان يشكو من بخل الاغنياء وجهلهم بفائدة هذا العمل الذي لا يتم الا بمبلغ عظيم فلما اتصل المنشاوي به رغبه في هذا العمل الذي يكبر على غير نفسه الكبيرة ويده المبسوطة فوعد بأنه سيفعل ولما وقف تلك الارض التي قيل ان ريعها يناهز أربعين ألف جنيه في السنة وهو في الحقيقة لا يقل عن ٢٥ ألف جنيه خفنا أن يكون رجوع عن رأيه فاذا هولم يرجع وكنت كلما لقيته أحدثه في أمر المدرسة وأعظم من شأنها حتى انني رأيتني في غرة رمضان من السنة الماضية فأقسم لي بالله انه سيكمل في ذلك النهار احد الامراء في شراء قصر له (بشبرا) لينشي المدرسة فيه موقنا الى أن يبني لها البناء الذي يليق بها ثم علمت انه كلفه ولم يتفق معه على الثمن . وبلغ الخبر أرباب الجرائد فطفقوا يذكرون المدرسة الكلية الجامعة بما يزيد في تشويقه رحمه الله حتى اذا كان يوم السبت (١٠ شوال الماضي) كتب الى مجلس النظار كتابا يطالب فيه أن تبيعه الحكومة عشرة آلاف فدان معينة (كانت باعها من رجل اجنبي بثمان وشروط لم يستطع القيام بها ففسخت البيع) ليجعلها موقفا على مدرسة كلية يريد إنشائها في مصر بالقرب من القاهرة ومن عادة الحكومة أن تبيع الأرض للمدارس والاعمال الخيرية بثمان بخس والفقيد طلب هذه الارض بمثل الثمن الذي كانت باعها به وكتب اليها انه يوقع على حجة الوقفية في الوقت الذي توقع له المايلة على عقد البيع . ثم توسل بالمفتي الى نظارة المعارف بأن توصي الحكومة بالتعجيل بعقد البيع منه ووعدا بأن تكون المدرسة تحت رعايتها وقد ذاكر وكيل المعارف ناظرها في ذلك فكتب للحكومة أحسن توصية وبلغنا ان الحكومة قبلت ولو أمهل القدر الرجل الى آخر الاسبوع ثم الامر ولكن عاجلته المنية فاخطفته من مصر في يوم الثلاثاء (١٣ شوال الموافق ٢٠ دسمبر) فكان فقده خسارة علمية هيات تعوض بالألوف من هؤلاء الاغنياء البخلاء . وقد كنا زرناء في ذهيته بعد عبد الفطر وتحدثنا في أمر المدرسة فقال : إنني الآن قد

بدأت بضرب الطوب (الآجر) لاجل البناء في الصيف الآتي : وأخبرنا عن المكان الذي سيدفن فيه وهو في أرض له تعرف بيسوس على ضفة النيل وأخبرنا أنه كان عازما على شراء مراكب بحارية صغيرة من النوع المعروف بالرفاص لاجل نقل أساتذة المدرسة الذين يقيمون في القاهرة مع التلامذة الخارجيين صباحا ومساء في النيل ووعدنا بأن سيطلقنا على ذلك المكان فياحسرة العلم والبلاد عليه

هيات ان يأتي الزمان بمثله ان الزمان بمثله لبخيل

ومن كرمه الخاتمي انه تبرع بالنفي جنبه لمساعدة السكة الحديد الحجازية واقتدت به حرمة قبرت بخمس مئة جنبه وقد جمع لذلك مالا كثيرا بسميه فأنعم عليه السلطان برتبة يلربكي . ومن الدلائل على حسن خاتمته رحمه الله تعالى انه قبل موته يوم طاف على جميع الذين كان بينه وبينهم مغاضبة أو عداوة فصالحهم على عزة نفسه وشدة ضغنه فلم يقبضه الله تعالى الا بعد أن زكى نفسه من الحرج على الناس فنسأل الله تعالى أن يحسن اليه في الآخرة أضعاف ما أحسن الى عباده في الدنيا وان يتجاوز عن جميع ما سلف منه بمغفرته وإحسانه

أشرنا في الجزء الماضي الى ما كان لتشجيع جنازة المترجم من المشهد الذي لم نر مثله لأحد من الأمراء والعلماء ونزيد الآن بيانا فنقول إن الشوارع كانت غاصة بالناس من شاطي النيل حيث كانت ذهيبته التي توفي فيها الى محطة مصر اذ نقل من المحطة الى طنطا لاجل دفنه في القبر الذي أعده لنفسه . وكان الازدحام على أشده من ميدان الازبكية الى المحطة وكان في مقدمة المشيعين مفتي الديار المصرية وأحد حجاب الأمير نيابة عنه وكثير من العلماء والوجهاء من جميع الطوائف والملل المقيمة في مصر ولكن لم نر في ذلك الجمع الكبير أحدا من أسرة الأمراء ولا من النظار حتى كأنهم ليسوا من الأمة كما قيل . وكان المشهد في طنطا على نحو ما كان في مصر وزاده تأثيرا هناك اجتماع تلامذة مدرسة الجمعية الخيرية فيها و ٣٠٠ تلميذ من تلامذة مدارس جمعية العروة الوثقى في الاسكندرية معهم المويستى الخاصة بهم جاءوا مع أعضاء ادارة الجمعية في قطار خاص بهم لاجل تشيع الجنازة وقد حمد الناس من هؤلاء الاعضاء الاكارم هذه العناية وعدوها من شكرهم لفضل الفقيد على مدارسهم لاسيما مدرسة محمد علي

الصناعية التي لم تكن لولاء شيئا يرجي ثباته

مات رحمه الله تعالى عن زوجة كان مغبوطاً بها محترماً لها أشد ما أحترم رجل امرأته وما ذلك إلا لأنها بحسن معاملتها قد عرفت كيف تملك قلبه . وعن شابين وبنت متزوجة وهم من غير زوجته التي مات عنها واحد الولدين مسجون وقد توجهت قلوب الناس إلى الأمير بالعفو عما بقي من مدة سجنه . وقد رضي المسجون بأن يحمل أخاه المطلق يوسف بك قيمة عليه . فحوتهم الذين اعتادوا الاستفادة من تركات الأغنياء بالتحرش بين الوارثين وتوريطهم في الشكاوي والدعاوي على يوسف بك هذا وأنشأوا يوسوسون له ليقعوا بينه وبين وكيل الدائرة بسيوني بك الخطيب وبقية الورثة . فإذا فطن لأمرهم وعرف تأثير أمثالهم في أمثاله ووعي أقوال النصحاء المحصلين يرى أن هذا الوكيل كان محل ثقة أبيه الذي خبر الناس وبلاهم وإن ثروته كانت تزيد على عهده وأراضيه وأملأكه تزداد عمراناً وربما وعند ذلك يغفل وسوسة الوسوسين ويبقى كل شيء على حاله والا فانه يخسر بالقضايا والمشكلات أضعاف ما توهمه شياطين الانس الآن انه يخسره بالمسألة فينعم زماناً قصيراً ثم يعود - حماه الله - إلى حال المساكين ، والعاقبة للمتقين ،

وفاة الشيخ محمد محمود الشنقيطي

لم ترقأ دمة عين الأديب المنسجمة على محمود سامي ولم يهدأ روع محبي العلم والخير حزناً على أحمد المنشاوي حتى فجع العلم وأهله بوفاة الشيخ محمد محمود الشنقيطي العالم القوي الشهير في مساء يوم الجمعة لسبع بقين من شوال فقد فقدت مصر بل الأمة العربية في هذا الشهر ثلاثة رجال لا خلف لهم فيمن نعرف من أبنائها . مات رحمه الله بمرض انحلال الشيوخوخة عن سن تناهز التسعين فيما نظن وكان حضر تشييع جنازة صديقه محمود سامي باشا ومشى فيها قليلاً ثم عاد محزناً عن متابعة السير . وقد شيعت جنازته ظهر اليوم التالي على السنة التي كان يحبها وينتصر لها على نفقة صديقه الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ومشى فيها أهل الصفاء والوفاء من العلماء والفضلاء العارفين بفضله ولم يترك رحمه الله ما يورث عنه وجميع كتبه النفيسة موقوفة ووصيه الشيخ محمد عبده وقد وضعت امرأته بعد وفاته وقبل صدور هذا

الجزء غلاما فسمى باسمه نسال الله ان يجعله من اهل الحياة ليريه وصيه الحكيم أحسن تربية.
وسند ذكر ترجمة الفقيه في الجزء الآتي إن شاء الله تعالى

❦ وأي في احتلال فرنسا لمرا كش ❦

جاء في رسالة لمكاتب المؤيد في باريس علي أفندي زكي نشرت في العدد ٤٤٥٧

منه ما نصه

«حق على كل محب للمرا كشيئين أن يحث عن وجوه سعادتهم واني ممن لا يرون في
التداخل الفرنسي بالبلاد المراكشية أدنى ضرر على شرط أن يكون هذا التداخل
غير ماس باستقلال البلاد المراكشية من جهة ولا بسياج دين أهلها ولا بكرامتهم
وان كل مهمل على تاريخ البلاد وكيفية استعمارها يحكم ان مرا كش لا يمكنها أن
تقوم بنفسها بما تقتضيه راحة رعاياها وسعادة بنينا بل لابد لها من مساعد يساعدها
ويمدها بمال والرجال حتى تخرج من أزمتها الحالية واذا نظرنا الى الدول جمعا نرى
ان الدولة القريبة منها المشتركة معها في صوالحها هي الدولة الفرنسية ولكن هذا
لا يمنعنا أن نكون ضد سياسة فرنسا إذا أرادت مس استقلال البلاد المراكشية بل
ويلزمنا محاربتها بأقلامنا وبكل جهد استطاعتنا حتى نرجعها الى صوابها» اهـ

ويا ليت شعري ماذا فعلت محاربة انكلترا بالأقلام لآخر اجها من مصر وهل
فرنسا أضعف من انكلترا وأشد خوفا من أقلام أمثال هذا الكاتب السياسي ؟

❦ معاهد العلم الديني في الاسكندرية ❦

امر الامير منذ عامين بأن يكون طلاب العلم في الاسكندرية تابعين للجامع الازهر
في قانونه ونظامه وعين الشيخ محمد شاكر الذي كان قاضي القضاة في السودان شيخا
لعلما الاسكندرية لاجل ادارة نظام التعليم فيها. وقد خصص في ميزانية ديوان الاوقاف
لسنة ١٩٠٥ ست عشرة واربع مئة وأربعة آلاف جنيه من ريع الاوقاف الخيرية لتنفقات
التعليم في الاسكندرية وقد سار الشيخ محمد شاكر في ذلك على نظام ذكره بعد

(تصحيح غلط) لفظ البنات في السطر ١٦ من الصفحة ٨٢٩ صوابه البنات وفي س ٦

من ص ٨٣٠ منه اصوابه منها وفي س ٢١ نقرت صوابه (فقرت) وفي س ٣ من ص ٨٣١ طبع

صوابه طبع ٠ وقولنا في صفحة ٨٣٢ يوم الاثنين صوابه ليلة الثلاثاء

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

الملحق

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوي و«منارا» كتنار الطريق)

(مصر — الاحد ١٦ ذى القعدة سنة ١٣٢٢ — ٢٢ يناير (ك) سنة ١٩٠٥)

القسم الديني

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

(١٩٨:١٩٤) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ، فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَذَا كُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ * (١٩٩:١٩٥) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * (٢٠٠:١٩٦) فَإِذَا قُضِيَتْ مِنْاسِكُكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا، فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ * (٢٠١:١٩٧) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * (٢٠٢:١٩٨) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * (٢٠٣:١٩٩) وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا

إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا
أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ*

قوله عز وجل (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) متصل
بما قبله واقع موقع الاستدراك والاحتراس مما عساه يسبق الى الفهم من
الأمر بالتزود من التقوى وعمل البر والخير وهو خير الزاد ثم مخاطبة أولي
الألباب بالامر بالتقوى تعريضا بأن غير المتقي لا لب له ولا عقل وهو ان
أيام الحج لا يباح فيها غير أعمال البر والخير فيحرم فيها ما كانت عليه العرب
في الجاهلية من التجارة والكسب في الموسم كما يحرم الرفث والفسوق
والجدال الذي هو من لوازم التجارة غالباً والترفة بزينة اللباس الخيط والحلق
والإفضاء الى النساء ، فأزال هذا الوهم من الفهم وعلمنا ان الكسب في أيام
الحج مع ملاحظة أنه فضل من الله غير محذور لانه لا ينافي الاخلاص له
في هذه العبادة وإنما الذي ينافي الاخلاص هو أن يكون القصد الى التجارة
بحيث لو لم يرج الكسب لم يسافر لأجل الحج . هذا ما عليه الجماهير وجل
أبو مسلم ذلك على ما بعد الحج ومنع الكسب في أيامه . ويرد عليه نزول
الآية في سياق أحكام الحج ونفي الجناح الذي لا معنى له في غير الحج وما
ورد في أسباب نزولها . أخرج البخاري عن ابن عباس قال كانت عكاظ ومجنة
وذو المجاز أسواقا في الجاهلية فتأثموا أن يتجروا في الموسم فسألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت وقرأ ابن عباس الآية بزيادة: في موسم الحج:
ولعله قاله تفسيراً . وأخرج أحمد وابن أبي حاتم وابن جرير والحاكم وغيرهم
من طرق عن أبي أمامة التيمي قال قلت لابن عمر إنا نكري - أي الرواحل
للحجاج - فهل لنا من حج فقال ابن عمر جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم

فسأله عن الذي سألتني عنه فلم يجبه حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية - وذكرها فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال «أتم حججاً» وفي رواية أن ابن عمر قال لهم: أستم تلبون أستم تطوفون بين الصفا والمروة أستم أستم ثم ذكر ما تقدمه. وقال الاستاذ الامام: كان بعض المشركين وبعض المسلمين في أول الاسلام يتأثمون في أيام الحج من كل عمل حتى كانوا يقولون حوائثهم فعلمهم الله تعالى أن الكسب طلب فضل من الله لا جناح فيه مع الاخلاص وقال إن قوله تعالى «من ربكم» يشعر بأن ابتغاء الرزق مع ملاحظة أنه فضل من الله تعالى نوع من أنواع العبادة وأن سيدنا عمر قال في هذا المقام لسائل: وهل كنا نعيش الا بالتجارة؟ أقول لكن قال بعض العلماء إن في الجناح يقتضي أن هذه الاباحة رخصة وان الاولى تركها في أيام الحج. وهذا لا ينافي ما قاله اذا أريد بأيام الحج الايام التي تؤدي فيها المناسك بالفعل لا كل أيام شوال وذو القعدة وذو الحجة او عشره لاول وذلك أن لكل وقت عبادة لا تراحمها فيه عبادة أخرى كالتمنية للحج والتكبير في أيام العيد والتشريق لغيرهم. والمراد من الآية ان الكسب مباح في أيام الحج اذا لم يكن هو المقصود بالذات وانه مع حسن النية وملاحظة انه فضل من الرب تعالى يكون فيه نوع عبادة وان التفرغ للمناسك في أيام ادائها أفضل، والتنزه عن جميع حظوظ الدنيا في تلك البقاع الطاهرة اكمل ثم قال تعالى

(فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) الافاضة من المكان الدفع منه مستعار من إفاضة الماء واصله أفضتم انفسكم ويقال ايضاً افاض في الكلام اذا انطلق فيه كما يفيض الماء ويتدفق وعرفات اعرف من ان تعرف وقد جاء هذا الاسم بصيغة الجمع وقيل انه جمع وضع لمفرد

كاذرات وهو مرتجل وذكروا وجوها للتسمية أحسنها أنه يتعرف فيه إلى الله بالعبادة أو أنه يشعر بتعارف الناس فيه وعرفة اسم اليوم الذي يقف فيه الحجاج بعرفات وهو تاسع ذي الحجة وأطلق أيضا على المكان في كلامهم. ولعرفات أربعة حدود حد إلى جادة طريق المشرق والناني إلى حافات الجبل الذي وراء أرضها والثالث إلى البساتين التي تلي قرنها على يسار مستقبل الكعبة والسابع وادي عرنة (بضم ففتح) وليست عرنة ولا نرة (بفتح فكسر) من عرفات. والوقوف بعرفات أعظم أركان الحج وكلها موقف. والمشعر الحرام جبل بالمزدلفة يقف عليه الإمام ويسمى قزح سمي مشعرا لأنه معلم للعبادة ووصف بالحرام لحرمته وقيل بالمزدلفة كلها من مازمي عرفات إلى وادي محسر (بكسر السين المهملة المشددة) وليس هو من مزدلفة ولا من منى بل هو مسيل ماء بينهما في الأصل وقد استوت أرضه الآن أو هو من منى والمعنى أنه يطلب من الحاج إذا نزل من عرفات إلى المزدلفة أن يذكر الله عند المشعر الحرام بالدعاء والتكبير والتهليل والتلبية وقيل بصلاة العشائين جمعا وليس هو المتبادر بل قالوه لينطبق على قولهم الأمر للوجوب مع قولهم أن الذكر هناك غير واجب. وفي حديث جابر عند مسلم «أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئا ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة ثم ركب القصو (أي ناقته المجدوعة وهذا اسمها وهو بالفتح والقصر وبعد) حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعا الله وكبره وهمله ووحده فلم يزل واقفا حتى أسفر جدا فدفع قبل أن تطلع الشمس» الحديث وهو دليل على أن المشعر الحرام هو قزح وأن الذكر غير صلاة العشائين جمعا. والمبيت

بمزدلفة « وتسمى جمعا » . من جملة المناسك قال الاستاذ الامام امر بالذكر عند
 المشعر الحرام للاهتمام به لانهم ربما تركوه بعد المبيت ولم يذكر المبيت لانه كان
 معروفا لا يخشى التهاون فيه والقرآن لم يبين كل المناسك بل المهم وبين
 النبي (ص) الباقي بالعمل . ثم قال (واذا كروه كما هذا كم) أي اذا كروه
 ذكر حسنا كما هذا كم هداية حسنة إذ أنجاكم من الشرك واتخاذ الوسطاء
 كما كنتم في الجاهلية تذكرونه مع ملاحظة غيره بينكم وبينه لا يفرغ قلبكم
 له . وكانوا يقولون في التلبية : لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه
 وما ملك : فالكاف للتشبيه لا للتعليل كما قيل (وان كنتم من قبله لمن الضالين)
 أي وانكم كنتم من قبله ضالين عن الحق في عقائدكم وأعمالكم . قال الاستاذ
 الامام أي من قبل الله الذي آمنتم به إيمانا صحيحا بهداية الاسلام دون الخيال
 الذي كنتم تدعونه إلها له وسطاء شركاء يقرّبون اليه ويشفعون عنده فان ذلك
 الخيال لاحقيقة له ، وبهذا التقرير يستغنى عن تقدير المضاف ولا بأس بجعل
 ضمير « قبله » للهدى كما قال المفسر وغيره لسبق فعله ويمكن أن يراد به القرآن
 كما قال بعضهم اكتفاء بدلالة المقام كقوله تعالى « إنا أنزلناه »

(ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) جعل المفسر (الجلال) كغيره
 الخطاب هنا لقريش خاصة إذ ورد في حديث عائشة عند الشيخين أن قريشا
 ومن دان دينهم وهم الحرس كانوا يلقون في الجاهلية بمزدلفة ترفعا عن الوقوف
 مع العرب في عرفات فأمر الله نبيه أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها
 أي بإطالا لما كانت عليه قريش فالمراد بهذه الافاضة الدفع من عرفات
 كالاولى قال : وثم للترتيب في الذكر : وأنكر الاستاذ الامام هذا
 لان الأسلوب يتنافيه وذلك أن الخطاب في الآيات كلها عام .

قال وهم يذكرون هذا كثيرا ولا يذكرون له نكتة تزيل التفاوت من
النظم ويمكن أن يقال هنا إنه بعد أن ذكر كذا وكذا من أحكام الحج قال
هذا كأن المعنى هكذا : بعد ما تبين لكم ما تقدم كله من أعمال الحج وليس
فيها امتياز أحد على أحد ولا قبيل على قبيل وعلمتم أن المساواة وترك التفاخر
من مقاصد هذه العبادة بقي شيء واحد وهو أن تلك العادة المميزة لا وجه لها
فعليكم أن تقيضوا مع الناس من مكان واحد

والمبتادر أن المراد بالافاضة هنا الدفع من مزدلفة لانه ذكر الدفع من
عرفات في خطاب المؤمنين كافة وهو لا يكون الا بعد الوقوف فعلم أنهم سواء
في الوقوف بعرفات وفي الافاضة منها الى المزدلفة وبعد أن أمرهم بما يتوقع
أن يفعلوا عنه فيها عند المشعر الحرام منها ذكر الافاضة منها وقوله «ثم»
يفيد أن الافاضة من مزدلفة يجب أن تكون مرتبة على الافاضة من عرفات
ومتأخرة عنها ففيه تأكيد لإبطال تلك العادة وقوله «من حيث أفاض الناس»
يشعر بأنه لا معنى للامتنياز في الموقف ترفعا على الناس إذا كانوا بعد ذلك
يتساوون في الافاضة فإن غير قريش من العرب كانوا يفيضون من المزدلفة
أيضا فالآية تتضمن إبطال ما كانت عليه قريش مع كون المراد بالافاضة
فيها الدفع من مزدلفة ولعل هذا هو المراد من الآثروا أنه روي بالمعنى والظاهر
أن المراد بالناس الجنس وقيل إبراهيم واسماعيل ومن كان على دينهما وقوله
(واستغفروا لله) يراد به الاستغفار مما أحدثوا بعد إبراهيم من تغيير المناسك
وإدخال الشرك وأعماله فيها والا فهو استغفار من الضلال الذي ذكرهم به
في الآية قبلها ومن عامة الذنوب في الحج وغيره (إن الله غفور رحيم)
(فاذا قضيت مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم وأشد ذكرا)

كان للعرب في الجاهلية مجامع في الموسم يفاخرون فيها بأبائهم ويذكرون
أنسابهم وفعالهم أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال كان أهل الجاهلية
يقفون في الموسم يقول الرجل منهم : كان أبي يطعم ويحمل الحملات ويحمل
الديات : ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم فأنزل الله هذه الآية . ولا بن جرير
عن مجاهد كانوا اذا قضاوا مناسكهم وقضوا عند الجرة وذكروا آبائهم الخ
وروي أنهم كانوا يقفون بمنى بين المسجد والجبل يتفاخرون ويتعاطفون
ويتناشدون فأمرهم الله تعالى بأن يذكروا الله تعالى بعد قضاء المناسك
وهي أعمال الحج كما كانوا يذكرون آبائهم في الجاهلية أو أشد من ذكرهم
إياهم . وقد كان في حجة الوداع أن خطب النبي في اليوم الثاني من أيام التشريق
فأرشدهم الى ترك تلك المفاخرات . روى أحمد من حديث أبي نضرة قال
حدثني من سمع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في أوسط أيام التشريق فقال
« يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي
على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا
بالتقوى ، أبلغت ؟ » قالوا بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى
« أو أشد ذكرا » معناه ظاهر وهو بل اذكروه أشد من ذكركم آبائكم
وفيه من الإيجاز ما ترى حسنه . قال الاستاذ الامام وقد تعسف في إعرابه
الذين حكموا النحو الذي وضعوه في القرآن ويعجبني قول بعض الأئمة واطن انه
أبو بكر ابن العربي : من العجيب ان النحويين اذا ظفروا أحدهم بيت شعر
لأحد أجلاف الأعراب يطير فرحابه ويجعله قاعدة ثم يشكل عليه اعراب
آية من القرآن فلا يتخذها قاعدة بل يتكلف في إرجاعها الى كلام أولئك
الأجلاف وتصحيحها به كأن كلامهم الأصل الثابت . ويعجبني أيضا ما قاله

أبو البقاء وهو أن للقرآن إيجازاً واختصاراً في بعض المواضع المفهومة من المقام وهو أن المعنى هنا أو كونوا أشد ذكراً ومثل هذا شائع في اللغة . وقال الاستاذ هنا كلمته التي يقولها في مثل هذا المقام وهي أنه كان يجب أن يكون القرآن مبدأ إصلاح في اللغة العربية وقد ذكرناها من قبل

ثم بين تعالى أن الذين يذكرونه فيدعونهم على قسمين (فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق) الخلاق النصيب والحظ ذكر تعالى أن هذا الفريق يطلب حظ الدنيا مطلقاً ولم يقل أنه يطلب فيها حسنة لأن من كانت الدنيا كل همه لا يبالي أكانت شهواته وحظوظه حسنة أم سيئة فهو يطلب الدنيا من كل باب ويسلك إليها كل طريق لا يميز بين نافع لغيره وضار فباستيلاء حب الدنيا عليه لم يكن للآخرة وما أعده الله فيها للمتقين من الرضوان موضع من نفسه يرجوه ويدعو الله فيه كما أنه لا يخاف ما توعد الله به المجرمين فيها فيلجأ إليه تعالى بأن يقيه شره . فحرمان هذا الفريق من خلاق الآخرة هو أثر كسبه وسوء اختياره وتفضيله حظوظ الدنيا الفانية على سعادة الآخرة الباقية . وبالله ما أبلغ حذف مفعول « آتنا » في هذا المقام ، فهو من دقائق الإيجاز التي تحار فيها الأفهام ، وتمجز عنها قرائح الأنام ، وقد اختلف المفسرون في تعيين هذا الفريق فقليل هم الكفار الذين لا يؤمنون بالآخرة واستدلوا بما روي عن ابن عباس وأنس من دعاء المشركين في ذلك المقام بحظوظ الدنيا وقيل هم المسلمون الذين لم تمس أمرار الدين وحكمه قلوبهم ، ولم تشرق أنوار هدايته على أرواحهم ، بل اكتفوا بالتقليد في رسومه الظاهرة ، فكان همهم في الدنيا دون الآخرة ، وذكرنا هنا ما روي في المرفوع من أن

الله تعالى يؤيد هذا الدين بمن لا خلاق لهم . واستدلوا على صحة رأيهم بالسياق . ولا شك أن هذا القسم موجود في المسلمين كما وجد في كل أمة ومن بلا الناس وفلاهم عرف ذلك

(ومنهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) أي ومنهم من يطلب خير الدنيا والآخرة لا يحفظ الدنيا كيفما كانت كالفریق الاول لان هذا لا يتفق مع طلب حظ الآخرة . وقد اختلف المفسرون في تعيين الحسنة هل هي العافية والكفاف أو المرأة الصالحة أو الأولاد الأبرار أو المال الصالح أو العلم والمعرفة أو العبادة والطاعة وروى بعض هذه الأقوال عن بعض السلف وأهل كل ذي قول يطلقها على المهم عنده والظاهر أن حسنة ووصف لمحدوف أي حياة حسنة وانظر بم تكون حياة المرء حسنة فيكون سعيدا في الدنيا . فمن دعا الله تعالى دعاء إجماليا فليدعه بسعادة الدنيا والآخرة والحياة الطيبة فيهما يكن مهتديا بالآية ومن كانت له حاجة خاصة فدعاه لها من حيث هي حسنة فهو مهتد بها ، على أنهم اختلفوا في حسنة الآخرة فقيل الجنة وقيل الرؤية واختلفوا في عذاب النار ورووا عن علي كرم الله وجهه انه المرأة السوء . وقد علم مما تقدم في تفسير « أجيب دعوة الداع اذا دعان » أن الطلب من الله تعالى إنما يكون باتباع سنته في الاسباب والمسببات والتوجه اليه تعالى واستمداد المعونة والتوفيق منه ، للهداية الى ما يمجز العبد عنه ، وعلى هذا يتخرج تفسير الحسن لقوله تعالى (وقنا عذاب النار) بقوله أي احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية اليها . فطلب الحياة الحسنة في الدنيا يكون بالاخذ بأسبابها وأعظمها وأقربها الثقة بالله والاخلاص وقصد الخير في الاعمال كلها وتوفي الشرور كلها ، وطلب الحياة

الحسنة في الآخرة يكون بالآيمان الخالص والعمل الصالح بقدر الاستطاعة،
 وطلب الوقاية من النار يكون بترك المعاصي والشهوات المحرمة مع القيام
 بالفرائض المحتمة. وهذا هو الطلب بلسان لقلب والعمل وأما الطلب بلسان المقال
 فهو يصدق ذلك بما يذكر القلب بأن هذه لأسباب من الله يعطي بها فضلا منه
 ورحمة وأنه لا يرجع الى سواه في الهداية الى ما خفي والمعونة على ما عسر.
 ولم يذكر في التقسيم من لا يطلب الآخرة لأن التقسيم لبيان ما عليه
 الناس في الواقع ونفس الامر بحسب داعي الجبلة وتأثير التربية وهدى
 الدين ولا يكاد يوجد في البشر من لا توجه نفسه الى حسن الحال في الدنيا
 مهما كان غاليا في العمل الآخرة لأن لا احساس بالجوع والبرد والتعب يحمله
 كرها على التماس تخفيف ألم ذلك لا احساس. وفي الآية إشعار بأن هذا
 الغلو مذموم خارج عن سنن الفطرة وصراط الدين معا. وفي حديث
 أنس عن البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا رجلا
 من المسلمين قد صار مثل القرخ المنتوف فقال له «هل كنت تدعو الله
 بشيء؟» قال نعم كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي
 في الدنيا: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سبحان الله إذا لا تطيق
 ذلك ولا تستطيعه فما قلت: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
 وقنا عذاب النار:» ودعا له فشفاه الله تعالى. وأبعد من هذا في الغلو ان
 بعض الصوفية سمع قارئاً يقرأ قوله تعالى «منكم من يريد الدنيا ومنكم
 من يريد الآخرة» فصاح: أواه، أين من يريد الله: وهو قول حسن
 الظاهر قبيح الباطن فالآية خطاب لخيار النصيحة وهو وشيوخه من الصوفية
 لم يبلغوا مد أحدهم ولا نصيفه فارادة الدنيا والآخرة بالحق ارادة لمرضاة

الله وعمل بسنته. وقد ورد في الصحيح ان الآية كانت أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما يدعي ذلك الصوفي وأمثاله من الغلاة أنهم أشد حبا منه لله وطلباً له عز وجل ثم قال تعالى يا لمن يسأل عن حظ هؤلاء (اولئك لهم نصيب مما كسبوا) الاشارة بأولئك الى الذين يطلبون سعادة الدارين والحسنة في المنزلة لان حكم الفريق الذي يطلب الدنيا وحدها قد علم من قوله تعالى « وماله في الآخرة من خلاق » فان العطف يشمر بمحذوف كأنه قال هذا الفريق له حظ من الدنيا وماله في الآخرة من خلاق ومجموع الكلام في الفريقين بمعنى قوله تعالى « من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤثمه منها وماله في الآخرة من خلاق » وقد بينت الآية صريحاً أنهم يعطون ما دعو الله تعالى فيه بكسبهم وهذا نص فيما تقدم من معنى الدعاء وانه لا بد أن يكون طلب اللسان مطابقاً لما في النفس من الشعور بالحاجة الى الله تعالى بعد الاخذ بالاسباب والسعي في الطرق التي مضت بهاسنة الله تعالى ولهذا قال « مما كسبوا » ولم يقل : لهم ما طلبوا : والمعنى أنهم لما كانوا يطلبون الدنيا بأسبابها ، ويسعون الآخرة سعيها ، كان لهم حظ من كسبهم هذا في الدارين على قدره (والله سريع الحساب) يوفي كل كاسب أجره عقيب عمله بحسبه لأن سنته مضت بأن تكون الرغائب آثار الاعمال فهو يوفي كل عامل عمله بلا إبطاء وكما يكون الجزاء سريعاً في الدنيا كذلك يكون في الآخرة فان أثر الأعمال الصالحة يظهر للمرء عقب الموت وهو أول قدم يضعه في باب عالم الآخرة. وهذا أحسن بيان لما قالوه في تفسير « سريع الحساب » من أنه إجابة لدعاء . والا كثرون على ان المراد حساب الآخرة.

واختلفوا في كيفية ذلك على أقوال أقربها إلى التصور أن سرعة الحساب عبارة عن إطلاع كل عامل على عمله أو إعلامه بما له مما كسب وما عليه مما اكتسب وذلك يتم في لحظة وقد ورد أن الله تعالى يحاسب الخلائق كلهم في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا وورد في قدر فواق الناقة وورد بمقدار لمحة البصر . ثم قال تعالى بعد أن أمر بذكره عند المشعر الحرام وكانوا لا يذكرونه هناك وذكره عند تمام قضاء المناسك بعد أيام منى إذا كانوا يذكرون مفاخر آبائهم (واذكروا الله في أيام معدودات) حكى القرطبي عن الحافظ ابن عبد البر وغيره الإجماع على أن الأيام المعدودات هي أيام منى وهي أيام التشريق الثلاثة من حادي عشر ذي الحجة إلى ثالث عشره ويؤيده حديث عبد الرحمن بن يعمر عند أحمد وأصحاب السنن الأربعة وغيرهم قال : إن ناسا من أهل نجد أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة فسألوه فأمر مناديا ينادي « الحج عرفة من جاء ليلة جمع - أي المزدلفة - قبل طلوع الفجر فقد أدرك . أيام منى ثلاثة أيام فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه » وأردف رجلا ينادي بهن : أي أركب رجلا معه ينادي بهذه الكلمات ليعرف الناس الحكم وهو أن من أدرك عرفة ولو في الليلة التي ينفر بها الحاج إلى المزدلفة للمبيت فيها وهي الليلة العاشرة من ذي الحجة فقد أدرك الحج وأن أيام منى ثلاثة وهي التي يرمون فيها الجمار وينحرون فيها هديهم وضحاياهم فمن فعل ذلك في اليومين الأولين منها جاز له ومن تأخر إلى الثالث جاز له بل يظهر أنه الأفضل لأنه الأصل . فالحديث مفسر للأيام المعدودات وعليه العمل عند أهل العلم كما قال الترمذي في سننه . وإنما أمر سبحانه بالذكر في

هذه الايام ولم يأمر بالرمي لانه من الاعمال التي كانوا يعرفونها ويعملون بها وقد أقرهم عليها وذكر المهم الذي هو روح الدين وهو ذكر الله تعالى عند كل عمل من تلك الاعمال وتلك سنة القرآن يذكر إقامة الصلاة والخشوع فيها وذكر الله تعالى ودعاءه وتأثير ذلك في إصلاح النفوس ولا يذكر كيفية القيام والركوع والسجود ككون الاول يفعل مرة في كل ركعة والثاني يفعل مرتين وانما يترك ذلك لبيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم له بالعمل . وبيئت السنة أيضا ان ذكر الله تعالى في هذه الايام هو التلبية والتكبير أذبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغير ذلك من الاعمال فقد روى الجماعة عن الفضل بن العباس قال كنت رديف رسول الله (ص) من جمع الى منى فلم يزل يلبي حتى رمى جرة العقبة: وروى احمد والبخاري عن ابن عمر انه (ص) كان يرمي الجمرة يكبر مع كل حصاة وورد في التكبير في أيام التشريق أحاديث كثيرة منها حديث ابن عمر في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم كان يكبر بمنى تلك الايام وعلى فراشه وفي فسطاطه وفي مجلسه وفي ممشاه في تلك الايام جميعا . وأما الذكر في يوم عرفة ويوم النحر فهو التكبير لغير الحاج وله أعم في حديث أحمد والشيخين أن محمد بن أبي بكر بن عوف قال سألت أنسا ونحن غاديان من منى الى عرفات عن التلبية كيف كنتم تصنعون مع النبي صلى الله عليه وسلم قال: كان يلبي الملبى فلا ينكر عليه ويكبر المكبر فلا ينكر عليه . وفي حديث أسامة عند النسائي أنه (ص) رفع يديه يوم عرفة يدعو . وفي روايات ضعيفة السند ان أكثر دعائه يوم عرفة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير . وقد ذكرنا ذكره عليه السلام عند

المشعر الحرام وقد قالوا إن التلبية أفضل الذكر للحاج ويلها التكبير في يوم
عرفة والاضحى وأيام التشريق وكيفية التلبية : لبيك اللهم لبيك ، لا شريك
لك لبيك ، است الحمد والنعمة لك والملك لك لا شريك لك ، : هذا هو
المرفوع وله أن يزيد من الذكر والثناء والدعاء ما شاء . والتكبير المرفوع
صحيحا : الله أكبر الله أكبر الله أكبر أكبر كبيرا : ويزيدون

وقد جعل الله تعالى التخيير في التعجيل والتأخير مشروطا بالتقوى فقال (فن
تعجل في يومين فلاثم عليه ومن تأخر فلاثم عليه لمن اتقى) أي من استعجل في
تأدية الذكر عند الأعمال المألوفة في يومين من تلك الأيام المعدودات فلا حرج
عليه ومن أتمها كذلك إذا اتقى كل منهما الله تعالى ووقف عند حدوده فإن
التقوى هي الغرض من الحج ومن كل عبادة والوسيلة الكبرى إليها كثرة ذكر الله
تعالى وإنما تلك الأعمال مذكرات للناسي ثم أمر بالتقوى بعد الاعلام بمكانتها
فقال (واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون) أي اتقوه في حال أداء المناسك
وفي جميع أحوالكم وكونوا على علم يقين بأنكم تجمعون وتساقون إليه في يوم
القيامة فيريكم جزاء أعمالكم والعاقبة للمتقين . « تلك الجنة التي نورث من
عبادنا من كان تقيا » فإن العلم بذلك هو الذي يؤثر في النفس فيعتمدها إلى العمل
وأما من كان على ظن أو شك فانه يعمل تارة ويترك أخرى لتنازع الشكوك
قلبه . ومن فوائد الأسلوب أن تكرار الأمر بالذكر ويبيان مكانة التقوى ثم الأمر
بها تصريرا في هذه الآيات التي فيها من الإيجاز ما هو في أعلى درجات الإعجاز
حتى سكت عن بعض المناسك الواجبة للعلم بها - كل ذلك يدلنا على أن
المهم في العبادة ذكر الله تعالى الذي يصلح النفوس وينير الأرواح حتى
توجه إلى الخير وتنتفي الشرور والمعاصي فيكون صاحبها من المتقين

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسمع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان ير من الى اسمه بالخروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً وربما قدمنا متأخراً السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك كمثل هذا. ولمن ينفي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فن لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لا غفاله

﴿ أخذ الاجرة على القرآن ﴾

(س ١٠٤) ١٠٤ ف. في الاسكندرية) : قرأنا في مناركم نقلا عن الاستاذ الامام عند تفسير قوله تعالى « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الخ » الوجوه التي يعتبر أخذ المال فيها محرماً وفيها ما يؤخذ على العدد المعلوم من سورة يس - وان القراءة لا تحقق الا اذا أريد بها وجهه الله خالصة فاذا شابت هذه النية شائبة فقد أشرك بالله غيره في عبادته بالتلاوة - وكذا من يقرأ القرآن لاخذ الاجرة لاغير فاذا لم تكن لاقرأ وعلم من ذلك ان الحرمة على المعطي والآخذ فاذا كان الاول يعطي بمحض ارادته واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ان أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله » فكيف تكون الحرمة وكيف الجمع بين القولين

والحديث كما لا يخفى رواه البخاري عن ابن عباس في (كتاب الطب) وهو حجة الشافعي (كما سمعنا) على جواز أخذ الاجرة على القراءة وحجة أبي حنيفة على جواز أخذها على الرقي. أسمعونا بالجواب فانا كالظمان ينتظر ورود الماء ولكم الفضل أولاً وآخراً

(ج) حمل بعض العلماء الاجر في الحديث على الثواب لأجل الجمع وخصه بعضهم بالرقية وينبغي ان تكون صلاحاً على شفاء ليدفع فاز شفي استحق الرافي الاجرة كما كانت واقعة الحال لأن ما جاء على خلاف القياس لا يقاس عليه وقد تقدم الكلام على الرقية بالقرآن ونفعه في شفاء المرضى أو عدم نفعه في الكلام على المسائل الزنجارية. ومنها يعرف انه على خلاف القياس. ومن الاحاديث المعارضة له ما رواه أحمد والبخاري من حديث عبد الرحمن بن شبل عن انبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « اقرءوا القرآن ولا تغفوا فيه

ولا تجفوا عنه ولا تستكثروا به : ورجاله ثقات وما رواه أحمد والترمذي وحسنه من حديث عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اقرءوا القرآن واسألوا الله به فإن من بعدكم قوما يقرءون القرآن يسألون به الناس : وما رواه أبو داود من حديث سهل بن سعد وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اقرءوا القرآن قبل ان يقرأه قوم يقيمونه كما يقام السهم يتعجل أجره ولا يتأجل » وما رواه أيضاً من حديث جابر قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن وفيما الأعرابي والعجمي فقال : « اقرءوا فكل حسن وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدح يتمجلونه ولا يتأجلونه » : فهذا وما ذكر في التفسير كاف في بيان الحق وجمل حديث الرقية خاصة بتلك الواقعة وما كان في معناها وهي تدل على أن الأجرة كانت محرمة فإن الراقي لما أخذ الشاء أنكر عليه رفاقه من الصحابة حتى أتوا النبي وأذن لهم بأكلها وكانوا يستضافوا أولئك العرب من المشر كين فلم يضيفوهم فرقى أحدهم لهم سيدهم وكان لديفاً على ان يعطوه القطيع اذا شفي . فانت ترى اهم كانوا مضطرين او محتاجين ولا يقال ان المعطي يعطي برضاه فان العقد فاسد وهذه شبهة مستحل الربا . والشافعي لم يقل ماذكروا نماه وبحث للشافعية في صحة الاجارة وعدمها .

حياة البرزخ وحياة الآخرة

(س ١٠٥) يوسف افندي هندي في بريد (بور سعيد) : أ كد لي أحد طلبة العلم بالازهر الشريف ان الميت يشعر ويحس ويتألم ويسمع كل ما قيل أمامه حتى وطء النعال على قبره واستشهد بحديث عمر « ما انت بأسمع منهم »

واني شك في ذلك لبعده عن التصور وعدم تسليم العقل به مباشرة لأسباب منها عدم تألم المرء بما يفعل بجسمه اذا خدر بدنه بالمادة المغيبة (البنج) والروح فيه فما باله بعد مفارقتها بدنه ومنها ان الميت في بور سعيد يوضع في صندوق ويلقى في حفرة رملية ويهال عليه التراب ولا شك ان الأرض تغور به لانها رملية فهل يسلم العقل بأن الميت يشعر بهذا كله ونحوه أرجو التكرم بشرح الحقيقة مأجورين

(ج) ولع كثير من الذين يشتغلون بعلم الدين بالكلام في الغرائب ولا أغرب من أمور عالم الغيب واحتجوا عليه بالروايات حتى الضعيفة والموضوعة وأدخلوا فيه القياس

على ما رووا بل منهم من احتج فيه بالرؤى والاحلام حتى قالوا وكتبوا ما يحمل كثيراً من الضمفاء على الشك في أصل الدين . ومن ذلك ان الاموات يأكلون في قبورهم ويشربون ويشنون النساء . والحق المجمع عليه ان حياة الآخرة من أمور عالم الغيب فما ورد فيها من النصوص القطعية عن الله ورسوله تؤمن به من غير بحث في كيفيته وتؤمن مع ذلك ان عالم الغيب ليس كعالم الشهادة فلا تقيس حياة الآخرة على الحياة الدنيا في شيء . والمقل لا ينافي هذا لانه يدلنا على أن الذي وهبنا هذه الحياة قادر على ان يهبنا بعد الموت حياة أخرى ارقى منها أو أدنى وقد اختلف المسلمون في حياة البرزخ فقال الاكثر ان الميت يجاب بعد الدفن لأجل السؤال وانه يعذب بعد الموت قبل البعث يوم القيامة وعليه جمهور أهل السنة لاحاديث وردت في ذلك ولكن هذه الحياة عندهم غيبية لا يقاس عليها .

ونقل صاحب لوائح الانوار البهية - في شرح عقيدة الفرقة المرضية عن الامام ابن حزم في كتاب الملل والنحل ان من ظن أن الميت يحيا في قبره قبل يوم القيامة فقد أخطأ لأن الآيات تمنع من ذلك يعني قوله تعالى « ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين » وقوله « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم » قال ولو كان الميت يحيا في قبره لكان الله تعالى قد أمتنا ثلاثاً وأحيانا ثلاثاً وهذا باطل وخلاف القرآن إلا من أحياء الله آية لنبي من الانبياء - ثم ذكر قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف ، والذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها - أي ان الآيات تنجي . على خلاف الأصل والأصل هنا انه لا حياة بعد الحياة الدنيا الا حياة الآخرة وذكر في الاحتجاج قوله تعالى « ويرسل الاخرى الى أجل مسمى » أي يرسل روح الذي يموت الى يوم القيامة فلا حياة له قبلها . ثم قال ابن حزم ولم يأت قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خبر صحيح ان ارواح الموقر تد الى أجسادهم عند المسألة ولو صح ذلك لقلنا به وانما تقرد بهذه الزيادة من رد الارواح الى قبور المنهال بن عمرو وليس بالقوي تركه سعيد وغيره وقال فيه المغيرة بن مقسم الضبي وهو أحد الأئمة : ما جازت للمنهال بن عمرو قط شهادة في الاسلام على ما قد نقل وسائر الاخبار الثابتة على خلاف ذلك . (قال) وهذا الذي قلناه هو الذي صح عن الصحابة : وذكرا آثار أعظم تؤيد ما قال

وقد أورد صاحب اللوائح ردا عليه لابن القيم قال إن أراد ابن حزم بقوله : من

ظن أن الميت يحيا في قبره فقد اخطأ الحياة الممهودة في الدنيا التي تقوم فيها الروح بالبدن وتصرفه وتديره ويحتاج معها الى الطعام والشراب واللباس فهذا خطأ كما قال والحس والعقل يكذبه كما يكذبه النص. وإن أراد به حياة أخرى غير هذه الحياة بأن تعاد الروح اليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا ليستل ويمتحن في قبره فهذا حق وفيه خطأ وقد دل عليه النص الصحيح الصريح وهو قوله « فتعاد روحه في جسده » في حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما وساق الحديث وهو عند أحمد وأبي داود ثم ذكر أن قوله فيه « ثم تعاد روحه في جسده » لا يدل على حياة مستقرة ثم ذكر أن تعلق الروح بالبدن من أول التكوين الى يوم القيامة خمسة أنواع ذكرها المؤلف وهذا نوع منها . اي وهو غيبي لانعرف حقيقة . ثم ذكر أن جرح المهال خطأ وذكر من وثقه وأن أعظم ما قيل فيه أنه سمع صوت غناء من بيته. وأما حديث أهل القلب وقوله عليه الصلاة والسلام: ما أتم بأسمع لما أقول منهم: فهو يدخل في الآيات فقد قال قتادة رضي الله عنه أحياءهم الله تعالى حتى سمعوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحلي في سيرته : أقول والمراد بأحيائهم شدة تعلق أرواحهم بأجسادهم حتى صاروا كالأحياء في الدنيا لغرض المذكور: ولا بعدان يريد أن أرواحهم هي التي سمعت فانها هي التي تدرك وتعقل فلا تتوقف صحة الحديث على رجوعها الى الاجساد ولكن هل يقاس على النبي غيره في مخاطبة الارواح والقائس لا يعرف حقيقة ما به القياس ؟ ام يعطي الله لكل أحد يكلم الموتى من الآية في أمماتهم ما أعطى نبيه عليه الصلاة والسلام ؟ كلا فلم ماتقدم ان ماسمعتهم من أن الاموات أحياء غير صحيح ، بل هو تناقض صريح ، والله أعلم

(دعوى الولاية والتصرف في الكون)

(س ١٠٦) الشيخ أنور محمد يحيى في (الابراهيمية): ظهر في بلدة الإبراهيمية رجل يسمى الشيخ بالتصوف ومشيخة الطاريق فأخذ عليه العهد نحو ثمانين شخصاً لما له من الشهرة بالصلاح فراودت نفسي ان آخذ عليه العهد وأتخذه مرشداً فلما اجتمعت مع أحد تلامذته وسألته عن أحوال هذا الاستاذ أقسموا لي بالله ثلاثاً انه يوجد في تلامذته من تفوق رتبته رتبة سيدي أحمد البدوي وأن له التصرف في الكون فأنكرت ذلك عليه فسألني ثانياً أنكر ذلك فقلت له نعم فأجابني بأنه لا بد من أن يصيبك

مرض شديد لآك مصر على إنكار التصرف فصرت منتظراً حدوث المرض كما أوعدني فلم يحصل فهل يجوز لنا أن نشكر على هذا شرعاً أم لا ينونا لنا

(ج) جاء في كتب العقائد أنه لا يجب على أحد أن يصدق بأن فلاناً بعينه من أولياء الله تعالى وإن ظهرت الخوارق على يده . وانا نذكر لك ما جاء في اللوائح عند شرح قوله وكل خارق أتى عن صالح من تابع لشرعنا وناصح فانها من الكرامات التي بها نقول فاقف للدلالة

قال في تفسير الصالح : وهو الولي العارف بالله وصفاته حسب ما يمكن المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات من ذكر واثق الخ : وقال في تفسير ناصح : لله ورسوله ولكتابه ولشريعة النبي صلى الله عليه وسلم التي أتى بها عن الله وناصح لأئمة المسلمين وخاصتهم وعامتهم فان الدين النصيحة : الخ ثم قال في سياق النقل عن ابن حمدان حقيقة الكرامة : ولا تدل على صدق من ظهرت على يده فيما يخبر به عن الله تعالى او عن نفسه ولا على ولايته لجواز سلمها وان تكون استدراجاً له يعني ان مجرد الخارق لا يدل على ذلك ولذلك قال ولا يساكنها ولا يقطع هو بكرامته بها ولا يدعيها وتظهر بلا طلبه تشريعاً له ظاهراً ولا يعلم من ظهرت منه هو او غيره انه ولي لله تعالى غائباً بذلك وقيل بلى . ولا يلزم من صحة الكرامات وجودها صدق من يدعيها بدون بينة أو قرائن خالية تفيد الجزم بذلك وان مشى على الماء وفي الهواء او سخرت له الجن والسباع حتى تنظر خاتمته وموافقته للشرع في الأمر والنهي . فان وجد الخارق من نحو جاهل فهو مخرفة ومكر من إبليس وإغواء وإضلال :

فهذا نص عالم من اشد الناس اتصاراً للكرامات وانكاراً على منكريها من المسلمين كالاستاذ ابي اسحق الاسفرايني والشيخ عبد الله الحلبي من أئمة الاشاعرة وغيرهم من الفرق . وتفسيره للولي يؤخذ من لفظه فان معناه الناصر والموالي ولا يكون ناصرأ لدين الله ومواليه الا بالعلم والعمل بالكتاب والسنة والنصيحة لله ورسوله باقامتهما والنصيحة لأئمة المسلمين وهم السلاطين والامراء الذين يحرم منافقو هذا الزمان نصيحتهم ويلعنون الناصح لهم ولعامتهم . ثم انه يذكر ان الولي لا يدعي الكرامة ولا هي تكون باختياره وتصرفه ولكن اذا وقع له امر خارق للعادة حقيقة يحمل على انه إكرام

من الله وعناية منه به ولكن ما كل من يظهر على يده الخارق يكون وليا بل ربما يكون ذلك استدراجا له ، واذا كان جاهلا أو عاصيا فانتا نجزم بأن ما ظهر على يديه استدراج له ليزداد اثما هذا اذا لم يظهر لنا انه حيلة وشعوذة ولذلك اشترط رحمه الله العلم الجزم بوقوع الخارق . فكيف حال هؤلاء الادعياء الجهلاء الذين يخدعون العوام بدجلهم وحيلهم ويهددون ضعفاء العقل بالامراض والمصائب اذا هم انكروا عليهم حتى كان الكرامات صناعة لهم وسلاح يحاربون به الناس لا كل امواهم بالباطل والسيادة عليهم بالبهتان لاتصدق احدا يدعي الولاية او الكرامة او بيت التلامذة والاعوان لدعواها وان انذر بعض الناس بالمرض فرض فإن الدعي دعي ولا يفرنك ما تكتبه الجرائد التي تسمى اسلامية عن بعض اهل الجاه منهم وانكر عليهم وانصح للمسلمين بالاعراض عنهم ووال من والى الله ورسوله بالعلم والعمل والنصح للمسلمين . وتبرأ من العصاة والجاهلين .

اِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ

﴿ انتقاد شواهد تفسیر ابن جریر الطبري ﴾

تابع لما قبله

(٣٥) أقوى وأقفر من نعم وغديرها هوج الرياح بهابی الترب موآر

ورود في الجزء ٢٧ ص ١٠٤ وكتب بدل: بهابی الترب: بها في الترب

واليت من قصيدة النابغة التي أولها

عوجوا خيوا لثم دمنة الدار ماذا تحيون من نوى وأحجار

(٣٦) وتركب خيلا لاهوادة بينها ونمصى الرماح بالضياطرة الحجر

نمصى بالرح أى تضرب به ونطعن ويروى بدلها ونسقى

وجاء اليت شاهداً في موضعين (١) في الجزء ١٧ ص ١٨ وأنشد هنا صحيحاً (٢)

في الجزء ٢٠ ص ٦٤ وكتب هكذا

وتركت خيلا لاهوادة بينها تسقى الرماح بالدياضرة الحجر

واليت لحداش بن زهير العامري

(٣٧) فكانها برج رومى بشيده بان بجص وآجر وأحجار

ورد في موضعين (١) في الجزء ١٩ ص ١٨ وكتب هنا صحيحاً (٢) في الجزء ٢٩ ص ١٢٩ وكتب باسقاط كلمة بان حتى انكسر البيت
(٣٨) بجيش تفضل البلق في حجراته ترى الاكم فيه سجداً للحوافر
من أبيات لزيد الحنبل وجاء في موضعين (١) في الجزء الاول ص ٢٢٩
وكتب هكذا

تجمع فضل البلق في حجراته ترى اولاً اكم فيه سجداً للحوافر
(٢) في الجزء الاول ص ٢٧٧ وكتب هكذا
تجمع ظل البلق في حجراته ترى الاكم فيها سجداً للحوافر
ويظهر أن هناك رواية يجمع بدل بجيش ولكن المبرد روى في كامله الايات
الاربعة هكذا

بني عامر هل تعرفون اذا غدا أبو مكثف قد شد عقد الدواب
بجيش تفضل البلق في حجراته ترى الاكم فيه سجداً للحوافر
وجمع كمثل الليل مرتجس الوغي كثير تواليه سربع البوادر
أبت عادة للورد أن يكره الوغي وحاجة رعي في نمير وعامر
(٣٩) لم يحرموا حسن الغذاء وأمهم طفحت عليك بناتق مذكور
من كلمة للنافذة الذياني يهجو زرعة بن عمرو بن خويلد وجاء شاهداً في الجزء ٩
ص ٦٩ وكتب الشطر الثاني هكذا دحقت عليك تائق مذكور
(٤٠) كان وماهم أشطان بئر بعيد بين جالها حرور
من أبيات لمهل بن ربيعة وجاء شاهداً في الجزء السابع ص ١٧٠ وكتب
الشطر الثاني هكذا

بعيد بين جالها حرور * جال البئر وجولها جانبها
(٤١) غلام وماه الله بالحسن يافعا له سيمياء لاشق على البصر
ورد في موضعين (١) الجزء ٣ ص ٦٠ وكتب في الشطر الثاني سيمياء بدون ياء قبل
الالف وهذا تحريف به ينكسر البيت و(٢) في الجزء ٨ ص ١٣٠ وكتب هنا صحيحاً
الا انه ترك همز سيمياء

- (٤٢) قومو الذي الابواب طلاب حاجة عوان من الحاجات أو حاجة بكر
للفرز دق وورد في موضعين (١) في الاول ص ٢٦٠ (٢) في السابع ص ١٧٢ وهنا
استبدل طالب بطلاب وهو تحريف يختل معه قوام البيت
(٤٣) أتوني فلم أرض مايتوا وكانوا أتوني بأمر نكر
لأنكح أيهم منذرا وهل ينكح العبد حر حر
ورد في الخامس ص ١٠٥ وكتب هكذا واحيلا على عدد ٧
أتوني فلم أرض مايتوا وكانوا أتوني بشئ منكر
لاينكح اليهم منذر فهل ينكح العبد حر بحر
(٤٤) وأشهد من عوف حلولا كثيرة يعجون سب الزبرقان المزعج
ورد في الثاني ص ٢٦ وكتب بدل حلولا حولا وهو غلط والحلول جمع حال
مثل شاهد وشهود وكتب بدل سب بيت وهو خطأ أيضا والسب بالكسر الثوب الرقيق
هكذا رواه اللسان في مادة س ب ب ولكن رواه في مادة ح ج ج بيت ولكنه خطأ
(٤٥) ما كان يرضى رسول الله فعلهم والطيبان أبو بكر ولا عمر
لجرير وورد في موضعين (١) في الاول ص ٦٢ (٢) في الثاني ص ٣٠
ووضعت كلمة فعلهما بدل فعلهم وذلك خطأ لان قبله
وما لتقلب ان عدوا مساعيم نجم يضي ولا شمس ولا قر
(٤٦) جاء الشتاء اجثال القبر* وطلعت شمس عليها مغفر* وجعلت عين الحرور تسكر
هكذا روي الاساس وقال اجثال الطائر نقش ريشه من البرد ووردت في
الحادي عشر ص ٩ وكتبت هكذا
جاء الشتاء واحتال القبر* واستحفت الامعاء وكادت تطير* وجعلت غير الحرور تسكر
(٤٧) ففكره ففقرن وامترست له عوجاء هادية وهاد جرشع
من مرثية أبي ذؤيب ورد في الثاني عشر ص ٤١ وكتب هكذا
ففكره ففقرن وامترست به هوجاء هادية وهاد جرشع
(٤٨) تأتي بدرتها اذا ما استصعبت الا الحميم فانه يتبضع
ورد في السابع ص ١٤٠ وكتب الشطر الاول هكذا

نأني بدريها اذا ما استصعبت

(٤٩) وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوانج تبع
ورد في ثلاثة مواضع (١) في الاول ص ٣٨٣ وكتب صحيحا (٢) في الحادي
عشر ص ٥٨ وهنا استبدلت إذ بأو في الشطر الثاني (٣) في الثاني والعشرين ص ٤١
وكتب صحيحا

(٥٠) وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن تنصدما
ورد في الثلاثين ص ٧ وكتب أول البيت عشنا بدل وكنا فانكسر البيت وأحال
المصحح هنا على نمرة ٧

(٥١) وما وجد أطار ثلاث روائم وأين مجراً من حوار ومصرعا
ورد في التاسع والعشرين ص ١١٨ وكتب هكذا

فما وجد أطار ثلاث روائم وأين مجرى من حوار ومصرعا
(٥٢) على حين عاتبت المشيب على الصبا وقلت أما أصح والشيب وازع
ورد في ثلاثة مواضع (١) في السابع ص ٨٥ (٢) في التاسع عشر ص ٨٠ (٣)
في الثلاثين ص ٤٩ وفيهما كتب يصح بدل أصح

(٥٣) ومنا الذي اختير الرجال سباحة وجوداً اذا هب الرياح الزعازع
ورد في التاسع ص ٤٨ وكتب بدل اختير اختار وهو خطأ يضيع معه الشاهد

(٥٤) ولها بالمطرون اذا أكل النمل الذي جمعا
خلفة حتى اذا ارتفعت سكنت من جلق يبعاً

ليزيد بن معاوية وردا في التاسع عشر ص ١٩ وكتب آخر الثاني منهما تبعاً
وصوابه يبعاً والمطرون قرية بالشام والخلفة ثمر يخرج بعد النمل الكثير

(٥٥) حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للفدر خائنة مغل الاصبغ
ورد في السادس ص ٩ وكتب بدل مغل مغل وذلك خطأ

(٥٦) بذات لوث عفراة اذا عثرت فالتعس أدنى لها من أن أقول لماً
للاعش ورد في السابع ص ٦٨ وكتب الشطر الاول هكذا

* بذت لوث عفرا اذا عثرت *

- (٥٧) وإن شقائي عبيرة مهراقة فهل عند رمم دارس من معول
من معلقة امرئ القيس ورد في الثالث ص ١١٨ وكتب هكذا
- وإن شقائي عبيرة مهراقة فهل عند رمم دارس من معول
(٥٨) وكان الحمر العتيق من الإسه فخط بمزوجة بماء زلال
باكرتها الاعراب في سنة التوم فتجري خلال شوك السيل
للأعشى وجاء الأول في الثالث ص ٩ وكتب فيه الأسفط بدل الأسفط. وجاء
الثاني في الثالث ص ٥ وكتب هكذا
- باكرتها الاعراب في سنة التوم فيجري خلال ٧ سؤل السيل
(٥٩) من كل نضاجة الذفرى اذا عرقت عرضتها طامس الاعلام مجهول
من : بانت سعاد: ورد في أربعة مواضع (١) في الثاني ص ٢٢٧ وكتب صحيحاً
(٢) في الخامس ص ٧٤ وكتب الشطر الأول هكذا
- * من أجل نضاجة الذفرى اذا عرقت * وذكر في الكتاب عراسقها بدل عرضتها
وهي تحل قوام البيت وفسرها الطبري بما بين الجفين ولم اعثر على الكلمة ولا على
مناها وهي محرفة (٣) في الحادي عشر ص ١٠٠ وكتب صحيحاً (٤) في السابع
والعشرين ص ٥٦ وكتب هكذا
- من كل نضاجة الذفرى اذا عرقت عرضتها طامس الاعلام مجهول
(٦٠) في مهممه قلقت به هاماتها قلقي الفؤس اذا أردن نصولا
ورد في الخامس عشر ص ١٧٢ وكتب فيه قلقت وقلقي بالفاء وصوابه بالقاف
- (٦١) قَاب مضلوه بعين حلية وغودر بالجولان حزم ونائل
ورد في الثالث ص ١٩٩ وكتب هكذا
- قَاب مضلوه بعين حلية وغودر بالخولان حزم ونائل
(٦٢) وقد خفت حق ما تزيد مخافتى على وعلى في ذي المطارة عاقل
ورد في موضعين (١) في الثاني ص ٤٢ (٢) في الثلاثين ص ١٢٥ ووضع في
المرتبتين كلمة غافل آخر البيت وصوابه عاقل ومضاه الممتنع في صعوده
- (٦٣) طرقاتاً فلكها هي أقربهما قلصا لواقح كالقسي وحولا

ورد في السادس ص ٩٤ وكتب طرفا وافريهما بفئين وصوابهما بفاين
 (٦٤) اغزوا بني نعل والغزو جدم عدو الروابي ولا تبكوا المن قلا
 ورد في التاسع والعشرين ص ٥٧ وكتب فيه الروايا بدل الروابي والروابي الاشراف
 (٦٥) رب ابن عم لسليمي مشعمل اروع في السفر وفي المن غزل
 طباح ساعات الكرى زاد الكسل

ورد في الثالث عشر ص ٢٤٨ وكتب آخر الايات دار الكسل بدل زاد الكسل
 (٦٦) اعطى فلم يخل ولم يخل كؤوم الذرى من خول الخوول
 ورد في السابع ص ١٦٩ وكتب البيت الثاني هكذا . كرام الذرى خؤل الخوول .
 وورد ثانياً في الثالث والعشرين ص ١١٦ وكتب صحيحاً

(٦٧) خرقوا جيب فتاتهم لم يبالوا سوءة الرجل
 ورد في الثامن ص ٩٩ وكتب هكذا

خرقوا جيب قباهم لم يبالوا سوءة الرحلة
 (٦٨) ان تقوى ربنا خير نفل وبأذن الله ريث وعجل
 ورد في التاسع ص ١٠٨ وكتب هكذا

ان يفون بنا خير نفل وبأذن الله ربي وعجل
 (٦٩) وان الذي يسمى بحر شزوجي كساع الى اسد الثرى يستيلها
 ورد في الاول ص ٣٤٩ وكتب في آخر البيت يستيلها بدل يستيلها

(٧٠) ابد الذي بالنف نف كويكب رهينة رمس ذي تراب وجندل
 ورد في السادس عشر ص ١٥٣ وكتب فيه نف كرا كب بدل نف كويكب

(٧١) ماروضة من رياض الحزن معشة خضراء جاد عليها مسبل هطل
 يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعيم الثبت مكتمل
 يوما باطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها اذدنا الاصل

البيت الاول ورد في الثالث ص ٤٤ وكتب صحيحاً . والثلاثة في الحادى والعشرين
 ص ١٧ وكتب في البيت الاول من رياض الحسن بدل من رياض الحزن . وكتب
 الشطر الثاني من البيت الثاني هكذا * مورد بصميم الثبت مكتمل * وذلك غلطه

(٧٢) اذا لسته النحل لم يرج لسمها وحالفها في بيت نوب عواسل
ورد في اربعة مواضع (١) في الخامس ص ١٥٦ وكتب الشطر الثاني هكذا .
وخالفها في بيت نوب عوامل* (٢) في اعادى عشر ص ٥٦ وكذلك كتب (٣) في
الخامس والعشرين ص ٧٦ وكتب هكذا

اذا لسته الدبر لم يرج لسمها وخالفها في بيت نوب عوامل
لما صحت الكلمة جهل معناها واحيل على عدد ٧ (٤) في التاسع والعشرين ص
٥٢ وكتب كما الاول والثاني . قال في اللسان النوب النحل جمع نائب لانها ترى
وتتوب الى مكانها قال الاصمعي هو من التوبة التي تتوب الناس لوقت معروف قال
ابو عبيدة سميت نوبا لانها تضرب الى السواد (لها بقية)

رثاء محمود سامي باشا البارودي

اجتمع جمهور من الشعراء والادباء عند قبر أمير الشعر والادب في اليوم الموعود
فرتوه وأبنوه بالشعر والخطب واتنا ننشر مرثية حافظ أفندي ابراهيم ، لانها
واسطة ذلك القعد النظيم ، وهي

ردوا على ياني بعد محمود	اني عيت وأعي الشعر بمحمودي
ما لبلاغة غضبي لا تطاوعني	وما لحل القوافي غير ممدودي
ظنت سكوتي صفحا عن مودته	فاسلمتني الى هم وتسويد
ولو درت ان هذا الخطب أخمني	لا طلقت من لساني كل معقود
ليك يامؤنس الموتى وموحشنا	يا فارس الشعر والهجاء والوجود
ملك القلوب وأنت المستقل به	أبقى على الدهر من ملك ابن داود
لقد نزحت عن الدنيا كما نزحت	عنها لياليك من يرض ومن سود
أغمضت عينيك عنها وازدرت بها	قبل الممات ولم تحفل بوجود
ليك يا شاعرا ضن الزمان به	على النوى والقوافي والانشيد
تجري السلاسة في أمتها منطقة	تحت الفصاحة جري الماء في العود
في كل بيت له ماء يرف به	يفار من ذكره ماء الفناصيد

لو حنطوك بشعر أنت قائله
 حليته بعد ان هذبت بسنا
 كفالك زاداً وزيناً ان تسير الى
 ليك ياخير من هز اليراع ومن
 ان هدر كنك منكوباً فقد رفعت
 ان المناصب في عزل وتولية
 اكرم بهازلة في العمر واحدة
 سلوا الحجي هل قضت اربابه وطرا
 كنت الوزير وكنت المستعان به
 كم وقفة لك والابطال طائفة
 تقول للنفس ان جاشت اليك بها
 نسخت يوم كريد كل ما تقولا
 نظمت أعداك في سلك الفناء به
 كأنهم كلام والموت قافية
 اودى المعري بقي الشعر مؤمنه
 وأوحش الشرق من فضل ومن أدب
 وأصبح الشعر والاسماع تنبذه
 لوى به الضعف واسترخت أعنته
 وأنكرت نسيمات الشوق مرابعه
 لو أنصفوا أودعوه جوف لؤلؤة
 وكفّنوه بدرج من صحيفته
 وانزلوه بأفق من مطالعه
 وناشدوا الشمس ان تبي محاسنه
 أقول لأملاً القادي بموكبه
 غصوا الميرون فان الروح يصحبكم
 غنيت عن نفحات المسك والعود
 عقد بمدح رسول الله منصور
 يوم الحساب وذاك العقد في الحيد
 هز الحسام ومن لبي ومن نودي
 لك الفضيلة وكنا غير مهود
 غير المواهب في ذكر وتخليد
 ان صح انك فيها غير محمود
 دون المقادير أوفازت بمقصود
 وكان همك هم القادة الصيد
 والحرب تضرب صنيدياً بصنديد
 هذا بحالك سودي فيه أو يدي
 في يوم ذي قار عن هاني بن مسعود
 على روي ولكن غير معهود
 يرمي بها عربي غير رعديد
 فكاد صرح المعالي بعده يودي
 واقفر الروض من شدو وتفريد
 كأنه دسم في جوف مسمود
 فراح يعثر في حشو وتعقيد
 تثيرها خطرات الحرّ القيد
 من كنز حكيمته لاجوف اخدود
 أو واضح من قيص الصبح مقدود
 فوق الكواكب لانت الحلاميد
 للشرق والغرب والامصار واليند
 والناس ما بين مكبود ومفؤود
 مع الملائك تكرماً لمحمود

يا ويح للقبر قد أخفى سنا قر مقسم الوجهه محسود التجاليد
يا ويح حل فيه ذو قريحته لها بنجر الماني ألف مولود
فرائد خرد او شاء أودعها محصي الجديد سجلات المواليد
كانها وهي بالالفاظ كاسية وحسنها بين مشهود ومحسود
لالى خلف بلور قد انسقت في يت دهقان تستوي نهي الغيد
محمود اني لأستحيك في كلي حياً وميتاً وان جودت تقصيدي
فاعذر قريضي واعذر فيك قائله كلاهما بين مضموف ومحدود

باب الأحكام والآراء

الفتنة في نجد وحقيقة الحال

كتبنا في آخر الجزء التاسع عشر نبذة في إمارة نجد وانتصار ابن سعود على ابن الرشيد وكذبنا بعض الجرائد المصرية التي تتجر بالأمّة والملة في زعمها ان ابن سعود خارج على الدولة العلية وقلنا إنه أطوع لها وأشد خضوعاً من ابن الرشيد الذي نفر منها أهل نجد بظلامه. وقد جاءتنا بعد ذلك رسائل متعددة من بلاد العرب فيها بيان الطرق التي أرسلت منها الدنانير الى بعض أصحاب الجرائد المصرية التي تسمى إسلامية لتشنع على ابن سعود وتكذب عن لسانه الرسائل الى رؤساء الجند العثماني ينكر فيها ولاية السلطان وخلافته بزعمهم. وجاءتنا أيضاً صور البرقيات التي أرسلها الأمير ابن سعود والأمير قاسم ابن ثاني قائم مقام قطر والولي الحليم للدولة العلية ومؤيد نفوذها في البلاد العربية الى السلطان وهي الحجة القاطعة على أن هذه الجرائد كانت ساعية بتفريق كلمة المسلمين وغش الدولة بإغرائها بنجرب ابن سعود وعدم قبول طاعته وان انضم اليه أكثر القبائل. وقد انزعج للدولة العلية من هذه الرسائل التي يظهر انها وصلت بعد ما حالت العمال المرتشون دون وصولها زمناً ان ابن سعود صادق في ولائه وأكّد ذلك عندها حالة (الحسا) فانها على عهد ابن الرشيد كانت تتناوش المخاوف ويخطف الناس من حولها حتى يمسر الوصول اليها وكان الحجاج الذين يخرجون منها يتسلحون ويخرجون بقوة ثم لا تتمهم قوتهم

من المشقة العظيمة والخسائر الكثيرة ، ولما استولى ابن سعود وغلب أمره صار الناس يخرجون منها مثنى ومثنى ولا يصيبهم أذى وحكومة البصرة وبغداد عالة بذلك . ولذلك كفت الدولة العلية عن إخماد ابن الرشيد وأمرت والي البصرة بأن يطلب الاجتماع بعبد الرحمن الفيصل بالمحل الذي يريد لا جل المذاكرة والمشاورة في الأمر وكانت الدولة قد قطعت مرتب عبد الرحمن الشهري فأعادته إليه

هذا ما كتب إلينا (بتاريخ ٢١ شوال الماضي) ثم علمنا من مكاتبات من بغداد وردت على بعض العربان التجار في مصر بأن الولة جهزت أربعة توابع (التابور بالتاء عربي وبالطاء تحريف) وقد وجل لذلك انصار ابن الرشيد وارتاب انصار ابن سعود الذي روى أنه زحف بخيله ورجله على حائل عاصمة ابن الرشيد . وسبب الربب ان الدولة العلية كانت تريد ان تجعل القصيم معسكراً لاجل حفظ الأمن في بلاد نجد برضى ابن سعود . أخذت في بؤادر هذا الأمر ثم سكنت عنه ولعلها عادت إليه الآن ولا بد ان يأتينا الخبر اليقين بعد حين

واتنا نبداً الآن بنشر رسالة وردت علينا في الموضوع ثم نذكر بعدها الرسائل البرقية التي أشرنا إليها ونصح الدولة العلية أن ترفق بعملها في بلاد العرب وتحذر كل ما يريب ويشكك الناس بحسن قصدنا . قال المكاتيب الخبير

﴿ حقيقة الحال في الحادثة النجدية ﴾

لما كانت مجلتكم الفراء هي الوحيدة في خدمة الجامعة الاسلامية المرشدة لجمع الكلمة مع بيان أقرب الطرق وأقومها مسلكاً واتجهها مسمى حتى قدرها الرأي العمومي الاسلامي في سائر أقطار المعمورة حتى قدرها وأحلوها من القبول مجلها فصار صداها يخترق حجب المسامع وهي نعمة جليلة توفقت لها لحسن قصدها دون من سواها آتيت أتلو على سمعكم ما عن لنا بشأن الحادثة النجدية ذات البال في الجامعة الاسلامية ان الفتنة التي حدثت في هذه السنين الاخيرة في القطعة النجدية قد نظر إليها الرأي العام من عقلاء المسلمين وحكامهم نظر الاهتمام كأنها الداء العضال العادي الذي يهدد صحة الاعضاء الرئيسة من الجسد الاسلامي حيث انهم قد أدركوا بشاغب أفهامهم المنورة بنور الايمان انها اذا لم تتداركها حكمة جلالة خليفة المسلمين بالحل السلمي

السديد لا تنتمي الا بمداخلة يد الاغيار المشتت لجوعنا أولا وآخرا وهذا ما عني به من قولنا كأنها الداء العضال المادي الخ

وحقيقة اذا نظرنا نظرهم هذا أخذت بنا الدهشة كل مأخذ واستولت علينا الحيرة من كل جانب حتى اذا ما ثبتنا بعد الدهشة واهتدينا غب الحيرة ورجعنا لثلاثي الامر وليس لنا من الامر شيء سوى استنفات واستعطاف أصحاب أهل الحل والعقد من أمراء الدولة العلية الذين هم لا يهمهم سوى الإصلاح لثلاثي هذا الامر وإخماد ثورة هذه الحادثة واطفاء نار هاته الفتنة بالإصلاح والتوفيق السديد لا يبرق السيوف ورعد المدافع وتحشيد العساكر والضغط الموجب للانفجار وتخريب الدار وتدمير الديار وتداخل يد الاغيار ولو بدون أهلية واستحقاق كما نعلم وتعلمون

نعم قد ولي عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود بلاد أبيه وحده بقاعدة الرياسة المعروفة بالمشيخة في البلاد العربية متغلباً على الأمير عبيد العزيز بن رشيد وكما تدن تدان «وتلك الايام نداؤها بين الناس» لكن نظراً لما جبل عليه الأمير ابن رشيد من اباية الفبن ولما هو متصف به من العناد ولما له من نفوذ الكلمة وقبول القول لدى أمراء الدولة العلية اغتراراً بمبارون منه من بهارج القول وطمعاً بما ينالونه من ثمين الهدايا استمالهم لمساعدته فساعدوه غير ناظرين لما يؤل اليه أمر مساعدته من ومن ومن واذا لم يفكروا الا في ان في نفس مساعدته وتقويته لإذهاب قسم عظيم من ملك الدولة العلية العثمانية فضلاً عما يكلف الدولة العلية من المشاق والخسائر وإضفاف النفوذ وتلف مئات ألوف من المسلمين والتدخل الاجنبي الى غير ذلك من أنواع المضرات التي لا تفرها لها غير التفريق والتشتيت لوجب ان يكون ذلك حاجزاً قوياً بين أرباب الحل والعقد وبين الميل لمساعدة أحد الفريقين على الآخر فضلاً عن المساعدة فعلاً بل لوجب جمع فكرهم على اتخاذ الاسباب والوسائل لإصلاح ذات بين الفريقين وجمع كلمتهم تحت الراية المقدسة العثمانية على ان الامل الوطيد والحق الحقيق هو ان عبد العزيز بن سعود هو أطوع من غيره لارادة جلالة متبوعه مع انه لم ينظر اليه بعين الرضا كغيره ولو نظر اليه بعين الرضى ورأى المساواة بينه وبين غيره لرأت الدولة العلية من خدماته الصادقة النافعة ما يجعله أقرب قريب لديها ولا نظن الا ان الذي أغرض عنه هذه العين الجليسة هو

مداخل الاوهام من خرافات الموهين بان الخطر على الحرمين الشريفين واطرافهما من عبد العزيز بن سعود محقق لانه وهابي والحال ان التوهاب الذي يرمون به ابن سعود وعشائره أهل نجد هو اعتقاد السلف الصحيح في توحيد الذات الإلهية وتقديس صفات الربوبية وهذا شيء لادخل له بالملك والسياسة لكن المقاصد تغلب الحقائق واما محافظة ابن سعود على الحرمين وطريقهما وقصادهما وفود الحجاج وكسر شوكة الذين كانوا يعرضونهم من ثوار العشائر البادية فهذا محسوس ومشاهد باليان حتى رأى الحجاج منذ عامين في طريقهم كل تسهيل موفرين ومقتضدين لما كانوا يعطون من الرسوم المقررة لرؤساء العشائر عن يد وهم صاغرون فكففت ايدي البادية ورأى الحجاج من العزة والاحترام ما لم يروه قبل وهذه قضية مسلمة يقرو ويعترف بها حتى الخصم نفسه فذسأل الله جل جلاله ان ينصر دولتنا العلية ورجالها الصادقين ويلهمهم السلوك في طريق الرشاد فيصلحوا ذات بين الفريقين وتحفظ الدولة العلية لنفسها حقوق سيادتها المقدسة في الجانبين كذي قبل واذا اختلف أحد منهم عن ارادتها وخالف رضاها العالي اذ ذاك فلها ان تؤنب وتعنف وتؤدب بما شاءت وكيفما شئت وهي ذات السيادة المطلقة في جميع ممالكها المحروسة

لما حدثت الحوادث في بلاد نجد واتصر ابن سعود على ابن الرشيد وخيف من سوء العاقبة انبري لتلافيا ارباب الحمية الدينية وهو الشهم الفيور ذو الصداقة والعبودية والاخلاص لحضرة متبوعه مابجأ الخلافة الكبرى الاسلامية قائم مقام قضاة قطر ورئيس العشائر وشيخ القبائل فيه (الشيخ جاسم الثاني) الذي ما فتى عند حدوث كل حادثة في القطعة العربية يعرض ثمين النصائح لجلالة متبوعه الاعظم عملا بقوله صلى الله عليه وسلم (الدين النصيحة) فانه حفظه الله لما نظر لهذه الحادثة نظر المندهم المتخوف من وخامة عاقبتها اهتم بها اهتمام الحكيم المتدين العاقل فقدم النصيحة الى عبد العزيز ابن سعود بان لا يتخذ له بدأ مع الاغيار مهما آل اليه الامر وان لا يخرج عن رسم الطاعة لجلالة المتبوع الاعظم مابجأ الخلافة العظمى الاسلامية وأراه وخامة العاقبة اذا لم يسلك طريق السمع والطاعة والخضوع لارادة سلطان الحرمين الشريفين وبين له من التبيان وأوضح له من الدلائل بتنوع القول وتكرار النصائح ما أقنعه بأن الدولة العلية

تتلقى خضوعه لها بالقبول وقد رأيت ثمرتها بقبوله لها وامتهاله اياها فأخذ عبد العزيز بن سعود يسلك طريق الاسترحام من جلالة متبوعه الاعظم بكامل خضوع وتذلل واطاعة واستعطاف ودخالة بعدم الأمر بسوق العسكر عليه وان لا يطلق عليه ولا على عشائره عنوان العصيان لانه متعقد بكل المطالب سامع ومطيع لجميع الاوامر واليك ما وصلنا من نصوص تلغرافاته التي قدمها الى الاعتبار الملوكانية بواسطة وبلا واسطة كما تلقيناها من مصدر موثوق به (انظروا المنصوص تلغرافات عبد العزيز) وهي واصلة طيا

واما حضرة الفاضل الشيخ جاسم الثاني فانه ما اكتفى ببث النصيحة لعبد العزيز حتى اشفعها كذلك بمريضة خطية لحضرة والي ولاية البصرة واخرى تلغرافية الى الاعتبار السلطانية بواسطة الوالي وبواسطة مجاس الوكلاء الخاص واسطة الكاتب الاول في المابين واسطة سماحة أبي الهدى افندي وهذا نصهما كما تلقيناها من مصدر موثوق (انظروا عريضي الشيخ جاسم الثاني)

فأملنا ورجانا من حضرة تكم نشر جميع التلغرافات والعرائض مع ما يتعلق بخصوص حضرة الشيخ جاسم الثاني ونصائح في مجلتكم الفراء مع ما يبدو لفكركم السامي من المرح والتعليق وانني اكرر الدعاء لفاطر الارض والسماء ان يوفق امراء دولتنا العلية لحل هذه المشكلة حلا سلمياً لا يدخل فيه لعامل أجنبي وفي الختام ارجو قبولكم فائق احترامي

التلغراف الأول من ابن سعود

الى اعتبار سيدي وولي نعمتي سلطان البرين وخاقان البحرين خليفة رسول الله السلطان المعظم السلطان عبد الحميد خان الثاني أدام الله عرش سلطته الى آخر الدوران آمين

أقدم عبودي ويطاعتي ودخالي الى الاعتبار السامية المقدسة متمثلاً كل ارادة وفirman لست بماص ولا خارج عن دائرة الامر بل أنا العبد الصادق في خدمة دولتي وجلالة متبوعي الاعظم أريد الاصلاح ما استطعت قد ابتلاني سبحانه وتعالى بشركة يحسدون ويفسدون ولا يصلحون قاموا يشوشون أفكار دولة جلالة ولي النعم ويدخلون على فكره الشريف الاوهام الواهية يريدون تفريق الكلمة الاسلامية وتقسيم الجامعة المقدسة الالهية والجاني الى الاحتمال بالدول الأجنبيات فحاشا ثم حاشا لعبد جلالتكم عثماني صرف

أفدي السدة العثمانية بعزير روجي أجمع كلمة بادية الخطة النجدية بما آتاني الله ومنحتني
دواني العلية من النفوذ تحت راية مولانا أمير المؤمنين سلطان المسلمين السلطان عبد
الحمد نصره الله لكن هؤلاء الذين يريدون تفريق الجامعة العثمانية لا يألون جهداً في إلقاء
الدسائس حتى تمكنوا من جعل الأمر في غير قلبه واستجلبولي انحراف الرضاء العالي
فساقوا علي العساكر الشاهانية أولاً واسترحمت وقدمت طاعتي فلم أوفق لازالة الشبهة
التي أدخلها المفسدون والآن بلغني ان الحكومة السنية ساقطت علي عساكر غير الأولى
فانا أضرع الى مرحلة وشفقة وحنان وحماية وديانة مولانا أمير المؤمنين ان لا يؤاخذني
بدسياسة ألقاها المفسدون ولا شبهة احتج بها الحاسدون المزورون فينظر الي حفظه الله بعين
العدالة والشفقة والمرحمة ويحقن دماء ألوف من المسلمين الطائعين الداعين بدوام عرش
جلالته وعلى كل حال فليس لي ارادة أو قول أو فعل يخالف الرضاء العالي وتظهر
الحقيقة بالاختبار كما أنني أسترحم من حكمة جلالة مولانا ومتبوعنا الاعظم وفطنته السامية
أن لا يروج مقاصد ارباب الفساد أعداء الدين والدولة الذين يريدون اشغال دولتنا
العلية وتشيت عساكرها المظفرة يميناً وشمالاً واضعاف مالياتها فان لهم بذلك مقاصد لا تخفى
على سمو حكمة جلالة مولانا أمير المؤمنين وانا عبد صادق خادم مطيع ملتجئ لمرحمة
وشفقة جلالتهكم . ١ رمضان سنة ١٣٢٢

عبد الدولة العثمانية عبدالعزيز بن عبد الرحمن بن سعود

﴿ التغراف الثاني ﴾

الى اعباب سيدي الخ

ان مرحلة جلالتهكم وشفقة عظمتكم وعفو سلطنتكم اجل واعظم من ان ينعوا
(كذا) عن عبد صادق في عبوديته لسدة اعبابكم مثلي قدمت جملة دخالات على اعباب
خلافتهكم السامية الاسلامية مملنا اذعاني واقيايدي وطاعتي لارضاء ولي نعمتي متبوعي
الاعظم ومع هذا فلم تصدر ارادة لمرحمة والشفقة بايقاف الحركة العسكرية الموجهة ضدي
مولاي أمير المؤمنين عبد جلالتهكم هذا يعلم علم اليقين ما يكلف سوق العساكر
الشاهانية الى قطعة نجد من المشاق والاضرار على الملة الاسلامية والجامعة العثمانية ويعلم
ان المسبب لهذه المشاق والاضرار دسياسة من اعداء السلطنة السنية يريدون تفريق الجامعة

المقدسة العثمانية ليدركوا مطالبهم واما عبد جلالتيكم هذا فسامع مطيع مسترحم عفو جلالتيكم وان لم اذنب دخيل على شفقتكم ومراحكم في عفوي (كذا) ان كان صدر مني ذنب وحقن دماء ألوف من المسلمين من عبيدكم الطائمين الداعين بدوام عرش السلطنة الحميدي وحاشا حكمة جلالتيكم ان تصفوا بعد ذلك لخراف دسائس ارباب المقاصد المفسدين هذا عرضي واسترحامي والفرمان العلي الشأن لحضرة جلالة امير المؤمنين

٥ رمضان سنة ١٣٢٢ عبد الدولة العثمانية عبدالعزيز بن عبد الرحمن

ابن سعود

أرسل من كل واحد من التغرافين نسخة باسم السلطان بلا واسطة ونسخة بواسطة باشكاتب المابين ونسخة بواسطة محاسن الوكلاء ونسخة بواسطة أبي الهدى أفندي . وكذلك فعل الشيخ جاسم الثاني في تغرافه وزاد نسخة بواسطة والي البصرة وهو

﴿ تغراف الشيخ جاسم الثاني ﴾

الى الاعتاب المقدسة والركاب المحروسة السلطانية ايد الله سرير سلطنته بالعز والنصر آمين ان عبودي وصدقي واخلاصي وصادقي وغيرتي وحميتي لا يدعوني ان اترك النصيح لديني ودولتي وسلطاني سواء صادف قبولا ام لا فقد سبق من هذا العبد الصادق العرض بعدم تنسيب سوق العساكر الشاهانية على ابن سعود وان الامر دون ذلك حيث ان المشهور والمعروف من سياسة وحكمة مولانا أمير المؤمنين خليفة رسول رب العالمين نصره الله وأيده المرحمة والشفقة لعموم التبعية السلطانية وان ليس في طبعه الشريف اتباع آراء ارباب المقاصد والاغراض الذين لا يقدر على عواقب الامور حق قدرها والذين لا يهمهم الا منافهم الشخصية على انه ليس هناك سبب يستوجب سوق العساكر المنصورة على ابن سعود سوى العداوة السابقة الثابتة بحكم الطبيعة بينه وبين الامير ابن رشيد وان الامير ابن رشيد وجد من يساعده على مقاصده من ارباب الاطماع يبذل التقدين حبا للانتقام وقد أعرضت بلسان الصدق والصادقة واسترحمت عدم سوق العساكر الشاهانية على ابن سعود وان كل مطلب ومقصد يحصل بدون ان تطلقوا على نجد وأهلها اسم العصيان الذي يكلف الحكومة السنية من المشاق والمصاريف والخسائر ماهي غنيه عنها بدون فائدة على ان ابن سعود ليس بعاص ولا خارج عن رسم الطاعة

نعم ان الذين ادخلوا في افكار مولانا امير المؤمنين سوء قصد ابن سعود وان منه الخطر على نجد وما يليها هم أعداء الدولة وائلة الذين يريدون تفريق الكلمة حيث ان أمثال هؤلاء لا يستفيدون نقداً وجاهاً وموقماً الا باحداث مثل هذه المشاكل والقلقل كما فعلوا في غير هذه القضية وكما فعلوا في مبادي مسألة الكويت وقد اعرضت افكاره عند حدوث كل حادثة والآن قد بلغني ان الدولة العلية صانها رب البرية قد عزمت على اظهار عساكر مرة ثانية لنجد وحيث ان هذا القصد مبني على اوهام لوجود لها اتيت أعرض ما يجب عليّ ذمة ودينياً من أداء النصيحة بأن سوق العساكر على نجد واهلها ليس فيه صلاح ولا منه فائدة واجل الفائدة واعظم الفوز بجمع الكلمة الاسلامية العثمانية واهل نجد بالتحقيق ما خرجوا عن هذه الدائرة ولا صدر منهم سوى احتلالهم وطنهم بحكم المشيخة والرياسة حسب القواعد العربية وحيث ان الذي كان مترئساً فيها ابن رشيد قام هو ومن هو مساعد له وعلى شاكلته يدخلون الاوهام على الحكومة السنية وليس عندهم الاحب الانتقام بدون مصلحة ولا فائدة والاولى والاصح ان يندرابن سعود وكبار نجد وعلماؤه بالندب ويبلغوا البلاغات المقتضية سياسة ويوعظوا بالحكمة والموعظة الحسنة فان ادعوا واطاعوا لارادة سلطانهم وخليفتهم فعم ذلك وهو المقصود وان أبوا وعصوا فذلك آخر علاج على أنه قد بلغني أن ابن سعود قد استرحم مراراً بان الحكومة تشكل لجنة لتحقيق احواله واحوال ابن رشيد وكف الطرفين وذلك أولى وأصح وأحقن لدماء المسلمين وأفود للدولة العلية وعلى كل حال استرحم باسم العدالة والصداقة والحمية ان يصرف النظر عن سوق العساكر وتنتظر الدولة العلية في الامر بجعل مشايخ نجد مأمورين رسميين لافرق بين ابن سعود وبين ابن رشيد كما اني استرحم ان لا تجعل نصيحتي هذه في زوايا الاهمال والامر والفرمان لحضرة من له الامر

٨ رمضان سنة ١٣٢٢ العبد الصادق قائم مقام قضاء قطر ورئيس عشائر هاو قبائلها

جاسم الثاني

✽ كتابه لوالي البصرة ✽

(لجانب والي ولايت البصرة الجليلة صاحب الدولة مختص باشا الافخم)

يقضي على كل عبد صادق صاحب وجدان وغيره وحية لدينه ودولته وسلطانه عند

حدوث كل مشكلة سياسية في داخل الممالك المحروسة ان يعرض فكره ونصيحته لاولياء
 الامور عساه أن يصادف قبولا وبوفق لأداء واجب الخدمة بالنصيحة فانه لا يخفى على
 دولتكم حدوث القلاقل والمشاكل في قطعة نجد بين الامير بن رشيد والمترس في وطن
 آباءه وأجداده عبد العزيز بن سعود حتى تحول نظر أرباب الحل والعقد من أمراء
 ومأموري الدولة لعلية الى هذه المسألة فابست غير قالها الحقيقي فعملوها محوجة للتدخل
 العسكري وبقينا أن ذلك غير موافق للرضاء العالي فان رضاء امير المؤمنين حفظه الله ونصره
 في حل كل مشكلة حلا لا يخالطه وجود غائلة ولا يابجئ الدولة لتكبد المشاق والخسائر
 وإهراق دماء ألوف من المسلمين فان كل حادث لا يحوج حقيقة الى التدخل العسكري اذا
 صارت فيه المداخلة بادى بدء كانت نتائج غير محمودة وموجب للتلف وتكبد الخسائر
 والمشاق وإهراق دماء المسلمين وفي النهاية لا تأتي بفائدة ولا تنتج نتيجة حسنة وما ذلك
 الا الخطأ السياسي يتبع ونحن جماعة المسلمين لنا شريعة إلهية تنهانا عن تفريق الكلمة
 وتأمرنا بتوحيدها والطاعة الكاملة بجميع معناها لخليفة رسوله أمير المؤمنين بنص
 «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم» نعم ان من دأبه بذر حب الشقاق والتفرقة بين
 جماعات المسلمين يحدون لهم عند حدوث كل حادث باباً واسعاً من الاوهام يدخلون فيه
 على متبوعهم الاعظم ليحجروا الامور على غير وفق الرضاء العالي لينالوا بذلك مركزاً وثروة
 وليس قصدي من هذه بيان مساوي بعض الامراء والمأمورين بل قصدي أداء ما يجب
 عليّ ذمة وحمية وديانة من أداء النصيحة ببيان لزوم حل هذه المسألة حلا يوافق للمصلحة
 بدون احداث مشاكل أصعب ماهي فيه الآن وذلك امتثالاً للشريعة الالهية داع الى
 الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة» فيلزم على من هو مثل دولتكم حائزاً هذا المقام
 متصفاً بالصفات الحميدة ان يجعل كل اجتهاده في حل هذه المسألة حلا يوافق للمصلحة
 الحاضرة وذلك بطريق الاصلاح بين الفئتين المتشاجرتين بدون مساعدة أحد الطرفين
 على الآخر حتى لا يوجب له المروق عن الطاعة حقيقة وفملاً وذلك بأن يكف الفريقان
 كفاً قطعياً عن احداث القلاقل والزمام كل منهما الراحة والسكون وان كان ثمة اشتباه من
 ابن سعود وأمره أعطي التعليمات اللازمة وانذر الانذارات المقتضية فان أذعنوا وأطاعوا
 فلا تبغوا عليهم سبيلاً وإن عتوا وعصوا فسوق العساكر آخر علاج تستعمله الدولة

لاخضاع الرعايا على ان ابن سعود طلب هذا الامر مراراً وبمحجة النوب اذ دخل أرباب
الاغراض على الحكومة السنية الاوهام ومنعوها من استعمال الرقيق الذي هو أوفق
للمصلحة ومع هذا فاني مقدم للاعتاب الملوكانية وللمجلس الوكلاء الخاص تلفراً هذه
صورته أقدمها لفاً لتعرض ايضاً بواسطة دولتكم عساه ان يصادف قبولاً فافوز بخدمة
لديني ودولتي ومتبوعي الاعظم خليفة رسول رب العالمين نصره الله وأيده وعلى كل حال
الامر والفرمان لحضرة من له الامر

٨ رمضان سنة ١٣٢٢

(العبد الصادق الخاص قائم مقام قضاء قطر ورئيس عشائرها وقبائلها جاسم الثاني)

(المأز) نشرنا هذه الرسائل بنصوصها وقد علم ان رأينا حصر المصلحة في إقرار
ابن سعود على اماره نجد الموروثة له وان لاتقبل الدولة العلية في بلاد العرب ما يززع
قتمهم بها واذا وثق بها اهل نجد سهل عليها حل عقدة اليمن كذا عقدة الكويت والله الموفق
(فتنة اليمن)

شاع من مدة أن حميد الدين مدعي الإمامة في اليمن قد توفي وكان يظن أنه هو
الذي كان يثير الناس على الدولة ولكن الفتنة قد عظمت من بعده وقد استفاضت
الاخبار بأن انثارتين في اليمن قد استفحل أمرهم حتى انهم حاصروا صنعاء عاصمة
الولاية . ويؤيد هذه الاخبار ما جاءتنا به اخبار سوريا من اهتمام الدولة بجمع
عسكر الرديف الذي لا يجمع عادة الا في الحروب العظيمة لأجل اليمن بضرب القرعة
العسكرية قبل أوانها . وقد كانت الدولة وفتنها الله تعالى في غنى عن هذا كله لو
أحسنّت الادارة والسياسة هناك فان الأهالي لا يشورون الا من الظلم والضيق وسبب
الظلم ان عمال الحكومة هناك أكثرهم من الاشرار الذين أرسلوا الى اليمن عقوبة لهم
وتأديباً ثم انهم يكلفون بجمع المال وارساله الي الاستانة ولا يسمح لهم أن ياخذوا
رواتبهم منه الا في كل عدة أشهر مرة فيضطرونهم الى الظلم والرشوة والنهب .
والطريقة المثلى لذلك ان تختار الدولة جميع العمال لتلك البلاد من أهل العلم والدين ،
وتعهد اليهم بأن يحكموا بالشريعة دون القوانين ، وتعطيهم رواتبهم في كل شهر
وتعاقب من يشذ منهم اشد العقاب . ثم تجتهد في عمران تلك البلاد التي كانت لها
مدينة لانضار عما في وقتها مدنية .

﴿ أريحية انتساهل والوفاق ﴾

يتوهم المتحمس للدين المتعصب له بغيض المخالفين ان من ايس على دينه مياين له في خلائقه وصفاته البشرية فاذا رأى منه عملاً صالحاً أو براً بأهل دين آخر أو علامة من علامات الصدق والاخلاص التمس لها يرى ضروباً من التعليل فان لم يهتد الى العلة والسبب ، جعله من مواطن العجب ، وذلك للجفاء والمقاطعة بين أبناء الملل فان الذين يعاشرون الناس ويختبرونهم يعلمون ان الناس - كما ورد في الحديث - معادن خيارهم جاهلية خيارهم إسلاماً فامن أمة الا وفيها الخيار والاشترار وأهل التعارف والتآلف ، وذوو التناكر والتخالف ، وقد اجتمع في جنيف عاصمة سويسرة في صيف احدى السنين آلاف من الاوربيين والامريكيين وكان هناك أحد فضلاء المصريين فلما طالت عشرتهم له مدة الصيف ورأوا من تدينه وآدابه مارأوا قالت امرأة غالية في دينها : ما كنت أظن قبل ان أرى هذا الرجل أن الطهارة والتقوى توجد في غير المسيحية . ولا شك ان العارفين بالنصرانية من تاسلمين والعارفين بالاسلام من النصارى يعتقدون بأن كلا من الدينين يأمر بالبر والاحسان الى كل الناس ومن أحكام الفقه عند المسلمين انه يجب عليهم شرعاً اذا اضطر الذي ان بواسوه بما يزيل اضطرابه وانه يستحب الاحسان عند عدم الاضطراب الى جميع المحتاجين . وانما كان منشأ التعصبات والتحزبات والتباعد والتفريق بعض رؤساء الدين والدنيا لما رب لهم في ذلك . وقد رغب الينا غير واحد من المتعصبين بأن نسكت عن تذييه المسلمين على تقصيرهم وتغييرهم عن سيئاتهم ونستبدل بذلك الرد على النصارى وما غرض أكثرهم الا التلذذ والتشفي دون المنفعة للمسلمين والايذاء لغيرهم لان الانتقاد هو دائماً ينفع ولا يضر والنهي عن المنكر يفشو في المسلمين فرض اذا لم يقم به أحد كان جميع العارفين الساكتين من الفاسقين . وكذلك رد ماثير الشبهات في الدين واجب ولولا تصدي المبشرين من البروتستنت لنشر دعوتهم بين المسلمين لما كتبنا في هذه الموضوعات خلافاً لبعض الجرائد التي تريد من التشديد بالمبشرين إرضاء متعصبين المسلمين لمنفعتهم فلا ترد شبهة بل تثير الفتنة ، على ان هذه الدعوة تنفع المسلمين ولا تضرهم . وقد نهنا على هذا مراراً وغرضنا من هذه التبعة ان نبشر أنفسنا بوفاق حسن في مستقبل قريب رغماً

عن أنوف مشيري الفستق من المتعصين فإن تقارب العقلاء في هذا الزمن وشعورهم
بحاجة بعضهم إلى بعض وما سبق إليه أهل البر من كل فريق له تأثير حسن في نفوس
الامة ولو كانت الجرائد تنوء بأحسان مثل المرحوم أحمد باشا المشاوي على جميع
طوائف النصارى واليهود وتذكر ما فيه من داعية التأليف ، وتبرع مثل الخواجات سميان
للجمعية الخيرية الاسلامية بمثل ذلك لكان الاثر أقوى والاعتبار أعم فمثل هذه
الاعمال لا يصح ان تغفل عند التنويه من هذا التنبية

وقد شهدنا من مدة قريبة أريحية من هذا القبيل هي كبيرة في معناها وان رؤيت
صغيرة في صورتها وذلك ان صديقنا نسيم بك خلاط احد وجهاء النصارى وفضلائهم
في طرابلس الشام قدم الى القاهرة في الشهر الماضي فزار الشيخ محمد عبده في معهد
الافتاء بالازهر وكان لا يعرفه الا بآثاره وذكر في حضرته انه قرأ رسالة التوحيد واعجب
بحقيقتها وبلاغتها واذكر من اعجاب فضلاء السوريين بها وتعلقهم بالاستاذ . وكان
في المجلس جماعة من علماء الازهر فقال احدهم لنسيم بك هل اشتهرت رسالة التوحيد
عندكم حتى قراها المسلمون وغيرهم فقال نعم ولها حظها من حسن الذكر والاعجاب
كما ان جميع الطوائف عندنا تنجل ساحة الاستاذ وتعشق مشربه في الاصلاح والتأليف
بين الطوائف الذي نحن في اشد الحاجة اليه ولا نجاح لنا بسواه . قال العالم لكتني
اخبرك بخبر ربما تعجب له وهو ان بعض علماء الازهر لما يقرأ هذه الرسالة : فقال من
اليك العجب وقال اني اتبرع بخمسين نسخة من الرسالة توزع على الاذكياء الفقراء ، ثم انه
امضى ذلك التبرع بالفعل فكان له من حسن التأثير عند المفتي وسائر العلماء ما يستحقه
لاجرم ان نمو هذه الأريحية فيناهي التي تقرب بعضنا من بعض وبأمثال هؤلاء
الرجال يغاب فضلاء المصلحين عصائب المفسدين المفرقين ، الذين لا تجمعهم لغة ولا
جنسية ولا قانون ولا دين ، بل اخترعوا لهم وطنية بالهتان ، لا يشهد لها شرع ولا
برهان ، وانما اساسها الاهواء ، وابتزاز الدراهم من الدماء ،

﴿ ترجمة الشنقيطي ﴾

لم يتمكن من كتابة ترجمة فقيه العلم واللغة الشيخ محمد محمود الشنقيطي لانها تتوقف على رؤية
بعض آثاره في كتبه التي توجد في دار الكتب الأميرية ولما تم ذلك

✽ كتاب ليون تولستوي الى القيصر ✽

كتب هذا الفيلسوف الشهير كتاب نصيحة الى القيصر خاطب فيه ذلك العاهل المطلق في ذلك الملك العظيم بقوله (أخي العزيز) . وقد بين له فيه السيرة السوءى التي عليها الحكومة الروسية ونصح له بأن ينزل من سما عظمته الى أرض المملكة ويتعرف حال العمال والفلاحين ويرفق بهم — ويهب الامة حرية التعليم والاعتقاد والانتفاع بالارض بالقاء حق ملكية الحكومة لها وإباحته للامة وحل عقدة مسألة العمال ومما قاله في كتابه:

أخي العزيز: ليس لك الاحياء واحدة فوق هذه الارض فان شئت قضيتها سدى في ايقاف حركة الانسانية وانتقالها من الضار الى النافع ومن الظلام الى النور وهي حركة قضت بها حكمة الله تعالى وجرت بها سنته ، وان شئت قضيتها بهدوء وتقى في خدمة الله والناس بأن تعرف حاج الامة ومطالبها فتوقف حيائك على قضائها: وقد ترجمت هذا الكتاب بعض الجرائد الاوربية والمصرية وأعجب به الناس ولم يقل احد منهم ان ذلك العالم قد اساء الى دولته وسلطانته او امته بل يرون بلادا فيها مثل هذا العقل وهذه الارادة جديرة بأن تنهض فتزيل من بلادها حكم الاستبداد وتلحق بالامم العزيزة . واما الذين يعشقون العبودية والاستخذاء ، فهم بعيدون عن اسباب الارتقاء

* (سقوط ميناء آرثر) *

قد اقام الروس في هذا الموقع الحربي البري البحري من الحصون والقلاع والمعاقل ما لا يعرف له نظير في غيره فكان حصار اليابانيين له اليماً شديداً ولكن الحزم والعزم والثبات من العالم القوي لا يقف امامها شيء فقد كانوا يلغمون الارض وينسفون الحصون حتى اضطرت الحامية الروسية الى التسليم مع ان عندها من المؤنة والذخائر ما يكفي للمقاومة كمد لا تقيد الاسفلك الدماء عبثاً فكان لهذا التسليم وقع عظيم في العالم ارتفعت به مكانة اليابان الحربية ، من حيث خفضت منزلة لروسية ، وبهذا زاد اليابانيون حماسة وإقداماً على الحرب وظهرت بوادر الثورة في روسيا فقام المتعلمون بهيجون العمال ، حتى اعتصبوا على ترك الانعمل ، والامة تطالب الآن ترك الحرب والحرية العامة وما أدراك ما الحرية العامة، هي إزالة العبودية ، والارتقاء عن البهيمية ، الى التمتع بالمرايا الانسانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لا يشترك في مجلة (المنار) الاسلامي الا من يحب تأييد ما ينشر فيها
من الفوائد والمسائل في أسرار الدين وحكمه ، وهداية القرآن وبلاغته ،
وتنبيه الأمم والافراد الى ما يجب للتقوي ، اذ لا يتوقع أحد من المنار مدحا
ولا يخاف منه ذما - وهؤلاء هم خيرة الناس وفضلاؤهم وأحسنهم أداء
ووفاء . وقد جرت العادة في هذه البلاد بأن كثيرا من الناس لا يدفون
قيمة الاشتراك في الصحف الا لمن يطالبهم من وكلائها ولكن ثقة المنار
بفضل قرائه أغنته عن الوكلاء في أكثر الأجزاء فأكثرهم يؤدي القيمة
أو يرسلها بغير طلب أو بعد التذكير بها ان نسي

وقد جعل الله الناس ثلاثة أصناف : « فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ،
ومنهم سابق بالخيرات باذن الله » : والراجح المختار ان هذه الصفات تجري
في كل شيء فالظالم لنفسه في هذا المقام من يأكل قيمة الاشتراك أو يعاطل
فيها بدون عذر والمقتصد هو الذي يدفع ما عليه في وقته ولو عند الطلب
والسابق بالخير هو الذي يدفع سلفا ولولا هؤلاء لتعذر أو تعسر القيام
بالمشروعات والاعمال التي تقيد الامة

وإننا في ختام سنة المنار السابعة (١٣٢٢) نشكر فضل السابقين
ونذكر فضلاء المقتصدين « فان الذكرى تنفع المؤمنين » وندعو الله تعالى
بأن يوفق الذين ظلموا أنفسهم بعمد هضم الحق ويلهمهم التوبة فان هضم
الحقوق يذهب بالثقة من الناس والثقة أساس النجاح في جميع الأعمال

[illegible]

— 21 —

آفتاب

244

علي مافي

أبو الحسن

(٧) وَإِذَا

1091824

النبي العبد

أرشد

159

والله اعلم

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتوبون أحسنه
أو تلك الذين هداهم الله وأتاك هم أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

بشر الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كبيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للسلام صوي و«منارا» كنار الطريق)

(مصر - الاثنين غرة ذى الحجة سنة ١٣٢٢ - ٦ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٥)

﴿ القسم الديني ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

(٢٠٠:٢٠٣) وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ
اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ* (٢٠١:٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي
الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ* (٢٠٥:
٢٠٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ
الْمِهَادُ* (٢٠٣:٢٠٦) وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ
رَهُوفٌ بِالْعِبَادِ*

أرشدتنا آيات المناسك السابقة الى أن المراد منها ومن كل العبادات
هو تقوى الله تعالى باصلاح القلوب وإنارة الأرواح بنور ذكر الله
تعالى واستشعار عظمتة وفضله - والى أن طلب الدنيا من الوجوه الحسنة

لا ينافي التقوى بل يعين عليها بل هو مما يهدي اليه الدين خلافاً لأهل الملل السابقة الذين ذهبوا الى أن تعذيب الاجساد وحرمانها من طيبات الدنيا هو أصل الدين وأساسه - والى أن من يطالب الدنيا من وجه ويجعل لذاتها أكبر همه ليس له خلاق في الآخرة لأنه مغلد الى حضيض البهيمية لم تستر روحه بنور الايمان ، ولم يرتق عقله في معارج العرفان ، ولما كان محل التقوى ومنزلها القلوب دون الألسنة وكان الشاهد والدليل على مافى القلوب الأعمال دون مجرد الأقوال ذكر في هذه الآيات ان الناس في دلالة أعمالهم على حقائق احوالهم ومكنونات قلوبهم قسمان كما ذكر في آيات الدعاء السابقة أنهم قسمان فكانت هذه متصلة بتلك في بيان مقصد القرآن العزيز وهو إصلاح القلوب ولذلك عطفها عليها فقال

(ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا) معناه يعجبك قوله وأنت في هذه الحياة لأنك تأخذ بالظواهر وهو منافق اللسان يظهر خلاف ما يضر ، ويقول ما لا يفعل ، فهو يعتمد على خلافة لسانه ، في غش معاشريه وأقرانه ، يوهمهم أنه نصير للحق والفضيلة ، خاذل للباطل والرديلة ، متق لله في السر والعلن ، مجتنب للفواحش ما ظهر منها وما بطن ، لا يريد للناس الا الخير ، ولا يسمى الا في سبيل النفع ، (ويشهد الله على مافى قلبه) أي يحلف بالله على أن مافى قلبه موافق لما يقول ويدعي . وفي معنى الحلف أن يقول الانسان : الله يعلم أو يشهد بأنني أحب كذا وأريد كذا : قال تعالى « قالوا ربنا يعلم إنا اليكم لمرسلون » وهو تأكيد معروف في كلام العرب

أليس الله يعلم أن قلبي يحبك أيها البرق اليماني

وقال العلماء ان هذا آكد من اليمين وعن بعض الفقهاء ان من قاله

كاذباً يكون مرتداً لأنه نسب الجهل الى الله تعالى . وأقول ان أقل ما يدل عليه عدم المبالاة بالدين ولو لم يقصد صاحبه نسبة الجهل الى الله عز وجل فهو قول لا يصدر الا عن المنافقين الذين « يخادعون الله والذين آمنوا » فإن أحدهم ليبالغ في الخلافة والتودد الى الناس بالقول (وهو ألد الخصام) أي وهو في نفسه أشد الناس مخاصمة وعداوة لمن يتودد اليهم أو هو أشد خصمائهم على ان الخصام جمع خصم ككعاب جمع كب وهو المختار . وفيه وجه آخر قاله بعضهم وهو ان الخصام بمعنى الجدل أي وهو قوي العارضة في الجدل لا يعجزه ان يختلب الناس ويفشهم بما يظهر من الميل اليهم واسعادهم في شؤونهم ومصالحهم . قال صاحب هذا القول فالأوصاف المحمودة التي يعتمد عليها ثلاثة حسن القول بحيث يعجب السامع ، واشهاد الله تعالى على صدقه وحسن قصده وفي معناه ما هو دونه من ضروب التأكيد الذي يقبله خالي الذهن ، وقوة العارضة في الجدل التي يحجبها المنكر أو المعارض . وأما بيان سوء حاله وفساد أعماله فهو في الآيتين التاليتين وقد مهد لهما بقوله تعالى « في الحياة الدنيا » والتمهيد في بداية الكلام للمراد منه في غايته من ضروب البلاغة وأفنانها

هذا الفريق من الناس يوجد في كل أمة وتختلف الخلافة اللسانية في الامم باختلاف الاعصار ففي بعض الازمنة لا يتيسر للواحد ان يفش بزخرف القول الا الفرد أو الأفراد المعدودين وفي بعضها يتيسر له أن يفش الأمة في مجموعها حتى ينكسرها تشكيلاً^(١) وان الجرائد في عصرنا هذا

(١) في التاريخ شواهد كثيرة على هذا من أعجبها أن غليوم دورانج الماكر الهولندي كاد (لجان وكورنيل دي ويت) مؤسسي جمهورية هولندا في القرن السابع عشر الذين

قد تكون طريقا للغش العام كما تكون طريقا للنصح العام وانما يكون تلييسها سهلا على من يعجب العامة قولهم في الامم التي يغلب فيها الجهل لاسيما في طور الانتقال من حال الى حال اذ تختلف ضروب الدعوة وطرق الارشاد (١)

وفي الآية وجه آخر ذهب اليه بعض المفسرين وهو أن الظرف « في الحياة الدنيا » متعلق بالقول قبله أي يعجبك قوله اذا تكلم في شؤون الحياة الدنيا وأحوالها وطرق جمع المال وإحراز الجاه فيها لان جهبا قد ملك عليه أمره، والميل الى لذاتها وشهواتها قد استحوذ على قلبه، وصار هو المصرف لشعوره ولبه، فينطلق لسانه - ومثله قلعه - في كل ما يستهوي أصحاب الجاه والمال، ويستميل أهل السيادة والسلطان، ولكنه اذا تكلم في أمر الدين جاء بالخط والحشو، ووقع في العسلة واللغو، فلا يحسن وقع قوله في السمع، ولا يكون له تأثير في النفس، وذلك ان روح المتكلم تتجلى في قوله وضمير المتكلم يظهر في لحنه، « ولو نشاء لأريناكم فاعرفتمهم بسيماهم * ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم * » وفي الحكم كل كلام يبرز وعليه

خدما أمتهم بقاية الاخلاص وهيج الامة عليهم باسم الوطنية والدعوى الكاذبة حتى قتلهم شر قتلة. وكم رأينا من مضرات مدعي خدمة الوطن في هذه البلاد ولا تزال ترى

(١) مثال ذلك حال أمتنا اليوم فانك ترى من المفتونين بحب المال والجاه والانفماس في اللذات من بخادعها بوساوس السياسة وأوهام الوطنية لاجل الوصول الى شهواتهم، وترى من المخلصين من يدعو الى الاعتصام بعروة الدين لاجل جمع القلوب والتخلص من جيوش الفسق كالخمر والقمار والزنا المبيدة للأموال المفسدة للأخلاق وينهى عن الاغترار بوساوس السياسة والاشتغال بها عن العلم وتوفير الزوجة، وتجد المخادعين يناصبونهم حتى باسم الدين، والأعمال هي الشاهدة على حقائق الأحوال

كسوة من القلب الذي عنه صدره، ولهذا كان ارشاد المخلصين نافعا، وخداع المنافقين صادعا، وعلى هذا الوجه في التفسير تكون جملة «ويشهد الله» وصفا مستقلا غير حال مما قبله. أي إنه لا يحسن الا الكلام في الدنيا ليعجب السامع ويخذه ولا يكتفه يزعم أن قلبه مع الله وأنه حسن السريرة. وانك لتري هذا في سيرة المجرمين ظاهرا جليا كما وصف الله تعالى - يتركون الصلاة، وعنفون الزكاة، ويشربون الخمر، ويتسابقون الى الفجور، ويأكلون أموال الناس بالباطل ثم يفضلون أنفسهم في الدين على أهل النزاهة والتقوى زاعمين ان هؤلاء المتقين قد عمرت ظواهرهم بالعمل والارشاد، ولكن بواطنهم خربة بسوء الاعتقاد، ويقولون نعم اننا نحن نأكل الربا والقمار ولكننا نحرمه، ونأتي في نادينا وخلوتنا المنكر ولكننا لانستحسنه، وان ما نبتزه من جيوب الاغنياء بخلافتنا، ليس المقصود منه ترفيه معيشتنا، وانما هو أجر على السعي في إعلاء شأنهم، ومكافأة على خدمة أوطانهم، فهم بهذه الدعاوى الدالخصماء، الا أنهم هم السفهاء، فقد جرت سنة الله تعالى في خلقه، ودلت هدايته في كتابه، على أن سلامة الاعتقاد واخلاص السريرة هما ينبوع الاعمال الصالحة، والاقوال النافعة، «والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا»

وانظر ما قاله عز شأنه في وصف فريق هذه الدعاوى المريضة، والقلوب المريضة، قال (واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها) في تفسير التولي هنا قولان أحدهما أن صاحب الدعوى القولية اذا أعرض عن مخاطبته وذهب الى شأنه فان سعيه يكون على ضد ما قال. يدعي الإصلاح والاصلاح وحب الخير ثم هو يسعى في الارض بالفساد ذلك انه لا هم له الا في الشهوات واللذات

والحظوظ الخسيسة فهو يعادي لاجلها أهل الحق والفضيلة ويؤذيهم لانه
ألد خصم لهم للتناقض والتضاد في الفرائض والسجايا ويعادي أيضا المزامين
له فيها من أمثاله المفسدين فلا يكون لهم وراء التمتع وأسبابه الا الكيد
للناس ومحاولة الايقاع بهم فهو يفسد باعتدائه على الاموال والاعراض
(ويهلك الحرث والنسل) بما يكون من أثر إفساده في اعتدائه وهو ذهاب
ثمرات الحرث وهو الزرع والنسل وهو ماتنسل من الحيوان وكأنه
إشارة الى مكاسب أهل الحضارة وأهل البادية، وفي هذا عبرة كبرى للذين
يقطعون الزرع ويقتلون البهائم بالسم وغيره انتقاما من بكرهونهم وهي جرائم
فاشية في ارياف مصر لهذا العهد فاين الاسلام وأين هداية القرآن ؟ وذكر
الازهري أن المراد بالحرث همنا النساء كما في قوله « نسأؤكم حرث لكم »
وبالنسل الاولاد . وهل المراد نساء الناس وأولادهم أم نساء المفسدين
وأولادهم خاصة ؟ لعل الامر أهم فان المفسدين الذين يطمحون بأبصارهم
الى نساء الناس أو يسمعون في إفساد نظام البيوت بما يلقون من الفتن ويعلمون
من التفريق لا تكاد تسلم بيوتهم من الخراب ظاهرا وباطنا أو باطنا فقط
فالفسد الشرير يؤذي نفسه وأهله بضروب من الايذاء قد يعنيه الغرور
عنها أو عن كونها من سعيه . وقال الاستاذ الامام ان إهلاك الحرث والنسل
عبارة عن الايذاء الشديد وقد صار التعبير به عن ذلك من قبيل المثل فالمعنى انه
يؤذي مسترسلاني إفساده ولو أدى الى اهلاك الحرث والنسل . وكذلك شأن
المفسدين يؤذون ارضاء لشهواتهم ولو خرب الملك بارضائها

والقول الآخر أن المراد بتولى صار واليا له حكمه ينفذ وعمله يستبد
به وإفساده حينئذ يكون بالظلم مخرب العمران وآفة البلاد والعباد وإهلاكه

الحرث والنسل يكون إما بسفك الدماء والمصادرة في الاموال وإما بقطع
آمال العاملين من ثمرات أعمالهم وفوائد مكاسبهم ومن انقطع أمله انقطع
عمله الا الضروري الذي به حفظ الدماء ولا حرث ولا نسل الا بالعمل . وقد
شرحت لنا حوادث الزمان وسير الظالمين هذه الآية فقرأنا وشاهدنا أن
البلاد التي يفشو فيها الظلم تهلك زراعتها وتبعض ماشيتها وتقل ذريتها وهذا
هو الفساد والهلاك الصوريان . ويفشو فيها الجهل وتفسد الاخلاق وتسوء
الاعمال حتى لا يثق الاخ بأخيه ولا يثق الابن بأبيه ^(١) ، فيكون بأس
الامة بينها شديدا ولكنها تذلل وتخضع للمستعبدين لها . وهذا هو الفساد
والهلاك المعنويان . وفي التاريخ الغابر والحاضر من الآيات والعبر ، مافيه
ذكرى ومزدجر ،

ولما كان هذا المفسد يشهد الله على هداية قلبه ، عند من يظن انه
بجهل حقيقة أمره ، قال تعالى بعد بيان عمله في الافساد ، (والله لا يحب
الفساد) أي إن إفساد هذا المختلب بقوله ظاهر في الوجود والظاهر عنوان
الباطن فلو كان قابله صالحا لكان عمله صالحا ولكن إفساده في عمله دليل على
فساد قلبه والله لا يحب المفسدين لانه لا يحب الفساد . وفي الآية دليل على أن
تلك الصفات الظاهرة المحمودة لا تكون محمودة مرضية عند الله تعالى الا
إذا أصلح صاحبها عمله فان الله تعالى لا ينظر الى الصور والاقوال ، وإنما

(١) من أعجب عبر الفساد في الاخلاق ما نقل الينا عن بعض المفسدين الذين تعجبك
أقوالهم في الحياة الدنيا أنه قال لاحد هؤلاء الولاة لا يسلم لك ملكك وتستقر عظمتك
الا اذا نفيت من بلادك أخي وفلاناً وفلاناً : ونقل عنه أيضاً أنه قال للوالي ان ابني
فلاناً بهجوك مع فلان وفلان . وتلك غاية في الافساد ، لم تكن تخطر في بال أحد من العباد .

ينظر الى القلوب والاعمال ، وهي ترشدنا الى التمييز بين الناس بأعمالهم وسيرتهم وعدم الاغترار بزخرف القول فان الناس اذا انصرفوا من مجالس القول لم يكن لهم بد من سعي وعمل والعمل اما خير واصلاح ، وإما شر وافساد ، وكل إناء ينضح بما فيه .

ولما كان الافساد يصدر تارة عن الجهل وسوء الفهم ، وأحيانا عن فساد الفطرة وسوء القصد ، وكان من يعمل السوء بجهالة مريع التوبة ، مبادرا الى قبول النصيحة ، وكان شأن الآخر الاصرار على ذنبه ، كالمستهزى بربه ، ذكر من صفة المفسد ما يميز بينه وبين المخطيء فقال (واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم) أي انه اذا أمر بمعروف أو نهي عن منكر يسرع اليه الغضب ويعظم عليه الامر فتأخذه الكبرياء والافتقار ، وتخطفه الحمية وطيش السفه ، فيكون كالماخوذ بالسحر ، لا يستقيم له فكر ، لانه مصر على إفساده لا يبقي عنه حولا ، وعبر عن الكبرياء والحمية بالعزة للاشعار بوجه الشبهة للنفس الامارة بالسوء وهو تخيل النصيح والارشاد ذلة تنافي العزة المطلوبة . وهذا الوصف ظاهر جدا في تفسير التولي بالولاية والسلطة فان الحاكم الظالم المستبد يكبر عليه ان يرشد الى مصلحة ، أو يحذر من مفسدة ، لانه يرى أن هذا المقام الذي ركبته وعلاه يجعله أعلى الناس رأيا وأرجحهم عقلا ، بل يرى الحاكم المستبد الذي لا يخاف الله تعالى أنه فوق الحق كما أنه فوق أهله في السلطة فيجب أن يكون أفنه خيرا من اجوده آرائهم ، وإفساده نافذا مقبولا دون إصلاحهم ، فكيف يجوز لأحد منهم أن يقول له : اتق الله في كذا : ؟ وان الأمير منهم ليأتي أمرا فيظهر له ضرره في شخصه أو في ملكه ويود لو يهتدي السبيل الى الخروج منه فيعرض له ناصح يُشرع له السبيل فيأبى

سلوكها وهو يعلم ان فيها النجاة والفوز الا ان يحتال الناصح في إشرعها فيجعلها
بصفة لا تشعر بالارشاد والتعليم ولا بان السيد المطاع في حاجة اليه . وقد
عرضت نصيحة علي بعضهم مع ذكر لفظ النصيحة بعد تهديد له بالحديث
« الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » وبيان معناه فغظم
عليه أن يقول أحد انني أنصح لك لانك إمامي وكان ذلك آخر عهد
الناصر به : فانظر كيف لم يرض حاكم مسلم بأن يبذل له ما يجب أن
يبذل لله ولرسوله وللائمة . وقد كان العلماء ينصحون للخلفاء والملوك المسلمين ،
فيأخذون بالنصح بحسب مكانهم من الدين ، واما الطغاة البغاة الذين ليس لهم
من الاسلام الا ما يخذعون به العامة من إتيان المساجد في الجمع والاعياد
والمواسم المبتدعة فانهم يؤذون من يشير إشارة ما الى أنهم في حاجة الى
تقوى الله في أنفسهم أو في عيال الله الذين سلطوا عليهم وإن لم يبق لهم من
السلطان والحكم ، ما يحكمهم من كل ما يهونون من الفساد والظلم ، واذا كان
هذا شأن أكثر الملوك والامراء الذين ينسبون الى الدين ويدعون اتباعه فهل
تجد دعوى فرعون الالهية غريباً عجيباً ؟

وحمل التولي على الوجه الآخر لا يتنافر مع أخذ العزة بالإثم من جرّاء
الأمر بالتقوى فان في طبع كل مفسد النفور ممن يأمره بالصلاح والاحتماء عليه
لأنه يرى أمره بالتقوى والخير تشهيراً به وإفباتاً لعيون الناس الى مفسده
التي يسترها بزخرف القول وخلاسته ولكن التعبير أظهر في ارادة الولاة
والسلاطين . وقد يبالغ نفور المفسدين في الارض من الحق والداعين الى الخير
الى حد استمقالتهم والحق عليهم والسعي في إيذائهم وان لم يأمرهم بذلك
أفرون ان الدعوة الى الخير والنهي عن المنكر على إطلاقهما كافيان في فضيحتهم ،

وذاهبان بخلاّبهم ، فلا يطيقون رؤية دعاة الخير ولا يرتاحون الى ذكرهم بل يتبعون عوراتهم وعثراتهم ليوقعوا بهم وينفروا الناس عن دعوتهم فان لم يظفروا بزلة ظاهرة التمسوها بالتجريف والتأول ، أو الاختراع والتقوّل ، ولذلك تجد طعن المفسدين في الأئمة المصلحين ، من قبيل طعن الكافرين في الأنبياء والمرسلين ، خطأ جميع الناس ، وصفهم بالضلّال ، منه أعلامهم ، شنع على أعمالهم ، فرق بينهم ، : وما أشبه هذا . هذه آثار المفسدين في الارض عند المعجز عن الايقاع بالآمر بالتقوى وان قدروا حبسوا وضرّبوا ، وتقوا وقتلوا ، ولذلك قال عز وجل فيمن يأنف من الأمر بالتقوى (خسبه جهنم) أي هي مصيره وكفاه عذابها جزاء على كبريائه وحميته الجاهلية . ثم وصف جهنم وهي دار العذاب في الآخرة بقوله (ولبئس المهاد) المهاد الفراش يأوي المرء اليه للراحة واللام واقعة في جواب قسم محذوف فالله تعالى يقسم تأكيدا للوعيد بأن الذي يرى عزته ما نعمة له عن الاذعان للأمر بتقوى الله سيكون مهاده ومأواه النار وهي لبئس المهاد وشره لراحة فيها ولا اطمئنان لاهلها ، وقال بعض المفسرين انه عبر بالمهاد الذي هو مظنة الراحة لآهكم

وأنت ترى من هذا التقرير ومن كون التقسيم حقيقيا في نفسه شارحا لما عليه البشر في حياتهم متصلا بما قبله ملتما معه في السياق أن الكلام عام وماروي من أن له سببا خاصا لا ينافي عمومه . وقد اختلفوا في السبب للآيات فروى ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس أنها نزلت في رجلين من المنافقين قال لما هلكت سرية للمسلمين يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا لاهم فعدوا في أهليهم ولا هم أدوار الصالحين . وروى

ابن جرير عن السدي أنها نزلت في الأخنس بن شريق أقبل الى النبي صلى الله عليه وسلم وأظهر له الاسلام فأعجبه ذلك منه ثم خرج فربزوع لقوم من المسلمين وحمرا فأحرق الزرع وعقر الحمر . فان صحت الروايتان فالظاهر ان من جعلهما سببا حمل الآيات عليهما في الجملة والا فأنت ترى أن الآيات ليست مطابقة للحادثتين اللتين كانتا في وقتين

ثم ذكر الفريق الآخر المقابل لمن تأخذه العزة اذا ذكر بالله تعالى فقال (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله) وكان مقتضى المقابلة أن يوصف هذا الفريق بالعمل الصالح مع عدم الدعوى والتبجح بالقول أو مع مطابقة قوله لعمله وموافقة لسانه لما في قلبه . والآية تضمنت هذا الوصف وان لم تنطق به فان من يبيع نفسه لله لا ينبغي ثمنها غير مرضاته لا يتحرى الا العمل الصالح وقول الحق والاخلاص في القلب فلا يتكلم بلسانين ، ولا يقابل الناس بوجهين ، ولا يؤثر على ما عند الله عرض الحياة الدنيا وما عند كبرائها ومترفها من القصور ، ومتاع الزينة والغرور . وهذا هو المؤمن الذي يعتد القرآن بإيمانه . وأما الايمان القولي الذي يظهر على الألسنة ولا يمس سواد القلوب ، ولا تظهر آثاره في الاعمال ، ولا يحمل صاحبه شيئا من الحقوق لدينه وملته ، ولا لقومه وأمته ، فلا قيمة له في كتاب الله ، ولا يقام لصاحبه وزن في يوم الله ، بل يخشى ان يقال لذويه يومئذ اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون»

ذكر الله تعالى هذا الشراء في آيات أخرى تشرح هذه الآية وتفسرها وتبين ان المؤمنين باعوا وان الله قد اشترى كقوله عز وجل «ان الله

اشترى من المؤمنين أموالهم وأنفسهم بأن لهم الجنة» - الى قوله «فاستبشروا
 ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم» ثم وصف هؤلاء المؤمنين
 في الآية التي بعدها بما يجب على المؤمن أن يجعله معها ميزانا للايمان وأهله .
 فنفس المؤمن لله لا للشهوة واللذة البهيمية والمكر الشيطاني . فمن أثر
 شهوته على مرضاة ربه والتزام حدوده والحفاظة على هدى دينه فلا وزن
 له في هذا البيع . ولقد نعلم انه ليكبر هذا القول على المفتونين بزينة الحياة
 الدنيا ولذاتها وقصورها وخورها وإن كانوا يزعمون أنهم من
 زعماء الدين وخدمته المخلصين ، لأن الحق مر في مذاق المبطلين ،

والآية لا تنافي ما دلت عليه آية الدعاء من أن الاسلام شرع لنا طلب
 الدنيا من الوجوه الحسنة كما شرع لنا طلب الآخرة بل هي مؤيدة لها فان
 طلبها من الطرق الحسنة أي المشروعة النافعة لا ينافي مرضاة الله تعالى
 ببيع النفس له ولذلك لم يحرم سبحانه علينا الا ما هو ضار بفاعله أو بغيره فلنا
 ان تتمتع بها حلالا ونكون مثابين مرضيين عند الله تعالى قال بعض الصحابة
 لما قال عليه الصلاة والسلام «وفي بضع أحدكم صدقة» : يا رسول الله
 أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال «أرأيتم لو وضعها في حرام
 أكان عليه وزر؟» ولكن الذي ينافي مرضاة الله تعالى وينافي سعادة الدنيا
 قبل الآخرة أن يسترسل المرء في سبيل حظوظه وشهواته خارج الحدود
 المشروعة فيفسد في الارض ولا يبالي ان يهلك بافساده الحرث والنسل

ثم ان هذا البيع لا يتحقق الا اذا كان المؤمن يجود بنفسه وبماله في سبيل
 الله اذا مست الحاجة لذلك . وسبيل الله هي الطريق التي يحفظ بها دينه
 ويصلح بها حال عباده . ومعنى هذا انه لا يكتفى من المؤمن أن يكتسب

بالحلال ويتمتع بالحلال وينفع نفسه ولا يضر غيره ويصلي ويصوم لأن كل هذا يعمل له نفسه خاصة، بل يجب أن يكون وجوده أوسع، وعمله أشمل وأنفع، فيساعد على نفع الناس ودرء الضرر عنهم بحفظ الشريعة وتميز الأمة بالمال والأعمال والدعوة إلى الخير ومقاومة الشر ولو أفضى ذلك إلى بذل روحه. فإن قصر في واجب يتعلق بحفظ الملة وعزة الأمة من غير عذر شرعي فقد آثر هوى نفسه على مرضاة الله تعالى وخرج من زمرة مكلة المؤمنين الذين باعوا أنفسهم لله تعالى وكان أكبر إجراما ممن يقصر في واجب لا يضر تقصيره فيه إلا بنفسه. ذلك أن الحكمة في تربية النفس بالأعمال الحسنة والأخلاق الفاضلة هي أن ترتقي ويتسع وجودها في الدنيا فيمظم خيرها وينتفع الناس بها وتكون في الآخرة أهلا لجوار الله تعالى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الذين بذلوا نفوسهم وأموالهم وجعلوا أكثر أعمالهم خدمة للناس وسعيا في خيرهم. فالله تعالى لم يشتر نفوس المؤمنين من الحظوظ والشهوات الشخصية الخسيسة لأجل نفعه سبحانه أو دفع الضر عنه جل شأنه فهو غني عن العالمين وإنما شرع هذا ليكون المؤمن باتساع وجوده وعموم نفعه سيد الناس. فليعرض مدعو الإيمان أنفسهم على الآية وأمثالها فمن ادعى أنه من الذين باعوا أنفسهم لله، وآثروا مرضاته على ما سواه، فليعرضه غيره من المنصفين عليها لاسيما إذا ادعى أنه واسع الوجود خادم الأمة والملة. لاجرم أن كثيرا منهم لا يصدق عليهم شيء من ذلك بل ولا قوله تعالى «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم» فإن معنى أسلمنا انقذنا لأحكام الدين الظاهرة وأخذنا بأعماله البدنية. وكثير ممن تعجبك أقوالهم من صنف المسلمين

لا يصلون ولا يصومون ولا يزكون ولا يحجون، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون، ويأتون كثيرًا من الكبائر جهارًا، ويصرون عليها إصرارًا،
 ذكر تعالى أن من الناس من يشري أي يبيع نفسه وهم المؤمنون
 الخالص كما في الآيات الأخرى والإخبار بذلك أقوى في طلبه من الأمر
 به وأدل على تقريره ثم بين أنه ما شرع هذا إلا رأفة بعباده فقال (والله
 رؤف بالعباد) إذ يرفع همم بعضهم ويعلي نفوسهم حتى يبذلوه في سبيله
 لدفع الشر والفساد عن عباده وتقرير الحق والعدل والخير فيهم ولولا ذلك
 لقلب شر أولئك المفسدين في الأرض حتى لا يبقى فيها صلاح ، ولولا دفع
 الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، وإن هذا يؤيد ما قلناه في إزالة
 وهم من يتوهم أن يبيع النفس يؤذن بترك الدنيا وأن لا يتمتع المؤمن نفسه
 بلذاتها ولو كان كذلك وهو من تكليف ما لا يطاق لما قرنه الله تعالى باسمه
 الرؤف الدال على سعة رحمته بعباده ، فيالله ما أعجب بلاغة كلام الله ، وما
 أعظم خذلان المرضى عن هداة ، ومن الدقة الغريبة هذا في التعبير الموجز
 ببيان حقيقة عظيمة وهي أن وجود هذه الأمة في الناس رحمة عامة للعباد لا خاصة
 بهم والأمر كذلك بل كثيرا ما ينتفع الناس بعمل المصلحين من دونهم إذ
 تظهر نعمات إصلاحهم من بعدهم . وأن على من يبذل نفسه مرضاة لله تعالى
 في نفع عباده أن لا يتهور ويلقي بنفسه في التهلكة بل عليه أن يكون حكيما
 يقدر الأمور بقدرها إذ ليس المقصود بهذا الشراء إهانة النفس ولا إذلاها
 وإنما المراد دفع الشر وتقرير الخير العام رأفة بالعباد وإينارًا للمصلحة العامة .
 وإن أمة يتصف جميع أفرادها وأكثرهم بهذا الوصف لجديرة بأن تسود العالمين ،
 وإن أمة تحرم من هذا الصنف خلقة بأن تكون مستعبدة لجميع المتغلبين ،

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

فتعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً وربما قد منأخرا السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولن يفتي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

الحيلة في الطلاق الثلاث

(١٠٧س) محمود أقدي أبو المكارم بطنا : من علماء الجامع الاحمدي رجل يناهز السبعين من العمر قضى نحو أربعين سنة في وظيفة التدريس وللعامة ثقة بفتواه وقد اعتاد ان يرجع المطلقة من زوجها ثلاثاً أو أكثر اليه بفتوى لأظن ان الكتاب والسنة يبيحانها ولا السلف الصالح سبقه اليها . ذلك ان الرجل اذا أتاه فآخبره بأنه طلق زوجته ثلاثاً ولم يجد من هذا الرجل شبهة أو تحريفاً في كيفية الحلف كالتنفس في أثناء اليمين القاطع للكلام أو غير ذلك من الحيل يقول له من الذي وكل لزوجتك عند العقد عليها أهو وليها أم غيره فان قال له الثانية حكم بفسخ العقد الاول وعقد له عليها ثانية ولو كان رزق منها بأولاد وقد حدثت منه هذه الفتوى لا قرب الناس الي من عدة سنين ومأخض هذه الواقعة ان لي قريباً تزوج بفتاة بالغة عاقلة رشيدة وكلت رجلاً أجنبياً لانها لا أقارب لها الابن خالة كان في هذا الوقت على ما أظن لم يبلغ الحلم ومكث هذا القريب مع زوجته هذه عدة سنين رزق منها فبعدة أولاد وحدث انه طلقها طليقة وراجعها ثم بعد مدة طلقها ثلاثاً وسأل عدة من العلماء فأفتوه بأن لا مسوغ شرعاً لارجاعها اليه حتى تتكح زوجاً غيره فأثنى اليه هذا العالم وأفتاه بما نعود عليه من الفتوى وعقد له عليها جديداً والمستفتي في الحقيقة معذور لجهله بالشرعية وثقته بما يتحلى به هذا العالم من العمامة والحجية ذات الاكمام الواسعة وقد عمت هذه البلوى فأرجو إفادتي على صفحات مجلتكم الفراء عن مآثره في هذه الفتوى هل هي موافقة للكتاب والسنة أو أثنى بمنها السلف الصالح أم لا فان كانت الاولى فما النصوص وان كانت الاخرى فما قولكم في النظام الواقع بعد العقد الجديد وما حكم اشريفة فيما أعقباه من الاولاد بعد هذا العقد فهذان سؤالان أرجو الاجابة عليهما بعد اثباتهما على صفحات المجلة حيث

لا ثقة لنا الا بارشاداتكم جماعكم الله هادين لهذه الامة التي أصبحت عديمة النصير حتى يرتجع أصحاب الغايات المضلين الى أصل الشريعة القراء . . .

(ج) ان ما ذكر في السؤال من كيفية إرجاع المطلقة ثلاثا الى المطلق لم يعرف عن أحد من السلف الصالح ولا يدل عليه كتاب ولم تمض به سنة وإنما هو من احتيال المنفهمة المبني على اختلاف المذاهب وهو من مفساد التقليد للعبارات من غير مراعاة نصوص الشرع وحكمه والكتاب والسنة لا اختلاف فيهما ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ، فمن عمل بهما لا يمكن ان يفتي في المسألة الواحدة (كالطلاق الثلاث) بفتاوى مختلفة وما اظن الرجل يدعي ذلك فيبين خطأه بذكر الآيات والآحاديث وإنما يدعي أنه يفتي بمذاهب الأئمة عليهم الرضوان فنقول في بيان خطأه انه لم يقل أحد منهم بجواز اقامة الرجل مع المرأة زمنا بعقد على مذهب ثم اعتباره فاسدا وتجهيد عقد آخر على مذهب آخر واعتبار الأولاد الذين ولدوا لهما في زمن كل من العقدين أولادا شرعيين . وقد صرحوا بأنه اذا عمل العامي بقول المجتهد في حكم مسألة فلا يس له الرجوع منه الى غيره اتفاقا وأما في حكم مسألة أخرى فيجوز له ان يقلد غيره على المختار ، وذلك أن التزام أحد أقوال المجتهدين بالعمل به يرفع الاختلاف بالنسبة الى العامل كحكم الحاكم

ربما يقول هذا الملق ان عمله من التلقيق الذي أجاز به بعض العلماء . ونحن نعترف بأن بعض العلماء أجاز التلقيق خلافا لما جاء في كتاب الدر المختار من كتب الحنفية من حكاية الاجماع على بطلان الحكم الملق ولكن الذي يجبره يشترط ان يكون في مسألة واحدة بحيث يأتي بحكم لم يقل به أحد من المسلمين وان لا يكون فيه رجوع عما عمل به أو عن لازمه إجماعا كما هنا ، ذكر هذا ابن نجيم في رسالته في بيع الوقف بدين فاحش وقال انه مأخوذ من إطلاقهم جواز تقليد من قلده في غير ما عمل به واذا كان العامي الغافل عرضة للمتجرين بالدين يصدق كل ما يقولون فكيف تجرأ العالم المدرس على الفتوى بأقوال متناقضة كالقول بأن الولي شرط في صحة النكاح والقول بأنه غير شرط مع علمه بأن الحق واحد واجتماع التقيضين محال . أي عمل بقول من قال : نحن مع الدراهم قلة وكثرة : وهل يستحل أولئك الذين أجازوا لأنفسهم

الفتوى بالقولين المتضادين لكثرة الدراهم أن يفتوا بهما الرجل الواحد في الموضوع الواحد أم يخففون وطأة بيع الاحكام الدينية فيفتون كل مستفت بقول ليكون هذا مقلداً لفلان والآخر مقلداً لفلان ، اذ لا معنى لتقليد شخص واحد لعالمين مختلفين في مسألة واحدة لها لوازم مختلفة كواقعة السؤال

اما ما كان عليه السلف في مسألة الطلاق الثلاث فالاجماع على ان من طلق امرأته ثلاث مرات فانها لا تحل له حتى تنكح زوجاً آخر نكاحاً صحيحاً مقصوداً وهذا ظاهر نص القرآن وجرت به السنة وعليه العمل واختلفت الروايات والاحاديث في الطلاق مرة واحدة بلفظ الثلاث فالمذاهب الاربعة على اعتبارها ثلاثاً الا بعض الحنابلة كابن تيمية وابن القيم ولهم سلف وحديث صحيح يحتجون به وتقدم تفصيله في المنار فلا نعيده وانما نقول: ان عمل العالم المذكور في السؤال ليس عليه الا ان يكون بعد العدة وعليه اذا طلق الزوج مرة اخرى كانت نائلة لما حكم الثلاث

﴿ توبة الآيس ﴾

(س ١٠٠) ن . ب الطالب بمدرسة خاقانه في (سراي بوسنه) : ماتقولون في توبة الآيس هل تصح أم لا ؟ صرح كثير من العلماء بصحة توبته وقبولها عند الله استدلالاً ببعض الاحاديث مع أنهم قائلون بعدم صحة الايمان وقت اليأس وفرقوا بينهما بأن التوبة تجديد عهد والايمان انشاء عهد لم يكن وبوجوه أخرى سوى هذه . وآية « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار » بظاهرها تنادي على خلاف ذلك . نحن نطلب رأيكم في ذلك عمركم الله سبحانه وتعالى

(ج) ان الله تعالى ما ذكر في هذه الآية الذين لا توبة لهم عنده الا بعد أن ذكر الذين تقبل توبتهم في الآية التي قبلها بصيغة الحصر وهي « انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله تواباً رحيماً » والمعنى ظاهر فصحيح لا تعارضه تلك الاقيسة . وما ورد في بعض الاخبار من أن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر فهي واردة في معرض الزجر عن اليأس من رحمة الله والترغيب في التوبة مادام الانسان حياً وهو الواجب على

المسلم اذ هو قبل الفرغرة مكلف بجميع الاحكام الشرعية بشروطها ومنها وجوب التوبة اذا كان عاصيا . ولكن افرض ان الكتاب العزيز لم يبين هذه المسألة بهذا الايضاح الذي نراه في الآيتين بل وكلها الى افهام الناس وعقولهم فهل يتصور عقلك ان التوبة تحقق ممن حضره الموت وابقن بمفارقة الدنيا ؟ أليس معنى التوبة الرجوع عن المعصية الى الطاعة مع التأسف على ما مضى والعزم على الاهتداء والاستقامة فيما يأتي طوعا واختيارا طاعة الله على معصيته ؟ وهل هذا معقول ممن حضره الموت ؟

ثم ان الحكمة من بعثة الرسل وانزال الشرائع هي اصلاح الأرواح وترقيتها بالايان الصحيح والعمل النافع ليصلح حال الناس في الدنيا ويكونوا أهلا لجوار الله تعالى في الآخرة مع أصحاب الأرواح العالية من الملائكة والنبين والتوبة من الكفر أو من المعاصي عند حضور الموت لا تفيد صاحبها شيئا من هذه الحكمة فهي ندم عند استقبال الآخرة كالندم في الآخرة لا يفيد لأن وقت العمل قد فات ، ولكن من يتوب قبل حضور الموت اي قبل الشعور بنزوله به ويأسه من الحياة فلا بد ان تكون نفسه قد اعرضت عن باطلها الأول واذعنت بقبضه وتوجهت الى الحق والخير وهي ترجو العمل به لآملها بالحياة وهذا صفاء في النفس وارتقاء عظيم تستفيد به لانها قد ارتقت عن طبقة الاشرار وان عاجلها الموت عقيبه فلم تتمكن من العمل الصالح الذي توجهت اليه ولكنها لا تكون في مرتبة الذين عملوا وأصلحو اذ أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون .

وهنا بحث أدق من هذا وهو هل يصير الانسان على عمل السيئات والمعاصي ثم يتوب قبيل الموت توبة صحيحة ترتقي بها روحه عن أرواح الاشرار ؟ وبعبارة أخرى هل جرت سنة الله تعالى بأن النفس التي تكيفت بأفعال الشر والحبث تدريجاً حتى صارت أخلاقها وصفاتها سيئة وملكاها رديئة تنقلب فجأة الى ضد ما تكيفت به ؟ المعروف في علم النفس هو ما يستفاد من آبق التوبة المشار اليهما في السؤال والجواب فان قوله « يتوبون من قريب » يفيد أن الحكمة بالقرب عدم تأثر النفس بالاصرار ويفيده أيضاً قوله « يعملون السوء بجهالة » أي بسفه عارض كسورة غضب او ثورة شهوة

أي لا بليل الغريزي الى الثمر والحق المطبوع ولذلك لم يأت بهذا القيد في آية من يقبل توبتهم .
ومن قوله تعالى « بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أنجى النار »
فيها خالدون » وقوله « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » * كلا انهم عن ربهم
يومئذ لحجوبون » ومن حديث التكتة السوداء . ومن قول السلف : المعاصي يريد الكفر .
وعلم النفس والاخلاق يفيدنا ان الملكات التي تنطبع في النفس بالعمل هي صفة للنفس
كصفات الجسد ، وان مقاومة الاخلاق السيئة انما تكون بترك العمل الذي هو أثر الخلق الذميم
والمواظبة على عمل يضاده من أطويلا مع التكلف ليحدث في النفس وصف يضعف ذلك
الوصف ويغلب عليه ومن عني بهذيب نفسه او غيره في الكبر ولو بمقاومة بعض العادات
والاخلاق يعرف صعوبة هذا الأمر وتعبه . نعم ان من خلط عملا صالحا وآخر
سيئاً فتراحت في نفسه آثار الخير وآثار الشر يرجي ان يغلب في آخر عمره اثر الخير
بتوفيق الله تعالى كما قال تعالى في بعض المتخلفين عن الجهاد من المؤمنين في واقعة
تبوك « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب
عليهم » ان الله غفور رحيم ، وربما كانت توبة الكافر من الكفر قبيل الموت أقرب الى المعقول
لان الايمان مسألة عقلية اذا زالت الشبهة وقامت الحجة يزول الكفر ويستقر الايمان حالا
واذا طلبت زيادة الثور في هذا المقام فعليك بمطالعة كتاب التوبة للامام الغزالي
وما كتبه في معنى (سوء الحاتمة) نعوذ بالله منها في باب الخوف من الجزء الرابع من
الاحياء . ولا تأخذ بظواهر أقوال بعض الفقهاء وتعليقاتهم اللفظية كقوله عهدهم
جديد وعهدهم قديم وغير ذلك . والله أعلم . وسنحجب عن سؤالك الآخر في جزء
آخر ان شاء الله تعالى

باب المناظرة والرسائل

(شكل حكومة الاسلام ، وضعف المسلمين باستبداد الحكام)

« مراجعة الشيخ صالح بن علي الياضي من (حيدر اباد الدكن) وردته الثاني على رفيق بك العظم »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا انم أهدي
السلام ورحمة الله وبركاته الى حضرة العلامة الفاضل خدام السنة وقامع البدعة مولانا

السيد محمد رشيد رضا مدير المنار الاغر المتبر سلك الله بنا وبه منهج الرشدا والرضا
آمين - وبعد فاني وقفت على المراجعة التي كتبها حضرة العلامة الفاضل كبير النفس
وشديد الغيرة ورفيع الهمة ، ذو المكارم الجمة ، أخونا رفيق بك العظم ونشرت في
الجزء ١٧ من المجلد السابع من المنار تحت عنوان (ضعف المسلمين بمزج السياسة بالدين)
واقتنا هذه الرسالة في آخر رمضان شهر الرحمة والغفران ورأيتكم وعدتم بكتابة شيء
في الموضوع فأخرت الجواب لعلمي بأنكم ان فعلتم تأتوا بالحق الصراح وفصل الخطاب ان
شاء الله وفي رمضان المعظم شاغل عما هو اهم من هذا ووراء ذلك كله سبب آخر وهو
ان محبكم الحقيق أصيب بالحمى وحين حصلت الافاقة ورأيت حضرتمكم ارجأ البحث
كتبت الى جنابكم هذه الكلمات لتتظروها أولا ثم تصلحوا ما يلزم ثم تنشروها في
مناركم الاغر عسى بتكرار نشر هذه الابحاث ان يجلي الله الصدا عن متخيلات الامة ،
ويكشف عنهم الغمة والظلمة ،

واقول أولا ليعلم القراء الكرام ان هذه الابحاث والمكتابات والمراجعات الصادرة
مني ومن الاخ الفاضل رفيق ، حقنا الله واياه بالتوفيق ، ليست من مباراة المتطعين ،
ولا من مغالبة المتعصين ، وانما مقصد كل منا ظهور الحق وبيان الحقيقة التي هي ضالة
كل مؤمن ومنصف وغاية كل منا تنبيه أهل ملتنا على حالتهم الواهنة وموقفهم الحرج
المهين بإزاء الامم المتراهنة في حلبة السبق الى مواقف الكمال وحلول منازل الشرف
والسيادة . فياعون الله وياغارة الله ماثنا وماذا حل بنا اين الأتفة والغيرة التي يتحقق بها
من يؤمن بقوله تعالى « ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف
يغلبوا ألفين » الآية ؟ أعدم وثوق بوعده تعالى شأنه أياها النصر ؟ إنه لمارعلينا ان نكون
من سلالة أولئك الابطال الشجعان ، ليوث المعامع والطمان ، الذين أجابوا بالتلبية داعي
الايمان ، ثم نحن نخضع ونرضى بخطة الذل وموقف الهوان ، فوا عجباه ووا أسفاه .
أف هذا الحين والجمود والعبودية لغير الله محبة في هذه الحياة المنغصة التي يزهد فيها كل
ذي شهامة ؟ ام انقلب الأمر وعكست القضية حتى صدق علينا قوله تعالى « ولتجدنهم
أحرص الناس على حياة » وقوله تعالى « يود أحدهم لو يعمر ألف سنة » أما تتلوها كما
كان يتلوها أسلافنا في أناس أهانهم الله وسلطنا عليهم ثم أهانونا وتسلطوا علينا ؟ أم كذبنا

بما وعد الله عباده المؤمنين تكذيباً؟ وليت شعري كيف يتصوران عاقلا يزهد في الدنيا وفيما عند الله معاً؟ نعم ذب الله من الحور بعد الكور «فإنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور» ويأتري من أي صوب رميناء ومن أي وجهة بليناء، وما سبب هذا الداء العضال، الذي حير ألباب الرجال

وأخونا الفاضل شريكنا في الألم والحزن والتوجع على القوم وقد أبان في ذلك من رأيه ما قد اطلع عليه القراء الكرام وأظهرت من رأيي ما ترجح لدي وكان من رأيه ان هذا السقوط الذي يكاد ان يقضي على حياة الامة باليأس والقنوط سببه مزج السياسة بالدين منذ بدء الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم الى هذا الوقت المزدول وشرحت من رأيي ان هذا المرض لم تصب به هذه الامة الا بعد الخلافة النبوية وسببه ترك الدين وكلما امتد الزمان وبعد العهد زاد بعدهم عن الدين وبذلك يزداد مرضهم وضعفهم الذي هم الآن يأتون من وطنه بلسان حالهم لا بلسان مقالهم. وقلت انهم لو مزجوا السياسة بالدين كما أمرهم الله المنزل بهم منازل. الاخ الفاضل يدعوهم الى تدارك ما فات العرب في بدء الاسلام من إقامة سلطة شورية نائية وأنا ما أنكرت عليه ما استحسنه من هذه السلطة بل وافقتة عليها كما اني وآياه ككل ذي لب وغيره مشتركون في الكآبة والنوح على ما أصاب أهل ملتنا وإنما أنكرت اطلاق ان سبب هذا الضعف هو مزج السياسة بالدين وتثنيه ان لو تركوا الدين جانباً والسياسة جانباً وتثنيه أيضاً ان لو سلك العرب في اقامة الحكومة مسلك الرومان وقوله في العرب : لعراقهم في البداوة : والحال انه يعلم ان من العرب بدواً وحضراً ومنهم تبابعة وسلاطين وأمرء وأقبالا ولو كانوا كلهم أهل بداوة لما صح نفيه صلى الله عليه وسلم من تحضر أن يعود الى البداوة والصحابة رضي الله عنهم هم سادات الحضرة وظني ان الأخ الفاضل انما أطلق هذا اللفظ على ما هو المتعارف في هذا الزمان من ان البداوة ليست نقصاً أو لعل مراده العرب غير الصحابة لأن محبتهم للرسول صلى الله عليه وسلم أنالتهم كل فضيلة فهم سادات الحاضرة ولكن لم يوجد لديهم تاريخ أساسي ولا سياسي للدولة لكون اسلافهم متأصلين في البداوة وهذا الاحتمال هو اللائق بعلمه وفضله . وأنا ذكرت ان الله تعالى أغنانا بما شرع لنا ولم يحوجنا الى الرومان ولا الى غيرهم على أن الوقوف على معرفة أحوالهم وتواريخهم كان

يومئذ متعذراً وفي غاية الاستبعاد فطريقتهم مجهولة مهجورة والحكومات التي كانت بذلك العهد شخصية استبدادية ولو قلنا ان العرب بل وأكثر طوائف ذلك العهد لم يداخل متخيلاتهم ولم يطرق اسماءهم شورى الرومان النيباية لم يبعد قولنا فاقترح ذلك على العرب أو غيرهم ليس في محله -

ورأيت أقرب من هذا الاقتراح لو ان المسلمين توجهوا الى الآيات والأحاديث التي تتعلق بالامامة العامة والحكومة فجمعوها وفرعوا عليها كما توجهوا الى ماورد في غيرها من سائر الفرعيات من عبادات ومعاملات وغيرها مما دونوه في كتب الفقه وشروح الحديث وغير ذلك وذكرت انه لم ينعمهم ويصدهم عما ذكر الا ظلم ظلمة المستبدين وقلت ان الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم لم تكن امارتهم شخصية استبدادية بل خلافة شورية أمرهم الله بها ووصفهم بها ومدحهم عليها وان لم يكن في استطاعتهم رضي الله عنهم نصب مجلس شورى انتخابي كالمعهود في هذا الزمان عند النصارى أو يكاد ان يكون مستحيلاً لأن أكثر كبارهم وقرائم وعلماهم الذين لوقع انتخاب لم يتمدهم كانوا متفرقين في الغزو والجهاد في سائر البلاد مشتغلين بقيادة المجاهدين ونشر الدين ولو أقيم مجلس شورى انتخابي منهم لفاتهم الغرض الذي لاجله بعث الله أنبياءه وأنزل كتبه وهو نشر الدين والبعض القليل بقي في جوار الخلفاء فمن ينتخب ومن يترك ومن هي الرعية التي تنتخب ؟ فلم يبق في استطاعة الخلفاء في اقامة هذا الواجب شرعاً وعقلاً إلا اعملوا به وهو انهم كانوا اذا نابهم الامر ينادون : الصلاة جامعة : فيجتمع من ثم من المسلمين ويعرض الامر للمستشار فيه فهذا عذرهم فاحفظه . وامام من سواهم ممن جاء بعدهم من الظلمة فقل فيهم ماشئت . بقي ان الصحابة رضي الله عنهم لم يدونوا لمن يأتي بعدهم الطريقة لتأسيس السلطة العامة فجوابه انهم لم يجمعوا غير القرآن حذراً من تدوين كتاب مع كتاب الله وقد ثبت ذلك في الرسالة السابقة -

أما قول الاخ الفاضل انه قد ثبت عند الاصوليين ان الانبياء قد يخطئون في اجتهادهم والعرب في صدر الاسلام لو فرضنا انهم اجتهدوا وأخطأوا فهل في ذلك ما يدعوا الى استبعاد ذكر هذا الخطأ : فأقول في جوابه ما ذكره من جواز اجتهاد الانبياء ثم جواز وقوع الخطأ فيه الذي لا يقررون عليه ذكره الاصوليون واضطربوا فيه وما جزم به هو

الحق الذي عليه أهل الاثر إنما بقي أمر وهو ان كان الصحابة وسائر العرب اجتهدوا واقاموا الحكومة وفرض أنهم أقاموها شخصية مطلقة فأخطئوا كما ذكر أفليس يلزم حينئذ تجوز الخطأ على إجماعهم وعلمهم المستعز وأنا وهو لا نقول به أما اذا لم يكن إجماع فاني لأستكبر ذكر هذا الخطأ إنما يستكبره الجامدون على التلميذ الذين يحيلون الخطأ من أئمتهم ويستثنونهم عن مجوز عليه الخطأ من افراد الامة -

قال الاخ الفاضل والرسول صلى الله عليه وسلم ام يؤسس دولة بل شرع شرعاً الى ان قال وليس هناك نص بعينه يبين كيفية تأسيس الدولة : كذا قال وليس بصحيح على اطلاقه من وجوه

(الوجه الاول) ان من ابعد كل بعيد ان يكون الشارع مع كمال حكمته و عدله وعلمه الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والارض يدلنا على كل أبواب الخير وطرقه ورسوله صلى الله عليه وسلم يعلمنا اكل الاخلاق حتى آداب العشرة وآداب قضاء الحاجة ثم يهمل الارشاد الى هذا الامر العظيم الذي به قوام شرعه وصلاح حربه (الوجه الثاني) ماهو الجواب اذا قالت الطواغيت المستبدة وحزبهم اعوان الشياطين و بطانات السوء انكم اذا سلمتم ان الشرع لم يبين تأسيس الحكومة وانما تركها الى اجتهدنا فأني قباحة اذا اخترناها شخصية مطلقة ؟ واذا كانت إمارة الخلفاء الراشدين مطلقة فلنا بهم اسوة فنحن مثابون على كلا التقديرين ومتبعون وأما ماترونه من سلاطيننا ظلماً فانما هو باجتهاد منهم وهم مثابون على ذلك الاجتهاد أيضاً لأن الامور العامة منوطة بهم واجتهادهم كاف ثم يقولون ان الاستشارة الواردة في الكتاب اذا لم تكن تأسيساً للدولة ولا بياناً لطرزها فايجابها على أي أمير باطل وغايتها ان تكون مندوبا اليها استجاباً

(الوجه الثالث) ان السلطة العامة اما ان تكون جمهورية نيابية أو شخصية مقيدة أو شخصية مطلقة لاسبيل الى الاخير لان تعيين الخليفة الشرعي مشروط برضاء المسلمين واختيارهم له وبيعتهم والاصل ان تبقى لهم هذه الحقوق بعد نصبه والافات فائدة منحهم اياها ابتداءً وايضاً فلا تعقل حكمة لهذا الانتخاب والبيعة الا اذا استمرت للامة هذه الحقوق في كل شئون الدولة؛ يؤيد ذلك حجية الاجماع

وان الامة لا تجتمع على ضلالة وانهم كالجسد الواحد الى غير ذلك من وصفهم بالاتحاد والاشترك وتعميمهم بالخطاب ووصفهم بالتعاون على ماورد من أصول المدنية وتكميل كل خير عمومي وفي القرآن والحديث من ذلك الكثير الطيب وكله مناف لتعيين اشخاص تستبد فأقل حالات المستبد أن يكون عاصياً بترك ما أمره الله وأوجه عليه من استشارة المسلمين وهذا الواجب لا يسقط بمجرد اختياره اناساً من خاصته الذين يتلونون بولونه ويتكيفون كيف شاء اذ لا يكون باستشارة هؤلاء مستشيراً للمسلمين لاشراً ولا عرفاً أما المستبد الظالم فتهديدات الشارع وزواجه وإيعاده بغل يديه تارة وبالنار أخرى الى غير ذلك من القوارع لا يبقى معها شك ان اقامة هذا القسم من الحكومات لا يأتي بها الشرع المتين ، ولا يرضاها الله ولا رسوله ولا المؤمنون ، وتجوز ان الله شرع وأرشد إلى حكومة مطلقة إنما يقوله البغاث والغثاء الذين لا يعبأ الله بهم المتزلفون بالمصانعة والنفاق الى طواغيتهم الظلمة فقولهم هذا عار وخزي على المسلمين كما انه كذب صريح على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو تنقيص لا كمل الاديان يقتضي نسبة الظلم وتقريره والرضاء به على الله ورسوله (ص) وان يكون الشرع آتياً بنقيض ما تستحسنه العقول السليمة ويكفي في رد هذا القول مجرد حكايته ويكفي في عدم المبالاة بقائله الذين هم أهون على المسلمين من قامة الطريق مع وضوح افتراءهم صغراً أنفسهم وسقوط همهم واقتصارهم على الحظوظ الشخصية واختيارهم هذا العرض الأدنى واستبداله بالذي هو خير وتركهم الانسانية واعوجاجهم عن طريق العقل مع الوقاحة وقلة الحياء والغيرة قلل الله عددهم وأخزاهم

واذا بطلت الحكومة المطلقة شرعاً وعقلاً بقيت الحكومة المقيدة ، والحكومة الجمهورية النيابية ، فاذا نظرنا بالانصاف والعدل ورمينا الافراط والتفريط بعيداً عنا وانا ان الشارع لم يهمل هذا الامر العظيم وان إرشادات الكتاب والسنة دائرة على جواز تأسيس إحدى هاتين الحكومتين على التبادل واختيار إحداها بالمصلحة التي تقتضيها حاجة المسلمين وعلى الحكومة الاولى مضت سنة الخلفاء الراشدين ويدل عليها قوله تعالى مخاطباً لرسوله صلى الله عليه وسلم « وشاورهم في الامر » وقد قرر علماء الاصول ان الامر يقتضي الوجوب فهذه الآية أصل عظيم في جواز تأسيس الحكومة

الشخصية المقيدة بالشورى ، بيانه ان الاستشارة واجبة وترك الواجب معصية فترك الاستشارة معصية وقد جاء في الحديث : لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق : والسلطان المستبد مخالف لامر الله في حكمه وكل مخالف لامر الله في حكمه لا يرضاه بل يستخط عليه فالسلطان المستبد لا يرضاه الله شرعا فلزم أن هذا السلطان لاطاعته ولا يرضاه الله فلا يكون شرعياً الا اذا كانت سلطته مقيدة بالشورى فالمسلمون ينصبون الخليفة ويؤتونه وهذه الآية الكريمة تقيد سلطته وتبين طرز الحكومة فتعينه ونصبه بأيديهم وأمور الحكومة مشتركة بينهم وبينه بحكم الشرع والعقل ويجب عليهم نصحه وطاعته في كل منصوص شرعا أو ما أجراه بعد إيراد أهل الرأي والمشورة وتكون طاعته في الامر الاول كوجوب امتثال حكم القاضي ، ولا يلزم في احكام القضاة المنصوصة المشاورة واذا كان الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بمشاورة المسلمين مع عصمته وتأيدته بالوحي من السماء فما بالك بمن يجوز عليه الخطأ وهو يدعي انبياءة عن هذا الرسول المقبول وانه من اتباعه وأتمه أيلق به أن يرغب عن نهج متبوعه الا ان يكون كاذباً في دعواه مارداً متمرداً والله تعالى لا يرحم المتمردين

ووالله ان هؤلاء الظلمة وأعوانهم قد تجرأوا على الله وخالفوا أمره واتبعوا غير طريق الرسول (ص) والمؤمنين وخالفوا العقول واستغنوا عما لم يستغن عنه من يدعون أنهم نائبون عنه. أفسدوا أمر الامة وأوهوا قواها وأماتوا إحساسها وشعورها ولقد بلغ هؤلاء النوكى من التهاافت المبالغ الاربأوهم للامة والدين والعقل أعداء . فلا أهلاً ولا سهلاً بهذه الوجوه القامحة ولا سمعاً ولا طاعة ولا هم امراء أو نابل الخصوص اللد . ولكن ذلك عقاب ما كسبت ايدينا والتقصير منا واللوم عائد علينا إذ وسدنا أمورنا الى مثل هؤلاء وجعلناهم مختارين وخالفنا بذلك ديننا وعقول العقلاء ولو انا نشترط مع تأمير كل أمير ما يضمن لنا السلامة من فجوره وفتكه في أمورنا وانفسنا لما تعدى طوره (١)

(١) المثار : يظهر أن الكتاب يخيل أن الواجب في الشرع من اختيار الامة لأمر المؤمنين واقع بالفعل وان كانت أساءات الاختيار لجهلها ولو استملى الوجود دون التصور الخيالي اقل ان انبلاء المسلمين بهؤلاء الامراء هو عقوبة على تركهم مقومات الامة حتى صاروا أفراداً متفرقين لا يجتمعهم جامع يحقق فيهم معنى الامة التي تختار امراءها وتلزمهم بالتزام شريعتها فوئب عليهم المتعلبون ، وأذا قوهم عذاب الهون ، وانما تكشف الغمة ، اذا صاروا أمة ،

ليس من العجيب الغريب ان تأتي ونعمد الى شخص كسائر افرادنا فترفعه ونعلي رتبته ونوليّه اموالنا وأعراضنا وانفسنا ونحن نرى ونذوق من امثاله من ممرات الاستبداد والظلم ما يضع مضجع الجبال ولا يجبهه الاطفال ومع ذلك كله لانشرط عليه شروطاً شرعها الله وقضى بها العقل؟ وهل هذا الا عار على الانسانية وترك للدين او سفاهة وجنون اللهم سلم

أما الحكومة الثانية أعني الجمهورية النيابية فيستدل على جوازها بقوله تعالى «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض» وقوله تعالى «وأمرهم شورى بينهم» بيانه ان وعد الله لهم بالاستخلاف جاء تنبشيرهم وادخال السرور على جميع المسلمين وهو لا يتحقق الا اذا كان أمراً الاستخلاف مشتركاً بينهم ولكل فرد منهم فيه حق يستوفيه ويباشره بنفسه أصالة أو بآيابة من يثق به وهذا المعنى يتم بانتخاب النواب في الجمهورية فالآية تدل على هذه الحكومة وتحتل الدلالة على الحكومة المقيدة أيضاً كل منهما في الوقت اللائق به

أما قوله تعالى «وأمرهم شورى بينهم» فهي تبين وصفهم على سبيل المدح والرضاء والتقرير في الحال والاستقبال والمراد بالامر الذي لا يجوز ارادة غيره الامر الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشاورهم فيه جملة في هذه الآية بينهم مشتركاً لم يخص به أميراً دون مأمور على تنزيل المعلوم الموعود به في آية الاستخلاف منزلة الموجود والخبر بهذه الصفة يفيد معنى الأمر مع زيادة تأكيد دلالة على الحال والاستمرار بخلاف الامر بصيغته وافضل فانه لا يدل على التجدد

ومما يحتمل ان يراد به هذه الحكومة أو شبهتها قوله تعالى «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول» الآية وللمفسرين في أولي الامر قولان الاول الامراء والثاني العلماء ومآل التفسيرين ومعناها واحداً لان الامراء الذين يأمر الله بطاعتهم لا بد وان يكونوا علماء وقد تقدم ان الله لا يرضى بتأمير الجاهل ولا يأمرنا بنصهم للخلافة قط ولا يجوز لأي طائفة من المسلمين ان يختاروا للامارة من كان بهذه الصفة سواء كان من نواب جمهورية أو من أهل شورى مع الامام أو من سائر العمال . وجه دلالة الآية ان المأمور بطاعتهم في هذه الآية جماعة

لأسباب على قول من قال ان أولي الأمر العلماء ولا تحقق اطاعة كلهم أو أكثرهم الا اذا كانوا مجتمعين معينين بالشخص والزمان والمكان واتفاقهم على أمر واحد وكل ذلك لا يتصور الا في الجمهوريات أو مشايخها على الأقل . والمراد بالعلماء العلماء بالكتاب والسنة اذ لم يكن اذ ذاك علماء سواهم وهم الذين يردون فصل متازعاتهم الى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم اما المقلدة فانما يتحكون الى كتب مذاهبهم والى ما وجدوا عليه آباءهم من كتب واقوال مشايخهم، والعلماء والائمة قد ذموا المقلد ونهوا عن تقليدهم وقالوا المقلد حاطب ليل وقالوا ليس هو من العلماء ولا هو داخل في عدادهم وزمرتهم وايضاً قوله تعالى «فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول» يؤيد ويوضح ان المراد بذلك طاعة أهل الحكومة الجمهورية أو ماهي قريبة منها ومشابهة لها اذ لا مراجعة ولا رجوع بعد النزاع الا في هاتين السلطتين أما حكومة القراعة والتماردة المستبدة فلا يستطيع أحد من الاعيان فضلاً عن عامة الرعية مراجعة أصحابها فما بالك بمنازعتهم وايضاً قوله تعالى في شئ عام يدخل فيه التنازع في كل الاشياء وبعض هذه أشياء الحكومة فاذا كان المتنازع فيه أمراً من أمور الحكومة فالمتنازعون فيه هم أهلها وهو المراد . يؤيده انه لو كان المتنازعون غير أهل الحكومة لكان رد تنازعهم الى أهل الحكومة ليفصلوا بينهم بحكم الله ورسوله (ص) فلزم ان أهل الحكومة هم المتنازعون وذلك لا يكون ابداً الا اذا كانت الحكومة جمهورية او قربية منها والله اعلم وهذه الآية الكريمة حملها اعوان السلاطين المستبدين على غير محملها وارادوا منها غير ما اراده الله فوهوا على المسلمين وخوفوا بها العامة وقادوهم بها مرغمين افتراء على الله ورسوله « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » من زوال النعمة والرياسة ثم غضب الله وعذابه

بقي امر وهو ما اذا تغلب على امر المسلمين احد هذه الطواغيت فهل يجوز خلعها والخروج عليه ام لا والحق انه يجوز خلعها او يجب واما الخروج عليه فلا يخلو اما ان ترجح المصلحة على المفسدة واما ان يتساويا واما ان ترجح المفسدة على المصلحة ففي الصورتين الاولين الجواز او التدب وفي الاخيرة اختلاف الجمهور من المتأخرين قالوا بالمنع واجازه كثير من السلف وقد خرج جماعة من كبارهم على جبايرة زمانهم

ولم ينقل الينا عن علماء ذلك العصر انكار عليهم ولم يدعهم احد منهم ولا من المتأخرين القائلين بالمنع أيضاً اما الاحاديث في هذا الباب فهي كثيرة وبعضها قد يوهم التعارض ومن جمع بين اطرافها وتحقق خوى خطابها عرف ان الاولى والافضل عدم الخروج في هذه الصورة لاعدم الجواز لان السائل لما قال لاني صلى الله عليه وسلم: أجالدهم بسيفي هذا: قال له «الا أدلك على ما هو خير لك من ذلك» وأرشدته الى الكف عنهم ووقع مثل هذا السؤال من كثير من الصحابة فأجابهم بمثل ذلك أو مقاربه وهو لم يقل لأحد منهم انك ان فعلت ذلك تكن من الظالمين المعاقين وفي بعضها اطلاق الأمر بالطاعة وفي بعضها تقييدها بغير المصيبة وقد كان هؤلاء السائلون افراداً كل واحد يسأل عما يفعل حالة كونه منفرداً فجوابه صلى الله عليه وسلم بالكف والصبر يحتمل أن يكون من باب الشفقة واثلا يكلفهم ما لا يطيقونه مع تحقق عدم المنفعة والجدوى بخروجهم أو لثلا يفتح باب الفتن لآثمته وخوفاً من أن يحمل كل ظالم من أهل البغي وقطاع الطريق سيوفهم بدعوى التأويل فيخرجون على الأمة يضررون بها وفاجرها وقد صرح بهذا عليه السلام وروي عنه في احاديث كثيرة فأرشد الى ما هو الاحوط والافضل

أما اذا كان الخارجون على هذا الظالم طائفة يترجح عادة ان يزيلوا ظلمه ويكبحوا جراحه فلا ريب ولا شك في جواز خروجهم عليه حيث امن ان يكون خروجهم فرصة يقتتها عدو الدين اعني الكفار فاذا امن هذا المانع فأقل الحالات دخول جواز الخروج في عموم احاديث الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهي تؤذن بجواز ذلك ان لم تقل باستحبابه وقد قال صلى الله عليه وسلم: من رأى منكماً منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فليذكره بقلبه: وفي روايات زيادة وذلك اضعف الايمان

قال اخونا الفاضل: والذي يستنتج من رأيه هذا ان الخلافة لو بقيت باختيار اهل الحل والعقد ووسدت الى أهلها ممن عناهم حضرته لما حل بالأمة من مصائب الاستبداد ما حل ولما طرأ على الدولة الاسلامية من الضعف ما طرأ الى أن قال: وما دام مسلماً معنا بهذه المقدمات فقد كان يلزمه أن يبحث عن السبب الذي أفضى بالخلافة الى غير أهلها ويبين

الوجه الذي يضمن بقاءها على ما تركها عليه الخلفاء الاولون سائرة على نهج الحق والعدل لاسبيل لا أولئك النازعين الى الملك المتوطين على الخلافة الى خرق حرمتها والتقلب على من كانوا أهلها واحق بها ويرى ما الذي أدخل على مركز الخلافة الاضطراب من عهد الاضطراب عهد الخليفة الثالث رضي الله عنه حتى زعزعت عواصف الفتن الخ

وأقول قد تقدم لنا ذكر تأسيس الحكومة الاسلامية شرعا وبيان خلافة الخلفاء الراشدين بما له وما عليه وفيه الكفاية على اختصاره وجواب هذا السؤال أن نقول قال الله تعالى « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء والا فهل يمكن أن يكون في طوق البشر صد كل الحوادث والاحتراز عن جميع الطوارق التي تأتي على غير المعتاد والمتنظر وهل يلزم من وجود الأسباب اتقاء المعارضات والموانع ؟ لا شيء يقطع للملك بالدوام ولو بلغ من الانتظام والاتقان ما بلغ ، والافليبيين لنا أخونا الفاضل ماهو السبب الذي تداعت له أركان جمهورية الرومان ، ولماذا هاج وماج وذهب أدراج الرياح ذلك النظام المستقر على النواميس السياسية والبراهين العقلية الطبيعية لحكومة كانت نيابية تجدد في أوقات مقررة فاضمحلت بعد الهرم حتى لم يبق لها عين ولا أثر أيام ظهور الاسلام والفتح الاسلامي والحق أن يقال سنة الله في خلقته « وتلك الايام ندأوها بين الناس » ونحن لا نترك الاسباب بل نعمل ونجتهد فاذا غلبنا فوضنا مع الاعتراف بأن لله الحكمة البالغة وهو أعدل الحاكمين وما أصابنا من مصيبة فيما كسبت أيدينا

على أن سبب تلك الاعاصير والزواجر التي زعزعت صراقات الخلافة في دورها الثالث معلوم مذهبها الا وهي ديمية ذلك الوزغ الطريد رنجت على أولئك الأغبياء الذين اوردوا الخليفة حياض المنون وفتحوا على الامة باب الشر والبلاء وهم لم يأتوا ما اتوا بدعوى دينية وانما ساقهم الى الخروج سورة غضب من لم يستبذ ولم يغضب لله ولدينه يوضح ذلك طلبهم واقتراحهم عليه مالا يستحقونه شرعاً من خلع نفسه أو تحويلهم ذلك الطريد المنجوس ، والأول ليس لهم انما هو الى كبار الامة أهل الحل والعقد وتأديب المجرم الى الحاكم وهو هو اذ ذاك ولو انهم طالبوه بالحقوق الواجبة عليه الامة من إقامة مجلس شورى ونحوه لكان هناك شبهة على انهم قاموا عليه بدعوة دينية . على أن تلك العصابة كانوا قبل ذلك الحادث الحزن خاضعين مذنبين

له باستحقاقه الخلاف أو حقيقتها وعلى كل حال فالاولى بنا أن نقول « تلك أمة قد خلت » الآية وانما موضوع البحث ان الشارع هل وضع اصلا تؤسس عليه الحكومة أم لا وقد مر بيان ذلك

وقوله : فاذا توهم أخونا الفاضل ان هذه الحياة لا تكون طيبة سعيدة الا اذا انصبغت بصبغة الدين فما رأيه في اليابانيين وهم من الوثنيين؟ جوابه أني لم اتوهم ذلك ولم أقل ان العقل بمجرد لا يدل على حسن هذه الحياة السياسية وانما قلت ان المسلمين هم اولى بها عقلا وشرعا . هذا وقد اتفق العقلاء على أن أقوى أسباب الاتحاد والتعاون والهجوم والدفاع هي الرابطة الدينية والجبائيون وان كانوا وثنيين ومعارفهم ليست فرعا عن داع ومحرك ديني فاتحادهم وثباتهم في ميادين الوغى المشهودة انما هو ناتج عن اتحادهم الديني بزعمهم وكل حزب بما لديهم فرحون »

أما من تركوا الاديان بالكلية وانخرطوا في سلك الدهرية فاتحادهم المتكلف للصالحه هو اوهى من بيت العنكبوت ولذلك لا تجدد دهرها متحققا بدهريته شجاعا ابدا بل هو أحرص الناس على الحياة وأشد الناس حرصا وجهدا في أسباب الثروة والراحة لا يبالون من أي طريق وجدوها سواء لديهم الحياة وتقض العهد والاعتقال والظلم الا اذا خافوا ضررا يحبط أعمالهم أو صوبية تؤدي الى إلتفاف الانفس والأموال والمنفعة المترتبة لهم في مقابلة ذلك أقول . فاذا توجهوا أمامهم هذه العقاب والصعاب تكايسوا وعادوا الى روغانهم وكلامهم المشهور عنهم من ذكر المدنية وحب الامان والانسانية وشبهها من حبالات مكرهم وخداعهم . والعقلاء منهم عرفوا ذلك من أنفسهم ولهذا تلبسوا بلباس عامتهم الديني وشاركوهم في رسومه الظاهرة حرصا منهم على بقاء الرابطة الدينية في عامة أقوامهم . وهم تحققوا وعرفوا ان العامة تكون بدعوة الدين ترسأ وحائلا عظيما لحفظهم وصد كل هاجم على بلادهم وأعراضهم وأنفسهم وأموالهم ، وتارة يصدرون العامة ويخذونهم آلة للهجوم وفتح البلاد أما ان أحدا من هؤلاء الدهرية التاركن للدين يستमित في هذه السبيل فحاشا وكلا لان ذلك مناف للوازم مازعوا أنهم درسوه من علومهم ومناقض لما قام بأنفسهم واعتقدوه وان شذ أحد منهم فذلك لأسباب أخرى كأن تنفصت حياته بالآلام حتى انقلب عليه نعيمها عذابا وصفوها كدرا وحينئذ

قد يرغب بعضهم عن هذه الحياة ولهذا وامثاله ترى بعض هؤلاء ينتحرون باخضاعهم
وهؤلاء هم كبار الزنادقة وعلماءهم ومثلهم في حب الحياة والحرص عليها من تدين بدين
يعلم بطلان كاليهود الذين كانوا في عصر نبينا صلى الله عليه وسلم

وفي مقابلة هؤلاء وعلى نقيضهم علماء الاسلام واهل الايمان وحزب الرحمن الذين
يتحاربون في الله ويتعاونون له مستعينين به ويشفقون على اهل ملتهم وعوامهم ابتغاء مرضاة
الله تعالى لا يخلون ولا يجبنون ولا يتخذون العامة وقاية وترسا بل يتقدمون الصفوف
ويصافحون الخوف رجا فيما عند الله ومزيد رضاه ويؤثرون على انفسهم ولو كان
بهم خصاصة ، تحققوا بوراثة النبيين وعلموا انه مامن فعيلة ومزية اخروية او دنيوية
الا والوحي وفق العقل رائدها ودليلها وموضحها إيجاباً واستيجاباً أو إباحة وانهم
مناجون في كل ذلك حتى في اللقمة يرفعها احدهم الى فيه ، وما من رذيلة او اثم او
نقيصة دنيوية أو اخروية الا وقد كرهها لهم الدين المبين . فكل العلوم والمكاسب التي
فائدتها ونفعها أكثر من ضررتها المستعملة لتقدم الطوائف وشرفها فأكثرها لا يخط
حكمها عن فروض الكفاية وقد يكون بعضها من فروض الاعيان ومنها ما يستحق حكم
الاستحباب وأقل حالات بعضها الاباحة ومن عرف دين الاسلام عرف ما ذكرناه

ولما فسد هذا الصنف من المسلمين فسد سائر الامة الا اناساً قليلين غرباء
لا يزالون يدعون الى الصلاح والاصلاح فنسأل الكريم المحيبن ان يكثر عددهم وعددهم
ويؤيدهم بروح منه . ولقد ظهرت في هذا العصر تباشير الطفر والنجاح ، وطلعت
اعلام الهدى والنجاح ، وزال الغطاء عن أذهان كثير من المسلمين فلا يزال يزداد
اشتراك المسلمين في معارف هذه الطائفة المصلحة وذلك بفضل مولانا الامام وشيخ
الاسلام المفتي محمد عبده توجه الله بتاج عزه ، وأخزى عدوه وأزله ، وأرداه في رزاه ،
ووقفنا الله وإياه الى الحق واشاعته ، وارضاه الله وطاعته ، وأعان من تصدى لخدمة
هذه الطائفة وبذل المجهود والجهد في اظهار الحق ونشره امين

أما قول أخينا الفاضل اني استعظمت قوله بترك الدين جانباً والسياسة جانباً حتى
تفرس في سوء الظن به حفظه الله فصحيح ولقد صدقت فراسته والحق أحق أن يقال وصدق
رسول صلى الله عليه وسلم « اتقوا فريسة المؤمن » الحديث وكان ذلك قبل معرفتي

بحاله اما الآن فقد ذهب ذلك الظن واستغفر الله لي وله وسرني سروراً لا مزيد عليه موافقته اياي على ذم التمهيدات والتقليد الذي فرق المسلمين ونهك اتحادهم وذكر ان له فيه كلاماً طويلاً في كتابه (أشهر مشاهير الاسلام) وددت لو اني اطلعت عليه ولكن حتى الآن لم يسره الله لي جعلنا الله وإياه من حزبه ووفقنا للعمل الصالح واتباع كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

في ٣ ذي القعدة سنة ١٣٣٢

(صالح بن علي اليافي)

(المنار) كثر في هذا الزمان الطعن في الاسلام حتى من بعض المنتسبين اليه واشد ما يطعنون فيه شكل الحكومة اذ يظن الاجانب انها حكومة ملكية مطلقة ومن المسلمين المشتغلين بالقوانين من يظن ذلك ومنهم من يقول ان الشريعة الاسلامية لم تبين شكل الحكومة ولم تضع لها أصلاً ثم ان المستبدن الذين اتخذوا علماء السوء أعواناً يقنعون العامة بأن الخضوع للسلطة الاستبدادية الشخصية فرض ديني حتى انه ليوجد في العامة من يعتقد ان اتقاد أعمال السلاطين كفر . بل سمعت رجلاً خطيباً ومدرساً رسمياً يقول من يعترض على السلطان فأننا لا نعتقد بصحة اسلامه . لهذا نرى كثيراً من أصحاب الفيرة طفقوا يبرؤون دين الاسلام الحق وشريعته العادلة بما يقول الاعداء له والجاهلون به ورفيق بك يوجه كلامه الى هؤلاء المعاصرين ويريد من الدين القسم التعبدي الذي يجب الاخذ فيه بظواهر النصوص الواردة في الكتاب والسنة بلا تصرف ولا زيادة ولا نقصان ولا ينكر ان للحكومة أصلاً اجتهادياً في الشريعة فكلامه في ترك الدين جانباً والدنيا جانباً مبني على الفرق بين القسم الديني المحض من الشريعة والقسم الدنيوي المحض وهو اصطلاح عصري وكلام الشيخ صالح اليافي مبني على عدم التفرقة وهو الاصطلاح الاسلامي القديم وقد فتحنا باباً في المنار لمناظرتهما ليتجلى الحق في هذه المسألة العظيمة التي هي مصدر كل شقاء إذ لا ينبغي البحث الذي عني على أهله قروناً طويلة الا بكثرة المراجعة وإيضاح الدلائل . واما أهل الذكاء والاطلاع فيكتفون بما هو دون ذلك ، وقد نشرنا في المجلد الرابع ما ورد في الاخبار النبوية وآثار السلف في مسألة الحكومة الاسلامية وجمعنا بين الاحاديث التي أشار اليها الشيخ صالح في مقالته هذه . والاحاديث التي أوردناها هناك ثلاثون حديثاً ونيفاً ، وقد جلى الاخ الصالح أصل المسألة على ان في بعض كلامه مجالا للبحث وان لنا لعودة الى الموضوع في زمن قريب ان شاء الله تعالى

أثر علماء الأزهر

(كتاب العلم والعلماء ونظام التعليم)

كتاب صدر من عهد قريب وكتب عليه أنه السفر الأول من أسفار (التعاليم الإسلامية) مؤلفه الشيخ محمد بن إبراهيم الأحمدى الظواهري أحد علماء الدرجة الأولى بالأزهر والمدرس فعلاً في الجامع الأحمدى بطنطا وهو من النابتة الجديدة الأزهرية التي فطنت لسيئات النظام القديم (أي عدم النظام) في الأزهر وفساد طريقة التعليم فيه ، وشعرت بحاجة المسلمين إلى إصلاح ذلك وإلى العناية بوضع طريقة جديدة للتعليم الإسلامي ولتربية المسلمين ، والا كانوا حرضاً أو كانوا من المهالكين ، وهذا الكتاب مؤلف من تسعة أبواب أولها في العلماء وفيه بيان وظائف العلماء وأقسام التعليم وأبحاث في الأخلاق والإرشاد والعبادة والنفوذ والتأثير و (التنوير) العام والجراند والمجلات ، وبيان حال العلماء اليوم وما يجب عليهم وطريقة نيل العالمية ومراتب العلماء . وثانيها في المدارس الدينية ونظامها ومعارف طلابها ومعيشتهم وآدابهم وعقائدهم ونتيجة تعلمهم ومدة دراستهم والإصلاح وطرقه فيهم . وثالثها في العلوم وفيه الكلام في الفقه والتفسير وسبب انهالهم فيه والحديث وثمرات علمه وكيفية الاشتغال به ، والتوحيد والبلاغة والدعوة الإسلامية الخ ورابعها في طرق التعليم ونظامه وفيه بيان اهمال العلماء في أمر التعليم وإهمال المشيخة في التعليم وعيوب طريقة الأزهر وطرق إصلاح التعليم . وخامسها في تعليم الجمهور وهو تعليم المدارس الأميرية والأهلية وتعليم العامة والبعثات العلمية . وسادسها في التعليم الابتدائي وبيان تقصيرنا فيه . وسابعها في الإرشاد وطرقه والوعظ والخطبة . وثامنها في طرق تنفيذ الإصلاح وفيه الكلام على المكافآت وعلى كساوي التشريف . وتاسعها في الإدارة الدينية وفيها الكلام على الإدارة الدينية ومشيخة الجامع الأزهر واقترح مؤتمر إسلامي ومجتمع عام للعلماء وخاتمة الكتاب في بيان مبدأ مؤلفه أي رأيه ومشربه

تلك أبواب الكتاب وجل مسائله ويسرنا جداً أن نرى من أثر النهضة الجديدة

مدرساً أزهرياً يتكلم في المسائل العامة ويبحث معنا في حال المسلمين ويشعر مع عقلاء الأمة بموقف الأمة المحفوف بالآخطار ويوجب السبي في تلافي ذلك ويعلن رأيه بكتاب ينشره بين الناس ، فقد نج صوت الاستاذ الامام من نداء الإيقاظ والتنبيه فرأينا عيون بعض تلامذته في الازهر قد فتحت ، وأعناقهم قد التفتت ، ولكن مازالت اللسنة ساكنة ، والاقلام ساكنة ، حتى سمع هذا الصوت الشديد ، ورؤيت هذه الحركة العنيفة ، أعني هذا الكتاب الذي أغلظ في الإنكار على ما يراه من المنكرات وأبرزها في اشنع صورة وأقبح منظر مما كنا نتخامى مثله في انتقادنا ولم نعلم مع ذلك من عدنا مشددين او متحاملين . وقد دعا الى انتقاد مسائل الكتاب شأن المخلص الباحث عن الحقيقة ولكنه نهي عن انتقاد عبارته وهو يدعو الى اصلاح القول كما يدعو الى اصلاح العمل ويعلم أن العلم الاسلامي لا يرتقي الا اذا ارتقت اللغة العربية وانتقاد العبارة وسيلة لا ارتقاها . وما ينبغي ان تكون عبارة مدرس من الدرجة الاولى وداع من دعاة اصلاح العلوم العربية الا بمكانة يقل فيها الخطأ في الكلم والجمل والاسلوب والرسم وانا لنهتم أولاً بالبحث في مسائل الكتاب ثم نذكر ما نراه في عبارته بعد ذلك ونكتفي في هذا الجزء بذكر رأي المؤلف الذي جاء في خاتمة كتابه تنويرها به قال ما نصه بحروفه

«أرى على الاجمال انا معشر العلماء في نقص كثير وتقصير كبير واهمال زائد في أداء ما توجبه علينا للأمة وظيفتنا الدينية من التعاليم والارشاد وغرس المبادئ الشريفة وتأسيس المذاهب الكمالية والتفنن في سبيل اعلاء كلمة الدين وترقية الشعوب الاسلامية الخ الخ وانا قد بلغنا في هذا النقص والتقصير حداً لم يبق للعلماء معه رفعة ولا احترام ولا للأمة الاسلامية شائبة قوة ولا تقدم ولا ارتقاء في حال من الاحوال . وان من الواجب التنبيه الى هذا الامر الخطير والمبادرة الى الخروج من هذا النقص والتقصير والهتوض بالامة الاسلامية وتخليصها من هذا الخطر الذي أحرق بها بالارشادات العالية والتربية المفيدة . أرى ان الأمة قد فاقت العلماء الحاضرين في كثير من مراتب الاستكمال والترقي العقلي وأنه قد فقدت صفة التناسب بينهما حتى لم يعدوا مؤثرين عليها (كذا) وكان الواجب ان يكونوا دائماً هم الفائزين ليكون لهم ساطع على القلوب وتأثير في العقائد والاميال والأعمال . أرى وجوب البحث والتدقيق والتدبير في معرفة ما هو

كأننا لنسارع الى التحقق به ومعرفة ماهي وظيفتنا وما هي واجباتها حتى نوصل الليل بالنهار في طريق القيام بها واتقانها. أرى وجوب البحث في معرفة ماهي الغاية التي يدعو اليها الاسلام وماهي المبادئ والاحوال التي ينبغي ان يكون عليها المسلم في العصر الحاضر لكي ترشد الناس اليها. أرى وجوب استئصال ما هو متفش بين الامة والعلماء من العقائد الفاسدة والآراء السخيفة. أرى وجوب التفاني في عتق الامة من رق الاوهام وتخليصها من النقائص التي لا تكاد تنتهي. أرى ان أجزاء الكمال الاسلامي قد تفرقت وتشتت فكان منها شيء عند الصوفية وشيء عند العلماء وشيء عند (المتورين) من طبقات الامة (كل حزب بما لديهم فرحون) وكان منها ما فر من أيدي الامة الاسلامية وحل عند الامم الغربية وما لا يكاد يوجد من يتصف به وأرى أن العالم الكامل هو من يأخذ بأطراف هذا الكمال أو بتعبير مشهور من يمزج الحقيقة بالشريعة ثم يمزج هذا المجموع بخلاصة التقدم الغربي والتمدن الحديث ويجمع صفات الكمال المتفرقة في الامم والأفراد

يستمد في علمه من العقل المفكر والنقل الصحيح والوجدان العاليي الحاصل من التقرب الى الجنب الأقدس . لا يقدر العادة ولا يثق بفكره، يبشر وينذر ويدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ويتفنن في أساليب الدعوة وطرق الارشاد، يبحث عن اللب ولا يقف مع القشور، يلاحظ مقاصد الشريعة واسرار التشريع، يقدم الاصول على الفروع والحاجيات على التحسينات . يقرب المعقول من المنقول . يصفح ويسامح ويصافي سائر الطوائف والفرق الاسلامية ولا يجادلهم الا بالتي هي أحسن (كأهل الكتاب) وي بذل الجهد في احياء الجامعة الدينية وامانة المميزات الخلافة وترقية الامة الاسلامية ويبحث في العالم مبدء اسلامياً عالياً هو المبدأ الذي جاء سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم ليعطيه لسائر الامم . يسعى في سبيل سعادة الدارين وعمارة النشأتين . يجتهد في سبيل تربية أبناء المسلمين وتقويمهم وارشادهم ويسلك في التربية والتعليم والارشاد الطرق الصحيحة والاساليب العالية . لا تفتر له مهمة ولا تراخي له عزم في سبيل الوصول الى تلك الغاية السامية والمطالب العالية والدعوة الى هذه المبادئ ونشر تعاليمها بين الناس سرّاً وعلانية . أكبر همه أن يعي قدر المسلمين

ويرفع من شأنهم ويرشد هم الى ضروب السعادات الدنيوية والاخرية وان يظهر في الكون مبدءاً اسلامياً عالياً وأمة مسلمة جديدة وطبقة أخرى ككاملة تضع غاية التصوف في فؤادها ونهاية العلوم في رأسها وتحمل لواء الدين الاسلامي باليد اليمنى ولواء التقدم المدني باليد اليسرى وتسير بسم الله في حرب الاهواء السخيفة والآراء الضعيفة والاخلاق الناقصة والفرق المتدعة والمارقة من الدين مؤيدة بالنصر معززة بجنود الحق (وما التصير الا من عند الله)

هذا رأيي ومذهبي ابنته ليكون اما مبدءاً عاماً واما مشروع مبدءاً عام يعدله اهل العقول الكاملة والافكار الصحيحة . ولو ان كلاً بيدي ما يكن خالياً من كل تعصب ملتزماً للآداب طالباً للحق قابلاً له ولو من اصغر صغير لا يمكن للناس ان يبلهوا من غايات الكمال . ما لا يكاد يخطر بالبال . اهـ

الخواطر العراب * في النحو والاعراب

نوهنا في الجزء السابع بهذا الكتاب قبل تمام طبعه فالقراء قد عرفوا انه تأليف جبر افندي ضومط م . ع أستاذ العربية في الكلية الأمريكية ببيروت وعرفوا أن أسلوبه جديد سهل علم النحو على طلابه ، ويدخلهم اليه من أقرب أبوابه ، وقد سألنا عنه غير واحد من المشتغلين فنشرهم بأنه قد تم طبعه ونشر فكانت صفحاته ٣٣٤ وهو امثل كتب التعليم التي رأيناها ، يفيد قارئه نحو وإعراباً ، ومعاني وآداباً ، بما فيه من الامثلة المختارة والشرح والتمرين . وعبارة الكتاب كمبائر كتاب العصر سهولة واسلوباً لذلك لا تخلو مما عساه ينتقد على المعاصرين ولعل بعض ذلك على قلته مبني على ان المؤلف يرى صحته فقد صحح في كتابه بعض ما ينتقده العلماء بحسب القواعد او السمع كما فعله في باب العدد . ولا يعرف فاضل الكتاب الا بالاطلاع عليه او بإيراد نموذج منه ولعلنا نورده في جزء آخر

(النوادر المطربة)

كتاب لطيف الحجم جمعه من كتب الادب إبراهيم أفندي زبدان وجهله خمسة أقسام - النوادر المطربة ، محاسن المحبوب ، وصف الشعر ، الغزل ، منظومات لجامعه واتبع هذه الاقسام بلحق في الشجاعة والتهديد والاسلحة وطلب الثار والتحذير من

الحرب والهزيمة والفرار، وكلها تنوادر وحكم وأفأكية وملح نثرية وشعرية واليك
ثلاثة أمثلة وجيزة من ذلك

(١) قال مقاتل بن مسمع لعباد بن الحصين : لولا نبيء لآخذت رأسك : قال
نعم ذلك الشيء سيئ وقال

تواعدني لتقتلني نعيم متى قتلت نعيم من مجاها

(٢) نظر فيلسوف الى رام تذهب سهامه عينا وشمالاً فقعده في موضع الهدف
وقال لم أر موضعاً أسلم من هذا

(٣) قيل للكاتب الى م تدل به هذه القصبة ؟ فقال هو قصب ، ولكنه يقطع
العصب ، ان القلم يقطع قضاء السيف ، ويفسخ حكم الحيف ، ويؤمن مسالك الخوف ،
والكتاب يطلب من مؤلفه في مكتبة الهلال بالفجالة

(لايعنني)

خطاب ألقاه في حفلة أدبية في بيروت جرجي أفندي نقولا من بضعة أشهر
ونشرته جريدة المناظر المفيدة لما حواه من تشنيع أمور الاهمال الفاشي في بلادنا
وإهمال الامور العامة ثم طبعته على حديثه لتعميم فائدته واهدت نسخة منه فنشكر لها
ذلك كما نشكر لها إهداءها كتاب الفيلسوف تولستوي في الدين وقد أخذناه منا صديق
قبل مطالعته فأضاعه ولذلك لم تتمكن من تقريره

بَابُ الْخَبَرِ الْإِلَهِيِّ

خطبة اللورد كرومر بالقيوم

(أولادنية والحمر والميسر)

سري سمّ الفسق من القاهرة وسائر المدن الكبيرة في القطر الى القرى والمزارع
في الأرياف فكثير هنالك الحمر والميسر والزنا وغير ذلك من آفات الترف التي تدمر
القرى وتهلك الامم اذا هي فشت فيها . ويتوهم كثيرون من العمدة وأغنياء الفلاحين
أن شرب الحمر والدعوة اليه والمضاربة ونحوها من أنواع القمار من أمارات المدنية

العصرية ولذلك سبق اليها الاثراء والوجها في المدن والصواب ان جميع فضلاء أوروبا وعقلائها لاسيا الاطباء والفلاسفة يشكرون أشد الانكار على السكر والقمار والذين يأتون هاتين الرذيلتين يمدون عندهم من السفهاء . على ان آداب ديننا أعلى من مدينتهم وفضائله أسمى من فضائلهم لو كنا نعلم ونعمل

وقد زار في هذه الأيام اللورد كرومر مدينة الفيوم فاجتمع لاستقباله والاحتفاء به المثون من وجهاء المديرية وعمد قراها فخطب فيهم خطبة ظهرت منها مكاتبة في الفضيلة مضارعة لمكاتبة في السياسة . فصيح للناس بأن يتركوا الخمر والميسر لما فيهما من إفساد الاخلاق التي يمتاز بها عادة سكان القرى والمزارع على سكان الحواضر والمدائن والمع الى انتقال هذين الوبائين من المدن الى القرى وأرشد العمدة الى العناية بمنع انتشارهما . فاذا كان يوجد من سفهاء الاحلام من يعتقد ان من دلائل مدينته وجود الخمر في بيته وتقديمه لمن عساه يلزم به من الانكليز أو غيرهم من الاجانب فهذا كلام اللورد حجة عليه فهو أعلى القوم مكانا وأوسعهم عرفانا وهو يعد معاقرة الخمر منافية للفضيلة وذاهبة بها من الارياض بعد ان كانت تمتاز بها على القرى وهذا هو ركن المدينة الصحيحة وإنما تبسح أوروبا الفسق لما فيه من الكسب ولتكون الفضيلة اختيارية . وقد حثهم على الاقتصاد وحفظ العفو من أموالهم في صناديق التوفير كما حثهم على ترك المقامرات التي تخرب البيوت العامرة وتجعل الاغنياء فقراء والاعزاء أذلاء . وقلما ربح منها أحد فكان من الموسرين

(قوله في الكتابات المنتظمة)

وأفصح عن رغبته في ازدياد عدد الكتابات حتى يعم تعليمها الابتدائي القطر ببلغة العربية . ولعمري ان غاية المعارف بالكتاتيب عظيمة وان فائدة البلاد منها فوق ما يظن الذين لا ينظرون لشيء تفعله الحكومة في مصر الى من وجه السياسة وحسبك أنها تجعل الطبقة الدنيا من الاهالي متصلة بالطبقة التي فوقها فيسهل انتقال الافكار والشعور بمحاجات الامة من أعلاها معرفة وشعوراً الى أدناها رتبة في الوجود وذلك تمهيد لا بد منه لتكوين الامة اذا وجد من يسعى له سعيه . وكلمة اللورد الوجيزة تؤثر في نفوس الوجهاء والعمد في المساعدة على تكثير الكتابات وانجاحها تأثيراً عظيماً اذ لا يوجد في

الارض من يحترم مقام أصحاب السلطة كأهل هذه البلاد . ولا أظن أن لتنظيم الكتائب كما تفعل المعارف غائلة ما الا اذا صح ما نسمعه من قلة العناية بحفظ القرآن ، واتقاء هذه الغائلة فرض حتم على مفتشي هذه الكتائب وهو في استطاعتهم اذا أرادوا وقد تكلم اللورد في مسائل أخرى في مصالحة الأهالي ليست من موضوعنا وزار جميع معاهد الحكومة والمدسة الاهلية فتعجب الناس للفرق بين هؤلاء الاجانب غنم وبين أمرائهم وحكامهم في القرون الاخيرة

﴿ نشرة افساد ، أو حباله صياد ﴾

علمنا ان قد ورد من باريس الى مصر صحيفتان أو نشرتان سريتان إحداهما فرنسية والأخرى عربية يزعم كاتبهما وناشرهما انهما من لجنة عليا لجمعية عربية غرضها فصل البلاد العربية من الخليج الفارسي الى البحر الاحمر من سلطنة الترك وجعلها مملكة مستقلة بمساعدة بعض الدول . وقد اطلعنا على العربية التي كتب عليها انها تعريب الفرنسية فاذا هي طعن في ادارة الترك وسيرتهم بل وإسلامهم وتحريض عليهم وترغيب للعرب في الانسلاخ عنهم . ويزعم الكاتب انه مستعد بجمعيته لعملة من غير اهراق قطرة دم!! وان لجمعيته هذه أعضاء في جميع البلاد العربية!! وفي رأينا ان هذه النشرة لاتعدو أمرين أحدهما اثارة الهواجس في (بلدز) تمهيداً لأمر تريده بعض الدول وهو المرحوح وثانيهما انه وسيلة من رجس أو نفر من المحتالين بأمثال هذه الوسوس لثيل الرتب والرواتب المالية من السلطان وهو الاوجح ولا يبالى هؤلاء المفسدون بما عساه يكون وراء افسادهم من فتح أبواب الايذاء للجواسيس في الولايات العربية لا سيما لمن أرسلت اليهم النشرة اذا وجدت عندهم وان كانوا لا يعرفون مصدرها

وقد كنا نصحنا لسلطاتنا في المجلد الثاني من المنار بأن لا يبالى بشيء مما يكتب في الجرائد الطماعة على اختلافها ونحوها هذه النشرات وان لا يحسن الى صاحب جريدة على مدح ، ولا يلتفت لما تكتبه في بلاد الحرية من قدح ، الا لعظة ، او معرفة الحقيقة من المنصفين ، فعدم المبالاة بأصحاب الدسائس والاغراض السافلة هو أكبر عقوبة لهم واحسن اصلاح لغيرهم

اذا نعلق السفينة فلا تحية فان جوابه ان لا يحيا

وما من سلطان أو أمير أو كبير يهتم بأمثال هذا الكلام الا ويسلط على نفسه السفينة حتى لا يدعون له راحة كما هو مشاهد. ولقد كان أبو الهدى أفندي الشهير مفرما بمدح الجرائد ونحوها فسلطها بذلك عليه حتى ذمته أضعاف ما مدحته فلما ترك مكانة السادح ، ومكانة الفادح ، صان عرضه ، وحفظ غمره وبرضه ، وقد تحرشت الجرائد بمختار باشا فلم يأت به بفكرته وشأنه. ومن كان الطمع فيهم أكبر. كان هذا المسلك في حقهم اوجب ،

أما الموعظة التي تؤخذ من أمثال هذه الذشرة فهي انه يجب على إخواننا الترك ان يتأسوا مسألة الجنسية والنداء بها ويجعلوا العناية مناط الارتباط بسائر شعوب المملكة فانما يمزق الاعداء الدولة باختلاف الجنسية. واذا غنوا باللغة العربية حتى جعلوها لسان الدولة فانهم يجددون لهم قوة وحياة لا تغالب ان شاء الله وهو الموفق

﴿ نقطة أخبار الحرب والثقة بالتاريخ ﴾

نود ان نلفت الناس المرة بعد المرة الى تهافت نقطة أخبار الحرب وتناقضهم ومن ذلك أنهم ذكروا بعد استيلاء اليابانيين على ميناء (بور) آرثران حاميتها سلمت الحصون والقلاع لنفاد المؤن والذخائر الحربية وهلاك معظم الجند وقالوا ان التسليم كان شريفا ثم كروا على هذا الخبر بالنقض واثبتوا ان ذلك التسليم عار عظيم على الروس وانه كان في استطاعتهم الدفاع عدة أشهر أخرى. وكانوا قالوا ان الاسطول الروسي الذي تعطل وأغرق في الميناء لا ينتفع به ثم عادوا فقالوا انه سهل استخراج سفنه ماعدا اثنين منها ويمكن إصلاحها بنفقة قليلة. وكذلك اختلفوا في الذخائر التي غنمها اليابانيون فحقر شأنها بعضهم وعظمه آخرون ، وكانوا قد اتفقوا على اطراء ستوسل قائد حامية الروس ثم اقبلوا يسبقونه بالسنة حداد. والجرائد هي ينايع هذه الاخبار مع الشركات البرقية. وقد أخذنا من ذلك قاعدة عامة وهي انه لا يوثق بالاخبار الجزئية المختلف فيها وأما ما يتفقون عليه فيوثق به ظناً بعد زمن يمر على الاتفاق وانما الثقة الحقيقية بالنتائج المتفق عليها ككون اليابانيين لهم الظفر في كل الوقائع. والتاريخ القديم أجدر بهذه القاعدة وجرائد بلادنا في الجملة اجدو بهدم الثقة.

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

المحكمة

١٣١٥

خير الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد آتاهي
خير كثير وما يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق)

(مصر — اثلاثا، ١٦ ذى الحجة سنة ١٣٢٢ — ٢٠ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٥)

— القسم الديني —

(تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

(٢٠٤:٢٠٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * (٢٠٥:٢٠٨) فَإِنْ رَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ
مَاجَاءِ تَكُمُ الْيَمِينَاتُ فَاعْتَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * (٢٠٦:٢٠٩) هَلْ يَنْظُرُونَ
إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ
تُرْجَعُ الْأُمُورُ *

بعد ما بين عز وجل اختلاف الناس في الصلاح والفساد والاصلاح
والافساد أراد أن يهدينا الى ان شأن المؤمنين الاتفاق والاتحاد وجعل
هذه الهداية بصيغة الأمر وشرف أهل الايمان بالخطاب فقال (يا أيها
الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) الخ والسلم بكسر السين وفتحها المسالمة

والانقياد والتسليم فيطابق على الصالح والسلام وعلى دين الاسلام . قرأ ابن كثير ونافع والكسائي بفتح السين والباقون بكسرهما . وقد فسر به بعض المفسرين بالصالح وبعضهم بالاسلام وعليه الجلال وقال في تفسير « كافة » : حال من السلم أي في جميع شرائعه : وهذه كلمة عظيمة وقاعدة لو بنى جميع علماء الدين مذاهبهم عليها لما تفاقم أمر الخلاف في الامة ذلك انها تقيّد وجوب أخذ الاسلام بجملة ما أن ننظر في جميع ما جاء به الشارع في كل مسألة من نص قولي وسنة متبعة ونفهم المراد من ذلك كله لا أن يأخذ كل واحد بكلمة أو سنة ويحملها حجة على الآخر وان أدت الى ترك كثير من النصوص والسنن رحلها على الذئخ أو المسخ بالتأويل ، او تحكيم الاحتمال بلا حجة ولا دليل ، ولو انك دعوت العلماء الى العمل بالآية على هذا الوجه الذي عرفوه ولم ينكره على قائله أحد منهم وان رجح بعضهم في التفسير غيره عليه لولوا منك فرارا ، وأعرضوا عنك استكبارا ، وقالوا مكر مكر كبارا ، اذ دعا الى ترك المذاهب ، وحاول اقامة المسلمين على منهج واحد ، ومن آيات العبرة في هذا المقام اننا نجد في كلام كثير من علمائنا هدى ونورا لو اتبعته الامة في أزمئتهم لاستقامت على الطريقة ، ووصلت الى الحقيقة ، بعد الخروج من مضيق الخلاف والشقاق ، الى بحبوحة الوحدة والاتفاق ، والسبب في بقاء الغلب لسلطان الخلاف والنزاع فشوّ الجهل وتعصب أهل الجاه من العلماء لمذاهبهم التي اليها ينسبون ، وبجاءها يعيشون ويكرهون ، وتأيد الامراء والسلاطين لهم استمانة بهم على اخضاع الامة ، وقطع طريق الاستقلال العقلي والنفسي على الامة ، لان هذا أعون لهم على الاستبداد ، وأشد تمكينا لهم مما يهونون من الفساد

والافساد ، اذا اتفاق كلمة علماء الامة واجتماعها على أن الحق كذا بدليل
 كذا ملزم للحاكم باتباعهم فيه لأن الخواص اذا اتحدوا تبعهم العوام ،
 وهذه هي الوسيلة الفردة لا بطلان استبعاد الحكماء ، وهذا التفسير مؤيد
 بالنبي على الذين جعلوا القرآن عضيض ، والانكار على الذين يؤمنون ببعض
 الكتاب ويكفرون ببعض ، أي يعملون ببعضه على انه دين ، ويتركون بعضا
 بالتأويل أو غير التأويل ، كشأن من لم يصدق بأنه من الله ، فوجب أخذ
 القرآن والدين بحملته ، وفهم هدايته من مجموع ما ثبت عن جاء به ، أمر
 مقرر في ذاته سواء فسرت به الآية أم لا لأن الآيتين اللتين أشرنا إليهما
 آتقا في جمل القرآن عضيض والايان ببعضه والكفر ببعض وما في معناهما
 من النصوص تثبته

وذهب بعض المفسرين الى أن « كافة » ترجع الى الذين آمنوا أي
 ادخلوا في الاسلام جميعا لا يتخلف منكم أحد . وصاحب هذا القول
 يصرف نداء « الذين آمنوا » الى أهل الكتاب أي آمنوا بالانبياء السابقين
 والوحي حتى لا يرد عليه أن الايمان يستلزم الدخول في الاسلام فيكون
 أمر المؤمن بالاسلام من تحصيل الحاصل . ووجه اللزوم أن الايمان هو
 التصديق الجازم مع إذعان النفس فمن صدق بالشئ وأذعن له فقد دخل
 في أعماله وانقاد لأحكامه لا محالة . وأما قول الجماهير إن العلم لا يوجب
 العمل فهو على إطلاقه خطأ فالعلم التصديقي الإذعاني المتعلق بالمنافع والمضار
 يوجب العمل ما لم يمارضه في موضوعه علم أقوى منه وأما العلم التصوري
 والعلم النظري المعارض بعلم ضروري أو نظري أقوى منه فلا يوجب العمل .
 وقد صرح حجة الاسلام الغزالي وشيخ الاسلام ابن تيمية والحافظ الشاطبي

صاحب الموافقات بأن العلم الصحيح يستلزم العمل والحق التفصيل الذي
أشرنا إليه آنفا وآيات الكتاب العزيز دالة عليه وممززة له. ويدل لمن قال
ان الآية نزلت في أهل الكتاب مارواه ابن جرير عن عكرمة قال قال
عبد الله بن سلام وثعلبة وابن يامين وأسد وأسيد ابنا كعب وسعيد بن
عمر وقيس بن زبد كلهم من يهود: يارسول الله يوم السبت نعظمه فدعنا
فلنسبت فيه وان التوراة كتاب الله فدعنا فلنقيم بها بالليل: فنزلت.
فالخطاب على هذا لليهود خاصة لا لأهل الكتاب عامة ولكن الرواية غير
صحيحة وهي تنم على نفسها فهي موضوعة للآية وهناك رواية أخرى بمعناها
والوجه الثاني في تفسير السلم وهو المسالمة والوفاق يتوقف على الوجه
الاول. أخذ الدين بحماته. لانه أمر برفع الشقاق والتنازع وبالاقتسام بحبل
الوحدة وشدأواخي الاخاء ولا يرتفع الشئ الا برفع أسبابه ولا يستقر الا
بتحقق وسائله وهو معنى قوله عز وجل «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا»
الآية وقوله تعالى «ولا تنازعوا فتفشلوا» وقوله عليه الصلاة والسلام:
لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم أعناق بعض: وقد خالفنا كل هذه
النصوص فتفرقنا وتنازعنا وشاق بعضنا بعضا بشبهة الدين اذ اتخذنا مذاهب
متفرقة كل فريق يتعصب لمذهب ويعادي سائر إخوانه المسلمين لاجله
زعماؤه ينصر الدين، وهو يخذله بتفريق كلمة المسلمين، - هذا سني يقتل
شيعة، وهذا شيعة ينازل أبا ضيا، وهذا شافعي يغري التتار بالحنفية،
وهذا حنفي يقيس الشافعية على الذمية، وهؤلاء مقلدة الخلف، يحادون
من اتبع طريق السلف، «أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين»،
أم أمروا بهذا من الله ورسوله ومن الأئمة المجتهدين، كلا بل كان التعادي

والتنازع انحرافا عن الصراط المستقيم ، واتباعا لخطوات الشيطان الرجيم ،
فكما خالف المفرقون المتنازعون ربهم في ذلك الأمر ، خالفوا ما أتبعه
به من هذا النهي ، اذ قال

(ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين) الخطوات جمع
خطوة بالضم وبالفتح وهما ما بين قدمي من يخطو أي لا تسيروا سيره واتبعوا
سبله في التفرق في الدين او الخلاف والتنازع مطلقا . وسبل الشيطان وخطواته
هي كل أمر يخالف سبيل الحق والخير والمصلحة وسبيله هنا ما بهر عنه
بالسلم قال تعالى « وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق
بكم عن سبيله » فذكر تعالى أن له سبيلا واحدة سماها صراطا مستقيما لأنها
أقرب طريق الى الحق والخير والسلام وأن هناك سبلا متعددة يتفرق
متبعوها عن ذلك الصراط وهي طرق الشيطان ، وقد علم من جعل التفرق تابعا
لاتباع سبل غير صراط الله ان الذين يتبعون سبيل الله لا يتفرقون « ان الذين
فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء » نعم قد يطرأ عليهم سبب
الخلاف والتنازع ولكنهم متى شعروا بأن التنازع قد دب اليهم فرعوا الى
تحكيم الله ورسوله فيه برده الى حكمهما كما أمرهم بقوله « فان تنازعتم في
شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » فالآيات
يفسر بعضها بعضها اذا نحن أخذنا القرآن بجملة كما أمرنا . وهذه الآيات
حجة لعلماء الاصول القائلين بأن الحق واحد لا يتعدد . وبأيت أصحاب
هذا الاصل فرضوا على أنفسهم الاجتماع لكل خلاف يعرض لهم والبحث
عن وجه الحق فيه بلا تعصب ولا مرء حتى اذا ما ظهر لهم أجمعوا عليه واذا
هو لم يظهر لبعضهم تأبروا على تطلابه باخلاص لا يعادي أحدهم أحدا ولا يجمله

ذريعة لتفريق الكلمة،

طريق الحق هو الوحدة والاسلام، وطرق الشيطان هي مشاركات التفرق والخصام، وهي معروفة في كل الامم ولكن الشيطان يزين طريقه ويسول للناس المنافع والمصالح في التفرق والخلاف فقد كانت يهود امة واحدة مجتمعة على كتاب واحد هو صراط الله فسول لهم الشيطان فتفرقوا وجعلوا لهم مذاهب وطرقا و اضافوا الى الكتاب ما اضافوا وحرفوا من كلمه ما حرفوا و اتبعوا السبل فتفرقت بهم عن سبيل الله حتى حل بهم الهلاك والدمار ومزقوا كل ممزق . وكذلك فعل غيرهم كائهم راوا دينهم ناقصا فكمالوه، و قليلا فكثروه، وواحد افعده دوه، وسهلا فصعبوه، فثقل عليهم بذلك فوضعوه، فذهب الله بوحدتهم، حتى لم تغن عنهم كثرتهم، وساط الله عليهم الاعداء، وأنزل بهم البلاء، «سنة الله التي قد خلت في عباده» (*)

هذا هو المتبادر من خطوات الشيطان في هذا المقام . ومن خطوات طرق الفواحش والمنكرات كلها ولذلك قال تعالى في سورة النور «ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر» أما كون الشيطان عدوا ميئنا فذاك ان جميع ما يدعوا اليه ظاهر البطلان بين الضرر لمن تأمل وعقل فمن لم يدرك ذلك في مبداء الخطوات أدركه في غايتهما عند ما يذوق مرارة مغبتها لا سيما بعد تذكير الله تعالى وهدايته عباده الى ذلك فلا عذر لمن بلغته هذه الهداية اذا بقي على ضلالته واستحب العمى على الهدى ولذلك قال عز شأنه

(فان زلتم من بعد ما جاء تكلم بالبينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم)

(*) قد ذكرنا طريق الخروج من ظلمات الخلاف الى نور الوحدة الاسلامية في مقالات المصلح والمقلد فلترجع في المجلد الرابع من المنار وفيها رأي الغزالي في ذلك

أي فان زلتم وحدثتم عن صراط الله وهو السلم الى خطوات الشيطان وهي طرق
 خلاف والاقتراق والباطل والشر من بعد ان بين الله تعالى لكم ان سبيله
 واحدة وهي السلم وان الشيطان لكم عدو مبين وأمركم أن تتخذوه عدوا
 وتجذبوا طرقه وخطواته ثم فصل لكم من ذلك ما اضطررتم اليه وأكّد
 لنهي عن شر تلك الطرق وأشأمها وهي طرق التفرق والخلاف - فاعلموا
 أن أمانكم أمرا جليلا ، وأخذنا ويلا ، ذلك ان الله تعالى لعزته لا ينسى
 من ينسى سذنه ويذل عن شريعته بل يأخذه أخذ عزيز مقتدر وحكمته قد
 وضع تلك السنن في الخليقة، وهدى اليها الناس بما أنزل من الشريعة ، ومن
 ذلك ان جعل لكل ذنب عقوبة وجعل العقوبة على ذنوب الامم أثرا
 من آثارها لازما لها حتما . فكأنه تعالى قال فاعلموا أنه يحل بكم العقاب
 لأنه عزيز لا يغلب على أمره ، حكيم لا يهمل أمر خلقه ، ولكن هذا التعبير
 بلغ لانه بيان للحجة وتقرير للبرهان بالاشارة الى مقدماته اكتفاء بها عن
 ذكر النتيجة وهو من ضروب إيجاز القرآن ، التي لم تعهد في كلام انسان ،
 قل الاستاذ الامام انه ذكر من صفاته تعالى ما هو دليل العقاب وهو مالا
 مطمع في زواله ، ولا هزم في الدين أكبر من ظن المغرور أنه ينال جنّة
 عرضها السموات والارض وفيها من النعيم والرضوان ما لم يخطر على قلب
 بشر بغير الاعمال التي أرشدت اليها آيات الله تعالى مبينة ان العقوبات على
 تركها من آثار صفاته القديمة التي لا يلحقها تغيير ، ولا تؤثر فيها الحوادث
 بتبدل ولا تحويل ، ونقول نحن على طريقته ان ظن المغرورين بأنه يكون
 لهم السلاطان والخلافة في الارض بمجرد دعوى الايمان والاسلام ولو
 مع بعض الاعمال البدنية من غير اقامة العدل في الناس والعمارة والاصلاح

في الارض هو من الهزء بآيات الله في كتابه وآياته في خلقه فانها متفقة على ان الأرض يرثها عباد الله الصالحون ل مهارتها واقامة العدل فيها « وما كان ربك ليهلك القرى » أي الامم « بظلم » أي شرك وكفر « وأهلها مصلحون » في أعمالهم وسياساتهم

والآيتان المفسرتان آنفا وما في معناهما كقوله تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » الى قوله « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واوثلثك لهم عذاب عظيم » وقوله « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء » كلها هادمة للتقاليد التي فرقت الامة وجعلتها شيعا حتى صار بأسها بينها شديدا فسفكت دماءها بأيديها ومزقت دنياها بتمزيق دينها وكان من أمرها بعد ذلك ما ترى ثم بين تعالى غاية الوعيد المشار اليه في الاسمين الكريمين فقال (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) وقد غير الاسلوب بالالتفات عن الخطاب والامر الى الحكاية عن الزالين عن صراط الله بضمير الغائب . والحكمة في الالتفات تناول هذا الوعيد لجميع من زل من المؤمنين المخاطبين في الدخول في السلم والمنهين عن ضده ومن زل من غيرهم، أو هي الإيذان بأن الزالين لا يستحقون شرف الخطاب الالهي الاستفهام في الآية للانكار وينظرون بمعنى ينتظرون وهي كثيرة الاستعمال بهذا المعنى في الكتاب العزيز لا سيما في أمور الآخرة كقوله تعالى « فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة » - « ما ينظرون الا صيحة واحدة » وإتيان الله تعالى فمره الجلال وآخرون باتيان أمره أي عذابه كقوله في آية أخرى « أو يأتي أمر ربك » أي فهو بمعنى ما جاء من التخويف بعذاب الآخرة

في الآيات الكثيرة الموافقة لهذه الآيات في أسلوبها وأقر الاستاذ الامام الجلال على ذلك وبين في الدرس أن هذا الاستعمال من أساليب العرب المعروفة من حذف المضاف واسناد الفعل الى المضاف اليه مجازا وأوضحه أتم الايضاح فهو على حد « واسأل القرية » ومن المفسرين من قال ان الإسناد حقيقي وإنما حذف المفعول للعلم به من الوعيد السابق أي هل ينظرون الا أن يأتيهم الله بما وعدهم به من الساعة والعذاب. وعده آخرون من التشابهات فقالوا ان الله تعالى يأتي بذاته ولكن لا كاتيان البشر بل إتيانه من صفاته التي لا نبحت عن كيفية اتباعا للسلف وأما تأويل الايتان بما نقله البيهقي عن الاشعري فلا نذكره لانه مما يزيد المعنى بعدا عن الفهم

وقد يقال إنه ليس من مقتضى مذهب السلف أن يجمع كل ما يسند الى الله تعالى من التشابهات التي لا تفهم بحال، ولا تفسر ولو باجمال، فحسبنا أن نقول على رأي من فسر إتيان الله هنا باتيان أمره وما وعده به من العذاب أو إتيانه بما وعده به أن تفوض اليه تعالى كيفية ذلك وبذلك نكون على طريقة السلف في التفويض مع العلم بان الله تعالى ينذر الذين زلوا عن صراطه وفرقوا دينه بأمر معروف في الجملة لا بشيء مجهول مطلق. ومما يدلنا على أن المراد بالآية ما ذكرنا قوله تعالى « ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا » مع الآيات الكثيرة الناطقة بأن قيام الساعة وخراب العالم يكون « اذا السماء انشقت » وانتثرت كواكبها وإنما يأتي بذلك الله تعالى بتغيير هذا النظام الذي وضعه لارتباط الكواكب وحفظ كل كوكب في فلكه

وأما ظلل الغمام فهي قطع السحاب الاول جمع ظلة بالضم كغرف

جمع غرفة وهي ما أظلك والثاني جمع غمامة كسحاب وسحابة وزنا ومعنى سمي بذلك لأنه يغم السماء أي يسترها وخص بعضهم الغمام بالسحاب الأبيض وزاد بعض آخر الرقيق وفيه أن الأبيض الرقيق لا يمطر والعرب تسمي البرد حب الغمام وذكر المفسرون أن إتيان أمر الله أو عذابه في الغمام عبارة عن مجيئه من حيث ترجى الرحمة بالمطر وذلك أبلغ في تمثيل هوله وفظاعته لأن الخوف إذا جاء من موضع الأمن كان خطبه أعظم والعذاب إذا فاجأ من حيث ترجى الرحمة كان وقعته أعم، كما وقع لعاد قوم هود « قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم » وهو مبني على أن الغمام مظنة المطر والظاهر أن من قال إن الغمام هو السحاب الأبيض لا يعني به تلك السحاب البيضاء الرقاق المرتفعة التي تظهر في أيام الصيف وإنما أراد به ذلك السحاب المسف لثقله بالمطر الذي هو أقرب إلى البياض منه إلى السواد . وقال الاستاذ الامام أن الحكمة في نزول العذاب في الغمام انزاله فجأة من غير تمهيد ينذره، ولا توطئة توطن النفوس على احتماله وذلك أبلغ في هوله « مامن دمي بالامر كالمعتد » وهو ذلك الغمام الذي يحدث عن تخريب العالم فجأة فيأتيهم العذاب قبل أن يتبدد الغمام الناشئ عن الخراب: وهذا القول يتفق مع الاول وهو أقرب إلى معنى قوله تعالى في الساعة « لا تأتكم إلا بغتة » ويجب أن تكون هذه الآيات عبرة للمؤمنين ترغبه في المبادرة إلى التوبة لئلا يفاجئه وعد الله تعالى وهو غافل فإن لم يفاجئه قيام الساعة العامة التي بها يهلك هذا العالم كله فاجأه قيام قيامته بموته بغتة فإن لم يمت بغتة مرض بغتة حتى لا يقدر على العمل وتدارك الزلل وإذا جربنا على هذه الطريقة التي أرشدنا إليها الآية السابقة على

الوجه الاول في تفسيرها فحملنا بعض الايات على بعض واستخرجنا المعنى من مجموعها كان لنا أن نقول : اذا وقعت الواقعة ، وقرعت القارعة ، وكورت الشمس ، وتناثرت الكواكب ، وانشقت السماء شقا ، ورجت الارض رجاً وبست الجبال بسا ، فكانت أولا كالمهن المنفوش ثم صارت هباء منبثا ، فان مادة هذا الكون تعود كما كانت قبل التكوين أي مادة سديمية وهي ما عبر عنه في بدء التكوين بالدخان ، وفي الحكاية عن الخراب بالغمام . وان كثيرا من علماء الهيئة الغربيين ليتوقعون خراب هذا العالم بقارعة تحدث من اصطدام بعض الكواكب ببعض بحيث تبطل الجذب العام ، الذي به قام هذا النظام ، وهو في معنى ماورد من تشقق السماء بالغمام ، وهذا المعنى لم يكن يخطر ببال أحد على عهد نزول القرآن

وأما اتيان الملائكة هنا فهو بمعنى نزولهم في قوله « ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا » أي وتأتيهم الملائكة الموكلة بكل ما قضاه الله يومئذ . وقوله (وقضي الامر) جملة حالية أي كيف ينتظرون غير ذلك وهو أمر قضاه الله وأبرمه فلامفر منه (والى الله ترجع الامور) فيضع كل شيء في موضعه الذي قضاه فهو الاول ومنه بدأت الاشياء وهو الآخر واليه ترجع وتصير وهو بكل شيء محيط « ياممشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا ، لا تنفذون الا بسلطان » فبأي آلاء ربكما تكذبان *

واذا كان كل ما سنه الله تعالى من النظام خلقه حتما مقضيا لا يضل واضعه ولا ينسى فعل من زل عن صراطه واتبع خطوات الشيطان أن يبادر بالتوبة والرجوع الى الحق قبل أن يحيق به زلله ، ويسله عمله ، وقبل أن

تقوم قيامته أو قيامة الناس أجمعين ، فيجازي على زلله و « كل امرئ بما كسب رهين » واجدر الناس بالمبادرة الى هذه التوبة علماء الأمة الذين أبسلوها بخلافهم فعليهم أن يحكموا كتاب الله وسنة رسوله فيما شجر بينهم من غير تعصب ويسلموا تسليما

وذكر الاستاذ الامام في تفسير الآية وجهها آخر يمد بيانا للقول بأن الايتان مضاف الى الله تعالى على انه هو الذي يأتي لاعذابه ولايومه الموعود وهو من الآيات الكبرى ، وأسرار المعارف العليا ، فقال مامثاله : من الناس من يؤمن بالله تعالى وصحة دينه ايمانا موافقا لما جاء في كتابه ويكون في ايمانه على حق اليقين والاطمئنان الذي لازال فيه ولا اضطراب وأهل هذا اليقين هم الذين يقال إن الله حاضر عندهم وانه معهم أينما كانوا لان معرفته ثبتت في عقولهم والتوكل عليه قد لابس قلوبهم وهم الذين قال قائلهم : لو كشف الحجاب ما زددت يقينا : ومنهم من ليس له تلك المعرفة وهذا اليقين فلا يقال ان الله عندهم لان ما حضر في عقله هو غير ما وصف الله تعالى به نفسه وشهدت به آياته في كتابه وآياته في خلقه ثم هو ليس على يقين مما عنده ، أولئك أصحاب الظنون وأرباب الشكوك وحملة التقاليد الذين زلوا من بعد ما جاءتهم البينات فاتخذوا بينهم وبين الله حجابا ووسطاء وشبهوه بخلقهم في كثير من الشؤون فهم غائبون عن الله تعالى ومحجوبون عن ربهم بحيث لا تطوف معرفته الحقيقية بعقولهم ولا تلبس عظمته وكأله قلوبهم ، فاذا كان يوم القيامة وكشف الحجاب عرفوا الله ربهم الحق وتبين لهم ما كانوا عليه من الباطل فذلك إتيان الله لهم أي يأتيهم من معرفته ما كانوا غائبين عنه ومحرومين منه في الدنيا . والايان يكون في المعقولات

كما يكون في المحسوسات فلا حاجة للتأويل

وان هؤلاء الزالين عن صراط الله تعالى صنفان صنف اعتقدوا الباطل حقا فلم يعرفوا حقيقة التوحيد ورجوع كل أمر الى من أعطى كل شيء خلقه على سنن ثابتة ولا غير التوحيد من اصول الايمان، وصنف اتبعوا الظن، وهاموا في أودية الوهم، فلم يكونوا على بينة من هذا الأمر. فاذا ما نجلى الله تعالى في ذلك اليوم على الأرواح، وزالت الحجب التي كانت دونها في سجن الاشباح، زال جهل الجاهلين، وانكشف ظن الظانين، وبطل وهم الواهين، وعرف الجميع رب العالمين، بما جاءهم من الحق اليقين، فذلك مجيء الله تعالى وإتيانه في يوم الدين،

أما كون الاتيان في ظلال من الغمام فهو من الامور الاخرية الغيبية التي قلنا مرارا باننا لا نبحث عن حقيقتها فيكون معرفة الله تعالى واليقين به مما يحصل للجاهلين والغافلين بمحصول ظلال من الغمام نفوض سره الى الله تعالى وما يدرينا ان في ذلك الغمام آيات بينات، وحجج باهرات، واتيان الملائكة على هذا التأويل أظهر منه في التأويل الاول لان المقام مقام تمثيل ظهور سلطان الله تعالى وعظمته، واستغراق القلوب في الخضوع لجلاله عند ما ينشأها نور معرفته، ولا ريب أن حضور الملك في جنده الأكبر، هو أين لكمال العظمة وأظهر، ولذلك قال في سورة الفجر «وجاء ربك والملاك صفافا» وقال في سورة النبأ «يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا»

والمراد بهذه الذي قرره الاستاذ الامام، تقريب هذا المذهب من الافهام، ولا يعني أن هذا بيان لكيفية الاتيان في الغمام، ويمكن أن يقال

ان النمام في الآية اشارة الى الحجاب أو الرداء الذي ورد في حديث أبي موسى عند الشيخين وغيرهما «وما بين القوم وبين أن يروا ربهم الازياء الكبرياء على وجهه» وبيانه أنه ورد في أحاديث أخرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «سألت جبريل عليه السلام هل ترى ربك فقال ان بيني وبينه سبعين حجابا من نور» الحديث وقال الغزالي وغيره من أئمة الصوفية ان الحجب أي الموانع التي تمنع العبد من معرفة الحق كثيرة اكشفها نفسه وهذه الحجب تزال يوم القيامة عن المؤمنين الاحبابا واحدا فيعرفون الحق معرفة كاملة تستغرق الروح وذلك ما عبر عنه بالرؤية وبمجيء الله واتيانه . فالنمام في هذا المقام التمثيلي اشارة الى الحجاب الذي لا يحصل كمال المعرفة الممكنة بدونها وبذلك تتفق الآيات مع الاحاديث «ولله المثل الاعلى - ليس كمثل شي» ولنا أن نقول على هذه الطريقة مع تفسيرنا النمام بمادة التكوين الاولى كما مر إن الحجب التي تشغل الانسان عن ربه في الدنيا من حظوظ النفس وشهواتها وشواغل الحس بالمحسوسات والفكر بالمدرجات كلها ترتفع فلا تعود حائلة دون كمال العلم بالله تعالى ما خلا سر الابداد والتكوين الاول مم كان وبم كان وكيف كان فهذا لا يرتفع في الدنيا للموقنين ، ولا في الآخرة للمقربين ،

هذا وأنت ترى ان الوجه الاول في تفسير الآية هو المتبادر والمنطبق على الآيات الاخرى في نذر القيامة وفي كل منهما عبرة وهداية للمؤمنين وأما المرتابون الممارون فلا يزيدم الكلام عن الآخرة الاظلمة ورجسا الى رجسهم لانهم محجوبون في حسهم حتى عن أنفسهم وكل حزب بما لديهم فرحون ،

فَتَاوَا الْمُبْتَائِنِ

فتننا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسمع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً وربما قد منأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لكل هذا. ولمن يضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان عندنا سبب صحيح لا غفاله

السواك بعد الصلاة أو عندها

(س ١٠٩) عبد الرحمن أفندي رحمي (بالخرطوم) : رأيت أحد اساتذة العلم يستاك بعد كل صلاة ركعتين فسألته عن ذلك فقال لي: ورد في الحديث الصحيح (كل) من يصلي ركعتين بسواك أفضل ممن يصلي ستين ركعة بلا سواك : فقلت له اني لأعلم ذلك الا ان استعمال السواك محمود بعد اليقظة من النوم لا إزالة قذارة الاسنان ومنع الرائحة الكريهة من الفم فجئت بهذا ملتماً إرشادنا الخ

(ج) السواك سنة مؤكدة ووردت أحاديث متعددة باستحبابه عند القيام من النوم وعند الوضوء وعند الصلاة ومن أحسنها حديث أبي هريرة عند أحمد والشيخين وأصحاب السنن «لولا ان أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» قال النووي السواك مستحب في جميع الاوقات لكن في خمسة أوقات اشد استحباباً عند الصلاة وعند الوضوء وعند قراءة القرآن وعند الاستيقاظ من النوم وعند تغير الفم وتغيره يكون بأشياء منها ترك الأكل والشرب ومنها أكل ماله رائحة كريهة ومنها طول السكوت وكثرة الكلام . والحديث الذي ذكرتموه رواه الدارقطني في الافراد عن أم الدرداء بلفظ «ركعتان بسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك» وابن زنجويه عن عائشة مثله لكن بلفظ صلاة بدل ركعتين وهو ضعيف وله طرق تقويه وليس منها ما ذكرتم والغرض من سنة السواك تنظيف الاسنان وتعطيب الفم كما في حديث «مالكم تدخلون علي قلعها استاكوا» الخ والقلح جمع أفلح وهو أصفر الاسنان . ومن اطلع على كثرة الاحاديث في السواك يكاد يعجب لشدة تأكيدها ويتوهم إذا كان جاهلاً بطبائع البشر وعادات الناس أنها مبالغة ربما كانت غير صحيحة إذ لا حاجة الى

ذلك في هذا الامر الصغير الواضح ولكنه اذا فطن مع هذا الى تقصير الناس في تنظيف أسنانهم وأفواههم حتى المسلمين الذين هم أحق الناس بهذه النظافة وعلم ما لهذا التقصير من الضرر في الصحة لانه من أسباب تأكل الاسنان وسرعة سقوطها وأن هذا سبب لعدم إجابة مضغ الطعام وقلة التلذذ به وبذلك تقل تغذيته وفائدته — ثم فطن الى أن مجرد اقناع الناس بأن هذا الشيء نافع لاجملهم على المواظبة عليه والعناية به حتى يلزموا به بأمر ديني أو يتربوا عليه من الصغر بالالزام والتعويد ، فانه يفهم سر ذلك الحث والتأكيده ،

الاستعانة بأصحاب القبور

(أو حديث : إذا ضاقت بكم الأمور : فعليكم بأصحاب القبور)

(س ١١٠) ن . ب . في (سراي بوسنة) انكم تذكرون الاستعانة بأصحاب القبور فضلاً عن الاستعانة منهم (كذا) وأوردتم الحجج والدلائل على ذلك الا أنكم لم تقولوا شيئاً في حديث : « إذا تحيرتم في الامور فعليكم بأصحاب القبور » الذي اشتهر بين الناس وأورده ابن كمال باشا الوزير — الذي هو من مشاهير العلماء وثقاتهم — في رسالته الاحاديث الاربعين وشرحه على وجه يقتضيه كل أحد ممن لم يتعمق في العلم مثلكم بسحة الحديث المذكور ، ومضمونه الاستعانة من أصحاب القبور : (كذا) نرجوكم ان تفضلوا علينا بحل اشكالنا هذا والاجابة عن الحديث المذكور ولكم الفضل ومنا الشكر ومن الله الاجر

(ج) الحديث لا أصل له ولم يروه المحدثون ولكن ورد في حديث انس عند البيهقي ان رجلاً جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا اليه قسوة القلب فقال : اطلع في القبور واعتبر في النشور : وقال البيهقي متن هذا الحديث منكر وروايه مكّي بن نمير مجبول ولو صح الحديث الذي اورده ابن كمال باشا لكان بمعناه لان من تحير في امره وضاق له صدره فتفكر في أصحاب القبور وكيف تركوا كل شيء كان يهيمهم ولقوا ربهم هان عليه الامر ، واتسع منه الصدر ، ولا تهولك شهرة ان ابن كمال باشا بالعلم فتعجب لايراده حديثاً لا اصل له فهو انما اشتهر بفقهِه الحنفية واكثر هؤلاء الفقهاء لا يعنون بالحديث ولا يعرفون صحيحه وضعيفه وموضوعه ومعرفة ومنكره بل منهم من يزعم

انه لا حاجة اليه مع الفقه الا ان يقرأ للتبرك به ويصرحون بأنه لا يجوز العمل به لان ذلك من الاجتهاد الذي حرموه باجتهادهم وانك لترى كتب الفقهاء الذين هم اعظم منه شهرة بهذا الفقه من غير استعانة بالوزارة والامارة قد حشوا كتبهم بالاحاديث الموضوعة كلاحاديث التي اوردها صاحب الدر المختار في مدح الامام ابي خنيفة رحمه الله تعالى وغيره . وقد صرح علماء هذا الشأن بأنه لا يجوز لاحد ان يسند الى الرسول صلى الله عليه وسلم حديثا الا اذا كان هو قد رواه رواية يثق بها او يذكر درجتها او اخذه عن كتب الحفاظ الذين يذكرون ذلك وليس ابن كمال الوزير منهم . ثم ان عبارة الحديث تدل على وضعه لمن ذاق طعم الاساليب العربية الفصيحة فلمل واضعه من المتأخرين ، وناهيك بنكارة منته ومخالفته لظاهر اصول الدين لاسيما اذا حمل على ما ذكرتم

واذا فرضنا ان الحديث صحيح وكان معناه ما ذكرتم دون ما اولناه به فاننا نرجح عليه ما يعارضه مما هو اقوى منه كحديث الطبراني مرفوعاً انه لا يستغاث بي إنما يستغاث بالله تعالى ، وحديث ابن عباس مرفوعاً « واذا استعنت فاستعن بالله » بل عندنا القطعي كقوله تعالى « واياك نستعين » فانها نص في عدم جواز الاستعانة بغير الله تعالى كما ان قوله عز وجل « اياك نعبد » نص في عدم جواز عبادة غيره لمكان الحصر في تقديم المفعول . ومن عجائب تحريف المسلمين الجغرافيين لنصوص القرآن القطعية ما اطلعنا عليه بعض الناس في الجريدة المحدثه التي تسمى الظاهر من تأويل (واياك نستعين) اذ قال المحرف ان الاستعانة على ضربين حقيقيه وهي المنوعة بنص الآية ومجازية كالاستعانة بالموتى الصالحين وهي جائزة لانتمها الآية ولا يتناولها الحصر فيها . ولو صح هذا لصح ان يقال مثله في « اياك نعبد » ويقال ان العبادة حقيقية ومجازية فالأولى لله والثانية لغيره فيعبد هؤلاء المحرفون غير الله ويسمون عبادتهم مجازية لا يخرجون بها من دائرة الاسلام وحظيرة الايمان ، ونعوذ بالله من الخذلان ، فان هذا الضرب من التحريف للنصوص القاطعة لم يسمع عن امة من الامم اقبح منه ولا يمكن ان يثبت معه دين !! انظن ان صاحب هذه الجريدة اضاف هذا التحريف الى نفسه حتى لا يخشى انخداع العامة به لعدم ثقتهم بهذه الجرائد في امر الدين وعلمهم بجهل اصحابها ؟ كلا بل زعم انها جاءت من عالم ازهري ، ولا تدري العامة ان رواية الثقة عن المجهول غير

معتبرة فكيف برواية غير الثقة. فبمثل هذه الكتب والصحف فسدت الاديان واحتل نظام العلم ولذلك نقول تبعاً للائمة المجتهدين انه لا يجوز لاحد ان يأخذ في الدين بكلام عالم ما لم يعرف دليله فان كان الدليل حديثاً شريفاً فلا تصح الثقة به الا اذا نقل عن المحدثين الثقة الذين رووه لتعرف درجته وتمكن مراجعته ، وعلى هذا جربنا في المنار والله المستعان ، دون فلان وفلان ،

❦ تعدد الجمعة عند الشافعية وإعادة الظهر ❦

(س ١١١) مستفيد في (سنا فوراً) : حصلت مباحثة احبينا رفعها اليكم لاستجلاء الحقيقة والاستهداء فزجواكم الاجابة على صفحات المنار . تفضلتم في الجزء التاسع عشر من المنار الهادي بنقل نصوص الامام الشافعي في تعدد التجميع مما لم تكتحل به عيوننا قبل وجزمتم آخر الجواب بأنه لا محل لصلاة الظهر عقب الجمعة في نحو مصر فبعد التأمل وقع لدينا ما جزمتم به موقع الاستحسان وعليه عملنا منذ تيقظنا . ولكن ظهر لبعض طلبة العلم من الشافعية بطرفنا ان مقتضى تلك العبارات ونتيجتها هو ان الذمة لا تبرأ يقينا الا بصلاة الظهر بعد الجمعة في نحو سيقافوره (*) وان من اراد الاختصار مثلاً على الجمعة فقط او الظهر فقط فالاولى له ان يصلي الظهر ويترك الجمعة لانه بالظهر يبرأ يقيناً ولا تبرأ ذمته بالجمعة وحدها يقينا . وقال ان مانقلتم عن الشافعي لا يفيد سوى ما فهمه لا ما ذكرتم فهل ما قاله هذا البعض صحيح ام محتمل ام لا ؟ ولتكونوا على بصيرة من سيقافوره نفيديكم انها بلد مستطيل يبلغ طوله نحو ستة أميال انكليزية لكن عرضه لا يبلغ نحو نصف طوله وتصلي الجمعة فيه في نحو خمسة عشر مسجداً بعضها مزدحم وباليقين ان المحتاج اليه منها للجمعة هو بعضها وربما كان اقل من النصف لاقلة المسلمين ولا كثرة تاركي الصلاة منهم بالكلية بل انها وهم في حضور الجمعة وقد يظن ان اعتقادهم عدم اجزاء الجمعة منهم يثبت بعضهم ، فافيدونا بالحكم على رأي الشافعي ثم اشرحوا لنا على طريقة المنار ماهي شروط الجمعة التي لا تصح الا بجميعها وتبطل بفقد واحد منها وماهي ادلتها الشرعية الواضحة وينوها بالعزو الى مخرجها لثم الفائدة لمستجديكم واهل هذه القاصية لازلم هداة للرشاد نافعين للعباد

(*) هكذا يكتب اسم البلد اكثر العرب الذين فيها

(ج) عبارة مختصر المزني ليس فيها ذكر اعادة الظهر على من صلى الجمعة وعلم انها صليت في مسجد آخر بل هي نص في وجوب التجميع في مسجد واحد وان كان لا يسع الناس وانه لا يصلى بعد اقامتها في أحد المساجد الا الظهر أي بعد العلم بأنها صليت . وزادتها ايضاحاً عبارة الآم وهي «أياها» (١) جمع فيه اولا بعد الزوال فهي الجمعة وان جمع في آخر ساعة بعد الجمعة كان عليهم ان يعيدوا ظهرها اربعا . فقوله: في آخر ساعة بعد الجمعة : يشعر بأنهم جمعوا مع العلم بأن الجمعة صليت ويؤيده مسألة الاشكال التي اوردها بعد فانها تفيد ان المسألة قبلها مفروضة في صورة العلم . وانما تأتي مسألة الاشكال التي قالها الامام في صورة الاجتماع والشك في السبق بعد التجميع بأن صلوا في مساجد متعددة معتقدا اهل كل مسجد انهم السابقون او غير عالين بتجميع غيرهم بالمرّة ثم علموا وطراً عليهم ما وقعهم في الشك والاشكال ولذلك اوجب عليهم اعادة الجمعة في قول فقال «ولو اشكل عليهم فعادوا فجمعت منهم طائفة ثانية في وقت الجمعة اجزاهم ذلك» وصلاة الظهر في قول آخر وهو الذي ذكرناه هناك عنه اولا وعن الربيع آخر . وهل المراد من القولين التخيير ام يريد الامام ان الظهر حتم على من لم يتمكن من اعادة الجمعة ام يرجع بأحد القولين عن الآخر؟ كل محتمل ولا محل هنا للبحث في الترجيح ، وانما المراد ان الامام لم ينص على ما اذا جمعوا في مساجد متعددة ولم يطرأ عليهم اشكال في السبق بأن احرم اهل كل مسجد بها بناء على ان الاصل عدم سبق غيرهم لهم والاصل في مثل هذه الصلاة الصحة ولم يطرأ ما يعارض الاصل

والدليل على تصوير المسألة الاولى فيما قلنا انه ظاهر عبارة الامام وفيما قلناه في المسألة الاخيرة هو ان الصلاة لا تتم الا بالنية ومن شروط النية في المذهب تحقق المقضي فمن احرم بصلاة وهو يشك في دخول وقتها لا يصح احرامه فان صلى به يكون عاصيا بعمله ولا يعتد به صلاة . ولا شك ان الشافعية في مصر وسنغافور وبغروت ونحوها من الامصار التي تعدد بها المساجد يحرمون بصلاة الجمعة وهم معتقدون ان صلاتهم تامة الشروط من دخول الوقت واستيفاء العدد وعدم سبق غيرهم لهم بجمعة في بلدهم ولو احرموا غير معتقدين بأحد هذه الشروط وهم يعتقدون انها شروط

(١) كتبت «ايها» في الجزء ١٩ «أنها» وهو غلط مدرك بالبداية

(لأنهم شافعية) لكانوا عصاة متلاعين بالدين كمن يصلي بغير وضوء وحاشاهم من ذلك
وجملة القول ان الامام منع تعدد التجميع اختيارا مع العلم وصرح بعدم اجزاء
جمعة ثانية بعد الاولى فجملة الاعتقاد بأن هذه الجمعة هي الاولى أو عدم العلم بأنها
مسبوقه بجمعة صليت قبلها شرطا لصحة الجمعة فن لم يتحقق عندهم الشرط لايحوز
لهم التجميع عنده. فاذا كان أهل الامصار التي تعدد مساجدها لا يتحقق عندهم هذا
الشرط فلا يحوز لهم التجميع اذ لا تعتقد صلاتهم بالجمعة مع فقد شرطها، وان كان
يتحقق لان الاصل عدم السبق كما قلنا كانت جمعهم صحيحة ولا يحوز لاحد ان يصلي
عقبها ظهرا. وأما الاقدام على صلاة فريضتين في وقت واحد مع اعتقاد ان كلا منهما
واجب كما يفعل أكثر الشافعية في الامصار فما لادليل عليه في قول الامام
رحمه الله تعالى بل مقتضى المذهب حرمة

وقد زارنا بعد كتابة ما كتبناه في الجزء التاسع عشر أحد علماء الشافعية المدرسين
في الأزهر فقرأه فأعجبه فقلنا له أظن أحدا ينازع فيه فقال ربما ينازع فيه الضعيف
فذكرنا له نحو ما كتبناه آنفا في النية فقال ان هذا يقنع من عساه يعارض وليتك
كتبته . فاذا اقتنع ذلك الطالب في سغافوره بهذا الايضاح والا فليشرح لنا
فهمه ودليله

ثم ان هذا كله مفروض فيما اذا كان التجميع في مساجد تزيد عن الحاجة وقد
علم مما كتبه الشبرايمسي وغيره ان العبرة بزيادتها عن تحجب عليهم الجمعة لاعن المصلين
بالفعل فاذا كانت مساجد سغافورة دون حاجة المسلمين فيها لو صلوا الجمعة فلا اشكال
في صحة الجمعة وعدم وجوب اعادة الظهر . ومن الغريب أن يذهب ذاهب الى ترك
هذا الشعار بالمرّة ويزعم انه من الاحتياط . وقد اطلعنا في هذه الايام على رسالة في
المسألة للشيخ مصطفى الغلاييني البيروتي كانت بيد بعض الازهرين ورغب الينا في
نشرها فنحن ننشرها لزيادة الايضاح وسندكر بعد نشرها ما صح في السكتاب والسنة
في صلاة الجمعة ان شاء الله تعالى



﴿ باب الفقه في الدين ﴾

رسالة (البدعة . في صلاة الظهر بعد الجمعة) للشيخ مصطفى الغلاييني

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم ياملهم الصواب ، وماح السداد ، ومنزل الكتاب ، لهدي العباد ، نستلك
 الاعانة واليسير ، والهداية والرشاد ، انك على كل شيء قدير ، فاهدنا قويم النجاح ،
 أما بعد فاني كاتب في هذه الاوراق اليسيرة مايتعلق بصلاة الظهر بعد الجمعة كتابة
 يرتفع بها ستار الاوهام ، وتفتشع عن وجه الحقيقة سحب الظلام ، مقياً على ذلك البراهين
 القاطعة ، والحجج الواضحة الساطعة ، حتى نجلي الصبح لذي عنين ، ويزول الغطاء والرين ،
 فتبدو الشمس من رجبها مشرقة الوجه ، زاهرة الطلعة ، فلا يبقى حينئذ مقول لقائل ،
 ولا مجال لمعترض ، فالحق أحق أن يتبع ، وما الحقيقة الا بنت البحث ، وما القصد من هذه
 السطور الا اظهار الحق ، وتبيان الصدق ، ولا بد للحقيقة أن يعلو منارها ، ويشرق سناؤها ،
 فتغل كئاب الباطل وتزهق ، وتفشل انصاره وتمحق ، وقد قال بعض أساتذتنا الاعلام
 « انما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه » آخذاً هذا المعنى من قول الله سبحانه (بل نقذف
 بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) وقوله جل ثناؤه (ان الباطل كان زهوقاً)

والداعي لتحرير هذه الرسالة ان بعض خطباء المساجد في مدينتنا بيروت منع من
 صلاة الظهر بعد الجمعة في مسجده فاعترض عليه بعض الفقهاء الشافعية وحصل في المسألة
 أخذ ورد وانقسم طلاب العلم على قسمين ففهم من يقول بمنعها ومنهم من يقول بوجوبها
 أو سنيها ومضى على ذلك أشهر والمسألة في ميدان البحث والانتقاد الى أن ظهرت في هذه
 الايام رسالة في الموضوع للشيخ المرحوم علي نور الدين الشبرايملي الشافعي حكى فيها اقوال
 الشافعية في المسألة وحكم بأن صلاة الظهر بعد الجمعة مع التعدد إما واجبة مع التعدد
 لغير حاجة وإما سنة مع التعدد للحاجة ، وقد سمي في هذه الرسالة بعض المنتسبين للعلم
 واغرى بعض المثربين بطبعها وتوزيعها على العوام مجاناً

وقد جاء في مقدمة الساعي بطبعها من الانتقاد على الخطيب مالا يحمد ذكره ،
 فقد وصفه بأنه فرق كلمة الخاصة وشوش اذهان العامة ثم اتبع ذلك بقوله « ولا ينبغي
 مافي ذلك من الضرر المبين حيث يؤدي الى شق عصا المسلمين » الى آخر ما قال . علي حين

ان العامة لم تشوش أفكارهم ، ولم تفرق كلمهم ، وانما تحزب بعض الفقهاء من أمثاله هو الذي نبه أفكار الخاصة ، وشتت أذهان العامة ، على أن هذه المسألة خاصة بالشافعية ومن وافقهم دون غيرهم من المسلمين ، فكيف يقال أنه شق بعمله هذا عصا المسلمين وفرق كلمهم . واني متكلم في هذه المسألة على ثلاثة ابحاث : البحث الاول في الكلام على تعدد الجمعة . الثاني في الكلام على الظاهر بعد الجمعة . الثالث في عرض المسألة على الكتاب والسنة

• البحث الأول في الكلام على تعدد الجمعة •

اعلم أن الفقهاء اختلفوا في تعدد الجمعة على قسمين فمنهم من منع التعدد مطلقا سواء كان الحاجة أم لا وهو غير معتمد في المذهب كما صرحوا به ومنهم من أجاز التعدد بشرط الحاجة وهو الصحيح من المذهب وعليه أكثر الفقهاء . ثم اختلف أصحاب هذا القول في تفسير الحاجة على أقوال فمنهم من قال الحاجة باعتبار من يصلها بالفعل ومنهم من قال الحاجة باعتبار من يغلب حضوره فعلى هذين القولين يكون التعدد في بيروت ونحوها زائداً عن الحاجة لان الذين يحضرونها تكفيهم مساجد أقل من المعدة لها : ومنهم من قال الحاجة باعتبار من تصح منه الجمعة ويدخل في ذلك النساء والصبيان ، ومنهم من قال إن الحاجة باعتبار من تلزمه الجمعة وهو المقتد عندهم . فعلى هذا القول المقتد وما قبله يكون التعدد في بيروت ونحوها حتى مصر ودمشق حاجة بل هو أقل من الحاجة

«ولباب القول» أنه ان اعتبرتم أن الجمعة في بيروت ونحوها متعددة لغير حاجة فيجب الاقتصاد على ما يكفي الناس لا أن نوجب عليهم صلاة الظهر بعدها لانها عبادة لم يأمر الله ولا رسوله بها ، وان اعتبرتم أنها متعددة لحاجة بناء على القول المقتد فلا لزوم لصلاة الظهر بعدها لان الامام حينما دخل بغداد صلى فيها الجمعة مع تعددها ولم يصل بعدها الظهر . واعلم أن منشأ هذه الاقاويل ما تعارض من قول الامام الشافعي وفعله فظاهر كلامه أنه لا يجوز التعدد وأما دخوله الى بغداد ووجوده أهلها يصلونها بمجملين أو ثلاثة وعدم انكاره عليهم وصلاته معهم سنتين فهو دليل على اقراره التعدد ان كان الحاجة . وأما من قال أن سكوته من باب ان المجتهد لا يرد على مجتهد فنقوض لانه ان كان لا يجوز التعدد لحاجة بدليل بمد سكوته على ذلك من باب رؤية المنكر وعدم ازالته ونحوه

الامام عن ذلك، وان كان يجيز التعدد لحاجة فقد قضي الامر؛ ومن قال يحتمل ان الشافعي صلى
الظهر لا الجمعة أو انه كان يعيد الظهر بعد الجمعة نقول له ان الدين لا يثبت بالاحتمال
وان المنقول خلاف ما يحتمل وغير ما ندعي، ولهذا أجاب عنه جمهور أصحابه بأن تعدد الجمعة
في بغداد اذ ذاك لمشقة الاجتماع لكثرة أهلها وتبعهم الشيخان كالروايي قال في الحلية
«ولا نص فيه للشافعي ولا يحتمل مذهبه غيره» اه أي لم ينص الشافعي على مسألة التعدد
في حالة الاضطرار ومذهبه يقتضي جوازه لان المشقة تجلب التيسير، وأما قول المزني في
المختصر «ولا يجمع في مصر وان عظم وكثرت مساجده الا في مسجد واحد» فليس
فيه ما يدل على عدم جواز التعدد لحاجة فينبغي حمله على حالة السعة والاختيار؛ دون
المشقة والاضطرار، وهي فيما اذا وجد مسجد يجمعهم جميعا لان مسألة الامام في بغداد
دليل على ذلك، وصريحة في جواز التعدد عند الافتقار، فسقط قول من قال لا يجوز تعددها
ولو في حالة الاضطرار،

وشبهة من قال بعدم جواز تعدد الجمعة هو أنها لم تفعل في زمنه صلى الله عليه وسلم
الا كذلك أي في مكان واحد فلو جاز تعددها لحصل ذلك في زمنه عليه الصلاة والسلام
وقول في الجواب من وجوه

الاول انه لم يكن من حاجة الى التعدد لان مسجد الرسول كان يكفيهم جميعا
فلا معنى حيثئذ للكثرة لما هو معلوم من أن المسلمين لم يكونوا يلبثون من العدد ما بلغوه
بعد زمان النبي والخلفاء الراشدين لكن لما اتسعت دائرة الاسلام وكثرت فتوحاته ودخل
الناس فيه أفواجا أفواجا في مشارق الارض ومغاربها تسر عليهم الاجتماع لاقامة الجمعة
في مسجد واحد فدعتهم الحاجة الى تعددها عملا بقوله عليه الصلاة والسلام يسروا
ولا تسروا وقوله تعالى «وما جعل عليكم في الدين من حرج» ولانه ان كان القصد من
عدم التعدد شعار الجمعة فالشعار حاصل أيضا مع التعدد لحاجة

الثاني الحرص على الصلاة مع النبي صلى الله عليه وسلم وسماع خطبه ومواعظه وأوامره
ونواهيه وأي مسلم يرغب عن الصلاة مع النبي الى غيره،

الثالث الحرص على اجتماع الكلمة وعدم التفرق بقدر الامكان لان هذا هو من حكم
صلاة الجمعة لا يعدل عنه الا لضرورة كضيق المصلي الواحد مثلا. وقد تفلسف بعضهم

فقال يجب اقامة الجمعة في مصلى واحد ولو غير مسجد وان حصل بذلك مشقة من حر أو برد أو مطر الخ. وقد قاس تلك المشقة على مسألة الجهاد والحج وان لم يكن بين المقيس والمقيس عليه جامع ، قال بعض الفقهاء عندنا: وذلك كرمل بيروت ونحوه ، يخبر الخ والجواب عن ذلك أن هذا القول عار عن الدليل ومخالف لعمل الامام الشافعي لأنه لم يأمر أهل بغداد بالاجتماع في غير المساجد بل أقرهم على التعدد للحاجة اليه

اني لا عجب من تجويزهم أو إيجابهم الاجتماع للجمعة في غير المسجد ان لم يمكن فيه لانهم منعوا التعدد بحجة أنها لم تعدد في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فكيف يقولون بصحتها في غير المسجد مع أنها لم تفعل في زمن الرسول الا في المسجد (١) فلمعري ان هذا ترجيح بلا مرجح فتجوزكم للمسألة الأولى يقتضي تجويز الثانية وهو التعدد للضرورة وهو ما أقر عليه الامام الشافعي ولم ينكره ، فعُدولكم بلا دليل عن عمل الامام ؛ ضرب من التفتت والاهام ،

على أنه لم ينقل عن المعصوم ولا عن الصحابة ما يدل على عدم جواز التعدد وأما من قال ان عدم التعدد في زمنهم دليل على عدم جوازه فنقول له قد أخطأت المرمى فان كثيراً من الامور لم تكن في عهد الرسول ثم دعت الحاجة والوقت الى إيجادها منها ان القرآن لم يكن مجموعاً في عهده صلى الله عليه وسلم ثم رأت الصحابة رضوان الله عليهم ان من اللازم جمعه خشية ضياعه ، وهكذا الأحاديث الشريفة كانت العلماء تتناقلها في الصدور ثم رأوا من المصلحة كتبها في الدفاتر وهكذا أكثر العلوم الدينية والعربية الخ فهل يقال لا يجوز فعل ما تقدم ، نعم لا يجوز أن نخترع أمراً دينياً لم يكن على عهد النبي اذا لم تحوج الضرورة الى فعله كصلاة الظهر بعد الجمعة مثلاً

(١) اللهم الا ماورد من اقامتها في غيره اذ كان النبي مسافراً مع الصحابة في بعض الاسفار ولا حجة لهم به لان ذلك كان في السفر لا الحضر فان قالوا نحن نخرج للضرورة الضيق فنقول لهم نحن نعدد للضرورة نفسها والمسلتان سواء ، على أنهم لا يعملون بهذا الحديث لانهم يوجبون لصحة الجمعة أربعين مقيمين والصحابة اذ ذاك مسافرون فاحتجاجهم بشيء منه وطرح الآخر ضرب من البعد عن الحق وسيأتي معنا توضيح المقام في البحث الثالث ان شاء الله اه منه

ثم ان عدم التعدد في زمانه عليه الصلاة والسلام ليس دليلاً على عدم جواز التعدد لانه لم يرد قول يمنع ، ومن المعلوم المسلم المقرر أن الاصل في الشيء ان يكون مباحاً الا اذا ورد دليل على تحريمه أو كراهته وأي دليل ورد في ذلك ، فالحق الحق عباد الله فالحق أحق ان يتبع ان شريعتكم سهلة سمحة لا تكلف فيها فلا تضيقوا على أنفسكم فذبيكم يقول «الدين يسر» وان يشاد الدين أحد الاغلبه ، وقال أيضاً في حديث آخر «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحدّ حدوداً فلا تنهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها »

فعلمت مما تقدم ان الحق من مذهب الشافعي رحمه الله تعالى هو جواز تعدد الجمعة متى دعت الحاجة الى ذلك وهو ما تقتضيه قواعد الشريعة المطهرة وان المعتمد في تفسير الحاجة أن العبرة بمن تجب عليهم الجمعة صلوا أم لا فان كانوا لا يكفيهم مصلي واحد صلوا في عدد يكفيهم من المساجد ، وعليه فالمساجد التي تقام فيها الجمعة في بيروت ومصر وماضارعهما من المدن متعددة للحاجة بل هي أقل من الحاجة إذ لو صلي كل من تلزمهم الجمعة لضافت عليهم المساجد وبقي منهم جم بلا صلاة كما هو المشاهد في رمضان والاعياد

البحث الثاني في الكلام على الظاهر بعد الجمعة

علمت في البحث السابق الكلام على التعدد وان الحق جوازه. وإنا ذا كرون لك في هذا الفصل الكلام على صلاة الظاهر بعد الجمعة اذا تعددت فقول: ان ذلك واقع فيما اذا كان تعددها لغير حاجة فان الظاهر تلزم بعدها في صور نذكرها لك قريباً ، وأما اذا تعددت لحاجة فلا ظهر بعدها مطلقاً بل هي باطلة قطعا ان صليت ، ولا يقال تسن الظاهر اذا تعددت لحاجة خروجاً من خلاف من أوجبها ، لانا نقول بل السنة بل الواجب تركها مراعاة لمن لم يقل بها لانها لم يدل عليها دليل بل هي مخالفة لعمل الامام الشافعي رضي الله عنه لانه لم يصلها في بغداد ولم يؤثر عنه قول في سنيتها مع التعدد لحاجة فكيف ترك الامام ونعمل بغير قوله ان هذا لمن العجب ، على أن التقليد للشافعي لا لهم حتى يخترعوا أقوالاً لم يقلها أو يخالفوه او يقولوا بغير قوله ومع ذلك يقولون هذا مذهب الشافعي وما هو بمذهبه وقد ذكرت لبعضهم ان كتاب «الام» للامام الشافعي يطبع في هذه الايام فقال

لا حاجة لنا به لأنه لا يجوز أن نعمل إلا بكلام المتأخرين ، يعني لا يجوز له تقليد الشافعي فاسمع هذا وأعجب ، نعم لو ظهر أن كلام الامام مخالف للدليل وكلام اتباعه موافق له يجب أن نترك قول الشافعي ونتبّع أتباعه لأن الشافعي أمر باتباع الدليل حينما كان وقد صح عنه أنه قال « إذا صح الحديث فهو مذهبي » ونكون في هذه الحالة أيضاً متابعين للشافعي لأمنا قضيته له ويفهم هذا السر من يفهمه ويجهله من يجهله ، ولكنهم يخالفونه فيما لا دليل لهم عليه وذلك من عدم الاطلاع على كلامه وإهمال كتب المتقدمين التي فيها الحير كله ،

وقد قال بعض الفقهاء عندنا معرضاً بالمانعين من صلاة الظهر بعد الجمعة « رأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى » على أني أفسح صدري وأفتح أذني لسماع اعتراضه وأجيبه عليه وإن كان كلامه مما لا ينبغي أن يرد عليه فأقول رأيت أيها الفقيه لو أن انساناً صلى الظهر ست ركعات مثلاً ادّعه يصلي أم تمنعه ؟ رأيت لو أن جاهلاً صلى نقلاً ليس له سبب متقدم أو مقارن في وقت من الأوقات المحظور فيها ذلك أتيسح له الصلاة أم تحظرها ؟ رأيت رأيت الخ . . .

ولنرجع الى بحثنا فنقول: إن مذهب الشافعي عليه الرحمة في هذه المسألة إن الجمعة إن تعددت لغير حاجة في البلد الواحد في مواضع فالجمعة للسابق ويصلي الباقي الظهر فساد جمعهم ، وإن أشكل السابق أعادوا كلهم ظهراً ولو أعادت طائفة منهم الجمعة أجزأهم ذلك ، ومسألة الاشكال لا تأتي إلا إذا اجتمعوا وتذاكروا فظهر لكل فريق منهم ما أوقع في نفسه الريب والشك في سبقه بالجمعة ، وأما قبل الاجتماع بالفريق الآخر الذي أقام جمعة ثانية وثالثة والتحدث معهم فلا يحصل الشك ، يدل على ذلك ما قاله الشافعي وهو قوله « ولو أشكل ذلك عليهم فعادوا فجمعت منهم طائفة ثانية في وقت الجمعة أجزأهم ذلك » أه فهل يستقيم ذلك إلا بعد الاجتماع والتحدث ؟ والافكيف يحكمون بفساد جمعهم كلهم بدون تثبت ؟ وأما إذا لم يعلم السابق ولم يحصل اشكال بل صلى كل فريق ظاناً أنه السابق ولم يطرأ عليه ما شكك بسبقه فلا ظهر عليه وجمعه صحيحة وهذه الصورة لم ينص عليها الشافعي فينبغي حملها على ما قلناه لأن الأصل عدم سبق غيره له ولم يكن هناك ما يعارضه فيبقى ما كان على ما كان

على أنه لو فرضنا ان الجمعة في بيروت ونحوها متعددة لغير حاجة • وان كان الواقع خلافه بناء على القول المعتمد • فلا تلزم بعدها الظهر أيضا والسبب في ذلك عدم معرفة السابق بالجمعة وعدم الشك بالنسبة لان كل انسان يصلي ظانا انه السابق ويذهب لاشغاله ولم يكن هناك اجتماع ولا تحادث في السابق حتى يعلموا فساد جمعهم او الشك في صحتها بل من الغريب ان الداخل الى المسجد من الطلبة او العامة موطن نفسه على صلاة الظهر بعد انقضاء صلاة الجمعة بدون تثبت ولا تحقق معتقدين ان الجمعة لا تجزئ لانها صارت عادة لهم قضى بها التقليد الاعمى الصرف • وكيف يجوز ان يصني المرء صلاة معتقداً انها لا تجزئ؟ اعمرى لم ينقل عن الشافعي ولا اصحابه ما يحيز ذلك بل ولا عن احد من الأئمة اللهم الا بعض الفقهاء المتأخرين ، الذين لا يجوز تقليدهم لأحد من المسلمين

هذا ومن يقول بعدم لزوم الظهر بعدها من علماء الشافعية الاحياء علمان من اعلامهم وبحران من بحورهم لا يمكن ان ينكر فضلها او يحجد علمها وما الاستاذ العلامة الفقيه المحدث الشيخ عبد الباسط الفاخوري مفتي مدينتنا بيروت والشيخ الفقيه الزاهد المفضل خاتمة المحققين في المذهب الذي اطلق عليه لقب الشافعي الصغير الشيخ عيسى الكردي المتوطن في دمشق الشام • وقد نقل الموجبون لصلاتها عن كتاب الكفاية للاستاذ مفتي بيروت المتقدم ما يدل على وجوبها وسنيتها والحقوه برسالة الشبرايملي بعد طبعها وتوزيعها فان كانوا يعتبرون ان كلامه ليس حجة فلا قيمة اذن لهذا النقل ولا حجة لهم به وان كانوا يعتبرون انه حجة فنقول لهم : انه كتب ذلك مسaire للفقهاء المتأخرين وقد رجع عن هذا القول كما صرح بذلك لمن استفتاه بهذا الخصوص ، وقوله في المسألة هو ما فصلناه سابقا وقد ألف بهذا الخصوص رسالة مطولة جواباً لسائل سأله اسمعني ايها

وقد نقل عدد من اهالي بيروت ان الفهامة المحدث الفقيه علامة وقته المرحوم الشيخ محمد الحوت الكبير البيروتي صاحب التأليف النافعة لم يكن يصلي الظهر بعد الجمعة ابداً ، وكذا ولده العالم الزاهد الشيخ عبد الرحمن احد القائلين بوجوبها قد ثبت باقراره انه لا يصليها في مناظرة جرت بينه وبين بعض القائلين بعدم مشروعيتها وقد

راقبته مرات فلم اره يصليها

وقد رأيت في كتاب الاجوبة العراقية للشيخ الآلوسي العلامة الشهير صاحب التفسير كلاماً في الموضوع قال بعد أن اورد كلام متأخري الشافعية مانصه : وكنت اذ انا شافعي مقلداً هذا القول « وهو جواز تعددها في البلد الواحد » فلم اكن أصلي الظهر بعد الجمعة . نعم كنت احياناً أصليها في بيتي وانكر في قلبي على من يصليها في الجامع بجماعة لما كنت اسمع من كثير من العوام ما يدل على اعتقادهم ان الله تعالى فرض على العباد يوم الجمعة وليتها ست صلوات . وما كنت ارى منشأ لذلك اظهر من إلزام كثير من الشافعية لاقامة الظهر في المسجد الجامع بجماعة وانا اليوم ارى صلاة الظهر بعددها في البيت للاشتباه في تحقق بعض شروط الصحة واني ليضيق صدري ولا ينطق لساني « اهـ

(لها بقية)

أشار على السيرة

(كتاب الامامة والسياسة)

كنا نسمع بهذا الكتاب ونرى اسمه في الكتب فتعنى لو نراه لمكان مؤلفه أبي عبدالله بن قتيبة في العلم وتقدمه في الزمن فهو من أهل القرن الثالث ومن أصحاب الرواية حتى أتاح الله لطبعه في هذه السنة محمد أفندي محمود الرافعي وهو تاريخ للخلفاء الراشدين ومن بعدهم من ملوك المسلمين الى عهد المأمون . والكتاب في انسجام عبارته ، وتحري مؤلفه في روايته ، مما لا يستغني المسلم عن قراءته ، ومن قرأه معتبراً يعرف شيئاً من قوة روح الاسلام وكيف أحيا الله به هذه الامة حتى صار يؤثر عنهم من العدل والحكمة وهم لم يدارسوا السياسة ولا تربوا في حجورها - مالا يؤثر مثله عن ملوك أوربا وحكامها على رقيم المشهود في العلوم الاجتماعية والسياسة وأخذ أهمهم على أيديهم . ومما نحب توجيه النظر اليه المقارنة بين ملوك المسلمين وأمراتهم حتى بعد ان صارت الخلافة ملكاً عضوياً مخالفاً لكثير من أصول الاسلام وبين ملوكهم وأمراتهم في هذا الزمان ، الذي انحطت فيه الامة الى حضيض الهوان . فمما أوردته في ذلك

(دخول سفيان الثوري وسلمان الخواص على أبي جعفر المنصور)

ومما ذكره عن سفيان انه أجاب ابا جعفر عند ما قال له : اليّ اليّ ادن مني :
بقوله اني لأطأ ما لأملك ولا تملك : فقال أبو جعفر : يا غلام ادرج البساط وارفع
الوطاء : فتقدم سفيان فصار بين يديه وقعد ليس بينه وبين الارض شيء وهو يقول
« منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » فدمعت عينا أبي جعفر .
ثم تكلم سفيان دون ان يستأذن فوعظ وأمر ونهى وذكر وأغلظ في قوله فقال
له الحاجب أيها الرجل أنت مقتول فقال سفيان : وان كنت مقتولا فالساعة :
فسأله أبو جعفر مسألة فأجاب . ثم قال سفيان : فما تقول أنت يا أمير المؤمنين فيما أنفقت
من مال الله ومال أمة محمد بغير إذنه وقد قال عمر في حجة حجها وقد أنفق ستة
عشر دينارا هو ومن معه « ما أرانا الا وقد أجحفنا بيت المال » وقد علمت ما حدثنا
به منصور ابن عمار - وأنت حاضر ذلك وأول كاتب كتبه في المجلس - عن ابراهيم بن
الاسود عن علقمة عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « رب متخوض
في مال الله ومال رسول الله فيما شاءت نفسه له النار غدا » فقال أبو عبيد الكاتب :
أمير المؤمنين يستقبل بمثل هذا ؟ فقال له سفيان اسكت فانما أهلك فرعون هامان
وهامان فرعون . ثم خرج سفيان فقال أبو عبيد الكاتب ألا تأمر بقتل هذا الرجل
فوالله ما أعلم أحدا أحق بالقتل منه فقال أبو جعفر : اسكت يا أنوك (أي يا أحق)
فوالله ما بقي على الارض أحد اليوم يستجيا منه غير هذا ومالك بن أنس . اهـ

ومثل هذه الرواية كثير في الكتاب وغيره . هذا وقد كان الامام مالك الذي قال
فيه المنصور ما قال يرى عدم صحة يعبته على علمه وفضله لان الحكومة كانت دخلت في
طور الاطلاق المخالف للشرع وان لم يكن ثم قانون غير الشرع . فانظر ما أبعد
الفرق بين المنصور وأمثاله على علاقتهم وبين ملوكنا وامرائنا المتأخرين وهل يطبق أحد
منهم ان يسمع من عالم كلمة حق على أنهم قد شرعوا لانفسهم من الحقوق ما لم يأذن به
الله كتعطيل الاحكام الشرعية واستبدال القوانين بها ومنع الجند والعمال أرزاقهم
وهبة ماشائوا من بيت المال بغير الحق - وهذه الاخيرة قد بدت عهد . ونوجه انظار القراء
إلى ما في الكتاب من دلائل الحياة الادبية كخطب موسى بن نصير والمقارنة بينها

وبين حياتنا اليوم

والكتاب جزءان في مجلد واحد وثمنه عشرة قروش صحيحة واجرة البريد قرش ونصف وهو يطلب من ادارة مجلة المنار ومن المكتبة الازهرية

﴿ نموذج من خطب السيد عبد الحق الاعظمي ﴾

نشرنا في الجزء ١٧١ من المجلد السادس خطبة من خطب صاحبنا الشيخ عبد الحق البغدادي امام وخطيب المسجد ذي المنارات في بمبي (الهند) فعلم منها منهاجه في الخطب وأنه ينشئ الخطب لإنشاء بحسب حال العصر وما ابتدع المسلمون فيه وما عوقبوا به من البلاء وسوء الحال . وقد كان أرسل الينا طائفة من هذه الخطب ابتغاء نشرها في المنار فلم تتمكن من ذلك ثم انتدب بعد ذلك صاحبنا الشيخ عبد الله الحيتيكر الكتبي في بمبي لطبع هذه الخطب ونشرها وهي اثنتا عشرة خطبة ابتغاء تعميم نفعها وحث الخطباء على احتذاء مثالها فله مع الخطيب الشكر والتناء

وقد أرسل الخطيب نسخا من هذا النموذج المطبوع الى اصحاب الجرائد التي سمع بها والى بعض العلماء المشهورين في الاقطار وطلب منهم انتقادها وذلك من دلائل إخلاصه وتوجهه لاحسان عمله . ونقول في هذه الخطب انها أنفع ما رأينا مطبوعاً وفي مصر من يخطب على هذه الطريقة كالشيخ خالد النقشبندي في جامع (الست الشاميه) والشيخ محمد المهدي في جامع عزبان . ولو كان هؤلاء كلهم لا يترمون السجع المقتفى بل يكتفون بحمل الجمل وحيزه على نحو حمل السجع لكان اولى . ثم ان معظم هذه الخطب في الوعظ العام الاجالي فلو فصل فيها ما انتشر من البدع والمعاصي وبين فيها المعروف والخير المطلوب لتحسين حال المسلمين كمساعدة الجمعيات الخيرية وكيفية التعليم والتربية ومعاملة النساء ونحو ذلك يكون نفعها أتم فان أكثر الذين يسمعون الكلام العام المجمل من العامة لا يعرفون الغرض منه ولا يدرون ماذا يراد منهم

وقد أعجبني من صاحب النموذج انتقاده ما يأتيه المسلمون من الشيعة وأهل السنة في عاشوراء وانتقدت عليه الشدة في التعبير في بعض المواضع مما له مندوحة عنه والتعريض في قوله : فسا مبارك صباح المسلمين : فهو غير محكم ، والتكلف في السجع

وتطويله أحياناً لاسيما الاقتباس كقوله في النبي صلى الله عليه وسلم «ويدعوهم الى توحيد الخالق وتفريده بالعبادة وينقذهم من ضلال عبادة الاصنام التي كانوا عليها ما كفين» وقال له «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة» خلقي أجمعين» ولو أتم الآية لكان خيراً من وصله بها ما يلائمها من الحشو • واحب له أن يعنى بتصحيح ما يطبعه بعد فان في هذا المطبوع شيئاً من الاغلاط الفاشية في الجرائد وكلام المعاصرين كقوله : تعينت إماماً : ها أتم قد استقبلتم : — والصواب ها أتم أولاء : والفرا حش الخفية : — والصواب الخفافة : تحصلتم على كذا : والصواب حصلتم — وقد أرسل الينا طائفة من هذه النسخ للبيع فبحث الخطباء الذين يخطبون من الدواوين المتداولة الممولة المثبثة اللهم أن يحفظوا هذه الخطب ويفضلوها فانها خير من تلك وأنفع • وعن النسخة أربعة قروش وهي قليلة بالنسبة الى الفائدة لكنها غير قليلة بالنسبة الى الورق والطبع ، وأجرة البريد عشرة القرش (مليان)

(الزهرة في نظام العالم والامم)

رسالة لطيفة في الزهرة للشيخ طنطاوي جوهرى كتبها بأسلوبه المعروف وهو مزج الكلام في الطبيعة ونظام الكون بآيات القرآن الحكيم ولو ألف التلامذة وغيرهم من قراء العربية في عصرنا هذا الاسلوب لانتفعوا بما في هذه الكتب واستلذوه • وفي هذه الرسالة مقارنة بين رأي للامام الغزالي ورأي لعجون لبك العالم الطيبي المصري وبحث في القرآن والمسلمين ومتأخري الافرنج وبحث في جمال النبات ونظام الازهار ، والكلام على الزهر ذي الاقفال والمفاتيح والزهر ذي الحراس والزهر ذي الجند والزهر ذي السياسة الحقيقية والوهمية والزهر المنظم ونور الزهر • والمؤلف يعتمد في الكلام العلمي على مؤلفات الافرنج الحديثة ويزيد على ذلك إسناد هذا النظام الى فاعله الحقيقي والتنبيه على سر صنعه ، وبديع حكمته ، فتحث الناس على قراءة كتبه

(دليل مصر والسودان)

يؤلف الافرنج كتباً للممالك يصفونها بها ويبنون ما فيها من المعاهد والمشاهد والمطابع والجرائد ويذكرون الكبراء المشهورين وغير ذلك • ويسمى هذا النوع من

الكتاب بالليل ويمتاز أفرادُه بالاضافة فيقال دليل فرنسا دليل انكلترا وبهذه الكتب يعرف أهل الوطن من وطنهم ما لم يكونوا يعرفوه بأنفسهم ، وبها يستعين الغرباء على اختبار البلاد إذا جاءوها سائحين وقد ألف غير واحد من الافرنج دليلاً لمصر والسودان ولم يمن أحد من أبناء العربية بذلك حتى قام به في هذه السنة * ثابت وإنطاكى ، فالفا للقطرين دليلاً جعلاه جزئين أحدهما تبلغ صفحاته زهاء ثلاث مئة وثانيتها ١٧٦ صفحة وقد ألحقا به كتاب طبائع الاستبداد برمته فكان الكتاب سفرأ كبيراً ومجلداً ضخماً لا تستغني عنه خزائن الكتب العربية إذ عار علينا أن لا نعرف بلادنا الا من كتب الاجانب . ونمن النسخة من الكتاب أربعون قرشاً صحيحاً ويطلب من أصحابه بمصر

﴿ فتح الملك الملام . في بشارت دين الاسلام ﴾

كتاب جديد في بشارت كتب الانبياء عليهم السلام بدين الاسلام جمعه أحمد أفندي ترجان . وقد سلك فيه مسلك التدقيق مع النصارى في تحريف كتب العهد القديم لصرفها بشارتها بالاسلام عنه الى غير وجادلهم بالتي هي أحسن كما قامه الحجج عليهم من كتبهم راجعاً عند الخلاف في التفسير الى العبارات العبرانية . مثال ذلك قول النبي أشعيا ٤٠ : ٣ صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب قوموا في القفر سبيلاً لا لهناء الخ فالنصارى حملوا هذا النص على السيد المسيح عليه السلام وهو لم يأت من القفر بل المراد بالقفر البلاد العربية لأن النص العبراني « بعربه » فترجوه بالمعنى حتى لا يظهر التحريف . وفي أشعيا أيضاً مما يؤيده ٢١ : ١٣ وحي من جهة بلاد العرب في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الدرائين . وما يؤيده في المزامير ٤٦ : ٤ غنوا لله رنموا لاسمه أعدوا طريقاً لاراك في القفار باسمه والنص العبراني « بعربوت » بدل في القفار وهي بلاد العرب . وعلى ذلك فقس . وصفحات الكتاب تقرب من ثلاث مئة وعبارته في غاية النزاهة فتحث القراء على مطالعته . ونطلب من الذين ينشرون الجرائد والمجلات للدعوة الى النصرانية والطمع في الاسلام أن يجيبوا عما أورده هذا الكتاب عليهم إن كانوا يعتقدون ما يقولون

﴿ شهادة اسرائيل لاسماعيل ﴾

جواهر التوراة والانجيل * لمحمد بن ابراهيم الخليل

الف محمد أفندي حبيب رسالة سماها بهذا الاسم ذكر في أولها ان الكتب المقدسة القديمة تكثر فيها الرموز والسكنايات ومن هذه الرموز استنبطت البشارات والنذر في كتب الانبياء بالحوادث العظيمة التي جاءت بدمهم وأعظمها ظهور الانبياء والشرائع والنصارى يسمون بشارات الانبياء ونذرهم بالنبوات وتوسعوا في ذلك حتى حولوا كثيراً من أخبارهم المعروفة حوادثها الى حوادث جاءت بدمهم وتحكموا في ذلك كما تحكموا في تحويل بعض الانباء عن المستقبل الى مالا ينطبق عليه • وقد بين محمد أفندي حبيب في رسالته هذه أمثلة من ذلك وأظهر خطأ القسوس فيها على نحو ما اشرنا اليه في تقريرنا للكتاب السابق وهو قد كان مساعداً لصاحبه على تأليفه لمعرفته باللغة العبرانية •

من ذلك ما جاء في الفصل الخامس من النشيد ١٦ حلقه حلاوة وكله مشتهيات هذا حيبي، قال المؤلف: فلفظ مشتهيات في الاصل العبراني (محمديم) والقواميس العبرانية تقول ان هذه اللفظة لاتفيد مشتهيات ولكن نقيده انه محمود أو محمد: وتقول ان هذه صريحة في نبينا عليه السلام وليس عندهم بشارة صريحة مثلها في المسيح عليه السلام وقوله قبلها حلقه حلاوة كناية عن فصاحة كلامه ولم يأت نبي بكلام أحلى مما جاء به خاتم الانبياء • وقوله بعدها وهذا حيبي نص في لقب النبي عليه الصلاة والسلام فانه حبيب الله عز وجل • وقد عذر المؤلف العبارة الى التوراة في توهم القارئ انها من الاسفار المنسوبة الى موسى عليه السلام وهي من النشيد كما قلنا ومنه ما جاء في الفصل الثاني من التلخيص « اسمعيني صوتك لأن صوتك لطيف ووجهك جميل » وفي الاصل العبراني عير بدل سيد أي عربي • ومنه ما في الفصل الثاني من نبوة حجى ٧ وأزلزل كل الاثم ويأتي مشتهى كل الاثم ، فأملأ هذا البيت مجداً: قال رب الجنود « وكلمة مشتهى هذه أصلها العبراني « حمدوت » ومنه ما محمد أو محمود وهي من الفعل العبراني « حمد » ومنه قول المزمور الرابع والثمانين « طوبى لانس عزهم بك ، طرق بيتك في قلوبهم ٦ عابرين في وادي البكاء » والاصل العبراني وادي بكة (وذكر المدد في الرسالة غلطاً) فأبدل لفظ بكا بلفظ (بكة) وهي مكة في نص القرآن وغير ذلك • والرسالة تطلب من مؤلفها في دكانه (المرض العام وبرج بابل بمصر) وثمنا نصف قرش • فطلب من أصحاب الجرائد والجلات النصرانية الجواب عنها أو السكوت عنا والا فانهم مشاغبون يقولون مالا يعتقدون

❦ خاتمة السنة السابعة ❦

باسم الله وحده نختتم الجزء الرابع والعشرين من هذه السنة كما افتتحنا أول جزء منها باسمه جل ثناؤه ، وحده وشكره عظمت نعمائمه ، فله الحمد أولاً وآخراً ، وباطناً وظاهراً ، بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون

قلنا في فاتحة هذه السنة ان المنار دخل في سن التمييز بالنسبة الى الأشخاص . ذاك أن الأعمال أطواراً كاطوار الناس - طفولية ومرحلة وشبابا وكهولة وشيخوخة ، وان العامل ليتقلب في أطوار عمله فيكون في أوله كالطفل أو الغلام الصغير ، وان كان في علمه أو سنه كالشيخ الكبير ، لان حياة التجربة والخبرة ، غير حياة النظر والفكر ، واننا لم نقل إن المنار دخل في سن التمييز تواضعا كما يقال ولا عذبا به الخروج عن حدود الحطة التي اختططنها ، أو السبيل التي أشرعناها له وذكرناها بالاجاز في فاتحة العدد الاول من سنته الاولى فان من راجع تلك الفاتحة يعلم ان كل ما كتب في السنوات السبع تفصيل لاجالها ومن سنة الله تعالى في هذا النوع أن كتابة العلم آلة لاجراجه من حيز الاجال والابهام ، الى حيز التفصلة والايضاح ، وأن من عمل بما علم ، ورثه الله علم ما لم يعلم ، كما ورد في الحديث الذي ذكرناه في تلك الفاتحة - وانما عينا بالدخول في سن التمييز ان العمل نافع وطبيعي وانما أنشأنا عرف في هذه المعاملة بيننا وبين الناس ما لم تكن نعلم من أمر الاستعداد للاصلاح الديني والاجتماعي ودرجات ارتقاء الاخلاق والافكار ومبايع التعاون واتساند والاختلاف في ذلك بين أصناف الناس في قطر واحد والتفاوت بين أهل الاقطار المتعددة

طفولة المنار

دخلنا في هذا العمل ونحن على غرارة الاطفال في معرفة الناس - اذا ظهر لنا أحد استحسنانا اعتقدنا انه مستحسن ، وكنا مسرورين ، واذا باغتنا عن آخر استهجننا اعتقدنا أنه مستهجن ، وكنا آسفين عاذرين ، ومضى رأينا من أحد ميلا الى نشر المنار أو الدعوة معه الى ما يدعوا اليه ، وثقنا به وعولنا عليه ، ولم يكن في الفكر ولا في القلب شيء . الآن الامة في حاجة الى الاصلاح وان حوادث الزمان أعدتها له في الجملة وأن الكلام في ذلك والدعوة الى ما يجب يزيدان الامة استعدادا لما به تكون امة عزيزة ويكون عوننا للساعين في سبيل نهضتها ، والعاملين لتكوينها وعزتها ،

بدأ لنا من فضل الله تعالى ما كنا نرجو ونحتسب وفوق ما كنا نرجو ونحتسب ، فقد انتشر المنار في جميع الاقطار ولا يزال انتشاره في نمو مستمر من غير سعي ولا دعوة تذكر

وبدا الناس من الناس ما علمنا به علم تجربة واختبار أنه لا ينبغي أن يوثق بكلام أحد في أمور الجسد والاعمال العامة التي لاحظ فيها الأهواء الأفراد إلا من شهد له الأعمال والاخلاق بالاختبار الصحيح وقليل ما هم ثم قليل ما هم ثم قليل ما هم، وأنه لا ينبغي لمن لا يتبع أهواء الامراء والرؤساء والاغنياء أن يرجو من أحد مساعدة على خدمة الملة والامة بل يجب أن يخشى ويحذر من إيداعهم وفتنهم

بداننا أن من يريد أن يخدم دين الله ويعال الله دون العظماء المترفين يجب عليه أن لا يعتمد في نجاح عمله الا على تحري الحق والخير والعلم بحاجة الامة الى خدمته وبأن الاحساس والشعور هذه الحاجة قد دب في نفوس كثير من افرادها وان حركته فيها حركة حية ولا علامة للحياة إلا النمو والزيادة - هذا هو الاساس المتين الذي يجب البناء عليه ولا يشترط معه للنجاح الحرية العامل وثباته فتى صادف الداعي الى الحق حرية وثبت على عمله فان فضل الله تعالى كافل له بالنجاح رغمًا عن انوف المبطلين الذين يتعقبونه يضعون في طريقه العقاب ويغفونه العوائير، ولينصرون الله من ينصره ان الله لقوي عزيز .

الدعوة الى المنار

بدا لنا ان الدعوة الى العمل الذي يعمل الامة لا يرجي نفعها الا من يعتقد نفع ذلك العمل ويشعر بدافع من الغيرة يدفعه الى الدعوة، ولقد كنا نعرف هذا نظراً واستدلالاً ولكن ذلك لم يصدف بنا قبل الاختبار عن الاغترار بأناس مدحوا على هدى، ثم عادوا فذموا عن هوى، وأناس أقبلوا على علم، ثم أعرضوا بغير عذر. وعن الرجاء بمن عهد البنا إرسال المنار الى اشخاص على انه كفيل بالتحصيل منهم ومرت السنون، ولم يأت شيء من الكافل ولا من المكفول، وقد وقع لنا هذا من غير واحد ولم يكن ذلك مخادعة بل كان سعيًا في النفع ولكنه غير مستوفٍ للشرط فكان ضاراً من حيث ينوي به النفع فلا صحابه الشكر على نيته الاولى والمذر على اهمالهم الاخير . ولولا أن كتبنا في المجلدات السابقة كلمات ظهر لنا انها كتبت بمداد الغربة لما نبتنا على اغترارنا في آخر هذا المجلد ونصرح الآن بأن العبرة في مساعدة المنار على ما نقول بعد دون ما قلنا قبل نصرحاً أو تلميحاً وانما استفاد المنار من دعوة من رغبوا فيه عن اعتقاد ودافع من شعور الغيرة ودافعوا عنه بمدافعهم عن اعتقادهم لاحبا في شخص منشئه ولا إرضاء لبعض محبيه، ودعاة المنار وانصاره هم أسلم الناس من الظنة، وابرأهم من التهمة، وابعدهم عن الهوى .

واقربهم بفضل الله من الهدى ، اذ لا مجال لنوال ، ولا مطمع في جاه أو مال ، ولا وسيلة الى رتبة أو وسام ، ولا رجاء في مدح ولا خوف من ذام ،

مقاومة النار

للمنار خصما ينفرون عنه ويذمون فيه فهم من يطمع فيه وينفر عنه بغضايه مضحية ، ومنهم من يجرم عليه تزلفا الى بعض مبغضيه ، ومنهم من يكرهه حسدا وموجدة ، ولا يكاد يخفى أمر هذه الاصناف على أحد الا من كان خالي الذهن غير مطلع على حقيقة امرهم وحقيقة ما يطمنون فيه . وان مقاومة امثال هؤلاء الناس - وان ضخمت ألقابهم - لاتضر الحق الا حيث يحرم الحق من الحرية كبلاد الاستبداد والظلم واما في بلاد الحرية فانها تكون اكبر نقما له واعون على نشره واعلاء شأنه من المدح والاطراء لان النفوس لاتوجه الى ما يمدح ويدعى اليه الا بعض توجهها الى ما يذم ويصد عنه ، وانما يعرف الحق بالتوجه اليه ، والاطلاع عليه ، ولذلك نجد أهله لا يجزعون من المناصب ، ولا يحفلون بالقليل والقال ، ولا يبالون بمحل اهل الكيد والمحال ، وان تفتنوا في الاعتداء ، وبالغوا في الافتراء ، وتجدها اهل الباطل يجزعون من ذكر اعمالهم ، ويضطربون من معرفة الناس لاحوالهم ، فيذلون المال للكذبة المؤرخين ، وللشعراء الغاوين ، ليلبسوا الحق بالباطيل ، ويشغلوا الاذهان بالخلابة والتخيل ، وسيكون التاريخ حكما يثناون من تصدى للمنار من هؤلاء في الدنيا والله خير الحاكمين

ومن الناس من يمقت المنار لان مباحثه ومسائله تبين للناس ما هم عليه من الاباطيل التي اتخذوها وسيلة للرزق وجمع المال ، وسلم للصعود في مراقي الشرف والجاه ، كبعض الدجالين الذين يدعون الولاية والقرب من الله والوساطة بينه وبين عباده يقربونهم اليه زاني ، ويدفعون عنهم البلاء ، ويستنزلون لهم النعماء ، وكسندة القبور ، وأكلة النذور ، وبعض اصحاب الجرائد الذين يخادعون الناس بما يوهمونهم من الدفاع عن بلادهم ، والدود عن حقيقتهم ، والدعوة الى حفظ شريعتهم ، وهم لاشأن لهم في امور البلاد ، ولا قيمة لكلامهم عند اصحاب السلطة والنفوذ ، ولا معرفة لهم بأمر الدين فيقرر وعقائده ، أو يدفعوا الشبه عنه ، أو يبينوا حكمه للجاهلين ، ويذكروا بهدياته الجاهلين ، وهؤلاء يمدون بمدواتهم لتافي دنياهم ، ولا يبالون بأمر اخراهم ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ،

ومن الناس من ينفر من المنار ويصد عنه لانه يخالف رأيه ومذهبه في بعض المسائل - وما آفة الأولين والآخرين الا العداء بالخلاف ولا يبالون مختلفين الا من رحم ربك ،

فللخروج من الخلاف خالفنا رأيهم أو مذهبهم ولكننا لم نبغضهم ولم نؤاخذهم بل نجبهم من حيث يكرهوننا ، ونحترمهم وإن كانوا لا يحترمونا ، ونعذرهم وهم لا يعذروننا ، ولعلنا بهذا نقضاهم ونود لو يساوننا أو يفضلونا ، وهذا الصنف على قسمين مقلد جامد لا يقرأ ولا يبحث ولا يطالب بدليل بل يذم ويعيب لانه سمع من يفعل ذلك فصدقه وتبعه ، وذي رأي ونظر يقرأ ويبحث ولكنه رأى ما يخالف اعتقاده فظنه ضاراً فكرهه وصد عنه ، وهذا الفريق يكاد يكون نادراً في امتنا لهذا العهد الذي قال في اهله الشاعر

غويونا فلا الداعي إلى الخير بيننا يعان ولا الداعي إلى الشر يخذل

بل كثير أمانى أناساً يخذلون داعي الخير لأقل شبهة ، ويعينون داعي الشر والفتنة ، ولنا مع من يكره النار لخالفه رأيه كلمات ثلاث تقولها في خاتمة هذه السنة

(الأولى) من البديهي أن الخلاف في الشرط طبيعي ولا يكاد يوجد اثنان يتفقان في كل شيء حتى في الأمور العامة الظاهرة فمن الجهل أن نجعل أمراً طبعياً لا مفر منه سبباً للتعادي والتباغض لأن ذلك يجعل هذا التعادي دائماً مستمراً في الأمة وما استمر التعادي في أمة إلا وكانت من الهالكين

(الثانية) إن الذي يخالفك في أمر من الأمور العامة بأن كنت تخشى ضرره إذا نشر وهو يرجو نفعه يجب عليك أن تتروى في أمره فلا تقدم على عداوته والصد عن عمله لكلاً تكون صادراً عن الحق والخير من حيث لا تعلم بل عليك أن تنظر في رأيه بامعان وإنصاف فإن ظهر لك خطأ فكتب إليه أو كله بما ظهر لك لينشره حيث ينشر رأيه فيما أن تقعه وترجمه وأما أن يقتلك ويرجمك وأما أن يمرض الزيان على الناس فيكونوا هم الحاكمين وأي ذلك كان ، فهو خير من التنازع والحصام ، ولا ينبغي لك أن تخاف على حقك من باطله إذاها تصارعاً معاً فإنه ما تصارع شيان إلا وغلب أقواهما أضعفهما والحق أقوى من الباطل فإذا قنق به عليه دمه فاذا هو زاهق

(الثالثة) أولى الناس بأن يعامل هذه المعاملة من تدل حاله على أنه يعتقد ما يقول وأنه يرجو النفع والافادة للأمة ، ويخلص لها الخدمة ، ومن آية ذلك ترك الدهان والتقرب إلى الذين ينال المال والجاه بالتقرب إليهم واتباع أهوائهم والعدول عن ذلك إلى ما يسيئ المبطلين من الخاصة ، ولا يوافق أهواء العامة ، وآية أخرى أكبر من أختها وهي أنه ينادي دائماً بأنه يقبل كل اعتراض وانتقاد وينشره كتنادي في كل عام

ضروب الانتقاد على المنار

الانتقاد على المنار على ضربين انتقاد خطية وانتقاد مسائل . فأما الأول فمن الناس من يرى أنه لا ينبغي للمنار الخوض في السياسة وأول من صرح لنا بهذا الرأي الشيخ محمد عبده عند اطلاعه على أول عدد صدر من السنة الأولى ثم انتارأينا رياض باشا على هذا الرأي أيضاً وذلك ان هذين الشيخين الكبيرين يعتقدان أن خوض الجرائد في السياسة قد أضر بهذه البلاد ويودان لو يكون المنار الذي يعتقدان نفعه بعيداً عنها وقد ذكر لنا كل واحد منهما رأيه غير مرة، ولكن السياسة فتنة المالمين وإنه ليصعب على الانسان أن يرى الأهواء تعبت بالامور العامة ويرى أهلها يخفون الحقائق ويموهون على الناس ويفشونهم وهو ساكت لا يجبر قولاً ولا يكشف لساناً . على أننا قلنا نقصد الى السياسة ونبحث فيها وانما نذكر في باب الاخبار والآراء أحياناً بعض المسائل التاريخية والجواب الطارئة ونذكر وجه العبرة فيها والعبر التاريخية كلها سياسية على أنهما يعنيان السياسة المصرية وهذه قلما نعرض لها أو نلتفت اليها. ومن الناس من ينتقد ذكر الاخبار والادبيات في المنار زاعماً انه مجلة دينية لا ينبغي التعرض فيها لقبر مسائل الدين وجواب هؤلاء مكتوب على غلاف المجلة منذ وجدت وهو «مجلة علمية أدبية تهذيبية مليّة أخارية»

مسلك المنار السلي

ومن هذا الفريق من ينتقد على المنار اتباع طريق السلف في الاستدلال على المسائل بالكتابات والسنة ويسمون هذا اجتهداً ويقولون إن منشي المنار لا تسلم له دعوى الاجتهاد . ونجيب هؤلاء من وجهين (أحدهما) أن المنار يتكلم في مسائل الدين في أبواب منها باب التفسير ولا ينبغي لمسلم أن يقول انه يجب أن نجهل أحد المذاهب أصلاً ونرجع القرآن اليه ونحكمه فيه بل الواجب اعتقاد أن القرآن هو أصل الدين وأساسه وينبوعه ومصدره، يرجع اليه كل شيء منه وهو لا يرجع إلى شيء لانه فوق كل شيء . ومنها باب الفقه والسؤال والفتوى وهما موضوعان لبيان حكم الدين وأسراره ودفع الشبه والاعتراضات عن الاسلام وإقامة الحجة على المتهاون بأحكامه وليس يضر الاسلام والمسلمين أن يكون بعض المسائل الاجتهادية في بعض المذاهب متفقاً أو غير

ظاهر الحكمة أو غير معمول به إذ لا بد من هذا وانما يضرنا أن يتوجه الانتقاد إلى أصل الكتاب والسنة وأن يكون هذا الأصل مخالفاً للبرهان العقلي في عقائده وللمصلحة في أحكامه. ثم إن النار قد أنشئ لجميع المسلمين لا لأهل مذهب معين منهم والمسائل ترد إليهم من أهل المذاهب المختلفة في الأصول والفروع وهم لا يسألونه عن مذهب معين إلا نادرًا وانما يسألونه عن أصل الدين وهو الكتاب والسنة ومن يسأله عن مذهب معين يحجب عنه أن علم والا قال لأدري بلسان المقال أو بلسان الحال وهو السكوت

(الوجه الثاني) إن رأي النار أن الوحدة الإسلامية لا تتحقق إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنة المتبعة المجمع عليها في أمور العقائد والعبادات المحضة كما كان السلف وإن يكون الاجتهاد في المعاملات قائمًا على أصولها العامة مع مراعاة مصلحة الأمة وعرف الزمان كما جرت المذاهب وعدم التفريط في مصلحة الأمة لأجل موافقة مذهب دون مذهب وما نذكر من المسائل بأدلتها مع بيان حكمها وانطباقها على المصلحة تريد به مع الرد على المنكرين بيان النموذج الذي نرى اتباعه جامعاً لكلمة الأمة ومحياً للنشأة الدين فيها ولا نلتزم في ذلك إلا موافقة الكتاب والسنة وإجماع الأمة فاكتننا شيئاً يخالف هذه الأصول ولا القياس حيث لم توجد. فإذا كان نشر كل ما يخالف مذهبك أمراً معترضاً ضاراً فكتب التفسير والحديث ضارة لأنها مملوءة بذكر الخلاف والأدلة وكذلك أكثر كتب الفقه وللنار أسوة بها وأما الضرب الثاني وهو انتقاد المسائل فانتنا ننشر في كل سنة ما يرده علينا منه ونذكر رأينا فيه وقد جاءنا في أواخر هذه السنة رسالتان أحدهما من فاس ينتقد صاحبها فتوى نشرت في النار والثانية من الهند ينتقد صاحبها الحنفية ما كتبناه في مسألة اشتراط الولي في النكاح فلم يتمكن من الرد عليهما فأرجأناه إلى أجزاء السنة الثامنة. وقد رأينا في جريدة الأفكار البرازيلية انتقاداً على ما كتبناه في مسألة تعدد الأزواج سنذكر خلاصته ونحجب عنه أيضاً.

تقريب النار ومدحه

ذكرنا كل ما انتهى إلينا علمه من الانتقاد علينا فان كان أحديهم أنه كتب إلينا شيئاً لم نذكره فابذل كتابه. ولكنتنا لا نذكر ولا نشير إلى تلك التقارير والثناء الذي يرد علينا من هذه البلاد ومن المشرقين والمغربين بل نشي على أهلنا ونشكر لهم حسن ظنهم وثقتهم بالنار ودعوتهم إليه والله تعالى يتولى ثوابهم أجمعين

مشتركو النار

زاد عدد المشتركين في هذه السنة كالتي قبلها عدة مئتين ونحن نرى أن قراءه خير القراء، وأقربهم إلى الوفاء ؛ ولا يزال المنار مستغنيا بالثقة بوفائهم عن الوكلاء - الآن كثيرين منهم لم يرسلوا إلينا القيمة انتظارا لوكيل يطالبهم فعمسى أن يفضلوا بإرسالها حوالة على البريد أو أحد المصارف (البنوك) وقد شغل وكيلنا الفاضل بتونس في هذه السنة عن إنجاز وعده الذي ذكرناه في آخر السنة الماضية وهو يشكو من عسر التحصيل في البلاد البعيدة عن الحاضرة لما في إرسال المحصل إليهم من النفقة فنرجو من هؤلاء ومن جميع من لم يتيسر له التحصيل منهم أن يسعفونا بإرسال القيمة حوالة على البريد كما نرجو من همته العالية إنجاز وعده بتسديد حساب السنين الماضية عن قريب

البريد

زادت شكوى القراء في هذه السنة من فقد أجزاء المنار وكثرت مطالبهم للإدارة بما لم يصل إليهم . ومنهم من رد عمال البريد أجزاءهم زعماء منهم أنهم هم الذين رفضوها ثم تبين لنا خلاف ذلك وفقدنا في البريد رسائل ومطبوعات أخرى فلعل هذا الأمر لا يعود لثلاثنا شرف البريد المصري الذي رفعه مديره الهمام

السنة المقبلة

وبما أفادنا الاختبار أن تحامى الوعود الجازمة وإنما نذكر ما تنويه على أنه يان للغزم كغزمننا على العود إلى إنشاء المقالات الاجتماعية والفلسفية في الأبحاث المفيدة كبحث (١) الشعور والوجدان ، والفكر والأذعان ٢ الأعداد والاستعدادات تكون البيوت ٤ تكون الأمم ٥ هلاك الأمم ٦ الحياة الزوجية ٧ الحياة المالية ٨ الحياة الوطنية ٩ الزعماء والمصلحون ١٠ إيذاء المصلحين ١١ الاستقلال والتقليد ١٢ التعاون والتخاذل ١٣ تنازع البقاء ١٤ الحياة والموت ١٥ اللغة والحياة ١٦ اللذان ١٧ الجنسية ١٨ الجميات ١٩ السياسة والساسة ٢٠ الملك والخلافة ٢١ طغيان الاستغناء ٢٢ القوة والحق ٢٣ الدين والدنيا ٢٤ المال والجاء ٢٥ الدنيا والآخرة . وما أشبه ذلك

ونسأل الله تعالى أن يوفقنا فيما يأتي لحير ما وفقنا له فيما مضى وإن يقينا زلة القلم، ويحفظنا من سوء القصد في القول والعمل، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

رواه خير
الآن
البريد
تونس في
من عشر
فقه في
بمنه حوله
في قريب

والمسلم
يتم بيننا
والعالم

على انه يان
الجاء للنفذ
مداد ٣٣
الحية للوفى
١٢ الثمان
الذات ١٧
يفان الاستا
الآخرة ١٠

يقينا رقة
رب العالم

Author _____
Title al-Manār

AP

For Reference

Not to be taken from this room

NO.705

